



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي  
جامعة أحمد درايعية - أدرار  
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية  
قسم التاريخ والآثار



## مسألة الهوية عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين (1931-1956م)

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه نظام ل.م.د  
تخصص: تاريخ المغرب الحديث والمعاصر

إشراف:

أ.د. محمد مرغيت  
المشرف المساعد:  
أ.د. سالم بوتدارة

إعداد الطالبة:

رفيقة مرابطي

### أعضاء اللجنة المناقشة

| اللقب والإسم       | الرتبة               | المؤسسة     | الصفة        |
|--------------------|----------------------|-------------|--------------|
| عبد المالك بوعريوة | أستاذ التعليم العالي | جامعة أدرار | رئيسا        |
| محمد مرغيت         | أستاذ التعليم العالي | جامعة أدرار | مشرفا ومقررا |
| سالم بوتدارة       | أستاذ التعليم العالي | جامعة أدرار | مشرفا مساعدا |
| أحمد جلايلي        | أستاذ التعليم العالي | جامعة أدرار | مناقشا       |
| خديجة حالة         | أستاذ محاضر - أ.     | جامعة أدرار | مناقشا       |
| شايب قدارة         | أستاذ التعليم العالي | جامعة قالمة | مناقشا       |

السنة الجامعية : 1446\_1447 هـ / 2025-2026م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# شكر وعرفان

الحمد لله حمدا كثيرا، الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله تقضى الحوائج وتختتم الأعمال، له الشكر الدائم على تسهيله وتوفيقه لنا.

أتقدم بالشكر والتقدير الكبيرين لكل من ساعدني في إنجاز هذا العمل وأخص بالذكر:

الأستاذ المشرف الدكتور مرغيت محمد الذي قبل تأطير هذا العمل، ولم يبخل علي بتوجيهاته وإرشاداته وتسهيلات ومحاولة تذليل الصعوبات التي واجهتها وتقديم تصويباته القيمة طيلة فترة البحث.

كما أشكر المشرف المساعد الدكتور سالم بوتدارة على نصائحه ودعمه ومساعدته وتجاوبه الدائم والمستفيض مع إشكاليات البحث في كل مرة تستدعي الضرورة. الشكر موصول أيضا لطاقم كلية العلوم الإنسانية بجامعة أحمد درايعية بأردار خاصة قسم التاريخ كل باسمه ومقامه العلمي، والذين كانوا متجاوبين ومتعاونين معنا لأبعد حد طيلة سنوات البحث، فجزاهم الله خيرا على كل ما قدموه لنا. أشكر أيضا كل من ساعدني في توفير مصادر ومراجع البحث سواء من قريب أو بعيد وإن كان المقام لا يسع لذكرهم جميعا من أساتذة ودكاترة وباحثين وزملائي طلبة الدكتوراه ومؤسسات البحث العلمي عبر كامل التراب الوطني وخارجه.

وأخيرا أوجه خالص شكري وكامل عرفاني إلى لجنة المناقشة التي قبلت مناقشة هذا العمل، وعلى كل ما قدموه من ملاحظات وتصويبات، عملنا جاهدين على أخذها بعين الاعتبار وتصحيحها وتنقيحها.

فلكم مني جميعا أسى عبارات التقدير والإحترام والإمتنان.

# الإهداء

إلى من أهدوا لنا حياة الحرية والكرامة...إلى من سقوا بدمائهم الزكية هذه الأرض  
المباركة بكل سخاء، وضحووا في سبيل هذا الوطن الغالي وخلّدوا ذكراهم بأروع  
صور التضحية والشجاعة والإيمان بالله... إلى روح شهدائنا الأبرار.

إلى والدي الكريمين اللذين سهرتا على تعليمي منذ الصغر.

إلى روح أخي " حسام " رحمة الله عليه وأسكنه فسيح جناته.

إلى جميع أفراد أسرتي وعائلي.

إلى أساتذتي الفضلاء لجميع المراحل التعليمية.

إلى أقاربي وأصدقائي وزملائي في الدراسة والعمل.

إليكم جميعا أهدي هذا العمل.

وأسأل الله التوفيق.

رفيقة مرابطي



مقدمة

عمد الإستعمار الفرنسي منذ إحتلاله الجزائر سنة 1830م إلى محاولة القضاء على مقومات الشخصية الجزائرية وطمس معالمها من خلال إتباع سياسة استيطانية منهجة كانت لها أبعاد خطيرة على المجتمع، وتعد فترة الثلاثينيات من القرن العشرين، أهم فترات تاريخ الجزائر المعاصر التي اشتدت فيها ضغوطات الاحتلال الفرنسي على الشخصية الجزائرية، بكل مقوماتها الأساسية، حيث سعى الاحتلال إلى تدمير النسق الاجتماعي وهدم معالم الهوية الوطنية واحتثاث مقومات الشعب وتغريبه عن مرجعيته الحضارية الإسلامية، بهدف الاستيلاء على الوطن الجزائري أرضا وشعبا، من خلال محاربة اللسان الجزائري الناطق بالعربية وفرض اللغة الفرنسية وتوظيف اللغة الأمازيغية لخدمة أغراضه الاستعمارية وتفتيت الوحدة الوطنية، ومحو العقيدة الإسلامية، وتغريب الإنسان عن أرضه، وتعدى الأمر إلى زرع بذور الفتنة بين أفراد الشعب بتطبيق سياسة التفرقة لتشيت وحدة الأمة.

وأدى هذا الضغط الاستعماري على مقومات الشخصية الجزائرية إلى حدوث تأثيرات سلبية على الهوية الوطنية نتيجة التعامل العنيف معها، حيث بدأت المسألة تأخذ طابعا خاصا في صراعها مع الاحتلال لم تعرفه البلاد من قبل تميز بالحدة في استعمال القوة لطمس المقومات الوطنية، فإذا ما عدنا إلى مسألة الهوية قبل فترة الاحتلال الفرنسي لا نجد أثرا لما يشير إلى أنها شكلت مشكلة بالنسبة للجزائريين، كون أغلب المخطوطات والكتابات العربية واللاتينية قبل الاستعمار لم تُلحَ إلى حدوث نزاعات اثنية أو طائفية بين الجزائريين بسبب اللغة أو الدين أو أي مكون آخر، وحتى خلال الإحتلال الثلاثي الذي عرفته منطقة شمال إفريقيا بداية من الغزو الروماني ثم الوندالي وانتهاءً بالغزو البيزنطي، لم تُثر مسألة الهوية بهذه الحدة رغم أن الأمازيغ عرفوا منذ القدم بمقاومتهم الثقافية لأي دخيل عنهم وتجسد هذا في بقائهم محافظين على ما يميزهم من عادات وتقاليدهم ولغة توارثوها عبر الأجيال.

لكن ما نلاحظه تاريخيا أنه ما إن بدأت فرنسا تبسط نفوذها على المنطقة، حتى بدأت هذه المسألة في الظهور والانتشار مع تقدم فترات الإحتلال، خصوصا بعد تداول الضباط العسكريين الأوائل مثل الجنيرال دوفيغي Duvivier سنة 1841 والعقيد دumas سنة 1844 لعدة تسميات للسكان أبانت عن رغبة في طمس معالم وإسم الجزائر من التداول بالقوة، فاستحدثت تسمية الأهالي المسلمين، ثم انتقلت الى التمييز الإثني بين عناصر الوطن الواحد، وصولا إلى التسويق لفكرة "الجزائر الفرنسية".

إلا أن هذا الضغط الاستعماري لم يزد الجزائريين إلا صلابة في مقاومة مختلف سياسات الاحتلال، خصوصا وأن هذه المرحلة عرفت تأثيرهم ببروز المد التحرري في العالم، الذي نادى بعودة مطالب، كان من أهمها حق الشعوب في تقرير مصيرها مثل ما حدث في مستعمرات إفريقيا وآسيا، بالموازاة أيضا مع تبلور الفكر الإصلاحي في المشرق العربي، وتأثر الجزائريين بأفكار عدة مصلحين كمحمد عبده ورشيد رضا التي دعت إلى نبذ الجمود والتخلف الفكري، والتجديد في مواجهة الاستعمار بدل الاقتصار على المقاومة المسلحة التقليدية.

كل هذه الظروف ولدت لدى الجزائريين وعي بضرورة الدفاع عن ملامح هويتهم والحفاظ عليها، وتظهر هذا الوعي في بروز ملامح نشاط سياسي وطني قادته شخصيات وطنية ساهمت بجهودها في تشكيل أحزاب سياسية ونوادي وجمعيات، من أبرزها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ونجم شمال إفريقيا الذي تحول لاحقا إلى

حزب الشعب الجزائري، إضافة إلى فدرالية المنتخبين الجزائريين والحزب الشيوعي الجزائري، ولقد أخذت أحزاب الحركة الوطنية على عاتقها مسؤولية إستمرارية مقاومة الاحتلال والدفاع عن الأرض، وإعادة إحياء مقومات الشخصية الجزائرية وثوابت الأمة ومقومات هويتها، والحفاظ على تميزها ضد محاولات الدمج والإلحاق بالإستعمار، وذلك وفق أساليب جديدة قامت على المطالبة بالحقوق ومناهضة الاستعمار سلميا.

## . أهمية الموضوع:

إن البحث في الحركة الإصلاحية بالجزائر عامة، وبرامج ومواثيق جمعية العلماء المسلمين الجزائريين خاصة عرف اهتماما كبيرا لدى العديد من العلماء والمفكرين والباحثين في مختلف المجالات الفكرية، الفلسفية، الثقافية، الدينية، الإعلامية، الاجتماعية وحتى السياسية، كون الجمعية مثلت فاعلا أساسيا في المجتمع الجزائري، ألقت بثقلها البارز على القضايا الوطنية التي تخص الأمة وفي مقدمتها موضوع الهوية الوطنية الجزائرية، سواء مع الاستعمار الذي ناهضته، أو مع تيارات الحركة الوطنية بمختلف توجهاتها التي تقاسمت معها هموم الأمة الجزائرية، أو من خلال دورها خلال الثورة التحريرية.

لذا فإن أهمية الموضوع تفرض نفسها للبحث فيها من منطلق طبيعته الفكرية والتاريخية، بحكم ما للهوية من أهمية في حياة الشعوب، إضافة لخصوصية هذه المسألة في المجتمع الجزائري ذو الثراء والتنوع العرقي واللغوي والفكري والأيدولوجي على شساعة مساحته، وقدم وجوده الضارب في التاريخ، ما يفسح المجال لفرضية الاختلاف وكيفية استيعابه ضمن إطار مشترك تجمع تفاصيل متغيراته هوية واحدة تحدد تقاسيم الانتماء لجميع أفرادها، وكيفية تعامل تيارات الحركة الوطنية مع هذه المتغيرات، وفي مقدمتها جمعية العلماء المسلمين التي عرفت عند معظم الباحثين والدارسين والمفكرين باسهاماتها الكثيرة في مجال الحفاظ على الهوية الوطنية.

ومن بين ما أوقفنا على الاهتمام بدراسة الموضوع أيضا هو الرغبة في معرفة تلك التدايعات التي تنيرها مسألة الهوية بين الفينة والأخرى على الساحة الوطنية، كلما سمحت لها الظروف، والحاجة لمعرفة أسباب ودواعي ظهور هذه التدايعات، وإدراك الظروف الحقيقية التي برز فيها الموضوع على الساحة الوطنية والدوافع والأسباب التي أحاطت بظهوره، والبحث في الخلفيات التاريخية والفكرية والإيدولوجية التي استمدت منها جمعية العلماء المسلمين حتمية وجودها واستمرار نشاطها وانتشارها وعلاقتها الوطيدة بموضوع الهوية، ومحاولة فهم الواقع السياسي والاجتماعي والديني والثقافي للمجتمع الجزائري الذي ظهرت فيه المسألة خلال الاستعمار الفرنسي، لفهم العديد من الممارسات والتوجهات الراهنة، كونها لازالت تثير جدلا على المستويين السياسي والثقافي والفكري للجزائر، وما ينجم عنه من تأثيرات تفرض نفسها على الأمن القومي للبلاد وتمس بوحدةها، نظرا لحساسية الموضوع وطبيعة حدة الاختلاف الأيدولوجي بين بعض العناصر المشكلة للمجتمع الجزائري.

وعلى هذا الأساس فإن العودة إلى الجذور التاريخية لظهور مسألة الهوية الوطنية في الجزائر وقراءة الظروف التي ناضلت فيها الجمعية من أجل إعادة إحيائها، والأسس الفكرية التي انطلقت منها للحفاظ عليها من الطمس الاستعماري، ودراسة مواقفها من المسألة عند باقي خطابات تيارات الحركة الوطنية التي تضمنت برامجها مطلب

الهوية، كفيل -من وجهة نظرنا- باستيعاب مختلف الأحداث خلال مرحلة تاريخية هامة من تاريخ الجزائر، ويسمح بفهم التطورات اللاحقة للمسألة وأسباب إثارتها بين الحين والآخر سواء على المستوى الوطني أو على مستوى الصراع الجزائري الفرنسي الذي يتكرر في كل مرة يدلي بها بعض المسؤولين الفرنسيين بتصريحات تمس بالأمة الجزائرية ومقومات هويتها.

## أهداف البحث:

سعيانا من خلال دراسة موضوع الهوية عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لتحقيق جملة من الأهداف، من بينها:

- إبراز وتثمين جهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في المحافظة على عناصر الهوية الوطنية للأمة الجزائرية، خلال مرحلة تاريخية مهمة من تاريخ الجزائر أثناء فترة الاحتلال الفرنسي.
- تحديد الأسس التي قام عليها مشروع إحياء والحفاظ على عناصر الهوية الوطنية بالنسبة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين والوسائل المعتمدة لتحقيق هذا المشروع.
- معرفة موقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من مسألة الهوية ضمن برامج الحركة الوطنية ومدى الأهمية التي أولوها لهذه القضية الهامة، وكذا إبراز أبعاد هذه المسألة ضمن نصوص ومواثيق الثورة التحريرية ومفجرها الأوائل.
- فهم الصعوبات والتحديات التي واجهت جمعية العلماء في إعادة بعث مقومات الهوية الوطنية والسبل التي انتهجتها لتجاوز هذه العراقيل، ومعرفة إلى أي مدى إستطاعت تحقيق أهدافها ومساعدتها في هذا الموضوع.
- إستخلاص أسباب خصوصية مسألة الهوية الوطنية في الجزائر ودواعي إثارتها وسط المجتمع الجزائري خلال الفترة المعاصرة رغم نهاية الفترة الإستعمارية، والبحث فيما إذا كانت هناك علاقة بين مسألة الهوية الوطنية خلال الفترة الإستعمارية وبواعثها ما بعد الإستقلال.

. دوافع اختيار الموضوع: تتمثل دوافع اختيار موضوع البحث في:

## ➤ دوافع موضوعية:

أولاً: الأهمية التي يكتسبها الموضوع كونه يعالج إشكالية مهمة تتعلق بالهوية الوطنية التي تميز الشخصية الجزائرية عن غيرها، وهو ما أراد الاستعمار أن يلغيه، بشتى الطرق والوسائل، وتأثيرات هذا الإصرار ومدى انعكاساته على المجتمع الجزائري في وقتنا الراهن.

ثانياً: من بين الدوافع التي أثارت إهتمامنا لاختيار البحث في هذا الموضوع هو ندرة الدراسات التاريخية التي تطرقت له رغم أهميته، وربما هذا راجع حسب وجهة نظرنا لعدة أسباب تكمن أساساً في غموض المصطلح وطابعه الفلسفي المتشعب بين عدة تخصصات علمية، تفرض على الباحث إطلاعا مسبقا ودراية كافية عن الموضوع، قبل الخوض فيه نظرا لحساسيته السياسية والتاريخية والفكرية والأيدولوجية.

**ثالثا:** خصوصية مرحلة النشاط الإصلاحي والسياسي للحركة الوطنية الجزائرية خلال فترة الثلاثينات وأهميتها في تاريخ الجزائر، باعتبارها مرحلة حاسمة من النضال الوطني، اتسمت بدور كبير لعبته التيارات الوطنية في الحفاظ على مقومات الشخصية الجزائرية بعد مرور مئة سنة من الاحتلال، بالموازاة مع استمرار فكرة المقاومة، وفي مقدمة هذه التيارات نجد التيار الإستقلالي بشقيه الثوري والإصلاحي، والذي ضم في صفوفه الغالبية العظمى من الجزائريين، شكلت خزانة للوطنية التي فجرت الثورة التحريرية الكبرى.

### ➤ دوافع ذاتية:

**أولا:** محاولة إثراء الرصيد المعرفي في مجال التاريخ الحديث والمعاصر لمنطقة المغرب العربي عامة، والجزائر على وجه الخصوص وإبراز دور التيارات الدينية ذات التوجه الإصلاحي في تطور أحداثه التاريخية، نظرا لكون هذا التيار كان له قاعدة شعبية كبيرة انعكس دورها الوطني الفاعل على الساحة الوطنية، بظهور اختلاف على مستوى وسائل وطريقة النضال مقارنة بالتيارات الوطنية الأخرى.

**ثانيا:** محاولة تقديم بحث أكاديمي يثري المكتبة العلمية بمواضيع تتناول دراسات تاريخية تختص بتحليل أفكار وتوجهات التيارات المشكلة للحركة الوطنية، وتبرز موقفها من مسألة الهوية من خلال إجراء قراءة في خطاباتنا السياسية وما تضمنته موافيقها من مطالب تدافع عن الموضوع، والوقوف على جمعية العلماء كنموذج ساهم بشكل وافر في المحافظة على مقومات الأمة الجزائرية، بمناهضته للاستعمار عن طريق الإصلاح.

**ثالثا:** الرغبة في البحث والتعمق في تاريخ الجمعية ومعرفة موقف أعضائها من قضية وطنية هامة، بغية فهم بعض التصريحات المناوئة التي ظهرت في السنوات الأخيرة، والتي تشكك في دور جمعية العلماء لإحياء الهوية الوطنية أو التي تقلل من هذا الدور، ويمنح أصحابها أهمية لجهود التيار الإستقلالي الثوري على حساب التيار الإصلاحي.

### إشكالية البحث: إن الموضوع المعني بالبحث يتمحور حول إشكالية رئيسية تتعلق بـ:

ما هي عناصر ومرتكزات الهوية الوطنية في نصوص وموافيق جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أثناء الفترة الإستعمارية 1931-1956م؟

### التساؤلات الفرعية: تحت الإشكالية الرئيسية تتفرع عدة أسئلة يطرحها الموضوع تلخصت في التساؤل

عن:

- 1- ما المقصود بمصطلح الهوية؟ ومتى ظهر استعماله تاريخيا في كتابات المفكرين والمؤرخين؟
- 2- كيف كان وضع الهوية الوطنية غداة تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين؟
- 3- ما هي المرتكزات الأساسية التي قام عليها مشروع إعادة إحياء الهوية الوطنية عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين؟

- 4- ماهي الجهود التي قامت بها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من أجل إعادة بعث مقومات الهوية الوطنية للأمة الجزائرية وفق منظورها الإصلاحية الديني؟
- 5- إلى أي مدى استطاعت الجمعية التوفيق في تنفيذ مشروعها الحضاري لإعادة إحياء مقومات الهوية الوطنية الجزائرية في مقابل ضخامة المشروع الفرنسي الذي تبني فكرة إرساء هويته الاستعمارية؟
- 6- ما هي تداعيات مسألة الهوية على الحركة الوطنية والثورة التحريرية؟ وكيف كان موقف جمعية العلماء منها؟

### الدراسات السابقة:

بطبيعة الحال لم تكن السباقين في التطرق لموضوع الهوية الوطنية، فهناك الكثير من الدراسات العلمية والبحوث على المستوى الوطني أو خارجه، والتي إستطعنا جمعها والإطلاع على مضمونها، وقد تنوعت طبيعتها ما بين كتب أكاديمية أشرنا إليه سابقا، أو مذكرات تخرج ومقالات علمية، ومداخلات، كانت قد تناولت هذا الموضوع بشكل عام، أو تطرقت إلى البحث في بعض جزئياته بحكم طبيعته المتشعبة بين التخصصات العلمية الإجتماعية، السياسية، الإسلامية والفلسفية، إضافة إلى إختلاف الإيديولوجيات والزوايا الفكرية التي طرح منها الموضوع والفترة الزمنية التي عالجتها الدراسات، إلا أننا سنقتصر على الدراسات الأكاديمية التي لها علاقة بموضوعنا ضمن حدود الدراسة المضبوطة في بداية البحث، وتقاطعها مع الأفكار التي تطرحها الإشكالية، وتحاكي عمق الموضوع، ونذكر هنا بالخصوص الدراسات التي تدور في فلك مسألة الهوية عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين خصوصا، والتيارات المختلفة للحركة الوطنية وما تعلق بنصوص ومواثيق الثورة التحريرية عموما، وعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر بعض الأعمال المهمة التي تم الإستفادة منها بشكل كبير في بحثنا والمتمثلة في:

### -رسائل الدكتوراه:

- الخطاب الديني في الجزائر ومسألة الهوية الوطنية (1925-1956) للباحث بشير بلمهدي علي بجامعة وهران 01، والتي نوقشت سنة 2011، وقد تناول فيها الباحث جوانب تخص موضوعنا من حيث إبرازه لمكونات الهوية الوطنية والخطاب الديني في الجزائر قبل 1925، ثم عالج مرحلة تنوع الخطاب الديني وقضية الهوية الوطنية أثناء الفترة الممتدة ما بين (1925-1930)، ليعرض هيكله الخطاب الديني في الجزائر من مرحلة بداية الثلاثينات إلى غاية اندلاع الثورة التحريرية وعرض ما لقيه من تصادم وتطورات، وخلص الباحث إلى أن الخطاب الديني جزء من الذاكرة الجماعية كونه من مصادر إلهام الهوية الوطنية نظرا لتنوع أنماطه، لذلك أوصى بضرورة البحث عن هذه الذاكرة الجماعية عند النخبة الدينية الجزائرية على إختلاف توجهاتها، كما أكد أن الخطاب الديني الإصلاحية شكل مصدر إزعاج للإدارة الاستعمارية لأنه كان يعبر عن ثقافة محلية عربية إسلامية مثلت الإرث الذي لا يمكن الإستغناء عنه لارتباطه بالمجتمع الجزائري، لذلك عمل الاستعمار على محاربته، ما شكل تحديا صعبا واجه علماء الإصلاح في سبيل إنجاح مشروع إحياء الهوية الوطنية وتطلب منهم المجازفة والتضحية.

-دراسة حول الدولة والمجتمع في برنامج الحركة الوطنية الجزائرية 1919-1962م للباحث مراد بوعباش، بجامعة الجزائر3 والتي نوقشت سنة 2011، وعالجت المنطلقات الأيديولوجية والمرجعية الفكرية التي بنت على أساسها

تيارات الحركة الوطنية الجزائرية مواقفها وتصوراتها من الدولة والمجتمع معتمدا على برامجها ومواقفها من القضايا الوطنية التي تضمنتها موانئها، ونشاطها على أرض الواقع، بالموازاة مع ما ورد في موانئ الثورة التحريرية.

- التغيرات السوسيو الثقافية وأثرها على الهوية الثقافية للمجتمع الجزائري للباحثة شريفة بريجة بجامعة وهران 02، والتي نوقشت سنة 2016، وعالجتها فيها الباحثة إشكالية الهوية الثقافية من منطلق كونها درع لمقاومة التأثيرات الخارجية التي تحتاج المجتمعات العربية بحكم الخصوصية الثقافية التي تجمع بين شعوبها، وحاولت الباحثة دراسة بعض العناصر الثقافية التي لها علاقة مباشرة بمقومات الهوية الثقافية للمجتمع الجزائري مثل اللغة التي اعتبرتها أحد أهم مقومات الهوية، وخلصت الباحثة في نهاية الدراسة إلى أن لغة التخاطب بين الجزائريين هي الدارجة العربية، ما يدل حسب رأيها على تمسكهم القوي بهويتهم مع حضور دائم وبصفة جزئية للغة الفرنسية كلغة تحاور نتيجة التأثير التاريخي لطول فترة الاحتلال..

- دراسة لـ "شارلوت كوراي، تحت عنوان: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وبناء الدولة الجزائرية المستقلة: التأسيس، والإرث، والتملك، والتناقضات (1931-1991) نوقشت سنة 2016 عن جامعة السوربون، إستعرضت فيها الباحثة تاريخ جمعية العلماء المسلمين الجزائريين منذ تأسيسها إلى غاية إعادة بعثها في الجزائر خلال التسعينيات. وأبرزت دورها في التعريف بالهوية العربية والإسلامية للجزائر، وما قامت به من جهود فاعلة في بناء الدولة الوطنية، رغم اختفاء الهيكل الرسمي للجمعية بين سنوات 1962 و 1991. وأوضح أن الأنشطة التعليمية والدينية للجمعية وموقفها خلال حرب الاستقلال، أهّل بعض أعضائها للمشاركة في مسار جزائر ما بعد الاستعمار. ورأى أن دراسة مسارات القادة الأعضاء في الجمعية توضح مدى تكيفهم مع الظروف تبعا لاستراتيجيات المحافظة على إرث الجمعية. مثل مشاركة بعض فادتها في حكومة الحزب الواحد، وبنائهم أسس الإسلام في الدولة، في الوقت الذي فضلت فيه شخصيات أخرى معارضة النهج الذي اتبعته السلطة بعد الإستقلال. وهدفت الدراسة إلى الإجابة عن تساؤل متعلق بالصورة النمطية السائدة عن الجزائر المعاصرة المرتبطة بإرث الجمعية. من خلال تعريف العلماء للأمة والإسلام، وموقفهم من القضايا الثقافية والسياسية والاجتماعية، والتعريب، ومكانة الإسلام في الجزائر المستقلة. وإن كنا لا نتفق معه في الوصف النمطي الذي عبر به عن طرحه لقضية إرث الجمعية، لكون هذا الإرث هو الذي حافظ على هوية الجزائر وفق منظور ديني إصلاحي تميز بالأصالة والمعاصرة في نفس الوقت، سواء من حيث الأفكار الوطنية التي كان يدعو لها أو من حيث الجهود العلمية التي بذلها العلماء في إعداد النشء قبل وبعد الإستقلال.

- دراسة حول القضايا الوطنية من خلال صحف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين (البصائر نموذجاً)، للباحثة سومية بوسعيد من شعبة التاريخ بجامعة الجليلي اليا بلس بسيد بلعباس، والتي نشرت سنة 2015، وأبرزت الدراسة إلى مدى مكانة وأهمية جريدة البصائر في الحركة الوطنية ككل، وجمعية العلماء على الخصوص، نظرا لما تتضمنه من معلومات وأفكار وأحداث وطنية مختلفة، كما بينت الدراسة الدور الأول للجريدة والمتمثل في تعميم انتشار الفكر الإصلاحي عبر مختلف أنحاء القطر الجزائري، بالإضافة إلى جهودها في التركيز على مناقشة القضايا الوطنية ومحاربة الطرقية والدفاع عن الشخصية الوطنية في إطار بعدها المغاربي، وهو الجزء الذي عدنا إليه لتقاطعه مع دراستنا هذه.

- دراسة عن مسألة الهوية في برامج الحركة الوطنية الجزائرية 1926-1954 للباحث مجيد مسعودي من



كلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية بجامعة الجزائر 03 والتي نشرت سنة 2018، وتناولت الدراسة نظرة تيارات الحركة الوطنية إلى مسألة الهوية الوطنية على إختلاف توجهاتها بما فيها جمعية العلماء المسلمين -موضوع بحثنا هذا-، وقد استعرضت الدراسة مفهوم الهوية، والبعد الحضاري للدولة الجزائرية، وبينت تأثير القضايا الثقافية والسياسية على توجهات أصحابها الهوياتية، بسبب إختلاف الظروف التاريخية التي نشأ فيها قادة هذه التيارات وانتماءاتهم الإيديولوجية. إلا أن هذا التأثير في نظرنا لا يعتبر مبررا للإنتقاص من مجهودات أو دور طرف على حساب آخر، أو الإغلاء من شأن توجه معين على حساب باقي التوجهات، لكون كل تيار من تيارات الحركة الوطنية خدم القضية الوطنية من الزاوية التي يراها مناسبة في نظره وتؤدي إلى حل القضية الجزائرية مع الإستعمار.

- الهوية في خطاب التيار الإستقلالي الثوري في الجزائر (1926-1954) للطلاب عمر حمدي من قسم التاريخ بكلية الآداب والحضارة الإسلامية بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة التي نشرت سنة 2024، ناقشت الدراسة دور التيار الثوري في تفعيل مقومات الهوية الوطنية من خلال نصوص موثيقه، وخلص الباحث إلى أن التيار الإستقلالي تمكن بجدارة واستحقاق حسب رأيه من قيادة التحرر والإستقلال، دون أن يفرط في عناصر الهوية الوطنية، من خلال رفضه المطلق للتجنيس والإدماج وإلحاق الأمة الجزائرية بفرنسا، كما أشار الباحث إلى أن التيار الإستقلالي أظهر سمات التمايز في الرموز الوطنية عندما اتخذ من العلم والنشيد الوطنيين شعارا للدلالة على الهوية الوطنية، إضافته لتبيينه أن نضال الحزب من أجل الهوية الوطنية لم يؤدي إلى إحتكار القضية بل كان يؤمن بالهوية المشتركة مع تيارات الحركة الوطنية رغم إختلاف الأفكار وتباينها بينهم، فقد كان مدرسة ساهمت في نشر الوعي الوطني من خلال المصطلحات النضالية التي اعتمدتها في خطاباتها ونصوص موثيقها، ومع أننا نتفق مع الدراسة في قضية اشتراك تيارات الحركة الوطنية في فكرة الدفاع عن الهوية الوطنية، إلا أننا نرى أن فكرة التمايز في الرموز لا تنطبق على شعار "الإسلام ديننا الجزائر بلادنا العربية لغتنا" الذي كتب على علم حزب الشعب الجزائري سنة 1937م، فهذا الشعار كانت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين السبابة لرفعه سنة 1931م من خلال عبارة "الإسلام ديننا العربية لغتنا الجزائر وطننا".

### -رسائل الماجستير:

- إشكالية الهوية في فكر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين محمد البشير الإبراهيمي نموذجاً للباحثة شهيدة لعموري من قسم الفلسفة بجامعة الجزائر ، والتي نوقشت سنة 2006، واستعرضت الدراسة جهود الشيخ البشير الإبراهيمي في إستنهاض الأمة الجزائرية إنطلاقاً من مشروعه النهضة، الذي قام على نشر الثقافة الجزائرية والتعليم العربي إضافة إلى مقاومة سياسة الطمس الإستعماري، وأشارت الباحثة إلى أن مفهوم السياسة عند البشير الإبراهيمي يختلف عن المفاهيم الشائعة، وبينت موقفه من الثورة التحريرية، وهو ما أفادنا في معرفة موقف جمعية العلماء من القضايا الوطنية المتعلقة بالهوية الوطنية.

- الهوية الوطنية الجزائرية بين الخطاب الإعلامي والسياسي للباحثة شريفة سليمان ، من جامعة السانيا بوهران، الجزائر التي نوقشت سنة 2007، وتعرضت الدراسة إلى مفهوم الهوية من منطلق كونها أداة للإدماج والإقصاء، ثم أبرزت علاقة الهوية الوطنية بالخطاب السياسي أثناء الاحتلال الفرنسي للجزائر، ثم في مرحلة ما بعد



الإستقلال في ظل الحزب الواحد، وتداعيات إشكالية الهوية من منظور الخطاب السياسي للحركة الأمازيغية ووقف الحركة الإسلامية في الجزائر منه، وما ركزنا عليه من خلال مضمون الدراسة هو الإستفادة منها خاصة في الشق المتعلق بقضية الهوية الوطنية في خطابات تيارات الحركة الوطنية الثلاث: الإدماجي، الإستقلالي، والإصلاحي الذي قادتة جمعية العلماء، إضافة إلى التطورات الخاصة على مستوى الخطاب الفكري للهوية الوطنية من خلال موثائق ونصوص الثورة التحريرية.

### حدود البحث:

تعتبر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي تأسست سنة 1931 من تيارات الحركة الوطنية التي حملت على عاتقها مسؤولية الحفاظ على المقومات الشخصية للمجتمع الجزائري وخصوصيته رغم طبيعة نشاطها الديني والثقافي مقارنة بباقي تيارات الحركة الوطنية التي أخذ نشاطها طابعا سياسيا، وهو الدور الذي كان له أثر كبير في تكوين الشخصية الجزائرية خلال مرحلة تاريخية حاسمة ومصيرية دشنت لها فرنسا بإعلاء راية الصليب في الاحتفالات المثوية التي أقامتها، لذا فموضوع بحثنا في هذه الدراسة متعلق بمجهود رجال جمعية العلماء ومدى إسهاماتهم الفكرية في بعث هوية الذات الجزائرية، وتأثير هذه الفكرة على مسار الأحداث الوطنية مستقبلا، وعلاقتها بمطلب إستقلال هذه الذات عن الاستعمار، وهي المسألة التي شكلت على مدار فترة الثلاثينات إلى غاية إندلاع الثورة التحريرية وتطورات أحداثها جدلا كبيرا وسجالا واسعا وصراعا مستمرا بين الجمعية والإدارة الاستعمارية، خصوصا وأن ظهور جمعية العلماء المسلمين كان في ظل وضع خطير عاشه الشعب الجزائري، لذا فالدراسة تبحث في مساعي الجمعية من أجل تغيير هذا الواقع، وإعادة إحياء الثوابت التي تقوم عليها هوية الأمة الجزائرية والمحددة لانتماء أفرادها، والطرق والوسائل التي اتبعتها لإعادة تعزيزها من جديد رغم ما واجهته من مصاعب وعراقيل منذ ظهورها إلى غاية سنة 1956م، مع الإشارة إلى أن الموضوع يفرض نفسه على مراحل تاريخية لاحقة تمتد إلى ما بعد الإستقلال بحكم طبيعة الصراع مع الإحتلال الفرنسي الإستيطاني وخصوصيته العنيفة في الجزائر وما تركه من مخلفات لهذا الصراع لازالت تداعياتها مستمرة ليومنا هذا.

إن الفترة الزمنية التي يدرسها موضوع البحث تنحصر بين حدثين بارزين يبدأ من تاريخ تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931م، وينتهي عند سنة 1956م، وهو تاريخ انعقاد مؤتمر الصومام، وتحميد جمعية العلماء المسلمين لنشاطها والتحاق أعضائها بالثورة، وهي فترة تتميز بكثافة الأحداث الحاصلة خلالها، إضافة إلى تأثيرها الكبير على الحركة الوطنية من خلال مساهمة أحداثها في بروز حزب الشعب الجزائري سنة 1937م، إضافة إلى كون هذه الفترة شهدت ميلاد الخطاب الديني الإصلاحي -خارج الإطار الديني الرسمي الذي أراد الاستعمار تكريسه - وبالتالي اكتملت معالم الخطاب الديني في الجزائر لينطلق في مباشرة نشاطه المكثف عبر كامل التراب الوطني، ويدخل في إطار منافسة ومواجهة الخطابات الدينية الأخرى.

كما أن هذه الفترة عرفت زحما فكريا تجسد من خلال المواقف السياسية التي أثارت جدلا بين أطراف النخب الوطنية عملت بعضها على تحريك البعد التاريخي كركن من أركان الهوية الجزائرية وإدراجه ضمن جميع

القضايا المطروحة بما في ذلك قضية استقلال الخطاب الديني عن إدارة الاحتلال من أجل إعادة بعث الانتماء الحضاري للهوية الجزائرية بداية من الدين واللغة.

كما أن الخطاب الديني الاصلاحى فى نهاية هذه الفترة عاش ظروفًا استثنائية بعد اندلاع الثورة التحريرية الكبرى سنة 1954، والتي فرضت نفسها بالقوة على جميع أطراف الحركة الوطنية بما فيها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي حتمت على روادها الاختيار بين أمرين: إما المساهمة في مشروع الثورة، أو الوقوف إلى جانب الاستعمار، كما أن سنة 1956 شهدت حتمية توحيد الخطاب الديني في الجزائر تحت لواء جيش وجبهة التحرير الوطني ووضع نهاية "للآخر" الإستعماري. إضافة إلى أن الجمعية حظيت بالتفاف شعبي كبير حولها من منطلقين، الأول الرسالة الدينية لمشروعها الحضاري، ومطالب برنامجها التي كانت ترجمة للمطلب الشعبي الوطني القائم على الإنعتاق من الإستعمار، وإيمانها بحتمية النضال من أجل تحقيقه وإن كانت لم تعلن عن هذا المطلب صراحة في بادئ الأمر.

ونوه هنا أنه رغم ضبط حدود الدراسة كما جاء سلفاً، إلا أن الطبيعة الفكرية والتاريخية للموضوع تطلبت منا العودة في بعض حيثيات الدراسة إلى ما قبل هذه الفترة وما بعدها، بحكم أنه لا يمكن حصر الأفكار في إطار زمني محدد، ووجود إمتداد تاريخي لموضوع الهوية سبق ظهور جمعية العلماء، وتمثل أساساً في نشاط أعضائها المؤسسين، وجهودهم في مواجهة السياسة الإستعمارية ومشاريعها الهادفة لمحو الهوية الجزائرية، إضافة إلى أن تجميد الجمعية لنشاطها لا يعني توقف أعضائها عن مواصلة مساعيهم وجهودهم في الدفاع عن الهوية، سواء من خلال مواقفهم الوطنية اتجاه الأمة ومساندتهم للثورة، أو من خلال مواصلة عملهم للنشاط التعليمي في مدارس الجمعية.

### . المناهج الموظفة في الدراسة:

إن طبيعة موضوع البحث تتطلب توظيف المناهج المناسبة لذلك نجد أن موضوع الهوية من حيث خصوصيته الفكرية، والإطار التاريخي لأحداثه خلال المرحلة الاستعمارية، جعلنا نعتمد على المنهج التاريخي وما يرتبط به من أدوات وطرائق لتتبع المسار الكرونولوجي للأحداث، عارضين بذلك حيثيات الموضوع وتطوراتِه الحاصلة على المستوى الوطني منذ سنة 1931 إلى غاية 1956م، ومتقنين الحقائق المتعلقة بالظروف المختلفة التي نشطت فيها الجمعية والتفاعلات الوطنية الحاصلة وقتها، مستندين على المادة العلمية التي إستقيناها من بعض الوثائق التاريخية التي صدرت خلال الفترة المدروسة، بغية تحليل مضمونها، ومحاولة استخراج مختلف الأفكار التي تخدم موضوعنا، وكذا نقدها لاستنتاج وتفسير مواقف الجمعية من بعض القضايا المصيرية التي ارتكز عليها موضوع الهوية، خاصة وأن هذا الموضوع يأخذ بعدين متعلقان بالثقافة والدين للمجتمع الجزائري، ليمتد منهما إلى بعد سياسي نخبوي وإيديولوجي، لذلك قمنا بعرض مختلف الأحداث وفق طريقة تحليلية للأوضاع والمواقف، قصد معرفتها ضمن إطارها التاريخي وتقييم مضمونها ودلالاتها وتأثيراتها على مسألة الهوية في فترة الدراسة المذكورة، بهدف استخلاص النتائج المساهمة في الإجابة عن الإشكالية المطروحة وكذا تحقيق الغاية من هذا البحث.

كما لجأنا إلى توظيف طريقة المقارنة لمحاولة استنباط تداعيات مسألة الهوية على تيارات الحركة الوطنية، سواء التي تلتقي مع الجمعية في بعض التوجهات الفكرية التي تخص المسائل الوطنية المتعلقة بموضوع الهوية، أو التي تختلف معها توجهها وفكرها ونضالها، وتم توظيف المقارنة لمحاولة إعطاء فكرة واضحة عن مفهوم الهوية عند مختلف تيارات الحركة الوطنية في فترة نشاط الجمعية، واستنتاج منطلقات الصراع مع المستعمر ودوافع ظهور تداعيات للمسألة، وفهم إن كان هناك إختلاف وتعارض حول مقومات الهوية داخل تيارات الحركة الوطنية وما تضمنته موثائق الثورة التحريرية لاحقا.

## - عرض خطة الدراسة:

سطرنا في مشروع الأطروحة خطة أولية للدراسة، لكن مع التقدم في المشروع والبحث في المادة العلمية والإطلاع على الجوانب المختلفة لحثيات الموضوع، اضطررنا إلى إحداث بعض التغييرات والتعديلات على الخطة الأولية وفق ما رأيناه مناسباً ويتعلق بمضمون البحث ويتماشى مع طبيعة الإشكالية المراد الإجابة عنها، والفترة الزمنية التي تشملها حدود الدراسة، لذا جاءت الخطة النهائية للبحث متكونة من مقدمة وخمسة فصول ثم خاتمة، وهي مفصلة على النحو التالي:

في الفصل الأول المتعلق بـ: "مصطلح الهوية" قمنا بضبط المفهوم اللغوي والاصطلاحي لمصطلح الهوية مع تحديد معالمه الرئيسية من خلال إبراز الغموض الذي يكتنف المفهوم بحكم تشعب معانيه بين العديد من التخصصات كالفلسفة والأنثروبولوجيا وعلم النفس والاجتماع والسياسة، إضافة إلى تقاطعه مع عدة مصطلحات صعبت من إيجاد حدود فاصلة للمفهوم، نظرا لاختلاف المجتمعات من جهة وحالة التطور والتغير التي مست المصطلح مع مرور الوقت بسبب الاهتمام الذي لقيه لدى الباحثين مع ظهور العولمة، بتزايد إشعال لبيب الأصل والانتماء، وهو ما جعلنا نتبع ضبط المفهوم اللغوي للمصطلح تبعا معجميا لكونه من أصل غير عربي أخذ من اللغة الأجنبية، تم توظيفه من قبل المترجمين أما من الناحية الاصطلاحية فقد عرجنا على عدة تعاريف لآراء ومفكرين ومؤرخين وفلاسفة ومثقفين بحكم تعدد استخدامات المصطلح في العلوم الانسانية والاجتماعية، كما تطرقنا في هذا الفصل إلى المعالم المشتركة للهوية الوطنية عند مختلف المجتمعات كاللغة المشتركة والوطن والتاريخ المشترك والثقافة القومية المشتركة سواء كانت مقومات ثابتة أو متغيرة ثم أبرزنا معالم الهوية في ثقافة الآخر.

وفي الفصل الثاني المعنون بـ: "جهود ابن باديس الإصلاحية ودوره في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين" قمنا بالتطرق إلى شخصية ابن باديس الإصلاحية وتميزها الوطني والمنهج الإصلاحية الذي اتبعه، كما عرجنا على إسهامه الكبير في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين فرقة ثلة من أبرز رجالات الإصلاح في عصره، وعرضنا القانون الأساسي لها والأهداف المسطرة بالإضافة إلى الطرق والوسائل المتبعة لبلوغها.

أما في الفصل الثالث المعنون بـ: "مركزات الهوية الوطنية عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين" إختارنا قبل عرض هذه المركزات تبين المشاريع التي انتهجها الاستعمار الفرنسي لطمس الهوية الوطنية والتي تضمنت في مجملها توظيف علم الأنثروبولوجيا لترسيخ الفكر الاستعماري، ثم عدنا إلى السياق التاريخي لظهور مسألة الهوية في الجزائر والتي ارتبطت عموما بمشكلة مطروحة على الجزائريين علنا بعد ما مارسته فرنسا في الإحتفالات المثوية

للإحتلال، ثم عرضنا موقف ابن باديس من هذه الإحتفالات من خلال وضع جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لخطّة بهدف إحياء الهوية الوطنية، كما لها تلميح ضمني غير مصرح به في القانون

ن الأساسي بحكم طبيعة الظروف التي ظهرت فيها الجمعية، بالإضافة إلى طبيعة نشاطها الثقافي والديني الذي أقرته، وقد قامت عناصر الهوية الوطنية عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين على مرتكزات هامة تميز كالدين الإسلامي واللغة العربية والإطار الجغرافي والتاريخ المشترك، وختمنا هذا الفصل بعرض موقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من اللغة العربية الأمازيغية باعتبارها من مرتكزات الهوية الوطنية في وقتنا الراهن.

وفي الفصل الرابع الذي عنوانه —: "دور جمعية العلماء في ترسيخ المرجعية الدينية والحفاظ على الهوية الوطنية" قمنا بتبيين الخطاب الديني عند جمعية العلماء الذي زواج بين الأصالة والمعاصرة من خلال العودة إلى الأصول المرجعية للدين الإسلامي، والمطالبة بتطبيق قانون فصل الدين عن الدولة، وإعادة إحياء جمعية العلماء للمرجعية الدينية الإسلامية في القضاء الإسلامي التي سعى الإستعمار الفرنسي للقضاء عليها من خلال إخضاع الجزائريين للقضاء المدني الفرنسي الذي لا يتوافق مع عقيدتهم، كما عرضنا جهود الجمعية في مواجهة الخطاب الصوفي الطرقي الموالي للإستعمار الفرنسي، ووقوفها ضد مواقف بعض رجال الدين الرسميين الخاضعين للإدارة الإستعمارية خصوصا وأنها استعملت اللغة العربية والدين الإسلامي لنشر الأفكار الإستعمارية وسط الجزائريين وإبعادهم عن هويتهم ومسح شخصيتهم، كما حاولنا ضبط علاقة جمعية العلماء المسلمين بالزوايا التعليمية التي سعت لنشر اللغة العربية رغم طابعها التقليدي، والتي تتقاطع مع دور الجمعية ثقافيا وإصلاحيا وما تبذله من مساعي على مستوى التعليم العربي الحر وإنشاء المدارس، وإحياء الثقافة العربية الإسلامية، والحفاظ على السمات الشخصية الجزائرية، وتعدى نشاط الجمعية في سبيل إحياء الهوية الوطنية إلى الجانب الإعلامي التوعوي من خلال نشر المقالات الصحفية ونشاط النوادي والتنظيمات الكشفية والتجمعات والمليقات، وكان لزاما أن يواجه هذا النشاط الواسع لترسيخ الهوية الوطنية بعدة صعوبات لعرقلة من قبل الإستعمار عبر سياسة الإدماج والقضاء على الأحوال الشخصية، وقانون الأنديجينا ومختلف مظاهر التهميش والعنصرية، وغلق الزوايا ومدارس التعليم العربي الحر، ومصادرة صحف الجمعية، والتضييق على نشاط أعضائها، وتدير الصراعات الداخلية واختراق الجمعية من الداخل، وتشجيع نشاط الآباء البيض.

وفي الفصل الخامس والأخير المعنون —: "تداعيات مسألة الهوية على النخب الوطنية والثورة التحريرية وموقف جمعية العلماء المسلمين منها" تطرقنا لمسألة الهوية عند تيارات الحركة الوطنية الجزائرية باتجاهاتها البارزة كالإستقلالي والإدماجي والشيوعي وإبراز موقف جمعية العلماء من الهوية عند هذه التيارات، وفي الشق الثاني من الفصل عرضنا مقومات الهوية في ميثاق الثورة التحريرية وموقف الجمعية منها وركزنا على المرحلة الأولى الممتدة من 1954 إلى غاية 1956، بحكم أن الجمعية بعد مؤتمر الصومام جمدت نشاطها وإلتحق أعضاؤها بالثورة، لذلك كان تركيزها على إبراز مدى إهتمام بيان ونداء أول نوفمبر وميثاق مؤتمر الصومام بمرتكزات الهوية الوطنية، ونظرا لطبيعة الموضوع التي تفرض نفسها على المراحل المقبلة من تاريخ الدولة الجزائرية وتداعيات المسألة بعد الإستقلال آثرنا عدم الخروج من هذه المرحلة دون التطرق إلى مسألة الهوية في ميثاق طرابلس، وتوضيح إنعكاسات مسألة

الهوية على الثورة الجزائرية من خلال تبين أبعاد الهوية عند قادة الثورة التحريرية، وتداعياتها على مسار الثورة الجزائرية إلى غاية 1956م، مع إبراز موقف جمعية العلماء من الهوية في موثيق الثورة التي تطرقنا لها أثناء مرحلتها الأولى، وتبيين تداعيات مسألة الهوية بعد الإستقلال والتحديات التي واجهت علماء الجمعية بعرض أسباب تطور المسألة في هذه المرحلة والتداعيات التي خلفتها على المجتمع الجزائري نتيجة المخلفات السلبية للإرث الإستعماري، وختمنا الفصل بعرض موقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من التحديات الهوية التي واجهتها والمتعلقة بالقضايا الوطنية المطروحة في تلك المرحلة.

### نقد وتقييم مصادر ومراجع البحث:

تنوعت مادة البحث العلمي التي اعتمدناها في دراستنا هذه، حسب مضمون الخطة الموضوعية، وتنوع التخصصات العلمية التي تطرقت لموضوع الهوية الوطنية خصوصا في الفترة المعاصرة، سواء كانت مراجع عربية أو أجنبية، أو كانت مراجع قديمة أو حديثة الإصدار، وقد صنفناها إلى نوعين، حسب درجة أهميتها وعلاقتها المباشرة أو الجزئية بالموضوع ونذكر أهمها مثل:

#### - المصادر:

##### أ. الجرائد:

تعتبر الجرائد ركيزة موضوع الدراسة، كونها من أهم الوسائل التي اعتمدت عليها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في نشر أفكارها المتعلقة بالإصلاح الديني والاجتماعي عامة، وبعث مقومات الهوية الوطنية خاصة، إضافة إلى مزامنتها لفترة ظهور الجمعية، وتأريخها لأغلب نشاطاتها والأحداث والأوضاع التي صاحبت هذا النشاط ومواقف رجالها من مسألة الهوية الوطنية، سواء التي كانت لسان حال الجمعية، أو التي كانت تابعة لأعضائها البارزين، ومن بين هذه الجرائد نجد: المنتقد، الشهاب، الشريعة، الصراط السوي، السنة المحمدية، البصائر بسلسلتها الأولى والثانية، بالإضافة إلى الجرائد الناطقة باللغة الفرنسية مثل: "الشباب المسلم - Le Jeune Musulman" و"الدفاع - La Defanse".

##### ب. المذكرات والكتب:

- إستعنا في هذه الدراسة بآثار كل من عبد الحميد ابن باديس ومحمد البشير الإبراهيمي، والأعمال الكاملة للشيخ العربي التبسي، بهدف حصر ما كتب من مقالات متعلقة بمضمون البحث، والعودة إلى جرائد الجمعية لمعرفة الظروف التاريخية التي نشرت فيها هذه الكتابات قبل الحكم على بعض مواقف أصحابها، خصوصا وأنهم كانوا مشرفين على رئاسة جمعية العلماء المسلمين، وأعضاء فاعلين فيها، بالإضافة إلى الإستناد على المذكرات الشخصية التي دونها بعض الأعضاء البارزين مثل مذكرات الشيخ خير الدين بجزئها الأول والثاني، ومذكرات حمزة بوكوشة، كما أولينا إهتماما ببعض النماذج من الكتابات التاريخية التي تحاكي مقومات الهوية الوطنية عند جمعية العلماء، مثل كتاب الجزائر لأحمد توفيق المدني، وكتاب تاريخ الجزائر في القديم والحديث لمبارك الميلي.

## المراجع:

## أ-الكتب:

إعتمدنا في بحثنا على عدة مراجع ودراسات أرخت للموضوع وناقشت أفكاره وعرضت حيثيات أحداثه خلال الفترة محل الدراسة من بينها نذكر على سبيل المثال كتابات أبو القاسم سعد الله سواء في الحركة الوطنية أو تاريخ الجزائر الثقافي، وكتابات عثمان سعدي وعبد الكريم بوصفصاف وناصر الدين سعيدوني وأحمد بن نعمان حول الهوية.

كما استندنا أيضا على بعض الدراسات التاريخية مثل كتاب الزاوي بغورة حول الخطاب الفكري في الجزائر بين النقد والتأسيس في التاريخ والهوية والعنف، والدراسة التي أنجزتها عفاف زقور تحت عنوان العلماء وجدل المرجعية الدينية في الجزائر 1931-1956، ودراسة لعلي بن محمد بن زينب بعنوان جهود جمعية العلماء في الدعوة والإصلاح "من سنة 1830 إلى 1954م، إضافة لما كتبه كل من عنتر رمضاني عن جهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في النهضة باللغة العربية وآدابها في الجزائر، بالإضافة إلى عودتنا إلى الدراسة التحليلية النقدية التي قام بها يوسف قاسمي حول موثيق ونصوص الثورة التحريرية 1954-1962 بهدف تغطية مسألة الهوية خلال مرحلة الكفاح المسلح.

## ب.المقالات:

تعتبر المقالات بمثابة زبدة للكثير من الأفكار الخاضعة لدراسة متعمقة، وبناء على هذا اعتمدنا في بحثنا على العديد من المقالات التي ناقشت موضوع الهوية سواء في نصوص جمعية العلماء أو برامج الحركة الوطنية وموئيق الثورة التحريرية، راعينا فيها المزج بين الدراسات القديمة والمعاصرة لمعرفة خلفية الطرح الفكري ومدى تطوره من حيث عمق التحليل والنتائج المتوصل إليها.

ورغم تعدد الزوايا الفكرية التي طرحت منها مسألة الهوية في الجزائر خصوصا التي تناولت دراسة الموضوع خلال الحقبة الاستعمارية، سجلنا بعض الملاحظات التي رأينا من وجهة نظرنا ضرورة الإشارة إليها والوقوف عندها من خلال ما اطلعنا عليه من كتابات، وتتمثل في:

-موضوع الهوية في الجزائر له طبيعته الفكرية الحساسة خصوصا في الفترة المعاصرة، بحكم الأبعاد السياسية التي أخذها الموضوع في السنوات الأخيرة وتأثير ذلك على المؤرخين والباحثين.

-أغلب المصادر والمراجع التي تناولت موثيق ونصوص وخطابات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أفادتنا إلى حد كبير في إبراز عناصر الهوية الوطنية من منظور الفكر الإصلاحي، والجهود التي قام بها العلماء لإعادة بعث مقومات الشخصية الجزائرية التي حاول الاستعمار طمسها.

-تعدد التخصصات العلمية المعاصرة التي عاجلت موضوع الهوية الوطنية في الجزائر كعلم الاجتماع والفلسفة والأدب، ينم عن مدى الأهمية التي أخذها الموضوع وتأثيراته على مختلف الجوانب الحياتية للمجتمع، ووجود دراسات لهذا الموضوع في بعض الجامعات العالمية -رغم قلتها حسب ما إطلعنا عليه- والتي اهتمت بدراسة الفكر الإصلاحي عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين يعطي صورة عن المكانة التاريخية التي تتمتع بها هذه الهيئة



ورجالاً لها.

- معظم الدراسات التاريخية حول موضوع الهوية اهتمت بدراسة الفكر الوطني عند شخصية ابن باديس، مع حضور واضح لشخصية البشير الإبراهيمي، فيما نلاحظ غياب دراسات متعمقة لموقف وجهود باقي الأعضاء الفاعلين لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

- أغلب الدراسات التي تناولت تاريخية الموضوع ركزت في حيثيات بحثها إما على خطابات تيارات الحركة الوطنية وصحفها التي كانت لسان حال أصحابها والشارح لأفكارهم وأهدافهم وبرامجهم، إضافة إلى أن هناك من ذهبت إلى إبراز نشاطات وجهود كل حزب بغية استنتاج موقفه من قضية الهوية الوطنية، أو اختصت بالبحث في نصوص ومواثيق الثورة التحريرية لإبراز مدى إيلاء هذه النصوص أهمية لقضية الهوية ومدى حضورها ضمن الخط الوطني الذي سار وفقه مفجرو الثورة.

-أخذت بعض الدراسات التاريخية التي إطلعنا عليها نسقاً أيديولوجياً في طرح أفكار الهوية في الجزائر، وأبانت ضمناً عن بعض الأهداف والأغراض المبتغاة من التوجه الذي ذهبت إليه في كتابتها، ما جعلنا نتخذ موقفاً موضوعياً من بعض المزايدات الفكرية والغير مؤسسة على حقائق تاريخية علمية الطرح.

-رغم تاريخية موضوع الهوية وجذور المسألة التي تعود إلى الطريقة التي أثر بها الموضوع خلال الحقبة الإستعمارية، إلا أن تداعياته لازالت تلقي بضالها على الساحة الوطنية والفكرية والإجتماعية للجزائريين، ولعل هذه التأثيرات ما جعل غياب الطرح الموضوعي ضمن الكتابات المنشورة.

### - صعوبات البحث:

- بعض المواقع والمنصات البحثية المجانية الولوج لا تنشر جميع صفحات المصادر التي تعرضها على موقعها، وأحيانا تحذف خاصية التحميل وتكتفي بعرض صفحات محدودة غير متواصلة من المصدر المتاح، مثل موقع Gallica.bnf.fr و google books.

-تشابه المعلومات في الكثير من المراجع التي تنقل عن بعضها، وتميز بعضها بالإطناب والإسهاب في المعاني والتعابير اللغوية وغياب الأفكار حول موضوع البحث وتميزها بالسطحية.

- بعض المصادر تحمل نفس المعلومات من صحف و جرائد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين مثل آثار ابن باديس، آثار البشير الإبراهيمي، آثار مبارك الميلي...إلخ.

-عدم وضوح تواريخ وأعداد بعض الجرائد والمجلات التي تم نسخها وإعادة نشرها من قبل دور النشر ما صعب علينا عملية تقييم المعلومات المقتبسة وتطلب منا مجهودات لتدقيقها، بالإضافة إلى عدم وضوح بعض الكلمات في مقالات صحف الجمعية بسبب عملية النسخ وصعوبة قراءتها نظراً لصغر الخط.

- رغم أن بعض المراجع المنقولة من اللغة الفرنسية إلى اللغة العربية صدرت في طبعها الثانية ومشار إليها على أنها منقحة ومصححة، إلا أنه من خلال الإطلاع عليها وإستخدامها عانينا من وجود ركافة في التعبير ضمن بعض النصوص المترجمة، مما صعب إقتباس الأفكار منها وأخذ منا وقت في العودة إلى المصدر الأصلي بالأجنبية لتوضيح المعنى، مع أن ذكرنا لهذا الأمر لا نقصد به التقليل من جهود أصحابها ولا من قيمة العمل الذي أنجزوه،

بالإضافة إلى عدم علمنا بالظروف المحيطة بإنجاز الترجمة، لكننا ننوه هنا إلى هذه النقطة لما لها من علاقة ببعض الأفكار المقتبسة في البحث.

-صعوبة الحصول على وثائق أرشيفية جديدة تخدم صلب البحث، وعدم كفاية الوقت للاطلاع على جميع مراجع ومصادر البحث، بالإضافة للطابع الفكري للموضوع الذي يستغرق الكثير من الوقت في القراءة للمقارنة بين الاتجاهات الفكرية للحركة الوطنية وامتداد فترة الدراسة إلى مرحلة مهمة من تاريخ الثورة التحريرية وما تخللها من ردود فعل متعلقة بموضوع البحث، مع ما إستغرقه التحرير الشخصي للأطروحة على جهاز الإعلام الآلي، أخذ منا كل هذا وقتا لإنهائه.

-رغم الجهود التي بذلناها للحصول على جميع المصادر والمراجع الخادمة لموضوع الدراسة، والحرص على توفرها بين أيدينا للإطلاع مباشرة على مضمونها، إلا أننا نأسف كثيرا لعدم توفيقنا في الوصول إلى بعض الدراسات الأجنبية خصوصا التي ناقشت موضوع الهوية في الجزائر عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين باللغة الإنجليزية خارج الوطن، بالإضافة إلى عدم التمكن من الوصول إلى مضمون بعض الملتقيات الوطنية والدولية التي نظمت حول الموضوع والغير منشورة أو الغير متاحة لا ورقيا ولا إلكترونيا بحكم الفترة الزمنية التي أقيمت فيها حيث كانت الرقمنة غير مفعلة على نطاق واسع، وبالتالي كان من الممكن أن تقدم هذه الدراسات لو حصلنا عليها إضافة علمية تثري الموضوع.

وفي الأخير لا يفوتنا أن نتوجه بجميل الشكر والعرفان لكل من كان لهم الفضل في تزويدنا ببعض المصادر والمراجع لإنجاز هذا العمل، ونتمنى أننا وفقنا إلى حد ما في تحقيق الأهداف المتوخاة من البحث، آمليين من المولى العلي القدير أن تكون هذه الدراسة إضافة نوعية للتاريخ الوطني في المرحلة المعاصرة، وعونا للباحثين والقراء في موضوع الهوية عموما، والهوية الجزائرية خصوصا.



# المفصل الأول

## مصطلح الهوية وتطور مفهومه

المبحث الأول: مفهوم الهوية.

المبحث الثاني: المعالم المشتركة للهوية الوطنية بين الأمم.

المبحث الثالث: معالم الهوية في ثقافة الآخر.

يعتبر مصطلح الهوية من المصطلحات التي نالت إهتماماً كبيراً من قبل الدراسات العلمية في السنوات الأخيرة وألقى بضلاله على مختلف المجالات والتخصصات التاريخية والسياسية والفلسفية والاجتماعية وعلم النفس، لذلك نجد إختلافاً بين العلماء حول تحديد مفهوم المصطلح من منطلق غموضه في حد ذاته من جهة، وبحكم إختلاف دلالاته المفاهيمية من علم لآخر من جهة أخرى، وتداخله وتقاطعه مع عدة مصطلحات تحمل نفس المعنى، سايرت من جهتها التطور التاريخي لظهور مصطلح الهوية، هذا التطور الذي ارتبط في مراحل معينة بظهور الفكر الاستعماري في الغرب ونظرته إلى الدول التي استعمرها.

وللبحث في مفهوم المصطلح ضمن سياقه التاريخي، حاولنا ضبط أولاً مفهومه اللغوي والاصطلاحي، ثم تحديد معالمه الرئيسية، سواء في الفكر الغربي أو العربي الإسلامي، لفهم طبيعة الهوية التي أراد الإستعمار الفرنسي جاهدًا تكريسها وترسيخها في الأمة الجزائرية طيلة مئة وإثنين وثلاثين سنة من الاحتلال.

### المبحث الأول: مفهوم الهوية.

#### المطلب الأول: المصطلح ودلالته.

تصدر موضوع الهوية النقاشات السياسية والفكرية في العقود الأخيرة خصوصاً المنطقة المغاربية، ليصبح من المواضيع المثارة بشكل دائم نتيجة التحديات التي فرضتها العولمة على الشعوب<sup>(1)</sup>، ورغم تزايد إستعمال هذا المصطلح إلا أنه يبقى من المصطلحات التي تُعاني الغموض في تحديد مفهومها. نظرًا لتشعب معاني استعماله في العديد من العلوم كالفلسفة والمنطق والرياضيات وعلم النفس والأنثروبولوجيا<sup>(2)</sup>، ويرى العديد من الكتاب أن الهوية الوطنية ليست جوهرًا ميتافيزيقياً أبدياً قليلاً مقدّوماً به من الماضي ومنيعاً من تأثيرات الزمن ومتغيراته التاريخية، بل هي مُقوِّمٌ له دلالاته الإنسانية وجسد تُعاد صياغته وتشكيله وتنميته ضمن واقع دينامي تاريخي<sup>(3)</sup>.

وبالتالي خضع المصطلح في إختلاف معناه إلى عامل التطور الزمني. فقد فرض نفسه على اهتمامات الباحثين قانّثرت حوله نقاشات جدلية عميقة، خصوصاً بعد المجهودات التاريخية التي قام بها الفلاسفة منذ عقود بعيدة شرقاً وغرباً، واحتل مكاناً وسط المجالات المعرفية والسياسية وغدّى بذلك أزمة حقيقية تعيشها المجتمعات في صميمها، والحق أنه فرض نفسه في السنوات الأخيرة على الجميع بقوة وأصبح يتدخل حتى في الطرق البسيطة للناس من تفكير وفعل وشعور، وازداد الأمر حِدّة بعد تفجير العولمة واحتدام الحروب بين الأديان والصراع بين الثقافات، وقد ظهر على الصعيد الاجتماعي في صورة الهوية الثقافية وعلى الصعيد الفردي في شكل الهوية الشخصية<sup>(4)</sup>.

(1)-محمد صالح الهرماسي، مقارنة في إشكالية الهوية "المغرب العربي المعاصر"، ط1، دار الفكر، دمشق، سوريا، 2002، ص17.

(2)-محمد بودهان، في الهوية الأمازيغية للمغرب، ط3، سلسلة في سبيل الأمازيغية، منشورات تاووا 5، المغرب، 2013، ص10.

(3)-إدوار الخراط، الأصالة الثقافية والهوية والوطنية، مجلة العربي، العدد 551، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، 2004، ص28.

(4)-وردة بوعائشة، الهوية والاختلاف في فلسفة إيمانوال ليفانس، دار الأيام للنشر والتوزيع، الأردن، 2020، ص 07.

ويرجع الباحثون غموض مفهوم الهوية إلى عدة أسباب من أهمها تقاطعه وتداخله مع عدة مصطلحات صعب من إيجاد حدود فاصلة للتمييز بينها، وهو ما ذهبت إليه الباحثة "دوفون-Duvant.D.A" سنة 1980م التي توصلت إلى القول "بأن ثمة تكافؤ بين الهوية والذات والأنا"<sup>(1)</sup>. كما أن لمفهوم الهوية دلالة واسعة وجد هامة، تتجاوز بكثير القضايا السياسية والاجتماعية والثقافية وحتى الشخصية، ومما لا شك فيه أن الإشكالية المعاصرة لمفهوم الهوية تختلف عن الطرح القديم لها في مجال الفلسفة حيث نجدها ترتبط بمصطلحات جديدة مثل الاختلاف، الآخر، الغير، التعدد، وهذا ما أضفى عليها نوع من الغموض والالتباس وعدم الاستقرار<sup>(2)</sup>.

ومن هنا ارتبط تنوع الدراسات الفكرية حول مسألة الهوية بتنوع المعطى الخارجي للجماعات المرتبط بتصورات إيديولوجية ومرجعيات تراكمية عملت من منطلق تاريخي على رسم طبيعة إنتماء الجماعة، لكن هذا لم يمنع من وجود إختلافات سواء على مستوى المرجعيات الدينية أو السياسية أو الثقافية أو الاجتماعية، ومع التطور الحضاري الحاصل والمتسارع اتسعت رقعة الإختلاف بزيادة التركيز على المصطلح أكثر. فمنذ بروز موضوع الهوية على وقع صدمة الحداثة والاستعمار في القرن التاسع عشر، وما ترتب عنه من اهتزاز في الوجود والوعي، ومن اختلال في المعاني والدلالات والقيم، احتل هذا الموضوع مكانة كبيرة في الخطاب الغربي والمعاصر، ومن بين الباحثين الذين تناولوا هذا الموضوع بشيء من التحليل الفيلسوف الفرنسي إيمانويل ليفيناس<sup>(3)</sup>، حيث ينطلق في معالجة هذه المشكلة، من فكرة أساسية وهي الاختلاف والمغايرة<sup>(4)</sup>.

والإختلاف هنا يخص جملة العقائد والمبادئ والخصائص والرموز التي تجعل أمة ما تدرك مغايرتها للأمم أخرى، فالدين الإسلامي بما يتضمنه من عقائد وأركان وأحكام يشكل أساس الهوية الإسلامية، كما أن للروافد التاريخية والجغرافية واللغوية والثقافية المختلفة دور مهم في بناء الهوية، لذلك فالمغايرة قائمة على المقارنة مع الآخر (الغرب) الذي هو منشأ الوعي بهويتنا الثقافية، لكون الأنا يتحدد من خلال الآخر، وحتى الظاهرة الإستعمارية أكدت واقعياً أن الهويات والخصوصيات لا تدوب، وإنما تنشط ويتجدد الوعي بها ويتعمق أكثر كلما إشتدت الأزمات وظهرت

(1)-محمد مسلم، الهوية في مواجهة الإندماج عند الجيل المغاربي الثاني بفرنسا، ط1، دار قرطبة، المحمدية، الجزائر، 2009، ص86.

(2)-وردة بوعائشة، المرجع السابق، ص 08-09.

(3)-إيمانويل ليفيناس: فيلسوف فرنسي من أصول ليتوانية، ولد في كوفنو عام 1906م، إنتقلت أسرته إلى أوكرانيا سنة 1916م بسبب الحرب العالمية الأولى، تعلم في مدارسها العلمانية اللغة الروسية، وقرأ الأدب الروسي، وفي 1920م عاد إلى لتوانيا ثم إنتقل إلى فرنسا لمواصلة تعليمه في الفلسفة بجامعة ستراسبورغ سنة 1924م، وتعرف على الفيلسوف الفرنسي موريس بلانشو، فتفتحت آفاقه الفكرية بعد توسع قراءاته الفلسفية وعلاقاته مع الفلاسفة خصوصاً الفرنسيين، بدأ التأليف سنة 1929م، مع بداية الثلاثينات تحصل على شهادة الدكتوراه وأصبح ليفانسان من أبرز الفلاسفة المثقفين، نشر عدة مقالات وعمل مترجماً عن اللغة الروسية، تجنس بالفرنسية سنة 1931م، بعد نهاية الحرب العالمية الثانية عمل في مدرسة خاصة بباريس ثم مديراً، فتحت له دكتوراه الدولة التي نشرها سنة 1961م أبواب الشهرة للتدريس في عدة جامعات من بينها جامعة السوربون سنة 1973م، تقاعد سنة 1979م، من أهم مؤلفاته "إنسانية الإنسان الآخر" و "الزمن والآخر"، توفي سنة 1995م، يُنظر: علي قيصر، إيمانويل ليفانسان فيلسوف الغيرية والبناء، مجلة الإستغراب، العدد 10، السنة الرابعة، المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية، لبنان، شتاء 2018، ص ص 290-293.

(4)-وردة بوعائشة، المرجع السابق، ص 17.

التحديات، والهوية التي نحت من ثقافة الأمة لا يمكن أن تكون عدوة التواصل الحضاري، لكون الإنفتاح من خصائصها<sup>(1)</sup>.

وباختلاف المجتمعات سعى كل باحث إلى وضع ترسانة من المفاهيم والمصطلحات يحاول صياغة مفاهيم تمثل حالة النشاط العقلي الخلاق والمبدع للفكر، ومن ثم يمكن أن يعبر هذا النشاط عن إمكانية التحول في طبيعة المفاهيم وربما هذا ما حدث مع مفهوم الهوية والاختلاف في الفترة المعاصرة ضمن الفلسفة الغربية، حيث تعتبر هذه الأخيرة من بين المفاهيم المهيمنة لأنها تأخذ عدة معاني في العلوم الإنسانية، فقد تأخذ معنى فلسفي كما تأخذ معنى تاريخي واجتماعي وسياسي وأنتربولوجي وسيكولوجي، مما يجعلنا نجد صعوبة في ضبط مفهوم مصطلح الهوية بدقة، وكذلك هناك صعوبة أكثر طرحت من قبل الفلاسفة القدماء، وهي الأسس التي تبنى عليها الهوية والتراوح بين الثبات والتغير، وبقي المفهوم يتحول ويتطور مع مرور الوقت<sup>(2)</sup>.

مع مطلع فترة السبعينات من القرن العشرين، بدأ مفهوم الهوية يحظى بالاهتمام الحقيقي للباحثين، غير أن هذا الاهتمام لم يساهم في توضيح المفهوم وإزالة الغموض الذي التبس معناه، بل على العكس من ذلك، فقد اتسعت دائرة تشعب المصطلح بين التخصصات العلمية، ولم تتوحد الرؤى لإعطاء مدلول واضح ودقيق يجمع بين هذه التخصصات على اختلافها<sup>(3)</sup>، فالهوية إذن من المفاهيم الرتيبة المستعصية على التعريف الدقيق لاختلاف الفلاسفة في ضبط مدلولها، وهو ما أكسبها أبعاد متعددة، امتدت ما بين الفلسفة وعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا، بالإضافة إلى اختلاف ثقافة المجتمعات التي تنطوي تحت غطاء الهوية الإنسانية<sup>(4)</sup>.

ورغم الطبيعة الاجتماعية لمصطلح الهوية. إلا أن ما صعب إيجاد تعريف شامل ودقيق له هو عدم وضعه ضمن سياقه التاريخي كونه محصلة تجارب إنسانية، فالكثير من التعريفات أغرقت المصطلح في فكرة الخصوصية والوجود المنفرد، وبقيت جميع المفاهيم تدور في هذا المعنى المجرد<sup>(5)</sup>، إضافة لاختلاف الباحثين أنفسهم في تحديد مدلول المصطلح<sup>(6)</sup>، وعدم اتفاقهم على تعريف موحد يزيل عن المصطلح هذه الضبابية التي اتسمت بطابعها الفكري الفلسفي.

### المطلب الثاني: التطور الكرونولوجي لمفهوم الهوية.

خلق موضوع الهوية سجلا كبيرا بين الفلاسفة المعاصرين نظرا لأهميته في ظل العولمة التي سعت لتنميط العالم وفق نموذج يحتوي جميع الخصوصيات، ما خلف ردود فعل متباينة بين من يميل إلى التحفظ وبين من تبنى موقفا

(1)-نجيب بن خيرة، تاريخنا نحو وعي جديد، ط1، دار ابن كثير، بيروت، لبنان، 2020، ص ص82-83.

(2)-وردة بوعائشة، المرجع السابق، ص 65.

(3)-محمد مسلم، المرجع السابق، ص85.

(4)-بدة فوزية وعبد الخليم بلهوام، الهوية عند إدوارد سعيد من النقاء إلى الهجنة، مجلة دراسات، المجلد 13، العدد 02، جامعة عبد الحميد مهري، قسنطينة 2، الجزائر، 2022، (ص ص 487-513)، ص 509.

(5)-الناصر عبد اللاوي، الهوية والتواصلية في فكر هابرماس، ط1، دار الفرائي، بيروت، لبنان، 2012، ص42.

(6)-خير الدين شتر، الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة (1900-1956م)، ج2، ط2، دار كردادة، بوسعادة، الجزائر، 2013، ص 1514.

رافضا للفكرة، نظرًا لخطورتها على هوية الشعوب ووجودهم، والإنسياق وراءها ينجر عنه حتمية إبتعاد الشعوب عن أصلها وهويتها، ودخولها حلقة مفرغة غير قادرة على تحديد ذاتها ولا وضع تصور لمسارها، لكون هوية الأمة هي المنطلق في أي بناء فكري أو ثقافي أو حضاري لأي مجتمع<sup>(1)</sup>.

إن الدراسات الفكرية لمسألة الهوية تبرز تنوع الرؤى للمعطى الخارجي للجماعة، المرتبط بالذات الإنسانية، كون هذا المعطى مبني على تصورات إيديولوجية ومرجعيات تراكمية تعمل إنطلاقا من بعدها التاريخي على تحديد الطبيعة الإنتمائية للجماعة، لكن هذا لم يمنع من وجود إختلافات على مستوى المرجعيات سواءً الدينية أو السياسية أو الثقافية أو الإجتماعية، وقد اتسعت حدود الاختلاف مع التطور الحضاري الحاصل وسرعة التطور العلمي والتكنولوجي، ليزداد معها الإهتمام بمسائل الخلاف القائم على حب السيطرة والنفوذ، ما ساعد على إشعال لهيب الأصل أو الإنتماء أو الهوية، وجعل الباحثين يعتمدون عليها في مختلف دراساتهم مسيرة لهذا التطور<sup>(2)</sup>.

ولفظة الهوية تعد من المفاهيم المجردة التي ليس لها تاريخ محدد<sup>(3)</sup>، فاستعمالها يرجع إلى الأصول الأولى للفكر الإنساني، لكون الفلاسفة الأوائل مثل بارمنيدس<sup>(4)</sup> وهراقليطس<sup>(5)</sup> كانوا مختارين حول مسألة الذات والآخر، وكيف يمكن التوفيق بين التغيير والهوية<sup>(6)</sup>، وبالتالي ضرب المصطلح بجذوره في الحضارات القديمة، التي كان يتم خلالها تحديد هوية الفرد، إما بانتماءه العرقي واللغوي كما كان في الحضارة اليونانية، أو بناءً على إنتماءه الجغرافي في الحضارة المصرية، فالليونانيون القدامى كانوا لا يسمحون لأي فرد أن يتمتع بهويتهم إلا إذا كانت أصوله يونانية خالصة، وصنف الذين لا يتمتعون بهذه الصفة في درجة العبيد، كما حددت اللغة اليونانية كمرتكز أساسي من مركبات الهوية اليونانية، واعتبر كل من يتحدث باللسان اليوناني يونانيا بالأصل، أما من لا يتكلمون بها فهم بربر، لذا فإن

(1)- بدة فوزية وعبد الحليم بلواهم، المرجع السابق، ص 488-489.

(2)- قحاح توفيق، أزمة الهوية في الرواية الجزائرية المعاصرة، رسالة دكتوراه علوم، تخصص نظرية الأدب "الشعرية العربية"، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة محمد لمين دباغين، سطيف 2، 2016/2017، ص 01.

(3)- يرى العديد من الباحثين أنه لا يمكن على الإطلاق تحديد فترة زمنية معينة لنشأة مفهوم الهوية، ويربطون تاريخ ظهورها بفكرة الوجود الذي وقفت عنده مطولا الحضارة اليونانية، والتي تعتبر منزعج حاسم في تاريخ الإنسانية عموما وتاريخ العلوم خصوصا. يُنظر: شريفة بريجة وقويدر سيكوك، مفهوم الهوية النشأة والتطور في تاريخ أوروبا الحديث "مقاربة سوسيو-أنثروبولوجية"، مجلة أنثروبولوجيا، العدد 02، مجلد 07، مركز فاعلون للبحث في الأنثروبولوجيا والعلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزائر، 2021، ص 133.

(4)- بارمنيدس: فيلسوف يوناني من أصول إيطالية، يرجح أنه عاش في نهاية القرن 6 ق.م أو في النصف الأول من القرن 5، سماه أفلاطون الموقر لعمق فكره، ويعتبر أول ميتافيزيقي في الغرب، كان مشرعا للقوانين وسياسيا، إستخدم منهج الاستدلال، يُنظر: جورج طرايشي، المرجع السابق، ص 138.

(5)- هراقليطس الأفسسي: فيلسوف يوناني، عاش أواخر القرن 6 أو أوائل القرن 5 ق.م، ولد في أفسس، نذر نفسه للتأمل منعزلا عن السياسة، يعتبر أبو التصدور الجدلي، يكمن تاريخ الفكر في الحوار الجدلي الذي كان بينه وبين بارمنيدس، يُنظر: جورج طرايشي، معجم الفلاسفة، ط3، دار الطليعة، بيروت، 2006، ص 697.

(6)- كاترين هاليرن، مفهوم الهوية تاريخه وإشكالاته، ترجمة وتعليق إلياس بلكا، مجلة الكلمة، العدد 46، السنة 12، منتدى الدراسات والأبحاث، قبرص، شتاء 1426هـ/ 2005م، يُنظر الموقع: <http://kalema.net/home/article/view/587>، بتاريخ 20.04.2024، الساعة 19:24.

العرق واللغة يعتبران محددتين أساسيين للهوية منذ القدم، وشاع هذا الاعتقاد عند جميع الحضارات الأخرى، وامتد تأثيره إلى يومنا هذا (1).

من هنا يتضح أن مفهوم الهوية كان حاضراً عند الفلاسفة الأوائل باعتبار الحضارة اليونانية القديمة منطلق تاريخ العلوم (2)، وتواصل تطورها على يد أفلاطون (3) وأرسطو (4) الذين وضعوا تصنيفات لها، مروراً بالفترتين الوسيطة والحديثة، أين تم اعتبار التاريخ عاملاً مهماً من بين المرجعيات المعتمدة في تحديد هوية الأفراد والشعوب، لكن هذا التصور الهوياتي بدأ يتراجع في الفترة المعاصرة نتيجة بروز أفكار جديدة تنادي بضرورة تجاوز الطرح الكلاسيكي للهوية، والانتقال إلى توجه جديد يركز على بناء هوية قوامها الإنسانية بعيداً عن العرق واللغة والتاريخ (5).

ووفقاً لهذا التسلسل الكرونولوجي نجد أن أفلاطون من الفلاسفة الذين عاجلوا مسألة نقاء الهوية ونادى بالمحافظة عليها، من منطلق تصوره الذي يرى أن الشعب اليوناني ذو أصل وعرق نقي يجعله من أسمى الشعوب، ويهدف المحافظة على نقاء هويته وضع أفلاطون جملة من القوانين في كتابه "الجمهورية"، معتبراً وجود الآخر ضرورة لمعرفة الذات وتحديد هوية الأنا (6)، وهو ما ذهب إليه بعد محاورته "للسفسطائي" حيث قال: "كل ما هو آخر لا يكون كذلك وجوباً إلا بالنسبة إلى شيء آخر"، مؤكداً على عراقية الهوية اليونانية مقارنةً بباقي الهويات، نظراً لسمو العرق اليوناني ورفيئه عن باقي الأعراق، مستنداً على ذلك بالبناء الحضاري والإبداع الفلسفي (7).

إلا أن أرسطو لم يسر في نفس فلك التصور الأفلاطوني للهوية اليونانية، بل نقل الاهتمام بها من الفكر الصوري إلى الفكر المنطقي (8)، القائم على معرفة هوية الفرد بناءً على لغة المجتمع الذي ينتمي إليه، باعتبار أن اللغة

(1)-بدة فوزية وعبد الحليم بلواهم، المرجع السابق، ص 493.

(2)-شريفة بريجة وقويدر سيكوك، المرجع السابق، ص 133.

(3)-أفلاطون: إسمه الأصلي أريستوقلس، وأفلاطون كنيته، ومعناها ذو الجبهة العريضة، فيلسوف يوناني عاش نحو 427-347 ق.م، كان أحكم وأفصح وأعلم أهل زمانه، من بيت علم ودين ومجد، نشأ بحب الحكمة والبلاغة، إلتقى بسقراط فأعجب به، فتلقى عنه أقواله وسعى لفهم طريقته فكان أعظم محاوريه وأنصاره، أشتهر باستعمال أسلوب الجدل، وكانت له مؤلفات في المنطق والمنهج والوجود والمعاني، ونظرية المثل، وكتاب الجمهورية، القوانين، يُنظر: عبد المنعم الحفني، موسوعة الفلسفة والفلاسفة، ج1، دار مدبولي للنشر، القاهرة، ط3، 2010، ص ص 157-161.

(4)-أرسطو بن نيقوماخوس، فيلسوف يوناني، ولد نحو 384-322 ق.م، رحل إلى أثينا ودرس في أكاديمية أفلاطون سنة 367 ق.م لفت أنظار أستاذه لشدة ذكائه فلقبه "العقل" ولسعة إطلاعه لقب بـ: "القراء"، وفي سنة 342 ق.م إستدعاه فيليب ملك مقدونيا ليكون مربياً لابته، بعدها عاد إلى أثينا نحو سنة 335 ق.م، وأسس مدرسة المشائين، ثم غادر أثينا إلى خلكيس بجزيرة أوبا وتوفي بها عن عمر يناهز 62 سنة، تاركاً ثروة فلسفية ضخمة، بقي منها بعض الإقتباسات لمحاورات أفلاطونية و محاضرات ومذكرات دونها طلبته، وكتبه ستة سميت بالأورغانون، من بينها "المقولات" وهي رد أرسطو على بارمينيدس من أن الهوية والوجود واحد، يُنظر: عبد المنعم الحفني، موسوعة الفلسفة والفلاسفة، ج1، المرجع السابق، ص ص 122-124.

(5)-بدة فوزية وعبد الحليم بلواهم، المرجع السابق، ص 493.

(6)-هذا الطرح نجده أيضاً عند المفكرين والفلاسفة المسلمين العرب، فهي بالنسبة لهم بداية ونهاية هي نظرة إلى الذات ونظرة إلى الآخر، يُنظر لنجيب بن خيرة، المرجع السابق، ص 88.

(7)-بدة فوزية وعبد الحليم بلواهم، المرجع السابق، ص 494.

(8)-يعتبر أرسطو المؤسس الأول لفكرة الهوية من الناحية المنطقية.

هي الموحد للمجتمع، وبالتالي كانت في هذه الفترة هي المحدد الأساسي الذي يتم بناءً عليه الحكم على هوية الإنسان، ثم يليها العرق كمحدد لبناء فكرة المواطنة، وهو ما يُبين النظرة الضيقة<sup>(1)</sup> لكل من أفلاطون وتلميذه أرسطو للهوية وحصر مفهومها في العرق واللغة وإعلاء قيمة الشعب اليوناني عن باقي الشعوب في العالم<sup>(2)</sup>، على عكس النظرة المنفتحة للهوية الإسلامية -ظهرت فيما بعد- التي أبرزت وثيقة المدينة المنورة ملامحها الأولى، مستوعبة في بنودها المخالفين للعقيدة، ومعترفةً بحقهم في الهوية الوطنية الجغرافية، وإن فاتهم بالهوية الإيمانية<sup>(3)</sup>.

وهو نفس الطرح الذي جاءت به المدرسة الرواقية بتقديمها مفهومًا أوسع للهوية يُخالف لأفلاطون وأرسطو، من خلال جعل العالم فضاء مشترك بين الجميع ولكل فرد حق العيش فيه سواسيةً دون تمييز بينهم، لذا نشر زوادة أفكارًا تدعو الناس إلى معاملة بعضهم البعض كإخوة من مُنطلق أنهم متساوون، تجمعهم وحدة العقل وقربة الانتساب إلى عقل واحد تفوق قرابتهم الدموية، لأن العالم هو الوطن والبشر ما هم إلا مواطنين داخل هذا الوطن، بغض النظر عن عرقهم ولغتهم وتاريخهم، لكون الجميع مشاركون فيه، وهذا العالم في الأخير هو ملك للآلهة<sup>(4)</sup>، كما ربط الرواقيون مفهوم الهوية عندهم بالمسؤولية كقاعدة لفهم الكون والعالم<sup>(5)</sup>.

خلال الفترة الوسيطة ظهر الدين كمعيار بارز وفعال في تحديد الهوية وأصبحت الشعوب تصنف إنطلاقًا من دينها المنتهج، وبناءً عليه يتم تحديد هويتها، ما نتج عنه ظهور ثلاث هويات كُبرى تصارعت فيما بينها، تمثلت في الهوية اليهودية، المسيحية، والإسلامية، وانقسم بذلك العالم من جديد بناءً على الانتماء الديني، وأصبحت هوية الفرد متعلقة بدينه المتبع، ونَصَّب الشعب اليهودي نفسه في أعلى الهرم بوصفه شعب الله المختار، واعتبر الهوية اليهودية من أنقى الهويات وأفضلها، في مقابل ذلك ربط المسلمون هويتهم بدينهم تحت شعار: "نحن الإسلام والإسلام هو نحن"، وبذلك ارتبط نقاء الهوية بالدين، إلى درجة أصبحت فيه الهوية الدينية تمثل أرقى صورة عن الهوية الموحدة الطاهرة والثابتة والخالصة، التي تتموقع فوق أي هوية إجتماعية أخرى<sup>(6)</sup>، نظرا لقداسة الدين.

في العصر الحديث استمرت فكرة نقاء الهوية في التداول لكن مع تراجع إتخاذ الدين كمحدد أساسي للهوية -بداية الظهور التدريجي لمعالم العلمانية الشاملة في أوروبا نتيجة موقف مفكريها وفلاسفتها من الدين والتحول نحو الفكر العقلاني والفصل بين الدين والدولة- فاسحًا بذلك المجال لعودة الإعتماد على العرق واللغة والتاريخ كمعيار في تحديد الهوية، وهو ما برز عند الفلاسفة والمفكرين الألمان، الذين إعتبروا العرق عاملاً حاسماً في نشأة الهوية القومية، وانتهوا إلى فكرة أن العرق الألماني الجرمانى هو أحسن الأعراق وأفضل الأجناس في العالم، نظرًا لتميزه، وهو

(1)- هذه الفكرة سارت في خط موازي مع السلطة الكولونيالية فيما بعد بإنتاج إيديولوجيا كونية تنفي الآخر وتستعلي عليه، يُنظر: محمود حيدر،

الغربة البتراء حيث لا يرى الغرب إلا نفسه، مجلة الإستغراب، المرجع السابق، ص 07.

(2)- بدء فوزية وعبد الحليم بلواهم، المرجع السابق، ص 494.

(3)- نجيب بن خيرة، المرجع السابق، ص 88-89.

(4)- بدء فوزية وعبد الحليم بلواهم، المرجع السابق، ص 495.

(5)- شريفة بريجة وقويدر سيكوك، المرجع السابق، ص 133.

(6)- بدء فوزية وعبد الحليم بلواهم، المرجع السابق، ص 495.



ما يمنحه أحقية السيطرة على العالم، وعلى أساس هذه الفكرة وجب إبادة باقي الأعراق لعدم جدارتها بالبقاء، وهو ما حاول "أدولف هتلر" تنفيذه بشن حرب إبادة ضد الأعراق الأخرى، خصوصاً العرق السامي، تطبيقاً لنظريات الفلاسفة الألمان من أمثال "نيتشه" <sup>(1)</sup>، و "فخته" <sup>(2)</sup>، ما منح الفكرة إنتشاراً واسعاً وسط الألمان <sup>(3)</sup>.

رأى "نيتشه" في كتابه "هكذا تكلم زرادشت" أن العرق الألماني هو وحده القادر على إنجاب الإنسان الممتاز "السوبرمان" الذي سيقود العالم ويحقق تفوقه على بقية الأعراق، لصناعة عالم جديد منظم وفق قيم جديدة تتوافق مع العرق الآري، رغم أن "نيتشه" كان ضد الهوية بالمفهوم الكلاسيكي للميتافيزيقيا الغربية المتمركزة حول نفسها، بسبب تفوقها حول فكرة الأصل التي رأى "نيتشه" ضرورة القضاء على جذور الهوية بدل استعدادها، ففي الوقت الذي كانت فيه الميتافيزيقيا تسعى لإثبات الوحدات وإقامة الهويات بالوقوف عند الماهيات الخالدة، سعت جينالوجيا "نيتشه" إلى هدم الموحد، وإظهار الانفصالات التي تخترق الهوية، ورغم هذا الاختلاف والتضاد بين الإتجاهين إلا أن انحياز "نيتشه" للعرق الآري لا يمكن إنكاره رغم ما ذهب إليه من تقويض لجذور الهوية <sup>(4)</sup>.

كما ساند "جون ستيوارث ميل" <sup>(5)</sup> فكرة تبني العرق كمحدد جوهري للهوية ليصنف بدوره العرق الآري في مرتبة أرقى الأعراق، وأحقيقته بذلك في غزو العالم، واستعمار الشعوب تحت ذريعة تدينها، وحملها على التحضر، من

(1)-نيتشه فريدريش فلهلم: فيلسوف ألماني، ولد في روكن بروسيا سنة 1844م، نشر أبحاثه تحت عنوان "ميلاد المأساة أو الحضارة الهلينية والتشاؤم" لكنها لم تحرز نجاحاً، على عكس عمله الثاني "تأملات غير راهنة"، رحل إلى إيطاليا عاكفاً على مطالعة كتاب أخلاقيات الفرنسيين خصوصاً لاروشفوكو وشامفور، وبسكال، وأعجب بصحة فكرهم وجبههم للحقيقة، وصرامتهم ووضوحهم، لكن المرض ألزمه الكرسي سنة 1879م، من أهم ما كتب "هكذا تكلم زرادشت" وبعدها توفي سنة 1900م، يُنظر: جورج طرابيشي، المرجع السابق، ص ص 677-679.

(2)-فخته يوهان غوتليب: فيلسوف ألماني ولد في رامينو سنة 1762م، ينحدر من أسرة الفلاحين الساكسونيين، مارس أعمالاً مختلفة في مراهقته ما طبع شخصيته بالإرادة الصلبة، وإحساس ديني عميق، وميل شديد إلى التفكير والتأمل، طبق أفكار كانط على فلسفة الدين، وعرف نجاحاً بعد كتاباته المدافعة عن حرية الفكر والصحافة والثورة الفرنسية، زادت جرأة أفكاره الدينية وجهده التعليمي وميولاته الثورية من شهرته، فانتقل إلى برلين، ليتحول تفكيره من النزعة العقلانية إلى روحانية متعالية مناوئة لفرنسا، وأرسى أسس القومية الألمانية بعد 1808م، توفي ن سنة 1814م مصاباً بعدوى حمى التيفويد، يُنظر: جورج طرابيشي، المرجع السابق، ص ص 481-483.

(3)-بدة فوزية وعبد الحليم بلوهم، المرجع السابق، ص ص 495-496.

(4)-نفسه، ص 496.

(5)-جون ستيوارث ميل: ولد بلندن عاش بين سنوات 1806-1873م، واجه موجة انتقادات ضد آرائه الفكرية والأخلاقية وتوجهه الراديكالي، نشر العديد من المقالات جمعت في أربع مجلدات بعنوان "مقالات ومناقشات"، كما دون العديد من الكتب أهمها "نسق المنطق" سنة 1843م في مجلدين، عارض المذهب العقلي بالحسي، ورغم فرديته إلا أنه يرى أن تطوير الفرد لذاته هو أسلم السبل كي يعمل بوعي في سبيل الصالح العام، ورغم إيمانه أن الفرد ابن بيئته إلا أن يعتقد أن الرغبة القوية لتحسين واقعه هي ما يحدوه، من ثم فهو مسؤول عما تؤول إليه شخصيته وفيما سخر له طاقته، وآمن بالديمقراطية دون أن يتلاشى صوت الأقلية أمام مطالب الأغلبية، فهي تعني سماع أصوات أخرى مخالفة لصوته، وتهية الظروف كي تعلق حتى يسمعها الآخرون، فالديمقراطية النيابية تربي المواطن التربية السياسية السليمة، وتعلمه التوفيق بين مصالحه ومصالح المجتمع، رأى أن الإنسان في حاجة إلى الإيمان الذي يوجه طاقاته نحو المثل العليا، ويدفعه للتضحية بمصالحه في سبيلها، يُنظر: عبد المنعم الحفني، موسوعة الفلسفة والفلاسفة، ج2، دار مدبولي للنشر، القاهرة، ط3، 2010، ص ص 1339-1341.



خلال ما أكدّه المستشرق الفرنسي "إرنست رينان"<sup>(1)</sup> الذي صنف البشر إلى نوعين ساميين وآريين، وأقر من جهته بتفوق الجنس الآري على الأجناس الأخرى في جميع المجالات<sup>(2)</sup>.

من جهته اعتبر "ماريو باي"<sup>(3)</sup> اللغة المحدد الأساسي لهوية الفرد وانتمائه الاجتماعي، وذهب برأيه إلى أن هوية الشعوب تستند في تحديدها إلى عامل اللغة بالدرجة الأولى، حيث يقول: "إذا كنت تتكلم لغتي فأنت تنسب إلى مجموعتي، أما إذا كانت لغتك تختلف عن لغتي فأنت تنتمي إلى جماعة أخرى غير جماعتي، ونحن نتصرف على هذا الأساس..."، وهنا يتبين أن اللغة عامل أساسي في بناء هوية الفرد والمجتمع ووفقها يتم تحديد الانتماء الهوياتي<sup>(4)</sup>.

وبالإضافة إلى اللغة نلاحظ خلال العصر الحديث مدى تأثير الثقافة الوطنية على هوية الأفراد المشكلة للمجتمعات الأوروبية التي غذتها فكرة القومية والانتماء للوطن الواحد الذي يشتركون فيه تاريخيا من حيث الدين والعرق واللغة ما يمنح ذلك الترابط الداخلي بينهم والشعور بالانتماء العضوي والروحي، في مقابل رفض اشراك الغير في هذه الهوية أو السماح بإمكانية التمتع بها إلا إذا كان هناك ارتباط تاريخي.

---

(1)- إرنست رينان: مفكر ومستشرق فرنسي، تناول في مجمل حياته موسوعة الفلسفة، كانت له مواقف من الإسلام واللغة العربية والفلسفة الإسلامية، أنجز رسالته في الدكتوراه حول "ابن رشد والرشدية" سنة 1852م، من مقالاته: مقامات الحريري سنة 1853م، "إسبانيا الإسلامية" سنة 1853م، "ابن بطوطة" سنة 1853م، "مروج الذهب للمسعودي"، رأى أن الضعف الذي لا علاج له في الجنس العربي هو افتقاره المطلق للروح السياسية وعجزه عن التنظيم، لأنه فوضوي بطبعه وعاجز عن تأسيس مجتمع متماسك، ترجع شهرة رينان في البلاد العربية إلى موقفه من الإسلام، وذلك من خلال المحاضرة المثيرة للجدل التي ألقاها في جامعة السوربون في 29 مارس 1883م، عنوانها "الإسلام والعلم"، رد عليها جمال الأفغاني الذي كان وقتها في باريس مسافرا له. يُنظر: عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، ط3، دار العلم للملايين، بيروت، 1993، ص ص 311-320.

(2)- بدء فوزية وعبد الحليم بلوهم، المرجع السابق، ص 496.

(3)- ماريو باي: مفكر إيطالي الأصل والمولد، كتب مؤلفاته باللغة الإنجليزية، وإتقانه لعدة لغات فتح له الطريق لإجراء دراسات مقارنة، يعد من اللغويين المعاصرين وأشهر الفلاسفة الذين نادوا بتبسيط اللغة والبعد عن التعقيدات، لكي يفهمها الناس، من مؤلفاته المترجمة للعربية "لغات البشر" و "أسس علم اللغة"، بالإضافة إلى مساهمته في تأصيل مصطلحات علم اللغة ( Dictionary of linguistics و Glossary of linguistic terminology ) ، تقلد عدة مناصب أهمها مدرسا لمادة فقه اللغة في جامعة كولومبيا، يُنظر: ماريو باي، أسس علم اللغة، ترجمة أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، 8، 1998، ص ص 23-26.

(4)- بدء فوزية وعبد الحليم بلوهم، المرجع السابق، ص ص 496-497.

لقد غلب هذا التصور الهوياتي على فكر الفلاسفة خلال العصر الحديث متزامنا مع بناء الدولة القومية، التي قامت في تكوينها على مقومات الهوية بداية من الدين إلى العرق واللغة والتاريخ، ومن الفلاسفة الذين ساروا في فلك هذا الطرح نجد "فيكو"<sup>(1)</sup> و "هيردر"<sup>(2)</sup> و "هامان"<sup>(3)</sup>، الذين رأوا: "أن كل ثقافة تمتلك ترابطاً منطقياً داخلياً وعضوياً، وأن هذه العناصر تشكل مجتمعة روحاً وعبقرياً، وفكرةً قوميةً ليس بمقدور شخص خارجي النفاذ إليها إلا بواسطة فعل من التعاطف التاريخي"، وهو ما يبرز أن تزايد الاهتمام بالهوية وتوقع المجتمع الأوروبي داخلها أخذ أبعاداً أوسع مع بروز القوميات التي بنيت على المقومات الأساسية المكونة للهوية<sup>(4)</sup>.

امتد تأثير الاهتمام بالهوية القومية إلى دول العالم الثالث، ما أدى لبروز العديد من المفكرين من أصحاب التوجه القومي العربي الداعين لتوحيد الأمة العربية، حيث قال محمد عابد الجابري<sup>(5)</sup>: "ولما كان الوطن العربي

---

(1)- جامباتيستا فيكو: فيلسوف إيطالي ولد سنة 1668م بنابولي، أصدر كتابه "العلم الجديد" سنة 1728م الذي كان له تأثير على فلاسفة عصره، رغم عدم توافقه مع الخط التنويري العام آنذاك من حيث نظريته في التاريخ وعلم الاجتماع، رأى فيكو أن الإنسان يخلق من دراسة التاريخ، لأن التاريخ هو حياته نفسها، والإنسان لا يمكن فهمه إلا تاريخياً ويساعده في ذلك دراسة اللغة لأن اللغة مرآة في شكل كلمات ومعاني، يُنظر: عبد المنعم الحنفي، موسوعة الفلسفة والفلاسفة، ج1، المرجع السابق، ص ص 488-489.

(2)- يوهان غوتفريد هيردر: مؤرخ وفيلسوف وأديب ألماني، لاهوتي لوثيري، ولد بموهريغن سنة 1744م وتوفي بفافمار سنة 1803م، اعتبر الأمم ما هي إلا تجليات في التاريخ، لا تنفك عن الاكتمال بالاشتغال على مقومات الذات من لغة وتراث ودين وفن وأخلاق، نشر مؤلفاته في العقل واللغة والحضارة والتاريخ والشعب، ويعتبر مرجعية نافذة في مجال الدراسات اللاهوتية واللغوية والفلسفية والأدبية والتاريخية، دعى إلى إعادة استثمار الإقتصاد العاطفي للإنسان بالتركيز على القيم والانفعال والشعور، كسبيل للتقدم. يُنظر: محمد شوقي الزين، فلسفة التاريخ وتكوين البشرية عند يوهان هيردر "من نظام المعرفة إلى نظام الحقيقة"، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، قسم العلوم الإنسانية والفلسفة، الرباط، المملكة المغربية، دون سنة، ص ص 03-02.

(3)- هامان يوهان جورج: فيلسوف ألماني ولد في كونينغسبرغ بروسيا الشرقية، سنة 1730م، وتوفي في مونستر (وستفاليا) سنة 1788م، ينحدر من أسرة برجوازية ميسورة الحال، تربي تربية صارمة، أجرى ابتداءً من سنة 1746م دراسات في الفلسفة وعلم اللاهوت والحقوق واللغات الحية بجامعة كونينغسبرغ، كان غريب الأطوار وعاش حياة مضطربة بعد تخرجه، لم يبق طويلاً في المناصب التي شغلها كمؤدب، مارس التجارة لكنه فشل فزار عدة مدن كإنجلترا وألمانيا الغربية وهولندا ووصل لندن سنة 1757م، عاد لحياة الفقر، فدرس التوراة وحدث له إنخفاف صوفي أعاد له طفولته وكشف عن دعوته كمصلح ديني، بقي عازفاً عن الاستقرار والثبات على عمل معين لكن وضعه هذا لم يدم طويلاً حيث اشتغل ناسخاً وكتاباً في أملاك الدولة، ثم محرراً في صحيفة كونغسبرغ ومؤدباً، وبتوصية من كانط سنة 1777م عمل كاتباً ومترجماً في إدارة الجمارك، ثم طلب إحالته على التقاعد، وتميز بتأثيره الشفهي على الفلاسفة الألمان، يُنظر: جورج طرابيشي، المرجع السابق، ص 691.

(4)- بدءاً فوزية وعبد الحليم بلوهم، المرجع السابق، ص 497.

(5)- محمد عابد الجابري: مفكر وفيلسوف من المغرب الأقصى ولد بالفجيج سنة 1930م، تتلمذ على يد الحاج محمد فرج وهو من رجال السلفية النهضوية بالمغرب جمع بين الإصلاح الديني والكفاح الوطني تخرج من جامع القرويين وكان له علاقات مع فرع جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالمشربة (الجزائر) التي زارها، وقام بتأسيس مدرسة النهضة المحمدية للتعليم الحر، سطع نجمه الفكري بنشره لأطروحته "العصبية والدولة معالم نظرية خلدونية في التاريخ العربي الإسلامي"، نال عنها العديد من الجوائز (اليونيسكو)، خلف أكثر من ثلاثين مؤلفاً تعالج قضايا الفكر المعاصر منها: مسألة الهوية "العروبة والإسلام والغرب" صدر سنة 1990م، المسألة الثقافية 1944م، نقد الحاجة إلى الإصلاح 2005م... إلخ، توفي سنة 2010م بالدار البيضاء

مجزءاً إلى ولايات وأقطار مستقلة، وكانت (الأمة العربية) شعوباً وقبائل موزعة على تلك الولايات والأقطار، فإن مهمة الفكرة القومية العربية كانت بالضرورة مهمة مضاعفة ذات ثلاثة أبعاد: نشر الوعي بوحدة الوطن، وبضرورة توحيد الأمة، وإقامة دولة الوحدة التي تتطابق معها<sup>(1)</sup>، لذا فإن الوحدة ضرورة حتمية للأمة العربية، ليس بحكم عوامل الاشتراك في اللغة والقيم الثقافية والموروث التاريخي والحضاري فحسب، بل فرضتها المصلحة المشتركة<sup>(2)</sup>، لتنتشر فكرة القومية العربية التي دعت لتوحيد الدول العربية من منطلق إشتراكها في عدة خصائص تاريخية وعرقية وثقافية جعلتها تقطع صلتها بالشعوب الأخرى، وارتبط تقدم الدول العربية ببرهان الوحدة التي تبناها العديد من المفكرين العرب، في مقدمتهم "ساطع الحصري"<sup>(3)</sup> الذي اعتبر العرب أمة واحدة وأن اللغة والتاريخ هما المقومان الأساسيان لوجودهما، بالإضافة إلى "زكي الأرسوزي"<sup>(4)</sup> الذي اعتبر عبقرية الأمة في لسانها، أي أن اللغة دليل قاطع على وحدة العرب مقتدياً بالقومية الألمانية<sup>(5)</sup>.

كما سار عمر فاخوري<sup>(6)</sup> في نفس الاتجاه من خلال تأكيده على أهمية الهوية القومية في تحقيق النهضة العربية، وربط تقدم العرب ونهضتهم بعروبيتهم، من خلال قوله: "لا ينهض العرب إلا إذا أصبحت العربية أو

عن عمر يناهز 75 سنة، للتوسع أكثر يُنظر مذكرات: محمد عابد الجابري، حفريات في الذاكرة من بعيد، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1997.

(1)- محمد عابد الجابري، المشروع النهضوي العربي مراجعة نقدية، ط02، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 2000، ص 87.

(2)- مركز دراسات الوحدة العربية، المشروع النهضوي العربي نداء المستقبل، ط02، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 2011، ص 63.

(3)- ساطع الحصري: هو ساطع بن محمد هلال بن السيد مصطفى الحصري، ولد عام 1880م، فيلسوف القومية العربية وأكبر دعاة من أصل سوري، له عدة مؤلفات منها "آراء وأحاديث في الوطنية والقومية" و"محاضرات في نشوء الفكرة القومية"، و"دراسات عن مقدمة ابن خلدون"، و"العروبة أولاً" وكتب أخرى في مواضيع العروبة والوحدة الثقافية، نذر نفسه لقضية الوحدة العربية، من مقولاته أن الوحدة العربية لازمة لحفظ كيان الشعوب العربية، ومطلب طبيعي لحياتها وتاريخها الطويل، ورأى أن إيقاظ الشعور هو السبيل لوحدة الأمة، وأسس القومية هي اللغة والتاريخ، واللغة هي أساس في تكوين الأمة ووحدتها والتاريخ هو الوعي والشعور، والأمة التي تحافظ على لغتها وتنسى تاريخها بمثابة فرد فاقد للشعور، وإهمال التاريخ، توفي ببغداد، يُنظر: عبد المنعم الحفني، موسوعة الفلسفة والفلاسفة، ج1، المرجع السابق، ص 704-707.

(4)- زكي الأرسوزي: هو زكي بن نجيب بن إبراهيم، وأرسوزي كنية جده، ولد باللاذقية سنة 1900م، إنطلق من أنطاكية بصوته لتوعية الجماهير بالحرية والقومية، ورغم نفيه سنة 1933م إلى دير الزور إلا أنه واصل رسالته التوعوية فيفصل من وظيفة التدريس سنة 1934م، لكنه استمر في التعبئة لمقاومة الاحتلال إلى أن اضطر سنة 1939م الهجرة إلى العراق، لكن المضايقات الإنجليزية أعادته إلى سوريا، سنة 1940م، إهتم بالتأليف فأصدر كتاب "العبقرية العربي في لسانها" سنة 1934م، واشتغل بالتدريس إلى أن تقاعد سنة 1959م، ألم به مرض عضال بين سنوات 1963-1968م ليرحل مخلفاً عدة أعمال جمعت في 6 مجلدات تحت عنوان "المؤلفات الكاملة"، يُنظر: عبد الحفيظ عصام، التجربة الفلسفية في الفكر العربي المعاصر "زكي الأرسوزي نموذجاً"، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم الفلسفة، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، 2008/2007م، ص 144-158.

(5)- بدء فوزية وعبد الحليم بلوهم، المرجع السابق، ص 497.

(6)- عمر فاخوري: أديب ومفكر لبناني، ولد سنة 1896م ببيروت، أبان مبكراً عن شعور بالعروبة وكره للسيطرة التركية، ومع اندلاع الحرب العالمية الأولى ألف كتابه "كيف ينهض العرب"، ما عرضه لسخط الأتراك فأثلف أهله الكتاب، أشرف على تحرير عدة جرائد منها "العاصمة"، "الميزان" و"المفيد" في دمشق و"الحقيقة" ببيروت موقعاً مقالاته فيها تحت إسم "مسلم ديمقراطي"، سافر إلى باريس لدراسة الحقوق التي تحصل عليها سنة 1933م، أصدر سنة 1925م كتابه "آراء غربية في مسائل شرقية"، تلاه كتاب "آراء آناتول فرانس"، سنة 1928م نشر كتابه "الباب الموصود"، كافح

المبدأ العربي ديانة لهم يغارون عليها كما يغار المسلمون على قرآن النبي الكريم، والمسيحيون الكاثوليك على انجيل المسيح الرحيم، والبروتستانت على تعاليم لوثر الإصلاحية، وثوريو فرنسا في عهد الرعب على مبادئ روسو الديمقراطية، ويتعصبون لها تعصب الصليبيين لدعوة بطرس الناسك<sup>(1)</sup>، لهذا أرجع عمر فاخوري سبب تأخر الأمة العربية حسب رأيه إلى ابتعادها عن لغتها العربية، ودعى إلى إعادة الاعتبار إلى هذه اللغة من أجل النهوض من جديد، لأن اللغة التي تمثل هويتنا لا بد من رفع تقديسها إلى مرتبة الدين<sup>(2)</sup>، ورغم إقرار فاخوري بالعناصر المكونة للقومية الكامنة في الدم والتاريخ واللغة والحضارة، إلا أنه أفرد للغة شأنًا خاصًا باعتباره محددًا للقومية، حيث قال: "والذي يحدد الجنسية هو في الحقيقة اللغة، فيها وحدها يصبح الإنسان عضواً في جسم الأمة، وهي وحدها تخوله الجنسية"، والدافع الذي جعل فاخوري يلح على عنصر اللغة مرده إلى خطر التتريك الذي داهم الأمة العربية خلال مرحلة تاريخية عايشها بنفسه، لذلك فالغاية من موقفه هذا كان مقصوداً وواضحاً لارتباطه بظروف المرحلة، ومن هنا لا يمكن الأخذ به من منطلق أن عناصر تكوين الأمة متفاعلة مع بعضها البعض بشكل مترابط لا يسمح باسقاط أي عنصر من عناصرها، نظراً للتأثير والتأثر الذي يحدث بينها<sup>(3)</sup>.

ونظراً لإهتمام الباحثين والمفكرين والفلاسفة بالهوية على مرّ التاريخ باعتبارها المحدد لطبيعة الانتماء والاتصال، وصولاً إلى الفكر النقدي المعاصر الذي عاجلها بكثير من التحليل والتعمق والمقاربة، زاد الأمر من تطور مفهومها وفروعها<sup>(4)</sup>، وإنعكس هذا الإهتمام على الحضور البارز للمصطلح في مجال البحوث والدراسات المعاصرة، وهذا ما حتم علينا في هذا البحث تتبع تطوره المتشعب المعاني من الناحية اللغوية، ومن الناحية الاصطلاحية.

### المطلب الثالث: الهوية لغة.

إن ضبط مفهوم الهوية من الناحية اللغوية جعلنا نتبع المصطلح تتبعاً مُعجمياً، فاسم الهوية "identité" ليس عربياً في أصله وإنما اضطر إلى توظيفه بعض المترجمين فقد اشتق هذا المصطلح من حرف الرباط، الذي يدل عند العرب على ارتباط المحمول بالموضوع في جوهره، وهو حرف "هو" في قولهم مثلاً زيد هو حيوان أو إنسان، وإسم الهوية مرادف لاسم الوحدة والوجود، ولكن إسم الهوية التي تدل على ذات الشيء غير إسم الهوية التي تدل

---

بقلمه الفاشيستي والنازية، وبقي دائم العطاء حتى أصيب بمرض الكبد ليتوفى سنة 1946م، يُنظر: عمر فاخوري، الباب الموصود، دار الثقافة، بيروت، لبنان، دون سنة، ص ص 05-13، للتوسع أكثر يُنظر: وداد سكاكيني، عمر فاخوري، سلسلة أعلام العرب "89"، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، مصر، 1970.

(1)- عمر فاخوري، كيف ينهض العرب، د. ط، مؤسسة هندواي، المملكة المتحدة، 2017، ص 07.

(2)- بدء فوزية وعبد الحليم بلوهم، المرجع السابق، ص 498.

(3)- أحمد علي، عمر فاخوري بين القومية واليسارية، مجلة بدايات لكل فصول التغيير، قسم ذاكرة، العددان 18-19، خريف 2018-شتاء 2018، ص 236. يُنظر أيضاً: <https://bidayatmag.com/node/912>.

(4)- قحام توفيق، المرجع السابق، ص 01.

على الصادق<sup>(1)</sup>، فهوية الشيء هي عينه و"تشخيصه وخصوصيته ووجوده المنفرد"، الذي لا يقع فيه اشتراك، والهوية عند القدماء أخذت عدة معاني وهي "التشخيص"، والشخص نفسه، والوجود الخارجي، فقالوا ما به الشيء هو "هو" باعتبار تحقيقه يسمى حقيقةً وذاتاً، وباعتبار تشخيصه يسمى "هويةً" إذا كان جزئياً كحقيقة زيد<sup>(2)</sup>، لذا فمصطلح الهوية من الناحية اللغوية الفلسفية يعني هوية الشيء وعينه وتشخيصه وخصوصيته، ويعني كذلك الحقيقة المطلقة التي تدل على التماهي<sup>(3)</sup>.

والهوية عند بعضهم هي الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق، لذلك قيلَ الأَحَقُّ باسم الهوية من كان وجود ذاته من نفسها، وهو المسمى بواجب الوجود والمستلزم للقدم والبقاء<sup>(4)</sup>، وقد وردت لفظة الهوية بضم الهاء وكسر الواو وشد الياء في اللغة العربية للتعبير عن ماهية الشيء ويقال "هو" ضمير الغائب المفرد المذكر، ويقال للمثنى "هما" مركب جعل إسمًا معروفًا باللام ومعناه الإتحاد بالذات<sup>(5)</sup>. وارتبط لفظ "هوية" لغة بالضمير "هو" وتعني بالأصل اللاتيني "idem" وقد أنتج هذا الأصل الصفة النعتية "identiques" والتي تفيد الشبيه والمماثل وتعارض الجزء المختلف والمتنوع والمغاير.

وفي لسان العرب جاء مصطلح الهوى، مقصور أي هَوَى النفس، وإذا أضعفته إليك قلت هَوَايَ، وقال ابن سيده: الهوى العشق، يكون في مداخل الخير والشر، والهَوِيُّ : المَهْوِيُّ، وهوى النفس: إرادتها، والجمع الأهواء. التهذيب: قال اللغويون الهوى محبة الإنسان الشيء وغلبته على قلبه، قال الله عز وجل: "ونهى النفس عن الهوى"<sup>(6)</sup>، معناه نَهَاها عن شهواتها وما تدعو إليه من معاصي الله عز وجل. الليث: الهوى مقصور هوى الضمير، قال: هَوِيَّةٌ تصغير هَوَّة، وقيل: الهَوِيَّةُ بئرا بعيدة المَهْوَاةِ، وعَرَشُهَا سَقْفُهَا المُعَمَّى عليها بالتراب، والجماعةُ الهُو، ابن الأعرابي: الرواية عَرَشَ هَوِيَّةً، أراد أَهْوِيَّةً، فلما سقطت الهمزة رُدَّتْ الضمة إلى الهاء، المعنى لما رأيت الأمر مشرفاً على الفوت مضيت ولم أقم<sup>(7)</sup>.

(1)- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج2، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، بيروت، لبنان، 1978، ص 529.

(2)- نفسه، ص 530.

(3)- وردة بوعائشة، المرجع السابق، ص 91.

(4)- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج2، المرجع السابق، ص 530.

(5)- مجموعة من الباحثين، المنجد في اللغة و الإعلام، دار المشرق، بيروت، ط 38، 2000، ص 875.

(6)- سورة النازعات، الآية 41.

(7)- أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ابن منظور الإفريقي المصري)، لسان العرب، مجلد 15، نشر أدب الحوزة، إيران، 1405هـ، ص ص

كما عرفها الشريف الجرجاني على أنها الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتغال النواة على الشجرة في الغيب المطلق<sup>(1)</sup>. والهوية هي الذات وبطاقة يثبت بها إسم الشخص وجنسيته ومولده وعمله وتسمى أيضا البطاقة الشخصية<sup>(2)</sup>، وهي تعني كذلك حقيقة الشيء من حيث تميزه عن غيره وتسمى أيضا وحدة الذات<sup>(3)</sup>.

أما في معجم تاج العروس نجد "الهوى" (بالْقَصْرِ: العشق) وقال اللَّيْثُ: هَوَى الضَّمِيرُ، وقال الأزهري: هو محبة الإنسان للشيء وغلبته على قلبه، ومنه قوله تعالى: "وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى"، أي عن شهواتها وما تدعو إليه من المعاصي. قال ابن سيده: (يكون في) مداخل (الخير والشر). وقال غيره: متى تُكَلِّمَ بالهوى مُطْلَقًا لم يكن إلا مَذْمُومًا حتى يُنْعَتَ بما يُخْرِجُ مَعْنَاهُ، كَقَوْلِهِمْ: هَوَى حَسَنٌ، وهَوَى مُوَافِقٌ لِلصَّوَابِ. (و) الهوى (إرادة النفس)، والجمع الأهواء. والهَوِيَّةُ: الأَهْوِيَّةُ. وبه فسر ابن الأعرابي قول الشماخ: \*فَلَمَّا رَأَيْتَ الْأَمْرَ عَرِشَ هَوِيَّةٍ\*، قال: أراد أَهْوِيَّةً<sup>(4)</sup>.

أما في قاموس المحيط فقد جاءت اللفظة بمعنى: الهَوَّةُ والأَهْوِيَّةُ والهاوِيَّةُ، وكلُّ فارغ، والجبان، وبالقَصْرِ: العشق يكون في الخير والشر، وإرادة النفس، والمَهْوِيُّ. وهَوَتِ الطَّعْنَةُ: فَتَحَتْ فَاهَا، والعُقَابُ هَوِيًا إِنْقَضَتْ عَلَى صَيْدٍ أَوْ غَيْرِهِ<sup>(5)</sup>. فالهَوِيَّةُ لغة من (الهو) وهي تتصل بالعمق المتأصل في النفس البشرية، كما أنها تعني العشق إذا ما تعلق الأمر بالخير والشر، والرغبة في الشيء ومحبة الإنسان فيه هي من صفة الإنسان، كما تستخدم للإشارة إلى المعالم والخصائص التي تتميز بها الشخصية الفردية<sup>(6)</sup>.

واشتقت كلمة الهوية من الضمير المنفصل "هو"، الذي يعود على "الذات"، وبالعودة إلى المعجم الوسيط نجد أن المصطلح عرّف على أنه حقيقة الشيء أو الشخص الذي تميزه عن غيره. كما أن مولود بن زادي أعطى تعريف للهوية الوطنية على أنها هوية الأمة التي تعني السمات الأساسية المشتركة بين أفرادها، وتحدد شخصيتها الثقافية والحضارية التي تميزها عن الأمم الأخرى في العالم<sup>(7)</sup>.

كما أن هناك من عرفها على أنها كلمة مركبة من ضمير الغائب "هو" مضاف إليه ياء النسبة التي تتعلق بوجود الشيء المعني كما هو في الواقع بخصائصه ومميزاته التي يُعرف بها<sup>(8)</sup>، وهي الكلمة المصاغة من الأصل اللاتيني Idem: "هُوَ هُوَ"، ومنه فإن هوية الشيء تعني أن يكون ذلك الشيء هُوَ ذلك الشيء، أي أن يكون

(1)-علي بن محمد الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، 1985، ص 278.

(2)-مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز، ط1، مجمع اللغة العربية، مصر، 1980، ص 654.

(3)-مجمع اللغة العربية، المعجم الفلسفي، الهيئة العامة للشؤون المطابع الأميرية، مصر، 2000، ص 208.

(4)-محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج 40، مادة (ه و ي)، تحقيق ضاحي عبيد الباقي، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت، ط1، 2001، ص 326.

(5)-مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، القاموس المحيط، حرف الهاء، دار الحديث، القاهرة، 2008، ص 1718.

(6)-قحام توفيق، المرجع السابق، ص 02.

(7)-مولود بن زادي، أزمة اللغة والهوية في الجزائر وخطر إندلاع حرب الجزائر الأهلية الثانية، جريدة اليوم، 08 نوفمبر 2017، ص 1.

(8)-علي بن محمد الشريف الجرجاني، المصدر السابق، ص 278.

هُوَ هُوَ نفسه<sup>(1)</sup>، وتدلل أيضا على علامة ما هو مُتَمَاهٍ بمعنى تماثل<sup>(2)</sup>، وهي الشيء الذي لا يختلف في شيء عن شيء آخر، ومن هذا الأصل اشتقت كلمة Identicus وتعني الشبيه والنظير والشيء نفسه وعكسه المغاير أو المختلف<sup>(3)</sup>.

وكما وضحنا أن لفظ الهوية لفظٌ أُخذ من لغات أجنبية أخرى فهو ليس بعربي الأصل، وظَّفه العرب المترجمون لحاجتهم في ترجمة المؤلفات، ففي اللغة الفرنسية نجده Identité، وفي اللغة الإنجليزية Identity، وفي اللغة اللاتينية Identitas<sup>(4)</sup>، ويظهر استعمال المصطلح جلياً عند الفلاسفة العرب المسلمين القدامي<sup>(5)</sup>، الذين إشتقوها من حرف الرباط الذي يدل عند العرب على ارتباط المحمول بالموضوع في جوهره وهو حرف "هو"، الذي يقابله لفظ "أوستين" في دلالاته اليونانية، وقد وضعه أرسطو لإعطاء دلالة أوضح لمفهوم الوجود المرادف لمدلول "صيورة الشيء هويته"<sup>(6)</sup>.

كما أشار أحمد بن نعمان أن كلمة الهوية لها دلالتها في اللغة العربية فهي مركبة من ضمير الغائب هو أضيف له ياء النسبة التي لها علاقة بوجود الشيء المعني كما هو في الواقع بمميزاته وخصائصه التي يعرف بها، ومن خلال ماسبق ذكره نستخلص أن للهوية عدة معاني، لكن ما يتفق عليه الباحثون هو تعبيره عن الصفات الجوهرية للشخص عن باقي الأشخاص أو لأمة عن باقي الأمم الأخرى<sup>(7)</sup>.

من خلال ما جاء من مقاربات لغوية نستنتج أن الهوية تفيد العمق والغور، فشبه المصطلح في عمقه وجذوره بعمق تاريخ الإنسان وإمتداد جذوره وأصوله الموعلة في التاريخ<sup>(8)</sup>. وقد شهد مفهوم الهوية عدة تحولات منذ الفلسفة اليونانية وإلى غاية العصر المعاصر، وكذلك تنوع بتنوع العلوم والمجالات التي استعملت فيه، فارتبطت "بالفرد" والجماعة في علم الاجتماع، وبالديمقراطية في الجانب السياسي، وبالأنا والذات في علم النفس، وقد ارتبط مفهوم الهوية بمفهوم الآخر وهو الاختلاف في الفترة المعاصرة، والذي يأخذ معنى المغايرة والتمايز والمماثلة، محدثا تغييرا جذريا في الفلسفة المعاصرة<sup>(9)</sup>. من هنا نستنتج أن لمصطلح الهوية عدة مرادفات شخصية وذاتية<sup>(10)</sup>.

(1)-محمد بودهان، المرجع السابق، ص 13.

(2)-أنديري لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، موسوعة لالاند الفلسفية، ط2، ترجمة خليل أحمد خليل، المجلد الأول، منشورات عويدات بيروت، 2001، ص 607.

(3)-الناصر عبد اللاوي، الهوية والتواصلية في فكر هابرماس، ط1، دار الفرائي، بيروت، لبنان، 2012، ص45.

(4)-جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج2، دار التوفيق، بيروت (لبنان)، 1994، ص 529.

(5)-الناصر عبد اللاوي، المرجع السابق، ص 47.

(6)-الناصر عبد اللاوي، المرجع السابق، ص 47.

(7)-أحمد بن نعمان، الهوية الوطنية الحقائق والمخالطات، دار الأمة، الجزائر، 1996م، ص21.

(8)-أحمد عيساوي، خطاب الهوية عند الحركة الوطنية الجزائرية "ابن باديس من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين" أنموذجا، مجلة العلوم الاجتماعية،

المجلد 06، العدد 01، جامعة باتنة، جوان 2012، ص219.

(9)-وردة بوعائشة، المرجع السابق، ص 91.

(10)-خير الدين شترة، الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة (1900-1956م)، ج2، المرجع السابق، ص 1513.



## المطلب الرابع: الهوية إصطلاحاً.

نظراً لتشعب المفهوم بين عدة إختصاصات علمية، لا بد من ضبط إطاره العام، الذي يجب السير وفقه، تبعاً لطبيعة الموضوع الخاص بالدراسة، فنحن هنا بصدد إجراء دراسة تتعلق بالهوية الوطنية للمجتمع الجزائري ضمن إطار تاريخي محدد بالفترة الإستعمارية الفرنسية للجزائر، وهو ما سنركز عليه بشكل كبير من خلال إبراز الأبعاد التاريخية للمسألة من جوانب مختلفة، وتداعياتها في مراحل متقدمة، وقبل أن نستعرض ما ذهبت إليه آراء وأفكار العلماء والمؤرخين والباحثين والمختصين في تعريفها للهوية، لا بد من الإشارة إلى النقاط التالية:

- إن تعدد آراء المفكرين والمؤرخين والفلاسفة والمثقفين حول المفهوم الإصطلاحي للهوية، راجع لتعدد أبعاده من عدة زوايا إجتماعية، ثقافية، نفسية، تاريخية وحتى سياسية، من منطلق أن المصطلح وقع توظيفه سياسياً للخدمة خطابات إيديولوجية مختلفة في الفترة المعاصرة، مما صعب من مهمة ضبط مفهومه بدقة، وإن كان إختلاف مضمون التعاريف الحديثة للمصطلح اليوم هو في أصله إمتداد للإختلافات التي كانت بين الفلاسفة القدماء والمفكرين عبر التاريخ - كما عرفنا سابقاً-، ومما عقّد مهمة الوصول إلى تعريف شامل جامع للمعنى يجد قبولاً بين جميع الباحثين، هو الإهتمام المتزايد والمتسارع بالمصطلح مع مطلع القرن الحالي<sup>(1)</sup>.

- رغم أن أغلب الباحثين يُجمعون على فكرة "عدم وجود شعب دون هوية"، إلا أنهم إختلفوا في تحديد تعريف شامل ودقيق وواضح لهذه الهوية، نظراً لتشابك المفهوم مع مصطلحات أخرى. وترجع الصعوبة في إيجاد تعريف محدد لكونها قائمة على حركة توليد الفوارق والإختلافات لتحديد التماثل، لذا فهي إنتقال مُلتوي مُلتبس من مُخالف لآخر، إنتقالاً من طرف معارض إلى طرف آخر، وهناك من أطلق على عملية تشكيلها بـ "الهو" القطع الناقص<sup>(2)</sup>، وربما هذا راجع لإختلاف الفوارق بين المجتمعات الإنسانية وتطور تمايزها من مرحلة تاريخية لأخرى، فالمجتمع العربي الإسلامي مثلاً يختلف في مميزاته عن المجتمع الأوروبي المسيحي من حيث البيئة الجغرافية، الدين، اللغة، التاريخ، والموروث الثقافي من عادات وتقاليد... إلخ.

- يستند التعريف الإصطلاحي بوجود نوعين من الهوية، الأولى فردية أو كما يطلق عليها الهوية الشخصية، والنوع الثاني يتمثل في الهوية الأشمل للأفراد والجماعات ونقصد بها الهوية الوطنية أو القومية، وللتمييز بينهما لا بد من إبراز معنى كل منهما:

فالهوية الشخصية تعني تمايز الأفراد عن بعضهم البعض وتلازم بين الإحساس والفكر، لأنهما مصاحبان لبعضهما<sup>(3)</sup>، إلا أن الإنسان يتميز عن الشخص، فالإنسان يمثل عضوية لا تختلف هويته عن هوية أي إنسان آخر،

(1) - بشير بلمهدي علي، الخطاب الديني في الجزائر ومسألة الهوية الوطنية (1925-1956)، رسالة دكتوراه، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم

الإنسانية والحضارية الإسلامية، جامعة وهران، الجزائر، 2010-2011، ص 24.

(2) - Jacques Derrida, *Marges de la philosophie*, Edition de Minuit, Paris, 1972, p 202-204.

(3) - وردة بوعائشة، المرجع السابق، ص 69.



بينما الشخص هو محمول على ما هو مادي ونفسي معاً، أي يمكنه التعبير عن نفسه ويختزلها "لوك"<sup>(1)</sup> في النفس التي يعتبرها جوهرًا لاماديًا<sup>(2)</sup>، وربط مفهوم الهوية بالذاتية والشخصية والذاكرة، أما "هيغل"<sup>(3)</sup> فيرى أن الهوية تتمحور في التعارض الذي لا يواجه المخالف وإنما المماثل لذلك "الآخر"، فانعكاس الآخر هو "الهو" ويجب أن يدرك نقيضه في انعكاسه هو، فالانعكاس المتبادل بين "الذات" و "الآخر" هو صميم التعارض<sup>(4)</sup>، فيما يرى "هايدغر"<sup>(5)</sup> أن الهوية قُدمت دومًا على أنها تتمتع بطابع الوحدة<sup>(6)</sup>.

فيما نجد أن أهم ما يميز الهوية الجماعية هو إبرازها لجملة الخصائص الروحية والفكرية والسيكولوجية التي يتميز بها شعب معين، تمنح له أحقية ترسيخ تواجده على رقعة جغرافية من الأرض ارتبط بها تاريخيًا وأصبح معروفًا بها، وتُعرف به<sup>(7)</sup> وهذه الخصائص تدخل ضمن المقومات التي تميز الهوية القومية أو الوطنية التي إتصل مفهومها إلى حد كبير بظهور مصطلح القومية، خلال القرن 19م<sup>(8)</sup>، والذي أعطى للهوية بعدًا وطنيًا مرتبطًا بإنتماء الأفراد والجماعات لوطن وأمة واحدة، يمثلون بذلك شعبًا له الحد الأدنى من الخصائص الثقافية المشتركة التي تميزه عن غيره

(1)-جون لوك: فيلسوف إنجليزي، ولد سنة 1632م بإنجلترا، درس بمسقط رأسه إلى غاية بلوغه 14 سنة إلتحق بكنيسة المسيح بإكسفورد عام 1646م، لتلقي تعاليم المسيحية الفلسفية الأرثوذكسية، بعد عام 1652م إلتحق بجامعة أكسفورد، حصل منها على البكالوريوس عام 1656م ثم الماجستير عام 1658م، زاول التدريس كمحاضر جامعي، فزاد إهتمامه بالعلم واللغة والسياسة والطب، فأسهم في إثراء نظرية المعرفة، ترك عدة مؤلفات منها: "المقالة في العقل البشري"، و "رسالة في التسامح"، توفي عام 1704م، يُنظر: راوية عبد المنعم عباس، جون لوك إمام الفلسفة التحريية، سلسلة أساطين الفلسفة الحديثة والمعاصرة "4"، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1996، ص ص 17-31.

(2)-جليلة المليح الواكدي، مفهوم الهوية مسارات النظرية والتاريخية في الأنثروبولوجيا وفي علم الاجتماع، مركز النشر الجامعي، تونس، 2010، ص 78-79.

(3)-هيغل جورج فلهم فريدريش: فيلسوف ألماني، ولد بشتوتغارت سنة 1770م، تميز بمطالعاته الكثيرة منذ صغره، كان تكوينه كلاسيكيًا عميقًا، حصل على دبلوم في اللاهوت سنة 1793م، عمل مؤدبًا خصوصيًا، بدأ تفتح العقل بعد قراءته لما كتبه كانط، ليهتدي إلى العقلانية التي ستميز فلسفته، عين أستاذًا في جامعة إيننا، من أهم أعماله: "موسوعة العلوم الفلسفية"، و "الدروس في فلسفة التاريخ"، مات بالكوليرا سنة 1831م ببرلين، يُنظر: جورج طرابيشي، المرجع السابق، ص ص 721-723.

(4)-وردة بوعائشة، المرجع السابق، ص 76.

(5)-مارتن هايدغر: فيلسوف ألماني ولد سنة 1889م بماسكيرش، عاش في وسط كاثوليكي محافظ جدا، أعدته عائلته ليكون قسًا ما جعله يبحث في هوية الإنسان نفس وعلاقته مع الله، أكمل دراسته الجامعية وعين أستاذًا للفلسفة الأرسطية في جامعة فرايبورغ، ما سهل له التواصل مع الفلاسفة، نشر كتابه الكينونة والزمان سنة 1927م، منع ما بين سنوات 1934-1949م من التدريس ونشر أعماله أو ذكر اسمه في الأماكن العامة، ثم سمح له بذلك إلى غاية تقاعده سنة 1958م، وواصللقاء المحاضرات لغاية 1973م، وتوفي سنة 1976م من أهم مؤلفاته "في ماهية الحقيقة،" الهوية"، يُنظر: رشا زين الدين، مارتن هايدغر سيرته الذاتية، فلسفته، وأبرز أعماله، مجلة الإستغراب، العدد 05، السنة 02، المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية، بيروت، لبنان، 1437هـ/2016م، ص ص 375-376.

(6)-عبد السلام عبد العالي، هيدغر أمام هيغل حول مفهوم الزمان، دراسات عربية، دون بلد، 1984، ص 153.

(7)-سليمان عشراقي، الشخصية الجزائرية، د ط، ديوان المطبوعات الجزائرية، بن عكنون (الجزائر)، 2002، ص 1.

(8)-خير الدين شترة، الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة (1900-1956م)، ج 2، المرجع السابق، ص 1512.

من الأمم والشعوب في العالم<sup>(1)</sup>، وهو نفس التعريف الذي قدمه محمد بودهان للهوية الوطنية، حيث حصرها في جملة الخصائص التي تلازم شعباً ما وتميزه بتفرده عن مختلف الشعوب<sup>(2)</sup>.

وإذا ما أردنا عقد مقارنة بين الهوية الشخصية والهوية الوطنية لتحديد مواطن الاختلاف بينهما، فنجد أن التباين الوحيد يكمن في نوع كل منهما فقط، لأن الهوية الشخصية تحدد ضمن الخصائص الجسدية للفرد، فيما تحدد الهوية الوطنية ضمن السمات الثقافية للجماعة، ما يعني باختصار أن العلاقة بينهما علاقة جزء بالكل<sup>(3)</sup>، وممكن التداخل بين مفهوم الهوية ومفهوم الشخصية يظهر أثناء استعمال كل منهما للتعبير عما يتعلق بمقومات الأمة ومميزاتها، فإذا كنا نريد التعبير عن مقومات الأمة فالأصلح أن نختار مصطلح الهوية الوطنية، وإذا كنا نريد التعبير عن مميزات الأمة وما تتمتع به من خصائص عن غيرها فالأجدر أن نستعمل مصطلح الشخصية، لتموضع الأمة في هذه الحالة بين الأمم الأخرى نفس تموضع الشخص بين أفراد آخرين<sup>(4)</sup>.

وبناءً على هذه التوضيحات نجد أن المفهوم الإصطلاحي للهوية تشعب بين عدة مجالات هي:

**1. الهوية عند الفلاسفة:** إن أول ما يتبادر إلى أذهاننا عند التطرق إلى الفلسفة هو ذلك الارتباط الوثيق بالإطار الجغرافي الذي نشأت فيه وأبرز المفكرين اليونانيين الأوائل الذين أسسوا لهذا العلم، إلا أن الأمر لم يعد ينحصر في هذا الإطار الضيق بظهور العديد من الفلاسفة في مختلف أنحاء العالم مع تطور الزمن، من أوروبيين وأمريكيين ومسلمين، ولكل إتجاه رأيه الخاص في تعريف الهوية تبعاً لبيئته واختلاف فكره وحضارته.

فالهوية في المنطق الفلسفي مبدأ الفكر والتفكير، ويعني تطابق الشيء مع ذاته وعناصره رغم التحول والتغير الذي يطرأ عليه، ويتم التعبير عنه بصيغة رياضية  $A=A$ <sup>(5)</sup>، وتهدف الهوية إلى إبراز المعالم الذاتية للشيء وهي المهمة التي يقوم بها الفيلسوف، فالمتتبع لتاريخ الفلسفة يجد أنها إهتمت بموضوع الهوية عبر مختلف مراحل الفكر الفلسفي، فـ "هيراقليدس"<sup>(6)</sup> كان يرى أن الهوية قائمة على التغير، فيما يرى "برمينيدس" أن الأشياء يجب أن تظل بعيدة عن كل تغيير، وقد واجه الفلاسفة تساؤل أساسي فيما يخص مبدأ التغير وعلاقته بالهوية، فهل العالم يتغير حقيقة أم ظاهرياً، أو لا يتغير مطلقاً؟ وبالعودة إلى الإجابات التي جاءت حول هذا التساؤل تم تصنيف آراء الفلاسفة في التاريخ إلى المقرين بحالة الثبات والإستقرار فيما رأى آخرون الجمع بين التغير والثبات<sup>(7)</sup>.

(1)- أحمد بن نعمان، الهوية الوطنية الحقائق والمغالطات، المرجع السابق، ص 11.

(2)- محمد بودهان، المرجع السابق، ص 13.

(3)- أحمد بن نعمان، الردود العلمية على الأطروحات العرقية وتعدد الهوية في الجزائر، دار الأمة، برج الكيفان، الجزائر، ط1، 2005، ص ص 11-12.

(4)- أحمد بن نعمان، الهوية الوطنية الحقائق والمغالطات، المرجع السابق، ص ص 10-11.

(5)- الزاوي بغورة، الخطاب الفكري في الجزائر بين النقد والتأسيس في التاريخ والهوية والعنف، دار القصة للنشر، الجزائر، 2003، ص 122.

(6)- هيراقليدس البنطي: فيلسوف وفلكي يوناني عاش بين سنوات 388-312 ق.م، تلميذ أفلاطون، انظم إلى المدرسة الذرية وتأثر بالفيثاغورية، وضع رسالة في عصر هوميروس وهزيرودوس، يُنظر: جورج طرابيشي، المرجع السابق، ص 696.

(7)- الزاوي بغورة، الخطاب الفكري في الجزائر بين النقد والتأسيس في التاريخ والهوية والعنف، المرجع السابق، ص 122.

ومن معاني الهوية أيضا نجد الإشارة إلى ما هو متمم بالمعنى أي متمائل، ويُقصد به أي فرد أو كائن مميز بصفة معينة يمكن إتخاذها أساسا لتشبيه أفراد آخرين به بحكم تماثلهم معه، فيقال عنه أنه متمم بالمعنى. أو أنه "هو ذاته" في مختلف فترات وجوده "هوية الأنا"، أو هي سمة موضوعين فكريين متميزين في الزمان أو في المكان، لكنهما قد يتسمان معًا بالصفات عينها، هذا المعنى يُشار إليه عادة باسم "الهوية الكيفية" أو "النوعية" خاصة. أما من الناحية النفسية الميتافيزيقية لا يوجد كائنات متماهية مع بعضها، بل يبقى الكائن متماهيًا مع ذاته بقدر ما يستقبل باستمرار ماضيه في حاضره، وبقدر ما يختصر تغييراته الخاصة به، ويظل متمسكًا بترائه بكامله مشكلًا صيرورته المتنوعة والمتنافرة في الوجود<sup>(1)</sup>، فحسب "هايدغر - Heidegger" فإن الكائن لا يتكون فقط من الشكل الماضوي "Passé" وإنما هو كائن موجه للمستقبل "Entre devenir" الذي يشكل مع العودة إلى الذات التماثل المظهري الأساسي للمقاربة الجديدة للهوية التي تعطي للحاضر والأنا على المستوى الفردي والاجتماعي والثقافي شرعية ودورًا إستراتيجيًا، وهو ما يُوضح أن الخطاب المحدد للهوية في ظل المقاربة الموضوعية هو خطاب تغيير "La Mutabilité"<sup>(2)</sup>.

وقد تعرض المفهوم الأرسطي أو التصور الجوهراني للهوية إلى النقد وفقًا للمفهوم الجدلي التاريخي في تحديد الهوية، والذي يرى أن المفهوم الأرسطي كان سببًا في نشوء النزاعات العرقية المدمرة كالنازية والفاشية باعتبارهما ظاهرتين تمجدان العرق والتفوق والاستعلاء، فالجدلية التاريخية ترى أن الأشياء في طبيعتها تخضع للتطور والتحول والتراكم المؤدي إلى التجدد المستمر في مكونات الحياة وبالتالي مكونات الشخصية، ووفقًا لذلك فإن الأسس التي تقوم عليها الهوية تتميز بالتغير والتطور والتدرج والتراكم فضلًا عن التعدد والتنوع وتخضع تلك الأسس لعمل تاريخي طويل المدى<sup>(3)</sup>.

إن مسألة الهوية من الناحية الفلسفية لا تقتصر على التحول والتغير والثبات والاستقرار بل تتعدى إلى مواضيع أخرى كالوحدة والكثرة، والتعدد والتنوع والجوهر والمحتوى والشكل والظاهر والحقيقة والواقع والمطلق، غير أن التعقيدات التي أفرزتها التطورات المختلفة في المجالات الفكرية والعلمية جعل من موضوع الهوية موضوعًا تشترك فيه جميع العلوم والثقافات وهو ما يؤكد: "كلود ليفي ستروس"<sup>(4)</sup> على هامش ندوة الهوية، حيث أشار إلى أن الهوية

(1)- أندريه لالاند، المرجع السابق، ص 607-609.

(2)- الزاوي بغورة، الخطاب الفكري في الجزائر بين النقد والتأسيس في التاريخ والهوية والعنف، المرجع السابق، ص 125.

(3)- عامر البغدادي، الدولة والهوية في الجزائر، دار كنوز الحكمة، الجزائر، 2018، ص 75-76.

(4)- كلود ليفي ستروس: عالم إجتماع فرنسي، ولد سنة 1908م من أسرة عريقة النسب، بدأ الإهتمام بالكتابات الفلسفية مثل هيجل وماركس منذ سن 16 سنة، إنظم إلى العمل السياسي كأبناء جيله، حصل سنة 1931م على إجازته الجامعية الأولى في القانون والفلسفة، تعلق بالدراسات الأنثروبولوجية لكثرة الحديث عن الموضوع بين المثقفين الفرنسيين في الثلاثينات، درس علم الاجتماع في جامعة ساو باولو بالبرازيل (1935-1939م)، وأجرى أبحاثه الإثنوغرافية، كما سافر إلى نيويورك ضمن مشروع مؤسسة روكفلر (1937-1943م) فتوسعت أفكاره هناك، وكتب فيها أطروحته في الدكتوراه "البنى الأولية للقرابة"، ومن أهم دراساته نجد "العرق والتاريخ" و "العرق والثقافة" و "الأنثروبولوجيا البنيوية" وبقي ينشط فكريا إلى غاية وفاته سنة 2009م، يُنظر: عبد الله عبد الرحمن بتييم، كلود ليفي ستروس قراءة في الفكر الأنثروبولوجي المعاصر، سلسلة المنتخب "20"، إصدارات بيت القرآن، المنامة، البحرين، ط01، 1998، ص 17-19.

اليوم تقع في مفترق الطرق، ما يعني ظهور أزمة عميقة فيها، تخترق المجتمعات المتقدمة والنامية، كما تخترق المعارف والعلوم والثقافات<sup>(1)</sup>.

ولعل هذا الطرح الفكري هو ما جعل "فوكو"<sup>(2)</sup> ينتهي إلى القول أنه ليس هدف التاريخ الجنيولوجي هو استرجاع جذور الهوية الماضية، بل علينا أن نقوم بتعويض هذه الهوية بالجنيولوجيا، لأن الإرث ما هو إلا جملة من الشروح والتصدعات غير المتجانسة، تعمل على تجزأة ما نراه واحدًا ومتصلاً، فالهوية هي اختلاف مزعزع وغير ثابت، متجددة كل مرة ومن ثم فإن الهوية الحقيقية، هي التي تُبنى على أساس الاختلاف<sup>(3)</sup>، فالتصور الغربي المعاصر يركز في تعريفه للهوية على أنها خلاصة اتحاد عناصر متعددة ولا تقوم على عنصر واحد، أي أنها محصلة تفاعل العوامل الاجتماعية والثقافية والتحوليات التاريخية المرافقة لها<sup>(4)</sup>، ويذهب "هابرماس"<sup>(5)</sup> في طرحه إلى جعل التواصل والحوار مع الآخر والانفتاح على الغير هو أساس الهوية، مؤكداً على اعتبار اللغة عاملاً مهماً وأساسياً في بناء الهوية<sup>(6)</sup>.

وقد وقف المسار الغربي عند مظهرين للأزمة الهوية، منها ما تعلق بالمشروع الإثنوبولوجي الغربي، الذي يدرس المجتمعات والثقافات المغايرة للمجتمع العربي، بأدوات معرفية غريبة، ما طرح عدة انتقادات لهذا العلم خصوصاً من حيث محاولته البحث على تماثل المجتمعات المغايرة للأدوات العلمية، لكون<sup>(7)</sup>: "رجل الأنثروبولوجية إذ يرمي إلى معرفة الآخر، وهو هنا الشعوب غير الأوروبية، لن يفعل سوى صهر ثقافات هذه الشعوب واحتواء فروقاتها والتضحية بأصالتها وبالتالي سحق تواريخها الخاصة"<sup>(8)</sup>.

(1)- الزاوي بغورة، الخطاب الفكري في الجزائر بين النقد والتأسيس في التاريخ والهوية والعنف، المرجع السابق، ص 122.

(2)- ميشيل فوكو: مؤرخ وفيلسوف فرنسي ولد ببواتيه سنة 1926م، ارتبط إسمه بالحركات البنيوية، كان له تأثير في الفكر الفلسفي وامتد إلى العلوم الإنسانية والاجتماعية، شغل عدة مناصب في الجامعات الفرنسية خلال الستينات، والسبعينات أصبح ناشطاً سياسياً، من أهم أعماله: اللغة والإنسان، توفي سنة 1984م، يُنظر: غاري كوتينق، ميشال فوكو، ترجمة فريق حكمة، مجلة حكمة، مؤسسة ريم وعمر الثقافية، جداول للنشر والترجمة والتوزيع، بيروت، لبنان، 2017، ص ص 01-05. يُنظر أيضاً: <https://hekmah.org/wp-content/uploads/2017/09/pdf-للفلسفة.pdf>، يُنظر المقال الأصلي باللغة الإنجليزية: <https://plato.stanford.edu/archives/win2014/entries/foucault/> /ميشيل-فوكو-موسوعة-ستانفورد-للفلسفة.

(3)-وردة بوعائشة، المرجع السابق، ص 81.

(4)-عامر بغدادي، الدولة والهوية في الجزائر، المرجع السابق، ص 75.

(5)-هابرماس يورغن: فيلسوف وعالم إجتماع ألماني، ولد سنة 1929م يعد من أبر ممثلي مدرسة فرانكفورت وأهم المنطقيين، درس الفلسفة وعلم الاجتماع، أراد رفقة مجموعة من الفلاسفة إستئناف مشروع ماركس في نقد المجتمع وأشكال الإستلاب الحديث، وفهم الماركسية، كونها نظرية نقدية جدلية، عارض الوضعية بقوة، كان يرى أن مهمة الفلسفة المحافظة على إمكانية خطاب عقلاي، ودعى لفلسفة أنوار جديدة، من أهم مؤلفاته "البنية السلوكية للحياة العامة"، "الخطاب الفلسفي للحدث"، يُنظر: جورج طرابيشي، المرجع السابق، ص 687.

(6)-وردة بوعائشة، المرجع السابق، ص 88.

(7)-الزاوي بغورة، الخطاب الفكري في الجزائر بين النقد والتأسيس في التاريخ والهوية والعنف، المرجع السابق، ص 123.

(8)-علي حرب، الهوية والغيرية في المقال الفلسفي العربي "دراسات عربية"، مجلة فكرية إقتصادية إجتماعية، دار الطليعة، بيروت، لبنان، العدد 04، 1982، ص 76.

وهو ما يعني باختصار أن المشروع الغربي يقوم على مماهة الآخر مع الذات، ولهذا وجهت له عدة إنتقادات من داخل الفكر الغربي وخارجه، كما طرحت إشكالية الثقافة والهوية وإمكانية معرفة الآخر وهويته، فيما ركز المظهر الثاني من مظاهر أزمة الهوية على ما حصل من تطورات في الفكر والفلسفة الغربية بعد أحداث 1968م، وما لوحظ من ميل نحو الاختلاف والمغايرة، كاختلاف الجنسين والطبيعة، واختلاف الثقافات عن بعضها عالميًا وحتى محليًا داخل الثقافة الوطنية، وصار مفهوم الاختلاف الموضوع الرئيسي عند الفلاسفة مثل "دولوز - Deleuze" (1) و "فوكو - Foucault" وهو ما أدى بـ: "جان ماري بينوا - J.M.Benoit" (2) " مدير ندوة الهوية (3) إلى التأكيد على أن مسألة الاختلاف تحترق عصرنا الحالي (4).

إن صناعة الهوية من خلال الاختلاف وتميز المختلف عن غيره، لا يمكن أن تأتي في ظل خطر العزلة والإنطواء والرفض لكل ما يشكله الآخر خصوصًا في عصرنا المتطور، لذا لا بد أن يكون الاختلاف ضمن الإطار العام الذي يربط الهوية بالطبيعة البشرية والفكرية وتفكيكها إلى عناصر مختلفة لتكون المغايرة مُقوم من المقومات، ما يعني أن الهوية ليست مُعطى ثابت أو مبدئًا يُعاد بنائها وتنميتها واكتشافها باستمرار (5).

(1)-جيل دولوز: فيلسوف فرنسي عاش بين سنوات 1925-1995م، تخرج من دار المعلمين العليا ودرس الفلسفة في جامعة ليون ثم فنسين، عمل على إزاحة النقاب لدى المؤلفين الذين درسهم عن المأثور العقلاني، والرابطة الخفية التي تجمعهم، إنتقد في أطروحته التي عنوانها "الاختلاف والتكرار" سنة 1969م جميع الفلسفات التي سعت لإلغاء الاختلاف من منطق كونه شر عن طريق إخضاعه لمبدأ التوحيد والهوية الأعلى، وانتصر من هذا المنظور ضد أفلاطون والسفسطائيين، من أشهر مؤلفاته "الضئد أوديب أو الرأسمالية والفصام"، يُنظر: روزنتال ويودين، الموسوعة الفلسفية، ترجمة سمير كرم، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، دون سنة، ص 290.

(2)-جان ماري بينوا: فيلسوف وسيميائي وصحفي وناقد في وسياسي ودبلوماسي ومترجم وناقلًا رائعًا للأفكار بمواهب متعددة، ولد سنة 1942م، كان ملحقيًا ثقافيًا في السفارة الفرنسية في لندن ثم أستاذًا مساعدًا في كوليج دو فرانس مع كلود ليفي شتراوس، أصبح معروفًا لعامة الناس بعمله الجدلي: "ماركس مات - Marx est mort"، وفي وقت مبكر من عام 1970 أعلن عن حركة الفلاسفة الجدد التي كان مرتبطًا بها تمامًا. ويظل عمله الفلسفي، "الذكي والشجاع دائمًا" على حد تعبير جاك دريدا، مقاومًا للتصنيفات الأكاديمية، نشر الثورة الهيكلية في عام 1974، والتي امتدت في عام 1977 من خلال طغيان الشعارات، حيث دعى إلى رفض المتحجاس وطالب بالعودة إلى هيراقليطس. يعد المفكر القتالي، وواحدًا من المثقفين النادرين الذين شاركوا بشكل مباشر في الحياة السياسية، في عام 1978، ترشح للانتخابات التشريعية تحت ألوان الجبهة الديمقراطية المتحدة ضد جورج مارشيه، وكان بعد ذلك مستشارًا لجاك شيراك بدعم مخلص لميثاق 77 بالقرب من الدوائر الأطلسية، أنشأ منتدى 1984 للأبحاث ثم المركز الأوروبي للعلاقات الدولية والاستراتيجية (CERIS). إهتم بالروحانية والفن الذي خصص له العديد من المقالات في مجلتي L'Art vivant و des Connaissances Arts، توفي سنة 1990م، يُنظر:

Joseph Josy Lévy, *Entretiens avec Jean Benoist « Entre les corps et les dieux itinéraires anthropologiques »*, Un document produit en version numérique par Jean-Marie Tremblay, Classiques des sciences sociales, 2007, [https://www.academia.edu/105150124/Entretiens\\_avec\\_Jean\\_Benoist](https://www.academia.edu/105150124/Entretiens_avec_Jean_Benoist), Date de la visite 11 Août 2024, l'heure 15:38.

(3)-ندوة حول الهوية أقيمت خلال السنة الدراسية 1974-1975م، ونشرت تحت نفس العنوان سنة 1977م، يُنظر: جان ماري بونوا، أوجه الهوية، ترجمة عبد السلام بن عبد العالي، مجلّة الفكر العربي المعاصر، عدد 39، 1986، بيروت، ص 78.

(4)-Jean.Marie. Benoit, *L'identité*, Edition Grasset, Paris, 1997, p 13.

(5)-الزاوي بغورة، الخطاب الفكري في الجزائر بين النقد والتأسيس في التاريخ والهوية والعنف، المرجع السابق، ص 123-124.

لقد طرح الفكر الغربي سؤال الهوية، على الرغم مما يتمتع به من إمكانيات وقدرات هائلة، فما بالك بالفكر العربي الذي شهدت مجتمعاته مختلف أنواع الانحطاط والتمزق والعنف والقطيعة والتشويه، سواءً ضمن تاريخها الوطني، أو خلال صراعها مع الإستعمار، أو أثناء محاولاتها تنمية قدراتها وتحديثها بعد الإستقلال، ومن هذا المنطلق أصبح سؤال الهوية في هذه المجتمعات أكثر من ضروري<sup>(1)</sup>، فالهوية ليست مغلقة أو نهائية بل هي منفتحة ومتطورة، وهي بهذا المعنى أشبه بالدوائر المتداخلة دائمة الحراك، وفي نفس السياق يندرج القول بأن الهويات الجامعة عادة ما تتشكل من هويات فرعية يمكن أن تكون عامل إثراء لها، غير أن تغذية تلك الهويات الفرعية بمشاعر رفض الآخر تقود إلى حالة من الصدام، ولتجاوز حالة الصدام هذه يتوجب التوافق على مجموعة من السمات المشتركة التي تربط بين أفراد الأمة أو المجموعات المتساكنة، وتلك السمات أو العناصر هي التي تشكل مرتكزات الهوية الوطنية أو ثوابتها<sup>(2)</sup>.

ويعر طرح سؤال الهوية عبر سؤال الوجود الذاتي والوعي به، وتحديد كيانه، ومعرفة عناصره وعلاقاته وبنيته وكيافيات تكوينه وتحوله، لكون المدخل المعرفي هو المدخل الصحيح لطرح إشكالية الهوية ومناقشتها وتحليلها مقارنة بالمدخل السياسي والإيديولوجي<sup>(3)</sup>، ولأن المعرفة هي التي تعطي الهوية قوامها وماهيتها، فبالمعرفة يمكننا التمييز بين الطرح الشكلي للهوية الذي لا يعير إهتماماً لمستجدات التاريخ، والطرح التاريخي الموضوعي الذي يرى أن الهوية معطى تاريخي يُعَدَّى دوماً بمضامين جديدة لها المقدرة على التحديد والتعريف على ذاتها في الماضي والحاضر، دون أن تُحمل معرفة غيرها من الهويات، لذا فإن معرفة التاريخ شرط أساسي لمعرفة الهوية والوعي بها<sup>(4)</sup>.  
مما تم عرضه نجد أن مفهوم "الهوية" فلسفياً يُقصد به عين الشيء وتشخيصه و"خصوصيته"، كما أنها قد تأخذ معنى الماهية أو التماثل<sup>(5)</sup>، وهي كذلك حقيقة الشيء من حيث تميزه عن غيره وتسمى أيضاً وحدة الذات، وهناك من أشار إلى أن الهوية عدة أنواع، منها "المنطقية" التي تحدث عنها أرسطو وهي إحدى مبادئ المنطق، و"الهوية الشخصية" التي تُطلق على "هوية الشخص" أو على الموجود المشبه بالشخص ذاتاً واحدة، رغم التغيرات التي تطرأ عليه، ونجد أيضاً الهوية الجزئية وغيرها... إلخ<sup>(6)</sup>.

وعلى الرغم من أن مقومات الهوية تتميز تاريخياً بصفة الثبات، إلا أن هذا لا يعني أنها أمر غير قابل للتغيير والإضافة والتعديل، فعلى العكس من ذلك، فمن أجل ترسيخ مقومات الهوية الوطنية وتثبيتها أكثر وسط المجتمع. وضمان تأقلمها وتفاعلها مع الهويات الأخرى، قد نحتاج إلى إدخال تعديلات أو إضافة بعض المقومات لتعزيز الهوية

(1)-الزاوي بغورة، الخطاب الفكري في الجزائر بين النقد والتأسيس في التاريخ والهوية والعنف، المرجع السابق، ص 124.

(2)-عامر بغدادي، الدولة والهوية في الجزائر، المرجع السابق، ص 76.

(3)-الزاوي بغورة، الخطاب الفكري في الجزائر بين النقد والتأسيس في التاريخ والهوية والعنف، المرجع السابق، ص 124.

(4)-فيصل دراج، في الهوية الثقافية الفلسطينية، مجلة الكرمل، العدد 50، مؤسسة الكرمل الثقافية، فلسطين، شتاء 1997، ص 25.

(5)-وردة بوعائشة، المرجع السابق، ص 67.

(6)-إبراهيم مذكور، المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، القاهرة، 1985، ص 208.



الوطنية، لكن بشرط أن يتم ذلك ضمن أطر مضبوطة تقوم على اختيارات واعية، وفق ما تفرضه الضرورة وما تقتضيه الظروف وتقرره الإرادة الجماعية لأفراد الأمة<sup>(1)</sup>.

**2. الهوية في السياسة:** أخذ مصطلح الهوية معنى سياسي باعتبار أن حدَّ الهوية بضم الهاء "identité" يُترجم حرفياً بالوجود هناك "l'être cela" مما يسمح بأن يُقارن مقارنة غامضة مع المصطلح الهيدغري "dasein"، وهذا المصطلح يحيل إلى المنطق ومبدأ الذاتية أو الهوية أ=أ كمقولة ميتافيزيقية، دالة على الماهية، ولكن ما يميز المصطلح الغموض المعجمي، ويدل في الجانب السياسي لما بعد الحداثة على كل ما يدور يومياً من حدث متصور، لذلك قد يأخذ أحياناً معنى إقصاء الآخر<sup>(2)</sup>.

ووفقاً لمنظور الفكر السياسي المعاصر تُعرف الهوية بوصفها محصلة تفاعلات الجماعة البشرية مع بيئتها في إطار كيان جغرافي مُحدد، تدخل ضمن عملية التفاعلات العديد من العوامل، بعضها يكتسي أدواراً رئيسية في حياة تلك الجماعة والبعض الآخر يكتسي أدواراً ثانوية لكنها مُحددة لمصير الهوية، فمن العوامل الرئيسية الكبرى المحددة لتشكيل الهوية يمكن تلخيصها في العيش المشترك بين الجماعات البشرية ضمن كيان جغرافي مُحدد، فبدون وجود جماعات بشرية تتشارك سبل العيش وبدون فضاء جغرافي واضح المعالم لا يمكن الحديث عن الكيان السياسي المعبر عنه تاريخياً بالدولة، والتي تعيش الجماعة الوطنية ضمن مجالها، تصد عنها المخاطر وتُعلي من شأنها في الماضي والحاضر<sup>(3)</sup>.

وقد تناول الشيخ ابن باديس موضوع الهوية السياسية في معرض حديثه عن الجنسية القومية والجنسية السياسية، ولقد إقترن ظهور مفهوم الهوية سياسياً بظهور القوميات الأوروبية وتوحد الأمم فيها خلال القرن 18م، فقامت الهوية السياسية وقتها على مجموعة المقومات المشتركة كالمجال الجغرافي والتاريخ والثقافة الشعبية، ونظام الحقوق والواجبات<sup>(4)</sup>، والإقتصاد<sup>(5)</sup>، لهذا يُعتبر الشعور بالإنتماء لجماعة بشرية متجانسة تعيش ضمن ذلك الفضاء الجغرافي، سواءً كان شعوراً نابغاً من الإحساس بوحدة أصول الجماعة، أو يُعبر عن تلاحم تاريخي بين مكوناتها رغم تعدد أصولها، صهرته الأحداث ولحمته القرون فأصبحت تلك الجماعة تشعر بوحدة الآلام ووحدة الآمال والرغبة في العيش المشترك<sup>(6)</sup>.

(1)-خير الدين شترة، الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة (1900-1956م)، ج2، المرجع السابق، ص 1514.

(2)-عزيز العظمة ووانغ بين وآخرون، الهوية، ترجمة عبد القادر قيني، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2005، ص ص 17-18.

(3)-عامر بغدادي، الدولة والهوية في الجزائر، المرجع السابق، ص 77.

(4)-هناك علاقة وطيدة تجمع ما بين السياسة والهوية، لكون الحقوق والواجبات عامل مشترك بين أبناء الوطن الواحد، محفوظة في النصوص الدستورية لأي بلد، والحركات السياسية كثيراً ما يكون منطلق تأسيسها هو الإجحاف على مستوى التمتع بالحقوق، إما لشعب الدولة عامة أو لفئة متميزة عن الفئة الأكبر السائدة، لذلك تأتي المطالبة بتطبيق ما نص عليه الدستور من حقوق وفقاً لطرق قانونية منظمة، في شكل حركات سياسية تتخذ من الهوية غطاءً للمطالبة بالحريات والحقوق المهمشة، التي يشترك فيها عامة أفراد الأمة.

(5)-فضيلة شباحية، تطور مفهوم الهوية في الفكر السياسي، المجلة الجزائرية للدراسات السياسية، العدد 02، المجلد 08، المدرسة الوطنية العليا للعلوم

السياسية، الجزائر، 2021، ص 128.

(6)-عامر بغدادي، الدولة والهوية في الجزائر، المرجع السابق، ص ص 77-78.



وفكرة ظهور القوميات وتوحد الشعوب والأمم يجرنا للحديث عن فكرة بناء الدولة التي تتم ضمن هوية خاصة بها، ولها تقاليد وأعرافها في التعامل مع مشكلات المجتمع بما فيها المشكلات السياسية، وكيفية قيامها بنشاطاتها وأدوارها وفقاً لما يتمشى مع حاجيات وآمال أفرادها، وعلماء السياسة الليبراليون أكدوا أن الدولة القوية هي التي تتمتع بالإستقلال<sup>(1)</sup>، والإستقلال هنا يحمل في مضمونه بعداً خاص بإستقلال هوية الأمة والدولة من حيث تميزها في سيادتها السياسية. وإن كانت السياسة غاية بناء فكر الدولة، فإن الهوية الثقافية والفكر الاقتصادي -باعتبار الاقتصاد من المقومات المشتركة لهوية الدولة- يعتبران موجهاً يعمل على تطوير آليات الدولة كي لا تتقوض دعائها<sup>(2)</sup>.

ضف لهذا فإن اللغة تعتبر عاملاً رئيسياً في تمييز الجماعة الوطنية عن غيرها واكتساب خصوصية لها، فاللغة محور الهوية السياسية والحامل لثقافة وقيم الجماعة البشرية للدولة، كما أن الدين يلعب دوراً رئيسياً في تشكل وعي الجماعة الوطنية لا يقل أهمية عن اللغة، من خلال صقل نظرتها للحياة، لكونه موجهاً روحياً للفرد ومؤطراً لتوجهاته ومحدداً لعلاقاته بالآخر، يشحن عواطفه بالتأزر والأخوة مع من يماثلونه في وحدة المعتقد والمقصد، كما أن الأحداث التاريخية الكبرى في حياة الجماعة الوطنية لها دور مفصلي في تشكل الهوية الوطنية السياسية<sup>(3)</sup>، لذلك نجد أغلب الحركات السياسية التي ظهرت عبر التاريخ وناضلت من أجل شعوبها ضد الإستعمار إشتملت في مقومات تكوينها وأهدافها وبرامجها بعدي اللغة والدين، ضف لهذا فإن قيام الأزمات الداخلية في الدول لم يغير من هويتها السياسية فلا نجد نموذجاً لمجتمعات غيرت من دينها أو لغتها الأصلية بعد نهاية الأزمة السياسية وإختلفت عما كانت قبل حدوثها.

ضف لهذا نجد هناك عوامل ثانوية ذات دلالات مفصلية في تشكل الوعي بالهوية الوطنية مثل القيم الثقافية والعادات والتقاليد، وتعتبر ثانوية لأنها عرضة للتغيير المتواصل، فهي أقل ثباتاً في حياة الأفراد مع تعاقب السنين والأجيال واختلاف طبيعة الحياة<sup>(4)</sup>، إلا أن هذه العوامل سواءاً كانت أساسية أو ثانوية لا تغيب في الخطاب السياسي خصوصاً خلال الفترة المعاصرة، والذي تُعتبر الهوية بمفهومها وأبعادها من أهم موضوعاته، عبر مفاهيم متعددة مثل الذات، الشمولية، التفكك... إلخ<sup>(5)</sup>.

وبناءً على هذه العوامل نجد تفاعلها جميعاً أو غالبيتها عبر الحقب التاريخية هو الذي يحدد الهوية الوطنية عبر عملية الصهر التاريخي لها ضمن محيطها، لكن لا بد من التذكير بأن عامل الديمومة والثبات المطلوب في مسألة الهوية

(1)-ميلود عامر حاج، بناء الدولة وإنعكاساته على واقع الدولة القطرية العربية، سلسلة دراسات إستراتيجية، العدد 195، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، 2014، ص 21.

(2)-نفسه، ص 28.

(3)-عامر بغدادي، الدولة والهوية في الجزائر، المرجع السابق، ص 79.

(4)-عامر بغدادي، الدولة والهوية في الجزائر، المرجع السابق، ص 77.

(5)-كريسيديا هايز وإدوارد ن. زالتا، سياسات الهوية، ترجمة لجين محمد نور السوادي، الموسوعة السياسية، <https://political-encyclopedia.org/dictionary/الهوية20%سياسات>.

تاريخ النشر 30 أكتوبر 2021، تاريخ الزيارة 20 جويلية 2024، 11:50.

رغم أهميته إلا أنه يكتسي طابعاً نسبياً، فالمطلق الوحيد هو الله الواحد الأحد الفرد الصمد، وما عداه نسبي الوجود والدلالة، لهذا وانطلاقاً مما ذكرنا فالهوية لا تقوم على عرق بذاته ولا تُؤسس على اللغة وحدها ولا تتشكل ضمن تصور ديني بعينه، ولكن انصهار وتفاعل كل هذه المكونات مجتمعة أو غالبيتها عبر فضاءٍ جغرافي وطيلة حقبةٍ تاريخيةٍ معينةٍ يشكل المحصلة النهائية للتعبير عن الهوية الوطنية<sup>(1)</sup>.

وللإشارة فإن ظهور الهوية كخطاب سياسي كان في العصر الحديث، حسب برهان غليون، الذي رأى أن: "ظهور خطاب الهوية القومية جاء بعد اختيار الخطاب القومي والإيديولوجيات القومية التقليدية، وحل مكان القومية بوصفها خطاباً يعطي للدولة شرعيتها، وقد عرف هذا الخطاب تطوراً دولياً تزامن مع تطور الأنظمة العالمية، وظهور بمفاهيمها الجديدة"<sup>(2)</sup>.

**3. الهوية عند علماء النفس:** تناولت مدارس التحليل النفسي عملية التمايز والهوية الشخصية في المجتمع الغربي من خلال دراستها لظاهرة الهوية في الثقافة الغربية المعاصرة، وخلصت إلى أنها تقوم على هوية "نحن -أنا" فلا توجد هوية "أنا" دون هوية "نحن"، والهوية لا تخرج عن عملية تاريخية وحضارية، تنتقل بالبشرية من الهيمنة الشمولية لي "نحن" إلى حالة متقدمة للتفرد، لكون الفرد لا يوجد إلا ضمن المجتمع<sup>(3)</sup>.

ومن منظور سيكولوجي متميز، يقدم الطبيب والمحلل النفسي "سيغموند فرويد"<sup>(4)</sup> تصوراً ديناميكياً للهوية الشخصية، معتبراً "اللاوعي" الموجه الأساسي "للوعي"، حيث يرى أن "الأنا" يُدير: الأنا الأعلى والهو والواقع، إذن فالهوية الشخصية حسب فرويد تقوم على الصراع والتناقض بين مكوناتها وليس على التطابق، مما يؤدي إلى هدم وتقويض مركزية "الأنا" وتفكيك تطابقه مع ذاته، ما يجعله حاضراً للجانب النفسي والبيولوجي من جهة، والثقافي -القيمي وإكراهات الواقع من جهة أخرى، وفي نفس السياق العلمي نجد الموقف السوسولوجي يؤكد على أهمية الدور الثقافي الاجتماعي في تحديد الهوية الشخصية، وذلك بالحديث عن "هوية شخصية جماعية" تذوب فيها "الهوية الشخصية الفردية"<sup>(5)</sup>.

لذا عُرِفَت الهوية على أنها حقيقة الشيء أو الشخص المطلقة المشتملة على صفاته الجوهرية والتي تميزه عن غيره، ولهذا فإن المعنى العام لكلمة الهوية يشمل التميّز والخصوصية وما يميز فرد أو مجتمع عن غيره من قيم ومقومات

(1)-عامر بغداددي، الدولة والهوية في الجزائر، المرجع السابق، ص ص 79-80.

(2)-محمد سعيد بن أحمدو، موريتانيا بين الانتماء العربي والتوجه الإفريقي "دراسة في إشكالية الهوية السياسية 1960-1993م"، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2003، ص ص 50-51.

(3)-هيثم مناع، أبحاث نقدية في حقوق الإنسان، دار الأهالي، المؤسسة العربية الأوروبية للنشر وأوراب، دمشق، 2002، ص 160.

(4)-سيغموند فرويد: طبيب أعصاب نمساوي ومؤسس التحليل النفسي، ولد سنة 1856م في فريبرج بمورافيا (تشيكوسلوفاكيا)، تخصص في دراسة الأمراض العصبية، إهتم بالتحليل النفسي، أصيب عام 1924م بسرطان في سقف الحلق، لم يشفى منه، وفي عام 1939م أقنع طبيبه الخاص بإعطائه جرعة زائدة من المورفين لإنهاء حياته، خلف عدة مؤلفات منها "الأنا والهو" سنة 1923م، و"عُسر الحضارة" سنة 1930م، للتوسع أكثر يُنظر: سيغموند فرويد، حياتي والتحليل النفسي، ترجمة مصطفى زيور وآخرون، دار المعارف، 1967، ص ص 20-34.

(5)-سيغموند فريد، الموجز في التحليل النفسي، ترجمة سامي محمود علي وعبد السلام قفاش، دون طبعة، مكتبة الأسرة، دون سنة، ص ص 106-107.

(1)، وللهوية أهمية كبيرة نظرًا لما تكونه من رابط روحي ضميري بين الفرد وأمته، فبفضلها يسعى الفرد لإعلاء شأن هذه الأمة ورفع مكانتها بين الأمم، وفي نفس الوقت عليه إدراك مقومات ذاتية أمته والاعتزاز برموزها ومقوماتها وإحترامها والإجلال لها، بهدف الحفاظ عليها والوقوف في مواجهة أسباب الانهيار والتشتت (2).

والهوية الشخصية تعتبر أيضا من المميزات الجسمية للفرد التي ينفرد بها عن باقي الأشخاص. ويمكنه من خلالها التعريف بنفسه لغيره، ويستطيع الناس التعرف عليه وتمييزه عن باقي الأفراد (3)، ومن بين هذه المميزات نجد الاسم واللقب، ملامح الوجه. بصمات الأصابع، والأحبال الصوتية، قزحية العين، بالإضافة إلى أهم عنصر يختلف فيه الأفراد عن بعضهم البعض وهو الحمض النووي (4)، فضلا عن هذه المميزات والخصائص الجسمية فقد أشار رابح تركي إلى أن علماء التربية والنفس قد أضافوا في تعريفهم للهوية الشخصية جملة من الصفات الفردية سواء كانت موروثية أو مكتسبة، وتتعلق أغلبها بالجانب العقلي والخلقي والوجداني والمزاجي، كما لم يهملوا جانب المستوى الاجتماعي للفرد (5).

وذهب الباحث محمد شهيد إلى اعتبار الهوية "منظومة من المعطيات المادية والمعنوية والاجتماعية التي تنطوي على نسق من عمليات التكامل المعرفية"، ما يعني أن مفهوم الهوية لا يكتمل وضوحه إلا إذا ارتبط بمختلف الجوانب السياسية والفكرية والاجتماعية للإنسان، لأنها مجتمعة تشكل شخصية الفرد المستقلة عن غيره (6).

من جهته يرى محمود أمين العالم، أن الهوية الفردية لا يمكن أن تتحقق إلا في ظل الهوية الجماعية للمجتمع ككل، لأن خصوصية الفرد جزء من خصوصية المجتمع الذي ينتمي إليه، والثقافة السائدة في ذلك المجتمع هي الواجهة المعول عليها لتعريف الفرد، لذلك فالهوية هي: "السمة الجوهرية العامة لثقافة مجتمع من المجتمعات، وهي ليست أفنومًا (7) ثابتًا جاهرًا نهائيًا، وإنما هي مشروع مفتوح متطور في المستقبل، أي متشابك متفاعل مع الواقع والتاريخ" (8).

(1)-سلطان بلغيث، تظاهرات أزمة الهوية لدى الشباب، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 05، المجلد 03، عدد خاص، المجالات الاجتماعية في ظل التحولات السيوسيو ثقافية في المجتمع الجزائري، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 2011، ص 350.

(2)-نفسه، ص 351.

(3)-محمد مسلم، المرجع السابق، ص 88.

(4)-أحمد بن نعمان، الردود العلمية على الأطروحات العرقية وتعدد الهوية في الجزائر، المرجع السابق، ص 11.

(5)-رابح تركي، التربية والشخصية الجزائرية، مجلة الأصالة، عدد 4، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، أكتوبر 1971، ص 28.

(6)-محمد شهيد، في قضية الهوية إلتباس المفاهيم عند الإسلام السياسي بالهوية والهوية بين ضيق الإلتزام وسعة الإبداع، مجموعة مؤلفين، تقديم الحاج روان، مراسلون بلا حدود، الرباط، 2016م، ص 27.

(7)- الأفتنوم: الجوهر، والشخص، والأصل، وهي كلمة مشتقة من اللغة السريانية حيث لا يوجد نظير لها في العربية، وقد تحمل عدة معاني منها شخص وطبيعة وذات وكيان وماهية، وهي أكثر إستعمالا عند المسيحيين، يُنظر: معجم المعاني الجامع للغة العربية،

<https://www.almaany.com/ar/dict/ar-a>، بتاريخ 4 جويلية 2024، الساعة 21:30.

(8)-محمود أمين العالم، من نقد الحاضر إلى إبداع المستقبل، دار المستقبل العربي، القاهرة، ط1، 2000م، ص 102-103.

يعتبر "ستوارث هول"<sup>(1)</sup> من الذين إهتموا بالثقافة كعامل أساسي في تشكل الهوية من منطلق أن الهوية ليست مبدأ أولي معد مسبقاً، لأنه لا وجود لجوهر ثابت متماثل مع نفسه، ومن هنا تم تسليط الضوء على دور العوامل والمؤثرات الخارجية في تشكل الهوية الفردية والجماعية، بمعنى الربط بين الخصوصيات الداخلية للفرد، والعوامل المميزة لمحيطة، ونتيجة هذا التفاعل الحاصل بين الذات والآخر تتشكل الهوية<sup>(2)</sup>.

ولكون الفرد لا يمكن أن يستقل كلياً في هويته الشخصية عن الجماعة التي يعيش ضمنها، لوجود خصائص يشترك فيها مع غيره من الأفراد داخل المجتمع الذي ينتمي إليه، ونظراً للاحتكاك الإنساني بين الشعوب والأمم من مختلف أنحاء العالم، كان لزاماً إجراء مقارنة لتحديد أوجه التشابه والاختلاف بين هذه المجتمعات، لذا ظهرت الهوية الاجتماعية التي تعطي في مفهومها تصوراً واضحاً عن "من نحن بالنسبة للآخرين"، وما الذي يميزنا عنهم<sup>(3)</sup>.

### 4. الهوية في علم الاجتماع:

إن مفهوم الهوية قد يأخذ عدة معاني في العلوم الإنسانية والاجتماعية، ففي السوسيولوجيا مثلاً قد نجده يعني على المستوى الفردي حالة ناجمة عن تحديد إداري "بطاقة هويتي" مثلاً، أما كتصور فهي تعني أن يكون الفرد مطابقاً لنفسه في لحظة محددة، وهذا المصطلح سوف يتعقد من الجانب الفردي إلى الجانب الجماعي، وهنا سوف يكون المفهوم قريب من مفهوم التشابه أو التماثل<sup>(4)</sup>، وهي وعي فرد أو جماعة بامتلاك خصائص مميزة لكيونتهم<sup>(5)</sup>.

لقد عُبر على مصطلح الهوية بطرق متعددة تصل حد التناقض أحياناً، وإلى التقارب أحياناً أخرى، إلا أنها رغم هذا تشترك في جدلية الذات والآخر والترايط المزدوج بينهما، فإذا كان البعض من أمثال "إيريك إيريكسون"<sup>(6)</sup>

---

(1)- ستوارث هول: مفكر بريطاني من أصل جمايكي، ولد سنة 1932م، يعتبر أحد الشخصيات البارزة في الدراسات الثقافية بصحبة ريتشارد هوجارت الذي خلفه كرئيس للمركز للدراسات الثقافية المعاصرة في برمنغهام وقام بإعادة إصدار لمجموعة واسعة من نصوصه التي نشرت عام 2007م، عاجلت نصوص ستوارث هول الموضوعات المرتبطة بالأوضاع الثقافية ما بعد الفترة الاستعمارية مثل الهوية والثقافة، توفي عام 2014م، يُنظر:

Jacques Leenhardt, Stuart Hall , Identités et cultures « Politiques des cultural studies », mis en ligne le 21 novembre 2018, consulté le 23 septembre 2020. URL :

<http://journals.openedition.org/critiquedart/27346> ; DOI :

<https://doi.org/10.4000/critiquedart.27346>, Date de la visite 28 juillet 2024, l'heure 22:28.

(2) - عامري بغدادي، الدولة والهوية في الجزائر، المرجع السابق ، ص 75.

(3)- هارلبس وهولبورن، سوسيولوجيا الثقافة والهوية، ترجمة حاتم حميد حسن، دار كيوان، دمشق، سوريا، ط1، 2010، ص ص 93-94.

(4)- جويل كاندو، الذاكرة والهوية، ترجمة وجيه أسعد، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2009، ص ص 24-26.

(5)- صومائيل ب. هنتكتون، من نحن " التحديات التي تواجه الهوية الأمريكية"، ترجمة حسام الدين حضور، دار الحصاد، دمشق، ط1، 2005، ص 37.

(6)- إيريك هامبور إيريكسون: يعتبر واحداً من آخر علماء التحليل النفسي في العصر الحديث، ولد بفراנקفورت بألمانيا سنة 1902م، له ثلاث جنسيات دنماركي، ألماني، أمريكي، اشتهر بنظريته في "التطور الاجتماعي للإنسان"، أكد على دور الأنا بأنه أكثر من خادماً للهو، بحث في مراحل النمو النفسي الاجتماعي، كانت شهرته الحقيقية مع ابتكاره لمفهوم أزمة الهوية، أستدعي للعمل كأستاذ لعلم نفس النمو في جامعة هارفارد في كامبردج، وأصدر عدة مؤلفات، رغم تخصصه في التحليل النفسي إلا أنه أبدى إهتماماً بعدة مواضيع أبانت عن الجانب الإنساني في شخصيته، ورأى أنه على

و"جورج ميد"<sup>(1)</sup> يذهبون في اتجاه أن الهوية إحساس ذاتي ومقوي للوحدة الشخصية وللإستمرارية الزمنية، وهو شعور ينم عن الحاجة إلى المشاركة، فإن البعض الآخر انساقو وراء الاتجاه الفرويدي الذي ركز على إثارة صراع العلاقات، وهو ما ذهب إليه "جان بياجي"<sup>(2)</sup> عندما ركز على عملية التنشئة الاجتماعية انطلاقاً من طبيعتها المعرفية والعاطفية والتعبيرية والتي تستخدم اللغة لتواصل الأفراد مع الآخرين، وتسمح لهم بالتعبير عن انتمائهم الى مجموعات معينة ونبذ غيرها<sup>(3)</sup>، ونفس القرارات تتخذ بالنسبة للآخر فيما الارتباط أو العدوانية، أو إلى "النحن" أي الانضمام، فنحن أمام علاقات إنسانية يبذل الشخص جهده للتوافق بين القوى الداخلية والخارجية، بين ما هو له وبين ما يمثل بالنسبة للآخرين<sup>(4)</sup>، لذلك فالهوية من هذا المنظور الاجتماعي ربطت الحالة الاجتماعية للفرد بالحالة الاجتماعية للأمة التي ينتمي إليها، وبالتالي فالنتاج الحضاري للفرد والأمة متلازمان<sup>(5)</sup>.

كما أن علماء الاجتماع قدموا تعريف للهوية من منطلق اجتماعي بحث، على أنها الإلتواء بكل أشكاله، الذي يمنح للذات خصوصية عن غيرها، إذ أن الفرد الذي ينتمي إلى مجتمع مدني له خصائص ومميزات وقيم ومقومات مشتركة، ويعتبر الباحث الفرنسي في علم الاجتماع "أليكس موتشيلي" (Alex Mucchielli)<sup>(6)</sup> في كتابه

---

الإنسانية إدراك أنها نوع من المخلوقات المتساوية الحقوق لذلك عليها تجاوز العداوات اللامنتظية بين الشعوب والأعراق والجماعات الدينية، توفي سنة 1994م، للتوسع أكثر يُنظر: بيتر كوزن، البحث عن الهوية" الهوية وتشتتها في حياة إيريك إيركسون وأعماله"، ترجمة سامر جميل رضوان، دار الكتاب الجامعي، 2010، ص ص 23-82.

(1)-جورج هيربرت ميد: فيلسوف أمريكي، ولد عام 1863م في جنوب هادلي (ماساتشوستس)، يعد أحد أكثر المفكرين المهمين في علم الاجتماع وحالة استثنائية مع أوائل القرن العشرين، هو الكلاسيكي الاجتماعي الوحيد الذي لم يكتب كتاباً أبداً لنفسه، في مقابل كتابته بانتظام للمجلات العلمية والصحف، وحتى هذه المقالات لم يجمعها في كتاب واحد، إنتقل إلى جامعة شيكاغو سنة 1894م كأستاذ مساعد في قسم الفلسفة، ثم رئيساً للجامعة فيما بعد، توفي سنة 1931م بسبب قصور في القلب، يُنظر:

Filipe Carreira da Silva, G. H. Mead a Reader, Routledge, New York, 2011, p p 10-25.

(2)-جان بياجي: عالم نفسي وفيلسوف ومنطقي سويسري، وأستاذ بجامعة جنيف، ولد سنة 1896م، وضع نظرية تكوين العقل، وتركت أفكاره السيكولوجية والمنطقية في نظريته في "المعرفة التكوينية" تقوم على أساس النقد التاريخي لتحليل المعرفة، ويرى معرفة تطور الذات بموضوع ما يجعلها أكثر ثباتاً وإستقراراً. يُنظر: روزنتال ويودين، المرجع السابق، ص 96.

(3)-جيل فيريول، معجم مصطلحات علم الاجتماع، ترجمة وتقديم أنسام محمد الأسعد، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط 1، 2011، ص 100-101.

(4)-نفسه، ص 102.

(5) -محمد العربي ولد خليفة، المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2003م، ص 80.

(6)-أليكس موتشيلي: عالم اجتماع وفيلسوف وفيزيائي وعالم كمبيوتر فرنسي ولد عام 1943م في الجزائر نت عائلة كورسيكية، وكان أستاذا في جامعة بول فاليري مونبلييه الثالث لمدة 28 عامًا وهو مؤسس علوم المعلومات والاتصالات عام 1989م، تعتبر نظريته في التواصل جزءاً من تراث مدرسة باولو ألتو، أسس موقع للتعليم عن بعد عام 2009م لتنفيذ مفاهيمه التعليمية، وهو المدير المؤسس لمركز الدراسات والأبحاث المعلومات والاتصالات (CERIC) من جامعة بول فاليري مونبلييه الثالث، مركز أبحاث متخصص في نظرية المعرفة للعلوم الاتصال وتطبيقات القراءات الاتصالية الجديدة استخدامات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات والاتصالات التنظيمية والإدارية. وهو مؤلف العديد من أعمال النظرية والتعميم حول الاتصالات التي تقترح تجديد النهج اتجاه ظاهرة التواصل. يُنظر:

Alex Mucchielli, L'art D'influencer, <http://capesdocte.wdfiles.com/local-->

[files/fiches/Mucchielli\\_A\\_art\\_influencer.pdf](http://files/fiches/Mucchielli_A_art_influencer.pdf), Date de la visite: 05 juin 2024, l'heure 13:11. et

aussi : Mohamed Chaoui, Alex Mucchielli « Approche systémique et communicationnelle des

"الهوية" (L'identité) ، أن الهوية الاجتماعية هي: "مجموع الخصائص التي تسمح بإعطاء تعريف اجتماعي للشخص أو الجماعة، بمعنى التي تسمح لنا بوضعه في مجتمعه، وتعرفها فهي هوية منسوبة توافقية، يشترك فيها عدد كبير من أفراد المجتمع، (وهو من عوامل تماسك الهوية الثقافية) وبالتالي فإن الهوية الاجتماعية تعني الانتماء...".<sup>(1)</sup>

ومن الناحية الأنثروبولوجية، نجد الهوية تأسس لعلاقة ارتباط ما بين المجتمع والتاريخ والثقافة، فقد خلصت الدراسات إلى اعتبار الثقافة تنظيم متداخل ومعقد لفكر اجتماعي حقيقي، يتضمن مختلف التصورات الخاصة بالعالم، وهو ما أشار إليه المفكر الجزائري "نور الدين جباب"<sup>(2)</sup>، حيث يرى أن الهوية الثقافية عبارة عن منتج تاريخي ساهمت في تكوينه عوامل مختلفة اجتماعية واقتصادية وثقافية، سواء كانت داخلية أو خارجية، لذا فالبُعد الثقافي له دورٌ في تشكل الهوية الجماعية أو العرقية، من خلال الانتماء لجماعة معينة، كما أن الهوية العرقية حسب "برنارد" (Bernard)<sup>(3)</sup> تعني الرجوع إلى التاريخ والأصل الأول والوحيد لجميع الأفراد، في شكل ثقافي مشترك يمثل نواة الهوية الجماعية، تكون فيه اللغة والدين أو العادات المرتبطة تاريخياً بهذا العرق، "والهوية الجَمْعِيَّة هي أساس كل أنواع الهويات، لأنها تُرسي الشعور بالهوية من خلال الشهور بالانتماء أو الشعور بالقيمة المرجعية، لأن الهوية الجماعية تعتبر عنصر تجانس وتماسك للمجتمع"<sup>(4)</sup>.

### 5. الهوية في التاريخ:

من المؤرخين الجزائريين الذين تطرقوا إلى مصطلح الهوية نجد مولود قاسم نايت بلقاسم<sup>(5)</sup>، الذي يُفضل استعمال مصطلح "الإنية" بدل الهوية، نظراً لتعبيرها الدقيق عن أصالة الإِنتماء الجزائري ووحدته العرقية، فالإنية هنا

---

organisations "Armond Colin 1998 », <http://www.sietmanagement.fr/wp-content/uploads/2016/04/mucchielli.pdf> , Date de la visite: 05 juin 2024, l'heure 14:05.

(1)-Alex Mucchielli, L'identité, Edition Actualisée, Paris ,4ème édition mise à jour, 1999, pp87- 88.

(2)-محمد نور الدين جباب: دكتور وباحث جزائري متخصص في الفلسفة.

(3) -برنارد سلفستر: يعرف برنار دي تور، فيلسوف فرنسي كتب باللاتينية، عاش خلال القرن 12م، كان قريباً بروحه من المدرسة الشارترية حتى خلط المؤرخون بينه وبين برنار الشارترى، له مؤلفات في النثر والشعر حول الكون الجامع أو العالم الأكبر والعالم الأصغر، من مقولاته أن للعالم مبدأين: الوحدة "الله" والكثرة "المادة"، يُنظر: جورج طرابيشي، المرجع السابق، ص 168.

(4)-فتيحة كركوش، إشكالية الهوية النفسية الاجتماعية، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، العدد 16، المجلد 16، جامعة ورقلة، الجزائر، 2014، (ص ص 267-278)، ص 276.

(5)-مولود قاسم نايت بلقاسم: ولد سنة 1927م بأقرب ولاية بجاية، حفظ القرآن منذ الصغر، نهل العلوم الشرعية وعلوم اللغة من العلامة الشيخ محمد الطاهر آيت عجلت، واصل تعليمه في مدرسة التربية والتعليم التابعة لجمعية العلماء المسلمين ، ثم جامع الزيتونة سنة 1946م، ثم جامعة القاهرة سنة 1950م، نال شهادة الليسانس في الفلسفة بامتياز سنة 1954م، حضر رسالة الدكتوراه في الفلسفة حول موضوع "الحرية عند المعتزلة" في جامعة باريس، لكن ظروف الكفاح المسلح أجبرته على الانتقال إلى ألمانيا لإنهاء رسالته التي تحول موضوعها إلى "مبدأ الحرية عند كانط" غير أن الظروف والمسؤوليات تجاه الثورة التحريرية حالت دون إنهاء رسالته، فتفرغ للعمل السياسي والجهاد، أجاد 9 لغات، تقلد عدة مسؤوليات بعد الإستقلال، وألف عدة كتب ومقالات في الفكر والثقافة والتاريخ وأنشأ عدة مدارس للتعليم الأصلي، وجاهد لتعميم استعمال اللغة الوطنية، أسس المجلس الإسلامي



هي مجموعة المقومات التي يمكن الإعتماد عليها في تحديد خصائص الشخصية الجزائرية، وضبطها في الدين واللغة، والتاريخ<sup>(1)</sup>.

فيما وصل أحمد النعمان إلى إدراك أن الهوية هي إسم لكيان أو وجود معين، سواءً كان وجود متعلق بفرد، أو كان وجودًا متعلقًا بشعب أو أمة، انطلاقًا من مقومات وخصائص تميزها عن غيرها، وهو ما يمنح صاحب الهوية إدراكًا واضحًا لا يدع مجالاً لامكانية الإشتباه مع من قد يماثلونه، فهذه الخصائص والمميزات والمقومات لا بد أن تكون متفردة<sup>(2)</sup>.

بالعودة إلى مفهوم الهوية عند الباحثين الجزائريين نجد أن سمة الاختلاف في ضبط المفهوم تبقى حاضرة عندهم أيضًا، فمحمد العربي ولد خليفة أشار إلى فكرة غموض المفهوم وصعوبة ضبط حدوده مرده إلى: "أن الهوية في حد ذاتها تعريف، ولا جدوى من تعريف التعريف"<sup>(3)</sup> فيما يعيدنا المفكر الجزائري مالك بن نبي<sup>(4)</sup> إلى فكرة التداخل بين الهوية والثقافة إذ يعتبر الثقافة هي نفسها الهوية، حيث يرى أن الثقافة هي الجانب السلوكي للفرد وهي غير محصورة في المدرسة فقط، بل تتوسع حلقة دائرتها إلى البيئة والأرض التي يعيش فيها الفرد، ويستلهم منها سلوكياته وتصرفاته الشخصية، إنطلاقًا مما تعلمه خلال مراحل نموه من جذور الحياة الثقافية للمجتمع من دين ولغة وتقاليد، وهي لا تأخذ بالتلقين والتعلم ولكن تأخذ بالممارسة والتذكر، لأن الثقافة تشمل جميع ما بقي عالمًا في شخصية الفرد عندما تزول جميع الأشياء، ومن بين ما يبقى نجد الانتماء والدين واللغة وهي المعايير التي تحدد الانتماء الأصلي للفرد<sup>(5)</sup>.

الأعلى، والمجلس الأعلى للغة العربية، توفي سنة 1992م، يُنظر: مولود قاسم نAIT بلقاسم، أصالية أم انفصالية، ج1، دار الأمة، الجزائر، 2013. يُنظر أيضًا: محمد الصالح الصديق، الأستاذ مولود قاسم نAIT بلقاسم "خواطر وذكريات ومواقف وشهادات"، ط2، دار الأمل، الجزائر، 2004، ص ص 15-18، رابع خدوسي، موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، دار الحضارة، الجزائر، 2003، ص ص 270-271. (1)-مولود قاسم نAIT بلقاسم، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل 1830م، ج2، ط2، دار الأمة، برج الكيفان، الجزائر، 2007، ص 366.

(2)-أحمد النعمان، الهوية الوطنية الحقائق والمغالطات، المرجع السابق، ص 10.

(3)-أحمد بروال ويوسف مقارمة، جهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الحفاظ على الهوية الوطنية، مجلة الإحياء، العدد 22، المجلد 18، كلية العلوم الإسلامية، جامعة باتنة 01، الجزائر، سبتمبر 2019، ص 710.

(4)-مالك بن نبي: مفكر جزائري من مواليد 1905م بقسنطينة، بعد إتمام دراسته الثانوية انتقل إلى باريس إلا أن الإدارة الفرنسية منعتة من الالتحاق بمعهد الدراسات الشرقية، فأكمل دراسته في مدرسة اللاسلكي وتخرج مهندسًا كهربائيًا سنة 1935م، عكف بالموازاة مع ذلك على توعية العمال المغاربة وتوسع نشاطه بإحتكاكه مع الشخصيات الوطنية والأجنبية ما جعل السلطات الفرنسية تضيق الخناق عليه، فانتقل إلى مصر سنة 1956م ليتفرغ للكتابة والترجمة، تواصل مع عدة طلبة وسافر إلى عدة دول لشرح عدالة القضية الجزائرية، عاد إلى الجزائر سنة 1963م وشغل منصب مدير جامعة الجزائر وطالب بإنشاء مدرسة جزائرية مستقلة لعلم الاجتماع، استقال سنة 1967م ليتفرغ للبحث الفكري، توفي سنة 1973م مخلفًا عدة مؤلفات منها: شروط النهضة، الظاهرة القرآنية، مذكرات شاهد على القرن، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، يُنظر: رابع خدوسي، المرجع السابق، ص 18، أيضًا: روزنتال ويودين، المرجع السابق، ص 35، عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، المرجع السابق، ص 282.

(5) - مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر المعاصر، دمشق، سوريا، ط4، 2000، ص 73-74. يُنظر أيضًا ص 135.



من جهته السياسي محفوظ نخاح قدم تعريفاً للهوية قائلاً: "تلك العوامل التي أثرت بشكل فاعل وحاسم في تكوين كيان الشعب ورسم ملامحه المميزة وهي بشكل عام: الدين، اللغة، الموقع الجغرافي، الانتماء العرقي... أو بعبارة أوضح الهوية بمكوناتها وعناصرها المختلفة أي تلك القيم والأفكار والمبادئ الكبرى التي شكلت الحس المشترك وتبلور في إطارها الضمير الجماعي للشعب"<sup>(1)</sup>، ما يعني أنه لا يمكن أن نتبين مفهوم الهوية إلا من خلال مقوماتها المحددة لها، فالدين واللغة والموقع الجغرافي، تُعتبر عوامل مهمة في تكوين شخصية الفرد وفي نطاق أوسع الأمة، لذلك فالفرد لا يكون مُعرِّفاً إلا بهذه المقومات وهو نفس ما يقال عن الأمة<sup>(2)</sup>.

كما أن للهوية علاقة بعدة مصطلحات أخرى كالثقافة واللغة والانتماء والدولة والمجتمع، فقد ارتبط مفهوم الهوية بالمسألة الثقافية بما في ذلك الأداة الأولى المعبرة عنها وهي اللغة، وحازت هذه العلاقة الثلاثية على اهتمامات الباحثين في العلوم الاجتماعية منذ النصف الثاني من القرن العشرين، سواءً الهوية الثقافية أو الهوية الوطنية، وهو ما يفسر ظاهرة الحروب والصراعات والنجاحات والإخفاقات التي عرفتتها الدول والأنظمة السياسية، وهناك من علماء السياسة والاجتماع والنقاد المتخصصين من أرجع أزمة الثقافة إلى كونها في حقيقتها هي أزمة الهوية<sup>(3)</sup>.

وإذا كان نموذج الأمة- الدولة قد نجح في التوحيد الثقافي ضمن هوية مركزية ذات أرضية مرجعية مقبولة من طرف غالبية المنتسبين للأمة-الدولة، فإن الأمر خلال الثلث الأخير من القرن الماضي عرف انفجاراً للهوية المركزية وانقسامها إلى هويات جزئية تنتمي إلى ثقافات فرعية، تتخذ من عامل واحد أو عدة عوامل غالبية المنطلق الذي تحتج به لبناء هوية منفصلة، ما ينذر بعودة العرقية والاثنية، ويمكن أرجاع سبب ذلك إما لضعف الدولة-الأمة، أو إضعافها عمداً، أو أن يكون السبب راجع إلى إفرازات الشمولية الكونية وتأثيرات العولمة وما خلفته من سياسات فوق وطنية، تعمل على نمذجة وتنميط الثقافة في قالب واحد، وبالتالي إذابة الهوية الوطنية، ودمج الثقافات الفرعية وما تحمله من خصوصيات محلية<sup>(4)</sup>.

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو سبب انتشار ظاهرة تزايد ابراز الفروقات والاختلافات داخل المجال الثقافي والتاريخي لمجتمع وأمة واحدة تتمتع بعدة عوامل جامعة لأفرادها أكثر من احتوائها على عوامل مفرقة لهم، وعلاقة ذلك بالديمقراطية، ودعوة الإيديولوجيين للتعددية الثقافية أو ما اصطلح عليه بـ "الهويات المرنة" نظراً لتقبلها الآخر، وإمكانية تحولها إليه وتبنيها لهويته<sup>(5)</sup>.

إن التاريخ هو المعبر الوحيد الذي يصل الماضي بالحاضر والمستقبل، وقد حضي منذ القدم بعناية المفكرين الذين توقفوا عنده كثيراً باعتباره مجموع المعارف المصاغة علمياً عن الماضي الإنساني، الذي يحتاج تفسيره إلى

(1) -محفوظ نخاح، الجزائر المنشودة (المعادلة المفقودة ... الإسلام، الوطنية، الديمقراطية)، دون دار نشر، دون سنة، ص 80.

(2) - أحمد بربال ويوسف مقارمة، المرجع السابق، ص 711-712.

(3) -محمد العربي ولد خليفة، المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية، المرجع السابق، ص 113.

(4) -محمد العربي ولد خليفة، المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية، المرجع السابق، ص 114.

(5) -نفسه، ص 114-115.

منهجية خاصة، ويعتبر ابن خلدون<sup>(1)</sup> أول من عنى بهذا الأمر عندما أخضع الكتابة التاريخية إلى ضوابط ومقاييس لا بد من العودة إليها عند التعامل مع الخبر واستنطاق النصوص التاريخية بحثاً عن أسبابه العميقة وكيفية وقوعه قبل إصدار الأحكام، لأن معرفة التاريخ وسيلة لغرس حب الوطن في نفوس الأجيال المتلاحقة، وهو الإسمت الذي يدعم وحدة الأمة ويعزز تماسكها ويوطد أركانها مما يعطيها في الداخل تصوراً واحداً للحياة ويبرزها للخارج إرادة موحدة وعزماً صارماً<sup>(2)</sup>.

استعصى على الباحثين تحديد تعريف واضح ودقيق لمفهوم الهوية بسبب: "أن الهوية في حد ذاتها تعريف ولا جدوى تعريف التعريف، أي تقديم تعريفين إذ أن الثاني يصبح هو التعريف الأول، إما ناقص وإما مرفوض"، وهو ما ذهب إليه الفيلسوف ج. أوستن (J. Austin)<sup>(3)</sup> في بحثه المعنون بـ: "الحقيقة" (Truth) سنة 1961م، إذ قال أن: "ما هو (هو هو) أو ما هو نفسه لا يعرف (Toautom idem)"، وهو ما يبين أن "أوستن" لخص إشكالية الهوية كموضوع للتفكير الفلسفي منذ أقدم العصور إلى يومنا الحالي، والجدل الذي دار حول مدلول المصطلح رغم الخلاف الزمني للمفردات التي وُظِّفت للتعبير عنه مثل ماهية، جوهر-إنية-ذات... إلخ، إلا أن ما ميز الفكر الفلسفي هو بحثه فيما هو وجودي، بناءً على وحدته الداخلية وثباته في الزمان والمكان ونقله للمجال المعرفي<sup>(4)</sup>.

لذا فمفهوم الهوية عرف اتساعاً وتنوعاً من الناحية اللغوية، ووقف معناه عند فكرة "ذات الشيء وماهيته"، ويرجع هذا التنوع إلى اختلاف المعنى من علم لآخر، ففي علم الاجتماع مثلاً تأخذ معنى فردي أو جماعي، وفي الجانب السياسي تعبر عن الديمقراطية، أما على المستوى النفسي فتربط "بالذات والشخص"، ورغم أن هذه المفاهيم قريبة من المفهوم الفلسفي، إلا أنها تبقى كلمة غير عربية، وفي أكثر معانيها تشير إلى مبدأ "الهوية المنطقي"

(1)- عبد الرحمن بن خلدون: هو أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، فيلسوف وعالم إجتماع ومؤرخ الأول للعرمان البشري، يعتبر من كبار رواد العلم الحديث، ولد في تونس سنة 1332م من أسرة متضلعة بالثقافة الإسلامية، أرغمه الصراع بين الحفصيين والمرينيين على مغادرة بلاده طالباً الخلو بالجزائر، فاختار قلعة ابن سلامة التي حرر فيها "المقدمة"، إستفتح بها كتابه في التاريخ أيام العرب والعجم والبربر، رحل إلى مصر عام 1382م لدراسة الفقه المالكي وتولى القضاء وبعض المهام الدبلوماسية، ثم إنتقل إلى دمشق سنة 1401م، وحرر خلالها كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، كما حرر سيرته الذاتية، توفي بالقاهرة سنة 1406م، عالج فكره الحياة المضطربة لبلدان المغرب العربي والتطور التاريخي للإسلام، كان غرضه وضع منهج لمعرفة الماضي، والنقد الناجع والواقعي للماضي، لإصلاح المجتمع، يُنظر: روزنتال ويودين، المرجع السابق، ص ص 21-22.

(2)- محمد العربي الزيري، أسباب فشل نظام الحكم في إعادة بناء الدولة الجزائرية، دار بقاء للنشر والتوزيع، الجزائر، ط01، 2021، ص ص 39-40.

(3)- أوستن جون لانغشو: فيلسوف إنجليزي ولد سنة 1911م في لانكستر، مثل المدرسة التحليلية المعروفة بـ "مدرسة اللغة العادية" و "مدرسة أوكسفورد"، وجه بحثه نحو الإستعمال اللغوي العامي والجمعي، وقدم تقصيات دقيقة حول منطوق الكلام، لخصها في كتابه "كيف نفعل الأشياء بالكلمات؟"، وفي كتابه "المعنى والحساسية"، شلح فيه كيفية إستعمال الألفاظ، توفي في أوكسفورد سنة 1960م، يُنظر: جورج طرابيشي، المرجع السابق، ص 117.

(4)- محمد العربي ولد خليفة، المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية، المرجع السابق، ص ص 111-112.

عند أرسطو، والذي يعني أن أ=أ، هذا المعنى الذي ساد حتى العصر الحديث، ولكنه سوف يعرف تحولاً وتغيراً مع التيار البنيوي المعاصر، أو ما عُرف بفلاسفة الاختلاف<sup>(1)</sup>.

### المبحث الثاني: المعالم المشتركة للهوية الوطنية بين الأمم.

لكل مجتمع أو أمة هويتها الخاصة بما فلا يمكن أن نجد أمة دون أن تكون لها هويتها الوطنية، ومن هذا المنطلق نجد أن الباحثين أكدوا على وجود جملة من المقومات التي تقوم عليها الهوية الوطنية لأي مجتمع من المجتمعات، وأوضحوا أن المقومات الوطنية تختلف من أمة لأخرى، تبعاً لاختلاف التاريخ والأحداث التي مرت عليها وتفاعلت معها في محيطها الجغرافي<sup>(2)</sup>، والتي كان لها تأثير كبير في صقل شخصيتها وهويتها الوطنية لتصبح متميزة عن باقي الأمم، مثلما يتميز الفرد عن غيره داخل المجتمع الواحد<sup>(3)</sup>.

ومن بين مقومات الهوية الوطنية التي اتفق عليها الباحثون في علم الاجتماع نجد اللغة المشتركة، الوطن والتاريخ المشترك، الثقافة القومية المشتركة<sup>(4)</sup>، وقد تم تصنيف هذه المقومات إلى نوعين، منها ما هو ثابت ويتعلق بالإطار الجغرافي المشترك والبنية الواحدة مثلاً، ومنها ما هو متغير وقابل للتطور والتعديل ويتعلق باللغة الوطنية، والمصالح المشتركة والضمير الجماعي، والماضي المشترك وغيرها من الثوابت<sup>(5)</sup>. ونلخص هذه المقومات فيما يلي:

### المطلب الأول: الدين.

يعتبر الدين في أي مجتمع هو المعلم الأول من معالم الهوية الوطنية لأي أمة. بالرغم من أنه أثار جدلاً كبيراً بين مختلف الأمم من حيث درجة أهميته كمقوم للهوية الوطنية للمجتمعات، لكون وحدة الدين لا تعد أن تكون مقياساً يعتد به لدى جميع الأمم، ولا أن تكون شرطاً أساسياً لاستكمال بناء قوميتها، لذا فقد اختلفت درجة أهمية هذا المقوم من أمة لأخرى، فهناك من الأمم من أعطاه حقه من الأهمية حتى وضعه في مقدمة المرتكزات التي تقوم عليها الشخصية الوطنية للأمة، فيما تجاهله البعض الآخر ولم يوليه أي إهتمام ضمن المقومات الهويةانية للأمة، إلا أن الأمر المؤكد أن هذا العنصر له المقدرة الكافية على جمع قلوب أفراد المجتمع الواحد على عقيدة الإيمان الواحد، ما يساهم في توحيد صفوفهم وكلمتهم وآمالهم المشتركة<sup>(6)</sup>.

### المطلب الثاني: الوطن والرقعة الجغرافية.

اجتمعت المقاربات الفلسفية التي عاجلت إشكالية الهوية على فكرة أن الهوية هي المحدد الوحيد لأصل الشعوب، فلكل شعب هويته الخاصة به، والتي تعبر عن كيانه المتميز عن باقي الشعوب، إلا أن هذا الطرح عارضه البعض برفضهم فكرة وجود هوية ثابتة لدى جميع الشعوب، لكون الهوية النقية لا يمكن العثور عليها بالعودة إلى

(1)-وردة بوعائشة، الهوية والاختلاف في فلسفة إيمانويل ليفانس، المرجع السابق، ص 69.

(2)-أحمد النعمان، الهوية الوطنية الحقائق والمغالطات، المرجع السابق، ص 10.

(3)-أحمد النعمان، الردود العلمية على الأطروحات العرقية وتعدد الهوية في الجزائر، المرجع السابق، ص 23.

(4)-رابح تركي، التربية والشخصية الجزائرية، مجلة الأصالة، عدد 4، المرجع السابق، ص 29.

(5)-جمال قنان، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والاشهار، روية، الجزائر، 1994، ص 297.

(6)-جمال قنان، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، المرجع السابق، ص ص 293-294.

تاريخ تكون الهويات في العالم، لأن الهوية لم تعرف الاستقرار والثبات في تكوينها، بل على العكس من ذلك شهدت مراحل من الترحال عبر الأماكن، إلى درجة أصبح من الصعوبة إيجاد هوية نقية، لم تخضع لعامل التأثير بباقي الهويات<sup>(1)</sup>.

إذا ما عدنا إلى القرون الماضية نلاحظ أن مفهوم الهوية تطور في أوروبا من خلال ظهور فكرة القوميات والدول القومية، خلال القرن الثامن عشر ميلادي، إذ أصبحت هوية الشخص وقتها ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالدولة ككيان سياسي مستقل بذاته على رقعة جغرافية معينة<sup>(2)</sup>، لكون بناء الدولة من المنظور التقليدي كان يتم عبر هوية المجتمع وتقاليده وأعرافه السائدة بين أفرادها<sup>(3)</sup>.

وتعتبر الأرض بمثابة المرتكز الأساسي في تكوين الدول وبناء وجودها، واستمراريتها، ومن محددات هوية الشعب الذي يعيش فيها، ويشعر بالانتماء لها، فهوية الأرض هي المحدد لهوية الدولة التي تستقي مفهومها من الجغرافيا التي تكونت عليها، وتعكس تميزها والناطقة باسمها، فلا يمكن تصور وجود هوية للدولة مختلفة عن هوية الأرض التي تنتمي إليها، عدا الحالة الاستعمارية أين يستند المستعمر على القوة لفرض سلطته كطرف دخيل على الأرض التي تم إحتلالها غصبا عن أهلها الأصليين<sup>(4)</sup>.

بالإضافة إلى أن الوحدة الإقليمية للدولة على اختلاف خصائصها ومكوناتها البشرية والطبيعية، تعتبر عاملاً مهماً في تحديد هوية الجماعة الوطنية، بالمقارنة مع جماعات أخرى، إلا في حالة التقاطع المقصود في الإحساس بالهوية المحلية في دولة معينة تعزيراً للغة وعقيدة تخص إقليم محلي من الدولة، زيادة على الشعور أو التصور للأصل المختلف، "فتكون سلطة ومؤسسات الدولة بهذا الشكل ضعيفة ينتج عنها مطالبة بالإنفصال من قبل زعامات محلية تدعمها قوى خارجية"<sup>(5)</sup>، فيظهر في شكل حروب أهلية.

مما سبق يتبين أن الأرض باعتبارها إقليم جغرافي بمثابة مُقوم مهم في تحديد ملامح الدول في العالم، لما لها من تأثير على النظام السياسي المتبع من جهة وعلى باقي التفاعلات الاجتماعية الحاصلة بين أفراد الأمة الواحدة إلى حد كبير<sup>(6)</sup>، وقد أكد "راتزل" على أهمية الحيز الجغرافي في بناء هوية الدولة قائلاً: "إن ما أسميه شعباً هو تجمع سياسي من المجموعات والأفراد، ليسوا في حاجة لكي يرتبطوا عبر عرق أو لغة، ولكن عبر فضاء مشترك، إن الشعب هو الأرض الواحدة المشتركة"<sup>(7)</sup>.

(1)- بدة فوزية وعبد الحليم بلوهم، المرجع السابق، ص 489.

(2)- عبد السلام موكيل، المواطنة وسياس الدولة والهوية "مقاربة فكرية ومعرفية بين الفكر السياسي المعاصر والمنظور الإسلامي، مجلة تاريخ العلوم، العدد 01، المجلد 01، جامعة زيان عاشور، الجلفة، الجزائر، 2016، ص 37.

(3)- ميلود عامر حاج، بناء الدولة وإنعكاسه على واقع الدولة القطرية العربية، دراسات استراتيجية، العدد 195، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، الإمارات العربية المتحدة، 2014، ص 21.

(4)- محمد بودهان، المرجع السابق، ص 29-30.

(5)- محمد سعيد بن أحمدو، المرجع السابق، ص 39.

(6)- مشاور صيفي، دور الجغرافيا السياسية في تكوين الدولة في منطقة الساحل الإفريقي، مجلة الحوار الفكري، العدد 12، الجزائر، 2016، ص 211.

(7)- نفسه، ص 215.

### المطلب الثالث: التاريخ المشترك وراهن الأمة.

إن تاريخ الأمة الموحدة وما مر عليها من أحداث ومحن وانتصارات، يعتبر أحد المعالم التي تجمع أفرادها وتغذي ارتباطهم ببعضهم البعض. لذا فالتاريخ المشترك يمثل مقومًا أساسيًا لهوية أي أمة من الأمم في العالم، فهو الذاكرة التي تحكي وتسرد ما قام به الأجداد، وهو الذي يكتب الأجداد والبطولات التي قامت بها الأجيال السابقة من أجل الحفاظ على الوطن، وهو الذي يشهد على التضحيات التي قدمتها في سبيل أن تستمر الأجيال اللاحقة<sup>(1)</sup>، لهذا فإنه أمتن رباط يمكنه أن يجمع بين أفراد الأمة الواحدة ويوحد قلوبهم، وهو من أهم المقومات التي تبرز الشخصية المستقلة للأمة وتعطيها إنفرادا ذاتيا خاصة بها وحدها، وكيانا حضاريا متميزا عن باقي الأمم والشعوب، ودليلا واضحا على حضورها الدائم والمستمر عبر مختلف الحقب التاريخية<sup>(2)</sup>.

ومن هذا المنطلق نجد أن الغرب قدسوا التاريخ وأعطوه مكانة توازي مكانة الدين. أمثال الفيلسوف الألماني "فيخته" الذي قال: "التاريخ يُحِبُّ كالإنجيل يُلْقَنُ للصغار ويُدرَسُ للكبار بنفس التقديس والإجلال"<sup>(3)</sup>، لهذا السبب نجد الأمم تعود كلها إلى تاريخها الوطني الذي مرت به عبر وجودها الموهل في الماضي البعيد، لترسيخ البعد الوطني في هويتها القومية.

إن مناقشة مشكلة الهوية والهوية الوطنية لا يمكن أن يتم إلا على صعيدي التصور النظري والتحقيق التاريخي، حيث تطرح مسألة التصور بما يحتويه من مكونات وخصائص وعلاقات ومكانة ووظائف، تقوم بها على الصعيد النظري، أما على صعيد التحقيق والبحث التاريخي فتعالج جملة المشكلات التي تواجهها كل كتابة تاريخية، كصعوبة الموضوعية والانتقاء والأدلة والتأويل والتفسير والتوظيف السياسي والإيديولوجي، خاصة وأن مسألة الهوية يلتقي فيها السياسي والإيديولوجي بشكل بارز وكبير<sup>(4)</sup>.

والأمم التي تقدس تاريخها تعمل جاهدة على التذكير به وإعادة معاشته بين أفرادها في الحاضر، سواء كان أحداثا وطنية ودينية خالدة أو تراثا تركه الأجداد. لكون " التراث هو الانتاج الحضاري الذي ينحدر من خصائص أمة من الأمم المتفاعلة مع البيئة التي نشأت فيها بكل ما تحتوي من تجارب وأحداث صبغتها بصبغة خاصة وأسبغت عليها ملامحها الثقافية ومميزاتها الحضارية التي ميزتها عن الأمم الأخرى التي لها بدورها أنماط حياتها وأعرافها وتقاليدها"<sup>(5)</sup>.

(1)- رابح تركي، التربية والشخصية الجزائرية، مجلة الأصالة، العدد 6، السنة الأولى، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، جانفي 1972، ص 92.

(2)- جمال قنان، المرجع السابق، ص 291.

(3)- مولود قاسم نايت بلقاسم، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل 1830م، ج2، المرجع السابق، ص 365-366.

(4)- الزاوي بغورة، الخطاب الفكري في الجزائر بين النقد والتأسيس في التاريخ والهوية والعنف، المرجع السابق، ص 126.

(5)- محسن عبد المجيد، تجديد الفكر الإسلامي، دار الصحوة للنشر، مصر، 1985، ص 10.

وهذا التراث له مكانته الهامة في واقع الأمة وراهنها وحاضرها لأنه وجودها، ولأنه لا توجد أمة تزعم أنها أمة ذات حضور إنساني متميز عن غيرها من الأمم الأخرى، دون أن يكون لها تراثها الخالد والفاعل في التاريخ<sup>(1)</sup>.

إن قضية التراث تطرح اليوم نفسها وتؤكد أهميتها بوصفها عنصراً أساسياً يؤكد على أصالة الأمة وضمودها أمام التحديات المصرية التي واجهتها وتواجهها، فتراث الأمة ومسيرتها والقوة الدافعة لبناء المستقبل على ضوء التوازن المتفاعل بين الأصالة والمعاصرة، فالتراث يمنع الانفصام بين ماضي الأمة وحاضرها، فلماضي يضيئ طريق الحاضر والمستقبل<sup>(2)</sup>.

ويعتبر الكثير من الباحثين أن: "تراث الأمة يمثل ضمير أبنائها، وهو بوتقة متقدة تشيع على الدوام مشيرات القوة الروحية الدافعة لأبناء هذه الأمة نحو السبق الحضاري،... وهو الجوهر الحقيقي الذي يمثل الهوية الثقافية والحضارية لأمة من الأمم"، وترجع القيمة العليا لهذه "الهوية الثقافية" إلى كونها الميزان الضابط لإبداعات الأمة في مختلف المجالات، سواء كان إبداع محلي، أو إبداع تتمازج فيه الثقافة الوطنية مع ثقافات الحضارات الأخرى في العالم<sup>(3)</sup>.

فترات الأمة هو سجلها التاريخي الذي يرصد ما تعرضت له هذه الأمة من أسباب الإرتقاء والسقوط، وما أصابها من فترات تراجع وتحلف وانكسار، فلا بد من الرجوع إلى هذا التراث الذي يشكل عقل الأمة العام وإنجازها التاريخي، ولابد من زيادة الاهتمام بهذا التراث وإذاعته ليتمكن الدارسون لسنن الاجتماع من استنباط العوامل الاجتماعية الكفيلة بصناعة الحاضر والمستقبل<sup>(4)</sup>.

ونظراً لهذه المكانة التي يحتلها التراث في واقع الأمة الجزائرية فقد عملت السياسة الاستعمارية الفرنسية للقفز عليه، واسقاط نظرة غربية عليه ونفي خصوصيته، ما أدى لنشوء صراعات حول القراءات الفرنسية للتراث لا تمت بصلة للواقع، وتعبّر عن مناهج غربية دعمت سياسة الاحتلال التي اتخذت من التراث ميداناً آخر للصراع الحضاري، لأن هذا التراث مصدر للماضي الذي هو مبعث اعتزاز وفخر لأفراد الأمة الجزائرية. ذلك أن ظاهرة الفخر والاعتزاز بالماضي تسمح بالوقاية الحضارية واكتشاف ظروف وشروط ميلاد المجتمع لإعادة بنائه<sup>(5)</sup>.

(1)- توفيق يوسف الواعي، الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية، ط1 دار الوفاء، المنصورة، مصر، 1988، ص 80.

(2)- سامية جفال، المنهج والتغيير في فكر ابن باديس "قراءة في فلسفة التجديد"، دار الباحث للنشر والإشهار، برج بوعريش، الجزائر، ط1، 2019، ص 33.

(3)- مروان القدومي، قيمة كتب التراث في التدريس الجامعي ودورها في نهوض الأمة، مجلة بحوث مؤتمر، ج2، جامعة النجاح، نابلس، فلسطين، دس، ص 154-155.

(4)- سامية جفال، المرجع السابق، ص 34.

(5)- عمر عبيد حسنة، الشاكلة الثقافية "مساهمة في إعادة البناء"، المكتب الإسلامي، بيروت، ط1، 1993، ص 62.

## المطلب الرابع: اللغة.

تعتبر اللغة بالنسبة للإنسان هي الأداة التي يعتمد عليها للتعبير عن العواطف والأفكار والتصورات وما يختلجه من مشاعر، واللسان هو الترجمان الخارجي لجميع هذه الأفكار التي منبعها العقل<sup>(1)</sup>، أما بالنسبة للأمة فاللغة هي التيار الذي يضمن لها بناءها القومي الموحد، من خلال ما ييشه من روح في جميع أركان الأمة ومقوماتها<sup>(2)</sup>، لأن اللغة القومية التي يشترك فيها جميع أفراد الأمة لها مقدرة كبيرة على توثيق الروابط بينهم<sup>(3)</sup>، نظرًا لكون أن هذا التقارب والانسجام بين أفراد الوطن الواحد، وانصهارهم اجتماعيًا وفكريًا في بوتقة واحدة، جاء كمحصلة إستعمال الجميع للغة قومية واحدة من جهة، ولكون اللغة الوطنية هي مستودع ثقافي وتراث اجتماعي لأبناء الأمة الواحدة، ووسيلة أساسية لنشر هذه الثقافة المتنوعة والمشاركة<sup>(4)</sup>.

وتلعب اللغة « La Langage » دورًا أساسيًا في العلاقة بين "الأنا و"الآخر" فهي تجعل العلاقة بين المتحاورين ممكنة، وتسمح بتبادل المعارف والمعلومات بينهم وتحقيق التواصل بين جميع الفرقاء لأنه حتى في حالة اندلاع النزاع والصراع بين مجموعة الأطراف فإن اللغة تظل في قلب الأحداث « Evénements » وتبقى الوسيلة الوحيدة لإجراء مفاوضات من أجل الوصول إلى تسويات ظرفية واتفاقات تُرضي الجميع وتُبلور القيم الاجتماعية « Valeurs Sociales »<sup>(5)</sup>، ويتضح الدور الأساسي للغة من خلال محاورة الآخر فتتكشف الهوية وتنجلي بصوت مسموع، ففعل التخاطب هو الجانب المتحرك لكشف الهوية<sup>(6)</sup>.

وطرح "دلوز" مشكلة اللغة وعلاقتها بالهوية، حيث سعى في تحريره للمعرفة والفكر الذي ينتجها إلى تحريرها من شبهة الهوية والتطابق إلى فضاء الاختلاف والتعدد من جهة، وتحريرها من التجزئ والانفصال ليعيد توطينها في أفق التجاور والتحاور والتلاقي والتراكب من جهة أخرى، وأكمل ثورته ليحرر الفكر من سيادة المدارس اللغوية والنفسية والسياسية<sup>(7)</sup>.

(1)- مولود قاسم نايت بلقاسم، إنية وأصالة، ط2، دار الأمة، برج الكيفان، الجزائر، 2007، ص19.

(2)- نفسه، ص 28.

(3)- رابح تركي، التربية والشخصية الجزائرية، مجلة الأصالة، العدد 6، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، جانفي 1972، ص29.

(4)- نفسه، ص ص 29-30.

(5)- ورده بوعائشة، المرجع السابق، ص 154.

(6)- نفسه، ص 156.

(7)- عادل حدجامي، فلسفة جيل دولوز عن الوجود والاختلاف، ط1، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 2012، ص 238.



إن ميدان العلوم الإنسانية ميدان خصب يعتبر منذ القدم محط الرحالة وقبلة الدارسين من خريجي مدرسة "Perez"<sup>(1)</sup>، المعروفة بمادتها "التدرجية"<sup>(2)</sup>، ورغم وجود هذا التدرج إلا أنه يجب التمييز بين اللهجة واللغة التي لها علاقة بالهوية الوطنية للأمة. فاللهجة هي أداة التخاطب المحلي بين الأفراد داخل الأمة، ولا تخرج عن هذا الإطار، فلا تقرأ ولا تكتب، وما يميز ألفاظها أنها مشتقة من اللغة الأم المشتركة، أما اللغة فنعني بها اللغة الرسمية للتخاطب، والمستعملة في القراءة والكتابة، والتعاملات الإدارية والثقافية، فاستعمالها يتم على نطاق واسع<sup>(3)</sup> بين أفراد الأمة في الداخل وحتى خارج الدولة.

### المطلب الرابع: الثقافة.

إن الحديث عن أي ثقافة يتطلب إلماماً شاملاً ورؤية عميقة وإمكانية علمية ومنهجية لائقة، وكل هذه الأمور لا تتوفر عليها في هذا المجال، لأن الإلمام الشامل يحتاج التعرض إلى جميع جوانب الثقافة تاريخياً واجتماعياً وعلمياً، وأن الرؤية العميقة ينبغي لها أن تقوم على أسس معرفية وتجارب فكرية واسعة، بينما الإمكانية العلمية والمنهجية تقتضي موضوعية منبعثة من عقل أصيل واستعداد حيادي في إصدار الأحكام، فتعريف الثقافة في حد ذاته يفتقر إلى الدقة العلمية، نظراً لتعدد الآراء والمفاهيم والمدارس والتوجهات المذهبية<sup>(4)</sup>، مما جعل ذوي النزاعات الغامضة والمرامي الهدامة ينتهزون فرصة البلبلة الفكرية واهتزاز بنية الهوية الثقافية والشخصية الوطنية عند الشباب العربي، بولوجهم ساحة المشاركة الجدلية، كما قال عثمان سعدي: "عارضين بضاعة أفكارهم، مقبلين من كل صوب وحذب وهم يخوضون مع الخائضين متذرعين بحجة أن الثقافة ميدان رحب يحوي بين جنباته كل ما له صلة بالإنسان، بينه وبين نفسه، وبينه وبين الطبيعة"<sup>(5)</sup>.

وبما أن طبيعة الإنسان تتكون نتيجة ثقافة معينة، لذا فإن فهوميته تحدد بانتمائه إلى تلك الثقافة التي تعتبر بمثابة القاعدة "Culture de base"، فلديه علاقات مع مختلف الثقافات والهويات نتيجة تواصله الاجتماعي، لذا فللهوية مقاربتين منها ما يقوم على الفهم الذاتي للهوية، ويتضمن وجهين يكملان بعضهما البعض، الأول متعلق

---

(1)- مدرسة للغة العربية الدارجة لها فلسفتها في نشر استعمال اللهجات المشتقة من العربية، لتحل محلها اللغة العربية الأصل في المعاملات والأغراض الثانوية، وتنوب عن اللغة الفرنسية لغة المثقفين، من أشهر دعاة "بيريس" الذي كان له دور جوهري فيها أثناء الوجود الفرنسي بشمال إفريقيا. يُنظر: حسين رئيس، الهوية الثقافية والروح الوطنية، موفم للنشر، الجزائر، دون طبعة، 2018، ص 36.

(2)- أي جعل اللغة العربية على طول المدى لغة دارجة بواسطة استعمال الدارجات واللهجات المشتقة منها، وهي في الأصل لغة أو لغات معقدة تحل محل اللغة العربية كأداة "عملية" جهويًا وإقليميًا لتخدم بعض الأغراض اليومية الثانوية، تحت رحمة اللغة الرسمية التي ما كانت لتكون إلا لغة هذا "المهندس النحوي اللغوي" المذكور أي الفرنسية، يُنظر: حسين رئيس، المرجع السابق، ص 36.

(3)- جمال قنان، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، المرجع السابق، ص ص 294-295.

(4)- حسين رئيس، المرجع السابق، ص ص 31-45.

(5)- عثمان سعدي، الأصول العربية للبربر، مجلة آفاق عربية، العدد 09، السنة 14، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، العراق، 1989، ص 03.

بالثقافة ذات الطابع العالمي لذا تتمظهر الثقافة الجامعة للهوية في شكل هيمنة واستغلال إقتصادي وسياسي، أما التوجه الثاني فيتخذ من الثقافات الإثنية طابعاً دفاعياً في شكل مقاومة يمكن أن تصبح عنيفة<sup>(1)</sup>.

فيما تقتزن المقاربة الثانية بالموضوعية لارتباط الهوية بالعقل في بعده العالمي والمتفتح، وهو ما يعني أن الهوية في هذه الحالة تعبر عن الثبات مع الذات التي تنمو وتتطور إنطلاقاً من حدث مؤسس أو من مرحلة جديدة والتي تصعد وترتقي إلى المكونات الحالية للحاضر مروراً بالأحداث والمرجعيات التي صاحبته، وهنا لا يتحدد الإنسان في ثباته الساكن بقدر ما يتحدد بوفائه لكيونته في العالم الذي لا يمكن أن يمنعه عن التغيير والتطور والتكيف مع المتغيرات الجديدة الحاصلة في المحيط، وخلاصة القول هنا أن الهوية لا تعني الإنطواء والتقوقع على الذات والإنعزال السلبي الراضل لكل تجديد، وإنما الهوية هنا تعني كيفية التموضع في العالم "Comment se passionner dans le monde"، لتنشيط العودة إلى الذات مع الأخذ بعين الإعتبار التغييرات الحاصلة في المحيط كون الإنسان كائن مستقبلي<sup>(2)</sup>.

لذا فإن هذه المقاربة تطرح عدة مخاطر قد تؤدي إلى ظهور التوجه المتطرف للهوية والذي يتوازي مع التوجه السياسي والإيديولوجي، ما يحتم علينا الإعتماد على خط التحريض "La ligne d'agitation" في سلوكنا وتفكيرنا، وأخذ المفاهيم في حدود المعقول "Raisnable" والمعقولة "Resonabilité" القائمين على ملكة النقد، والقدرة على نقد ما نراه وما نفكر فيه، لكون النقد والمعقولة هما الإمكانيتان اللازمتان للحد من التطرف والانحرافات، ولكي يتم توظيفهما بشكل صحيح لابد من توفير شرط الحرية، لكون الهوية من منظور المقاربة الموضوعية مشترط بتحقيق ثلاثة أبعاد: المعقولة، النقد، الحرية، وهي شروط الحداثة<sup>(3)</sup>.

فالثقافة المغاربية مثلاً في وضعها الراهن عبارة عن مجموعة من المعطيات المتداخلة فيما بينها، ومن يتطرق إلى هذا الموضوع عليه أن يدرك إدراكاً شاملاً لحقيقة جذور الإشكالية الثقافية المحددة في المسألة الغوية والاجتماعية الممتدة تاريخياً منذ زمن بعيد، فلطالما احتدم النقاش حول مسألة أصل التسمية للسكان المغاربة، وانجرت عنه آراء ومواقف حتى وإن كانت هامشية التأثير في رأي الأغلبية، تليها ظاهرة حملة التبشير الديني المسيحي والغزو العسكري الغربي التي كان لها بقايا واضحة في أرضية الثقافة المغاربية، دون أن نحمل ملامح السياسة الأجنبية ببلاد الشمال الإفريقي التي برزت في مجال التشريع الذي مس القاعدة البنيوية الاجتماعية من عادات وتقاليد وأخلاق وما يتصل بذلك من تعامل ومساكنة بين المواطنين من جهة، وعلاقتهم بالنظام السياسي والإداري من جهة ثانية<sup>(4)</sup>.

من هنا نجد أن مسألة الهوية ترتبط ارتباطاً كبيراً بالمسألة الثقافية، لذا يمكن القول أن المجتمع الجزائري عرف حركة ديناميكية ثقافية كبيرة وهذا بفعل تعدد وتعاقب مختلف الثقافات خلال مساره التاريخي، نتيجة احتكاكه بها

(1)-الزاوي بغورة، الخطاب الفكري في الجزائر بين النقد والتأسيس في التاريخ والهوية والعنف، المرجع السابق، ص ص 124-125

(2)- نفسه ، ص ص 125-126.

(3)-Fathi Triki, La stratégie de l'identité, Arcaneres Edition, France, 1998, p 136.

(4)- حسين رئيس، المرجع السابق، ص ص 32-46.

وبمختلف الحضارات التي مرت به (سواء الرومانية، القرطاجية، العربية الإسلامية، العثمانية، أو الأوروبية). كل هذا أحدث فسيفساء وتنوع ثقافي، حاول أفراد المجتمع الجزائري التعايش معه، لكن سرعان ما طغت تناقضات بين عناصر هذه الثقافات مما شكل عائقاً أمام تحقيق التكامل والتجانس بين أفراد المجتمع، وكل هذا تم بعد دخول الاحتلال الفرنسي، مما جعل موضوع الهوية يشكل موضوعاً لحدى الرهانات الأساسية للجزائر المعاصرة، بحكم التحولات التي عرفتتها على الكثير من المستويات: اقتصادياً، سياسياً، اجتماعياً، ثقافياً... الخ، فهي مرت وتمر بمرحلة انتقالية من مجتمع "محلي تقليدي" إلى "مجتمع تعاقدى حديث" هذا ما أدى لإفراز "أزمة هوية" على حد تعبير محمد بوخبزة<sup>(1)</sup>.

وهناك من يدعم هذا الطرح من خلال الذهاب إلى فكرة أن ما زاد قضية الهوية استنفحاً وتعقيداً في المجتمع الجزائري، هو تلك الظروف المتسمة بالصراعات و "الأزمات" والبحث عن الذات. فأصل الأزمة قد يكمن حسب رأي البعض في ذلك التناقض الموجود بين ثوابت المجتمع الجزائري المحلية والتقليدية، وتلك الممارسات اليومية المنافية لهذه القيم والثوابت، بعبارة أخرى، يمكن القول بأن أزمة الهوية تكمن في ذلك التعبير الواضح لذلك الجدل والتناحر القائم بين الرجوع إلى مصادر ومراجع الهوية الأصلية والأصيلة، والإرادة في تصور مشروع جديد للهوية الحاضرة والمستقبلية في ظل كل هذه المعطيات وما يعرفه المجتمع الجزائري من تغيير وتحولات<sup>(2)</sup>.

رغم أننا نتفق مع فكرة إذكاء الاحتلال الفرنسي للنعرات بين الجزائريين منذ دخوله البلاد وتوظيفه للعامل الثقافي بشكل كبير للقضاء على هوية الأمة، لكن من وجهة نظرنا نرى أنه لا يمكن التسليم بأن عملية إنتقال المجتمع الجزائري من مجتمع تقليدي إلى مجتمع حديث هي السبب الأساسي لظهور أزمة الهوية في الجزائر، فالتطور الحضاري هي سمة تخضع لها جميع المجتمعات والأمم منذ القدم، وليس بالضرورة أن تكون نتيجة هذا الانتقال حدوث أزمات هوية، نظراً للتدرج الزمني الذي يأخذه المجتمع في التحول من مرحلة لأخرى، هذا إذا سلمنا بما ذهب إليه بوخبزة، ومن جهة أخرى التنوع الثقافي الذي خلفه الإرث التاريخي للمنطقة لم يكن عبر فترات التاريخ عامل تفرقة بين الجزائريين، بل على العكس من ذلك شكل مصدر ثراء وطني وعامل تجانس بين الجزائريين على اختلاف ثقافتهم، وزاد من توحيدهم بحكم الانتماء لبلد واحد.

ومن جهة أخرى يشير بعض المؤرخين أن الظاهرة الاستعمارية التي فرضت على الشعوب ذات الحضارات القديمة كما حدث في البلاد العربية، أفرزت مجابهة بين حضارتين، تميزت بحدة الصراع من أجل الحفاظ على الذات، لأن الأمر متعلق هنا بالمحافظة على هوية ثقافية دام تكوينها لقرون طويلة، وأصبحت مكوناً أساسياً من مكونات أفراد الأمة المنبثقة عن هذه الحضارات حسب ما ذهب إليه "روبير مونتاني"، لذلك رأى ضرورة معرفة

(1)-Boukhobza M'Hamed, "évolution ou rupture ?", Edition Bouchene, Alger, 1991, p 212.

(2)- رشيد حمدوش، بناء الهوية عند الشباب الجزائري أو ميلاد الهوية المتطلعة، المجلة العربية لعلم الاجتماع، <https://platform.almanhal.com/Reader/Article/7091>، تاريخ الزيارة 10:22 في 2022/09/09.

أصول هذه البنيات الأصلية، الأمر الذي نتج عنه ظهور مفاهيم جديدة كالمجتمع التقليدي الوسيطى والمجتمع الحديث<sup>(1)</sup>.

في الأخير نخلص إلى فكرة أن الهوية هي محصلة تفاعل المقومات السابقة كلها. فالكثير من الباحثين يؤكدون على أن سمعة وحضارة أي شعب تتشكل تبعاً لمحصلة جملة من العوامل المعقدة والمتفاعلة فيما بينها تاريخياً حيث يقول منير شفيق في هذا الصدد: "...سمات الشعب وحضارته تتشكل تاريخياً، وهي محصلة لتاريخ طويل، تضافرت في صناعه عوامل كثيرة في مقدمتها الدين والتراث والتاريخ، وإلى جانبها العوامل البيئية والجيوسياسية والإقتصادية والإجتماعية الأخرى، وإن تاريخ الشعب مخزون في أعماقه، وموجود في سماته الراهنة، مما يجعل سيرورة هذه السمات يكشف جوانب أساسية من ذلك التاريخ، كما أن سيرورته التاريخية تحدد عدداً من سماته، سواءاً أكانت البادية من التاريخ أم كانت من الراهن المعطى، فكلاهما لابد أن يؤدي إلى الآخر ويلقي عليه ضوءاً..."<sup>(2)</sup>.

إلا أن هناك من ركز على الدين بالدرجة الأولى كعامل أساسي في تشكل هوية الأمة، ثم تأتي بدرجة أقل باقي العوامل السوسولوجية والجيوسياسية مثل ما ذهب إلى ذلك علي الكنز حيث يقول: "...ونوضح بأن البعد الديني قد ساهم دوماً، وبشكل أو بآخر في تبلور الهوية الجماعية... فالعنصر الديني، يتدخل أكثر فأكثر في تبلورات وتشكيلات الهوية الجماعية، التي تحدد وتعين الفاعلين الاجتماعيين... وبالمقاربة مع الستينات نلاحظ -من دون شك- إنتعاشاً أو نشاطاً متجدداً للبعد الديني داخل الحركة الاجتماعية..."<sup>(3)</sup>.

ورغم ما ذهب إليه علي الكنز من ترجيحه لكفة الدين على حساب باقي المقومات الهويةية الأخرى - وربما هذا راجع إلى الأهمية التاريخية التي احتلها الدين كمقوم للهوية منذ القدم- إلا أن الهوية الحضارية للأمة لا تتشكل من الدين فقط، بل تتكون من مجموعة المقومات الأساسية، التي بها تتحدد هوية الأمة وترتكز في مجملها على عدة آليات منها: الدين واللغة والقيم الإجتماعية والأخلاقية والثقافية، المتفاعلة مع كل المقومات التاريخية سواءً البيئية والسياسية والإقتصادية والعمرانية، لتشكل في محصلتها شعور قومي مشترك بين أفراد الأمة، يتبلور واقعياً من خلال الحس الثقافي والتاريخي بالوحدة الوطنية<sup>(4)</sup>.

(1)- محمد أوقيدي، العلوم الإنسانية والإيديولوجيا، ط03، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2011، ص ص 232-233.

(2)- منير شفيق، الإسلام وتحديات الإنحطاط المعاصر، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ط3، 1993، ص45.

(3)- علي الكنز، حول الأمة " خمس دراسات حول الجزائر والعالم العربي"، دار بوشان للنشر، باريس، ط1، 1990، ص61، بتصرف.

(4)- أحمد عيساوي، خطاب الهوية عند الحركة الوطنية، المرجع السابق، ص219.

### المبحث الثالث: معالم الهوية في ثقافة الآخر (1830-1931).

يعطي "ليفيناس" مفهوما جديدا "للغير"، على أنه الغريب الذي يأتي إلينا حاملاً كل معاني هويته من خلال دلالة وجهته، متجاوزاً بذلك كل إختلاف اللغة والروابط من عادات وتقاليد ودين... الخ<sup>(1)</sup>، ومن جهته يشير منصف بوزفور إلى أن الآخر الذي نحاول تعريفه من الأفضل أن يكون آخر مكملاً للذات، لا آخر مبايناً لها، بمعنى أنه من الضروري أن يكون مختلفاً عنها، ويضيف أن الإغتراب الحقيقي يكمن في نفي "الذات" نفيًا كلياً بإعتناق هوية الآخر بدلاً لها وليس بإعتباره مكملاً لها، لكي لا يتم تشويه العلاقة الحقيقية بين الكيانات والنماذج الحضارية<sup>(2)</sup>، وهو ما يحدث في كثير من المجتمعات التي تعرضت للاستعمار.

كما أن الدارسين للأدب المقارن أهملوا في صورة الآخر ما إذا كانت حقيقية أو نمطية، وركزوا إهتمامهم على مدى دقة التصوير فيها، لذلك قسموها على أساس عملية التأثير والتأثر أو ما يمكن تسميته بزواية النظر، إلى ثلاثة هي: النظرة الأفقية وفيها تصور شعب عن شعب متحضر أي شعب آخر في مثل حضارته، والزواية الثانية النظرة الرأسية التي يكون فيها تصور شعب متحضر عن شعب أقل حضارة منه، والزواية الثالثة تمثل في النظرة العكسية وفيها يكون تصور شعب أقل حضارة عن شعب أكثر حضارة منه، وهي الصورة التي ميزت كتابات العربي التبسي عن الآخر الفرنسي، إذا ما سلمنا بالفكرة التاريخية التي تزعم أن فرنسا الدولة المستعمرة تمثل الحضارة أو الأكثر تحضرًا، بينما الجزائر الدولة المستعمرة تمثل التخلف أو الأكثر تخلفًا<sup>(3)</sup>.

كان الأستاذ "أدونيس" من الداعين إلى نفي الذات لاعتناق هوية الآخر، فيما كان من الأولى أن يتذكر أننا لسنا وحدنا في هذا العالم، وأن العلاقة التي تربطنا بهذا الآخر لا تعني أبدًا نفيًا للذات، بل على العكس من ذلك، فهي إثبات للهوية، ولن يتأتى لنا هذا الإثبات ما دما لحد الساعة لا زلنا نتساءل عن كيفية معرفة أنفسنا فكيف لنا أن نعرف هذا الآخر؟ ومن خلال هذا الطرح نجد أن "أدونيس" قد وسّع من هوة الاختلاف بين الطرفين، من خلال فكرة ما سماه بـ "عصرنة غير مفيدة"، لكن في نفس الوقت يتفق البعض مع ما ذهب إليه من ناحية وجود فراغ وضياح فكري مرتبط بنظرة الآخر إلينا، وعلاقتنا به، والإختلاف هو تغذية لنظرة الإمبريالية والإستعمار إلينا - على إختلاف أشكاله - والتي تميزت بالإستعلاء على أمتنا وتراثنا وتاريخنا وهويتنا ولغتنا<sup>(4)</sup>.

والسؤال المطروح هنا ما هي مميزات الهوية الاستعمارية التي أرادت فرنسا تكريسها في الجزائر طيلة فترة الاحتلال، وفيما تتمثل معالمها؟ وما هي المرتكزات التي قامت عليها وأرادت ترسيخها في الجزائر كبديل عن المرتكزات الوطنية التي عملت على طمسها؟ وبالمقابل كيف تجسدت صورة الآخر المستعمر المتحضر عند الجزائريين؟ هل هي "ذات" الآخر وتتطابق معه؟ أم أنها مجرد بناء لتصور في المخيال الجزائري عن الآخر بتنميط

(1)-وردة بوعائشة، المرجع السابق، ص 121.

(2)-منصف بوزفور، المدارات الشرقية و الإستشراق "دراسة"، موفم للنشر، الجزائر، 2014، ص 32.

(3)-خالد أقيس، الشيخ العربي التبسي الرئيس الثالث لجمعية العلماء المسلمين، دار الأملية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 2012، ص ص 200-201.

(4)-منصف بوزفور، المرجع السابق، ص 32.

إستعماري؟ ما هي وظيفة الخطاب السياسي والإيديولوجي للهوية الاستعمارية بدل الهوية الفرنسية؟ وإذا كان مسألة الهوية هي إنعكاس للصراع الحضاري بين فرنسا والأمة الجزائرية؟ فما هي منطلقات هذا الصراع؟ وللإجابة على هذه التساؤلات علينا العودة إلى مفهوم الهوية من المنظور الفرنسي، ودراسة المقومات التي قامت عليها خلال المرحلة الاستعمارية للجزائر، ثم البحث في المقومات الإستعمارية التي أرادت فرنسا ترسيخها في الجزائر، لننتهي إلى عقد مقارنة بين الهويتين لفهم وجهة نظر الفكر الاستعماري الفرنسي في مسألة الهوية في الجزائر، لنخلص بعدها إلى محاولة معرفة نظرة علماء الجمعية إلى هوية هذا الآخر من خلال ما تعرضوا له في كتاباتهم.

### المطلب الأول: مقومات الهوية الفرنسية.

يمكن أن نلاحظ بأن مصطلح الهوية رغم قدمه إلا أنه من المصطلحات التي زادت إنتشاراً في العصر الحديث خصوصاً في أوروبا، بسبب استعماله المتجددة في الفكر الغربي، وصل لحد التدقيق فيه، فمن المعاني الغربية للهوية نجد "الذاتية" أو "الأنا" التي سيطرت على الفكر الأوروبي عبر مختلف المراحل التاريخية التي مر بها، كما فعل مثلاً الفرنسي "فرناند برودل"<sup>(1)</sup> الذي إعتبر الهوية من منظوره هي الهوية الفرنسية فقط، بمعنى الاندراج ضمن جماعة معينة، كما قد يدل أحياناً على الإقصاء من وجهة نظر الغربيين<sup>(2)</sup>.

ومن هذا المنطلق نجد أن الهوية الفرنسية تميزت في مقوماتها وخصائصها عن هويات الأمم الأخرى في العالم، وفي مقدمتها الأمة الجزائرية المسلمة، لكون الأمة الفرنسية تاريخياً تتألف من وحدات تختلف كل الاختلاف فيما بينها من حيث أصولها وقوميتها وكيانها، توحدت فيما بينها مع مرور الزمن<sup>(3)</sup>، إلا أن تأثيرات الإطار الجغرافي جعلها تشترك مع العالم الغربي الأوروبي خاصة في بعض هذه المقومات بحكم التاريخ والجغرافيا، ومن أهم مرتكزات هذه الهوية نجد:

**1. الوطن والوطنية الفرنسية:** تعتبر الوطنية مفهوماً مستجداً ارتبط بالدولة المعاصرة وصار حجر الزاوية في حركيتها، وتُعرف لدى الفرنسيين بأنها الحالة الإيجابية التي تتمحور عن الإعراف الكامل للشخص بصفة مواطن بينما يصفها البريطانيون بأنها علاقة الفرد بالدولة وفق التشريع القائم الذي ينظمها<sup>(4)</sup>.

---

(1)-فرناند برودل: فيلسوف الحضارات ومؤرخ الحوليات، ولد بفرنسا سنة 1902م، تحصل على الإجازة في جامعة السوربون سنة 1923م، بقي في الجزائر إلى سنة 1932م، كانت هذه الإقامة حاسمة لأنها عزفته على شمال إفريقيا والصفة الأخرى من البحر الأبيض المتوسط، والتي احتلت تدريجياً مكانة مهمة في الأفكار والأبحاث التي ستشكل أطروحته، بين عامي 1927 و1933م، إستثمر ما يقرب من عشرين عاماً من الأبحاث المهمة، كانت ثمرة عمل أرشيفي كبير أصدرها عام 1966م، مما سمح له بتطوير مفهومه للتاريخ، من أشهر مؤلفاته هوية فرنسا في مجلدين، توفي سنة 1985م، للتوسع يُنظر: مصطفى نور الدين عطية، فرنان برودل الرأسمالية تنتظر أزمة أسوأ من أزمة 1929، مجلة اليوم السابع، فلسطين، الإثنين 1 كانون الأول (ديسمبر) 1986م، ص 43. يُنظر أيضاً: فرنان برودل، المتوسط والعالم المتوسطي، تعريب مروان أبي سمرا، دار المنتخب العربي، بيروت، لبنان، ط01، 1993، ص ص 5-9.

(2)-عزيز العظمة ووانغ بين وآخرون، المرجع السابق، ص ص 17-18.

(3)-الإسلام وحدة لا يتجزأ، الأمة، السنة الثالثة، العدد 115، الجزائر، الثلاثاء 17 محرم 1356هـ/ 30 مارس 1937م، ص02.

(4)-عامر الشماخ، فكرة المواطنة، دار الصحوة، القاهرة، 2010، ص10.

ويعتبر مواطنوا فرنسا هم الفرنسيون وليس "الكلتيين" أو "السلت" أقدم سكان بلاد الغال، والغال هو الاسم القديم لفرنسا أما اسمها الحالي واسم اللغة المتداولة فيها فمشتقان من اسم قبائل الفرنك الجرمانية التي غزت فرنسا في القرنين الرابع والخامس بعد الميلاد واستقرت فيها، والرئيس الفرنسي السابق نيكولا ساركوزي انتخب رئيساً للأمة الفرنسية بوصفه مواطناً فرنسياً ولم يُنظر إليه كدخيل ينحدر من أصول أجنبية<sup>(1)</sup>.

### 2. التاريخ الفرنسي:

تاريخياً كانت الهوية الفرنسية تتألف من عناصر متناقضة مثل التقاليد الكاثوليكية الفرنسية، والأيدولوجية الثورية، إضافة إلى الميل للمحافظة على المظاهر الثقافية لمواطنيها من قرويين وأبناء الطبقة العاملة، ويعتبر المؤرخ "إرنست رينان" أول من فكر في مسألة الهوية الوطنية عقب هزيمة فرنسا في الحرب الفرنسية البروسية سنة 1871م، نتيجة موقفه المدافع عن الأمة باعتبارها "روحاً واحدة" تتشكل من قسمين: الأول يتمثل في الميراث الخصب من الذكريات الضاربة بجذورها في الماضي، أما القسم الثاني فيرتبط بالحاضر تمهيداً للمستقبل، ويشمل هذا الأخير الإرادة المشتركة للمواطنين الفرنسيين في بناء حياتهم، وهو الأمر الذي أولاه "رينان" أهمية كبيرة كونه القادر على السمو بالأفراد فوق أي مفهوم عرقي للهوية<sup>(2)</sup>.

إن هذا الطرح من "رينان" جعله يضع فكرة الأمة الفرنسية في تباين مباشر مع فكرة أمة الشعب، نظراً لعنصريتها التي هيمنت على التقاليد الألمانية في أوروبا، وبالتالي فالهوية الوطنية تشكل "مفهوماً روحانياً" يركز على التاريخ المشترك مضاف إليه مجموعة القيم الراسخة عند أفراد الأمة الفرنسية، بعضها متأصل في الدين المسيحي والعلمانية فيما يستقي البعض الآخر من المعتقدات الثورية التنويرية المتصلة بحقوق الإنسان، من عدل ومساواة، حرية، لغة فرنسية، مدارس علمانية، وفكرة مسؤولية الدولة في المحافظة على المصالح المشتركة لمواطنيها، وتطبيقها لمبادئ الجمهورية، ورغم أن الهوية الوطنية الفرنسية ركزت على السمو على العرق واللون والأصل والدين، إلا أن هذا الأمر خلق لها نزاعاً غذى أزمة الهوية التي أصبحت تأرق الفرنسيين اليوم<sup>(3)</sup>، لكننا لن نركز عليه لأنه خارج عن موضوع البحث، فما يهمنا هنا هو تحديد مكونات الهوية الفرنسية ودور التاريخ كمكون هام في بلورتها.

(1) -عامر بغدادى، الدولة والهوية في الجزائر، المرجع السابق، ص 44.

(2) -رافائيل هاداس لبيبيل، فرنسا وسياسات الهوية، <https://www.project-syndicate.org/commentary/france-s-identity-politics/arabic>

تاريخ النشر 16 أبريل 2007، تاريخ الزيارة 06 جويلية 2024، الساعة 10:58.

(3) -رافائيل هاداس لبيبيل، المرجع السابق.



### 3. اللغة الفرنسية:

يرى أحمد بن نعمان أن زعماء فرنسا كلهم من "ديغول"<sup>(1)</sup> إلى "ميشال دوبري"<sup>(2)</sup> إلى الزعماء الحاليين يرددون ما مفاده أن اللغة الفرنسية هي الجنسية واللغة الفرنسية هي الهوية، واللغة الفرنسية هي السيادة، ويقولون أن فرنسا هي اللغة الفرنسية، ومن منطلق وطني وقومي عربي إتفق أحمد بن نعمان مئة بالمئة مع موقفهم هذا، كما حياهم على وطنيتهم في بلدهم لكن ليس على حساب الجزائر كما قال، فوجود فرنسا في العالم لا تبرره إلا اللغة الفرنسية في الحاضر بعد إنحصار ظلها الإمبراطوري الذي ساد خلال القرن الماضي، ويضيف ابن نعمان أن فرنسا ليس لها وجود في الخارج لا بالقوة الاقتصادية ولا العسكرية ولا التكنولوجية، وإنما باللغة الفرنسية فقط التي تعتبر لغة ثانية عالميًا، لطالما عملت فرنسا على نشرها<sup>(3)</sup>.

### 4. الدين النصراني:

تؤكد الباحثة سعدية بن دنيا أن الدين عنصر أساسي له أثره على الأفراد، حيث يستشعرون قيمة وجودهم بتميزهم عن غيرهم، واستندت في رأيها على ما قاله الفرنسي باسكال Pascal<sup>(4)</sup>: "إن حاجة الناس للدين لا يستطيع العلم إشباعها"، معتقداً أن الديانة المسيحية في شكلها الكاثوليكي هي الوحيدة القادرة على إشباع هذا

(1)- شارل ديغول: جنرال عسكري وسياسي فرنسي، ورئيس جمهورية فرنسا، ولد سنة 1890م، يعتبر من أشهر شخصيات القرن العشرين، يلقب بمنقذ فرنسا، لإرتباط اسمه بأحداث تاريخية هامة وحرجه في تاريخ فرنسا، أبرزها تزعمه حكومة فرنسا الحرة بلندن بعد إستسلام فرنسا للألمان في 17 جوان 1940م، وقيادته لعملية تحرير باريس من الإحتلال النازي في 18 جوان 1944م، أصدر أمرة 7 مارس 1946م، أصبح رئيسا للجمهورية الخامسة سنة 1958م، زار الجزائر وأطلق عدة مشاريع لإخماد الثورة الجزائرية، لكنه إضطر أمام قوتها إلى الرضوخ لطاولة المفاوضات وإنهاء أزمة الجزائر سنة 1961م، أعيد إنتخابه عام 1965م لكنه رأى أن سلطته الشخصية اهتزت لدى الفرنسيين وأصبحت محل نزاع فاستقال عام 1969م، إمتدت مسيرته العسكرية والسياسية لخمسين سنة، دونها في مذكراته التي نشرت في 4 أجزاء، بالفرنسية ثم ترجمت للعربية، توفي سنة 1970م يُنظر:

Le petite larouss de l'histoire du Monde، Protouto Lombarda a Pioltelle, Italie, 2011, p 732.

Voir aussi: <https://www.jeuneafrique.com/58398/archives-thematique/de-gaulle-le-visionnaire/> , Date de la visite 30 juillet 2024, l'heure 23:55.

(2)- ميشال دوبري: سياسي فرنسي ولد بباريس في 1912م، شارك في نشاط المقاومة، حيث كان مسؤولاً بشكل خاص عن تنظيم الحركة المحافظة السرية التي تأسست بعد تحرير فرنسا، شغل منصب مفوض الجمهورية بين سنوات 1944-1945م، ومدير بعثة الجنرال ديغول، لعب دوراً رائداً في تحقيق الإصلاح الإداري بإنشاء المدرسة الوطنية للإدارة (ENA)، تم انتخابه عضواً في مجلس الشيوخ سنوات 1948-1958م، كان معادياً للجمهورية الرابعة، وساهم في عودة الجنرال ديغول إلى السلطة. ثم عهد إليه بمسؤولية حفظ الأختام عام 1958م وإعداد الدستور الجديد، تقلد منصب رئيس وزراء الحكومة الأولى للجمهورية الخامسة من جانفي 1959 - أفريل 1962م، سعى إلى استعادة الاستقرار وأصدر القانون الذي يحمل اسمه بشأن مساعدات الدولة للتعليم الخاص. كان مؤيداً شرساً للجزائر الفرنسية، وأعد لاستقلال الجزائر، توفي بمونتلويس سور لوار عام 1996م. يُنظر:

[https://www.larousse.fr/encyclopedie/personnage/Michel\\_Debré/115862](https://www.larousse.fr/encyclopedie/personnage/Michel_Debré/115862) . Date de la visite 27 juillet 2024, l'heure 08:09.

(3)- أحمد بن نعمان، المخاضات، دار النعمان، الجزائر، 2015، ص ص 411-412.

(4)- باسكال بلينز: مفكر ورياضي وعالم طبيعة فرنسي ومن مؤسسي نظرية الإحتمال، عاش بين سنوات 1623-1662م، جمع بين الإكتشافات في العلوم الطبيعية والتعصب الديني والنزعة الشكية الموجهة ضد العلم والمعرفة العقلية، وتعد آراءه في المنطق إستمراراً لآراء منهج ديكارت، لقي نضاله ضد الطغيان الروحي لليسوعيين تأييداً من المجتمع الفرنسي، من أبرز مؤلفاته الرئيسية "الأفكار" والذي نشر بعد وفاته، يُنظر: روزنتال ويودين، المرجع السابق، ص 74.

الإحتياج، فرغم أهمية باقي المقومات في تشكل الهوية كالعرق والجنس واللغة والثقافة، إلا أن تأثيرات الدين في أبعاد الهوية يكون أعمق وأوثق في العلاقات البشرية، لطبيعته المتأصلة في الإنسان وهي الفطرة، فقد بقي الدين العنصر الأبرز في تحديد مفهوم الهوية عبر التاريخ وسيبقى ملازماً لها من منطلق قوة تأثيره فيها<sup>(1)</sup>.

والقومية الفرنسية خلال القرن 12م تميزت بوصفها هوية دينية، فرجال الدين عبروا عن هويتهم الفرنسية في ذلك الوقت بالدين، الذي حمل كل معاني الوعي بالوضع الديني الفريد الذي ميز المملكة، حيث كان الملك الفرنسي وحاشيته الأكثر مسيحية من الجميع، وتميزت مسيحياتهم بالكمال حسب رأيهم، مستندين على فرضية تفوق درجة المسيحية عند الفرنسيين ذريعة لتبرير محاولاتهم تحرير أنفسهم من سيطرة بابوات روما، لتصبح الكاثوليكية الفرنسية أكثر خصوصية مع مرور الوقت، بوصفها دين السلالة الملكية الفرنسية، وبهذا طغت الهوية السياسية على الهوية الدينية، ما أدخل فرنسا في مزالق خطيرة دفعتها في الأخير للتخلي عن حسها القوي بالإنتماء للمسيحية، وتحولها من شكل الهوية الدينية إلى الشكل السياسي وصولاً إلى علمانية الهوية الفرنسية<sup>(2)</sup>.

وبناء على ما تقدم يمكن أن تكون قوة تأثير المكون الديني في الهوية هو ما جعل الفرنسيين يقومون باستبعاد الدين عن السياسة والدولة، ففرنسا كما نعلم دولة علمانية منذ سنة 1905م، بعدما تم تطبيق قرار فصل الدين عن الدولة، والدستور الفرنسي ينص هو الآخر على أنها دولة علمانية إلا أن هذا لا يمنع من كونها تحترم جميع الأديان بما فيها الكاثوليكية التي دافعت عنها تاريخياً، لكنها لا تقر بالدين في المجال السياسي، نظراً ربما لفكرة التعصب التي خلفها الإفراط في هذا المكون، على إعتبار الهوية كما سنرى لاحقاً تعتمد على توازن العناصر المكونة لها، وإذا ما اختل هذا التوازن سيتحول الأمر إلى أزمة هوية.

### المطلب الثاني: مقومات الهوية الإستعمارية في الجزائر.

تختلف الهوية الفرنسية عن الهوية الإستعمارية من منطلق أن الأولى تمثل هوية أمة وشعب مثلها مثل باقي الأمم والشعوب المستقلة في العالم، ضبطتها جملة من المقومات التي اتحدت فيما بينها لتشكل هوية أفرادها، الذين اشتركوا في تواجدهم على رقعة جغرافية مرت عليها أحداث تاريخية تفاعلوا معها، ليكونوا شخصيتهم الوطنية المعتزلة بها عن قناعة ذاتية وجماعية لأفرادها، وسعوا للمحافظة على تميزها وتفرداها، فإرضين على الآخر إحترامها، إلا أن الهوية الإستعمارية هي جملة المقومات النابعة من الفكر الإستعماري الذي ظهر في أوروبا وانتشر خصوصاً مع ظهور الإكتشافات الجغرافية خلال القرن 14 و15، متخذاً عدة أشكال وألوان من الرغبة في السيطرة على الآخر وضمه إليه وإحتواءه وتقويضه تحت أسباب وذرائع مختلفة، من منطلق أحقيتهم في ذلك وأسبقيتهم الحضارية.

(1)- سعدية بن دنيا، الهوية الدينية وسؤال الاختلاف، مجلة الإنسان والمجال، العدد 01، المجلد 04، معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة

البيضاء، 2018، ص ص 84-85.

(2)- نفسه، ص 87.

وبناءً على هذا فُرضت على شعوب شمال غرب إفريقيا أفكار لسياسات إستعمارية. توضحت ملامحها الإقتصادية تحت أضواء كتابات مؤرخي الإستعمار لتُظهر مشروع إستعماري مدروس سلفاً، أسقط كل مزاعم الرسالة الكولونيالية الثقافية والأدبية، التي ما من أحد أصبح يؤمن اليوم بها<sup>(1)</sup>.

لذلك قامت الهوية الإستعمارية في الجزائر خصوصاً على جملة من المقومات والمبادئ ذات طبيعة خاصة قلما نجد لها نظير في أنواع أخرى من الإحتلال، ولعل ما زادها خصوصية هو تطورها عبر عدة مراحل تاريخية وأجيال إستعمارية استوطنت المنطقة وأصبحت تعتبرها موطنها، بحكم مرور 132 سنة من الإحتلال، ومن بين هذه الأفكار والمقومات الهوية التي للإستعمار الفرنسي في الجزائر نجد:

### 1- ثقافة الإحتلال:

إن مهاجمة أرواح الشعوب تسبق دائماً تحطيم أجسادها، ومن هذا المنطق نجد أن المشروع الثقافي للإحتلال الفرنسي في الجزائر لم يعتمد فقط على تصورات أيديولوجية وأحكام مسبقة، نسجها المخيال الأوروبي عن العالم الإسلامي وهويته العربية، وإنما أسس أيضاً مفاهيم جديدة لفكرة "الاستبدال" التي إرتكزت على "الفتوحات الأنثروبولوجية"، وما توصل إليه منظرو الغرب من إجتهدات حول ظاهرة التوسع، وتعتبر أطروحة "التحضر" و "التمدين" من الأفكار الرائجة التي رافقت عملية التوسع الاستعماري العسكري في الجزائر، من أجل التسويق الثقافي لصورة المستعمر كأمّودج تاريخي رائد للمدنية والحضارة والقوة لترسيخ تفوقه وتحقيق ذاته<sup>(2)</sup>.

وتعتبر هذه الصورة النمطية التي عمل الإستعمار على الترويج لها عبر صحافته وأدبائه عاملاً مهماً في تبديل هوية المستعمر، رغم أن الإستعماري إذا ما أراد شطب المستعمر من خارطة الأحياء، فلن يمكنه ذلك دون الإساءة إلى وجوده الخاص، لارتباط الإستعماري بوجود المستعمر بشكل يمنع تجاوز هذه الجدلية، فمن جهة يجد نفسه مشدوداً بكل قواه لنكران المستعمر، وبالمقابل فإن وجود هذا الأخير لا بد منه لاستمرار وجود الإستعماري، ويصبح واجب عليه الدفاع عن النظام الكولونيالي والمحافظة على بقائه، وتبرئة ذاته ليظهر بمظهر بطولي يستحق ثروة المستعمر بكل جدارة<sup>(3)</sup>، وهذا الترويج الثقافي والإعلامي إستند على نظريات ومعارف مسبقة<sup>(4)</sup>.

(1)- ألبير مامي، صورة المستعمر، ترجمة ميشال سطوف، منشورات المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر، 2007، ص 07.

(2)- محمد الطيبي، الجزائر عشية الغزو الإحتلالي "دراسة في الدهنيات والبنيات والمآلات"، ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 1، 2009، ص 213.

(3)- ألبير مامي، المصدر السابق، ص 56-59.

(4)- محمد الطيبي، الجزائر عشية الغزو الإحتلالي، المرجع السابق، ص 214.

## 2- الجذور التاريخية لصورة الجزائر في المخيال الفرنسي:

قبل أن يتجسد إحتلال الجزائر على أرض الواقع، سبقه تنظير كبير من قبل رواد الخيال السياسي والأدبي، بسبب التأثير الكبير للدولة الجزائرية في حركة السوق البرجوازية للفرنسيين، نظراً لثرواتها الطبيعية وموقعها الجغرافي وتجارتها، ومن هذا المنطلق بدأ مخطط شيطنة الجزائر في مخيال الذهنية العامة للفرنسيين، والترويج لها كخطر يهدد المشاريع الحضارية الفرنسية، ويعيق توسعها، بهدف ترسيخ فكرة سيئة عن الجزائر ترتبط بكونها بلد الكفار وموطن البرابرة الممحين<sup>(1)</sup>، الذين يفتقدون إلى الإنسانية وبخاصة عندما يتعلق الأمر بأسراهم الغربيين المسيحيين، وهي الصورة التي ساهم في رسم معالمها الانتاج الفكري للنصوص الأدبية النثرية الروائية والشعرية طيلة العهد الاستعماري، لدعمه بتأسيس تراث يبيّن لوجوده شخصية مؤسسة على التفوق، في مقابل ترسيخ معالم هوية للمستعمر أو ما تبقى منها تصوره "كعبء على الحضارة البيضاء"، لتتمظهر ثنائية الهوية بين هوية سلبية للمستعمر وإيجابية للمستعمر<sup>(2)</sup>.

من هنا يتبين أن خيال النخب الفرنسية، ذهب إلى أبعد ما لا يمكن تصوره من أجل تحويل مقومات هوية الشعب الجزائري المستعمر حسب منظوره إلى مجرد بقايا للتوحش والبدائية، فدينه يصبح وقتها مجرد خرافة ولغة لهجه لا تكتب، وفنونه الراقية فلكلورا يشاهد، غير أنه خلف هذه الجهود لتغيير الحقائق التاريخية والشغف بمسح هوية الجزائري المقهور، كان هناك تخوف ضمني منه، لأن تحقيق هذه الأهداف يستلزم عملية إستيلاء حقيقي على هوية شعب واستبداله بشعب آخر، وهو ما لم يكن لينجح دون إستعمال العنف الممنهج الذي تجاوز الإستعمار الفرنسي في مظاهره ومقاصده كل الحدود<sup>(3)</sup>.

## 3- الجزائر مقاطعة فرنسية:

إن الخطاب المرجعي الذي شرعن لفكرة مشروع الإحتلال الفرنسي في الجزائر لم يقف عند حد التشريعات الاستعمارية المختلفة التي تم إصدارها بل انتقل بعد ذلك إلى وضع استراتيجية ظاهرها إندماجي، لكن باطنها كان يسعى لتجسيد فكرة إلحاق التراب والفضاء الجزائري بالتراب الفرنسي<sup>(4)</sup>، وهو ما يبرزه

---

(1)-Belamri Rabah, L'œuvre de louis Bertrand « miroir de l'idéologie colonialiste », Office Publications Universitaires , Alger, 1980, p 94.

(2)-محمد الطيبي، الجزائر عشية الغزو الإحتلالي، المرجع السابق، ص ص216-218.

(3)-نفسه ، ص 216.

(4)-محمد الطيبي، الجزائر عشية الغزو الإحتلالي، المرجع السابق ، ص 217.

تصريح قائد الحملة العسكرية الجنرال "بيجو Bugeaud" <sup>(1)</sup> أمام ممثل الشعب الفرنسي وقتها قائلاً: "نعم ياسادتي، يجب أن تستعمروا وتستعمروا حتى وإن بقي بعض من العرب على أراضينا، لأنه ليس هناك ما يكفينا من الأراضي لتوطين المعمرين الأوروبيين، فلا مكان للعرب يجب أن تستعمروا. فليس في مقدوركم المحافظة على إفريقيا وعلى الجيش الذي أنجز مهمة الاحتلال وهو يحافظ عليه ما لم تنتهجوا استعماراً قوياً" <sup>(2)</sup>، لذلك تم تشجيع التوطين العسكري في الجزائر، تمهيدا لتوطين المعمرين الذين يحتاجون إلى حماية من قبل هؤلاء العسكريين لضمان استمرارية وجودهم.

فالإنتاج الثقافي للمعمرين ركز في مواضيعه وقيمه الجمالية ومراجعته التاريخية وظلاله الحضارية، على ضبط طبيعة علاقته مع المجتمع الأهلي الجزائري، التي بنيت على أساس كونه نقيض وخصم وأحيانا مصدر للفرجة، غدى متعة الانتصار ونمى لذة تملك الأرض بما تحمله فوقها وتحتها، خصوصا بعد اكتشاف البترول، وهي علاقة ذات مفارقات تتجاوز التاريخ بتصويرها للمستعمر كمغتصب، سعى لإضفاء الشرعية على نظامه عن طريق العنف، لكن تم صياغة هذا الموقف بطريقة منطقية <sup>(3)</sup>، تنظر: " للمستعمر الذي يرفض نفسه ويستمر في العيش في المستعمرة مستعمرا، فالأول يسعى إلى التضحية بكل ما يمتلك من قوة في سبيل أيديولوجية الشرعنة الاحتلالية، والثاني يوظف أيديولوجية وجوده من أجل البقاء والحياة" <sup>(4)</sup>.

(1)-توماس رويير بيجو: جنرال فرنسي ولد سنة 1849م، شغل منصب دوق إسلي ومارشال فرنسا ثم الحاكم العام للجزائر بين سنوات 1840-1847م، تميزت إنتهجه أسلوبا عنيفا ضد الأهالي وإتباع سياسة الأرض المحروقة، وتوفي سنة 1874م، للتوسع أكثر يُنظر: بن داهة عدة: الإستيطان والصراع حول ملكية الأرض إبان الإحتلال الفرنسي 1830-1962م، ج1، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2008، ص 490.

(2)-Gourdon et Henri, *Roman colonial et idéologie colonial en Algérie*, Revue Algérienne, n°1, Mars, 1974, p 60.

(3)-محمد الطيبي، الجزائر عشية الغزو الإحتلالي، المرجع السابق، ص 219.

(4)-Belamri Rabah, *L'œuvre de louis Bertrand*, op cit, p 274.

#### 4- نشر الحضارة الغربية.

كان الاستعمار الفرنسي يهدف إلى إنشاء "جزائر جديدة" مختلفة جذريا عن الجزائر القديمة، عن طريق تحويلها إلى "جزائر أوروبية" جنسا ودينا ولغة وانتماء وحدودا، إلا أن هذا المشروع لا يعني في نفس الوقت إعطاء نفس الحقوق التي يتمتع بها شعب يتصدر رأس الحضارة الإنسانية في العالم إلى مجتمع بربري تم إنزاله إلى مرتبة الأهلي، وكان "واري" من أصحاب هذا التوجه الفكري الاستعماري<sup>(1)</sup>.

وبهدف نشر اللغة الفرنسية وسط الجزائريين أخذ الإستعمار منذ سنة 1883م يفتح أبواب المدارس للجزائريين، وكان التعليم فرنسيا بحت، لأن الجزائر أصبحت في نظر الاستعمار قطعة من فرنسا وبالتالي لغتها ستكون الفرنسية، كما أن القصد من تعليم الجزائريين لم يكن استجابة لصوت الأمة المتعطشة للعلم، وإنما كان بهدف تقريبهم من فرنسا بواسطة اللغة الفرنسية حتى ابتلاعهم وادماجهم، وبذلك أصبحت اللغة العربية اختيارية وأجنبية في موطنها، وغابت عن المدارس، وهكذا أمكن للاستعمار أن يخلق موظفين ساعدوه في توطيد نفوذه وتكوين مثقفين آمنوا بفكره، كما حرف الكتب التاريخية لبث الشك في بطولات الجزائريين، ونفي فكرة وجود دولة وأمة جزائرية لها ثقافتها الخاصة<sup>(2)</sup>.

#### 5- النظرية الإستعمارية الفرنسية ما بين الإستيطان والدمج والمشاركة.

من بداية دخول الاحتلال الفرنسي للجزائر وبغية تبرير الغزو تم التسويق لفكرة إستيطانية لم تنتهي حتى بعد رحيله سنة 1962، قامت على أن: الجزائر كانت على مر تاريخها أرضا للغزوات الخارجية، حيث اعتبر الفرنسيون أنفسهم حلقة ضمن سلسلة تلك الغزوات، وأن مجيئهم للمنطقة جاء في إطار مساعيهم لتخليص سكانها من مخلفات "الغزو العربي"، مع أنهم لم يكونوا يعترفون بوجود دولة جزائرية أصلا حسب ما قاله الجنرال "ديغول" في ندوته الصحفية بتاريخ 16 سبتمبر 1959<sup>(3)</sup>، حيث قال: "إنه لم تكن هناك أبدا في أية واحدة من حقبة التاريخ وبأي شكل كان دولة جزائرية"<sup>(4)</sup>.

#### المطلب الثالث: مقارنة بين مقومات الهوية الفرنسية والهوية الإستعمارية.

إن المتمعن في المقومات الإستعمارية التي أريد ترسيخها في الجزائر المستعمرة، يحيلنا إلى طرح عدة تساؤلات تخص حقيقة هذا المستعمر؟ وكيف تم صنعه؟ وكيف وصل إلى هذه المرحلة المتقدمة من البطش والسيطرة على الشعوب الأخرى؟ ومن أين حصل على هذه الجرأة المتمردة في تطبيق أفكاره الإستعمارية التي دارت في فلك تنفيذه مشروع إستعماري قائم على إنهاء كيان كامل من الوجود؟ ومن منحه الحق في إلغاء هوية شعب له إمتداده

(1)-Ageron Charles Robert, Histoire de l'Algérie contemporaine, Presses de Universitaires de France, Paris, Tome 2 , 1979, pp 11-12.

(2)-محمد الطمار، الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983، ص 262-264.

(3)- عامر بغدادي، الدولة والهوية في الجزائر، المرجع السابق، ص 35.

(4)-محمد العربي الزبيري، تاريخ الجزائر المعاصرة، ج1، إتحاد الكتاب العرب، سوريا، 1999، ص 9

الموغل في التاريخ؟ ومن سمح له بإحلال مقومات دخيلة عن هذه الأمة تم فرضها عليها بقوة القانون والآلة العسكرية؟

إن الإجابة عن هذه التساؤلات تحيلنا إلى محاولة إيجاد العلاقة بين هذا المستعمر والمحيط العام الذي أتى منه، والجهة التي إستقى منها أفكاره الإستعمارية، وهو ما يجعلنا نعقد مقارنة بين المقومات التي ينتمي إليها هذا المستعمر، وما أصبحت عليه بعد إستعمار الجزائر، لفهم التحولات الفكرية التي طرأت عليه في مختلف المجالات فيما يخص علاقته بالشعب الجزائري المستعمر، بحكم أن هذا المستعمر لم يأتي من بيئة منعزلة، فالمؤكد أن هناك مظهرات لرواسب حدثت نتيجة عدة تأثيرات غذتها أحداث متعددة الأبعاد، منها ما تعلق بفرنسا ومحيطها الأوروبي والعالمي، ومنها ما كان نتيجة إنعكاسات الفضاء المغاربي وصولاً إلى ردود الفعل الوطنية والمحلية داخل الجزائر وموقفها من سياسة هذا المستعمر.

لذلك سنركز في عملية المقارنة هذه على المقومات الأساسية للهوية التي حكمت طبيعة العلاقة بين فرنسا كدولة ميتربول قائمة على نظام سياسي وإداري، واقعة في الضفة الشمالية من البحر المتوسط، والنظام الإستعماري في الجزائر الواقعة جنوب المتوسط، الذي قام على فكرة الاحتلال ثم التوسع، ثم السيطرة بهدف الإمتلاك ثم البقاء والإستمرارية، بغض النظر حسب رأيه عن الوسيلة التي ستكون مباحة مقابل مشروعية أهدافه، لذلك سنبحث في الحلقة التي خلقت ذلك الإتصال بين فرنسا والإستعمار على أرض الجزائر، مركزين على البعد الهوياتي كونه "الذات" التي انطلقت منها الأفكار من جهة، وهي مكنم الشعور الإنساني الذي يعكس طبيعة السلوكات كالرغبة والطموح الجامح، والسيطرة والعنصرية والتملك واستعمال القوة والعنف إلى غير ذلك من السلوكات التي تميز بها الإستعمار الفرنسي في الجزائر.

### 1- التبشير الصليبي الإستعماري في الجزائر:

من أهم الأسباب التي دفعت فرنسا الإستعمارية لغزو الجزائر هو القضاء على العقيدة الإسلامية، من خلال ما جاء في مذكرة الكاردينال لافيغري التي أرسلها إلى الإدارة الفرنسية وجاء فيها: "علينا أن نخلص هذا الشعب ونحرره من (قرآنه)"، كما عبر سكرتير الحاكم بيجو عن أهداف الصليبية الفرنسية في الجزائر وعن الضغائن العنصرية التي يؤججها التدين المفتعل حيث قال: "إن آخر أيام الإسلام قد دنت، وفي خلال عشرين عاما لن يكون للجزائر إله غير المسيح، ونحن إن أمكننا الشك في أن هذه الأرض تملكها فرنسا فلا يمكن لنا أن نشك على كل حال أنها قد ضاعت من الإسلام إلى الأبد، أما العرب فلم يكونوا ملكا لفرنسا إلا إذا أصبحوا مسيحيين جميعا"<sup>(1)</sup>، وهذا الكلام جاء بعد وضع الإستعمار لخطّة مدروسة المعالم والأهداف، قصد القضاء على العقيدة الإسلامية وتنصير الشعب الجزائري<sup>(2)</sup>.

(1)- رايح تركي، التعليم القومي والشخصية الجزائرية، التعليم القومي والشخصية الوطنية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975، ص ص 95-98.

(2)- محمد الصالح الصديق، كيف ننسى وهذه جرائمهم؟، المرجع السابق، ص 73.



تعتبر حادثة المروحة من الأسباب التي اتخذتها فرنسا مبررًا لاحتلال الجزائر سنة 1830م، تحت ذريعة رد الاعتبار لشرف فرنسا الذي أهين من قبل الداي حسين، لكن السؤال المطروح هنا: هل حادثة المروحة وشرف فرنسا يبران احتلال غايته كانت مصادرة شعب بأكمله وإلغاءه نهائيًا من الوجود الحضاري والجغرافي؟

كان جوهر ممارسات الاستعمار الفرنسي في الجزائر والغاء الوجود التاريخي للشعب الجزائري وتجريده من خصوصيته بالعمل على تحطيم مقوماته الحضارية والإقتصادية باليد الاجتماعية، لذلك وضع الفرنسيون مخططا متكاملًا من حيث إجراءاته ومراحل تطبيقه وكانت أولى خطواته تصفية مؤسسة الأوقاف الجزائرية التي كانت تؤدي خدمات اجتماعية وثقافية وحتى اقتصادية لفائد المجتمع الجزائري في المدن والأرياف، فضلاً عن دلالتها الدينية متبعين أسلوب مصادرة الأراضي وتغريم السكان وتهجيرهم وإجراءات انتقامية لحركات المقاومة الوطنية لهذه السياسة<sup>(1)</sup>.

فالغرب أراد إعادة رسم الخارطة الحضارية للمتوسط يلغى منها الإسلام وتُدفن حضارته، وهو ما يُفسر البعد الحقيقي للعمل التفكيكي في الجزائر لتشيتت البنية الاجتماعية للديموغرافيا، واستغلال الإمكانيات الاقتصادية للأرض، في مرحلة المد الاستراتيجي للرأسمالية الذي استغلته الكنيسة كفرصة لتجديد توسعها في فضاء كانت ولا زالت تعتبره فضاء أجدادها ومرتع أفكارها وموقع إنحيارها سياسياً ودينياً، بعدما غيرت قوة الإسلام الخطوط الدينية ودفعت بها إلى أعماق أوروبا، فبنى المسلمون حضارة مزدهرة للدين، على عكس مقاصد الكنيسة التي أرادت أن تصنع حضارة بالدين<sup>(2)</sup>.

لهذا نجد أن المرامي التي سعت إليها الإدارة الإستعمارية بما فيهم الكولون لا تختلف عن مرامي الإدارة الفرنسية في باريس فيما يخص تكريس البعد الديني المسيحي في الجزائر المستعمرة، فإذا ما عدنا إلى تاريخانية هذا البعد نجد أنه من المبررات والأسباب التي تذرعت بها فرنسا ممثلة في شخصية "بولينياك" أمام الدول الأوروبية من أجل إحتلال الجزائر.

من هنا يتبين أن الإسلام شكل مشكلة عويصة في وجه الفرنسيين الذين كانوا يرونه نظاماً عقائدياً لا مذهباً دينياً وقف أيام الغزو كعقبة في نشر الأمن في الجزائر، ودينًا حربيًا أرقّ الفرنسيين طيلة 132 سنة من الاحتلال، مدعين أنه يتعارض مع قوانينهم في جميع النواحي<sup>(3)</sup>، هذا من جهة أما من جهة أخرى فإن الوجه الأبيض السماح للمسيحية الذي نادى به الغرب الأوروبي وعلى رأسه فرنسا الكاثوليكية، لم يكن له أثر بتاتا في إحتكاك الجزائريين الطويل بالفرنسيين، وعلى العكس من ذلك تم تسخير المسيحية لخدمة أطماعهم مرسلين طلائع

(1)- ناصر الدين سعيدوني، المسألة الثقافية في الجزائر النخب- الهوية- اللغة دراسة تاريخية نقدية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، ط1، 2021، ص63.

(2)- محمد الطيبي، الجزائر عشية الغزو الإحتلالي، المرجع السابق، ص 229.

(3)- بتريشيا لورسن، هويات "إستعمارية الصورة النمطية والتحيز والأعراق في الجزائر المستعمرة"، ترجمة ابتسام خضرة، دار الأمير للنشر والتوزيع والترجمة، مارسيليا، فرنسا، 2022، ص 99.

تبشيرية لتوسعهم، فالجزائريون شهدوا صليبية حرب زحفت على مساجدهم وأبادت المصلين فيها، وعرفوا تلاوة صلوات الغفران على الجثث والتقرب إلى المسيح بتحويل مساجدهم إلى كنائس، ومن يدعي أن التبشير في الجزائر كان في خدمة المسيحية مححف للحقيقة والواقع التاريخي، لأن الغزو في 1830م كان صليبيًا بمباركة الكنيسة<sup>(1)</sup>.

### 2- اللغة الفرنسية.

تميزت الجزائر بتنوع ثقافي ولغوي كبيرين نتيجة موقعها الإستراتيجي الذي جعلها مقصد العديد من الهجرات والغزوات، شكلت تاريخًا موجات مختلفة مابين فينيقيين ورومان ووندال وعرب وبدو وأندلسيين، استقروا على أرضها إما غزاة أو مستوطنين، مخلفين بصمات اجتماعية ولغوية قوية في المنطقة، إلا أن كل هذه الموجات لم تفكر في إستئصال السكان الجزائريين الأصليين أو استبدالهم بالوافدين، لذا كانت حالي التعايش والمقاومة الميزتين الأساسيتين اللتين تحكمنا في طبيعة العلاقة بين السكان الأصليين والوافدين، لكن نجد هذه القاعدة تختلف كليًا في حالة الإحتلال الفرنسي، إذ أن الجزائريين وجدوا أنفسهم في مواجهة استعمار استيطاني سعى للتدمير الممنهج لكل ما هو جزائري، وإستبداله بالجزائر الفرنسية<sup>(2)</sup>.

فمنذ إحتلال مدينة الجزائر انتهج الفرنسيون خطًا محكمًا سار وفق ضوابط تدور في فلك فرنسة الجزائريين أولاً وتنصيرهم ثانياً ثم إلحاقهم بفرنسا تبعاً لسياسة الإدماج، قصد تجريدتهم من مقوماتهم الشخصية الجزائرية عن طريق هدم ركائزها الدينية واللغوية ساعياً لنشر الثقافة الفرنسية، فركز الإستعمار على تنفيذ تجارب سياسته الاستيطانية بداية من تعليم اللغة الفرنسية لقطع روابط الجزائريين مع ماضيهم وانتمائهم الحضاري، فالفرنسية كانت بالنسبة للاستعمار أنجع وسيلة للإدماج<sup>(3)</sup>، وهو الأمر الذي أكدته التقرير الرسمي الصادر سنة 1898م والذي جاء فيه: "لا ننس أن لغتنا هي اللغة الحاكمة.... وليس لنا أن نتنازل عن لغتنا... فإن أهم الأمور التي يجب أن نعتني بها قبل كل شيء هو السعي وراء جعل اللغة الفرنسية دارجة وعامة بين الجزائريين، الذين عقدنا العزم على إستمالتهم إلينا وتمثيلهم بنا، وإدماجهم فينا وجعلهم فرنسيين"<sup>(4)</sup>.

رغم ما ذهب إليه البعض باعتبار اللغة الفرنسية من أكثر اللغات الأجنبية بقاءً وتأثيراً في الإستعمال العالمي، إلا أننا نرى أن هذا الاستعمال مقتصر على شعوب المستعمرات فقط. كون السبب الوحيد الذي جعلها تظفر بمكانة في المجتمع المغربي عموماً والمجتمع الجزائري خصوصاً، يعود لطريقة فرضها عليه بالحديد والنار، وتوظيف الإستعمار لأساليب عنيفة في نشرها قلما نجد لها مثيلاً في تاريخ البشرية، وبذلك شكلت اللغة الفرنسية أهم وأبرز العناصر الأساسية للسياسة الفرنسية إزاء الجزائريين<sup>(5)</sup> وأحد أبرز مقومات الهوية الإستعمارية، إلا أننا نرى أن

(1)- صالح خري، صفحات من الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972، ص 312-315.

(2)- طيبي غماري، اللغة المدرسة والهوية الوطنية الجزائرية، كوكب العلوم للنشر والتوزيع والطباعة، الجزائر، 2020، ص 14.

(3)- فاطمة الزهراء شايب، اللغة العربية في المدرسة الكولونيالية الجزائر 1830-1936م "صراع التحدي"، دار الأمة، الجزائر، 2023، ص 15.

(4)- رايح تركي، التعليم القومي والشخصية الوطنية، المرجع السابق، ص 106.

(5)- خولة طالب الإبراهيمي، الجزائريون والمسألة اللغوية "عناصر من أجل مقاربة إجتماعية لغوية للمجتمع الجزائري"، ترجمة محمد يحياتن، دار الحكمة،

الجزائر، ط2، 1997، ص 27.

البديل الذي كان يسعى له الإستعمار الفرنسي والسلطة السياسية لدولة الميتروبول وممثليها في الجزائر هو التمكين للغة الفرنسية لتكون مفتاح المستقبل، وقد خلص المؤتمر العالمي للإستعمار بباريس ما بين 30 جويلية وأوت 1889م إلى توصيات تفيد أن:

- من مصلحة الشعوب المستعمرة نشر لغتها المكتوبة والشفهية.  
- في حالة وجود لغة للأهالي شفهية من المستحسن إستعمالها كي تؤدي تدريجيا إلى إستعمال اللغة الوطنية (المقصود هنا لغة المستعمر).

- تعليم اللغة الوطنية ( الفرنسية ) يجب أن يتخللها تعليم المبادئ العامة للأخلاق.

- يجب أن يتضمن تعليم الأهالي تعلم حرف يدوية<sup>(1)</sup>.

ولقد أبان التاريخ عن الأهداف الحقيقية للسياسة اللغوية الفرنسية المطبقة في الجزائر المستعمرة، وتمثل في:  
- إختيار الجزائر بوابة القارة الإفريقية التي إمتد عبرها الوجود اللغوي الفرنسي إلى باقي بلدان إفريقيا، إنطلاقا من تحويل جميع الجزائريين إلى رعايا فرنسيين مرتبطين شعوريا ولغويا وفكريا بالوطن الفرنسي، لتكون وظيفة اللغة الفرنسية هي التوسع الجغرافي داخل إفريقيا، وهو ما يوضحه "أونسيم ريكلو" في حديثه عن الفرنسية سنة 1883م قائلا: "إنها اللغة الأم أو الرسمية لأكثر من 40.000 من معمرى الجزائر العازمين على الذهاب بعيدا في استيطان هذه القارة"، بواسطة توطين لغتهم التي ستكرس من ورائها دينهم وثقافتهم الغربية.

- استبدال اللغة العربية باللغة الفرنسية كأداة ناجعة لبسط النفوذ الفرنسي<sup>(2)</sup>.

إن المتتبع لسياسة التشارك التي عملت الإدارة الفرنسية على تطبيقها في الجزائر أنها قامت بالمرآنة على عامل الزمن لتحقيق الإنصهار الإجتماعي للأهالي عبر تجذر اللغة الفرنسية كأداة رئيسية لتغيير نمط التفكير عندهم فينساقون طواعية للإرتقاء في أحضان الثقافة الإستعمارية على المدى الطويل حتى وإن اضطر الإستعمار لمنح بعض الفئات المادي لهم، وهو ما تؤكد مقررات وأهداف السياسة اللغوية وما تضمنته المناهج التعليمية، حيث نصت على نشر اللغة الفرنسية بكل الوسائل الممكنة بداية من:

- إهمال اللغة العربية الفصحى.

- التركيز على اللهجات العامية التي طبعت بها الكتب المدرسية.

- تركيز الكتب المدرسية على ترسيخ التقليد وتعليم المهن اليدوية على حساب الثقافة والمعرفة الفكرية الدقيقة.

(1)-فريد حاجي، السياسة الثقافية الفرنسية في الجزائر 1837-1937 (المنطلق -السيرورة- المال)، دار الخلدونية، الجزائر، 2013، ص 350-351.

(2)-دريال بلال، السياسات اللغوية في البلاد المستعمرة "الإستعمار الفرنسي للجزائر أنموذجا"، دراسات لغوية، العدد 01، جوان 2015 ص39-40.

- دفع الأهلي إلى النفور من لغته الأصلية كونها ليست لغة إقتصاد ولا تجارة ولا إدارة بعد إحلال الفرنسية محلها<sup>(1)</sup>.

من هنا نجد أن اللغة الفرنسية والثقافة الفرنسية فرضتا على الجزائريين بشكل منقطع النظير في محاولة إستعمارية لفرنسة الجزائر وتبرير إلحاقها القصري بالإمبراطورية الفرنسية، ولخدمة الأوروبيين المستوطنين فيها، ونشر فكرة التفوق الإستعماري<sup>(2)</sup>. ومن جهة أخرى فإن دعاة الإدماج فرضوا على العرب تعلم اللغة الفرنسية للتقرب من الفرنسيين لتكون القاسم المشترك لهوية الجزائر التي يحلمون بها مستقبلا في مقابل المستوطنين الذين دافعوا على ضرورة تعلمها ليس بدافع المواطنة الأخوية للعرب ولكن بغرض إحكام السيطرة على الأهلي وبقوا هم أسيادا يعلمون العربية الدارجة لرعاياهم، لذا أدرجت الفرنسية كمادة تعليمية أساسية للأطفال في المدارس الابتدائية ومن هذا المنطلق تم تسخير اللهجات العامية لخدمة اللغة الفرنسية حيث كتب ب.فونس قائلا: "... هل المتخلفة ستفيد في تعليم اللغة الفرنسية"، لذلك فالسياسة اللغوية عند الفرنسيين قامت على هدفين: توحيد البلاد سياسيًا، والرغبة في تثمين الثقافة الفرنسية لدى التلميذ الأهلي<sup>(3)</sup> خدمة للفكر الإستعماري طبعاً.

ويبرز البرنامج الفرنسي الذي وضع سنة 1898 جليا الأهداف الإستعمارية التي تصب جميعها في القضاء على الهوية الوطنية للشعب الجزائري، حسب المواد التي تضمنها المقرر الدراسي والحجم الساعي المخصص لها<sup>(4)</sup>، (ينظر الملاحق: جدول رقم 02)

### 3- التاريخ الفرنسي الأوروبي:

تم بناء ماضي الجزائر تدريجيا خلال الحقبة الإستعمارية عبر وسائل تدعم الحفاظ عليه مثل المتاحف والنصب التذكارية وعقد المؤتمرات العلمية في المدن الجزائرية الكبرى، لخلق نوع من رضى الذات الجزائرية، واعتبر "ستيفن غزال" مهمة التاريخ في الجزائر ووظيفته الاجتماعية واضحة، حيث قال: "لقد سطر لنا التاريخ أيضا واجباتنا، وإرادتنا صارمة في أن نكون قادة في كل مكان وزمان، بالإضافة إلى ضرورة وجود استعمار تدعمه نسبة كبيرة من السكان الريفيين الأوروبيين، وهي ضرورة لا تقل أهمية في تقريب الرعاية الأنديجان إلينا مع الرغبة القوية والأمل في الإنصهار في المستقبل، قريبا كان أو بعيدا، ولا يعد هذا التاريخ في إفريقيا عديم الفائدة"<sup>(5)</sup>.

إن ما يميز الأوروبيون عن العرب وإفريقيا أن غالبيتهم يتبنون هوية أوروبية لكن هذا لا يعني بالضرورة إنتماء الأفراد إلى جماعة أوروبية من فرنسا إلى أوكرانيا وما بينهما من شعوب، وإنما هو تقمص لشخصية حضارية مشتركة

(1)-فريد حاجي، المرجع السابق، ص ص 351-352.

(2)-طبي غماري، المرجع السابق، ص 22.

(3)-فريد حاجي، المرجع السابق، ص 353.

(4)-نفسه، ص ص 351-352.

(5)-فؤاد صوفي، التاريخ والذاكرة الإسطوريوغرافية الإستعمارية، دفاتر مجلة إنسانيات، الجزائر الهوية والتاريخ والتحويلات العمرانية، العدد 03، مجلد

17، مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، وهران، 2013، ص 42.

يتغير تفسيرها عبر المراحل التاريخية المختلفة، أو بعبارة أخرى مجموع الصفات وليس بمعنى الانتماء إلى جماعة، وفي عصرنا هذا لا تتغلب الهوية الأوروبية على الهوية الفرنسية أو الإيطالية مثلاً، فالفرد ليس أوروبياً مباشرةً، بل هو أوروبي بوصفه فرنسياً أو إيطالياً، على عكس ما هو موجود عند العرب، إذ أن العربي هو عربي مباشرةً بفضل اللغة والثقافة والانتماء إلى جماعة العرب، وليس بوصفه سورياً أو تونسياً<sup>(1)</sup>.

### 4- الجزائر قطعة من الوطن الفرنسي:

عمل الاحتلال الفرنسي على إصدار قوانين استعمارية بهدف إلحاق الهزيمة النفسية بالجزائريين لتقبل الواقع الاستعماري من أجل جعلهم رعايا خاضعين للإدارة الفرنسية، تم اعتبار الأرض الجزائرية قطعة فرنسية منذ سنة 1834م، حيث أُخضعت للحكم العسكري بواسطة المكاتب العربية، وتدعمت السياسة بمراسيم مجلس الشيوخ الفرنسي، والملكيات المشاعة، وتفكيك القبيلة، وحددت حدود الملكية العقارية في أبريل 1863م، فصاحب ذلك محاولة للقضاء على تماسك الجزائريين الاجتماعي القائم على وحدة القبيلة وسلطة الجماعة من خلال تقسيم الملكيات وفق قانون "سيناتوس كونسيلت"<sup>(2)</sup>، وأتبع وضع الجزائريين القانوني فيما يتعلق بالأحوال الشخصية والتجنس في يوليو 1865م، إنتهاءً بقانون الحالة المدنية الخاص بهم والذي فرض استعمال الألقاب العائلية على النمط الأوروبي في مارس 1882م، ضف إلى هذا إصدار قانون الأهالي أو الأنديجان الذي أُعتمد في يونيو 1881م وظل ساري المفعول لفترة استمرت إلى غاية نهاية الحرب العالمية الثانية<sup>(3)</sup>.

(1)-عزمي بشار، تأملات في مسألة الهوية، مجلة تباين، العدد 41، المجلد 11، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، قطر، 2022، ص 18-19.

(2)-سيناتوس كونسيلت: يسمى أيضا بالقانون المشيخي، صدر سنة 1863م، تضمن سبعة مواد (المادة 01: بإعلان قبائل الجزائر ملاكا للأقاليم التي يتمتعون بها بشكل دائم أو تقليدي، المادة 02: تحديد الإدارة لجلالات القبائل والدواوير وإستحواذها على أراضي الكومينال وإقامة ملكيات فردية، المادة 03: شروط ترسيم حدود القبائل والدواوير وعزل الأملاك وتوزيع العقود، المادة 04: إبقاء الدولة على تحصيل الإتاوات والمداحيل، المادة 05: إحتفاظ الدولة بملكيات البايك وأراضي الملك والدومين والحشب والغابات، المادة 06: إلغاء الفقرتين 02 و03 في المادة 14 من قانون 16 جوان 1851م الخاصة بتأسيس الملكيات بالجزائر، وإرجاء الملكية الردية بعد توزيع العقود، المادة 07: هذه الإجراءات لا تنقص من قانون 16 جوان 1851م فيما يتعلق بالمنفعة العامة والحجز)، أعقب هذا القانون بمرسوم في 23 ماي 1863م إحتوى على ست (تضمن 36 مادة لتنظيم العمليات الإدارية) تلى ذلك تنفيذ القانون المشيخي على 35 قبيلة لمقاطعة قسنطينة بين سنوات 1864-1887م، ثم إستكملت العملية بإصدار قانون سيناتوس كونسيلت الصغير في 28 أبريل 1887م، لتغطية عمليات تقسيم وتمليك الأراضي التي لم تتمكن للإدارة الإستعمارية من تنفيذها في المرحلة الأولى، للتوسع أكثر العودة إلى:

Ministre de la guerre, Tableau de la Situation des etablissements francais dans L'Algerie, imprimerie Royale, Paris, Vol 3, 1840, p 18-20.

وأيضا: Rebert Estoublon et Adophe le Fébure, Code de l'Algerie annoté « recueil chronologique des lois,

Ordonnances, décrets, circulaires etc, formant la législation actuellement en viguer », libraire-éditeur Adolphe Jordan, Alger, 1896, p 277-290.

(3)-ناصر الدين سعيدوني، المسألة الثقافية في الجزائر النخب الهوية اللغة دراسة نقدية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، 2021، ص 65-68.

## 5- الثقافة والحضارة الغربية.

من أجل أن تصبح الجزائر مقاطعة فرنسية الروح عمل الاستعمار على تحقيق تماثل ثقافي بين فرنسا والجزائر المستعمرة حيث كان يرى في غرس رموز الثقافة الفرنسية أدوات تأثير على الأهالي، اعتقادًا منه أنه بهذه السياسة سيدفع المجتمع إلى التباهي مع هذا النموذج الثقافي الذي سيخرجه من بربريته وانحطاته وترحاله، وكان لهذه الرموز وظيفة سياسية وثقافية، من ناحية جاءت مكملة للعمل الإداري والقضائي الذي شُرع فيه قصد جعل الجزائر جزءًا جديدًا من فرنسا، ومن ناحية أخرى إثبات أن الجزائر أصبحت فرنسية الثقافة، هذه الثقافة هي التي ستصبح عامل وحدة للمجتمع كما أمل الفرنسيون، والتي طالما افتقر إليها الجزائريون في تاريخهم، وذلك بعد قبر رموزهم الثقافية المحلية المادية والمعنوية<sup>(1)</sup>.

من هنا يتضح أن نشر اللغة الفرنسية لم يكن غاية في حد ذاتها بل مرحلة ممهدة لغرس بذور الفكر والثقافة الفرنسيين في عقول الجزائريين ليصبحوا مرتبطين لغويًا وفكريًا وعاطفيًا بفرنسا بعد إزاحة الجدار الصلب الممثل في الدين الإسلامي والذي تُشكل اللغة العربية الفصحى الإسمت المسلح له، فالمدرسة بالنسبة للفرنسيين العنصر الوحيد القادر على نشر اللغة الفرنسية، والمدرسة هي المؤسسة التي يتم فيها تلميع الثقافة الفرنسية لأبناء الأهالي في سن مبكرة، واطهارها عنوان التمدن والتحضر ومن ثم قيادتهم إلى التخلي عن لغتهم وثقافتهم الأصلية وتعلم لغة المستعمر والشرب من ثقافته كي يتحضر<sup>(2)</sup>.

كما أن من يتمعن في الواقع الأوروبي عامة والفرنسي خاصة يجد أن ثقافة إنسان الأرض وحضارة الزراعة هي التي كانت سائدة في تلك المرحلة التاريخية التي أعقبت فترة النهضة الأوروبية، حيث كان لهذا الواقع تأثير كبير على نفسية الإنسان الأوروبي وصياغة رموز حضارته، فأصبحت كلمة الثقافة مقتزنة بمعنى الزراعة والإنتاج الفكري<sup>(3)</sup>، إلا أن هذا الفكر الثقافي الأوروبي الفرنسي لم يطبق في الجزائر بنفس الطريقة ولم نجد له أثرًا في السياسة الإستعمارية المنتهجة طيلة 132 سنة من الاحتلال، فالثقافة الفرنسية التي شهدتها الجزائريون كانت مبنية على الأرض المحروقة، وتوطين الكولون الذين إستحوذوا على ممتلكات أصحاب الأرض، وأصبح لهم نفوذ كبير سمح لهم بفرض فكرهم ومنطقهم ليس على الجزائريين فقط بل حتى على الإدارة الإستعمارية الفرنسية، فبعد إقامتهم الطويلة أصبحوا يشكلون قوةً وقفت مع مرور الزمن في وجه الإدارة الفرنسية نفسها وأفشلوا تطبيق الكثير من القوانين والإصلاحات التي كانت تصب في خدمة الأهالي -على الأقل ظاهريًا أو كما سُوق لها- عبر رفض التصويت عليها في المجالس البرلمانية.

وبما أن الثورة الفرنسية قامت على أساس إستبعاد الدين في الحياة السياسية والاجتماعية بما حقق لفرنسا - حسب زعمهم- التقدم والرفي، فإن الدولة الفرنسية الناشئة رأت هي أيضا ومن سار في فلكها من بعض دعاة

(1)-فريد حاجي، المرجع السابق، ص 100-101.

(2)-نفسه، ص 353-354.

(3)-مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، المرجع السابق، ص 26.

الإدماج والتجنيس، التخلي عن دينها حتى ترتقي في سلم المدنية، وتنعم معها بإنجازات الحضارة الحديثة، وإذا كانت هذه هي غاية دُعاة الإدماج من التعليم، فإن الإدارة الإستعمارية لم يكن هدفها من التعليم رفع المستوى المعرفي بقدر ما كانت لها غايات سياسية، يدل عليها إسناد تعليم الأهالي لوزارة الحرب وليس لوزارة التعليم العمومي، سعيًا لتأطير السياق السياسي والثقافي للجزائر<sup>(1)</sup>، وهو ما يبينه أيضًا فرض ثقافتهم على الشعب الجزائري على حساب ثقافة الأجداد منتهجين سياسة الإبادة ضد كل ما يربط الشباب بماضيه، فصوّروا الفرنسيون العربية شخصًا فوضويًا، والبربرية فردًا لا شخصية له، زاعمة أنه لم يكن له ثقافة ولم يكن له ماضي يعتز به ليشك في قيم بلاده وفي كل ما يملك من تقاليد وتراث، بل أبعد من هذا يحتقر لغة أجداده وثقافتها، كيف لا يحدث هذا وقد تقطعت السبل التي تربطه بلغته وتاريخ بلاده وثقافته التي هي ثمرة تفاعل الحضارة الجزائرية بحضارات اتصلت بها سلميًا حينًا وحربيًا حين آخر، وإزدهرت في ظل الإسلام متميزة بشخصيتها المنفردة<sup>(2)</sup>.

إن الشباب الجزائري معذور في تلك الظروف الخاصة التي جعلته يخضع إلى تلك السياسة الإستعمارية التي إتبعها الإستعمار في الجزائر عاملاً على تحطيم كل صلة تربطه بماضيه، فتحطيم معالم الشخصية الجزائرية كان يبدأ بتحطيم اللغة العربية التي هي أداه الثقافة والحضارة وتحطيم المساجد وغلقتها، وهي التي كانت مأوى للثقافة الإسلامية فأصبحت مهددة بتأثيرات الثقافة الفرنسية، وهذا الانحصر لم يتراجع نطاقه إلا ببروز تأثيرات الحضارة الإسلامية الوافدة من المشرق نتيجة النهضة هناك وهو ما انعكس على الجزائريين بقيام نخضة لاسترجاع مقومات ومعاليم الشخصية الجزائرية، فتكللت مجهوداته بظهور الجمعيات ومقاومة المثقفين للإستعمار بالقلم مسجلة بذلك فضائع ما قام به الفرنسيون<sup>(3)</sup>.

### 6- الجنسية الفرنسية والمسلمون الفرنسيون.

نظرًا لإختلاف طبيعة الإستعمار الفرنسي في الجزائر وخصوصيته عن باقي أنواع الإستعمار المطبقة في مختلف بلدان العالم، فهذا يستدعي من الباحث في هذا الموضوع إجراء دراسات متعمقة تأخذ بعين الإعتبار خصوصية حالة الجزائر واستثنائية ما حدث فيها، وهو ما أكّد عليه محمد بوطيبي حين دعى لضرورة إيلاء قيمة وأهمية كبيرة لعملية البحث في الحقائق التاريخية للوجود الفرنسي في الجزائر، لكونه جريمة أخلاقية ممنهجة وخطيرة عملت على تفكيك مقومات الهوية الجزائرية وتراث شعبها، حيث قال في هذا الصدد: "إن المسألة القيمية لتاريخ فرنسا في الجزائر، لا يجب أن تنفقه وتبسط وإنما وجب البحث في حقائقها التي تتجاوز وبكثير ليس فقط السياسات المطبقة وإنما لكونها جريمة من طراز لا يتقادم، واعتداء مبرمج على تراث شعب وتفكيك ممنهج لمقومات هويته، وتنكيل مادي ورمزي بمقومات وجدانه، التي هي الدين واللغة"<sup>(4)</sup>.

(1)-فريد حاجي، المرجع السابق، ص 354.

(2)-محمد الطمار، المرجع السابق، ص 272.

(3)-نفسه والصفحة.

(4)-محمد الطيبي، الجزائر عشية الغزو الإحتلالي، المرجع السابق، ص 223.



من خلال ما سبق نصل إلى الفكرة التي أشار إليها ألبير مامي لفهم حلقة الإتصال بين الإستعمار الفرنسي في الجزائر، والإدارة الفرنسية في باريس. حيث قال أن: "لقومية الإستدماري في الواقع طبيعة خاصة، فهو يتوجه إلى ذلك الوجه من الوطن الذي يتقبل ويحمي وجوده كإستدماري، فلو أصبح المتروبول ديمقراطيًا مثلاً إلى حد ترقية المساواة بين الحقوق حتى في داخل المستعمرات، وخطر التنازل عن مشاريعه الإستدمارية، فإن مثل هذا التحول سيكون بالنسبة للإستدماري قضية حياة أو موت"، ما يعني أن المعمرين في الجزائر رفضوا جميع الإصلاحات التي قدمتها الإدارة الفرنسية وهو بذلك يرفض المساواة مع الأهلي صاحب الأرض أو الإعتراف بوطنيته، وهو ما يفسر سعي الإستعمار طيلة وجوده بالجزائر إلى المحافظة على إمتيازاته بدعم من المتروبول بباريس، لذلك اعتبر ألبير مامي: أن كل وطن كولونيالي إنما يحمل في جوهره بذور الغواية الفاشية. فما هي الفاشية أصلاً. إذا لم تكن نظاماً جائراً لصالح البعض القليل؟<sup>(1)</sup>.

وإذا ما عدنا إلى علماء الجمعية نجد أن كتابات العربي التبسي تعرضت لصورة الآخر المستعمر ليس بإعتباره شخصاً أوروبياً أو فرنسياً<sup>(2)</sup>، ينعكس طبعه أو صورته في إتصاله بالجزائريين، بقدر ما تمثل في مؤسسة إستعمارية فرضت قانوناً حياتياً زاد من الهوة الحضارية بين الناظر والمنظور إليه، ورسم صورة هذا الكيان الآخر الإستعماري وفق النمط الداعي إليه راجع لطبيعة الجنس الأدبي ومجال الصورة التي اشتغلت عليه، فإذا كانت الدراسات النقدية من شعر وقصة ورواية وأعمال مسرحية تبنت دراسة صورة الآخر بحكم طبيعتها السردية القائمة على المخيال، فإن المقالة والخطابة التي ميزت أغلب طرق نضال علماء الجمعية ورجال الدين الإصلاحيين بحكم طبيعتها الفكرية القائمة على الوعي، بالذات (الهوية الجزائرية) ووعياً بالآخر (الهوية الإستعمارية)، فلا وجود للآخر إلا بعد أن

(1)- ألبير مامي، المصدر السابق، ص ص 66-67.

(2)- تم التمييز في البحث بين الهوية الفرنسية كأمة مستقلة لها تاريخها وشخصيتها كغيرها من الأمم في العالم، وبين الهوية الإستعمارية التي تم تكريسها في الجزائر بالقوة العسكرية وقوة القوانين الإدارية على مدار فترة الاحتلال الذي دام 130 سنة، ساهم المعمرون الأوروبيون في رسم معالمها في مراحل مهمة، دون أن يمنح في المقابل الحق للجزائريين في إختيار هذه الهوية عن طواعية، بحكم إختلاف طبيعة الاحتلال في الجزائر والذي بني على مبدأ الإستمرارية في البقاء بغض النظر عن الوسائل الغير مشروعة التي وظفت لتحقيق هذا المبدأ.

يوجد الأنا كمثيل لدعوة حضور الآخر، وتصور الشيخ العربي التبسي لفرنسا الأوروبية الغربية جاء على اتجاهين يمثلان الجمع بين ضدين هما صورة الحضارة الديمقراطية ثم الإستعمار بوحشيته البدائية<sup>(1)</sup>.

من خلال كل ما تقدم نخلص إلى أن مصطلح الهوية يعتبر مصطلحا زئبقيا امتد بجذوره إلى مختلف العلوم منذ ظهور الفلاسفة الأوائل، ومع تطور مفهومه تطورت معه المقومات والمرتكزات التي يقوم عليها المصطلح، واختلفت درجة أهمية كل عنصر من فترة إلى أخرى تبعا للمنحى الكرونولوجي الذي سارت وفقه، إلا أن مرحلة ظهور الفكر الإستعماري أعطت للمصطلح بعدا غريبا عنيف فرض جدلية التمييز والإقصاء للهويات على جدلية التمايز والتنوع والثراء، ومع تزايد فكرة مقاومة ونضال الشعوب المستعمرة للحفاظ على هويتها، زادت حدة الصراع بين الهويات، ويعتبر المجتمع الجزائري من المجتمعات التي تعرضت لسياسة استعمارية ممنهجة على خلفية علمية مدروسة لإذابة هوية الإنسان والأرض معا، لتظهر أشكال مختلفة من المقاومة للمستعمر في سبيل المحافظة على الهوية الوطنية لهذه الأمة، وتاريخيا لطالما إقترن موضوع الهوية في الجزائر بشخصية ابن باديس وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، فلماذا هذا الإقتران يا ترى؟ وهو ما سنحاول الإجابة عليه في الفصل الثاني من هذا البحث.

(1)-خالد أقيس، المرجع السابق، ص ص 205-207.

# الفصل الثاني

جهود ابن باديس الإصلاحية ودوره في تأسيس جمعية  
العلماء المسلمين الجزائريين.

المبحث الأول: شخصية ابن باديس الإصلاحية وتكوينه الوطني.

المبحث الثاني: ظهور جمعية العلماء المسلمين وأهدافها.

المبحث الثالث: طرق ووسائل الإصلاح عند جمعية العلماء المسلمين.

سبق تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين جملة من الظروف التي أثرت بشكل كبير في تطور مسار الأحداث، وبرز أسباب ودوافع عجلت بظهور الفكر الإصلاحية، وغمز هنا بين نوعين من الظروف، منها ما هو داخلي متعلق في جوهره بالسياسة الإستعمارية، ومنها ما هو خارجي متعلق بتأثيرات المد الإصلاحية في المشرق العربي، ومساهمة في تكوين علماء جزائريين كان لهم دور كبير في تطور الفكر الإصلاحية وانتشاره عبر مختلف أنحاء القطر الجزائري، بعد عودتهم إلى أرض الوطن، وفي مقدمة هؤلاء العلماء نجد الشيخ عبد الحميد بن باديس الذي يرجع له الفضل الكبير في تغيير الفكر الجزائري وإصلاحه، خلال مرحلة صعبة من تاريخ الجزائر عانت من سيطرة الاحتلال الفرنسي الذي تميز بطبيعته الإستيطانية، وجهوده لطمس الهوية الوطنية للأمة الجزائرية، لذلك سنتناول في هذا الفصل التعريف بشخصية ابن باديس، ومميزات منهجه الإصلاحية، ثم سنتطرق لكيفية تأسيس جمعية العلماء وقانونها الأساسي وأهدافها المبتغاة، والوسائل التي وظفتها لتحقيق أهدافها.

### المبحث الأول: شخصية ابن باديس الإصلاحية وتكوينه الوطني.

#### المطلب الأول: نشأته ومقومات شخصيته الإصلاحية والنهضوية.

يعتبر عبد الحميد ابن باديس من الشخصيات المتميزة التي تركت بصمتها الثابتة في تاريخ الجزائر، نظرًا للدور الفعال الذي قام به في مجرى أحداث هذا التاريخ، وقد ساهم في تكوين شخصيته عدة عوامل بيّنها في خطابه الذي ألقاه في قسنطينة سنة 1938م، أثناء ختمه لتفسير القرآن، وأجملها في خمسة عوامل أساسية <sup>(1)</sup> وهي:

- تربية والده له تربية دينية وخلقية فاضلة وتوجيهه الصالح، والبيئة العلمية التي ترعرع فيها وتأثير أساتذته فيه خصوصاً "حمدان لونيسي" <sup>(2)</sup> و "محمد النخلي" <sup>(3)</sup> بجامع الزيتونة، فالأول أوصاه ألا يقرب الوظيفة طيلة حياته، ولا يتخذ

(1)-أحمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحية في الجزائر، المرجع السابق، ص 122-123.

(2)-محمد حمدان لونيسي: (1856-1920م) من علماء الإصلاح الجزائريين ينحدر من قسنطينة، إنخرط في صفوف الطريقة التيجانية المنتشرة بين علماء قسنطينة وقتها، عين أستاذًا لمادة الحديث بالحرم الشريف، يصنفه المؤرخون من جماعة المحافظين الوطنيين الذين ظهروا في الجزائر منذ سنة 1900م، المطالبين بالمحافظة على كيان وتقاليد المجتمع الجزائري والتمسك بالدين الحنيف، دافع عن الإسلام في خطبه ودروسه ومواعظه، زاول التدريس مدة 30 سنة، واشتهر بسرعة الإدراك في فهم العلوم وقوة التحقيق متفوقًا على شيوخه، من تلاميذه العلامة عبد الحميد ابن باديس، توفي بالمدينة المنورة. يُنظر: أحمد غريسي، العلامة الشيخ محمد حمدان لونيسي التيجاني القسنطيني ودوره في بعث الفكر التحرري الوطني في الجزائر 1856-1920م، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2018، ص ص 14-17، ص 29-47.

(3)-محمد النخلي: (1869م-1924م) عالم ومصلح تونسي، التحق بجامع الزيتونة 1886م وتلمذ على أشهر علماء عصره في ذلك الوقت، لينال شهادة التطويق. ثم اجتياز مناظرة التدريس سنة 1895م، ثم سنة 1902م. وساهم في الحركة الإصلاحية معاصراً تأسيس الخلدونية سنة 1896م، وكان عضواً ومدبراً بها، عرف بدفاعه عن اللغة العربية ضد سياسة الاحتلال، وشارك في تأسيس الجمعية الزيتونية سنة 1906م ناشطاً ضمن هيئتها، وعضو في لجنة إصلاح التعليم العربي بالمدرسة الصادقية، لقيت أفكاره الإصلاحية معارضة من قبل الاحتلال، وعوقب بعزله من عضوية لجنة تنظيم الكتب بجامع الزيتونة، توفي بعد مرض لازمه مدة طويلة. يُنظر: محمد النخلي، آثار الشيخ محمد النخلي سيرته الذاتية وأفكاره إصلاحية (1869 - 1924)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط01، 1995، ص 334-336. وأيضاً: عمار طالبي وعبد المالك حداد، ابن باديس من خلال الإجازات والوثائق وتقارير المخابرات الفرنسية، شركة الأصالة، الجزائر، 2017، ص ص 201-202.

من علمه مَطْيئة لها، فيما الثاني نصحه بانتهاج السلوك العلمي والفكري في حياته متخذاً عقله مصفاة لجميع الأساليب المعقدة عند اختلاف الأقوال واضطراب الآراء<sup>(1)</sup>.

- مساندة إخوانه العلماء له ووقوفهم إلى جانبه منذ بداية النهضة في الجزائر، ومواقفهم المؤيدة له في الاتجاه والمقصد وإخلاص النية، ومثانة العزائم ومناصرة الحق واجتماعها على مبدئي الإسلام والعروبة، أَلَفَ بينها العلم والعمل<sup>(2)</sup>، ويقصد هنا رفقاءه العلماء الذين ناضلوا إلى جانبه قبل ظهور الجمعية وبعدها<sup>(3)</sup>.

- المقومات المتميزة للشخصية الجزائرية في حد ذاتها، المستمدة من مقومات الأمة الأشمل وقد وصفها ابن باديس بأنها أمة تُعِين على فعل الخير، مُستوفية لاستعدادات الكمال، نُسبها عريقاً في المحامد والفضائل<sup>(4)</sup>.

- دور القرآن الكريم في تكوين رجال الخلف إذا ما أحسن الناس فهمه وتدبره وانتهاج الأنفس له<sup>(5)</sup>.

إن التعرض لحياة ونشاط المصلح الكبير الذي ملأ ذكره الآفاق مشرقاً ومغرباً بواقعيته وإخلاصه وأدبه مدافعاً عن هوية شعبه وأمتة العظيمة، كان يتمتع بشخصية متميزة عن غيره من العلماء المصلحين نظراً لطبيعة البيئة التي نشأ فيها وكانت بيئة علمية تقدر العلم والعلماء، وتولي اهتماماً كبيراً للتربية الدينية، ما جعله يُتم حفظ القرآن وختمه في سن مبكرة لا تتعدى 13 سنة. وتعتبر الفترة التي قضاها في الدراسة بجامع الزيتونة من أهم المراحل في نشأته العلمية، حيث صُقلت شخصيته من قبل أساتذته الزيتونيين، الذين أثروا بشكل كبير في التوجه الفكري له، فبالإضافة إلى الشيخ محمد النخلي الذي وَّضَح لابن باديس المنهج الصحيح لفهم القرآن والتدبر في آياته، نجد أيضاً الشيخ الطاهر بن عاشور<sup>(6)</sup> الذي غرس في نفسه حب اللغة العربية وتذوق جمالها، ومحمد الصادق النيفر<sup>(7)</sup> العلامة المحقق الفقيه النوازي قاضي

(1)- عبد الحميد بن باديس، كلمة المختفل به، الشهاب، ج 04، مج 14، ربيع الثاني-جمادى الأولى 1357هـ/جوان-جويلية 1938م، ص 290.

(2)- نفسه، ص ص 288-291.

(3)- عمار طالي، الإمام عبد الحميد بن باديس حياته وآثاره، ج 01، عالم المعرفة، الجزائر، ط 01، 2013، ص 79، يُنظر أيضاً رابح تركي، الشيخ عبد الحميد بن باديس باحث النهضة الإسلامية العربية في الجزائر المعاصرة، موفم للنشر، الجزائر، ط 2، 2003، ص 177.

(4)- البصائر، العدد 16، السنة الأولى، 02 صفر 1355 هـ/ 24 أبريل 1936..

(5)- الشهاب، ج 04، مج 14، المصدر السابق، ص 290.

(6)- محمد الطاهر بن عاشور: (1879-1973م) رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس التي ولد ودرس وتوفي فيها، حصل على شهادة التطوع من الزيتونة سنة 1899م، ودرس بها سنة 1903م، وكان قد درس بمدرسة الصادقية سنة 1900م، تم تعيينه سنة 1932م شيخاً للإسلام، متبعاً المذهب المالكي، بدأ في تطبيق رؤيته الإصلاحية العلمية التربوية بجامع الزيتونة من سنة 1907م، وفي سنوات 1910م و 1924م أختير عضواً مؤسساً للجنة إصلاح التعليم الأولى والثانية لجامع الزيتونة، كما عمل بالقضاء، وهو من أعضاء الجمعيتين العربيتين في دمشق والقاهرة، أنشأ أول مجلة "السعادة العظمى" سنة 1952م، له مصنفات مطبوعة من أشهرها "مقاصد الشريعة الإسلامية" و"أصول النظام الاجتماعي في الإسلام" و"التحرير والتنوير" في تفسير القرآن صدر في 10 أجزاء. يُنظر: خير الدين الزركلي، الأعلام "قاموس تراجم"، مج 07، دار العالم للملايين، بيروت، لبنان، ط 07، 1986، ص 174. وأيضاً: عمار طالي وعبد المالك حداد، المرجع السابق، ص ص 197-198.

(7)- محمد الصادق النيفر: (1882-1938م)، ولد بمجومة جامع غربال قرب جامع الزيتونة، حفظ القرآن على يد دده، ثم التحق بجامع الزيتونة سنة 1895م، الذي نال شهادة التطوع منه سنة 1900م، وأصبح مدرسا في الجامع الأعظم زهاء ربع قرن إلى غاية سنة 1923، وفي سنة 1921م ولي الإمامة والخطابة بجامع الزرارية ورواية الحديث بمدرسة بئر الحجار خلفاً لوالده، تقلد قضاء الجماعة سنة 1923م إلى غاية 1929م، نشط في السياسة بانتسابه للحزب الدستوري التونسي سنة 1918م، ثم انتخب سنة 1920م عضواً باللجنة التنفيذية للحزب، طالب بوضع دستور تونسي، عانى من داء ضعف القلب إلى غاية وفاته. يُنظر: عمار طالي وعبد المالك حداد، المرجع السابق، ص ص 196-197.

الجماعة، والشيخ البشير صفر<sup>(1)</sup> الذي كان له دور كبير في إدراك ابن باديس لأهمية دراسة التاريخ وتوظيفه في حل مشكلات المسلمين المعاصرة ومعاناتهم بسبب الاستعمار الأوروبي ومخلفات آثاره السلبية التي مست جميع الميادين الاجتماعية، والثقافية، الاقتصادية، والسياسية. وما ساعد ابن باديس في توسيع فكره الإصلاحي هو تعرفه على العديد من المفكرين في المشرق العربي والعلماء بعد رحلته إلى الحجاز والشام<sup>(2)</sup>، والتي عاد منها لياشر نهضة إصلاح المجتمع الجزائري بعدما نصحه الشيخ "حسين أحمد الهندي"<sup>(3)</sup> بالعودة إلى الجزائر لأنها في أمس الحاجة لمجهوداته العلمية والإصلاحية، وفي رحلة العودة من الحجاز عرج ابن باديس على الشام ومصر والتقى عدة علماء ورجال الفكر والعلم وأعلام الأدب والدين هناك، كما كانت له فرصة لزيارة جامع الأزهر، ولقاء الشيخ "نجيب المطيعي"<sup>(4)</sup>.

ساهمت هذه اللقاءات في بلورة الفكر الإصلاحي لابن باديس، الذي أصبح يؤمن إيماناً قوياً بقضية إصلاح المجتمع الجزائري، ومتأكداً أن مآلها النصر والنجاح، ونظراً لتأصل هذه القضية في نفسه فقد انعكس تحقيقها على شخصيته، فأصبح رجلاً شجاعاً، قوي النفس، صادق الهمة، كثير الصبر على الأذى، وكثيره من رواد الإصلاح والتغيير الذين واكبوا عصره، كان مفكراً سلفياً يرى في العودة إلى منابع الإسلام الأولى وأصوله الجوهرية السبيل الوحيد لبعث الأمة الجزائرية من جديد، وهذا التميز الذي اختص به ابن باديس تجلّى في مواقفه الفكرية العديدة من خلال<sup>(5)</sup>:

(1)- البشير صفر: (1865 - 1917م) ولد بمدينة تونس، ودرس في المدرسة الصادقية التي أبان فيها على قدرات تعليمية أهله ليكون من أوفدته الحكومة التونسية لإتمام دراستهم الثانوية بمعهد سان لويس بباريس، لكن أحلامه تبددت بعد الإلغاء المفاجئ للمنحة الدراسية سنة 1882م، فلجأ للعمل في الإدارة بتوليته تسيير مكتب المحاسبة، واجتهد في توسيع ثقافته وتعميق معلوماته، فكان مولعاً بمناقشة الأفكار ومشاركة أبحاثه بالجمعية الخلدونية التي كان أحد مؤسسيها، متحلياً بالموضوعية في الطرح عند استعراض التاريخ الإسلامي لإفريقيا والعبر منه، نشر عدة مقالات في جريدة "الحاضرة"، مساهماً في الحركة التقدمية ومنظماً إلى البرنامج الإصلاحي للريثونة، كما أسس جريدة "التونسي" للدفاع عن القضية التونسية، ما جعل السلطات الفرنسية تقصيه من التدريس، فاستغل الفرصة لتأليف كتاب "مفتاح التاريخ" جمع فيها دروسه التاريخية بالجمعية الخلدونية، بيد أن إصابته بمرض عضال سنة 1917م عجل بوفاته. يُنظر: الصادق الزملي، أعلام تونسيون، تقدم وتعريب حمادي الساحلي، ط01، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1986، ص ص 121-131.

(2)- عبد الحميد زوزو، الثقافة والتعليم الحر والرسمي في العهد الفرنسي، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2017، ص ص 71-72.

(3)- حسين أحمد الفيض أبادي: (1879-1957م) اشتهر بالمديني، ولد بقرية بانكر مئو بالهند، ويرجع نسبه إلى الحسين بن علي رضي الله عنه، من أسرة علمية، تلقى تعليمه الأول في ثانده، ثم المدرسة العربية بديوبند، هاجر إلى الحجاز سنة 1898م، وأقام في المدينة المنورة ودرس بالمسجد النبوي، ثم عاد للهند سنة 1920م، عين رئيساً للمعلمين وشیخاً للحديث في دار العلوم في ديوبند سنة 1927م، صرف همه لتأييد القضايا الوطنية ومساعدة جمعية العلماء التي كان من أكبر أعضائها، وترأس عدة حفلات سنوية لها، سجن عدة مرات بسبب مواقف الوطنية والسياسية ضد الإنجليز، آخرها كان سنة 1932م، من مؤلفاته "الشهاب الثاقب"، "رحلة الماطة"، "نقش حياة" في مجلدين، وجمعت رسائله في 3 مجلدات، اجتمع به الشيخ ابن باديس سنة 1914م بالمدينة المنورة بعد زيارة الحج، فأجازه بالصحاح الست وغيرها مما تجوز له روايته من كتب المعقول والمنقول، ونظراً لما تميز به من العلم والحكمة نصح ابن باديس بالعودة إلى وطنه، وخدمة الإسلام والعربية فيه بقدر الجهد. يُنظر: عمار طالبي وعبد المالك حداد، ابن باديس من خلال الإجازات والوثائق وتقارير المخابرات الفرنسية، شركة الأصالة، الجزائر، 2017، ص ص 185-186.

(4)- محمد نجيب بن حسين المطيعي الحنقي: (1854-1935م) مفتي الديار المصرية، ومن كبار فقهاءها، ولد في بلدة "المطبعة" من أسيوط وتعلم في الأزهر الذي تحصل منه على شهادة العالمية سنة 1877م، واشتغل بالتدريس فيه، وانتقل إلى القضاء الشرعي سنة 1880م، ثم مفتشاً للديار المصرية سنة 1914م، واتصل بالسيد جمال الدين الأفغاني، ثم كان من أشد المعارضين لحركة الإصلاح التي قام بها الشيخ محمد عبده، وعين مفتياً للديار المصرية سنة 1914-1921م، ولزم بيته يفتي ويفيد إلى أن توفي بالقاهرة له عدة مؤلفات منها "إرشاد الأمة إلى أحكام أهل الذمة" و "أحسن الكلام فيما يتعلق بالسنة والبدع من الأحكام" و "حسن البيان في دفع ما ورد من الشبه على القرآن". يُنظر: خير الدين الزركلي، الأعلام "قاموس تراجم"، مج 07، المرجع السابق، ص 50. وأيضاً: عمار طالبي وعبد المالك حداد، المرجع السابق، ص ص 185-186.

(5)- سامية جفال، المرجع السابق، ص ص 71-72.

- دعوته للعودة بالاسلام الى نقائه الأول قبل أن تشوبه الانحرافات من أصحاب البدع.
- بساطة تعاليم الإسلام وسهولتها ومرونتها ونبذ التعقيد الذي ينفر الناس من المذاهب الفقهية.
- العودة الى الخلق الإسلامي البسيط والبعيد عن الإغراق في النسك الأعجمي والتخيل الفلسفي، والتحلي بالإيمان القوي.

لم يكتفي ابن باديس بالتفسير بل تعدى مجال دعوته إلى توظيف عدة وسائل كالصحف والمجلات التي قام بتأسيسها أو ساهم في ظهورها أو نشر أفكاره على صفحاتها، مثل المنتقد، الشهاب، الصراط السوي، السنة النبوية المحمدية، الشريعة النبوية المحمدية، البصائر، وقد تطرق فيها إلى الوضع السياسي في الجزائر وما يعانيه المجتمع الجزائري من اضطهاد من طرف الاحتلال الفرنسي وسياسته الاستعمارية وفضح أهدافها الاستيطانية ومحاولاتها لطمس الهوية الوطنية وثوابت الشخصية الإسلامية، بالإضافة إلى تفقد القاعدة الشعبية من خلال اتصالاته المستمرة، وهو الذي كان منظرًا لفكر إصلاحي شامل ورجل ميدان في نفس الوقت.

كما كانت التربية والتعليم الحجر الأساس الذي أولاه ابن باديس أهمية كبيرة نظرًا لدوره في الإصلاح الذي سيهيء القاعدة لإعادة إحياء الهوية الوطنية للأمة الجزائرية، لذا عمد لبناء المدارس والمعاهد لتعليم النشء مرتكزات هويته الوطنية، والمساجد لتوعية أفراد المجتمع بالمرجعية الدينية والعلمية للأمة الجزائرية، ودعوتهم إلى تبني الفكر الإصلاحي في حياتهم تمهيدًا لتغيير وضعهم الإستعماري، وتوسعت أعمال ابن باديس بقيادته للحركة الإصلاحية بعد توليه رئاسة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين. التي كانت أهم ظاهرة جزائرية في جيله حسب المصادر الفرنسية، حيث يرى شارل أندري جوليان على سبيل المثال أن العلماء هم الذين أيقظوا الرأي العام الأهلي من سباته، ولهم مذهب ديني ذو مطامح وطنية، ولا منبع للحقيقة عندهم سوى القرآن والسنة، لذلك فلقد علماء إصلاحيين يناسبهم أحسن لأنهم يستلهمون تعاليم ابن تيمية -القرن 14م- موظفين العلم الحديث لتحقيق النهضة الثقافية، وابن باديس كان أقوى شخصية مسلمة مغربية، تمتع بخصال من المرتبة الأولى، قامت على إيمان فياض بانتصار الإسلام، وبلاغة جدلية فعالة في مخاطبيه، وسرعان ما أهله هذا لأن يصبح للجزائريين بمثابة معلم العلم المنطقي والتقليدي، والعليم والمرشد الكبير للطريق السوي، معتمدا على الإسلام لإحياء بلاده والسير بها نحو الإستقلال<sup>(1)</sup>.

فيما اعتبرت مجلة إفريقيا الفرنسية - L'Afrique Française جمعية العلماء أقوى منظمة وطنية مسلمة في الجزائر أيامها نظرا لكونها أكثر نشاطاً وأفضل تنظيمًا وأقرب إلى البرجوازيين الحضريين، وأكثر قدرة على إقناع السكان الأصليين بسبب الأساس الديني الذي قامت عليه، فزعيمها الشيخ عبد الحميد ابن باديس لم يقتصر على مبدأ الإصلاح الديني الضيق فحسب، بل كان مرناً تماماً تبعاً للظروف، وأعطى جزءاً كبيراً جداً لسياسة "المسلمين الوطنيين"، معتبرة إياه رسول الإصلاح السياسي والاجتماعي والديني للمجتمعات الإسلامية في الجزائر، من خلال أفكاره التي عرضها في مجلة الشهاب<sup>(2)</sup>. (يُنظر الملحق رقم 25)

(1)- شارل أندري جوليان، إفريقيا الشمالية تسير، ترجمة المنجي سليم، الدار التونسية للنشر، تونس، 1976، ص ص 133-135.

(2)- A. G. Bouvreuil, Agitation politique et religieuse chez les Musulmans d'Algérie, Bulletin de L'Afrique française, Quarante Sixieme Annee, N° 01, 1 janvier 1936, P 582.



كما يذكر محمود عبدون في كتابه "شهادة مناضل في الحركة الوطنية" أنه بينما كان أيام الحرب العالمية الثانية بالجنوب التونسي، قريبا من خط "مارث" (Mareth) باعتباره من حراس المكاتب قرر يوما تفتيش وثائق المقتصد، فعثر على وثيقة رسمية "جد سرية" من الجنرال "كاتروكس"<sup>(1)</sup> تصنف الشخصيات السياسية الجزائرية الأكثر خطورة على السيادة الفرنسية، وكان متفاجئا من تسجيل ابن باديس على رأس القائمة متبوعا بمصالي على عكس الطيب العقبي الذي إعتبرته الوثيقة أقل خطورة<sup>(2)</sup>.

إن ما ساعد ابن باديس أيضا في مباشرة نهضته الإصلاحية والاستمرار بنفس الثبات على المنهج القويم الذي اختاره، هو تزامن فترة الإصلاح التي باشروها مع ظهور ثلة من رجالات الإصلاح وعلماء الدين من خيرة ما أنجبت الجزائر في تلك المرحلة، مثلوا العصب المتين الذي استند عليه ابن باديس، أمثال البشير الإبراهيمي<sup>(3)</sup>، مبارك المليي<sup>(4)</sup>، الطيب العقبي<sup>(5)</sup>، العربي التبسي<sup>(6)</sup>، وغيرهم كثيرون، وهي العصبة التي قال عنهم: "إنما ينهض المسلمون بمقتضيات إيمانهم بالله

(1)- قائد القوات الفرنسية بالشرق الأدنى سنة 1917م.

(2)- محمود عبدون، شهادة مناضل من الحركة الوطنية، منشورات دحلب، الجزائر، 2013، ص 60.

(3)- محمد البشير الإبراهيمي: (1889-1965م) من أشهر علماء الأدب والتاريخ واللغة العربية وعلوم الدين، ينحدر من ولاية سطيف، هاجر سنة 1911م إلى المشرق حيث أتم دراسته العليا بالمدينة المنورة ثم عين أستاذا للأدب العربي في دمشق، ثم عاد إلى الجزائر سنة 1921م بناء على إتفاقه مع العلامة ابن باديس للنهوض بالإسلام والعربية ردا على محاولات طمسها من طرف المستعمر الفرنسي، كان من المؤسسين لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين وشغل منصب نائب رئيسها رئيسها الثاني بعد وفاة ابن باديس سنة 1940م، أنشأ المعهد ابن باديس وأحيا جريدة البصائر في سلسلتها الثانية، رحل سنة 1952م للقاهرة لبعث جمعية العلماء من جديد، وفي سنة 1954م وجه نداء إلى الشعب الجزائري يدعو للإلتحاق بالثورة التحريرية، عاد إثر الإستقلال إلى الجزائر وصل بالناس أول جمعة أقيمت بمسجد كشاوة، من أشهر آثاره عيون البصائر، توفي وهو رهن الإقامة الجبرية. يُنظر: رابح خدوسي، موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، المرجع السابق، ص 26.

(4)- مبارك المليي: (1897-1945م) أديب ومصلح أحد أقطاب الحركة الإصلاحية تعليميا وتأليفا، ثم تكوينا وتسييرا، ينحدر من ولاية ميله، أخذ مبادئ العلوم الأساسية على يد الشيخ محمد المليي، درس بالجامع الأخضر وتخرج من الزيتونة بشهادة التطويع، تولى إدارة مكتب التعليم العربي الذي تحول إلى مدرسة حرة للتربية والتعليم، درس بالجامع الأخضر ثم انتقل إلى الأغواط عام 1927م لقيادة الحركة الإصلاحية هناك، انتخب عند تأسيس جمعية العلماء أمينا لماليتها، وقفت السلطات الفرنسية له بالمرصاد فغادر الأغواط سنة 1933م عائدا إلى ميله وأنشأ مدرسة حياة الشباب، تولى رئاسة تحرير جريدة البصائر بعد نقل إدارتها إلى قسنطينة، من أهم آثاره تاريخ الجزائر في القدم والحديث ورسالة الشرك ومظاهره. يُنظر: رابح خدوسي، موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، المرجع السابق، ص 73.

(5)- الطيب العقبي: (1890-1960م) خطيب وكاتب وصحفي من رجالات الحركة الإصلاحية، ينحدر من ولاية بسكرة، هاجر في صغره مع أسرته إلى المدينة المنورة سنة 1895م، أخذ العلم عن مشايخه ودرس في مسجدها النبوي، وأشرف على رئاسة تحرير جريدة "القبلة"، عاد إلى الجزائر سنة 1920م، وأصدر جريدة "الإصلاح" التي عبر فيها عن أفكاره الإصلاحية، كان من العلماء الذين ساهموا في تأسيس جمعية العلماء المسلمين وأحد أهم الأعضاء الذين نشطوا فيها بشكل كبير، عرف بتصلب مواقفه اتجاه الطرفين، تولى الوعظ والإرشاد في نادي الترقى بمدينة الجزائر، استقال من جمعية العلماء قبيل الحرب العالمية الثانية، بعد معارضة أعضاء الجمعية مساندتهم لفرنسا في حربها ضد ألمانيا. يُنظر: عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، لبنان، ط2، 1980، ص 238.

(6)- العربي التبسي: (1895-1957م) هو العربي بن بلقاسم التبسي أحد رجال الفكر الإصلاحي وثالث رئيس لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، تعلم بزواية نفطة بتونس وجامع الزيتونة ثم الأزهر، عاد إلى الجزائر سنة 1927م واشتغل بالتعليم العربي الإسلامي في تبسة ثم شارك في الحركة الإصلاحية بقلمه، وفي سنة 1935م اختير كاتباً لجمعية العلماء ثم نائباً لرئيسها البشير الإبراهيمي سنة 1940م، وعند انتقاله إلى المشرق سنة 1956م تحمل التبسي مسؤولية رئاسة الجمعية وإدارة شؤونها سجن عدة مرات لمواقفه الوطنية، وفي 17 أفريل 1957م تم خطفه واغتياله من قبل الإستعمار الفرنسي. يُنظر: عادل نويهض، المرجع السابق، ص 61.

ورسوله إذا كانت لهم قوة، وإنما تكون لهم قوة إذا كانت لهم جماعة منظمة، تفكر وتدبر، وتشاور وتتأزر، وتنهض لجلب المصلحة ولدفع المضرة، متساندة في العمل عن فكر وعزيمة<sup>(1)</sup>.

ورغم النشاط الكبير الذي قام به ابن باديس إلا أنه يعتبر من الشخصيات التي لم تترك آثاراً مكتوبة ومؤلفات كثيرة بقدر ما ركز طيلة حياته على تكوين جيل يحمله مسؤولية تحرير الوطن مستقبلاً<sup>(2)</sup>. كما أن نظريته في التربية تنطلق من الفرد لأن إصلاح الفرد هو الأساس فمتى إستقام الفرد إستقام المجتمع وصلح حال الأمة الجزائرية<sup>(3)</sup>، لأن ما يبرز هوية الأمة عن غيرها من الأمم في سلم الحضارة العالمية، هو ما يتميز به أفرادها من معالم، وعبد الحميد بن باديس يعتبر من أوائل المصلحين الجزائريين الذين قاموا بإسهامات كبيرة من أجل أن تستعيد الأمة الجزائرية معالم خصوصيتها الوطنية المتميزة التي عُييت عن المشهد الحضاري العالمي بسبب التغريب الذي طالها على يد الإستعمار الفرنسي لمدة طويلة<sup>(4)</sup>.

ويعتبر مالك بن نبي من الذين قدموا وصفاً شاملاً لشخصية ابن باديس الإصلاحية ومعالم هويته، من خلال جهوده العلمية لخدمة وطنه بإعادة بعث رموز الهوية الجزائرية حيث قال: "لقد كان ابن باديس مناظراً مُفحماً، ومُربياً بناءً، ومؤمناً متحمساً، وصوفياً والهاً، ومجتهداً يرجع إلى أصول الإيمان المذهبية ويفكر في التوفيق بين هذه الأصول توفيقاً عزب عن الأنظار، إبان العصور الأخيرة للتفكير الإسلامي، وهو كذلك وطني مؤمن تصدى عام 1936م لزعيم سياسي نشر مقالاً عنوانه: "أنا فرنسا" فرد عليه ردّاً حامياً قوياً"<sup>(5)</sup>.

من هنا نستنتج أن شخصية بن باديس حسب مالك بن نبي تتسم بعدة مميزات أهمها: إكتمال شخصيته القوية في جميع النواحي الروحية والعقلية والوجدانية والسلوكية والمعرفية، وتمتعه بإمكانيات ومؤهلات وهبها الله إياه، صقلها بالإخلاص في النية، والتفاني في سبيل إعلاء ونصرة الرسالة الإسلامية، وحرصه الشديد على نهضة الأمة الجزائرية وإصلاح شأنها<sup>(6)</sup>، ضف لهذا فإن ميزة ابن باديس أنه كان عنصراً بارزاً بين النخبة المثقفة ثقافة عربية، لكنه رغم ذلك إستطاع تجاوز حدود محيطه بتبادله النقاش مع النخبة المفرنسة، ما يعني أنه لم يكن سلفياً منعزلاً ومنغلقاً، يجمد عند النصوص بل على العكس من ذلك كان يملك كل مؤهلات المحاور الجيد<sup>(7)</sup>.

(1) - عبد الحميد ابن باديس، تفسير ابن باديس "مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير"، مج 01، دار الرشيد، الجزائر، ط 01، 2009، ص 425.

(2) - رغم سعة علم ابن باديس وعمق ثقافته وكثرة إطلاعه وما تميز به من قدرة على صياغة الكلام، إلا أن تحلي شخصيته بالنزعة العملية جعله ينصرف عن تأليف الكتب إلى تأليف الرجال الأكفاء القادرين على تغيير وإصلاح حال الأمة الجزائرية، حيث قال: "هب أنني انصرفت إلى التأليف وانقطعت عما أنا اليوم بصدد من نشر العلم وإعداد نشء الأمة، فمن يقرأ كتي وتألّفي مادام الشعب في ظلمات الجهل والأمية؟" منوها إلى أن إعداد معلم كفء خير من ألف كتاب. يُنظر، محمد الصالح الصديق، المصلح المجدد الإمام ابن باديس لهذا حاولوا اغتياله، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2006، ص 27.

(3) - عمار بن مزور، المرجع السابق، ص 131.

(4) - أحمد عيساوي، المرجع السابق، ص 220.

(5) - عمار طالبي، الإمام عبد الحميد بن باديس حياته وآثاره، ج 01، المصدر السابق، ص 11-12.

(6) - أحمد عيساوي، المرجع السابق، ص 220.

(7) - محمد الميلي، ابن باديس وعروبة الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 2، 1980، ص 12.

### المطلب الثاني: سمات شخصيته الوطنية الأصيلة.

كان ابن باديس وطنياً من الطراز العالي أحب وطنه وعبر عن غيرته عليه واعتزازه به من خلال كتاباته عن أمته الجزائرية ذات الانتماء العربي الإسلامي، وهو الذي صرح في خطابه أنه يعيش للإسلام والجزائر التي وصفها بوطنه الخاص الذي تربطه به روابط الماضي والحاضر والمستقبل، وأكد أن مقوماته الشخصية مستمدة مباشرة من هذا الوطن، وهو ما يفرض عليه خدمته<sup>(1)</sup>، وقد حدد في الشهاب حقوق الوطن على المواطنين قائلاً: "إنما ينسب إلى الوطن أفراد الذين ربطتهم ذكريات الماضي، ومصالح الحاضر، وآمال المستقبل، فالذين يعمرّون هذا القطر وتربطهم هذه الروابط هم الجزائريون، والنسبة للوطن توجب علم تاريخه، والقيام بواجباته، من نهضة علمية، وإقتصادية، وعمرانية، والمحافظة على شرف إسمه، وسمعة بنيّه، فلا شرف لمن لا يحافظ على شرف وطنه، ولا سمعة لمن لا سمعة لمجتمعه"<sup>(2)</sup>، وهذا الحس الوطني نلمسه من خلال إستقامته ونزاهته التي شهد له بها كل من عرفه، والتي تعتبر في نفس الوقت عاملاً مهماً من عوامل نجاحه في دعوته والوصول إلى الغايات الوطنية التي كان يعمل لأجل تحقيقها<sup>(3)</sup>.

ويظهر البعد الوطني في شخصية ابن باديس أيضاً من خلال مواقفه البارزة من القضايا الوطنية التي تخص الأمة الجزائرية، كمسألة الهوية الوطنية. التي يرى أنها لا تقتصر في نظره على معناها الضيق المحصور في الجنسية الجزائرية فقط أو البطاقة التي تُحدد هوية إنتماء الأفراد وأصولهم الجغرافية، فهي لا تعدوا أن تكون وثيقة تحمل مجموعة من المعلومات عن حاملها كالإسم الشخصي والكنية وتاريخ الميلاد دون الإشارة فيها إلى إسم الأب، لذلك اعتبر ابن باديس هذه الوثيقة التي تُصدرها الإدارة الإستعمارية نوع من الإحتقار والإهانة لكرامة الجزائريين في أرضهم ووطنهم، فلم يتوقف عند المعنى الظاهري للهوية ولا عند البعد السطحي للوطنية الجزائرية، من تمييز للأشخاص وفق حدودهم الجغرافية، بل كان يرى الهوية الوطنية أعمق من هذا بكثير لما تحمله من أفكار تصنع ذلك الترابط المتين بين أفراد الأمة، فالهوية حسبه تُبنى على جُملة من المرتكزات الثابتة الغير قابلة للمساومة والتغيير<sup>(4)</sup>، وحددها ابن باديس في الدين واللغة والمصير المشترك وتاريخ الأمة والسيادة والوطن الواحد.

ومن الممارسات الميدانية التي تبرز وطنية ابن باديس نجد إغتنامه جميع الفرص الممكنة لحث الشباب الجزائري المثقف على خدمة وطنه<sup>(5)</sup> والإسهام في النهوض بأمته، وبث شعور الوطنية في نفوسهم من خلال خطابه، مثل الكلمة التي ألقاها في حفل تخرج الطلبة الجزائريين من جامع الزيتونة قائلاً: "إنكم رجعتُم إلى وطنكم تحملون شهادات علمية... يجب أن تعلموا -يا أبنائي- أنكم مقبلون على خوض معركة شديدة من أجل خدمة أمتكم ووطنكم بما

(1) - رابح تركي، الشيخ عبد الحميد بن باديس باعث النهضة الإسلامية العربية في الجزائر المعاصرة، موفم للنشر، الجزائر، ط2، 2003، ص ص

96-97. يُنظر أيضاً: عبد الحميد بن باديس، لمن أعيش؟، الشهاب، ج 10، مج 12، شوال 1355هـ/جانفي 1937م، ص ص 424-425.

(2) - الرجل المسلم الجزائري، الشهاب، ج 10، مج 05، جمادى الثانية 1348هـ/نوفمبر 1929م، ص 11.

(3) - مصطفى محمد حميداتو، عبد الحميد ابن باديس وجهوده التربوية، سلسلة كتاب الأمة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط1، 1997، ص 86.

(4) - صالح بوعزة، المرجع السابق، ص 509.

(5) - رابح تركي، الشيخ عبد الحميد بن باديس باعث النهضة الإسلامية العربية في الجزائر المعاصرة، المرجع السابق، ص 97.

أحرزتم عليه من علم" ثم يضيف " ينبغي أن تكونوا عند حسن ظن أمتكم بكم، وكونوا على إستعداد لآداء واجبكم نحو وطنكم"<sup>(1)</sup>.

كما اعتبر مسألة إعادة إحياء وترسيخ مقومات هذه الهوية الوطنية من أكثر المسائل صعوبة وحساسية، نظراً لما تحتويه من إغراءات إيديولوجية وعراقيل مادية، قد تطيح بالبعد المنهجي والموضوعي للخوض في جوهر المسألة<sup>(2)</sup>، إلا أنه كان مدرّكاً لهذا الأمر في ظل إستعمار عمل على طمس ومحاربة وهدم لكل ما له علاقة بالشواهد الوطنية المميزة للأمة الجزائرية، لكنه لم ييأس ولم يتّخذ عن مشروعه رغم ما تكبده من مُعاناة، لإيمانه الكبير بعدالة قضيته وأهميتها في تغيير أوضاع المجتمع الجزائري وتحضيره لمواجهة الإستعمار، وإخراجه من البلاد، لهذا فإن صعوبة الأمر كانت لا تعني إستحالة تحقيقه. لذا عمل رفقة من إلتف حوله في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين على الوقوف ضد سياسة التنصير والتجنيس<sup>(3)</sup> والتغريب الثقافي والتجهيل العمدي للمجتمع الجزائري التي انتهجتها فرنسا الإستعمارية، فانتشر علماء الجمعية عبر مختلف أنحاء البلاد يدعون الناس إلى الدين الصحيح، مصلحين للقيم والعقائد ومكرسين للأفكار الوطنية التي ركّز عليها ابن باديس في مختلف دروسه بالجامع الأخضر في قسنطينة أو في المناطق التي كان ينتقل إليها في الأرياف، أو التي جاهد لترسيخها في تجمعاته ومحاضراته وحلقات التفسير والوعظ والإرشاد، وكتاباته في الجرائد والمجلات لإعداد النشء.

لعل هذا النشاط الوطني الكبير هو ما جعل مفدي زكريا يصف ابن باديس بأنه لم يكن مصلحاً دينياً فحسب، ولا وطنياً صادقاً وصحافياً واعياً فقط، لقد كان ابن باديس في نظره أمة، وأبا لجيل صاعد يبدأ من سنة 1925م بالثورة على الجهالة والضلال، وينتهي سنة 1954م بالثورة على السلاسل والأغلال، وهو الذي كان مفتخراً بهذه الأبوة الوطنية قائلاً: "أنا لم أنجب أطفالاً ولكني أب، لأن كل الجزائريين أبنائي"<sup>(4)</sup>.

كان ابن باديس من المفكرين الذين وهبهم الله صفاء التصور وسلامة المعتقد ووضوح الرؤيا، بخصوص المعنى الحقيقي للوطنية التي عبّر عنها في العديد من كتاباته التي بيّن فيها آراءه بكل صراحة، فبقيت شاهدة على مدى وعيه بأهمية الشعور الوطني ودوره الكبير في إيقاظ روح المسؤولية إتجاه الوطن، وقد وصفه مالك بن نبي قائلاً: "...فالشعور الوطني المتدفق يعدو لديه فيضاً شعرياً عندما ينظم قصائده التي قدّر لها أن تُعيد إلى الشعب الجزائري أبعاده الحقيقية في التاريخ الإسلامي في فترة كان أطفال الجزائر يدرسون ويعلمون تاريخ أجدادنا الغالين، وفوق ذلك فقد كان مصلحاً إقترن إسمه وأثره بتاريخ هذا البلد في مرحلة سياسية تعتبر إعداداً للثورة، وفي هذه الكلمة من المعاني أكثر مما تعودنا أن نفهم"<sup>(5)</sup>، واندرج اهتمام ابن باديس بالتاريخ في إطار مزدوج قائم على بعث الشخصية الوطنية من جهة، والإستعانة على توفير الشروط اللازمة لخوض المعركة ضد التخلف، فقد أكد في مقال نشره عام

(1) - علي مرحوم، لمحات من حياة الشيخ عبد الحميد بن باديس، مجلة الأصالة، السنة الرابعة، العدد 24، الجزائر، أبريل 1975م، ص 106.

(2) - صالح بوعزة، المرجع السابق، ص 510.

(3) - وقف ابن باديس ومن معه ضد سياسة التجنيس التي فتح بابها موريس فيوليت، منتقدين الشباب الراغبين في التجنس والخروج عن دينهم وابتعادهم عن مجتمعاتهم الإسلامي، يُنظر: عبد الحميد زوزو، الثقافة والتعليم الحر والرسمي في العهد الفرنسي، المرجع السابق، ص 74.

(4) - مولود عويمر، عبد الحميد بن باديس مسار وأفكار، جسر للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 2016، ص 32.

(5) - عمار طالي، ابن باديس حياته وآثاره، ج01، المرجع السابق، ص 10.

1930م أن الوطني الصميم يجب أن ينظر إلى ماضيه نظرة فاحصة تميز ما فيه من إيجاب وتسجل ما يشتمل عليه من جوانب سلبية، لخوض معركة المستقبل لذلك قيم تاريخ الجزائر وتاريخ العرب نقداً وتأويلاً واستنتاجاً وتكهناً بمصير أمتهم (1).

ومن خلال ما جاء نستنتج أن الوطنية عند ابن باديس تعني الغيرة عليه حتى النخاع، وإحساس صادق يصل حتى الإلهام الشعري بنظم قصائد تحاكي الأبعاد التاريخية الحقيقية لعمق الانتماء الإسلامي للشعب الجزائري وأصالته هويته الوطنية، وتميزه بالحكمة في الدعوة والحلم في الإصلاح والجرأة الثائرة عند اللزوم (2)، ولا أدل على وطنيته الثائرة هذه أكثر من مواقفه في الرد على بعض تيارات النخب الجزائرية التي كان يختلف معها في التوجه والأفكار الوطنية خاصة الإندماجيين المدعين لفرنسية الأمة الجزائرية (3)، حيث كانت لهجته حادة وفاصلة في الموضوع وصريحة بما لا يدعوا مجالاً للشك والتأويل.

### المطلب الثالث: منهجه الإصلاحية البصيرة.

ورد الإصلاح في القرآن الكريم كقيمة جوهرية، فتكررت كلمة صلح في القرآن 180 مرة (4)، منها قوله تعالى على لسان شعيب عليه السلام: "إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب" (5)، وهي الآية التي غدت شعاراً عاماً لحركات الإصلاح المعاصرة، كما يتمثل الإصلاحيون في هذا المجال بحديث الغبراء (6)، الذين وصفهم النبي صلى الله عليه وسلم بأنهم ((الذين يصلحون ما أفسده الناس من بعدي من سنتي)) (7)، ولقد أكد القرآن والسنة أن التجديد والإصلاح عادة ربانية متوارثة في عالم كل ما فيه مُرْشَحٌ للفساد (8)، لذا جاء في الحديث: (( إِنَّ اللَّهَ يَبْعُثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةٍ سَنَةٍ مِنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا )) (9)، ويصلح لها شأنها.

(1) - محمد الميلي، ابن باديس وعروبة الجزائر، المرجع السابق، ص 81-83.

(2) - أحمد عيسوي، المرجع السابق، ص 221.

(3) - عمار طالي، الإمام عبد الحميد بن باديس حياته وآثاره، ج 03، المصدر السابق، ص 307-315 يُنظر أيضاً: الشهاب، ج 01، مجلد 12، محرم 1355هـ/أفريل 1936م، ص 45-50.

(4) - محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، مادة الصلح، دار الحديث، القاهرة، 1996، ص 410-412.

(5) - سورة هود، الآية 88.

(6) - أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، الجامع الصحيح من سنن الترمذي، ج 5، شركة مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط 2، 1975، ص 18.

(7) - رواه الإمام مسلم في صحيحه تحت رقم (208)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وأخرجه الترمذي في السنن، كتاب الإيمان، باب ما جاء أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً تحت رقم (2630)، وقال الألباني: ضعيف جداً، يُنظر: "ضعيف الجامع" (1441).

(8) - شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، المقاصد الحسنة في بيان ابن كثير، مج 2، ط 1، دار الميمنة للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، 2017، ص 28.

(9) - رواه أبو داود في السنن، كتاب الملاحم، باب ما يذكر في قدر المائة، برقم (4243) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم (599).

والإصلاح في معناه العام حسب المعاجم يدل على تغيير حالة الفساد وإزالتها<sup>(1)</sup>، أي تغيير إجتماعي يتضمن تحسينات تدريجية<sup>(2)</sup>، بالاعتماد على مرجعية روحية أو فكرية معينة، بينما إقتزن في موضوعنا هذا واستنادًا إلى مصادر الحركة الإصلاحية بعدة جوانب كالعقيدة والوطن والعقل الجزائري والمرأة والنشء، من منطلق ديني متعلق بالتذكير بحقائق الإسلام كما وردت في الكتاب والسنة بعيدًا عما نُسب إليها وألصق بها من بدع وضلالات، وإعادة صياغة المذهب السني وفقًا للأصول التي أقرها السلف الصالح، والدعوة إلى إحياء الممارسة الدينية في المجتمع بوحي صحيح وعقيدة روحية وإنسانية مدركة لدينها الإسلامي. فمعنى الإصلاح عند ابن باديس كان أكثر شمولية، إذ لم يقف عند العقيدة لوحدها، بل تعداها إلى عموم الحياة الإجتماعية للفرد المسلم بمختلف مظاهرها الدينية والخلقية، وحتى السياسية<sup>(3)</sup>.

وتبدو رؤية ابن باديس للإصلاح رؤية شاملة، تنطلق من رؤيته الدعوية إلى عبادة الله عز وجل، والفعل الإصلاحي هنا قائم على العودة بالأمة الجزائرية إلى مسارها الصحيح وتاريخها الحضاري الطويل، الذي يبدأ بتحرير البلاد من الإستعمار الفرنسي عن طريق العمل الصالح والعلم النافع، والإصلاح في الجزائر حسب رأيه أخذ طابعا خاصا إرتبط بظروف البلاد المستعمرة من طرف إحتلال أراد سلخ الأمة من أصلها، عن طريق التفجير والتجهيل، أي إصلاح لا يأخذ هذه الظروف بعين الإعتبار فمصييره الفشل، لخلوه من روح الأمة وانتمائه<sup>(4)</sup>، فالخلاص من السيطرة الإستعمارية هو إتباع طريق أصيل يعتمد على إحياء وبعث المقومات الأساسية للشخصية الوطنية، ويعتبر الإسلام هو الإطار أفضل نمط حضاري في الفكر والسلوك، يساهم في مد جسور متينة تصل الماضي بالحاضر، فالفكر الإصلاحي لا يقف عند حدود الاهتمام الديني فقط، بل أسلوب للقضاء على جميع أنواع التخلف الإستعماري، لذلك حرص ابن باديس على بعث مقومات الشخصية الجزائرية عن طريق بعث أحسن ما في التراث العربي الإسلامي بوسائل عصرية<sup>(5)</sup>.

من هنا نجد أن فجر الإصلاح في الجزائر ارتبط بحالة الإنحطاط الثقافي والروحي والاجتماعي وإنتشار الفساد الديني خاصة، بفعل طغيان البدع والاعتقادات الخرافية، وتدني الوضع السياسي والاقتصادي، نتيجة الضغط الكبير الذي مارسته فرنسا على الشخصية الجزائرية أواخر القرن الـ19 ومطلع القرن الـ20م، بعدما تمكنت من القضاء على آخر المقاومات المسلحة، فبدأت إرهابات الإصلاح تظهر في شكل مقاومة حضارية عبر من خلالها الجزائريون عن رفضهم التخلي عن هويتهم. ويمكن إرجاع أصول ذلك الإصلاح إلى نشاطات ثلة من العلماء العاملين الذين آلمتهم تلك الأوضاع، فانبروا لعلاجها، كالشيخ صالح بن مهنا، وحمدان الونيسي، وعبد القادر المجاوي، محمد آطفيش، محمد السعيد بن زكري، ومصطفى بن الخوجة، والمولود الزريبي، وعبد الحليم بن سماية وغيرهم<sup>(6)</sup>، متأثرين بعدة عوامل داخلية وخارجية ساهمت في ظهور وانتشار نشاطهم الإصلاحي الأول.

(1)-لويس معلوف، المنجد في اللغة والآداب، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، لبنان، ط1، 1927، ص 445.

(2)-مصلح صالح، الشامل " قاموس مصطلحات العلوم الإجتماعية"، دار عالم الكتب، المملكة العربية السعودية، ط1، 1999، ص 446.

(3)- عمار بن مزوز، عبد الحميد بن باديس ومنهجه في الدعوة والإصلاح، دار الأمل، تيزي وزو، الجزائر، ط2، 2015، ص 75.

(4)-عبد القادر عيسات، الجهود التربوية عند العلامة عبد الحميد بن باديس، شركة الأصالة للنشر، الجزائر، 2020، ص ص 74-75.

(5)- محمد الميلي، ابن باديس وعروبة الجزائر، المرجع السابق، ص ص 99-100.

(6)-بشير بلاح، مواقف الحركة الإصلاحية الجزائرية من الثقافة الفرنسية 1925-1940م، دار الخلدونية، الجزائر، 2020، ص 18.



لكن المثل الأعلى الذي دعى إليه هؤلاء الرواد والذي إرتكز على: "بعث الأمة الإسلامية على أساس مصادر الإسلام وهدى السلف الصالح، مع الإنفتاح على الحقائق الجديدة"، ظل غريبا عن الجماهير العريضة ومقتصرًا على أعداد من النخبة المعربة إلى غاية فترة ما بعد الحرب العالمية الأولى، كما ظل تأسيس المدارس الحرة، وهي الروح الحية لتلك النخبة الإصلاحية نادرا جدا وتعد على رؤوس الأصابع، وكان مقدرا للإصلاح الجزائري أن ينتظر إلى أواسط العشرينيات لكي يشرع في التبلور والانتظام<sup>(1)</sup>، مع ظهور شخصية الشيخ عبد الحميد بن باديس والذي تميز منهجه الإصلاحية بفكر جديد إرتكز على فلسفة تبلورت في فكره تعتبر بمثابة خلاصة إجتهاده وإطلاعه الواسع في ذلك العصر.

قد تمكن عبد الحميد بن باديس خلال المدة التي قضاها في الحج من أن يقف على سائر المذاهب ومختلف المنازع في الفكر والإعتقاد، وهو ما سمح له بتحصيل عقلية نقدية مقارنة رافضة للتقليد ميالة إلى التأصيل قادرة على الجدل، فإذا هو ذو شخصية ثقافية مستقلة اختار النهج الاصلاحى المتجدد لعملية التغيير في الجزائر، على خطى أصحاب المشروع التحرري<sup>(2)</sup>، فالإصلاح في نظره قائم على: "إرجاع الشيء إلى حالة إعتداله، بإزالة ما طرأ عليه من فساد"<sup>(3)</sup>.

ومن هذا المنطلق فالحركة الإصلاحية في أواسط العشرينيات ومن خلال إستقراء مصادرها وأعمالها تعرف بأنها ذلك النشاط الديني الثقافي الإحيائي التقويمي الذي تولته وجسدته بين الحربين وما بعد ذلك ثلة من العلماء والمثقفين المتشبهين بالعروبة والإسلام والمتأثرين بالإصلاحية المشرقية بقيادة الامام ابن باديس في سبيل العودة بالجزائريين إلى الإسلام الحق، والقضاء على كل عوامل الفساد والإخلال الثقافي والإجتماعي والسياسي ضمنيًا، وتوصلت إلى ذلك بالتعليم الحر<sup>(4)</sup>، والعمل المسجدي، وإصدار الصحف، وإعادة بعث التاريخ الوطني للجزائر، وتأطير المجتمع ثقافيا في النوادي، والإهتمام بتعليم النشء وطنيا وخارجيا بإرسال البعثات الطلابية إلى المعاهد المتخصصة مغاريا وعربيا لاستكمال تعليمهم.

وترتبط عملية الإصلاح إرتباطا وثيقا بموضوع الهوية الوطنية الجزائرية، إذ لا يمكن إستعادة مقومات الهوية دون أن يتم إصلاح المجتمع الجزائري دينيا وفكريا وثقافيا واجتماعيا وتغيير الوضع الذي خلفه الإستعمار عن طريق إحياء النفوس<sup>(5)</sup> وتوعيتها، تمهيدا لاستعادة ثوابتها ومقوماتها الوطنية التي طمسها الإستعمار. لذلك حدد العلامة ابن باديس

(1)- بشير بلّاح، المرجع السابق، ص 18.

(2)- سامية جفال، المرجع السابق، ص 71.

(3)- صلاح النفوس وإصلاحها، الشهاب، ج 05، مج 06، محرم 1349/جوان 1930، ص 270.

(4)- يقصد بالتعليم الحر ذلك التعليم الذي لا تتبناه السلطات الرسمية ولا الإدارة من حيث الإشراف، ولا من حيث التمويل والعناية، بل تحاربه وتعاديه كما في العهد الفرنسي، وإنما قوم بالدرجة الأولى على مساندة الجماهير المؤيدة له وعلى التبرعات التي تقدمها للقائمين عليه، والمقصود بالمدرس الحر كما عرفه مدير إحدى المدارس الإصلاحية في حدود سنة 1949 بأنه "ذلك الجندي الذي عاهد الله على أداء الأمانة وتبليغ الرسالة التي نيطت بعهدته غير هباب ولا وجل ... هو ذلك الطبيب الذي يبحث عن أمراض الأمة المعنوية ويعالجها في شفقة وحب"، ما يعني ارتباط التعليم العربي الحر بالحركة الإصلاحية وبنهضة الجزائر الحديثة دينيا وسياسيا وثقافيا، وفي العهد الإستعماري لا يمكن فصل التعليم العربي الحر عن الدين ولا عن السياسة، لكون الدين الإسلامي كان مسياسا، على خلاف غيره من الأديان فارتبطت به لغته ولغة ثقافة المتدينين به، يُنظر عبد الحميد زوزو، الثقافة والتعليم الحر والرسمي في العهد الفرنسي، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2017، ص 71.

(5)- يعتبر ابن باديس أن المدخل لإصلاح المجتمع هو إصلاح الإنسان، إصلاح الإنسان لا يتم إلا بإصلاح نفسه حيث يقول: "فصلاح النفس هو صلاح الفرد وصلاح الفرد هو صلاح المجموع، والعناية الشرعية متجهة كلها إلى إصلاح النفوس..." فترية الفرد وبناء شخصيته يبدأ من الداخل لتكوين ضميره الحي اليقظ، وخلق الطاهر ونفسه المؤمنة الخاشعة التي هي أساس العمل الناجح، وهنا يكمن الفرق بين ابن باديس وغيره من دعاة الإصلاح والتغيير، الذين يرون أن



معالم دعوته ورسم منهجها في إطار حركة إصلاحية بطابع عصري، آخذا بعين الاعتبار الوعي بطبيعة شعبه، وروح عصره وواقع بيئته وظروفه، وانطلاقاً من روح العصر خاطب أمتة بالقرآن والسنة، مفسراً وشارحاً موجهاً وواعظاً وفق منهج عصري، فكان يربط في شرحه بين مبادئ الدين ومتطلبات الواقع الجزائري، متخذاً من الدين أساساً لبناء المجتمع والنهوض به<sup>(1)</sup>، لهذا فإن الضامن الأكبر لنجاح حركة التغيير وفعاليتها عنده هو قيامها على سند عقدي إيديولوجي ارتكز على تنظير علمي، واعتمد الحجة العقلية، ما جعل حركته قادرة على مواجهة المشاكل الواقعية التي اصطدمت بها، فمنطقه خالف العاطفة والذهن المجرد فحافظ بذلك على التوازن وكسب المصادقية الواقعية وسط أفراد المجتمع، ما ضمن له الفعالية والاستمرارية<sup>(2)</sup>.

وابن باديس يعتبر من المصلحين الذين كانوا على دراية كافية من أين يبدؤون في مشروعهم الإصلاحي؟ ومتى يكون ذلك؟ ولماذا يشرعون فيه؟ وكيف سيسرون في منهجهم؟ وماذا يفعلون؟ وإلى أين سينتهون في الأخير؟<sup>(3)</sup>. ووصف مالك بن نبي المنهج الذي اعتمده ابن باديس في تجسيد أفكاره بالإصلاح البصير، حيث جاء وصفه قائلاً: "إنه المصلح الذي استعاد موهبة العالم المسلم كما كانت في عصر ابن تومرت بإفريقيا الشمالية. فقد كان المغرب يعيش على صورة ما حياة فترة العصر الذي وضعت له حدًا نهائيًا دعوة مهدي الأطلسي المغربي... ووضعت دعوته الضمير الإسلامي في شريعة القرآن وطريق السنة، أما ابن باديس فقد جاء في فترة جددت فيها النزعة الصوفية "المرابطية" أو "الطرقية" دورة المرابطين، وهنا موضع الخطورة، ذلك أن الحلقة لم تستأنف بالفقه والرباط، بل بالتميمة والزواوية، ولم يستطع المصلح الجزائري أن يطمح إلى تأسيس إمبراطورية تحرر الضمير..."<sup>(4)</sup>.

من هنا نستنتج أن الشخصية الإصلاحية لابن باديس بنيت على الأفكار التالية:

- خصائص القائد الذي يتمتع بالقدرة على التغيير الاجتماعي.

- القدرة على فهم المشهد الثقافي والديني لتاريخ المنطقة المغاربية.

- إدراك خطورة إستغلال الإستعمار للنزعة المبتدعة للطريقين بهدف إستمرار السيطرة الإستعمارية الأبدية على

المنطقة.

---

النظام من أجل تغيير القوانين كفيل بإعادة الحقوق للشعب وأن ركوب موجة الإنتخابات وولوج المجالس النيابية تحت مظلة الإستعمار هو وحده مدخل الإصلاح والتغيير، فابن باديس يرى أنه من الواجب توجه الحركة الإصلاحية رسالتها إلى الإصلاح الداخلي أولاً لأن التحرر من الإستعمار يبدأ من تحرر النفوس من ذل التبعية والتقليد والرضوخ والإستسلام. يُنظر عمار بن مزور، المرجع السابق، ص 130.

(1)- عبد الحميد زوزو، الثقافة والتعليم الحر والرسمي في العهد الفرنسي، المرجع السابق، ص 72.

(2)- عبد المجيد النجار، تجربة التغيير في حركة المهدي بن تومرت، دون دار نشر، تونس، ط 1، 1984، ص 113.

(3)- أحمد عيساوي، المرجع السابق، ص 222.

(4)- عمار طالي، الإمام عبد الحميد بن باديس حياته وآثاره، ج 01، المصدر السابق، ص 10-11.

-المرتكز الأساسي لمنهج الإصلاح السني السلفي في العودة إلى الأصول واعتماد العقل، فلا توجد منهجية سليمة في الفهم والتعقل والقراءة الصحيحة لمعالم هوية الأمة الجزائرية عبر تاريخها الطويل، خارج حدود هذا المنهج الباديدي<sup>(1)</sup>. ومعالم المنهج البصير جاءت بعد دراسة شاملة للواقع الجزائري<sup>(2)</sup> الذي عايشه ابن باديس جيداً، من جمود وتزيف للتعاليم الإسلامية، واطلع على ما يعانيه من أمراض في القاعدة والنخبة، خاصة علماء الدين من رواد الإصلاح وقيادة للناس، فأدرك أن مكن تدهور الأمة في الواقع مرده إلى إنحراف نخبتها وقاعدتها التي تقبع في الضلال، فعاب على العلماء مبالغتهم في التدين وميلهم للإفتراضات الوهمية ما أدى لنفور الناس واستشارة أعداء الإسلام<sup>(3)</sup>، واستقالة الطبقة البرجوازية عن أداء وظيفتها الاقتصادية والثقافية في القضاء على التخلف من خلال دورها في تعليم أفراد الأمة<sup>(4)</sup>، وهو ما وقف عنده مالك بن نبي بوصفه لمنهج ابن باديس بالبصير قائلاً: "لقد تغير الزمان، فالإستعمار والقابلية للإستعمار غيّر كل المعطيات في الجزائر كما فعلا ذلك في سائر العالم الإسلامي، كل الظروف تقتضي الرجوع في الإصلاح إلى السلف أدراجاً: إذ لم يكن القيام بأي عمل في النظام السياسي أو الإجتماعي ممكناً، قبل تحرير الضمائر. وكل مذهب للإصلاح الجزائري الذي نجده في ابن باديس، كان لابد أن يصدر عن هذه الضرورة أو عن هذه المقتضيات الخاصة، والمبدأ الأساسي القائل: "إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم" الذي كان أول خطوة في الإصلاح، يمكن أن يعتبر -من زاوية ما- ترجمة لهذه الضرورة في صيغة مذهبية، ومن هنا نرى التقلبات التي كان يمكن أن يتعرض لها مبدأ كهذا المبدأ، لدى وضعه موضع التطبيق عندما يجد المرء نفسه أو يظن أنه مضطر إلى أن يتنازل للسياسة، على حساب كمال المذهب ومثانيته، ونقد الحركة الإصلاحية الجزائرية كله يمكن أن يوجه نحو هذه النقطة..."<sup>(5)</sup>.

ويظهر جلياً الخط الإصلاحى الوطنى الذى إنتهجه ابن باديس من خلال توضيحه للسلطات الاستعمارية موقفه من علاقة الدين بالسياسة في عمله النهضوي قائلاً: "... لا نعني بهذا أننا نخلط بين الدين والسياسة في جميع شؤوننا، ولا أن يتدخل رجال الدين في سياستنا، وإنما نعني اعتبار الدين قواماً .. لسلوكنا، ونظاماً محكماً نعمل عليه في حياتنا، وقوة معنوية نلتجئ إليها في تهذيب أخلاقنا... ولأننا جزائريون نعمل للـم شعث الأمة الجزائرية، وإحياء روح القومية في أبنائها، وترغيبهم في العلم النافع، والعمل المفيد حتى ينهضوا كأمة لها حق الحياة، والإنتماع في العلم، وعليها واجب الخدمة والنفع للإنسانية"، ورغم أن ابن باديس فصل بين الدين والسياسة في

(1)-أحمد عيسوي، المرجع السابق، ص222-223.

(2)- يشير محمد الميلي إلى أن ابن باديس إهتم بالإستعمار كظاهرة سياسية منفصلة عما يحيط بها من ظروف إجتماعية ومعطيات إقتصادية ومناخ فكري كما يفعل أهل السياسة وباقي المناضلين الوطنيين العاديين ولو نظر إلى المسألة بهذه الطريقة لكان سياسياً محتزفاً فقط، لكنه ربط المعركة ضد الإستعمار الفرنسى بالمعركة ضد التخلف، لذلك جاءت نظره للإستعمار نظرة فيلسوف زواج بين التنظير والتطبيق معطياً الحلول ومنفذاً لها على أرض الواقع، متجاوزاً نظرة السياسي.

(3)-محمد الصالح الصديق، الإمام الشيخ عبد الحميد بن باديس من آرائه وواقفه، دار البعث، قسنطينة، ط01، 1983، ص 20.

(4)-محمد الميلي، ابن باديس وعروبة الجزائر، المرجع السابق، ص 94.

(5)-عمار طالي، الإمام عبد الحميد بن باديس حياته وآثاره، ج 10، المصدر السابق، ص11.

عمله، إلا أنه لم ينكر ما للدين من دور هام في حياة الأمة الجزائرية، لذلك أكد أنه لن يتخلى في عمله عن الدين أو يناهضه أو يستعمله سياسيا، لكون الدين هو المنحى التهذيبي والواقعي من الإنزلاقات أثناء الصراعات التي تحدث بين الدين والسياسة<sup>(1)</sup>، وهو النهج الخاص الذي انتهجته ابن باديس في دعوته الإصلاحية من حيث البعد السياسي الواضح الذي أعطاه لحركته<sup>(2)</sup> رغم أنه لم يصرح به لا ضمنا ولا نصيا.

لذا فإن معالم المنهج الإصلاحي عند ابن باديس وضعت بعد إدراكه لأسباب المشكلة الحقيقية، فوصف لها العلاج المناسب، عن طريق النهضة الروحية والدينية والثقافية، والتنازل عن العمل السياسي بمعناه الحرفي لصالح العمل النهضوي الإصلاحي، إذ لا يمكن إحداث ثورة إلا بقيام نهضة علمية وثقافية سليمة، بالإضافة لمعرفة ابن باديس لفقه الأولويات، ولمنهج الإصلاح، واعتماده على المنهج القرآني في الإصلاح<sup>(3)</sup>، هذا الإدراك البصير بواقع الأمة الجزائرية جعله يدرس الموضوع رفقة البشير الإبراهيمي منذ سنة 1913م<sup>(4)</sup> لوضع معالم المنهج الإصلاحي الذي يتلائم وظروف الجزائر الواقعة تحت الاحتلال الفرنسي المتسلط، وإتفقا<sup>(5)</sup> على منهج بصير لمباشرة النهوض بالأمة الجزائرية، قام على المبادئ التالية:

- تصحيح مسار الأمة الجزائرية بارجاعها إلى العمل بتعاليم القرآن والسنة النبوية بما يكفل التمسك بالدين الإسلامي الصحيح بعد تخليصه من البدع والخرافات والأباطيل التي ألصقت به وشاعت وسط المجتمع.
- إرجاع المكانة الحقيقية للغة العربية التي قاربت على الإندثار وسط أهلها وإحياء شعور الاعتزاز بها.
- نشر الوعي وسط مختلف شرائح الأمة الجزائرية بأهمية التعليم الخاص العام، ومن أجل تحقيق هذا المبدأ خرج ابن باديس في جولة دعوية إلى الدين الصحيح قادته إلى عدد من القرى والمدن الجزائرية.
- الحرص على اجتناب الخوض في كل ما يتعلق بالأمور السياسية، وتفادي المجاهرة بعداء فرنسا ومساعدتها<sup>(6)</sup>.
- توخي الحذر عند التعامل مع الطرفين وأصحاب الزوايا والأضرحة والأئمة الرسميين ومعاوني الإستعمار وعدم الدخول معهم في مناقشات تألب إدارة الاحتلال ضد حركة الإصلاح.
- توظيف واستغلال جميع الوسائل والأساليب المادية والمعنوية لتحقيق المشروع النهضوي.

(1) - عبد الله حمادي، ابن باديس سيرة ومسيرة، منشورات الوطن، الجزائر، 2017، ص 101.

(2) - محمد الميلي، ابن باديس وعروية الجزائر، المرجع السابق، ص 11.

(3) - أحمد عيسوي، خطاب الهوية عند الحركة الوطنية الجزائرية "ابن باديس عن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أنموذجا"، المرجع السابق، ص 223.

(4) - تذكر بعض المصادر التاريخية أن بداية تفكير ابن باديس في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين كان نفس السنة، أثناء مسامراته مع البشير الإبراهيمي بمناسبة أداء فريضة الحج، فانتزها في مجالسة رجال الفكر والسياسة والدين والثقافة. يُنظر: عبد الله حمادي، المرجع السابق، ص 63-66.

(5) - صرح البشير الإبراهيمي في كتاباته قائلا: "كانت الطريقة التي إتفقنا عليها أنا وابن باديس في إجتماعنا بالمدينة المنورة عام 1913م في تربية النشء هي ألا نتوسع في العلم، وإنما نربيه على فكرة صحيحة ولو مع علم قليل، فتمت لنا هذه التجربة في الحديث الذي أعددنا من تلامذتنا". يُنظر: عقيلة حسين، جهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في خدمة الحديث الشريف، دار الوعي، الجزائر، ط1، 2012، ص 92-93.

(6) - إذا كان حرص ابن باديس في بداية نشاطه الإصلاحي على عدم الخوض في السياسة لتفادي الصدام مع الإدارة الإستعمارية لذلك نلاحظ تأخر بروز مواقفه السياسية الصريحة إلى غاية سنة 1935م مع بدايات التحضير للمؤتمر الإسلامي الأول، فإنه كان يدرك أن المجاهرة بالعداء لفرنسا سينجر عنه تقويض وإنهاء حركته الإصلاحية التي لازالت في المهّد، لذلك نجد اتباعه سياسة مهادنة الإستعمار ومجاراته في بعض المراحل التاريخية كما أشار إلى ذلك محمد الميلي نظرا لطبيعة الأوضاع في تلك الفترة من جهة ومحاولة ابن باديس تحقيق المطالب الوطنية بطرق سلمية من جهة أخرى.

- الاعتماد على جهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أولا والاستثمار في الجهود الفردية لعلماء الإصلاح ثانيا.
- نبذ التقليد والجمود الفكري الذي أضر بالأمة الجزائرية وأدى لتخلفها والحث على الإجتهد والإبتكار لدى الأفراد.
- مواجهة جميع المخططات والمشاريع الإستعمارية المفروضة على الشعب الجزائري جبراً وإلزاماً مثل التنصير والتبشير والتغريب والفرنسة وتشويه التاريخ والمسح والإدماج، وتوعية الأمة الجزائرية بضرورة المحافظة على هويتها وإنتمائها الحضاري العربي الإسلامي الذي يميزها عن الأمة الفرنسية<sup>(1)</sup>.

ونلاحظ من خلال عرض مضمون مركّزات المنهج الباديسي، بالإضافة إلى خصوصيتها المتعلقة بالوضع الجزائري، نظرة ابن باديس الشاملة المحيطة بأبعاد وغايات الإصلاح الوطنية، فلم تتوقف فلسفة فكره الإصلاحي عند التنظير فقط بوضع أسس الإصلاح، بل امتدت إلى الجانب التطبيقي بوضع خارطة طريق تسمح بتنفيذها على أرض الواقع بما يضمن نجاحها، كما أن أسس الإصلاح لم تقف عند إصلاح حال المجتمع دينيا فقط بل كان هذا الإصلاح هو بداية وقاعدة لتحقيق التغيير الحقيقي عن طريق بلورة الوعي الوطني الذي سينتهي باستعادة مقومات الأمة الجزائرية وهويتها وإدراك الشعب الجزائري خصوصية شخصيته الوطنية وتميزها عن فرنسا تمهيدا لبعث ثورة لاسترجاع السيادة الوطنية يكون فيها الإستقلال الهدف الأساسي. فمحمد الميلي يعتقد أن الواقعية التي تميز بها ابن باديس كانت ستؤدي به لو لم يدركه الموت إلى ضبط أولويات المعركة ضد التخلف من خلال ما تدل عليه كتاباته الأخيرة من حياته، التي تشير إشارة واضحة إلى يأسه من الأسلوب السياسي التقليدي وضرورة المغامرة والتضحية حسب تعبيره<sup>(2)</sup>.

### المطلب الرابع: أهمية التعليم في المنهج الإصلاحي لابن باديس.

يعتبر التعليم ركيزة أساسية من ركائز الإصلاح عامة، فهو الأداة القادرة على نشر الأفكار وتصحيح الأخطاء وتوعية الأفراد وتوجيههم إلى ما فيه خير الأمة، والرقى بها، وقد كتب الشيخ العربي التبسي كلمة في حق الشيخ ابن باديس خلال إحياء ذكرى وفاته الثانية عشر وصف فيها الاهتمام الذي أولاهما للتعليم قائلا: "إن الرجال لا تسجل أنسابهم ولا صورهم ولا أموالهم في سجل الإنسانية وشرائعها ورجالها، وإنما تسجل عقائد الذين غرسوا عقائدهم في نفوس الناس... ظهر عبد الحميد ابن باديس كما يظهر علماء الدين مدرسا للعلوم الإسلامية بكتبها المتعارفة في الدراسات الإسلامية وفي العلوم الدينية واللسانية والعقلية متبرعا بدراساته لا يسأل عليها أجرا من أحد"<sup>(3)</sup>، وأثمرت جهود هذه الحركة في إنتشار العلم بمختلف أنحاء الوطن الجزائري وأصبح ابن باديس من الشخصيات التي أقبل عليها طلاب العلم، لتتسع دائرة هذه الحركة العلمية والثقافية بين مختلف فئات المجتمع<sup>(4)</sup>.

من هنا يتضح أن ابن باديس تفرغ للتعليم حتى لن يبقى له من الشغل سواه<sup>(5)</sup>، فللعلم والتعليم مكانة كبيرة في المنهج الإصلاحي الباديسي للنهوض بالأمة الجزائرية وإعادة إحياء مقومات هويتها بناء على ما يلي:

(1) - أحمد عيساوي، المرجع السابق، ص 230.

(2) - محمد الميلي، ابن باديس وعروبة الجزائر، المرجع السابق، ص 101.

(3) - أحمد الرفاعي الشرفي، الأعمال الكاملة للشيخ العربي التبسي، دار اليم، قسنطينة، الجزائر، 2، 2005، ص 255.

(4) - نفسه والصفحة.

(5) - عمار طالي، الإمام عبد الحميد بن باديس حياته وآثاره، ج 4، المصدر السابق، ص 105-109.

- يعتبر التعليم عند ابن باديس أساس الإصلاح، فلا يمكن لأي نهضة أن تقوم دون أن تُركز على العلم، وهو شرط للتغيير الحضاري لأي أمة من الأمم، وهو الدور المنوط بالعلماء الذين يقع على عاتقهم مسؤولية الإصلاح لأنهم حضوة المجتمع والقدوة التي يقتدي بها أفراد الأمة، لذلك لا بد أن يكونوا في مستوى هذه المسؤولية، من هنا جاء تركيزه على إصلاح العلماء وصلاتهم، من خلال العودة إلى كتاب الله وسنة نبيه، لأن صلاح العلماء من صلاح التعليم، وقد قال في هذا الصدد: "لن يصلح العلماء إلا إذا صلح تعليمهم، ولن يصلح هذا التعليم إلا إذا رجعنا به للتعليم النبوي في شكله وموضوعه في مادته وصورته"، لذلك اعتمد على القرآن والسنة وتراث السلف الصالح في المقررات الأساسية لتعليم النشء اللغة العربية الصحيحة، وتاريخ الأمة الإسلامية، وكان الحفظ هي الوسيلة المعتمدة في طريقة التعليم بالمساجد، حيث تبنى ابن باديس تطبيق طريقتين في تدريس المنهاج الذي وضعه بنفسه للتعليم<sup>(1)</sup>، أبانت أهدافه عن معالم شخصيته الوطنية من خلال سعيه لـ:

- بناء الشخصية الجزائرية المتكاملة من خلال التركيز على الأبعاد التالية: الإرادة، الفكر، العمل في مراحل التربية والتعليم، التي بدأها إنطلاقاً من ثلاث أسس وضّحها من خلال الشعار الذي رفعه هدفاً لخص فيه مقومات الهوية الجزائرية قائلاً: "الإسلام ديننا والعربية لغتنا، والجزائر وطننا"، فكان هذا الشعار يعبر عن مشروع حضاري لابن باديس.

- توظيف الصحافة في توعية الشعب الجزائري، وتعتبر عمل مكمل للتعليم، نظراً لدورها الفاعل في نشر الوعي وتأثيرها على مسار الأحداث<sup>(2)</sup>، ووسيلة لمحاربة الوضع المتدني للمجتمع الجزائري والتصدي لانتقادات الإدارة الإستعمارية، وجمود بعض المشايخ، وتنبيه الناس إلى الضلالات التي لا تنتمي للدين والمجتمع الإسلامي<sup>(3)</sup>، فالنظرة البعيدة للمشروع النهضوي لابن باديس لا يمكن أن تقوم على التعليم في المدارس والكتاتيب والزوايا فقط، ولو كان الأمر كذلك لاكتفى ابن باديس بالتدريس في جامع الأخضر، لكن هذا التدريس لوحده لم يعد يلبي طموحاته وأهدافه الإصلاحية، لذلك توسع نشاطه إلى الكتابة الصحفية لنشر أفكاره في المجتمع، وإيصالها إلى عدد أكبر من القراء، وهي عملية مكملة للعمل التعليمي الذي واصل تطويره منهاجاً وهيكلاً.

ويتبين لنا أن ابن باديس لم يكن له في منهجه الإصلاحي أهداف متعددة بقدر ما كان له هدف واحد متعدد الفروع تمثل في إنقاذ الشخصية الجزائرية مما سقطت فيه من ضياع وانحيار حضاري شامل، لذلك عمل على إحياء ما تبقى من مقومات هذه الشخصية مركزاً على الدين واللغة والوطن<sup>(4)</sup>، فالدافع الذي دفع بابن باديس لنشر التعليم بين أبناء الجزائر هو شعوره بضرورة العمل على تدارك الحالة الخطيرة التي وصلت إليها اللغة العربية، والدين الإسلامي حيث كادت معالمها أن تختفي كلية، لذلك رأى ببصيرته أن إنقاذ الشخصية الجزائرية التي تقوم على الأركان الثلاثة: الإسلام والعروبة

(1) - صالح بوعزة، المرجع السابق، ص 507-508.

(2) - عمار بن مزور، المرجع السابق، ص 210.

(3) - عبد القادر فضيل ومحمد الصالح رمضان، إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس، دار الأمة العربية، الجزائر، ط1، 1998، ص 38.

(4) - مسعود فلوسي، الإمام عبد الحميد بن باديس "لمحات من حياته وأعماله وجوانب من فكره وجهاده"، دار قرطبة، الجزائر، 2006، ص 87.

والجزائر، لا يكون إلا عن طريق نشر التعليم العربي الإسلامي واحداث نهضة عربية إسلامية يساهم فيها جميع أفراد الشعب لتعم كامل أنحاء الجزائر كي تكون درعا واقية لهذه الشخصية وقد انعكس ايمانه هذا على المنهج الإصلاحي الذي وضعه لتغيير أوضاع الأمة الجزائرية<sup>(1)</sup>.

لقد أدرك ابن باديس أن التغيير سواء في الأخلاق أو السلوكات هو تغيير للنفوس، وهو أمر صعب جداً لا يمكن أن يتم إلا إذا تحلى بالإيمان القوي والصبر الطويل والعزيمة والإصرار الكبيرين، وهي من الخصال التي منّ بها الله على ابن باديس بعدما ناله من علم واسع وحكمة في التفكير والتدبر، ما سمح له مباشرة معركة الإصلاح والتغيير<sup>(2)</sup>، والمتمعن في كتابات ابن باديس يجد أنه تطرق كثيرا حول العلم وبين ماهيته وأهميته وأنواعه ووجوب تحصيله، وطرق التعليم ومناهجه، كما انتقد التعليم الفرنسي، وطالب بتصحيح مناهج التعليم في تونس<sup>(3)</sup>، وعمل على وضع استراتيجية تعليمية خاصة بجمعية العلماء<sup>(4)</sup>.

-منهج تربوي حديث يقوم على التجديد والحدثة لتدريس النشء وربما هذا يعود إلى طبيعة التكوين الذي تلقاه في مرحلة الدراسة وفي الزيتونة وتأثره بعلماء الفكر الإصلاحي في العالم العربي من أمثال حجة الإسلام أبو حامد الغزالي<sup>(5)</sup> النابغة الفيلسوف، وما تميزوا به من توجه فكري نحو التجديد الإسلامي، ولم يكن ابن باديس لوحده المتأثر بالتجديد في الإصلاح، فالعدد الكبير من العلماء الذين انظموا إلى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين كانوا من أصحاب هذا الاتجاه، وأيضا لا يمكن أن نهمّل أن ما كانت تعيشه المدرسة الباديسية من تجديد جاء نتيجة حركة التجديد التي مست أغلب مؤسسات ومعاهد العلم في البلاد<sup>(6)</sup>.

أشار محمد البشير الإبراهيمي إلى هذا الأمر قائلا: "التعليم يجب أن يكون حيا والمعلم يجب أن يكون مكتشفيا لا حاكيا، وبالطريقة الإيجابية سؤال وجواب يتولد النشاط"، وهو ما يعني أن المدرسة الباديسية كانت تسير وفق منهج عصري وهو ما سمح بتكوين جيل متميز في تكوينه وفق المبادئ الإسلامية، يتقن اللغة العربية، يملك روح المبادرة، متمتع بالحس الوطني قادر على مواجهة التحديات والصعاب بالحكمة وحسن التدبر واعى بالمسؤولية الملقاة على

(1) - رابع تركي، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط3، 1981، ص 301.

(2) - المرجع السابق، ص 508-509.

(3) - بحكم أن عدد كبير من الطلبة الجزائريين يتخرجون من جامع الزيتونة، وهم من يعول عليهم في النهوض بالأمة الجزائرية عند عودتهم إلى البلاد.

(4) - عقيلة حسين، المرجع السابق، ص 93.

(5) - أبو حامد الغزالي: (1058م - 1111م) فقيه وفيلسوف وصوفي شافعي الفقه أشعري العقيدة، يعتبر واحد أشهر العلماء المسلمين في القرن 05 هـ لقب بحجة الإسلام، ولد بطوس (إيران)، درس على يد الشيخ أحمد الراذكاني ثم انتقل إلى جرجان وواصل دراسته على يد الشيخ الإسماعيلي، ثم عاد لطوس سنة 1077م، وفي سنة 1080م انتقل إلى نيسابور للدراسة على يد الشيخ أبي المعالي الجويني والفارمدي ثم قصد العسكر بعد وفاة الجويني، فأرسل سنة 1091م مدرسا إلى بغداد، لتبدأ شهرته، ثم ترك التدريس وخرج للحج وظل بين سنوات 1095-1097م متنقلا بين دمشق والقدس ومكة والمدينة، ثم عاد بعدها إلى بغداد وبقي فيها مدة يسيرة يدرس الأحياء ثم سافر إلى همدان، وفي سنة 1100م عاد لطوس ثم درس نظامية في نيسابور سنة 1106م، ثم ترك التدريس وعاد لطوس وتوفي فيها، كان متأثرا بأفكار الفلاسفة اليونانية وأصدر عدة مؤلفات منها "المنطق والفلسفة والرد على الفلاسفة" و"علم الكلام" و"التجارب الروحية والدنية". يُنظر: عبد الكريم العثمان، سيرة الغزالي وأقوال المتقدمين فيه، دار الفكر، دمشق، سوريا، دون سنة، ص 17 و ص 35.

(6) - صالح بوعزة، المرجع السابق، ص 511-512.



عائقه للتوعية والإرشاد للمقاومة، وهو ما كان يفتقد إليه الطلبة المتخرجين من المدارس الفرنسية التي كانت تهدف لتخريج طلبة لهم قابلية التخلي عن أحوالهم الشخصية لخدمة المصالح الفرنسية<sup>(1)</sup>، فالإبراهيمي يصفه بباني النهضة العلمية والفكرية في الجزائر، وواضع أسسها على صخرة الحق، وقائدها إلى الغايات العليا، ومربي جيلين كاملين على التفكير الصحيح، ومحيي دوارس العلم بدروسه الحية، وغارس بذور الوطنية الصحيحة، وملقن مبادئها على البيان<sup>(2)</sup>.

-اهتم ابن باديس بتعليم المرأة الجزائرية تعليماً دينياً قائماً على القومية والأخلاق، لتغذية إحساسها الوطني الذي يعتبر ضرورياً لخلق جيل يحفظ أصله ولا يتنكر لأمته، وكان يفضل المرأة الأمية المتدينة والمتشعبة بالأخلاق بدلا من المرأة المتعلمة التي تنجس أبناء عاقلين لوطنهم<sup>(3)</sup>، وقال في هذا الصدد: "الجزائرية بدينها ولغتها وقوميتها، فعلياً أن نعرفها حقائق ذلك لنلد لنا أولاداً منا ولنا، يحفظون أمانة الأجيال الماضية للأجيال الآتية، ولا ينكرون أصلهم وإن أنكرهم العالم بأسره، ولا تنكرون لأمتهم ولو تنكر لهم الناس أجمعين ... والطريق إلى هذا هو التعليم، تعليم البنات تعليماً يناسب خلقهن ودينهن وقوميتهن"<sup>(4)</sup>.

ونظراً لإدراكه بالدور الذي تقوم به المرأة في الحفاظ على مقومات الشخصية الوطنية فقد ناهض تعلمها في المدارس الفرنسية بسبب ما يترتب عنه من تنفيذ لمخططات الإستعمار من مسخ لشخصيتها وامتداد هذا التأثير إلى أجيال الأمة التي تربيتها<sup>(5)</sup>، حيث قال: "إذا أردنا أن نكون رجالاً، فعلياً أن نكون أمهات دينيات، ولا سبيل لذلك إلا بتعليم البنات تعليماً دينياً وتربيتها تربية إسلامية. وإذا تركناهن على ما هن عليه من الجهل بالدين، فمحال أن نرجو منهن أن يكون لنا عظماء الرجال"<sup>(6)</sup>، لهذا يرى أن البيت هو المدرسة الأولى والمصنع الأصلي في تكوين رجال المستقبل، لأن تدين المرأة هو أساس حفظ الدين والخلق وإذا ما لمس ضعف في ناحيتهما لدى الرجال، فمرد هذا الضعف إلى نقص في التكوين الذي تلقوه من المرأة<sup>(7)</sup>، ونتيجة هذا الحرص على النشء الصاعد تميز منهج التعليم عند ابن باديس بإيلاء أهمية كبيرة لتكوين شخصية تلاميذه تكويناً دينياً، خلفياً، اجتماعياً ووطنياً أكثر من اهتمامه بحشو شخصية العلوم والمعارف في أذهانهم دون جدوى<sup>(8)</sup>، واستمر على هذا النهج طيلة ربع قرن يعلم الكبار والصغار وينشئ الأجيال، متطوعاً لخدمة العلم بنفسه، ولم يجد عن هذا الطريق إلا بوفاته سنة 1940م<sup>(9)</sup>.

-منهج يقوم على النظرية والتطبيق، إذ تعتبر المزاوجة بين الفكر والعمل والجمع بين النظري والتطبيقي في العلوم العصرية من أهم المميزات التي طبعت الشخصية الإصلاحية لأن باديس في المنهج التربوي، خدمة للتنمية الوطنية، لأن

(1) - صالح بوعزة، المرجع السابق، ص 512.

(2) - مصطفى محمد حميدانو، المرجع السابق، ص 83.

(3) - أحمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المرجع السابق، ص 138.

(4) - الشهاب، ج 10، مج 05، نوفمبر 1929، ص 14.

(5) - محمد الملي، ابن باديس وعروبة الجزائر، المرجع السابق، ص 130.

(6) - عمار طالي، الإمام عبد الحميد بن باديس حياته وآثاره، ج 03، المصدر السابق، ص 89.

(7) - الشهاب، ج 08، مج 11، شعبان 1654هـ/نوفمبر 1935م، ص 456.

(8) - أحمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المرجع السابق، ص 141.

(9) - مصطفى محمد حميدانو، المرجع السابق، ص 76.



شعور الأفراد بالحس الوطني لا يبرز إلا من خلال تفانيهم في العمل، والتزامهم بآداء مسؤولياتهم نحو وطنهم الذي هو بحاجة إلى سواعد جميع أبنائه للنهوض به وتطويره وتنميته بعد ما حل به من دمار وتخريب على يد الاحتلال الفرنسي، وبهذا قاوم ابن باديس ومعه جمعية العلماء المسلمين الجزائريين المخططات الاستعمارية فكرياً (ثقافياً) وميدانياً (اقتصادياً) (1).

- جمع منهج ابن باديس بين الأصالة والمعاصرة، إذ كانت منطلقات الإصلاح الديني والأخلاقي والوجداني والفكري عنده هي القرآن الكريم والسنة النبوية، لذلك فهو يعتبر من رجال الإصلاح والفكر والتجديد، لكونه جمع بين تعليم علوم الدين للناس وإصلاحهم في الدنيا لينالوا الآخرة والعلوم المعاصرة في الدنيا، كما لم يهمل دور المرأة باعتبارها نصف المجتمع وما تختص به من أدوار تعليمية وتربوية كبرى للحفاظ على الهوية الجزائرية، لذلك عمل على منحها الحق في التعليم للنهوض بالمجتمع وفي هذا الصدد قال: "إن العناية بالرجل تستلزم العناية بالمرأة شقيقته في الحلقة والتكليف وشريكته في البيت والحياة"، لهذا شجعها على التعليم لمعرفة دينها، وتعلم لغتها التي تتحدث بها وتدرس بها نفسها وأبناءها، وتعزز بانتمائها الوطني، وغرس هذا الاعتزاز في نفوس أبناء الجزائر، وعول عليها في المحافظة على الوطن والدفاع عنه والمشاركة في نهضته وتنميته، فخوّرهم بتميزهم الإسلامي وانتسابهم العربي وعدم تنكّرهم لأصلهم وهويتهم، ونقل هذا الشعور للأجيال القادمة حتى لو تنكر الجميع لذلك (2)، والتعليم الديني هنا يقصد به العربية والإسلام، مؤكداً على وجوب تعليم المرأة بلسان قوميتها (3)، نظراً لأثره العظيم على المجتمع في تربية النشء على حب دين أمته، وانتقال حب الهوية والوطن إلى الأجيال القادمة، وما يخلفه من تماسك ثقافي فليست المرأة الجاهلة بالدين كالعارفة به (4).

وبناء على هذا المنهج الباديسي قامت دعائم الحركة الإصلاحية المنظمة بزعامة الشيخ عبد الحميد ابن باديس الذين كان بانتصابه للتربية والإرشاد منذ 1913م قد دشّن لإصلاح بعيد المدى، ساندته فيها جماعة من العلماء والمثقفين الجزائريين ذوي التكوين العربي، المتأثرين بالنهضة وحركات الإصلاح الإسلامية الحديثة (5)، وقد ردّ البشير الإبراهيمي إشعاع هذه الحركة إلى ثورة ابن باديس التعليمية، وتدفع تلاميذه على الزيتونة، وتخرجهم "جنوداً للإصلاح"، وعودة فئة من أبناء الجزائر المخلصين من الحجاز متشبعين بفكرة الإصلاح الديني. وبدأ أولئك العلماء والدعاة بالتعارف والتواصل تدريجياً بعد الحرب العالمية الأولى، في ظلّ إنفتاح فرنسي فرضته ظروف الحرب، وتضحيات الجزائريين من أجل فرنسا ترتب عنه إصلاحات 1919م الشكلية (6)، فاستشعر رواد الحركة الإصلاحية بمرور الزمن ما يجمعهم من هموم نابعة من صميم

(1) - صالح بوعزة، المرجع السابق، ص ص 513-514.

(2) - محمد الصالح الصديق، أعلام من المغرب العربي، ج1، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2000، ص 265.

(3) - الزناقي عبد العزيز، أيستحب تعليم المرأة المسلمة وترشيدها، مجلة الشهاب، السنة الثالثة، المجلد 03، العدد 104، 1928م، وزارة الثقافة، الجزائر، 2001، ص 70.

(4) - عبد الكريم بوصفصاف، الفكر العربي الحديث والمعاصر "محمد عبده وعبد الحميد ابن باديس أنموذجاً"، ج2، دار مداد للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص 37.

(5) - بشير بلاح، المرجع السابق، ص 18.

(6) - لم تخرج هذه الإصلاحات عموماً عن إطار: فتح باب جنسية أهلية يشترط لها التخلي عن الأحوال الشخصية الإسلامية، وزيادة حجم الكتلة الانتخابية في القسم الخاص بالأهالي.

أزمة مجتمعهم المشلول وأزمة الثقافة وتحققوا من حاجتهم إلى إطار ينظم جهودهم، فكانوا ينوون تسميته عام 1924م "جمعية الإخاء العلمي"، إلا أن تطور الأوضاع والأفكار توج بالإجماع مع بداية الثلاثينات حول تسمية جمعية العلماء<sup>(1)</sup>.

### المبحث الثاني: ظهور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأهدافها.

#### المطلب الأول: تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

فكر ابن باديس منذ 1925م في توحيد جهوده مع جهود إخوانه، من خلال توجيهه الدعوة إلى أبناء الجزائر المتخرجين من جامع الزيتونة والعائدين من المشرق العربي، لدراسة الحالة التي تمر بها الجزائر والتعاون على وضع خطة عمل ينقذ بها الشعب الجزائري قبل أن يفوت الأوان، وكان هذا اللقاء في سنة 1928م بمكتبة<sup>(2)</sup> مجاورة لمسجد "الأربعين شريفاً"، أين اجتمع من لبي دعوة ابن باديس وهم: محمد البشير الإبراهيمي ومبارك الملي الطيب العقبي، العربي التبسي، السعيد الزاهري<sup>(3)</sup> ومحمد خير الدين<sup>(4)</sup>، وتميز اللقاء بمشاعر الحماس والعزيمة الصادقة استعداداً للتضحية في سبيل الله والوطن<sup>(5)</sup>.

وفي الخطاب الذي افتتح به ابن باديس الجلسة، أوضح خطورة الوضع الذي تعيشه الجزائر وشعبها جراء الاستعمار الصليبي الذي اغتصب الأرض وهجر السكان وعزم على دفن الشخصية الجزائرية، حيث قال: "...أصبح شغله الشاغل إضعاف الشخصية الجزائرية سياسياً في طريق القضاء على وجودها لتحل محلها الشخصية الفرنسية، من أجل هذا أسرع الاستعمار الخطي إلى حشد عشرات الآلاف من الرجال والنساء من مختلف الجنسيات

(1)- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، دار المعرفة، الجزائر، 2009، ص ص 41-42.

(2)- كان مكتب إدارة مجلة الشهاب التي كان يشرف على إدارتها ابن باديس .

(3)- السعيد الزاهري: (1900-1956م) كاتب وشاعر وصحفي ومصلح جزائري ينحدر من ولاية بسكرة، حفظ القرآن الكريم وتلقى مبادئ العلوم بمسقط رأسه ثم انتقل إلى قسنطينة وتعلم على يد الشيخ ابن باديس بالجامع الأخضر، وتحصل على شهادة التطوع من الزيتونة، ثم عاد إلى الجزائر سنة 1925م ليصدر جريدته الأولى "الجزائر" تحت شعار الجزائر للجزائريين سنة 1925م، فأوقفتها السلطات الإستعمارية، ثم أصدر جريدته الثانية "البرق" سنة 1927م فلاقت نفس مصير سابقتها، كما نشط الزاهري كعضو في المجلس الإداري لجمعية العلماء لكنه تخلى عن ذلك سنة 1935م بسبب خلاف بينه وبين أحد أعضائها، وأشرف على مدرسة نواة الشبيبة بالأغواط ثم إنتقل لهران وأسس المدرسة الإصلاحية، إلا أنه ترك التعليم بسبب صراعه مع المبشرين المسيحيين وعاد إلى الصحافة فأنشأ جريدة "الوفاق" سنة 1938م ثم "المغرب العربي" التي إختفت لتعود للصدور سنة 1948م ثم توقفت مرة أخرى قبل إندلاع الثورة، لكنه قرر سنة 1955م إحياءها من جديد غير ممثل لرأي جبهة التحرير فحكم عليه بالإعدام، من مؤلفاته "الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير"، "حاضر تلمسان". يُنظر: رابح خدوسي، موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، المرجع السابق، ص 45، وأيضاً: عبد الحليم صيد، معجم أعلام بسكرة، دار النعمان، الجزائر، 2014، ص ص 112-113.

(4)- محمد خير الدين: (1902-1993م) عالم مصلح ومدرس وسياسي، ولد ببسكرة وحفظ القرآن الكريم ودرس المبادئ الأولى فيها، وفي سنة 1916م انتقل إلى مدينة قسنطينة ودرس على يد العلامة ابن باديس، تخرج من الزيتونة بشهادة التطوع سنة 1925م، وأحد الأعضاء البارزين المساهمين في تأسيس جمعية العلماء والناشطين فيها بحضوره أغلب إجتماعاتها وتقلده عدة مناصب في إدارتها، من بينها أمين المال بعد وفاة مبارك الملي، ثم نائب رئيس الجمعية، وصاحب إمتياز في جرائد البصائر، الشريعة، الصراط، نفي إلى برج بوعريج سنة 1934م واعتقل رفقة التبسي على إثر حوادث 8 ماي 1945م، وفي سنة 1947م ساهم في إدارة معهد ابن باديس، بعد إندلاع الثورة كلف بتمثيل جبهة التحرير الوطني في المغرب الأقصى، وشارك في مؤتمر طنجة وكان عضواً في المجلس الوطني للثورة سنة 1958م، مع الإستقلال عاد إلى الوطن وعين عضواً في البرلمان الجزائري لكنه إستقال منه، وفرضت عليه الإقامة الجبرية سنة 1976م إستغلها في كتابة مذكراته. يُنظر: عبد الحليم صيد، المرجع السابق، ص ص 90-91.

(5)- محمد خير الدين، مذكرات، ج 01، مؤسسة الضحى، الجزائر، ط2، 2002، ص ص 70-71.

الأوروبية، ومنحهم الجنسية الفرنسية، فأصدر القوانين المتعاقبة للقضاء على الشعب الجزائري بسهولة ويسر، حتى لا تقوم مقاومة داخل البلاد ولا تذاع جرائم المستعمرين خارجها"<sup>(1)</sup>.

لذا فسنة 1925م تعتبر سنة مميزة بالنسبة لمسيرة ابن باديس بنداؤه التاريخي لعلماء الجزائر ومصلحيها من أجل رص الصفوف والشروع في بناء مستقبل الأمة الجزائرية<sup>(2)</sup> بقوله: "أيها السادة العلماء المصلحون المنتشرون في القطر الجزائري، إن التعارف أساس التآلف، والاتحاد شرط النجاح، فهلموا إلى التعارف والاتحاد بتأسيس حزب ديني محض، غايته تطهير الدين مما ألصقه به الجاهلون من الخرافات والأوهام، والرجوع به إلى أصل الكتاب والسنة"<sup>(3)</sup>. بالإضافة لهذا فام ابن باديس قدم مجموعة من القوانين الاستعمارية الجائرة التي استدل بها في إبراز خطورة الاستعمار، ودراستها لمعرفة نتائجها وما يبيته الاستعمار وتمثلت في<sup>(4)</sup>:  
- قانون عام 1845م الذي يقضي بتقسيم الجزائر إلى ثلاث عمالات والحقها بعمالات فرنسا.

- قانون عام 1848م يؤكد أن الجزائر جزء من فرنسا.

- قانون عام 1854م الذي يصرح أن أرض الجزائر تعتبر أرضا فرنسية.

- تحويل عدد كبير من مرضى المسلمين وأيتامهم سنة 1879م عن دينهم الاسلامي، وادخالهم الديانة المسيحية بعد استغلال "الكاردينال لافيغري"<sup>(5)</sup> حالة الجفاف التي أصابت الجزائر.

- إصدار قانون عام 1900م الذي استولت بموجبه فرنسا على الشؤون الدينية الإسلامية وضمتها إلى أملاك الدولة

الفرنسية، وإخضاع ممارسة التعليم العربي الإسلامي لرخص استعمارية تمنح فقط للعلماء والجهال.

(1)- محمد خير الدين، مذكرات، ج 01، المصدر السابق، ص 71.

(2)- عبد الله حمادي، المرجع السابق، ص ص 111-112.

(3)- الشهاب، العدد 03، 10 جمادى الأولى 1344هـ/ 26 نوفمبر 1925م.

(4)- محمد خير الدين، مذكرات، ج 1 المصدر السابق، ص ص 71-72.

(5)- الكاردينال شارل مارسيل ألمان لافيغري (1825-1892م) قديس فرنسي نشأ في ببايون، آمن بفكرة تنصير العرب بالقوة، واستئصال الإسلام من نفوس المسلمين، قدم إلى إفريقيا والجزائر خصوصا سنة 1867م لتطبيق سياسة الإدارة الفرنسية من خلال إستدراج الأهالي نحو النصرانية مؤمنا بفكرة إستعادة ممتلكات أجدادهم الرومان المغتصبة، بلغ التنصير في فترته أقصى ذروته بجعله الجزائريين بمثابة أبنائه، وتقريبهم إليه بواسطة المال وعن طريق بناء المدارس والمستشفيات وإقامة الكنائس وإطعام يتامي محاولا إقناع الأهالي الجزائريين بظمة المسيحية لتسهيل إعتناقها، أنشأ سنة 1868م جمعية الأخوات البيض واختار منطقة القبائل مركزا لتنفيذ مشروعه، فهو لم يكن رجل دين فحسب بل تعدت أفكاره حدود الكنيسة إلى السياسة، بترشحه لعضوية البرلمان الفرنسي سنة 1871م، كما تجاوزت أهدافه التبشيرية حدود الصحراء الإفريقية، ومات بالجزائر عن عمر 67 سنة. يُنظر:

Le Vicomte de Colleville, Le Cardinal Lavigerie, Librairie des Saints-Peres, 2<sup>eme</sup> édition, Paris, 1905, p p 11-21.

وأيضاً: أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج 06، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط 01، 1996، ص ص 119-133.

- إصدار قانون عام 1901م يفضي بفصل الدين عن الدولة وطبق في فرنسا على عكس الجزائر، التي اقتصر فيها تطبيق القانون على اليهود والمسيحيين، فيما بقيت الشؤون الدينية الإسلامية تحت سيطرة الإدارة الاستعمارية.

سنت الإدارة الفرنسية في الجزائر هذه القوانين خلال القرن 19م لمنح مشروعية الوجود الأوروبي في الجزائر<sup>(1)</sup>، في مقابل سعيها لمسح الشخصية الجزائرية وتخطيط كيان الشعب الجزائري، خصوصا على المستويين الاجتماعي والاقتصادي، لإنتاج شعب لا هوية له<sup>(2)</sup>، من خلال محو الوجود التاريخي والحضاري للشعب الجزائري عن طريق تخطيط القوى المادية والروحية للشعب بعد إصدار قانون 1873م الذي سمح بملكية الأراضي للفرنسيين، وعمل على إضعاف الرابطة العصبية التي تحكم المجتمع الجزائري<sup>(3)</sup>، بالقضاء على النظام القبلي لافشال حركة العصيان لدى القبائل الجزائرية المتمردة ضد الاحتلال الفرنسي، لتمكين الإدارة الاستعمارية بذلك الجمع بين أشكال العنف الثلاث: العنف السلاح، وعنف القانون، وعنف الإقتصاد بهدف إضعاف الأمة الجزائرية وتفكيك ترابطها<sup>(4)</sup>، والتشكيك في هويته الجزائرية وإنتمائه العربي الإسلامي عن طريق تكريس سياسة التجهيل والأمية وتشجيع البدع وإثارة الفتن والنعرات العرقية بين العرب والأمازيغ<sup>(5)</sup>.

بعد هذا العرض للوضع الراهن آنذاك طرح ابن باديس مشروعه على العلماء، الذي اعتبر أن الله هيئهم وإدخراهم ليتحملوا مسؤوليتهم في هذا الظرف بكل ما يملكونه من شجاعة وتضحية، مذكرا إياهم موقفهم هذا بموقف طارق بن زياد على ربوة جبل الأندلس، وخيرهم بين أمرين لا ثالث لهما إما الموت أو الشهادة في سبيل الله، أو الاستسلام وتكون النتيجة لا قدر الله ما حدث ببلاد الأندلس، فكانت إجابة العلماء أنهم مستعدون للتضحية في سبيل الدين ثم الوطن، فرد ابن باديس: "حياكم الله وأيدكم بنصره"<sup>(6)</sup>، ليكون هذا اللقاء بداية الانطلاقة لمسيرة طويلة من النضال، لاسترجاع مكانة أمة كاملة بمقوماتها ورموزها العربية الإسلامية، دولة متميزة بأسسها وأركانها الجزائرية المحصنة من مخالب الاستعمار.

إن تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في 5 ماي 1931م يعتبر حدثا تاريخيا هاما في تاريخ الجزائر الحديث، لكونه كان ردا على الإحتفالات الفرنسية بمرور قرن على احتلال الجزائر التي كان في جويلية من عام 1930م، ودامت على حد تعبير البشير الإبراهيمي شهرين من الصخب، بعدما كان مقررا أن تطول ستة أشهر، إلا أن مقاطعة الشعب الجزائري بسبب غضبه من إقامتها، واعتبار الأمر إستفزازا مقصودا لمشاعره، فكانت بذلك هذه الظروف أحد الأسباب الأساسية التي عجلت بتأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من أجل صيانة عروبة الجزائر وإسلامها من أخطار الإستعمار الفرنسي، فقد أخذ علماء الجزائر المنتمين إلى مدرسة التجديد السلفي الإسلامي على عاتقهم مسؤولية الدفاع

(1)-عبد الوهاب بن خليف، تاريخ الحركة الوطنية من الإحتلال إلى الإستقلال، دار طليطلة، المحمدية، الجزائر، 2009، ص 43.

(2)-مصطفى الأشرف، الجزائر الأمة والمجتمع، ترجمة حنفي بن عيسى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص 17.

(3)-عبد الوهاب بن خليف، تاريخ الحركة الوطنية من الإحتلال إلى الإستقلال، المرجع السابق، ص ص 43-44.

(4)-Abdallah Laroui, L'Histoire du Maghreb, Tome 02, Masreno, Paris, 1976, p 72.

(5)-عبد الوهاب بن خليف، تاريخ الحركة الوطنية من الإحتلال إلى الإستقلال، المرجع السابق، ص 45.

(6)-محمد خير الدين، مذكرات، ج1، المصدر السابق، ص 72.

عن الشخصية القومية للشعب الجزائري، متخذين من نادي الترقى<sup>(1)</sup> مقرا لإجتماعاتهم وتقييم مؤتمراتهم السنوية وممارسة نشاطهم العام<sup>(2)</sup>.

وكان قد حضر جلسة التأسيس<sup>(3)</sup> 72 عالما من مختلف أنحاء القطر الجزائري، واستمرت جلسات النقاش ثلاثة أيام في سرية تامة، وبعد التأسيس اتفق العلماء على تعيين ابن باديس رئيسا للجمعية بالإجماع رغم غيابه المتعمد وحضوره في اليوم الثالث لتفادي الوقوع في ما لا يخدم مصالح الجمعية والصدام مع الطرفين، وتولى البشير الإبراهيمي منصب نائب الرئيس<sup>(4)</sup>، واستلم رئاسة الجمعية بعد وفاة ابن باديس سنة 1940م، حيث تم إنتخابه بالإجماع في ظل غيابه بمنفاه (أفلو)، وهو الذي أكد أنه: "لو تأخر ظهور جمعية العلماء عشرين سنة أخرى لما وجدنا في الجزائر من يسمع صوتنا"<sup>(5)</sup>، وقد استمر رئيسا لها بمساعدة العربي التبسي إلى غاية حلها لنفسها بعد قيام الثورة التحريرية سنة 1956م.

كان للجمعية دور فعال في القضية الجزائرية بإيقاظ الشعب الجزائري من غفوته للمطالبة بحقوقه المسلوبة وإعادة المكانة للدين الإسلامي واللغة العربية وواقع الوطن في حياتهم، فدعى العلماء وجوب العودة إلى العمل بالقرآن الكريم والسنة الشريفة، كما عملوا على إحياء الشخصية الوطنية العربية المسلمة، وتخليص الجزائريين من ضلالات الطرفين وشيوخ الزوايا المنحرفة، التي اعتبرها الإبراهيمي إستعمارا ثاني أعان الإستعمار الفرنسي<sup>(6)</sup> على البطش بالجزائريين لطمس هويتهم.

ويبرز الدور الهام الذي قامت به جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من خلال إعتراقات شارل أندري جوليان حيث يقول: "كان العلماء هم الذين أيقظوا الرأي العام الأهلي من سباته"<sup>(7)</sup> من خلال إنشاء الصحف والنوادي والمدارس

(1) -نادي الترقى: تأسس سنة 1927م متزامنا مع تحضيرات فرنسا للإحتفال بمئوية الإحتلال في الجزائر، وبداية بروز حراك سياسي نشره دعاة الإصلاح بعد عودة العلماء وتأسيسهم للصحف، ومحاولة تأسيس جمعية أو حزب يجمع شتات الأمة، يقع النادي وسط العاصمة في الطابق الثاني من عمارة مقابلة للجامع الجديد لساحة الشهداء، ويسع لنحو 700 شخص، وهو من أهم النوادي المعروفة في الجزائر، أسسه أعيان المدينة من الحركة الإصلاحية، ليكون منبرا سياسيا وثقافيا بهدف تمرير العديد من الأفكار والقضايا وغرسها في المرتادين على النادي، وكرسالة مشفرة لفرنسا أن من الجزائريين من لازال متمسكا بلغته العربية وبقراءه الكريم ودينه الإسلامي وهو شعار جمعية العلماء التي تأسست بهذا النادي بعد 5 سنوات من تأسيسه، يُنظر: الوناس الحواس، نادي الترقى ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية (1927-1954م)، كنوز الحكمة، الجزائر، 2012، ص ص 133-147.

(2) -رابح تركي، الشيخ عبد الحميد ابن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر، المرجع السابق، ص ص 66-67.

(3) - أورد حسن بن علحية عدة روايات لكيفية تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين حسب ما ذكره أعضاؤها البارزين مثل البشير الإبراهيمي ورواية جريدة البلاغ العلوية، والشيخ محمد خير الدين، وتوفيق المدني، وحمزة بوكوشة، وخلص إلى عدم وجود تناقض بين روايات المؤسسين، باستثناء خلاف يسير، لكنه تسائل عن دور عمر إسماعيل في تأسيسها مع أنه رجل أمي، واعتبر من الخطأ نسبة تأسيس الجمعية لشخص واحد أيا كان مقامه. للتوسع أكثر يُنظر: حسن بن علحية، الإمام عبد الحميد ابن باديس شبهات وردود، دار أمل، تيزي وزو، الجزائر، 2023، ص ص 189-208.

(4) -عبد الله حمادي، المرجع السابق، ص 170.

(5) - رابح تركي، الشيخ عبد الحميد ابن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر، المرجع السابق، ص 67.

(6) - كمال عجالي، مساهمة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الحفاظ على الهوية الوطنية، مجلة العلوم الإنسانية والإجتماعية، عدد 16، مجلد 12، جامعة منتوري بقسنطينة، الجزائر، ديسمبر 2001م، ص 103.

(7) -شارل أندري جوليان، إفريقيا الشمالية تسير القوميات الإسلامية والسيادة الفرنسية، ترجمة المنجي سليم وآخرون، الدار التونسية للنشر والشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1976م، ص 133، يُنظر أيضا أحمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المرجع السابق، ص ص 179-174، وصالح عوض، معركة الإسلام والصليبية في الجزائر، الزيتونة للإعلام والنشر، 1989، ص 254.

والمعاهد وإرسالهم للطلبة خارج الوطن لإكمال تعليمهم، إضافة إلى إرسال برقيات الاحتجاج للحكام الفرنسيين مطالبين بالحقوق المسلوقة من الشعب، وأبليت في ذلك بلاءا حسنا منتهجة أسلوبا تظاهرت فيه بالإبتعاد عن السياسة مثلما فعلت باقي الأحزاب والجمعيات<sup>(1)</sup> المشكلة للحركة الوطنية الجزائرية، وهو ما مكن جمعية العلماء من ممارسة نشاطها والتحرك ضمن أطر قانونية، وعدم المجاهرة بالعداء للإستعمار وتجنب المواجهة العنيفة معه، حفاظا على استمرارية الجمعية وعدم حلها.

ويشير عبد الكريم بوصفصاف إلى أن الجمعية جاهدت جهادا كبيرا<sup>(2)</sup> نظرا للكم الهائل من المبادئ الإسلامية والقيم الوطنية وأسس الحضارة الإسلامية العربية التي أعادت للفرد الجزائري ثقته بنفسه وأحيت فيه ثوابته ومقوماته بعد فشل جميع الحركات الدعوية السابقة التي لم ترقى لطموحات الشعب<sup>(3)</sup>، مع أننا لا نقتل من الدور الذي قامت به هذه الحركات في الدفاع عن ثوابت الأمة ضد الإستعمار، بالإضافة لكونها اللبنة التي ساهمت بشكل مباشر أو غير مباشر في ظهور جمعية العلماء.

كما يثنى بوصفصاف على علماء الجمعية جميعا لأنهم مثلوا المدرسة الحقيقية للوطنية الجزائرية التي تغذت منها جميع القوى الوطنية الأخرى للجزائر، نظرا لما تمتعوا به من رصيد ثقافي عالي وتشبعهم بروح الإصلاح الناضج والفكر الواعي المعادي للإستعمار، المنطلق من مبادئ الدعوة للعودة إلى منابع الإسلام الصافي الذي انتهجه السلف، فكان رجوعهم لأرض الوطن مشحون بطاقة من الحماس لمباشرة ثورة التغيير والإنتفاض ضد الجمود الفكري والبطش الإستعماري الذي وظف مختلف جهوده لطمس مقومات الشخصية الجزائرية ووأد الثقافة العربية والتضييق على الإسلام وسلخه من روحه العصرية التي تساهم في تقدم الفرد الجزائري ومقاومة المستعمر<sup>(4)</sup>.

لم يقتصر عمل الجمعية على ما سطرته في قانونها الأساسي فقط، وإنما إقتحمت أيضا النضال السياسي<sup>(5)</sup>، وفي الحقيقة هذا التطور في مجابهة المستعمر جاء كحتمية للظروف التي فرضها واقع الاحتلال في الجزائر، كما أن الصراع الحضاري الذي واجهته مع فرنسا التي كانت تسعى للقضاء على الأمة الجزائرية كوطن ومجتمع<sup>(6)</sup> ومسها بجميع مقومات البلاد من خلال ترسانة القوانين الزجرية المقيدة للحريات والنشاط الإصلاحي خصوصا ووقوفها عائقا أمام المشروع النهضوي للجمعية هو ما دفعها بحيرة إلى تحمل مسؤوليتها التاريخية، للحفاظ على المقومات الهوياتية للأمة الجزائرية وإلا كان مآلها الزوال، كما زالت دول وحضارات قبلها وأصبحت طي النسيان، إذا أن ما ميز الجمعية هو تطويرها للنضال الوطني ضمن تيارات الحركة الوطنية من خلال زيادة حدة الصراع والمواجهة مع الإستعمار الفرنسي الذي كان مصمما من

(1) - كمال عجمي، المرجع السابق، ص 104.

(2) - عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية (1931-1945)، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة، الجزائر، ط 1، 1981م، ص ص 275-276.

(3) - كمال عجمي، مساهمة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الحفاظ على الهوية الوطنية، المرجع السابق، ص 104.

(4) - عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى (1931-1945) دراسة مقارنة تاريخية، رسالة ماجستير

في التاريخ المعاصر، معهد العلوم الاجتماعية، دائرة الدراسات التاريخية، جامعة قسنطينة، 1983م، ص 51.

(5) - عمر بن قينة، في الأدب الجزائري الحديث، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995م، ص 60.

(6) - كمال عجمي، مساهمة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الحفاظ على الهوية الوطنية، المرجع السابق، ص 104.



خلال أجنداث مشاريعه لمسخ الشخصية الجزائرية وطمس كل ما يوحي بمعاملها لأن هذه المقومات مجتمعة هي التي وقفت حجر عثرة أمام طول فترة الاحتلال (1).

يعتبر المؤتمر الإسلامي الذي انعقد سنة 1936م، الولوج الحقيقي والصريح لجمعية العلماء المسلمين عالم السياسة، وضم غالبية تيارات الحركة الوطنية والسياسيين مع تسجيل غياب حزب نجم شمال إفريقيا، ولقي هذا التطور في مسار الجمعية إنتقادا لادغا من خصومها الطرفين (2) وهو ما أشار إليه محمود قاسم قائلا: "وقد عاب بعضهم على جمعية العلماء أنها وقعت هي الأخرى في شرك السياسة، وإن كنا نعتقد أنها دخلته منذ زمن غير قصير، وأيا كان الأمر فإن تدخلها في عام 1936م كان ضروريا، فقد أصبحت دعوتها مهددة بأكبر الأخطار" (3).

إلا أن هذه المسألة بررها أحمد مريوش قائلا: "والظاهر أن وجود العلماء في المؤتمر قد إستدعته الظروف الظرفية بل لعله كان لزاما عليهم أن يساهم بالقدر الكافي في تحقيق التوازن داخل المؤتمر، لأنهم يمثلون السواد الأعظم من الأمة، ولذلك لابد عليهم أن يتقدموا كذلك بمطالبهم التي تركزت أساسا على الحفاظ على الذاتية والهوية الجزائرية" (4).

ويبين من خلال دراسة الأفكار التي وردت في أدبيات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أنها أعطت إهتماما كبيرا بالإصلاح الذي سيقود إلى إحياء كيان جزائري في إطاره العربي الإسلامي، "فالعلماء قد وقفوا في صالح كيان جزائري ينفصل في النهاية عن فرنسا، ودعوا إلى القومية العربية الإسلامية، وعارضوا بشدة تجنيس ودمج الجزائر في فرنسا وكان شعارهم الجزائر بلادنا والإسلام ديننا والعربية لغتنا" (5).

فرجال الجمعية كانوا مدركين للخطر الذي يهدد الأمة الجزائرية لو إستمر الأمر على ما عليه، فسارعت لانتشال أبناء الوطن من الوضع المزري الذي حشرته فيه السياسة الإستعمارية، بعد طرحها لعدة مشاريع إدماجية مست القضاء على ثوابت الشخصية الجزائرية، وفي ظل وضع كهذا قمعت فيه جميع الحريات وسلبت فيه جميع الحقوق وفشلت فيه جميع المساعي المطالبة بتغيير أوضاع الجزائريين الذين أصبحوا أهالي بدرجة لاجئين في وطنهم الأم، لذلك كانت الجمعية من خلال مشاركتها في المؤتمر الإسلامي سنة 1936م، الحصول على المطالب الآنية الأولية التي تكفل تحسين أوضاع الجزائريين لكن مع اشتراط المحافظة على الأحوال الشخصية وهو ما أشار إليه الشيخ خير الدين في توضيحه لدوافع مشاركة الجمعية في المؤتمر الإسلامي قائلا: "وفي سنة 1936م هدد الجزائر خطر شديد في قوميتها ببرنامج "فيوليت" القاضي

(1) - محمد زمران، الأسس النظرية لمنهج التغيير عند محمد البشير الإبراهيمي، المرجع السابق، ص 03.

(2) - كمال عجال، مساهمة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الحفاظ على الهوية الوطنية، المرجع السابق، ص 105.

(3) - محمود قاسم، الإمام عبد الحميد ابن باديس الزعيم الروحي لحرب التحرير الجزائرية، دار المعارف، مصر، 1986م، ص 29، وأيضا محمد العيد تاورية، نشر الشيخ البشير الإبراهيمي في الفترة من 1929م إلى 1939م جمع وتوثيق ودراسة، رسالة ماجستير في الأدب العربي الحديث، معهد الآداب والثقافة العربية، جامعة قسنطينة، 1974م، ص 566.

(4) - أحمد مريوش، الشيخ الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، معهد التاريخ، بوزريعة، جامعة الجزائر، 1991-1992، ص 180-181.

(5) - مجلة كيف تحررت الجزائر، وزارة الإعلام والثقافة، الذكرى الخامسة والعشرين لثورة نوفمبر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979م، ص 54.



بالإدماج التدريجي للشعب الجزائري المغربي لبعض النخبة المثقفة بالفرنسية، فاضطر العلماء للمشاركة في المؤتمر الإسلامي الجزائري يفرض مبادئهم على المؤتمرين وهي المحافظة التامة على الشخصية الجزائرية ورفض كل مساس بها" (1).

بفضل الجهود المتواصلة لعلماء الجمعية استطاعت أن توصل أفكارها الإصلاحية والوطنية إلى عدد كبير من نفوس الجزائريين، نظرا لتوافقها مع العقيدة الدينية التي فطر عليها الفرد الجزائري وتركيبته المتميزة، وهذا ينمو عن مدى خصوصية المشروع النهضوي للجمعية الذي أخذ بعين الاعتبار الوضع الخاص جدا الذي تتميز به الجزائر في ظل الاحتلال الفرنسي من جهة وطبيعة الشخصية الجزائرية التي لا تتماشى مع أي حركة للنضال أو تتجاوب مع نشاط يدعو للإصلاح فقد تمكنت الجمعية في ظرف قياسي أن تجمع حلها عدد كبير من الأتباع والمناضلين، مقارنة بحركات وطنية مماثلة لها سواء كانت جمعيات أو أحزاب سياسية، وهو ما اعترف به شارل رويير أجرون قائلا: "وما من شك فإن العلماء في مناخ المعارضة القوي من أعوام 1933م حتى حزيران 1936م قد وطدوا نفوذهم ووجهوا الرأي العام الإسلامي لصالحهم" (2).

وهناك من يذهب إلى أن علماء الجمعية كانوا واثقين أن فرنسا ليست صادقة في تبنيها إتجاه الشعب الجزائري وليست لديها الرغبة في تحقيق المشاريع الإصلاحية التي تدعيها، ومن هذا المنطلق حاول العلماء بحارة الأحداث بذكاء ولا يصطفوا على الهامش، كما لم يعادوا التيارات السياسية ويسدوا أي مجال لانتقاداتهم (3) وهو ما أشار إليه شارل أندري جولييان في قوله: "ولم يتخذ العلماء موقفا معاديا واضحا مراعاة للظروف منتظرين أيام خيبة الأمل ليكشفوا عن مشاعرهم الحقيقية" (4)، وهذا راجع لإدراكهم لما كان يخطط له الإستعمار الفرنسي في الخفاء من مشاريع لهدم ما تبقى من مقومات الوطن الجزائري (5) التي شكلت هويته المتميزة عن فرنسا، وأباحت عن مدى الاختلاف بين المكونات الشخصية للأمتين الفرنسية والجزائرية من دين ولغة وتاريخ وعادات وتقاليده وثقافة (6).

وهذه العناصر هي التي أبقت الأمة الجزائرية واقفة وحاضرة في مشهد الأحداث رغم ما مرَّ عليها من مخططات لهدمها منذ بداية الاحتلال الذي لم يتوقف عند حد التدمير الاقتصادي الذي خلفته الآلة العسكرية والخراب السياسي الذي خلفته الإدارة الإستعمارية وإنما تعدت إلى تفكيك البنية الاجتماعية للأمة الجزائرية، وتفتيت الوحدة التي جمعت بين أفراد الشعب بضرب عناصر هذه الوحدة التي عززت التلاحم والترابط بينهم. بداية من الدين الإسلامي الذي شكل حلقة قوّت التماسك وغذت روح الإتحاد بين مختلف عناصر الشعب الجزائري، وكانت الدافع لمقاومة التحديات التاريخية

(1) -محمد الطاهر فضلاء، أعلام الجزائر" الإمام الراحل الشيخ الإبراهيمي في ذكره الأولى"، نشر وطبع وتوزيع مكتبة ومطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1967م، ص 27.

(2) -شارل رويير أجرون، تاريخ الجزائر المعاصرة، عيسى عصفور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 1982م، ص 142.

(3) -كمال عجالي، مساهمة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الحفاظ على الهوية الوطنية، المرجع السابق، ص 105.

(4) -شارل أندري جولييان، إفريقيا الشمالية تسير، المصدر السابق، ص 148.

(5) -جلال العالم، قادة الغرب يقولون (دمرو الإسلام أيديوا أهله)، دار ابن تيمية، البليدة، دون تاريخ، ص 30-50.

(6) -عبد العزيز شرف، المقاومة في الأدب الجزائري المعاصر، دار الجيل، بيروت، ط1، 1991م، ص 21.

التي واجهها والأخطار الكبرى التي تعرض لها، لهذا فإن المخططات الإستعمارية هدفت إلى تفكيك وحدة الشعب الجزائري، وزرع بذور التفرقة بين العرب والبربر من أجل إضعاف روح المقاومة ووأد كل محاولة للثورة ضد الاحتلال ورفض لوجوده على أرض الجزائر<sup>(1)</sup>.

ونظرا للجهود الكبيرة التي قام بها علماء الجمعية من أجل المحافظة على الشخصية الجزائرية العربية الإسلامية، ودعوتهم إلى التمسك بثوابت الهوية الوطنية، فقد إنتشرت أفكارها الإصلاحية المهادفة لإحياء الأمة الجزائرية ويرجع لها الفضل الكبير في مواجهة أساليب الإستعمار وفضح ما كان يدعيه من دعوات لنشر التحضر والمدنية التي تغنى بها كذريعة من ذرائع إحتلال البلاد<sup>(2)</sup>.

### **المطلب الثاني: القانون الأساسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين.**

بالاستناد على قانون الجمعيات الذي صدر سنة 1901م، الذي فتح الباب أمام الجزائريين لتأسيس الجمعيات. تم تشكيل المجلس الإداري لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين خلال عامه الأول، والذي تكون من كبار علماء الجزائر في تلك الفترة، المتوزعين عبر مختلف القطر الوطني، على اختلاف مذاهبهم مالكية وإباضية<sup>(3)</sup>، وصادقت الهيئة العامة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين في 5 ماي 1931م على قانونها الأساسي الذي قسم إلى خمسة أبواب، نصة الفصول الثلاثة الأولى من الباب الأول على تأسيس الجمعية وإلتزاماتها، فيما تضمنت الفصول الثلاثة الموالية للباب الثاني تحديد أهداف الجمعية، واهتمت السبعة فصول من القسم الثالث بمميزات العلماء الأعضاء فيها والشروط التي يجب أن تتوفر فيهم، فاختصت الفصول الستة من الباب الرابع بمصادر وموارد الجمعية وتنظيمها المالي، وتضمنت الفصول الأخيرة من الباب الخامس تنظيم المجلس الإداري والمجلس العام للجمعية<sup>(4)</sup>.

ومع عقد الهيئة الإدارية أول إجتماع لها في 06 ماي 1931م بنادي الترقى تحت رئاسة الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، تم إعادة النظر في القانون الأساسي للجمعية وإقرار بنوده، مع ترجمته إلى اللغة الفرنسية بهدف تقديمه إلى السلطات الفرنسية بغية الحصول على الإعتماد لممارسة نشاطها، وفي اليوم الموالي أقيم حفل على شرف الحضور والعلماء المدعوين، شكر خلاله ابن باديس جميع المساهمين في تأسيس الجمعية<sup>(5)</sup>.

وبالتالي وبعد الإطلاع على ما جاء في بنود القانون نجد أنه أشار إشارة صريحة في نص مضمونه على أنه تم تأسيس جمعية إرشادية تهذيبية تحت إسم " جمعية العلماء المسلمين الجزائريين " في عاصمة الجزائر، وأنه لا يحق لهذه الجمعية التدخل في المسائل السياسية، وأوضح أن هدفها الأساسي هو محاربة الآفات الاجتماعية والبطالة والجهل، وكل

(1) - محمد زرمان، الأسس النظرية لمنهج التغيير عند محمد البشير الإبراهيمي، المرجع السابق، ص 21.

(2) - محمد علي ديزو، نخضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج 01، ط 01، المطبعة التعاونية، دمشق، 1965م، ص ص 21-22.

(3) - محمد ساعو، المرجع السابق، ص 21.

(4) - يوسف مناصرية، الإتجاه الثوري في الحركة الوطنية بين الحريين 1919-1939م، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988، ص 28.

(5) - آثار محمد البشير الإبراهيمي، المصدر السابق، ج 01، ص 72.

ما تم تحريمه من قبل الشرع صراحة وأنكره العقل، وما منعت القوانين المعمول بها، كما أكد القانون على أحقية الجمعية في تأسيس شعب في القطر الجزائري وفتح مكاتب حرة ونوادي للتعليم الابتدائي<sup>(1)</sup>.

وأكد أبو القاسم سعد الله أن المادة الأولى من دستور العلماء نصت على عدم تدخل الجمعية في الشؤون السياسية بأية حال من الأحوال، فهي منظمة إرشادية وأخلاقية، فيما حددت المادة الثانية أهداف هذه المنظمة بمحاربتها للأمراض الاجتماعية من خمر وقمار وبطالة وجهل وكل ما يمنعه الشرع الإسلامي، ويحرمه العقل الإنساني وتشجعه الممارسة العامة، وأضاف الدستور أن جمعية العلماء ستحقق برنامجها بكل الوسائل المناسبة والمفيدة، وغير المحرمة قانونيا<sup>(2)</sup>، ووفقا لما جاء في هذا القانون تعتبر جمعية العلماء منظمة ثقافية دينية تهتم بإرشاد المجتمع وتقويم أخلاقه، وليست حزبا سياسيا كغيرها من أحزاب الحركة الوطنية، بحكم عدم تدخلها في الشؤون السياسية للبلاد، مهما تغيرت الظروف إلا أننا نجد مع تطور الأوضاع تبعا للسياسة الفرنسية المتبعة في الجزائر، فإن الجمعية ستتجاوز هذا البند من قانونها وتلج عالم السياسة مع حلول سنة 1936م.

### المطلب الثالث: أهداف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

بعد تأسيس الجمعية أعلن عبد الحميد بن باديس أهدافها الأولية، التي تمثلت في محاربة البدع والمنكرات التي كانت استفحلت بين مريدي الطرق الصوفية<sup>(3)</sup>، إضافة إلى العمل على نشر التعليم العربي الصحيح المتشبع بالروح الإصلاحية من أجل تكوين دعاة متمرسين واعين يتحملون مسؤولية نشر رسالة الإصلاح بين الجزائريين، ومن خلال مضمون القانون الأساسي للجمعية يتبين هدفها الصريح في محاربة الآفات الاجتماعية والآفات الدينية، وهو تلميح إلى الطرفين الذين شاركوا في تأسيس الجمعية، أما الهدف التعليمي فيظهر في الفصل السادس من قانونها من خلال إعلانها عن تأسيس نوادي ومكاتب للتعليم الابتدائي<sup>(4)</sup>، ففي الخطاب المرتجل الذي ألقاه ابن باديس بمناسبة تأسيس جمعية العلماء بنادي الترقى ذكر بأهداف الجمعية قائلا: "أما غاية الجمعية فهي إصلاح الفاسد وتقويم المعوج، وإرشاد الضال، بالهداية والحكمة، في دائرة المحبة والوئام، وإصلاح شؤون أهل العلم، ولم شعثهم، وتنظيم هدايتهم، فهي تسعى إلى إزالة كل شر يحرمه الشرع والقانون، مما هو منتشر، وبضسق المقام على تعداده، ونشر كل نفع وخير"<sup>(5)</sup>.

ما يعني أنه مع بداية العام الأول لتأسيس الجمعية كانت هذه هي أهم أهدافها المعلنة، إلا أن الغايات الحقيقية والبعيدة للجمعية بدأت تتوضح تدريجياً منذ عامها الثاني سنة 1932م، بعد تصفية أنصار الإدارة الاستعمارية من العضوية في الجمعية وخلال المؤتمر الثاني لها دعى ابن باديس في إطار الأهداف الدينية لبرنامج الجمعية إلى ضرورة العودة إلى السلف الصالح والافتداء بالسنة النبوية.

(1)- أحمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المرجع السابق، ص 111.

(2)- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الحركة الوطنية، ج 02، ط 04، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1992، ص 396.

(3)- انتقد ابن باديس ومن معه المتزمتين من رجال الطرق وشيوخ الزوايا، وحملهم ما آل إليه المجتمع الجزائري عقائديا نتيجة ما نشره وسطه من خرافات وشعوذات وبدع وأوهام جعلت منه مجتمعا خاملا متواكلا بل مستكينا وقانطا، يُنظر: عبد الحميد زوزو، الثقافة والتعليم الحر والرسمي في

العهد الفرنسي، المرجع السابق، ص 71-72.

(4)- أحمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المرجع السابق، ص 113-114.

(5)- عبد الله حمادي، المرجع السابق، ص 171-172.

وفي سنة 1934م حددت "الشهاب" مجلة العلماء غير الرسمية هدف الجمعية المتمثل في إصلاح الشعب الجزائري العربي دينيا ووطنيا وأديبا وعلميا، وحسب رأي كاتب فرنسي فالعلماء لهم هدفان أساسيان، الأول فوري يتمثل في تجميع كل القوى المثقفة بما فيهم المحافظون مثل ابن عليوة تحت راية الإصلاح الاجتماعي، أما الهدف البعدي فيتمثل في فصل الجزائر عن فرنسا تحت علم الوطنية، والمقصود بعلم الوطنية المبدأ الرئيسي الذي علمه العلماء لطلابهم وأتباعهم وهو: "الجزائر وطني، والإسلام ديني والعربية لغتي"، وهي الراهية التي بدأ ابن باديس ومؤيدوه يدعون إلى أفكار وطنية ومذهبية كانت تجذب انتباه عدد كبير من الأهالي الجزائريين، خصوصا الجيل الجديد والطبقة الوسطى ذات الوعي السياسي<sup>(1)</sup>.

ومع سنة 1935م وبعد مرور خمس سنوات على تأسيسها حدد البشير الابراهيمي غاية الجمعية في المجالات التالية:

- محاربة الطرق المبادرة في الإسلام، كونها مكن فساد المجتمع الجزائري ولا يمكن للإصلاح أن يتحقق في الأمة إلا إذا تم القضاء عليها<sup>(2)</sup>.
  - توسيع دائرة التعليم العربي الحر بإستحداث كتاتيب لتعليم الأطفال الصغار والقضاء على الأساليب القديمة الغير مجدية، وتنظيم دروس للوعظ والإرشاد الديني في المساجد وتنظيم المحاضرات لتهديب العامة ونشر الوعي في النوادي.
  - محاربة البدع والمنكرات العامة المرتبطة بالمساجد والجنائز والمقابر والحج والإستسقاء والنذور التي شوهت الإسلام.
  - محاربة الإلحاد الذي الذي تغلغل في الجزائر، بسبب الثقافة الأوروبية والتعليم اللاديني والتقليد الأعمى<sup>(3)</sup>، وكانت خطة جمعية العلماء قائمة على مخالطة هذه الفئة، ومحاولة جذبهم للإسلام وإعادة تم إلى أصول دينهم.
  - بالإضافة إلى مقاومة التبشير ومحاربة إنتشاره في البلاد قدر المستطاع، وترى وجهة نظر فرنسية أن: لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين غايتين، الأولى آنية وتخص تجميع رجال العلم سواء كانوا محافظين من الطرفين أو الدينين في الإدارة الفرنسية، تحت راية الإصلاح الاجتماعي، أما الغاية الثانية فهي طويلة المدى، تتمثل في فصل الجزائر عن فرنسا تحت راية الوطنية الجزائرية<sup>(4)</sup>.
- فيما أشار مؤرخون جزائريون أن أهداف الجمعية قسمت إلى هدفين رئيسين وهما هدف آني، وهدف بعيد المدى، فأما الهدف الآني فتمثل في إزالة الشوائب التي لحقت بالإسلام وشوّهته، والحفاظ على ثوابت الأمة الجزائرية وإحيائها بداية من اللغة العربية إلى التاريخ القومي والإسلامي ونشر التعليم العربي وعصرنته بما يتماشى مع التطور الحاصل،

(1)-أبو القاسم سعد الله، تاريخ الحركة الوطنية، ج 02، المرجع السابق، ص 397-398.

(2)-أحمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المرجع السابق، ص 114-115.

(3)-جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، المصدر السابق، ص 54-66.

(4)-أحمد الخطيب، المرجع السابق، ص 116-119.

والوقوف ضد مختلف الآفات الاجتماعية، للمحافظة على الشخصية الوطنية الجزائرية من محاولات المسخ الإستعماري التي طالتها<sup>(1)</sup>، وأما الهدف بعيد المدى فتمثل في استرجاع الاستقلال الوطني على القطر الجزائري وتكوين دولة جزائرية<sup>(2)</sup>.

## **1. في المجال الديني:**

يمس الجانب الديني لأهداف جمعية العلماء بتصحيح العقيدة الإسلامية للفرد الجزائري، وهو ما جعلها تدخل في صراع مع شيوخ الطرق الصوفية وأتباعهم، ولكونه من الصعب فهم الخلاف بين الإصلاحيين والطرقين التقليديين، نظرا لتشعب هذا الموضوع وعلاقته بالدعم الذي قدمته الإدارة للطرف الأخير<sup>(3)</sup>، ولكي لا نعيد عن موضوعنا الأساسي الذي يخص الهوية عند الجمعية رأينا أنه من الضروري إعطاء الأولوية هنا للمصادر والوثائق التي تعبر عن وجهة نظرها، بعيدا عن الكتابات التي اهتمت بشكل أساسي بالصراع الذي كان بين الطرفين، وتحقيقا لهذه الغاية، وجب العودة إلى الأسس الأساسية لعقيدة جمعية العلماء، والأصول التي بنت عليها أفكارها لإصلاح الدين الإسلامي في الجزائر.

لاحظ علي مراد أن عقيدة الجمعية لم تكن محددة بشكل كامل أو واضح في بداية عام 1931م، فقد توضح الأمر بطريقة تقديمية مع تأسيس العلماء، حتى مؤتمرها الخامس في سبتمبر 1935، واقتصر هذا المذهب على الأفكار العامة، وفي هذا المؤتمر فقط، قدم العلماء عرضاً شاملاً لعقيدتهم، وفي عام 1937م تم وضع هذا المذهب في كتيب بعنوان: "الأسس الأساسية لمذهب جمعية علماء الجزائر"، وترتكز العقيدة الدينية للعلماء بشكل أساسي على المصدرين الرئيسيين للدين الإسلامي، أي القرآن والسنة بالنسبة للإصلاحيين، وهذان المصدران لا جدال فيهما، لأن القرآن، كما يحددونه في قواعدهم الأساسية، هو كتاب الإسلام المقدس؛ والسنة هي مجموعة الأقوال والأفعال المنسوبة إلى النبي بشكل صحيح، وهو التفسير الدقيق للقرآن، ولذلك نفهم أن أي مذهب جديد ينسب إلى الإسلام، ولا يستند إلى هذين المصدرين، يجب رفضه، ولتحقيق هذه الغاية، يبدو أن الإصلاحيين الجزائريين يريدون البقاء مخلصين لكتابات المؤلفين الكلاسيكيين المشهورين<sup>(4)</sup>.

وقد أخذت العقيدة الإسلامية في الحركة الإصلاحية الجزائرية حجم النظرية الاجتماعية، التي شملت الفرد في صلته بالمجتمع الجزائري وفي صلته بالوجود السياسي الفرنسي، كون السياق التاريخي للمرحلة التي ظهر فيها المصلحون الجزائريون هي مرحلة استعمارية تغلبت فيها سياسة الإحتلال الفرنسي على الأهالي الجزائريين، وبسبب ذلك أخذت العقيدة الإصلاحية في تجربة المصلحين الجزائريين حجم النظرية الاجتماعية الشاملة، التي لم تقتصر على ما هو ديني فقط، بل إمتدت إلى كافة مقومات الحياة الجزائرية وما انطوت عليه من أبعاد متعلقة بالهوية<sup>(5)</sup>.

(1)-محمد ساعو، المرجع السابق، ص 24.

(2)-مومن العمري، الحركة الوطنية الثورية في الجزائر من نجم شمال إفريقيا إلى جبهة التحرير الوطني (1926-1954)، دار الطليعة للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، 2003، ص ص 28-30.

(3)-Ahmed Sarri, op cit , p55.

(4)- ibid, p56.

(5)- نور الدين ثنيو، الحركة الإصلاحية الجزائرية "بحوث ووثائق"، شركة الأصاله للنشر والتوزيع، الجزائر، 2018، ص 16.

وأشار فرحات عباس إلى أن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين كانت تقوم بمهام متعددة وشاملة في نفس الوقت، معبراً عن ذلك بقوله: "حملت هذه الجمعية المباركة على عاتقها عبئ نهضة الإسلام ومحاربة أصحاب الزوايا والطرق المتواطئين مع الاستعمار، وتكوين إطارات اجتماعية مثقفين ثقافة عربية..."، ورغم أن الإصلاح الديني كان من أهم أولويات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، إلا أنها لم تهمل الإصلاح الاجتماعي الذي نص عليه برنامجها، إضافة إلى نشاطها السياسي الغير مصرح به، بهدف تقريب وجهات النظر بين التيارات السياسية الوطنية، والسعي للم شملها وتوحيد صفها ضد الاستعمار الفرنسي<sup>(1)</sup>، وهو ما أكدته أحمد صاري الذي وجد علماء الجمعية من حيث العقيدة الدينية كانوا مهتمين بمكافحة الممارسات المرابطية أكثر من اهتمامهم بالبحث اللاهوتي<sup>(2)</sup>.

## 2. في المجال الثقافي:

أكد الشيخ محمد البشير الإبراهيمي أن تركيز جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في أهدافها على الإصلاح الديني أولاً ثم الإصلاح العلمي فرضته ظروف الجزائر آنذاك<sup>(3)</sup>، لذا جاءت مساهمتها كبيرة في تخليص الدين الإسلامي مما لحق به من باطل، وإحياء اللغة العربية، وإعادة بعث مقومات الشخصية الجزائرية التي طمسها الاستعمار الفرنسي، عن طريق التعليم الذي اعتبره الإبراهيمي من أفضل وسائل التحرر<sup>(4)</sup>.

وفي هذا الجانب يذكر الشيخ محمد خير الدين أنه في عام 1933م إلتف مجموعة من الشباب الجزائري المتحمس حول ابن باديس بنادي الترقى وطلبوا منه أن يرفع صوته عاليا مطالبا باستقلال الجزائر وحريتها، فرد عليهم قائلاً: "وهل رأيتم أيها الأبناء إنسانا يقيم سقفا دون أن يشيد الجدران؟" فقالوا -كلا- ولا يمكن هذا، فرد عليهم قائلاً: "إن من أراد أن يبنى داره فعليه أن يبنى الأساس ويقم الجدران أولاً ثم يشيد السقف على تلك الجدران، ومن أراد أن يبنى شعبا ويقم أمة فإنه يبدأ من الأساس لا من السقف. وهو التفكير السليم الذي يجب أن يفكر به العاملون في سبيل النهوض بالوطن فهل يكفي أن ينادي بالإسلام فيصبح الناس مسلمين، أو ينادى بالاستقلال فيصير الشعب حراً مستقلاً"<sup>(5)</sup>، فالتعليم حسب ابن باديس هو الهدف الآني الذي ستحقق نتائجه المستقبلية الغاية الوطنية الأسمى.

وتأكيد لهذه الفكرة أكد الإبراهيمي أن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين هي جمعية علمية دينية تهذيبية، وبناءً على هذه الأوصاف، فغايتها الأولى هي التعليم والدعوة إلى العلم والترغيب فيه وتمكينه في النفوس، لتكملها غاية ثانية قائمة على تعليم الدين واللغة العربية لتلازمهما في الدعوة، لأن الدعوة إلى الدين الإسلامي قائمة على الرجوع به إلى

(1)- محمد ساعو، المرجع السابق، ص ص-23-24.

(2)- Ahmed Sarri, op cit , p 67.

(3)- آثار محمد البشير الإبراهيمي، ج 01، جمع وتقديم: أحمد طالب الإبراهيمي، ط 05، دار الوعي، الجزائر، 2016، ص 69.

(4)- أبو عمران الشيخ، قضايا في الثقافة والتاريخ، منشورات تالة، الجزائر، 2007، ص 257.

(5)- محمد خير الدين، مذكرات، ج 01، المصدر السابق، ص 289.



نقاوته الأولى عقيدة وعبادة، وهو المعنى الحقيقي للإصلاح الذي تأسست لأجله الجمعية، أما الغاية الثانية فهي الدعوة إلى مكارم الأخلاق لأنها من كمال الدين والعقل ومحاربة الرذائل الاجتماعية<sup>(1)</sup>.

وبالتالي فالمهمة الأساسية والمباشرة للعلماء هي حماية الجزائريين من خلال توعيتهم بجمال لغتهم وثراء تراثهم الثقافي، وقد وضع العلماء هدفهم الأساسي في نشر اللغة العربية على نطاق أوسع، ولتحقيقه كان من الضروري أولاً مكافحة الجهل الذي كانت الغالبية العظمى من السكان المسلمين ضحية له، واعتبر علماء الإصلاح النظام المرابطي إلى حد ما، مسؤولاً عن الانحطاط الثقافي والديني للجزائر المسلمة، ولذلك فإن الانتصار عليه يعني الانتصار على الجهل، والعكس صحيح، كما كتب البشير الإبراهيمي، أن الإصلاح لن يعرف النجاح في أي مجال من مجالات الحياة دون القضاء على بدع الطريقين الذين لهم سلطة كبيرة على النفوس والأجساد، وإفسادهم العقول وخنقهم للأرواح والمواهب، لذا فإن انتصار الإصلاح لن يتحقق إلا بعد التجديد المزدوج للثقافة والدين<sup>(2)</sup> الذي يتم عن طريق التربية والتعليم وتهيئة الأمة لتصبح جديدة بالحرية وقادرة على أخذها من المستعمر ليس بالمطالب أو الشعارات، بل بانتزاعها بالقوة وضريبة الدم، لهذا وجب توحيد صفوف الأمة وجمع كلمة المجاهدين ليكونوا قادرين على الجهاد ثم التوجه بعد ذلك إلى تحقيق الإستقلال<sup>(3)</sup>.

ويرى نصر الدين سعيدوني أن ما قامت به جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من جهود لإحياء مقومات الشخصية الوطنية الجزائرية وتميزها الحضاري، كان له أثر كبير على مستقبل الجزائر، من خلال محافظة الأمة الجزائرية على أسس تكوينها<sup>(4)</sup> التي حاول الإستعمار الفرنسي القضاء عليها منذ بداية الإحتلال. لهذا ركز العلماء الجزائريون في المرحلة الأولى من عملهم على ثلاثة محاور أساسية كأهداف تتلخص في تطهير الدين الإسلامي من البدع والخرافات والعمل على إحيائه حسب فلسفة التجديد الإسلامي لابن باديس التي ظهرت في النصف الثاني من القرن 19م، مع إحياء التعليم العربي الإسلامي لكلا الجنسين، والحفاظ على الشخصية الجزائرية بمقوماتها الرئيسية العروبة والإسلام.

### 3. في المجال السياسي:

أشار أحمد الخطيب إلى التساؤل الذي بقي مطروحاً حول الغاية السياسية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، والتي لم تتطرق إليه ضمن قانونها الأساسي الذي يمثل الإطار الرسمي الذي يحدد برنامجها وأهدافها، وقد نفت علاقتها بأي نشاط متعلق بالجانب السياسي<sup>(5)</sup> وحصرته بمجمل تصريحاتها في الغايتين التربوية والتهذيبية فقط<sup>(6)</sup>.

(1)- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، المصدر السابق، ص 69.

(2)- Ahmed Sarri, op cit , p62-67.

(3)- محمد خير الدين، مذكرات، ج 01، المصدر السابق، ص 289.

(4)- ناصر الدين سعيدوني، نظرة في البعد التاريخي للثورة "معالم بارزة في ثورة نوفمبر 1954م"، جمعية أول نوفمبر، مطبعة عمار قربي، باتنة، الجزائر، 1992، ص 164.

(5)- أحمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحية في الجزائر، المرجع السابق، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص ص 116.

(6)- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، المصدر السابق، ص ص 69-70.



إن غياب أسانيد رسمية توثق وجود أهداف سياسية للجمعية لا يعني أنها لم تنشط في هذا المجال، لأن المتتبع لكتابات أعلامها يلاحظ الغايات السياسية بعيدة الأمد والغير مصرح عنها علانية رغم أن أعضاء الجمعية كانوا حذرين في التلميح لهذا الأمر في كتاباتهم، سواء ما كان يكتبه الشيخ ابن باديس في جريدة المنتقد سنة 1925<sup>(1)</sup>، والتي حملت شعار "الحق فوق كل أحد والوطن قبل كل شيء"، وهو تعبير عن ارتباط حركته الإصلاحية بالوطن الجزائري وتمسكها بمقوماته الدينية والثقافية<sup>(2)</sup> وسار على نفس النهج العام بعد تأسيس الجمعية وترأسه لها، وتركيزه على لم شمل الأمة الجزائرية، وإحياء الروح القومية الجزائرية في نفوس أبنائها، فبعد ستة سنوات من ظهور الجمعية، انتقل ابن باديس من التلميح العام إلى التصريحات المقصودة والصريحة<sup>(3)</sup> من خلال الأبيات الشعرية التي لخص فيها الأهداف الأساسية للجمعية قائلا:

شعب الجزائر مسلم \*\*\* وإلى العروبة ينتسب  
من قال حاد عن أصله \*\*\* أو قال مات فقد كذب  
أو رام إدماجاً له \*\*\* رام المحال من الطلب<sup>(4)</sup>

والقارئ لهذه الأبيات يتضح له جلليا الإطار القومي العام الذي ركز فيه ابن باديس على الانتماء الإسلامي للشعب الجزائري وامتداده القومي إلى الوطن العربي الذي يمثل أصله الذي لا يمكن أن يتخلى عنه مفندا كل الادعاءات التي تلمح بإدماج الشخصية الجزائرية في كيان آخر غير كيانه العربي الإسلامي<sup>(5)</sup>، وتعتبر هذه الغاية التي طالبت بها الجمعية فيما بعد ضمن سلسلة مطالبها الوطنية الأخرى هي بمثابة نفس الأهداف السياسية التي نسبها المفكر الفرنسي أوغستان بيرك - A. Berque إلى جمعية العلماء، ولخصها فيما يلي:

1. تخليص الجماهير الجزائرية من محاولات دمجها في المجتمع الغربي.

2. المشاركة في الدعوة إلى إقامة الوطن العربي.

3. تكوين الشعب الجزائري الذي عانى من الرزوخ تحت الأوامر القاسية والفضوى<sup>(6)</sup>.

4. العمل على جعل الجزائر دولة مستقلة مرتبطة باتحاد فيدرالي مع الأقطار العربية<sup>(7)</sup>.

(1)-العودة إلى مقال: مبادؤنا وغايتنا وشعارنا، المنتقد، عدد 02، 01 جويلية 1925م.

(2)- عبد الحميد زوزو، الثقافة والتعليم الحر والرسمي في العهد الفرنسي، المرجع السابق، ص 74.

(3)-أحمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المرجع السابق، ص ص 116-117.

(4)-الشهاب، ج 03، مج 13، 09 ربيع الثاني 1356هـ/ 11 جوان 1937م.

(5)-أحمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المرجع السابق، ص 118.

(6)-نفسه والصفحة.

(7)-Revue de la méditerranée, N°04, Tome II juillet-Aout 1951), p 419.

والخلاصة أن غاية الجمعية إصلاحية بالدرجة الأولى، ووطنية في نفس الوقت، مبنية على تطهير الدين الإسلامي والعودة إلى أصوله الأولى لاستمداد الأحكام منها، أما الغاية الثانية فهي تربية بحتة تتمثل في تنشئة جيل جديد مسلح بثقافة وطنية وفكر عربي وروح نضالية، تمكنه في المستقبل من تحقيق الهدف الأسمى وهو الاستقلال، لذا فجمعية العلماء ناضلت بكل الوسائل الفكرية والعملية كتاباً وخطابةً وتنظيماً لتحقيق الغايات التي سطرها<sup>(1)</sup>.

يفسر الوضع الديني والثقافي في الجزائر إلى حد كبير التوجه العقائدي للعلماء بسبب الحضور القوي وتأثير المرباطية، فالبرنامج الديني الإصلاحي كان موجهاً بشكل أساسي ضد الممارسات التي أدخلها المرباطون في الإسلام، وفي الواقع كان هدف الإصلاحيين العودة إلى الدين الخالص، أي تعليم القرآن والسنة، وأيضاً من خلال نشر الوعي بوجود دولة أجنبية غير مسلمة في الجزائر<sup>(2)</sup>، وجب على الجزائريين تحريرها من هذا الاحتلال وإعادتها إلى أصولها الإسلامية العربية.

### المبحث الثالث: طرق ووسائل الإصلاح والدعوة عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:

من أجل تحقيق جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أهدافها اعتمدت على عدة وسائل للتبليغ والتواصل والإعلام كالمدارس التي اعتبرها إبراهيمي عصب التغيير والتحرر لدى الأمم<sup>(3)</sup>، بالإضافة إلى المعاهد والمساجد والنوادي والصحافة، ناهيك عن توظيفها للمؤتمرات والتجمعات والاحتجاجات والمتظاهرات المختلفة، وإرسال البرقيات والرسائل والوفود والبعثات<sup>(4)</sup> للتعبير عن رأيها ومواقفها في مختلف الأحداث الوطنية الحاصلة آنذاك.

وأوضع العربي التبسي من جهته قبل تأسيس جمعية العلماء المسلمين من خلال المقال الذي نشره في جريدة النجاح بتاريخ 18 ماي 1926م تحت عنوان "إعداد الوسائل للعناية بالمجتمع" أنه من أجل تحقيق أهداف الإصلاح الإسلامي وانتفاع الأمة الجزائرية به، بغية النهوض بالناشئة الوطنية التي تعتبر من واجبات الطبقة المثقفة تثقيفاً صحيحاً، كان لا بد من توفير وسائل الإصلاح لإفادة الشعب بمقومات النهوض بالناشئة، متبعاً قاعدة "ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب"<sup>(5)</sup>، وهو ما سار عليه علماء الجمعية بعد تأسيسها حيث أولوا أهمية كبيرة لوسائل الإصلاح لدورها الكبير في إيصال دعوة الجمعية للناس وتكريس مقومات الهوية الوطنية وسط أفراد الأمة الجزائرية.

إن المتتبع لمسار ابن باديس الإصلاحي يجد أنه نوع من الوسائل التي استعملها في الدعوة لإصلاح حال المجتمع الجزائري، فلم يترك وسيلة ناجحة توصل إلى نشر الوعي بين الناس إلا ووظفها، ومن بين هذه الوسائل نجد: <sup>(6)</sup>

(1) - أحمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المرجع السابق، ص 119.

(2) - Ahmed Sarri, op cit, p55.

(3) - محمد البشير الإبراهيمي، البصائر، العدد 172/173، السنة الرابعة، 14 محرم 1371هـ/ 15 أكتوبر 1951، ص3.

(4) - محمد بن ساعو، المرجع السابق، ص 25.

(5) - أحمد الرفاعي الشرفي، الأعمال الكاملة للشيخ العربي التبسي، دار اليمن للنشر والتوزيع والإعلام، الجزائر، ط2، 2005، ص 81.

(6) - حصر أحمد عيساوي وسائل الدعوة والإصلاح التي اتبعها ابن باديس ورجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في 19 وسيلة، لكننا نلاحظ حسب ما أورده في مقاله، أن هناك من الوسائل ما هو مادي ومنها ما هو معنوي، لإختلاف الوسيلة في نظرنا عن الطريقة، فالوسيلة أداة وواسطة لنشر الدعوة، أما الطريقة فهي النهج المتبع في عملية تنفيذ المشروع الإصلاحي، لذلك سنركز في هذا الجزء على الوسائل المادية بكر نماذج منها لكون الجمعية وظفت جميع الوسائل المتاحة والممكنة طيلة فترة نشاطها وتبعاً لتطور هذه الوسائل تاريخياً أيضاً، يُنظر: أحمد عيساوي، خطاب الهوية عند الحركة الوطنية الجزائرية "ابن باديس عن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أنموذجاً"، المرجع السابق، ص 229-230.

-التربية والتعليم وإنشاء المدارس.

-إنشاء المساجد الحرة، وتفعيل دور الخطب والدروس الدينية والوعظ فيها.

-إنشاء الصحف والمجلات لإستغلالها في الكتابات الإصلاحية.

-تأسيس الجمعيات الوطنية والمحلية.

-البعثات العلمية للمشرق خصوصا الزيتونة والقروين.

-تنظيم وعقد المؤتمرات والندوات والتجمعات للخاصة والعامة.

-مهادنة الإدارة الإستعمارية في بعض المواقف لغض طرفها عن النشاط الديني.

-إستغلال النفوذ القوي لعائلة ابن باديس في نشر الوعي.

-الإعتماد على نخبة من العلماء المخلصين الجادين والمتمكنين.

-الإستثمار في جميع المبادرات الخيرية.

-توطيد الصلة الروحية واللغوية بالمشرق العربي.

-إحياء القيم التاريخية وأجداد ماضي الأمة الجزائرية في نفوس شعبها الأمي.

-محاربة الطرقية المبتدعة وكل أنواع الخرافات.

-الدعوة إلى الإجتهد والإنتفاع مع التمسك بالقيم الأصيلة.

-نبذ جميع أشكال التقليد الأعماق والتبعية.

-إنشاء النوادي الثقافية والفكرية والأدبية والرياضية والفنية والمسرحية الهادفة.

-الدعوة وسط الأفراد والجماعات والجماهير باعتماد الأقوال والأفعال والنصيحة.

-نبذ الصراعات الهامشية وحب الإنتصار للذات.

-زرع روح الأمل في الشعب الجزائري، ودعوته للتخلص من اليأس والقنوت، التي كرسها المستعمر الفرنسي،

وتصحيح مختلف الأفكار والتصورات والمعتقدات والقيم والآراء التي تخص كبرى القضايا المتعلقة بالعقيدة الروحية كالقضاء والقدر والخير والإختيار.

ويمكن حسب ما جاء تقسيم أهم وسائل ابن باديس وجمعية العلماء، التي مكنتهم من تأسيس حركة إصلاحية عربية إسلامية سنية أصيلة في الجزائر كما يلي:

### المطلب الأول: الصحافة.

تحتاج الجمعيات الدينية كغيرها من المؤسسات داخل المجتمع إلى منبر لإيصال مبادئها التي تقوم عليها والأفكار التي تسعى لنشرها للعامة، ومع ظهور الصحافة أصبحت هذه الوسيلة أداة وصل تربط الجمعية مع القاعدة الشعبية سواء مناصرين أو معارضين، عبرت من خلالها عن أفكارها الإصلاحية التي أرادت تبليغها للعامة<sup>(1)</sup> لنشرها الوعي والدعوة للعودة إلى الدين الصحيح وتكريس المقومات الوطنية للأمة الجزائرية. فقسم الصحافة الإصلاحية أول ما يدخل في وسائل

(1)- محمد خير الدين، مذكرات، ج 1، المصدر السابق، ص 247.

الإصلاح كونها الأساس الذي أنشأت من أجله، وأهميتها لا تلغي أهمية باقي وسائل الإصلاح من الصحف الأخرى، فالصحافة الإستعمارية وصحافة الأهالي شارك فيها بعض علماء الجمعية هي الأخرى (1).

فابن باديس كان مدركاً أن نجاح حركته التربوية الإصلاحية مرتبط بإيصالها للشعب، والخروج بها من قسنطينة وتعميمها على مختلف القطر الجزائري، ولا سبيل إلى هذا المبتغى إلا عن طريق الصحافة (2)، فأسس قبل إنشاء جمعية العلماء صحف، بهدف متابعة نشاطه الفردي في بعث الأمة والنهوض بها (3)، بإيصال أفكاره الإصلاحية إلى أكبر عدد ممكن من الناس، بعد وعيه بعمق الدور الفعال الذي تمارسه هذه الوسيلة في توعية الشعب والتأثير في مسار الأحداث، فأصدر جرائد خاصة به وأخرى كان مساهماً فعالاً في ظهورها ونشاطها، فهو من الذين يشهد لهم بتطوير الصحافة الجزائرية القائمة على الإيمان بالمبدأ والوطنية والتقاليد الصحفية رغم عراقيل الإدارة الإستعمارية (4).

يعتبر عام 1919م بداية إحتكاك ابن باديس بالعمل الصحفي، بإسهاماته في تأسيس جريدة "النجاح" التي كانت في بداية أمرها إصلاحية (5)، فنشر مقالاته على صفحاتها، غير أنه انفصل عنها لانحراف نهجها السياسي بملاينتها للإستعمار، فبدأ التفكير بإيجاد صحافة مستقلة خاصة به، فأنشأ المطبعة الإسلامية الجزائرية مع رفقاءه بقسنطينة لضمان الإستقلال المالي والفني لصفحه، نظراً لتوظيف الإستعمار المطابع كوسائل ضغط على أصحاب الجرائد ومساومتهم على ما تنشره، وزاد إيمان بن باديس لدخول المعتزك الصحفي بعد عودة الإبراهيمي والعقبي سنة 1920م، وما تمتع به هذان الرجلان من إشعاع علمي وإيمان كبير وحماس للعمل الإصلاحي (6).

وسنركز في هذا الجزء على الصحف التي أنشأها ابن باديس ورفاقه من علماء الجمعية من حيث تسمياتها وتاريخ ظهورها وفترة إمتدادها والشعارات التي حملتها، ونرجئ نشاطها ومضمونها من أجل إحياء ثوابت الهوية الوطنية إلى الفصول القادمة من هذا البحث، وقد تمثلت هذه الصحف في:

#### **-المنتقد:**

كانت أول جريدة له تحت إسم "المنتقد" سنة 1925م، التي حملت شعار "الحق فوق كل أحد والوطن قبل كل شيء" (7)، وحسب عمار طالبي فهو شعار جريئ في تلك الفترة الصعبة خصوصاً كلمتي "حق" و"وطن"، هدفت الجريدة كما كتب ابن باديس إلى تسليط الضوء على أخطار المستعمر (8) ومحاربة بدع وضلالات رجال الطرق الصوفية، وما خلفته من آثار سلبية على المجتمع الجزائري بمساهمتها في تخدير العقول والانحراف عن الإسلام الصحيح، لكن

(1)- علي بن محمد بن زينب، جهود جمعية العلماء في الدعوة والإصلاح "من سنة 1830 إلى 1954م، سامي للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2023، ص ص 281-282.

(2)- أحمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المرجع السابق، ص 141.

(3)- محمد خير الدين، مذكرات، ج 1، المصدر السابق، ص 247.

(4)- عمار بن مزوز، المرجع السابق، ص 209-210.

(5)- عقيلة حسين، المرجع السابق، ص 191.

(6)- عمار بن مزوز، المرجع السابق، ص 211.

(7)- أحمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المرجع السابق، ص 141.

(8)- نقلا عن: عقيلة حسين، المرجع السابق، ص ص 193-194.

الإستعمار أوقف إصدار الجريدة في نفس السنة<sup>(1)</sup>، أي بعد 18 عددا<sup>(2)</sup>، وكان ابن باديس مشرفاً على رئاسة تحريرها بنفسه، لذلك عرفت بلهجتها الحادة<sup>(3)</sup>، وبانتقادها لتصرفات الإدارة الإستعمارية من جهة، ومناهضة قوية بحملتها ضد البدع والممارسات الطرقية المتردية من جهة أخرى<sup>(4)</sup>.

#### -الشهاب:

نظرا لقدرة ابن باديس على تكييف نفسه مع الظروف السياسية، و صلابته في آداء رسالته الإصلاحية ومواقفه المدافعة عن حقوق الشعب الجزائري<sup>(5)</sup> فقد أصدر جريدة "الشهاب" التي كانت في البداية أسبوعية، ثم نصف أسبوعية، ثم تحولت في فيفري 1929م إلى مجلة شهرية<sup>(6)</sup>، ودام صدورها من أول يوم نشرت فيه إلى أن توقفت مدة 15 سنة أي من عام 1925م إلى غاية قيام الحرب العالمية الثانية سنة 1939م<sup>(7)</sup>، وتضمنت إفتتاحيات ومقالات وفتاوي وقصص وأخبار وطرائف وتراجم<sup>(8)</sup>، إضافة لهذا فإن ما ميز الشهاب أنها كانت لسان الحركة الإصلاحية<sup>(9)</sup>، خصوصا فترة العشرينات لكونها المنبر الذي كان ينشر فيه عدد كبير من العلماء ورجال الإصلاح.

كانت كل من "المنتقد" و "الشهاب" جريدتين خاصتين بابن باديس، وبعد تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين احتفظ ابن باديس بـ "الشهاب" لنفسه ينشر فيها أفكاره الخاصة إضافة إلى نشرها بعض المقالات التي تعبر عن مواقف الجمعية<sup>(10)</sup>، ومع تطور الصحافة وتأسيس جمعية العلماء أصدرت هي بدورها عدة صحف ناطقة باسمها، وتمثلت في:

#### -السنة المحمدية:

في سنة 1933م أصدرت جمعية العلماء المسلمين جريدة "السنة المحمدية"<sup>(11)</sup>، وكانت جريدة أسبوعية أشرف عليها عبد الحميد بن باديس بمعية رؤساء التحرير الطيب العقبي والسعيد الزاهري، ونشر العدد الأول منها في 8 ذو الحجة عام 1351هـ، ثم توقف صدورها في شهر ربيع الأول من عام 1352هـ/1933م<sup>(12)</sup>.

(1)-محمد بغداد، الإعلام الديني في الجزائر "الخطاب والهوية"، دار الحكمة، الجزائر، 2010، ص ص 92-93.

(2)- محمد خير الدين، مذكرات، ج 01، المصدر السابق، ص 247.

(3)-عمار بن منوز، المرجع السابق، ص 210.

(4)-رابع تركي، الشيخ عبد الحميد ابن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر، المصدر السابق، ص 189.

(5)-أحمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المرجع السابق، ص 142.

(6)-عقيلة حسين، المرجع السابق، ص 196.

(7)- محمد خير الدين، مذكرات، ج 01، المصدر السابق، ص 249.

(8)-محمد بغداد، الإعلام الديني في الجزائر "الخطاب والهوية"، المرجع السابق، ص ص 92-93.

(9)-محمد خير الدين، مذكرات، ج 01، المصدر السابق، ص 247.

(10)-أحمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المرجع السابق، ص 142.

(11)-محمد بغداد، الإعلام الديني في الجزائر "الخطاب والهوية"، المرجع السابق، ص 93.

(12)- محمد خير الدين، مذكرات، ج 01، المصدر السابق، ص 247.

### -الشرعية المحمدية:

بعد إغلاق "السنة المحمدية" أصدرت جمعية العلماء جريدة "الشرعية المطهرة"<sup>(1)</sup>، وكان عددها الأول في يوم الإثنين 25 ربيع الأول عام 1352هـ/7 جويلية 1933م، وأبقت على نفس طاقم الإشراف لجريدة "السنة"، لكن نالها ما نال سابقتها من التعطيل من قبل الإستعمار الفرنسي خلال مدة قصيرة، حيث صادرها في 28 أوت 1933م<sup>(2)</sup>.

### -الصراط السوي:

بعد أقل من شهر من غلق جريدة "الشرعية المطهرة" أصدر جمعية العلماء جريدة "الصراط السوي" في نفس السنة<sup>(3)</sup>، وكان ذلك في 11 سبتمبر 1933م بمبادرة من ابن باديس بجمعية أحمد بوشمال الذي كان صاحب إمتيازها، صدرت في شكلها الأسبوعي لكن ما لبثت أن عطلت هي الأخرى مع بداية جانفي من عام 1934م<sup>(4)</sup>، بعد 17 عددا<sup>(5)</sup>.

### -البصائر:

في سنة 1935م أصدرت جمعية العلماء المسلمين جريدة "البصائر"<sup>(6)</sup>، وكانت على شاكلة سابقتها أسبوعية الإصدار، أشرف على رئاسة تحريرها الطيب العقبي والسعيد الزاهري، وكان صاحب الإمتياز فيها الشيخ محمد خير الدين، أطلق العدد الأول منها في شهر شوال من عام 1354هـ/27 ديسمبر 1935م، واستمر إصدار أعدادها إلى غاية قيام الحرب العالمية الثانية، وهو السبب الذي جعل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تجمد نشاطاتها تماشيا مع موقفها الرفض لطلب فرنسا الدعاية في صحفها ضد دول المحور<sup>(7)</sup>.

تعتبر البصائر رابع جريدة تصدرها الجمعية، وما ميزها عن الجرائد الأخرى أنها كانت أكثر الصحف العربية الجزائرية شهرة وتأثيرا في الأحداث الوطنية<sup>(8)</sup>، وهي الوحيدة التي بقيت بعد وفاة الشيخ ابن باديس<sup>(9)</sup>، وإنقسمت في نشاطها إلى مرحلتين، بصائر ما قبل الحرب والتي دامت 5 سنوات، أشرف الطيب العقبي على إدارتها في النصف الأول من هذه المرحلة، فيما أشرف الشيخ مبارك الميلي على النصف الثاني، وعادت للصدور بعد نهاية الحرب العالمية الثانية في سلسلتها الثانية، بعد إستئناف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين نشاطها برئاسة الشيخ البشير الإبراهيمي الذي أشرف على الجريدة، واستمرت في الصدور مدة 10 سنوات متتالية، أي من سنة 1947م إلى سنة 1956م ليكون توقفها متزامنا

(1)-عقيلة حسين، المرجع السابق، ص 202.

(2)-محمد خير الدين، مذكرات، ج 01، المصدر السابق، ص 247-248.

(3)-محمد بغداد، الإعلام الديني في الجزائر "الخطاب والهوية"، المرجع السابق، ص 93.

(4)-محمد خير الدين، مذكرات، ج 1، المصدر السابق، ص 248.

(5)-عقيلة حسين، المرجع السابق، ص 202.

(6)-محمد بغداد، الإعلام الديني في الجزائر "الخطاب والهوية"، المرجع السابق، ص 93.

(7)-محمد خير الدين، مذكرات، ج 1، المصدر السابق، ص 248.

(8)-عمار بن منوز، المرجع السابق، ص 216.

(9)-عقيلة حسين، المرجع السابق، ص 203.

مع الإنضمام الرسمي للجمعية إلى الثورة الجزائرية ملبية طلب جبهة التحرير الوطني من جميع المنظمات والأحزاب والحركات الوطنية توقيف نشاطاتها والإلتحاق بالثورة<sup>(1)</sup>، بقرار من المشرفين على إدارتها<sup>(2)</sup>.

#### - جرائد إصلاحية أخرى:

لم يكن ابن باديس الوحيد الذي أنشأ الصحف داخل الجمعية، فقد نشط بعض أعضائها في هذا المجال بإصدارهم صحفاً اختلفت فيما بينها من حيث مدة الصدور والإستمرارية إلا أنها اشتركت في طابعها الإصلاحي، حيث نجد:

- جرائد أبي اليقضان: تم إنشاء سلسلة من الجرائد الإصلاحية التي أصدرها الشيخ أبو اليقضان منذ 1926م إلى غاية 1938م، منها: "ميزاب"، "وادي ميزاب"، "المغرب"، "النور"، "البستان"، "النبراس"، "الأمة"، "الفرقان"<sup>(3)</sup>.

- جريدة "الحق" بمدينة بسكرة في سنة 1936م.

- جريدة المغرب العربي للزاهري.

- جريدة "الإصلاح" للطبيب العقبي.

- جريدة "الليالي" لعلي بن سعد.

- جريدة "الدفاع - La Defance" التي كانت تصدر باللغة الفرنسية خلافاً لباقي الجرائد السابقة، لصاحبها لمين

لعمودي.

- جريدة "المرصاد" وجريدة "الثبات" لمحمد عبابسة، كما إستمرت إصدار جريدة "الشهاب" لابن باديس، وقد واكبت فترة تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعرفت بها وأرخت لأخبارها ووضحت أهدافها ومبادئها ونشرت بياناتها وبلاغاتها، وعبرت عن أفكارها الإصلاحية، ونوهت بدورها في إيقاظ الأمة الجزائرية<sup>(4)</sup>، وعند إصدار الجمعية لجرائدها "السنة"، "الصراط"، "الشرعية" و"البصائر" أشرف ابن باديس على كتابة مقالاتها الرئيسية، وكان يرد بنفسه على كتابات القراء إلى غاية سنة 1939م، حيث توقفت البصائر في سلسلتها الأولى عن الصدور<sup>(5)</sup>.

فرض ابن باديس نفسه في فترة العشرينات والثلاثينات على عالم الصحافة، بإرسائه دعائمها على أسس متينة قامت على الإيمان بالمبدأ والوطنية واحترام التقاليد الصحافية، وأصبح بذلك من روادها<sup>(6)</sup>، لكن بوفاته سنة 1940م انتهت المرحلة الأولى من فترة تأسيس الجمعية، حيث أشرف على بناء الأسس القارة لاستمرارية نشاطها، وقد اصطبغت هذه المرحلة بشخصيته التي طغت على الشخصية العامة لجمعية العلماء المسلمين، إلى حد أصبح من الصعب لأي متتبع لتاريخ الجمعية أن يفصل بين شخصية ابن باديس وشخصية الجمعية، لوحدتهما ولم تبرز الشخصية المستقلة للجمعية، إلا بعد وفاته، لتكامل آداء رسالتها وتوسيع نشاطها على يد البشير الإبراهيمي ورفاقه<sup>(7)</sup>.

(1)- محمد خير الدين، مذكرات، ج 01، المصدر السابق، ص 248-249.

(2)- عقيلة حسين، المرجع السابق، ص 203.

(3)- محمد بغداد، الإعلام الديني في الجزائر "الخطاب والهوية"، المرجع السابق، ص 93.

(4)- محمد خير الدين، مذكرات، ج 01، المصدر السابق، ص 248.

(5)- أحمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المرجع السابق، ص 143.

(6)- رابح تركي، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر، المرجع السابق، ص 188.

(7)- أحمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المرجع السابق، ص 147-148.



### المطلب الثاني: المؤسسات التربوية والتعليمية.

استهل ابن باديس مقاومته للإستعمار الفرنسي ثقافيًا عن طريق التعليم والتربية وتنوير العقول ومحو الأمية وسط الجزائريين، وهذه المقاومة كالنقش على الحجر، لكون بلوغ أهدافها المرجوة يتطلب علمًا غزيرًا وعلماء كثيرين ووسائل مادية معتبرة ونفسًا طويلاً ووقتًا واسعًا، وكانت الإمكانيات قليلة، إلا أن عزمته كانت قوية لأن نشر العلم والمعرفة يحرر العقول ويفتح الأذهان لإيمان ابن باديس أن العلم يسبق العمل، وأن تحرير الأبدان يبدأ بتحرير الأذهان، فاكتمل العلم ينهض بالشعوب والأمم وينميها ويمهد لطرده الإستعمار من البلاد، وقد وضع خطة لتغيير المجتمع وتجهيز ذهنياته إرتكزت على<sup>(1)</sup>:

-بناء المدارس والمساجد.

-إلقاء الدروس المستمرة.

-الوعظ والإرشاد.

-إنشاء الصحف والجرائد.

-إنشاء النوادي الثقافية والرياضية.

-إنشاء فرق الكشفية.

-العمل على توعية الأمة وإذكاء روح النضال فيها لتحرير البلاد.

وبحلول سنة 1935م زاد عدد العلماء في الجزائر، وتدعم بخريجي جامع الزيتونة والقرويين والأزهر، بالإضافة إلى خريجي التعليم المسجدي، فتباين تكوينهم وتفاوت مستواهم بين الأهلية والتطويع والعلمية، فكونوا الدعامة الأولى للشيخ عبد الحميد ابن باديس، خصوصًا بعد إتساع دائرة التعليم في الجامع الأخضر، بتزايد عدد تلاميذه إلى نحو 300 تلميذ سنة 1936م، يتكونون على أربع مستويات هي: طبقة الأجرومية ثم طبقة قطر، ثم المكودي، ثم السعد، فبعد حفظ الطالب للقرآن الكريم أو لأجزاء منه يدرس مواد دينية منها: التفسير والحديث والفقه والعقائد والفرائض والأصول والمنطق، بالإضافة إلى المواد اللغوية فتتمثل في النحو والصرف والمحفوظات والمطالعات، أما علوم الحياة فكان موادها تهتم بالحساب والعلوم الطبيعية والجغرافيا والتاريخ<sup>(2)</sup>.

ومن أجل دراسة هذه المواد تم وضع كتب مدرسية مقررّة، حيث كان التعليم في سنواته الأولى يهتم بالعقيدة والعبادة والمعاملة وإحياء العربية وتنمية ملكة اللغة لدى الدارسين لأنها لسان الدين ولسان التراث الثقافي من أدب وتاريخ، وهي اللغة المعتمدة لبعث الرصيد الحضاري من إبداع وعلم وعمران، وهي إحدى المقومات الأساسية للشعب الجزائري، والتي ينبغي إحيائها والتشديد عليها حفاظًا على الهوية العربية الإسلامية وضمانًا لوحدة المجتمعية والقومية<sup>(3)</sup>.

(1)-عبد العزيز فيلاي، المداخلة الافتتاحية، أعمال الملتقى الوطني "الصحافة الإصلاحية بين المقومات الوطنية والواقع 18 ماي 2014 بقسنطينة"،

دار الهدى، الجزائر، 2015، ص ص 13-14.

(2)-عبد الحميد زوزو، الثقافة والتعليم تاحر والرسامي في العهد الفرنسي، المرجع السابق، ص 75.

(3)-نفسه، ص 76.

لذا كان للتعليم سبق بالنسبة لعلماء الجمعية، وهو امتداد طبيعي لجهود رئيسها بن باديس منذ 1913م<sup>(1)</sup>، وإن كانت جهود بني ميزاب لها ثقلها غير أنها بقيت قاصرة على هذه المنطقة، عكس جهود الجمعية التي امتدت من قسنطينة لتشمل جميع أنحاء الوطن الجزائري، وحققت إنجازات كبيرة<sup>(2)</sup>.

وأكد البشير الإبراهيمي أن "المدرسة منبع العلم، ومشروع العرفان، وطريق الهداية إلى الحياة الشريفة، فمن طلب هذا النوع من الحياة من غير طريق العلم زلّ، ومن إلتبس الهداية إليه من غيرها ضلّ، وحياة الأمم التي نراها ونعاشرها شاهد صدق على ذلك"<sup>(3)</sup>، لهذا ساهمت تضحية الأساتذة وشعورهم بنبل الرسالة التي يؤدونها التي توافقت مع الرغبة الجارحة للطلبة في التعلم، في تخريج عدد معتبر من المدرسين والخطباء الواعظين ودعاة الإرشاد، اضطلعوا بمهام الإصلاح لاحقاً، بالإضافة إلى برز كتاب ذو مستوى عالي أغنوا "الشهاب" و"البصائر" بكتاباتهم، وشعراء فحول أشادوا بالإصلاح وبأجماع العروبة والإسلام والجزائر، وخلدوا روائع الأعمال والأحداث بقصائدهم التي واكبت النهضة العلمية والثقافية للجزائر الحديثة<sup>(4)</sup>.

وتجدر الإشارة إلى أن الجمعية لم يكن لديها الوسائل اللازمة لنشر التعليم على نطاق واسع بما فيه الكفاية. فالأرضية التعليمية التي إنطلق منها ابن باديس كانت شبه مدمرة مما يجعلنا نستشعر الصعوبات التي واجهت العمل الإصلاحي ككل، من حيث الوسائل والإمكانيات المتواضعة<sup>(5)</sup>، واعتمدت بشكل أساسي على سخاء السكان، دون أي مساعدة من الإدارة الإستعمارية، التي أظهرت عداها للتعليم الذي نظمته جمعية العلماء من خلال الإجراءات المتخذة ضد المدارس العربية الحرة<sup>(6)</sup>.

إلا أن السياسة التي انتهجها علماء الجمعية بينائهم المدارس والمؤسسات التعليمية عبر مختلف أنحاء الوطن، وعزم ابن باديس على إنشاء كلية<sup>(7)</sup>، والمستوى العالي لأساتذتها الأوائل بداية من ابن باديس والإبراهيمي والعقبي والنعمي والميلي والتبسي الذين نبغوا في العلوم الدينية واللغوية والعقلية، فكانوا متمكنين من البيان العربي والأسلوب الخطابي ما انعكس على طلبتهم ومن بعدهم طلبة طلبتهم، ضف لهذا فإن اهتمام رجال الجمعية بإنشاء المدارس وبناء المساجد وفتح الأندية وترقية التعليم عبرها وتطوير أساليبه على نمط يعتمد على إمعان الفكر بدل الحفظ، وتدريب العقل والمنطق على وزن الأمور بميزانها والربط بين الدليل ومدلوله والعلة بالمعلول عوض الإقتصار على تلقين الموروث وحفظ المنقول، فشكّلوا بذلك لجناً متخصصة في الأدب والدعوة والتعليم والإصلاح الاجتماعي ثم لجنة الإفتاء وتنظيم المالية وتنظيم الرحلات

(1)-أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 03، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1998، ص ص 246-247.

(2)-علي بن محمد بن زينب، المرجع السابق، ص 227.

(3)-آثار محمد البشير الإبراهيمي، ج 03، المصدر السابق، ص 258.

(4)-عبد الحميد زوزو، الثقافة والتعليم الحر والرسمي في العهد الفرنسي، المرجع السابق، ص 76.

(5)-عمار بن منوز، المرجع السابق، ص ص 183-184.

(6)-Ahmed Sarri, op cit , p 64.

(7)-عبد القادر عيسات، المرجع السابق، ص 80.

الموعظية والإرشادية عبر التراب الوطني<sup>(1)</sup>، فساهمت بذلك كل هذه العوامل في الانتشار الواسع للتعليم العربي في هذه المراحل الأولى من تأسيس الجمعية.

ورغم أن المدارس العربية الخالصة في الجزائر مع بداية الحركة التربوية لابن باديس كانت نادرة بسبب قضاء فرنسا على أملاك الأوقاف الإسلامية والمؤسسات التربوية التابعة لها وما ميز مدارس جمعية العلماء هو توحيد طرازها الهندسي المعماري الجميل الذي راعت فيه الجمعية ضرورة الجمع بين روعة الفن المعماري الإسلامي من ناحية، وذوق العصر الحديث ومتطلبات الصحة العامة من جهة أخرى، قصد تكوين جيل متحد في الذوق والأفكار والاتجاه العام، بالإضافة إلى إنتساب ملكيتها للأمة، القائمة على إنشائها، بتوجيه من جمعية العلماء، التي تهتم بإدارتها وتزويدها بالمعلمين والبرامج الدراسية والكتب ووسائل الإيضاح التعليمية، وما تحتاجه من مستلزمات أخرى<sup>(2)</sup>، وقد تراوح عدد مدارس الجمعية ما بين 63 مدرسة في القطاع القسنطيني، و48 مدرسة في القطاع الجزائري<sup>(3)</sup>، وحوالي 38 مدرسة في القطاع الوهراني<sup>(4)</sup>، ومن أهم المؤسسات التربوية والتعليمية التي أنشأها العلماء نجد:

### - مدرسة التربية والتعليم (1931م بقسنطينة):

تعتبر أول مدرسة أسسها ابن باديس بدعم مادي ومعنوي من الشعب وجمعية التربية والتعليم الإسلامية، فهي لبنة نموذجية لبناء شامخ للمؤسسات التعليمية الموزعة عبر التراب الوطني آنذاك، ومشروع حضاري متكامل جاء كرد فعل لمخطط الممارسات التعسفية تجاه الأمة الجزائرية، فالوطنيون من أبناء الجزائر أمثال ابن باديس لم ينسوا استراتيجية الإستعمار الفرنسي للنيل من هوية الأمة وثوابتها<sup>(5)</sup>.

ولم يضع ابن باديس شروطا تعيق الالتحاق بمدرسة التعليم بقسنطينة أو مدارس جمعية العلماء التي تم إنشاؤها فيما بعد، بل فتح فرص التعلم للجميع، لأن مبدأه هو السعي لتعميم التعليم ونشره وسط المجتمع دونما تمييز، لإتاحة المشاركة للجميع في الحياة العامة وبناء المجتمع المتعلم القادر على مواجهة الإستعمار بسلاح العلم، واتبع نظاما تعليميا شبيها بالمتداول في المدارس الحكومية من حيث مدة الدراسة وعدد الصفوف<sup>(6)</sup>.

كان يدرس بمدرسة التربية والتعليم الإسلامية بقسنطينة 600 طالب من الجنسين متوافقة في نظام دوامها مع تلاميذ المدارس الفرنسية، فيما وصل عدد الكهول إلى 111 طالبا، إضافة إلى المتدربين عبر مختلف أنحاء التراب الوطني، و300 طالب بجامع الزيتونة، أغلبهم من المتخرجين من جامع الأخضر، وحوالي 300 طالب علم جزائري في جامع الأزهر يدرسون وفقا لبرنامج يشمل كل الفنون التي تدرس بسائر المعاهد الإسلامية مع مستلزمات الإيواء، وهو ما

(1)- عبد الحميد زوزو، الثقافة والتعليم الحر والرسامي في العهد الفرنسي، المرجع السابق، ص 76.

(2)- رابح تركي، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر، المرجع السابق، ص 346، ص 359.

(3)- يُنظر فهرس كتاب: محمد الحسن فضلاء، المسيرة الرائدة للتعليم العربي الحر، ج 01، ط 02، دار غرناطة، الجزائر، 2014.

(4)- يُنظر فهرس كتاب: محمد الحسن فضلاء، المسيرة الرائدة للتعليم العربي الحر، ج 02، ط 02، دار غرناطة، الجزائر، 2014.

(5)- زهور ونيسي، فخر المدارس الحرة التربية والتعليم بقسنطينة، مجلة اللغة العربية، العدد الممتاز، العدد 02، المجلد 07، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2005، ص 107.

(6)- علي محمد الصلاحي، كفاح الشعب الجزائري ضد الإحتلال الفرنسي سيرة عبد الحميد بن باديس رائد النهضة العلمية والإصلاحية، ج 2، دار

المعرفة، بيروت، 2015، ص ص 441-442.

يبين تكلفة النهضة التعليمية التي تحملتها جمعية العلماء المسلمين على عاتقها للنهوض بالأمة الجزائرية، وهي مسؤولية لا تنوء بحملها الحكومات والدول<sup>(1)</sup>.

### - المعهد الباديسي (1947-1957م):

تأسس المعهد من طرف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وهو أول معهد للتعليم الثانوي، بقسنطينة، هدفه إكمال المسار التعليمي للطلبة المتخرجين من المدارس الابتدائية، ليتمكنوا من مواصلة مساهمهم في التعليم العالي بجامع الزيتونة وجامعات المشرق العربي، وسمي على إسم ابن باديس اعترافاً بمجهوداته وفضله على الأمة الجزائرية وتكريماً لمؤسس أول معهد في الثانوي<sup>(2)</sup>، وهو ثالث المعاهد التي قررت جمعية العلماء إنشاءها في قسنطينة والجزائر وتلمسان<sup>(3)</sup>.

ورغم أن المعهد الباديسي كان أحد الفروع الباسقة لشجرة الزيتونة الثابتة، إلا أنه يعتبر سابقة في مجال إصلاح التعليم وترقية طرائقه ومناهجه، نظراً لتطلع العلماء إلى آفاق أبعد من تونس، وهو ما جعل الشيخ البشير الإبراهيمي يصف الأمر "بالغرة اللائحة" في أعمال جمعية العلماء وأنه تاج المدارس المئة والستين المشيدة في أغلب مدن القطر الجزائري، واصفاً إياها بالنجوم المتألقة في ليل الجزائر الحالك، والتي أضاءت الطريق لمئات الطلبة المتخرجين منها نحو المعهد لمواصلة تعليمهم ليقبهم من الحرمان وآلامه، ويفتح للنبغاء والطامحين آفاق المعرفة والعلم، واستمرت جهود جمعية العلماء المسلمين في تطوير التعليم وطرق تدريسه والبرامج من مقررات رسمية، وطرق الارتقاء من مستوى لآخر، وزيادة عدد مدارس وأساتذته المزدوجي اللغة، تمهيدا لتوجيه نوابغ طلبة المعهد الباديسي لاستكمال دراستهم على نفقة الجمعية إلى وجهة أخرى غير جامع الزيتونة<sup>(4)</sup>، وساهمت هذه الجهود في رفع عدد المتخرجين من الطلبة الجزائريين.

كما أن المعهد الباديسي يعتبر إمتدادا لمعهد الجامع الأخضر، لكن ضمن إطار أكثر تطوراً من حيث الإدارة والتجهيز والأسلوب التعليمي، وقد وصلت ميزانية إنشائه إلى 50 مليون فرنك فرنسي من أموال الشعب الجزائري، وتحول بذلك الجامع الأخضر وجامع بومعزة لقاءات يتلقى فيها الطلبة الدروس النظرية<sup>(5)</sup>، وهو إنجاز هام من إنجازات الجمعية التي قال عنها البشير الإبراهيمي الخطوة الثانية نحو طريق النهضة العلمية الجزائرية، بعد المدارس الابتدائية التي تم إنشاؤها من طرف علماء الجمعية<sup>(6)</sup>.

إن غاية وأهداف التعليم في المعهد الباديسي كانت واضحة ومنحصرة في تكوين الطلبة عقائديا وإضفاء البعد الوطني من خلال غرس مبادئ الهوية الوطنية في فترة إستعمارية حرجة من تاريخ الجزائر، من خلال تعليم اللغة العربية

(1) -عبد الحميد زوزو، الثقافة والتعليم الحر والرسمي في العهد الإستعماري، المرجع السابق، ص 82.

(2) -أحمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المرجع السابق، ص 215.

(3) -محمد البشير الإبراهيمي، مجلة مجمع اللغة العربية، العدد 21، مجمع اللغة العربية، القاهرة، مصر، 1966، ص 149.

(4) -عبد الحميد زوزو، الثقافة والتعليم الحر والرسمي في العهد الإستعماري، المرجع السابق، ص 92.

(5) -أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج 03، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص 188.

(6) -البصائر، العدد 45، السنة الثانية، 22 ذي الحجة 1367هـ/ 25 أكتوبر 1948م، ص 01.

والدين الإسلامي<sup>(1)</sup>، وقد ثمن الإبراهيمي قيمة المعهد قائلا: "أما قيمة المعهد المعنوية عند الأمة فهي القيمة العالية، وأما منزلته فهي المنزلة العالية..."<sup>(2)</sup>.

كانت سنة 1947م سنة غلة خضراء بين سنين الحرب السبع اليابسات، وخطوة أولى في طريق النهضة العلمية بإنشاء معهد عبد الحميد ابن باديس، وتلتها الخطوة الثانية بإنشاء دار للطلبة، رغم الظروف الصعبة التي عمل فيها العلماء في ذلك الوقت، فمهمة التعليم العربي الحركات عبتا ثقيلًا حتى على حكومات الدول، إلا أن المهمة العالية لعلماء الجمعية والعزيمة الحادة التي تحلوا بها وإيمانهم الكبير بعظم الرسالة في ظل الرعاية الإلهية مكنتهم من القيام بما عجزت عنه الحكومات، لتكون مئة وستون مدرسة يشرف عليها 260 أستاذ قادو الجيل الجديد<sup>(3)</sup>.

ولم يكن من قبيل الإمكان إنشاء مؤسسات ذات مستوى جامعي إلا بقسنطينة تحت إشراف ابن باديس، حيث بلغ عدد مدارس التعليم العربي الحر سنة 1947م حوالي 90 مؤسسة، وارتفع سنة 1954م إلى 181 مؤسسة، وإضطلعت جمعية العلماء بدور هام في إنشائها<sup>(4)</sup>، فمع اندلاع الثورة التحريرية كان المعهد عامرًا بمئات الطلبة في ريعان الشباب تتدفق شرايينهم دماءً حارة جعلتهم يتسللون من صفوف الدراسة إلى صفوف القتال ومع مرور سنتين لم يتبقى في مقاعد الدراسة إلا العدد القليل، ليتم إغلاق المعهد من طرف الإستعمار وتشتت أساتذته بين من قضى نحبه ومن ينتظر<sup>(5)</sup>.

ونظرا لأهمية المعهد فقد أكد البشير الإبراهيمي على ضرورة المحافظة على هذا الصرح العلمي قائلا: "هذا المعهد أمانة الله بيننا وبينك - أيتها الأمة - وعهد العروبة والإسلام في عنقنا وعنقك، وواجب العلم علينا وعليك، وحق الأجيال الزاحفة إلى الحياة من أبنائنا جميعا، فأينا قام بحظه من الأمانة، ووفى بقسطه من العهد، وأدى ما عليه من الواجب، واستبّرأ لدمته من الحق؟ لا منة لنا ولا لك على الله ودينه، وما عظم من حرمت العلم، وما أوجب من رعاية الأبناء، وإنما علينا أن نتعاون جميعا، كل بما قسم الله له..."<sup>(6)</sup>.

— دار الحديث (1937 م بتلمسان):

على غرار المعاهد والجامعات الإسلامية العتيقة في المغرب العربي والمشرق التي كانت تستقطب طلبة العلم من مختلف أنحاء العالم، مثل جامع الزيتونة والقيروان وجامع القرويين والجامع الأزهر، كان ابن باديس يطمح لإنشاء معهد

(1) -الحسين عزة، معهد الشيخ عبد الحميد بن باديس في قسنطينة ودوره في نشر التعليم العربي (1947-1957)، مجلة الإبراهيمي للآداب والعلوم الإنسانية، العدد 01، جامعة برج بوعريش، الجزائر، ديسمبر 2019، ص 150.

(2) -آثار محمد البشير الإبراهيمي، ج 03، جمع وتقديم: أحمد طالب الإبراهيمي، ط 05، دار الوعي، الجزائر، 2016، ص 215.

(3) -عبد الحميد زوزو، الثقافة والتعليم الحر والرسمي في العهد الإستعماري، المرجع السابق، ص 94-95.

(4) -أحمد مهساس، التعليم والثقافة في الجزائر خلال الحقبة الإستعمارية، مجلة الثقافة، العدد 85، وزارة الثقافة والسياحة، الجزائر، ربيع الثاني-جمادى الأولى 1405هـ/ يناير فبراير 1985م، ص 72.

(5) -أحمد حماني، شهداء علماء معهد بن باديس الشيخ الصادق بن رايح حماني، قصر الكتاب، البلدة، الجزائر، 2004، ص 06.

(6) -آثار محمد البشير الإبراهيمي، ج 03، المصدر السابق، ص 254.

ديني جزائري يكون قاعدة لتأسيس كلية دينية إسلامية في الجزائر، منطلقا من فكرة أن التعليم المسجدي والحكومي الحر في المدارس الإسلامية الدولية يحتوي على أئمة وأساتذة شيوخ على قدر من العلم والمكانة الاجتماعية، لو تجمعوا لكان في إمكانهم تحقيق تلك الأمنية، ورغم وفاة ابن باديس إلا أن الفكرة بقيت حية في نفوس رفقاءه والجيل الجديد من تلامذته ومن تالاهم، سعو لتحقيقها من بعده<sup>(1)</sup>.

وبهدف الدعوة الإصلاحية لجمعية العلماء<sup>(2)</sup>، بدأ تشييد المدرسة سنة 1936م، تحت إشراف البشير الإبراهيمي الذي كان المحرك الأساسي في بنائها وبمشاركة أهالي تلمسان، وقد أثنى الإبراهيمي على هذه المدرسة في حفل إفتتاحها يوم 27 سبتمبر 1937م قائلا: "... فكل المراحل التي قطعها وإن كانت قصيرة فهي على هذه المدرسة محسوبة وكل الآمال التي لي في العلم فهي إلى فضل هذه المدرسة منسوبة" ثم يضيف "...أيها الآباء المحترمون: إن هذه المدرسة هي الشاهد الذي لا يكذب على صدق النهضة الإسلامية العلمية ونضوجها ووصولها إلى درجة الكمال التي يفرح لها العاملون ويأس منها الظالمون. إن أثر ذلك يكون بلا شك نفعا في تقديرنا لهذا الدين واعتبارنا لهذه اللغة، ونحن في هذا الطور لا نتأثر إلا بالمحسوسات، فلا نعرف ما تقولون لنا إلا قولكم، هذا الإسلام وهذه مساجده، وهذا لسان العرب وهذه معاهده، فأما أن تقولوا لنا: هذا الإسلام ولا مسجد، وهذه علوم الإسلام ولا معهد، فاعذرونا إذا استهوتنا هذه المعاهد المشيدة للألسنة الأجنبية، وتخطفنا دعايات البشر من كل جانب..."<sup>(3)</sup>.

كما وجه الإبراهيمي دعوته إلى أهالي تلمسان قائلا: "إن أكبر دعامة تقوم عليها النهضة العربية الإسلامية، بالقطر الجزائري هي تشييد المدارس الحرة بمال الأمة، لأنها فضلا عن الواجب، الذي يقدم للدين واللغة، تحيي في الأمة روح البذل في سبيل العلم، وتقوي فيها خلق التعاون على الخير"<sup>(4)</sup>، وتكونت مدرسة الحديث من طابق أرضي مخصص للصلاة وقاعة للوضوء في الطابق السفلي، وطابق للمحاضرات، أما الطابق الثاني فخصص لتدريس ويتكون من خمسة أقسام للتعليم، ومثل هذا المشروع الفريد من نوعه تحديا كبيرا للإدارة الإستعمارية وقتها.

ويعتبر تدشين مدرسة الحديث أهم حدث علمي أعطى لجمعية العلماء ولرجالها ورئيسها عبد الحميد ابن باديس بعدا جماهيريًا وصيتًا علميًا وزعامة دينية، نظرًا لخروج التلمسانيين في مظاهر إحتفالية كبيرة، شاركتهم فيها وفود آتية من مختلف ربوع الوطن، ومنح الإحتفال حراك للأمة الجزائرية أجمعها، عبر فيه الجزائريون عن تعلقهم بالحركة الإصلاحية

(1) -عبد الحميد زوزو، الثقافة والتعليم الحر والرسمي في العهد الإستعماري، المرجع السابق، ص ص 89-90.

(2) -محمد الحسن فضلاء، المسيرة الرائدة للتعليم العربي الحر، ج2، ط2، دار غرناطة، الجزائر، 2014، ص17.

(3) -المختار بن عمار، محبي تلمسان الإمام محمد البشير الإبراهيمي آثار وبصمات ومواقف وعظات، شركة الأصالة، الجزائر، 2021، ص ص 100-87.

(4) -نقلا عن: عبد العزيز فيلاي، الإمام محمد البشير الإبراهيمي مقارنة في فكره الثقافي والإجتماعي والسياسي، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2022، ص ص 92-93.



ومساندتهم للنهضة العلمية وولائهم للقائمين عليها، وهو الأمر الذي أزعج السلطات الإستعمارية، فقررت غلق "تحفة المدارس العربية الحرة" في 01 جانفي 1938م، متهمة منشئها ومديرها بالحث على التجمهر وإثارة الشغب لتتم محاكمته (1).

قامت السلطات الإستعمارية بغلق الأقسام المخصصة للتعليم، وبقيت قاعة المحاضرات والجامع مفتوحين، فاستغلها الإبراهيمي في لقاء الكبار من الناس مع أنه لم يوقع على قرار الغلق، ومن وقتها دخلت المدرسة في صراع مفتوح مع السلطات الإستعمارية التي رفضت منح الترخيص لها بمزاولة التعليم، وأكد الإبراهيمي أن تعطيل المدرسة مسألة لا تخص جمعية العلماء فقط، بل هم الأمة الجزائرية برمتها (2).

### **المطلب الثالث: المؤسسات الدينية.**

بالإضافة إلى المدارس والنوادي الثقافية اعتمد رجال جمعية العلماء المسلمين على الكتاتيب والمساجد لنشر دعوتهم الإصلاحية، وإن كانوا قد منعوا من تقديم الدروس العلمية والدينية في المساجد الحكومية، فإنهم استغلوا فترة ما بعد أداء الصلاة لتقديم دروس الوعظ والإرشاد للعامة، خصوصاً العصر والمغرب ما دامت قوانين الإستعمار تمنع ذلك، إلا أن التأثير الكبير الذي خلقتة هذه الدروس في نفوس الجزائريين، جعل الإدارة الفرنسية توصلد أبواب المساجد في وجه العلماء كما حدث مع ابن باديس سنة 1932م، عندما منع من دخول المسجد الأعظم بتلمسان (3).

ومع حلول سنة 1933م أصدرت إدارة عمالة مدينة الجزائر تعميمين رسميين، عُرفا بـ: "تعميمي ميشال" circulaire Michel، الأول بتاريخ 16 فيفري، والثاني في 18 فيفري من نفس السنة المذكورة، وتضمن التعميمين فرض الرقابة على تحركات العلماء المصلحين، وحظر المساجد الرسمية عليهم، وامتد تفعيل هذين التعميمين إلى جميع أنحاء الوطن وأوقفت بموجبها دروس الوعظ في المساجد (4).

في الحقيقة إن المساجد التي كانت تحت رعاية ابن باديس وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين كثيرة لا تحصى (5)، فعلماء الجمعية كانوا يرون أن بيوت الله مشاعة لجميع المسلمين لهم الحق جميعاً فيها، والإنتفاع منها، بما تقدمه من خدمة دينية، وهو حق ثابت بالتشريع الإسلامي، لتعلم الأفراد دينهم من علمائهم، لهذا فالإسلام ورجاله وأمتة وعلومه، ولغته وأخلاقه وتاريخه ومساجده يحتجون بالحق الشرعي ضد كل من يمنع العلماء من الإرشاد في المساجد، بما فيهم الحكومة الفرنسية، كما رحب الإسلام بكلتا يديه بمختلف المنشآت المستجدة لغرض بث المعارف وسط أفراد الأمة وتبصيرهم في دينهم وحياتهم على إختلاف أسماء هذه المنشآت وتباين أغراضها مادامت وجدت لخدمة المجتمع (6).

(1) -عبد الحميد زوزو، الثقافة والتعليم الحر والرسمي في العهد الإستعماري، المرجع السابق، ص 77.

(2) -المختار بن عمار، المرجع السابق، ص 107.

(3) -أحمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المرجع السابق، ص 188.

(4) -نفسه، ص 189.

(5) -عقيلة حسين، المرجع السابق، ص 184.

(6) -أحمد الرفاعي الشرقي، المرجع السابق، ص ص 83 - 85.



فبناء المساجد وتشبيدها والعناية بها من وسائل البناء الحضاري عند علماء الجمعية، لكون المسجد في الإسلام معراج الأرواح إلى الملكوت الأعلى، ووسيلة للسمو بالناس لتتحرر أرواحهم من سجن الأهوام، فالمسجد عبر التاريخ الإسلامي الطويل كان له دور إجتماعي وسياسي وقضائي وثقافي، وهو القلعة الروحية التي إنطلق منها المجاهدون لمقاومة الغزاة، فالأمة الجزائرية كانت تقدم تضحياتها لبناء المساجد من أجل البعث الفكري والروحي اللذين هما عماد كل حضارة، ولكم كانت هذه التضحيات كبيرة في ظل فقر الشعب، إلا أن إيمانه بالفكرة منحه الحماس لصنع معجزة تغيير الأفكار<sup>(1)</sup>، ومن بين هذه المساجد التي لعبت دورًا في استنهاض الأمة الجزائرية وإعادة إحياء مقوماتها نجد:

#### **-جامع سيدي قموش:**

من مساجد قسنطينة المتميزة، كان ملكا لعائلة ابن باديس، ويرجع تاريخ نشأته إلى القرن 19 هـ<sup>(2)</sup>، ويعتبر من المساجد التي رابط فيها ابن باديس مدرسًا، متنقلًا ليلاً نهارًا، دون أن يعرف الراحة في ممارسة عمله الإصلاحية والجهادية، يعلم الطلاب مختلف الدروس ويفسر القرآن في الليل<sup>(3)</sup>، وكانت مجلة الشهاب تنشر على صفحاتها الافتتاحية بعض الدروس العلمية الإسلامية التي كانت تقام بمسجد سيدي قموش والجامع الأخضر، التي كان يلقيها الشيخ ابن باديس بعد صلاة العشاء<sup>(4)</sup>، وكان الطلبة يأتونه من مختلف أنحاء الوطن الجزائري، للتزود بعلم الدين واللسان<sup>(5)</sup>.

#### **- الجامع الأخضر:**

نالت جمعية العلماء ثقة الأمة الجزائرية فاحتضنتها بعدما تبين المقاصد الهادفة لرجالها، فأقبل الجزائريون على تشييد المدارس لتدريس فلذات أكبادهم، ووعظ كبارهم وإرشاد كهولهم إلى ما فيه خير الأمة، في ظل الإقبال المتزايد على الجامع الأخضر منذ سنة 1935م، وهو ما جعل ابن باديس يتوجه إلى الشعب الجزائري بخطاب يشيد بطلب العلم والتفقه في الدين، وما له من أثر على الروح الوطنية المسلمة في الصدور، ويدعوهم إلى التبرع والعطاء لخدمة المشروع العلمي والثقافي لجمعية العلماء، حيث قال: "إن أبنائك الشبان حملة القرآن قد هبوا هبة رجل واحد لطلب العلم والتفقه في الدين، يحملون الإيمان في قلوبهم والقرآن العظيم في صدورهم، والروح الجزائرية المسلمة في لحومهم ودمائهم لا يقصدون إلا أن يتعلموا فيعلموا ويتثقفوا فيثقفوا ولا يرجون من ذلك إلا رضا الله ونفع عباده... فإننا ندعوكم لتمدوا صندوق هؤلاء الطلبة بما استطعتم من خير"<sup>(6)</sup>.

(1) - يوسف بوعابة، موقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من الحضارة الغربية، عالم المعرفة، الجزائر، ط 01، 2018، ص ص 207-208.

(2) - محمد سيف بوفلاقة، محاضرات في تاريخ الجزائر، دار الجنان للنشر والتوزيع، الأردن، 2020، ص 265.

(3) - علي محمد الصلاحي، المرجع السابق، ص ص 165-166،

(4) - الشهاب، المجلد 09، الجزء 13، شعبان 1352 هـ/ديسمبر 1933م، ص ص 567-569.

(5) - رابع تركي، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر، المرجع السابق، ص 353.

(6) - عبد الحميد زوزو، الثقافة والتعليم الحر والرسمي في العهد الإستعماري، المرجع السابق، ص ص 81-82.

والجامع الأخضر بناه حسين باي وجعل عليه أوقافا، وحين مات دفن فيه<sup>(1)</sup>، وجاء موقعه وسط مدينة قسنطينة، مطلا على شارع سيدي لخضر، يتكون من طابقين الأول به متاجر وممر يؤدي لبيت الوضوء، وضريح مؤسس الجامع، وفي الطابق العلوي من بيت للصلاة<sup>(2)</sup>، ويعتبر الجامع أحد الجوامع الثلاثة الجمعية بقسنطينة خلال فترة الاحتلال الفرنسي، أسسه حسن بك بن حسين سنة 1156هـ/1743م، من أجل الصلاة والتعليم، واتخذ الشيخ ابن باديس مدرسة لتكوين القادة وإعداد النخبة الجزائرية المسلمة التي ستحمل مشعل الإصلاح والأخذ بيد الأمة لتعليمها أصول دينها، وتصحيح عقائدها، وتوحيد صفوفها ضد الاستعمار الفرنسي<sup>(3)</sup>.

وبما أن النهضة الإصلاحية لابن باديس بدأت من المسجد عن طريق التعليم<sup>(4)</sup>، فقد كان بجوار الجامع الأخضر من الجهة الشرقية مدرسة الجامع، بناها صالح باي سنة 1193هـ/1779م، تتوفر على متطلبات الإقامة، يبدو أنها كانت مستغلة في تدريس الطلبة المترددين على الجامع<sup>(5)</sup>، ما يبين الأهمية الكبيرة التي أولاها ابن باديس لهذا الجامع على غرار باقي المساجد الأخرى التي درس فيها.

إن الحالة العلمية التي وصلت إليها الجزائر عشية الحرب العالمية الثانية بعد تأسيس المدارس وفتح الأندية وبداية ظهور المعاهد وما صاحبه من استمرار للبعثات العلمية إلى جامع الزيتونة تنم عن روح إسلامية عربية حسب تعبير ابن باديس لا يمكن أن يقاومها أو يعارضها معارض ولا يمكن للظلم أن يقف في طريقها، خصوصا مع تزايد عدد الطلبة في سنوات 1938م و1939م، واستمر التعليم المسجدي بالجامع الأخضر على نفس الوتيرة حتى مع ظروف الحرب العالمية الثانية ولم يتوقف حتى بعد وفاة ابن باديس سنة 1940م، بل تم نقله إلى تبسة ليشرف عليه الشيخ العربي التبسي تدرسا وإدارة، ليتواصل التعليم مع خيرة رجال مدارس جمعية العلماء، وتدعم بأساتذة أكفاء وعلماء فطاحل وخطباء مصاقع وكتاب مجيدون وشعراء فحول مثلوا الشباب المناهض والنخبة الواعية نتيجة ثمرة الإصلاح التي غرسها ابن باديس رفقة العلماء الأوائل الذين ساندوه<sup>(6)</sup>.

يلاحظ أن جمعية العلماء استغلت المسجد أحسن استغلال مواصلة لجهود ابن باديس التعليمية، الذي اتخذ من الجامع الأخضر مركزا لنشر العلم واللغة العربية والحضارة الإسلامية، طيلة ربع قرن، وأصبح الجامع بعد وفاته مركزا علميا للقطر الجزائري<sup>(7)</sup>، فقد ساهم الشيخ العربي التبسي بعد وفاة ابن باديس واندلاع الحرب العالمية الثانية في نقل طلاب الجامع الأخضر إلى مدرسة في تبسة أنشأها من نفوذه وجهده، وحافظ على نفس التسمية التي كانت في حياة ابن

(1) - الشيخ الحاج أحمد بن المبارك بن العطار 1790-1870، تاريخ بلد قسنطينة، تحقيق وتعليق وتقدم عبد الله حمادي، دار الفائز، قسنطينة، الجزائر، 2011، ص 130.

(2) - عبد القادر دحدوح، المعالم الأثرية الإسلامية بمدينة قسنطينة خلال الفترة العثمانية، مجلة الثقافة الإسلامية، العدد 13، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 1437هـ/2015م، ص 05.

(3) - عقيلة حسين، المرجع السابق، ص 183.

(4) - رابع تركي، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر، المرجع السابق، ص 351.

(5) - عبد القادر دحدوح، المرجع السابق، ص 14-15.

(6) - عبد الحميد زوزو، الثقافة والتعليم الحر والرسمي في العهد الاستعماري، المرجع السابق، ص 83.

(7) - علي بن محمد بن زينب، المرجع السابق، ص 266.

باديس، فكان أهلاً للميراث لما تمتع به من خبرة ومعرفة بمسالك الولوج لمكامن نفوس الناس، ليحقق المعهد إنجازات كبرى على اعتبار أنه كان أم المدارس منذ الثلاثينات<sup>(1)</sup>.

### - دار الشيخ ابن الفقون بقسنطينة:

أعطى الشيخ الإبراهيمي رئيس جمعية العلماء الأولوية للتعليم المسجدي ببعثه وإحيائه باعتباره سنة سنّها ابن باديس حوالي ربع قرن، فعمد إلى تطويره في شكل كلية ومعهد عصري من حيث شكل المبنى وموقعه، ليكون دار كبيرة من دور آل الشيخ ابن الفقون بعاصمة العلم والنهضة، مقر الإدارة والتعليم، بعد أن اشترته جمعية العلماء وفتحت له اكتساباً شاركت في تبرعاته الأمة الجزائرية قاطبة، وبقي التعليم في الجوامع الثلاثة: سيدي الأحضر، وسيدي قموش، وسيدي بومعزة المحبس على جمعية العلماء<sup>(2)</sup>.

### - الكتاتيب:

تعتبر الكتاتيب من أقدم معاهد التربية في الإسلام، تم إنشاؤها لتعليم الصبيان مبادئ القراءة والكتابة وقراءة القرآن وتجويده، وقد كانت منتشرة عبر مختلف أحياء المدن الجزائرية، والقرى والأرياف، ويعود لها الفضل الكبير في المحافظة على القرآن الكريم من الإندثار بعد دخول الاحتلال الفرنسي ومحاربه للثقافة القومية والتعليم العربي، فرغم ما عانته هذه الكتاتيب من ظروف صعبة إلا أنها واصلت مهمتها في تعليم الجزائريين مبادئ القراءة والكتابة باللغة العربية، بهدف تحفيظ القرآن الكريم بطريقة صحيحة، وفق طريقة متوارثة منذ القدم، وهي جلوس الأطفال على حصير بسيط أمام الطالب (المعلم) كما يطلق عليه الجزائريون<sup>(3)</sup>، ومن النماذج التي تبرز مدى اهتمام ابن باديس بالكتاتيب القرآنية في مشروعه الإصلاحية، ضمه خلال مباشرته للتعليم المسجدي في الجامع الأخضر بقسنطينة عدد من تلاميذ الكتاتيب في البداية قبل أن تتعدد فئات المنخرطين بالجامع<sup>(4)</sup>.

### - الزوايا:

الزوايا<sup>(5)</sup> هي مراكز مشايخ الطرق الصوفية في الجزائر، وإسم جامع لمكان يجمع منزوين إليه، كما أن أصلها هي الرباطات التي تقيم في أيام السلم بالتربية والتعليم، و الزوايا ثلاثة أنواع: منها زوايا إلقاء الدروس للطلبة في مختلف مراحل التعليم كالمدارس الداخلية اليوم بهدف التفرغ للدراسة، أو تكون ملجأ للطلبة أو العلماء المغتربين، أو مكان لضريح عالم أو رجل صالح، تحوي مسجد للصلاة والوعظ والإرشاد وترديد الأذكار الصوفية، وعمل هذه الزوايا شبيه بعمل الجمعيات الخيرية في التربية والتعليم الشباب والأطفال الصغار ووعظ وإرشاد الكبار، والزوايا المشهورة تجمع بين مراحل التعليم

(1) - علي بن محمد بن زينب، المرجع السابق، ص 94.

(2) - عبد الحميد زوزو، الثقافة والتعليم الحر والرسمي في العهد الإستعماري، المرجع السابق، ص 91.

(3) - رابح تركي، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر، المرجع السابق، ص 344-345.

(4) - علي بن محمد بن زينب، المرجع السابق، ص 268.

(5) - نشير إليها هنا من منطلقها التعليمي الذي كان له دور في المحافظة على الهوية الوطنية بتعليم مبادئ اللغة العربية وصيانة العقيدة الإسلامية، في تلك المرحلة، ومع أن جمعية العلماء تعاونت مع بعض الزوايا التي كان لها إسهام تعليمي إلا أنها اتبعت في مسيرتها النهضوية على بناء المدارس الحرة.

الإبتدائي والثانوي والعالي، أما غير المشهورة فنجدها مقتصورة على تحفيظ القرآن والتعليم الإبتدائي وجزء من التعليم الثانوي<sup>(1)</sup>.

يعود الفضل إلى الزوايا في تكوين عدد من العلماء والفقهاء وحفظ القرآن الكريم الذين ساهموا في نشر الإسلام، وتحفيظ اللغة العربية، والعلوم الإسلامية في الجزائر، رغم عدم تطور برامجها، بسبب ظروف الاحتلال الفرنسي، فقد بقي التحفيظ يتبع الأساليب القديمة من دون فهم مقارنة بالمدارس الحديثة التي تتبع أسلوب الإدراك لتكوين شخصية فكرية قادرة على النقد<sup>(2)</sup>، ولا يمكن حصر عدد الزوايا التي أدت دورا رائدا في التعليم الإسلامي واللغة والثقافة العربية لكثرتها، لكن يمكن ذكر نماذج عنها مثل: زوايا جبال البيبان وما جاورها، وزوايا جبال جرجرة وحوض الصومام<sup>(3)</sup>.

ومن هذا المنطلق نجد أن ابن باديس كان يعرض أفكاره الإصلاحية على أصحاب الزوايا، ويدعوهم للوقوف إلى جانب حركته، وقد وفق إلى حد كبير بانضمام الكثير من شيوخ الزوايا إلى الجمعية، من أمثال الشيخ عبد العزيز بن الهاشمي في وادي سوف، الذي ناصر الجمعية وكانت زاويته مركز النشاط الإصلاحي خلال تلك المرحلة<sup>(4)</sup>.

### **المطلب الرابع: تأسيس النوادي.**

النوادي هي ذلك الوسيط بين المدرسة والجامع، وقد وجهت الجمعية عنايتها بهذه الهياكل لإستقطاب الشباب الجزائريين بهدف تربيتهم وتهذيبهم وتنظيمهم في منظمات كشفية وجمعيات رياضية وفنية وثقافية متنوعة، قصد المساهمة في ربط العلاقات الإجتماعية والوطنية والعربية والإسلامية<sup>(5)</sup>، فاستغل علماء الجمعية النوادي بغرض التعاون في تبادل الآراء، والأفكار، والمعارف، فهذه النوادي على انتشارها صارت ضرورية اجتماعية في الغرب، وباتت تعد من دور الثقافة ومعاهد نشر العلوم والمعارف، فإن أدارتها الأيادي الشريفة ووضعتها لتبليغ الدين وتلقي العلوم بعقد المحاضرات في أوقات فراغ العمال وأرباب الأشغال اليومية، وتقديم دروس ومسامرات التي أصبحت من الأمور الواجب على المسلمين وعلمائهم وزعمائهم وأغنيائهم أن ينشأوها في كل مختلف أنحاء الوطن لخدمة الإسلام بعيدا عن الحرمات، كما يمكن أن تعد هذه النوادي كمدارس إبتدائية تجهز تلاميذها من العامة التي تحضر لمحاضراتها ومسامراتها، العامة بالدعوة للإسلام، وأخلاقه، وفضائله، وتراجم رجاله ما يبعث العمل في النفوس<sup>(6)</sup>.

لم يغفل ابن باديس عن دور النوادي في التواصل مع الجماهير الشعبية، لكونها أماكن يلتقي فيها الناس لتبادل الأفكار وطرح القضايا والأنشغالات الوطنية، وبرمجة المحاضرات والحوارات المفتوحة مع رجال السياسة والفكر، وما لها من

(1) - رابح تركي، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر، المرجع السابق، ص 347.

(2) - نفسه، ص ص 348-349.

(3) - علي بن محمد بن زينب، المرجع السابق، ص ص 273-274.

(4) - عقيلة حسين، المرجع السابق، ص ص 184-185.

(5) - رابح تركي، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية (1931-1956) ورؤسائها الثلاثة، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2004،

ص ص 107-108.

(6) - أحمد الرفاعي الشرقي، المرجع السابق، ص ص 85-86.

دور في ترقية الوعي الديني والسياسي، للطلبة والشباب، خصوصا في المناسبات الدينية والوطنية، بالإضافة إلى دورها في دعم المدارس الحرة عبر الإعلانات<sup>(1)</sup>.

فالنوادي جاءت لدعم الجهود التي تقوم بها المساجد والمدارس في المدن والقرى، لتربية الشباب خلقيا ودينيا ووطنيا، فكان إنشاء الأندية أمرا ضروريا<sup>(2)</sup>، لذلك اهتم علماء الجمعية بتأسيس مجموعة من النوادي تهتم بالثقافة ونشر الوعي وسط الجزائريين<sup>(3)</sup>، لأن الأمة التي تقف في وجه الدهر هي الأمة الإجتماعية ذات المظاهر القومية والصبغة الوطنية والشعار القومي، ولتكريس هذه الدعائم تحتاج الأمة إلى مقر يلتقي فيه أفرادها ليستمدوا منه حياتها، ويجددوا مظاهرها ما يمنحها الإستمرارية في العالم، والإسلام يدعو الأمة الإسلامية لأن تكون في طليعة الأمم بالعلم، لذلك كان هدف الجمعية من تأسيس النوادي على مبادئ الإصلاح وتعميرها بالمحاضرات العلمية التي تتناول أصول الإسلام بالشرح والإيضاح ودفع المفتريات ورد البهتان وإظهار الإسلام على حقيقته عكس ما يروج له في الشوارع والأسواق من الأعمال التي يقوم بها غير المطلع تعالم الإسلام، لهذا ألحت الجمعية على تأسيس النوادي العلمية وتوظيف علماء الدين لهداية الناس<sup>(4)</sup>، لأن هناك طائفة عظيمة من شباب الأمة الجزائرية لا تستطيع الجمعية الوصول إليها لتبليغها دعوة الدين والعلم إلا عن طريق النوادي<sup>(5)</sup>، ومن أهم النوادي التي وظفتها الجمعية لخدمة النشاط الإصلاحي نجد:

- نادي صالح باي: الذي شهد عدة محاضرات ومناقشات كانت تلقى على الدوام بين العلماء والمثقفين.  
- نادي الترقى: الذي كان مقر إجتماع علماء الإصلاح بالعاصمة إلى غاية تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في 05 ماي 1931م، وهي المناسبة التي جمعت 72 عالما من مختلف أنحاء البلاد، وحد بينهم الإسلام وشملتهم الجزائر جميعا<sup>(6)</sup>، واعتبره ابن باديس عاصمة النوادي، لمساهمته في إنشاء الكثير من التنظيمات الوطنية، وإيقاظ الأمة<sup>(7)</sup>.  
ويجدر الذكر هنا أن هذه هي الوسائل التي اعتمدها رجال الإصلاح عند الجمعية لتحقيق أهدافهم في الحفاظ على الهوية الوطنية تدعمت بطرق مكملتها نلخصها في النقاط التالية حسب ما أشار إليه الشيخ العربي التبسي:  
- على قدر العمل بالأسباب يكون الفوز بالمقاصد سواء دينية أو دنيوية، لذلك وجب على القائمين بالإصلاح في الأمة الجزائرية أن يسيروا على هذا المبدأ عملا وليس إعتقادا فقط.

- كل مبدأ لا يقوم على الجماعة هو مبدأ زائل كما زالت الشعوب البائدة، لأن توحيد القوى لغاية واحدة أصبح في الحياة المعاصرة من الضروريات لنجاح الأفكار وتحقيق المشاريع، فعلى قدر تشبع الأمة بعقلية التعاون تعلو الأمة.

(1)-علي محمد الصلاحي، المرجع السابق، ص 392-393.

(2)-عنتر رضاني، جهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في النهضة باللغة العربية وآدابها في الجزائر، شركة الأصالة، الجزائر، 2022، ص 73-74.

(3)-عقيلة حسين، المرجع السابق، ص 186.

(4)-أحمد الرفاعي الشرقي، المرجع السابق، ص 86-87.

(5)-آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج 03، المصدر السابق، ص 51.

(6)-عبد الحميد زوزو، الثقافة والتعليم الحر والرسمي في العهد الفرنسي، المرجع السابق، ص 75.

(7)-عنتر رضاني، المرجع السابق، ص 74.

-الإسلام دين غذاء العلم.

- الأجيال الحالية هي التي تستمد منها الأجيال الآتية حياتها الإسلامية العربية التاريخية لذلك عليهم سن السنن الحسنة التي تمكن الأجيال القادمة من النشأة على أسس صحيحة متوارثة وأولها التعاون والتنظيم، لأنه السبيل لخدمة الدين الإسلامي وإعادة اللغة العربية ثوبها الجديد ولأمة أخلاقها الإسلامية، ودورها في التواصل بالأمكن العامة كبيوت الله<sup>(1)</sup>.

ساهمت المؤسسات العلمية والدينية والنوادي الثقافية في نهضة المجتمع الجزائري خصوصاً في الحواضر الكبرى مثل قسنطينة والعاصمة وتلمسان. فالجامع الأخضر وجامع سيدي قموش ومدرسة التربية والتعليم أو المعهد الباديسي بعاصمة النهضة الجزائرية قسنطينة، مدينة العلم والثقافة التي ضمت عدد كبير من المدارس والنوادي العلمية والدينية في الدفع بنشاط جمعية العلماء سواء قبل إنشائها أو بعد التأسيس، حيث عرفت قسنطينة في جوان من عام 1938م احتفالاً ضخماً بمناسبة ختم ابن باديس لتفسير القرآن الكريم، حضره الجزائريون من مختلف أنحاء الوطن لمشاركة القسنطينيين فرحتهم العلمية والدينية والثقافية وهو ما أغضب الإدارة الإستعمارية<sup>(2)</sup>.

(1)-أحمد الرفاعي الشرفي، المرجع السابق، ص ص 81-83.

(2) -عبد الحميد زوزو، الثقافة والتعليم الحر والرسامي في العهد الإستعماري، المرجع السابق، ص 77.

# الفصل الثالث

## مرتكزات الهوية الوطنية عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

المبحث الأول: السياسة الفرنسية الهادفة لطمس عناصر الهوية الوطنية.

المبحث الثاني: السياق التاريخي لظهور مسألة الهوية الوطنية في الجزائر.

المبحث الثالث: خطة الجمعية لإحياء الهوية الوطنية من خلال قانونها الأساسي.

المبحث الرابع: عناصر الهوية الوطنية عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.



نتناول في هذا الفصل الهدف الرئيسي الذي ناضلت من أجله جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وسعيها لإحياء مقومات الشخصية الوطنية التي حاول الإستعمار الفرنسي طمسها منذ دخوله البلاد، وتظهر حنكة عبد الحميد بن باديس في كونه كان من الشخصيات الأولى التي أدركت بنفاذ بصيرتها وعمق نظرتها أن تحرير الجزائر يبدأ أولاً بإصلاح الشخصية الجزائرية ثم بعث مقوماتها الوطنية من جديد، بداية باهتمامه بالإسلام الذي يعتبر المحور الجوهري في استراتيجيته لتغيير الفكر الجزائري وتحسين الأوضاع وإصلاح حال الفرد والمجتمع ككل، فهو يرى أن طريق الاستقلال يبدأ بالنهوض بالإنسان الجزائري وتفريغه من عوامل الخمول والكسل التي كرسها السياسة الاستعمارية، من أمية وجهل وإعتقادات فاسدة، وبالتالي فالاحتلال الفرنسي لم يكن ظاهرة استعمارية سياسية منفصلة عما يحيط بها من ظروف اجتماعية وثقافية، ومناخ فكري متخلف، فربط معركته ضد المستعمر بالمعركة ضد التخلف أولاً، للوصول إلى المعركة النهائية وهي الثورة ضد هذا المستعمر.

وبناء على هذا فإن الهدف الذي اشتغل عليه ابن باديس وعلماء الجمعية واستنفذ منهم وقتاً طويلاً هو "ذات الإنسان"، لأن الإنسان أساس التغيير ومحور الإصلاح في المجتمع الجزائري، لذلك عملوا على نشر الوعي الفكري والاجتماعي والعائدي والروحي في الإنسان الجزائري، تمهيداً لإحياء مقوماته الوطنية المتميزة في فترة الثلاثينات، لكن من أجل فهم السياق التاريخي لظهور مسألة إحياء الهوية الوطنية في الجزائر خلال هذه الفترة، وإدراك كيفية تجسيد علماء الجمعية لأفكارهم الإصلاحية لتحقيق أهدافهم الوطنية، كان لابد من الإحاطة بمختلف المشاريع الاستعمارية التي انتهجتها الإدارة الفرنسية لطمس الهوية الجزائرية، وإبراز خصائص ومكونات الهوية الوطنية من المنظور الفكري لعلماء الجمعية، وإنطلاقاً من القانون الأساسي لها.

### المبحث الأول: السياسة الفرنسية الهادفة لطمس الهوية الوطنية.

إن المتتبع لتاريخ الجزائر منذ بداية الغزو الفرنسي لها سنة 1830م، يلاحظ طول مدة الاحتلال وما تخللها من أحداث كثيرة اتسمت بالعنف العسكري ضد الجزائريين، وتطبيق سياسات استعمارية اعتبرت من أخطر أنواع الاحتلال، نظراً لاستهدافها الإنسان والأرض معاً، حتى أن المؤرخين أطلقوا على هذه المرحلة بالمرحلة السوداء من تاريخ الجزائر لبشاعة ما ارتكب فيها من عنف ضد أهالي البلاد الذين رفضوا الرضوخ للاحتلال من جهة، ولضخامة ما أصدر في حقهم من قوانين ومراسيم وصلت حد إبادة من على الوجود من جهة أخرى.

وضعت فرنسا العديد من المشاريع والمخططات الاستعمارية ذات الأبعاد الثقافية وأرسلت عدد كبير من البعثات العلمية والدينية إلى الجزائر تحت ذريعة "المهمة التمدينية"، وهو ما روج له ظاهرياً، لكن في حقيقته كان يخفي أهدافاً استيطانية ذات غايات اقتصادية واجتماعية وسياسية ودينية تنتهي بالحقاق الجزائر أرضاً وشعباً بالتراب الفرنسي، بعد إلغاء كيان الأمة الجزائرية وطمس مقومات هويتها التاريخية، وفصلها عن محيطها العربي الإسلامي، وربطها بالكيان الفرنسي، والسؤال الذي يطرحه نفسه هنا: ما هي هذه المشاريع التي طبقتها فرنسا لتحقيق أهدافها في الجزائر؟ وهل كانت هذه المشاريع هي السبب في إطالة فترة الاحتلال الفرنسي في البلاد؟ وإلى أي مدى استطاعت فرنسا تحقيق أهدافها الاستعمارية عامة وهدف طمس الهوية الجزائرية خاصة من خلال هذه المشاريع؟

يمكن حصر المشاريع الإستعمارية الفرنسية نحو الهوية الوطنية الجزائرية فيما يلي<sup>(1)</sup>:

-مشاريع الإلحاق والإدماج.

-التجنيس المشروط بالتخلي عن الأحوال الشخصية الإسلامية الجزائرية.

-مرسوم الملك الفرنسي لويس فليب في 22 جويلية 1834م، الذي نص على أن تكون الجزائر جزء لا يتجزأ من الممتلكات الفرنسية، وأنشأ منصب الحاكم العام العسكري تحت إشراف وزارة الحرب.

-دستور 1888م الذي نص على إلحاق الجزائر بفرنسا وإعتبارها جزءا لا يتجزأ من الأراضي الفرنسية وتحول الجزائريين على إثر هذا القانون إجباريا إلى رعايا أو أهالي كما سمّتهم الإدارة الإستعمارية.

-تغذية الروح الصليبية للإستعمار عن طريق تشويه المعالم والرموز والمقدسات الدينية.

-سياسة التجهيل وشن حرب على اللغة العربية وحصر تعليمها في حفظ القرآن دون تفسير معناه.

-بناء المدارس الفرنسية التي كان لها دور كبير في تقسيم المجتمع الجزائري بين ثقافتين بسبب مناهج التعليم الفرنسية الموجهة للأهالي التي سعت لنشر لغة المستعمر وثقافته الغربية.

-قانون شوتان 1918م الذي صنف اللغة العربية لغة أجنبية ومعاقبة كل من يحاول تعليمها.

-تصنيف اللهجات البربرية في الجزائر لغات وطنية على نفس المستوى مع اللغة العربية.

وسنحاول هنا التفصيل في مضمون أبرز أفكار هذه المشاريع الإستعمارية منذ دخول الاحتلال الفرنسي للجزائر، لمعرفة أبعادها السلبية على الشخصية الجزائرية:

### المطلب الأول: توظيف الأنثروبولوجيا لترسيخ الفكر الإستعماري.

بعد دخول الفرنسيين إلى الجزائر استهلوا سياستهم باتباع أسلوب المراوغة للهيمنة على البلاد وما فيها، عن طريق تقديم وعود كاذبة للسكان، صورتهم كمنقذين للأهالي وتحريرهم من سيطرة العثمانيين، وهي الأفكار التي تضمنها البيان الذي صيغ باللغة العربية وتم توزيعه على سكان العاصمة الجزائرية عشية الغزو بقيادة قائد الحملة الفرنسية الكونت "دي بورمون"، وقد إدعى في البيان أن الحملة لا تتعدى أن تكون تأديبية للداي، ولن يتم المساس بممتلكات الجزائريين ولا أعراضهم، كما وعد بإبقاء البلاد تحت حكم الجزائريين، والتزم باحترام المقدسات الدينية وأماكن العبادة، وأوهم الأهالي بتخليصهم من الطغيان العثماني.

ومن خلال بنود معاهدة الإستسلام التي وقعها الداي حسين مع "دي بورمون" في 5 جويلية 1830م نجد أنها احتوت على عدة مواد إلتم فيها الطرف الفرنسي بالحفاظ على المقومات الوطنية للأمة الجزائرية وعدم التعدي على الرموز المكونة لشخصيتها العربية الإسلامية، ومواد المعاهدة تبين لنا المكر الإستعماري للفرنسيين في مخادعة الجزائريين لضمان موافقتهم على توقيع المعاهدة وقبول الرضوخ للاحتلال دون مقاومته من خلال التركيز على المقوم الديني نظرا لتقديس الجزائريين له. حيث نصت المادة الأولى على<sup>(2)</sup>:

(1) -أحمد بروال ويوسف مقارمة، المرجع السابق، ص715.

(2) -أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1930م، ج2، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ط2، 1977، ص14.

- حرية العمل بالدين الإسلامي.

- ضمان حرية جميع الطبقات والأديان.

- احترام كامل للمرأة الجزائرية.

كما أن المادة الثانية من المعاهدة أضافت إلى جملة الالتزامات الهوياتية التي تعهدت بها:

- احترام التقاليد الجزائرية، واحترام المساجد التي لن يدخلها الفرنسيون.

إن القارئ لهذه البنود يستنتج مدى بعد التخطيط الإستعماري وما بذله من جهود واستغرقه من وقت في إجراء دراسة متعمقة للذهنية الجزائرية فكريا وتاريخيا ودينيا وعقائديا واجتماعيا وثقافيا من أجل إنجاح مشروع الاحتلال، وإخضاع هذا الشعب بمختلف الوسائل والطرق، فتركيزهم على الدين واللغة والتقاليد ومستوى الحضارة جعلهم يباشرون تطبيق سياستهم بناء على خلفية علمية مدروسة وموجهة مسبقا ومضبوطة الأهداف والأبعاد المطلوب تحقيقها، وفي مقدمتها الهدف الأساسي المتعلق بالقضاء على الكيان الجزائري وطمس مرتكزات الهوية الوطنية لسكانه، ويظهر لنا هذا الهدف جليا بعد ما قام به الفرنسيون من نقض لبنود معاهدة الاستسلام، وبدأ تطبيق المشاريع الإستعمارية الجهنمية لإبادة السكان، ونهب أرزاقهم، وإقتلاعهم من أرضهم، وتهجيرهم من موطن أجدادهم، وتشيتيتهم بالإبعاد والنفي، وتجهيل أبنائهم، لمحو معالم تاريخهم.

**أولا- الأنثروبولوجيا مصدر لتجسيد نظرية الاحتلال:** تم توظيف البحوث الأنثروبولوجية لتسهيل عمليات الغزو الفرنسي والإحتراق الجغرافي والإحتواء الثقافي، وتثبيت دعائم الاستعمار، ويعتبر الباحث الميداني "مارنيسكي" أول من حدد المهمة الثقافية للأنثروبولوجيا وجعلها سلاح معرفي، لمواجهة الثقافات المجهولة<sup>(1)</sup>، وهو نفس الفكر الذي اتبعه عالم الاجتماع اليهودي الفرنسي "إيميل دوركايم" الذي حصر صورة الحضارة في المرجعية الغربية كقوة دمج حضاري لجميع الثقافات: "إننا لا نتصور أن أمما أخرى تستطيع تحقيق تطورها من دون مساعدة الحضارات الغربية، يتوجب علينا التعريف بحضاراتنا ونشرها وتوصيل قيمها إلى رعايانا الجدد"<sup>(2)</sup>.

فمن أجل شرعنة الاحتلال وتحقيق أهدافه جندت المعارف الأنثروبولوجية لخدمة الإستعمار المهيمن على الشعوب، وحسب رأي "جاك بيرك"<sup>(3)</sup> الإستعمار ينطلق من فكرة "إمبريالية النظام الغربي ووجدانية الوعي الحضاري وشمولية نموذج التسيير"<sup>(4)</sup>، حيث أكد أن الحرب في الجزائر لم تكن حربا سوسيولوجية فقط، بل كانت حرب تحليل نفسية

(1)-Leclerc Gérard, *Anthropologie et colonialisme « essai sur l'histoire de l'africanisme*, Fayard, Paris, 1972, p 58.

(2)- Ibid, p 60.

(3)- مؤرخ عالم أنثروبولوجيا وإجتماع، فرنسي الجنسية جزائري المولد في العصر الكولونيالي، وجه انتقادات للاحتلال الفرنسي، في البداية لم يكن يود أن يكون في صف فرنسا الاستعمارية وفي نفس الوقت لم يكن قادرا على أن يكون في صف القضية الجزائرية، لكن قناعاته تغيرت لاحقا بمناهضته للإستعمار بكل أشكاله ومطالبته بإزالته. يُنظر: عامر صلاح طهوب، *جدلية الاستشراق والذهن الاستعماري بين بيرك وكامو* "مقارنة بحثية واستقصاء ميداني"، مركز الخليج للأبحاث، مختبر الحوار الخليجي، سبتمبر 2024، ص 10.

(4)- محمد الطيبي، الجزائر عشية الغزو الإحتلالي، المرجع السابق، ص 215.

لتأكيد اللاشعور المبتور<sup>(1)</sup>، وبالتالي فالحركة الإستعمارية كانت بحاجة إلى البحث لدعم هيمنتها ومعرفة السبل الكفيلة للمحافظة على هذه الهيمنة، بعد إدراك الإستعمار أن حكم الأهالي لن يتم إلا بمعرفة لغاتهم، وعاداتهم، وتقاليدهم وأخلاقهم لإخضاعها للسيطرة<sup>(2)</sup>.

ولكون البحث في الوعي الوجداني هو من المصادر المرجعية للمعارف الأنثروبولوجية، تم التمهيد لهذا الأمر من قبل عدة باحثين من بينهم "مورغو و تايلور" ما بين 1860-1880م، وهي مرحلة مهمة في تاريخ الجزائر، كرس فيها "حزب الكولون" سياسة الإحتواء بزيادة وتيرة النهب والتشريد والانتفاضات المحلية، فالإستعمار في نظر المعرفة الأنثروبولوجية هو ظاهرة تجريبية، والعلاقة بينهما متبادلة، فالواقع الإحتلالي منحها ميدانا لتشديد نظرياتها، فيما سعت لجعله بالمقابل مقبولا لدى الجماعات المحتلة أرضها والمسلوقة هويتها<sup>(3)</sup>، وفي حالة الجزائر كان هناك تاريخ طويل من الاحتكاك صنع في ذهنيات الإستعمار وتراثه صورا أرادوها عن الجزائر<sup>(4)</sup>.

وفقا لهذا المنظور حاول الفرنسيون لاحقا تغيير الذهنية الجزائرية وفق تصورهم الأنثروبولوجي، تحت ما يسمى بالوجود الفرنسي الذي ينجح إلى الوعي بمشروعية الإحتلال وأحقية استمراريته من منطلق كولونيالي تميز بعنفه، إلا أن جاك بيرك نفسه أقر بفشل هذه الفكرة في المستعمرات المغاربية والجزائر خاصة، كون الواقع الكولونيالي الذي لطالما برر مشروعيته الفرنسيون بغلوهم الدائم والذي لم يقتصر فقط على إستغلال الشعوب، بل سعى لبلوغ الذروة وما تعنيه من قوة السيطرة على ذهنيات الشعوب المستعمرة، لكن هذه الذروة مغلوطة، فمرور مائة سنة من إحتلال الجزائر لم يظهر غزوا للعقول، بقدر ما أظهر محافظة الأهالي الجزائريين على إستقلالية شخصيتهم رغم إبعاد أصحاب الأفكار التنويرية<sup>(5)</sup>.

**ثانيا- مشروع الجزائر الجديدة وهويتها الكولونيالية " Les algérianistes "**: هو تيار إيديولوجي أسس لمشروع ثقافي إستعماري متكامل المعالم، غايته صناعة هوية جديدة أو ما أصطلح عليه بـ "الجزائريين الجدد" وإلغاء هوية الجزائريين الأصليين، وقد تمكنت نخبة "الجزائريين الجدد Les algérianistes" ومن صار في ركبها من تأسيس مكتبه وطنية متكاملة المعالم، تصون مقومات الهوية الجديدة وتسوق "انجازاتها الحضارية"، ويمكن استخلاص حجم الانتاج الثقافي من مجموع المعطيات الخاصة بهذه "المكتبة الوطنية"، التي كانت بداية لمشروع هوية لا تقف عند باب الثقافة، وإنما كانت تمهد لفتح باب السياسة والاستقلال<sup>(6)</sup> بالجزائر عن فرنسا الأم، وتوزعت الانتاجات الفكرية لهذه المكتبة وفق عدة ميادين (يُنظر الملاحق: جدول رقم 01)، حيث نلاحظ أن كمية الإنتاج الثقافي في الميادين المتعلقة بتكريس الهوية الاستعمارية

(1)- محمد اليقاني، فلسفة الحضارة عند جاك بيرك، ط01، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، برلين، ألمانيا، 2024، ص 167.

(2)- محمد أوقيدي، المرجع السابق، ص 230.

(3)- Leclerc Gérard, op cit, p 38.

(4)- محمد الطيبي، الجزائر عشية الغزو الإحتلالي، المرجع السابق، ص 216.

(5)- عادل المساتيبي، سوسيولوجية الدولة بالمغرب "إسهام جاك بيرك"، تقدم أحمد بوجداد، مطبعة النجاح الجديدة، دون بلد نشر، 2010، ص 126.

(6)- طالب "جوزيف فوليات" في كتابه "حق الاستعمار" الذي أصدره سنة 1933م من فرنسا الرسمية، توفير جميع الإمكانات والوسائل والشروط اللازمة لتحقيق استقلال المستعمرة الجزائرية تمهيدا لاستغنائها عن فرنسا.

في الجزائر وفي مقدمتها التاريخ بمختلف فتراته العام والوسيط والحديث والمعاصر كانت كبيرة، حيث بلغت كمية الإنتاج 779، بالإضافة إلى ميدان العادات والتقاليد بمعدل 79 من الإنتاج.

أرست نخبة المعمرين بنية ثقافية منفردة، استثمرت فيها المرجعيات الثلاث اللاتينية والمسيحية والفرنسية، وانتهت إلى بلورة هوية كولونيالية جديدة تتميز عن الهوية الفرنسية الأم، وتلغي من فكرها الثقافة الأصلية للسكان الجزائريين، وتأصل لمنطق تمايز أقلية غير قابلة للتفاعل والتشاقف مع غيرها من الثقافات وبخاصة التراث الجزائري الحاضر ماديا ومعنويا، ما انجر عنه انتاج ثقافة العنصرية والإنعزالية الباحثة عن إلغاء خصوصيتها، وظهور مجتمع مركب من كتلتين غير قابلتين للتفاهم، وبالتالي هويتان غير قابلتين للتعايش والتبادل، ولغة التفاهم الوحيدة بينهما هي القوة لقمع المادي أو الرمزي<sup>(1)</sup>.

ويعتبر الاندماج من أهم الأفكار التي روجت لها الحركة الأدبية والفلسفية لتيار الجزائر منذ 1920م بعد إنتشار فكرة الانفصال لدى المستوطنين بدعم من مثقفين ونخب وسياسيين<sup>(2)</sup>، إلا أنها وجدت معارضة من قبل المثبتين بالهوية الكولونيالية، الذين ازدادوا قوة وتأثيرا ليس في بناء رأي عام إحتلالي فرنسي يخص مصير المستعمرة فقط، بل حتى في اتخاذ القرار السياسي في فرنسا نفسها. ما سمح لهم بتوسيع المؤسسات الثقافية في الجزائر وتنويعها لتضاهي المؤسسات الرسمية الفرنسية، كجامعة الجزائر والمدرسة الأدبية والبحوث المتحفية، والسينما التي دخلت في صناعة صورة المستعمر، والتسويق لانجازاته وتأكيد انتصاراته وتحقيق المقاصد الأيديولوجية خلال القرن العشرين، مع اكتمال البنية الاجتماعية الكولونيالية بضمها لمختلف شرائح المعمرين، وتم الاستعانة بشعارات جديدة كـ "الشعب الجديد" و "العرق الجديد" من أجل الترسخ لأسس هوية جديدة دينا ولغة وتاريخا، تستلهم من روح الحضارة الغربية، وتتوسع قاعدتها لتؤسس لوطنية جزائرية بديلة جديدة في مقوماتها ومرجعية حضارتها عن الوطنية الجزائرية التي طمست في الماضي ولا أثر تاريخي لها<sup>(3)</sup>.

ظهرت النزعة الانفصالية عند أوروبيي الجزائر سعى التيار الجزائري إلى بناء وطن صغير شبيه بمقاطعة فرنسية، فحسب زعمهم مثلما يوجد نورمانديون وألزاسيون وبروطون يوجد أيضا جزائريون<sup>(4)</sup>، تجسيدا لوطن رمزي للشعب الجزائري الجديد حسب فكرهم، الذي سمي لاحقا بالأقدام السوداء من دعائه موزيت إدموند بروا وألبار كامو<sup>(5)</sup>، وحدد "لويسبارتو Louis Bertrand" مهمة الأدب الجزائري في ترسيخ الفكر الانتصاري الذي لا بد أن يتحكم في طبيعة الصراع على الأرض بين المستعمر والمستعمّر، فالأرض يجب أن تكون وطن المعمرين وحدهم، ويكونوا مستعدون للدفاع عنه والإحتفاظ به طول الزمن<sup>(6)</sup>، وسار خليفته "راندو Randeau" على نفس النهج في تحميل الأديب الجزائري دور المسوق للجزائر الجديدة، ينشر فيها قيم الحضارات المنتصرة بتصريحه: "إن وجودنا في المستعمرة يكتسب شرعيته من تفوق

(1)- محمد الطيبي، الجزائر عشية الغزو الإحتلالي، المرجع السابق، ص 224-225.

(2)- زباني فاتح، الواقع الاجتماعي والثقافي للمستوطنين الأوروبيين في الجزائر (1871-1945) وأثره على الأهالي المسلمين، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 2021/2020، ص 253.

(3)- محمد الطيبي، الجزائر عشية الغزو الإحتلالي، المرجع السابق، ص 222-226.

(4)- نفسه، ص 222.

(5)- زباني فاتح، المرجع السابق، ص 266.

(6)- Charles Rober Ageron, *France colonial ou parti colonial*, PUF, France, 1978, p38.

ثقافتنا وحضارتنا، وواجبنا الأول هو أن نتصرف كأناس متحضرين متفوقين أخلاقيا على الشعوب التي أخضعناها، إننا ذهبنا إلى المستعمرات ليس فقط كفاتحين، بل وأيضا كمربين، والمربي يجب عليه أن يفكر قبل كل شيء في مصلحة تلاميذته" <sup>(1)</sup>، و"راندو" هو أكثر الكتاب تشبهاً بإنجازات المعمرين، فلقد مجد بطولاتهم وأظهر شجاعتهم وأثنى على صبرهم ومثابرتهم من أجل تحقيق المشروع الإحتلالي، على خلاف رأي الكاتب "شارل كورتان Charles Cortin"، الذي عايش التوسع الإحتلالي، وبالرغم من نشوة الانتصار وفكر الافتخار ومنح الثقة، إلا أنه أبدى تحوفا لم يكذبه التاريخ ورفع شعار "الأرض في خطر" <sup>(2)</sup>.

### المطلب الثاني: توظيف الإرث والمرجعية الرومانية لشرعنة الإحتلال.

عبر أحد الباحثين عن الحضارة الغربية قائلا: "إن الحضارة الغربية تنبثق من عقائد الغرب ونفسيته وتوجهاته وتاريخه، وتعبر عنها، وتعمل لتحقيقها" <sup>(3)</sup>، وقد دعم دعاة الغزو الفكري المسيحيين من أجل ترسيخ فكرة تحقيق النهضة في الأمم المستعمرة خاصة المسلمة، من منطلق الحضارة الغربية حيث رأوا أنه: "حين ينسلخ المسلمون انسلخا كاملا من كل مقومات دينهم وعالم التصور وعالم السلوك في الأفكار والأخلاق والنظم والعادات فلن يبقى لهم من شخصيتهم المتميزة شيء، ولن يبقى لهم من القدرة على المقاومة، ويتم إخضاعهم لعامل العبودية وهو أفعال بكثير وأدوم من عامل القهر العسكري الذي لجأ إليه الاستعمار في بادئ الأمر" <sup>(4)</sup>، وهو ما بينه عدم إحترام فرنسا لمعاهدة الإستسلام، سواء فيما يخص الأرض أو العرض أو المتاع، فتتكر فرنسا بدى واضحا من خلال نقضها لبنود المعاهدة، واستباحتها لمدينة الجزائر ثلاثة أيام تنهب وتسلب حتى يستكين الشعب لسلطة الإحتلال، بعد أن يرى بأم عينيه الترويع والتخويف بأساليب وحشية <sup>(5)</sup>.

ونتج عن الإيديولوجية الاستعمارية المطبقة في الجزائر تركيب صورة مفزعة ومخيفة عن هذا الفضاء، تميزت في مجملها بالفوضى والفراغ ضمن إطار من البدائية التاريخية، والدخول إلى هذه المنطقة ما هو إلا انغماس في القდسم المنعزل والتخلف الفكري للشعب، من هنا كان الاستعمار في نظر هذه الإيديولوجية بمثابة آلية لتغيير هذا الواقع، وهي الذريعة التي وظفت لشرعنة الإحتلال انطلاقا من فوضوية المراحل التاريخية التي مرت على المنطقة، لهذا فالشرعية هنا اعتمدت على روابط تاريخية اعتبرت هذا الفضاء امتدادا للتواجد الروماني، وفترة الفتوحات الإسلامية إلى غاية القرن 19 و 20 بمثابة فراغ

(1)-Talbi Sadia Azzoug, L'algerianisme et l'appropriation des terres de 1898-1930, Thèse de Diplôme d'Études Supérieures, Université Alger 3, institut des sciences politique, Algérie, 1975, pp 67-87.

(2)-يقول أحد شخوص راندو في رواية "المعمرون": "أرضي، أرضي. من أجلها سال دمي وأنا الذي يضمّد جراحها بالقمح والعنب، لست تاجرا إنجليزيا ولست جنديا ألمانيا هل تسمع".

(3)-أحمد عبد الحميد أبو سليمان، أزمة العقل المسلم، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ط2، 1992، ص 204.

(4)-محمد قطب، واقفنا المعاصر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، ط 01، 1989، ص 345.

(5)-مصطفى عبيد، الفكر الاستعماري السانسيوني في مصر والجزائر (1870-1833م)، دار المعرفة الدولية، الجزائر، 2013، ص 72.



حضاري، وبالتالي فحسبهم لهم الشرعية التاريخية في أسبقية التواجد والعطاء الحضاري والتعايش مع العنصر المحلي، لذا ففصل الطرح الإيديولوجي الاستعماري قائم على فكرة "عدنا إلى أرض أجدادنا الرومان الأوائل"<sup>(1)</sup>.

لقد وظف الاستعمار الفرنسي مجهودا حريا كبيرا للاستحواذ على الأرض الجزائرية، وتحويلها إلى قاعدة خلفية لتجسيد مشاريع التوسع في عمق فضاءات أبعد عن طريق التغلغل في المفاصل التاريخية القائمة على المحاور الترابية والبشرية، انطلاقا من أفكار فلسفية ودراسات لمخابر أنثروبولوجية واجتماعية، كما أن التوسع في عمق التراب الجزائري بعقيدته التاريخية وثروته الاقتصادية الهائلة، فرض على الآلة العسكرية التوسعية الاصطدام بالمقاومة الكولونيالية<sup>(2)</sup> من أجل السيطرة على الجغرافيا الطبيعية لهذا الوطن سنوات طويلة.

وتبرز ملامح الهيمنة الإستعمارية والرغبة الجارحة في السيطرة على الفضاء والقضاء على العنصر الجزائري بهويته المتأصلة فيه منذ القدم. من خلال النظرة الدونية للعرق الجزائري وقيامها على فكرة التصفية الجماعية للسكان في الشمال من جهة، ومباشرة حملات التوغل في المجالات الصحراوية من جهة أخرى، تحت ذريعة الرحلات العلمية والاستكشافية، بحكم اختلاف الفضاء مورفولوجيا عن أوروبا، وما يحويه من هوية لدار الإسلام، فعمد المحتل إلى محاولة الهيمنة على الفضاء الجنوبي عن طريق اللجوء إلى توظيف المشيخة والطرق الصوفية وترويض شيوخ الجماعات القبلية، بالإضافة للتحكم في مراكز المياه والطرق الرئيسية<sup>(3)</sup>، لتلعب الأطراف المحلية المروضة دورا في مساعدة فرنسا على إدارة المستعمرة الجزائرية التي تحكمها عسكريا<sup>(4)</sup>، لكن رغم خطور هذه السياسة إلا أن الفضاء الجنوبي بقي محافظا على إنتمائه الوطني، وهي ما يثبتها رفض سكان الجنوب لجميع التقسيمات الاستعمارية لفصل هذا الفضاء عن التراب الجزائري.

ورغم أن فرنسا عملت على تبرئة حملتها على الجزائر من أي سبب ديني لكون العسكريين هم من كانوا يتولون تنفيذ المهام الدينية إلى غاية إنشاء أسقفية الجزائر سنة 1838م<sup>(5)</sup>، إلا أن الاستعمار كان يدرك إدراكا واضحا منذ بداية الاحتلال، أن النفاذ إلى العمق الجزائري لن يتجسد له إلا عبر "المفتاح السماوي"، وهو الدين الإسلامي الذي يشكل ركيزة عقيدة المجتمع الجزائري ومرجع هويته، لذا عمد إلى الاستعانة بـ "ليون روش"، الذي تظاهر باعتناق الإسلام وارتداء زي محلي جزائري للمتاجرة بالدين، بهدف التغلغل في عمق الذهنية الجزائرية، وكان من نتائج ذلك إنتهاج خط المقدس الاجتماعي بإتباع خط صناعه الفتوى في العالم الإسلامي، بعد اكتشاف مدى تأثيرها على الجزائريين، مستعينا بالطرق الصوفية بعد حصوله على قبول من العلماء المسلمين "للفتوى الفرنسية"، التي كانت بمثابة تنظير للاحتلال، لدورها الفعال في الحروب ذات الطابع الفكري العقائدي<sup>(6)</sup>.

(1)-توفيق بن زردة، حفريات حول السياسة الاستعمارية في الدول المغاربية، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2022، ص 49.

(2)-نفسه، ص ص 51-53.

(3)-نفسه، ص ص 54-56.

(4)-مصطفى عبيد، الفكر الاستعماري السانسيوني في مصر والجزائر (1833-1870م)، المرجع السابق، ص 73.

(5)-نفسه، ص 79.

(6)-توفيق بن زردة، المرجع السابق، ص ص 61-63.



ورغم إنتظام المجال الجغرافي سياسيًا في البلاد الجزائرية خصوصًا في شكل مجالات سلطوية متصلة اجتماعيًا اتخذت عدة تسميات محلية تبرز مدى استقلالية المنطقة لخصوصية هويتها كالعرش والوطن، والقيادة، المشيخة والقبيلة وجميعها مصطلحات تحمل معاني للإنتماء المحلي لكيان واحد، سعى للحفاظ على خصوصية الذاتية عبر الصلات الدموية، وضمن القوة الاجتماعية للتنظيم القبلي المتكيف مع البنية السياسية السائدة في المنطقة<sup>(1)</sup>، إلا أن رغبة الإستعمار في تثبيت ركائز "الجزائر الفرنسية" جعله يوظف الوسائط الاجتماعية (القبيلة) والعسكرية (المخزن) التي تعود إلى العصور الوسطى، للسيطرة العميقة دون دمجها مع بعض، ففي 1830م تم إنشاء مجموعات قتالية تم إلحاقها بوححدات للجيش الفرنسي (l'armée Afrique)، واستمر العمل بهذا النظام على نطاق واسع حتى خلال الثورة التحريرية، لإحكام القبضة على الأرض والشعب معًا، هذا بالإضافة إلى إحياء سياسة العزل الروماني للأمازيغ في شمال إفريقيا عسكرياً<sup>(2)</sup>.

وإذا كانت المجتمعات المغاربية قبل الاحتلال الفرنسي قائمة في إنتمائها على مجالات نفعية متينة الترابط والوحدة، تشكلت نتيجة الترتيبات التاريخية لتحقيق مصالح إقتصادية مشتركة ما أفرز نمطاً هوياتياً تراثياً ذو طابع حيزي<sup>(3)</sup>، يدين بدولة المجموعات لا دولة التراب، إلا أن الاحتلال الفرنسي طبق نظاماً أوروبياً دخلياً ارتكز على الحدود الترابية كأساس للدولة الحديثة<sup>(4)</sup>، التي أفرزت سياسات استعمارية قائمة على التطويق والاحتواء للمجموعات القبلية وتحويلها إلى الحدود الترابية لتخضع لسياسة الدولة على الأرض بعد القضاء على السند التاريخي للتخوم تحت منطق التفوق العسكري الذي شتت سكان المنطقة اجتماعياً وهوياتياً بين الحدود الترابية. تم إلحاق الجزائر بفرنسا من خلال تأسيس نظام إداري بمنطلقات باريسية بداية من عهد دي بورمون سنة 1830م، إلى "نيوفيل فواروال" 1834م، ثم استحدثت في 22 جويلية 1834م (Voirol Théophile) تحت منطق "الجزائر الفرنسية"<sup>(5)</sup>، فحسب وجهة النظر الكولونيالية فالمجتمعات المغاربية بما فيها الجزائر أصبحت تعيش في فوضى تاريخية منذ الفتح الإسلامي، الأمر الذي قضى على الإنتاج الحضاري الروماني وخلق أزمة مع غياب مفهوم الدولة وطابع سياسي يجمعها.

### المطلب الثالث: طمس التاريخ الوطني للجزائر.

ركز الاحتلال الفرنسي على التاريخ في مشاريعه لطمس الهوية الجزائرية عن طريق إعادة صياغة مفاهيمه، واستغل ميدان الأدب من أجل بلورة معالمه، بالاعتماد على مخيلة أدباءه الذين مجدوا هوية المستعمر، وسوقوا لبطلاته كمساهمة منهم في صنع مجد فرنسا التوسعية، وسعت بحوثهم إلى تقسيم بنية الهوية الجزائرية، وتصويرها كخليط قبلي واثني، لا روابط

(1)-نصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية "دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني"، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2000، ص257.

(2)-توفيق بن زردة، المرجع السابق، ص ص 65-66.

(3)-محمد رضوان، منازعات الحدود في العالم العربي "مقاربة سوسيو تاريخية وقانونية لمسألة الحدود العربية"، إفريقيا للشرق، بيروت، لبنان، 1999، ص 08.

(4)-فاطمة بن سليمان، الأرض والهوية "نشوء الدولة الترابية في تونس 1574-1881م"، منشورات إديسون، تونس، 2009، ص 300.

(5)-توفيق بن زردة، المرجع السابق، ص ص 69-71.

بين مقوماته، فهذه الترسانة الثقافية التي أنتجت ما بين 1830 و 1930م تكشف عن عنفوان الآلة الثقافية الفرنسية للاحتلال، وجدية مشروعه المهادف لصناعة شعب ومجتمع جديدين<sup>(1)</sup>.

وقد وظف الإستعمار الفرنسي مختلف الوسائل خصوصا الصورة لنشر ثقافته وسط الجزائريين، والتسويق لمدى التفوق الحضاري لاختضاع تفكيرهم لمنطق الغلبة، وتغيب دورهم في المشهد الثقافي، في مقابل القوة العسكرية والسياسية والدينية والثقافية التي يفرضها المستعمر على أرض الواقع، من خلال فلسفة السينما أو « عالم الكلية المتضامنة والتضامن الكلي »<sup>(2)</sup> مع غايات الإستعمار التي تدعي أن:

- عالم الأهالي كله خال من السياسة والتاريخ، وتاريخهم يبدأ مع بداية الصدام مع فرنسا.
- صياغة معالم قانونية ثقافية للوطنية الكولونيالية الجديدة "La nouvelle nationalité coloniale".
- ترسيم قانون الأهالي "Le code de l'indigenat" واتخاذ كمرجعية تشريعية في العمل، لأن الهدف الرئيسي منه هو الإلغاء النهائي للإرادة السياسية بين الجزائريين وتأطير تصرفاتهم ضمن المؤسسة السياسية الفرنسية، ويمكن تحديد الأهداف الحقيقية لهذا القانون في:
- إستمرارية وتيرة توسع الاحتلال وهيمنة المؤسسات الاستعمارية على المجتمع الجزائري.
- استغلال كل ما هو ثقافي وقانوني وتنظيمي لتوطيد سلطة الاحتلال باعتباره إنجازا تاريخيا غير قابل لفكرة التغيير ولا التراجع عنه.

- تشديد الرقابة والمتابعة لما يحدث وسط الأهالي الجزائريين سياسيا وثقافيا.
- احباط روح المقاومة لدى أصحاب الوعي من الأهالي وغلق أي أمل للعودة التاريخية، لقطع الصلة بمصادر القوة وأفكار الهوية والانتماء، وثقافة المطالبة بالحقوق<sup>(3)</sup>.

إن من يعود إلى التاريخ الحديث والمعاصر للجزائر يجد فراغا مهولا يوحي بأن الاحتلال أخرجنا من العدم، فلم تكن هناك أمة جزائرية، ولم تكن لنا دولة، لكننا كنا منذ وجدنا مجموعة من القبائل ذات الطابع الحيواني، تعيش متنافرة ومتطاحنة، فهي أرض شاغرة قابلة للإحتلال، وهذا الاحتلال كان سخيا معنا فأصبحنا بفضل أمة في طور التكوين، بعد أن مررنا بمرحلة الأهالي، وسلسلة قوانين نظمتمنا كما أشار إلى ذلك "موريس توريز" الأمين العام للحزب الشيوعي الفرنسي في خطابه الذي ألقاه عند زيارته الجزائر في 11 فيفري 1939م، وبذلك تم تهذيب الإنسان الجزائري وقولبته حتى صار بإمكانه المطالبة بالاندماج في الأمة الفرنسية، كما اعتبر الأمة الجزائرية خليط من عشرين جنسا<sup>(4)</sup>.

وكمثال على الفراغ التاريخي الذي صنعه الفرنسيون بعد إحتلالهم البلاد هو إستحداث إسم "Algérie" بالفرنسية بدل إسم الجزائر، المستوحى من إسم مدينة الجزائر في الفرنسية "Alger"، وهو ما جعل الهوية الجزائرية غير مكتملة إذ أن

(1)-محمد الطيبي، الجزائر عشية الغزو الإحتلالي "المرجع السابق، ص 221.

(2)-Megherbi Abdelghani, La paysannerie algérienne face a la colonisation « pour comprendre l'impératif historique de la révolution agraire », Editions EnAP, Alger, 1973, p69 .

(3)-محمد الطيبي، الجزائر عشية الغزو الإحتلالي، المرجع السابق، ص 235-236.

(4)-محمد العربي الزبيري، أسباب فشل نظام الحكم في إعادة بناء الدولة الجزائرية، المرجع السابق، ص 43-44.

الإنتماء إلى مدينة هو إنتماء منقوص لا يعبر عن الإنتماء القومي الهوياتي لأمة بحجم الشعب الجزائري، ولجغرافيا بحجم مساحة الجزائر الكبيرة، ومن جهة أخرى فإن المنشور الدعائي للجنرال دي بورمون الذي وزعه عشية الاحتلال لا يتضمن إشارة إلى هوية الجزائريين عدى وصفهم بالأهالي والسكان، على عكس ما نجده عند الرحالة والمؤرخين الأوروبيين قبل الاحتلال، حيث تضمنت كتاباتهم إشارات واضحة للمنطقة تحت إسم البلاد أو الدويلات البربريسكية، أو ما يسمى اليوم ببلدان المغرب، والشائع عند الأوروبيين هو العرب المسلمون<sup>(1)</sup>.

ضف لهذا فحتى ما عرف بالشائع عند الأوروبيين لا نجد له إقرارا لدى الإستعمار، فرغم ما استحدثته من مكاتب عربية لإدارة شؤون الأهالي لا نجدها تحمل في مدلولها من العربية غير إسمها الذي يعني في الأصل "الأهالي"، أكثر منه تلميحا للهوية العربية، التي بقيت مجرد أفكار إنطباعية زعم نابوليون الثالث في 17 سبتمبر 1860م إنعاشها تحت حماية فرنسا عبر مشروع مملكته العربية الممتدة من الجزائر إلى بغداد يساوي فيها بين الأهالي والأوروبيين لكن وعلى شاكلة سابقيه لم يتعدى ذلك حد تلميع صورته لدعم مركزه في أعلى هرم السلطة الفرنسية<sup>(2)</sup>.

كما أن كبار المدرسة الاستعمارية ذهبوا إلى حد إيهام القراء أن العجز الفطري لإنسان شمال إفريقيا راجع إلى الموقع الجغرافي الذي يمنع تقدمه، فـ "غوتيه" اعتبر تاريخ شمال إفريقيا قبل الاحتلال قرونا مظلمة وأن التركيبة الجغرافية لها دخل في توجيه التاريخ وإليها ينسب العجز عن تكوين دولة دائمة، ولم تحقق وحدة سياسية أبدا، وعلى نفس النهج سار "شارل أندري جوليان"، و"إدغار فور" سنة 1955، و"شارل ديغول" في ندوة صحفية بتاريخ 16 سبتمبر 1959م، وغيره من الشخصيات الثقافية والسياسية التي أنكرت وجود أمة جزائرية لها دولة عبر التاريخ<sup>(3)</sup>.

ولخدمة النزعة الإستعمارية المعادية للعرب في الجزائر، وصفت الهجرة الهلالية بالإعصار المدمر والحريق من طرف الكاتب العسكري الفرنسي إميل كاريت في أول كتاب أصدره الاحتلال حول الجزائر تحت عنوان "Exploration Scientifique de l'Algérie- الإستكشاف العلمي في الجزائر"، مدشنا بذلك الأيديولوجية الإستعمارية المعادية للوجود الإسلامي في المنطقة، التي اتسمت بعنصريتها، كما وصفت أيضا الحقبة العربية الإسلامية في الجزائر من طرف الكاتب الفرنسي "إميل فليكس غوتيه" بالعهد المظلمة، حيث رأى في كتابه "Les siècles obscurs du Maghreb" أن المنطقة المغاربية تعاني من عجز في تكوين دولة دائمة<sup>(4)</sup>.

#### المطلب الرابع: أطروحة لاتينية الأرض الجزائرية.

تزامنت النهضة الفكرية الاستعمارية في الجزائر مع انتصار حزب المعمرين، وتحقيقه لمكاسب جوهرية بالنسبة لمستقبل المستعمرة، كالاستقلالية المالية والتمثيل النيابي، وإلغاء القيود المعرقة للتوسع الإستيطاني السريع، بعد نهاية فكرة

(1)-العربي عقون، المرجع السابق، ص 05.

(2)-نفسه والصفحة.

(3)-محمد العربي الزبيري، أسباب فشل نظام الحكم في إعادة بناء الدولة الجزائرية، المرجع السابق، ص 44.

(4)-إميل فليكس غوتيه، ماضي شمال إفريقيا، ترجمة هاشم الحسيني، ط02، مؤسسة تالوت الثقافية، دون بلد نشر، 2010، ص 214. يُنظر أيضا:

عامر بغدادي، الدولة والهوية في الجزائر، المرجع السابق، ص 34.

الإمبراطورية العربية التي لم يتبقى منها سوى بعض القبائل الجزائرية، وتحول الفكر الفرنسي وآدابه إلى إشكالية صناعة المستعمر والمستعمر، كعلاقة تنافرية يجب أن تنتهي إلى تشريد المستعمر كحق للمستعمر<sup>(1)</sup>.

فالأدباء الفرنسيون في الجزائر سعى لتحقيق عدة أهداف ثقافية تخصهم تتعلق بـ:

-المساهمة في تنشيط حركة أدبيه تنبثق من صلب الوطن الجزائري، الذي هو وطنهم وحدهم لأن "الشعب الفرنسي البربري" قد شرع في صياغة استقلالية أدبية تميزه عن المدرسة الأدبية الفرنسية، فهو سعى لخلق تعابير أدبية خاصة بوطنه وتراجه وتاريخه وهويته، إنه يستقي روحه من الجذور الأدبية البربرية التي غرسها أبولي Appulé وتارتيليان Tertulien والقديس أوغستين SaintAugustin.

- تحقيق القطيعة مع النزعة السياحية الفرنسية التي وضعت صورة فلكلورية طبعت الأجواء العامة في الجزائر، مهمة الجهود التاريخية والحضارية للمعمرين الأوروبيين، الذين استصلحو البلد وأصلحو المجتمع وأعادوا بناء هويته.

-تحويل الجزائر إلى مقاطعة فرنسية، وتم تزكية الأديب "لويس بارتو Louis Bertrand" منظرًا مرجعيًا للتوجهات الفكرية لهذا التيار الأيديولوجي الكولونيالي، وتبنى أطروحة "لاتنية الجزائر" التي نادى بها "بارتو" كقيمة حضارية تغذي الروح الجديدة، وتوجه فلسفة العمل الثقافي والأدبي لجزائر المعمرين، ومن هذا المنطلق اتخذت هذه الأفكار من الأرض والاستيطان إشكالية لموضوعاتها<sup>(2)</sup>.

ومن هنا تتضح فلسفة الفكر الإستعماري في إغناء المكتبة الكولونيالية بمئات الدراسات والأبحاث والتأليف والتقارير الأثرية العاكسة لنظرتها اتجاه تاريخ وهوية الجزائر، التي تحاشت في كتابته الإشارة إلى الجزائريين باسمهم الدال على هويتهم معتبرة إياهم أهالي وأنديجان يمكن دمجهم لولا إسلامهم، متخذين من الإرث الروماني نقطة إلتقاء تاريخي بين الجزائريين والفرنسيين، على حد تعبير لافيغري: "تلنقي فرنسا والجزائر في شخص القديس أوغسطينوس"<sup>(3)</sup>.

سوقت هذه الأيديولوجيا لأهمية التوسع الاستيطاني وأكدت على البعد الديني الروماني الفرنسي للمستعمرة الجزائرية، مصورة المعمرين فاتحين، غايتهم منح المشروع الاحتلالي في الجزائر بعدا روحيا تستقي منه منابع هوية جديدة تسعى لتحقيق انتصارات مستقبلية، لذا وجب على فرنسا دعمهم في مشاريعهم، "فالذي يهم الاستعمار بعدما استولى على الأرض ليس فقط تحقيق المهام الاجتماعية للمعمرين ولا يطلب من الإنسان أن يكون نبيا وبخاصة أمام المصاعب الجمة التي تواجهه، إن استعمارنا يجب أن يكون روحيا أولا يكون"<sup>(4)</sup>.

تم الاهتمام بالأرض ليست فقط كملكه عقاريه، وإنما كرمزية للوجود والبقاء وضمان للاستمرارية مستقبلا، لذا ظهر ما اصطلح تسميته بـ "أدب الأرض"، فالأرض مثلت سند أيديولوجي لمشروع كولونيالي، ومن هنا يتضح مدى تجذر هذه الأيديولوجية وتغلغلها في هوية المعمرين، ولنا أن نتصور مدى الانتكاسة التي حدثت لهم بعد اختيار مشروعهم هذا،

(1)-محمد الطيبي، الجزائر عشية الغزو الإحتلالي، المرجع السابق، ص ص 221-222.

(2)-نفسه، ص ص 222-223.

(3)-العربي عقون، المرجع السابق، ص 06.

(4)-Charles Rober Agron, *France colonial ou parti colonial?*, Presses universitaires de France, Edité par PUF, Paris, France, 1978, p38.

فبالرغم من مظاهر القوة والانتصار الذي بدوا عليه إلا أن عقدة الخوف من المجهول لطالما سيطرت عليهم<sup>(1)</sup>، وهذا الوضع سيصاحب المعمرين إلى غاية الفترة الأخيرة من حصول الجزائر على إستقلالها.

من هنا يتبين أن سيطرة الفكر الكولونيالي على الحياة السياسية عقب قيام الجمهورية الفرنسية الثانية سنة 1948م نتج عنه اعتماد دستور نص في مضمونه على إلحاق الجزائر بفرنسا باعتبار "أرض الجزائر والمستعمرات تعلن أرضا فرنسية وسوف تحكم بقوانين خاصة إلى حين صدور قانون خاص بها يجعلها تحت نظام هذا الدستور"، ما يعني إلغاء هوية الأرض الجزائرية وجعلها إقليما فرنسيا، وإسقاط مقوم أساسي للهوية الجزائرية وهو الوطن<sup>(2)</sup>، الذي يعتبر ملتقى للحضارات وليس أرضا لغزوات متواصلة عبر التاريخ كما يرى الإستعمار الذي ينفي وجود أقوام عليها<sup>(3)</sup>.

### المطلب الخامس: ترسيخ الإيديولوجيا النصرانية في الجزائر.

بعد الضربة العسكرية للغزو الفرنسي للجزائر وما خلفته من تدمير مادي ومعنوي للأرض والإنسان معا، وهو الوضع الذي أصبح واقعا تعود عليه الجزائريون وتحملوا مختلف تبعاته السلبية، لكن الاستعمار الفرنسي لم يقف عند هذا الحد، بل أضاف لسياسته العسكرية سياسة ثقافية، عمدت لتجفيف آخر ما تبقى للأهالي من منابع التدفقات الروحية، بعد فقدانهم لكل شيء<sup>(4)</sup>.

وتبرز الإيديولوجية المسيحية الفرنسية في الجزائر من خلال التقارير والمصادر التاريخية المختلفة، مثل المذكرة التي وجهها وزير الحرية الفرنسي الماركيز "دو كليغمون تونير" إلى حكومة شارل العاشر عام 1827م، أثناء الإستعداد لإطلاق الحملة قال فيها: "كم هو الشرف للراعي الأول للكنيسة، أن يعود بنا إلى تلك الحمية المقدسة للمسيحية، ويرفع راية وعظمة المسيح في الأقاليم التي إشتهرت فيها أسقفية الأوغسطين وأتباع سيبريان لتزهر الديانة الكاثوليكية من جديد..."<sup>(5)</sup>.

وتظهر النزعة المسيحية التي جاءت بها الحملة الفرنسية بشكل واضح من خلال ترسانة القساوسة المتكونة من 16 قسيساً التي رافقت القائد دي بورمون، الذي أكد على مدى اهتمام السلطة الفرنسية بالتنصير حسب تصريحه بعد دخوله مدينة الجزائر: "قد فتحتم معنا من جديد باب المسيحية في إفريقيا ورجاؤنا أن تزدهر فيها عما قريب الحضارة التي كانت قد انطفأت بها"<sup>(6)</sup>، وأضاف: "لقد جددتم عهد الصليبيين"<sup>(7)</sup>، كما لازمت أيديولوجية التنصير جميع الساسة والعسكريين ورجال الدين عند غزوهم الجزائر، فغالبية الأنظمة كانت تدين باستئصال الإسلام وإعتناق المسيحية، أو على الأقل إفراغ الإسلام من محتواه كمنظومة حُكم وقيم، وأدرك الفرنسيون أهمية معرفة خصومهم لتبشيرهم، فانكب مفكروها

(1)- محمد الطيبي، الجزائر عشية الغزو الإحتلالي، المرجع السابق، ص 224.

(2)- العربي عقون، المرجع السابق، ص 07.

(3)- عامر بغدادي، المكون العربي الإسلامي في الهوية الجزائرية، كنوز الحكمة، الجزائر، 2014، ص ص 57-58.

(4)- محمد الطيبي، الجزائر عشية الغزو الإحتلالي، المرجع السابق، ص 219.

(5)- عبد الحليل التميمي، حركة التبشير في تونس، مجلة الأصالة، عدد 29-30 فيفري، 1976، ص 51.

(6)- خديجة بقطاش، الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر (1830-1871م)، مطبعة دحلل، الجزائر، 1977، ص 20.

(7)- مصطفى الأشرف، الجزائر الأمة والمجتمع، ترجمة حنفي بن عيسى، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007، ص 51.

على دراسة العرب والقرآن الكريم باعتباره روح حضارتهم الإسلامية، وترجموها إلى اللاتينية للدفاع عن المسيحية والهجوم على الإسلام وتقدم مشروع بديل عنه. لمعرفتهم أن العقيدة هي مكن قوتهم، وعندما بدأت فرنسا في التحرك والتخطيط لشن عدوانها الاستعماري لم تجد أداة مطيعة أفضل من مبشرها (1).

وذكر لافيغري الجيش الفرنسي بعد احتلاله الجزائر بمهمته الإلهية قائلا: "... ليعيد إلى الحياة الأرض الشهيرة أرض أمثال ترتوليان، وسيريان وأوغسطين وغيرهم من الرجال العظام، فقد إختار الله جيشا هو الجيش الفرنسي"، وسأنده "ريشير فيري" أن ما يعادل ثلثي المسلمين هم في حكم الدول النصرانية، فمن واجب الدول الاستعمارية أن تمهد السبيل لتبديل دين هؤلاء الرعايا، ما يعني أن المبشرين وصلوا إلى مرحلة القناعة بأن الاستعمار والسيادة الغربية في القطر الإسلامي معناها تسهيل انتقال المسلمين إلى النصرانية (2).

تمحور الفكر التبشيري في إرجاع شعوب شمال إفريقيا إلى حظيرة الدين المسيحي، على إعتباره حسب المنظور الغربي دين غالبية أجدادهم، والإسلام قام بـ: "انتزاع منهم ذلك بأقصى وسائل العنف، على أن الدين المسيحي قادر اليوم على ضمها إلينا وصيرورتها معنا شعبا واحدا" كما أن: "الإسلام في إفريقيا يعتبر عدوا لفرنسا، والحضارة، والكنيسة، ولا مهادنة معه"، وأن: "تنصير الشعوب الإسلامية يدخل في إطار مصالح أوروبا، وتطلعات الكنيسة". (3)

لذا عرفت المستعمرات الفرنسية في منطقة شمال غرب إفريقيا عمل تبشيري كبير، فقد جاء في كتاب "مشروع التبشير" لصاحبه أدوين بلس: "إن المعركة الكبرى بين أوروبا والإسلام ستنشأ في غرب إفريقيا وفي شمالها"، واعترف فيه أن البلدان المغاربية لها مبشرون خاصون - كجمعية تبشير شمال إفريقيا - حرصوا على تجنيد مبشرين من أبناء المستعمرات تم تنصيرهم وتربيتهم تربية مسيحية روحا وفكرا، ليعملوا عملهم لأنهم الأقرب لقومهم: "فهو واحد منهم يتكلم لغتهم، يلبس لباسهم ويقوم بعاداتهم وتقاليدهم، فيعرف ما يحبون وما يكرهون وما يظهرون وما يخفون، يعرف أفكارهم وتوجيهاتهم ومشاكلهم يتحسس مشاعرهم وتظهر عليهم ملامحهم، فهو منهم فدعوته تكون أبلغ وتأثيرها عليهم يكون أشد وأعمق" (4).

سعى المبشرون إلى تنصير أطفال المسلمين الذين قضى المستعمر على آباءهم. كما يؤكد ذلك "جون لوت" قائلا: "يجب أن يحمل الأطفال الصغار إلى المسيح قبل بلوغهم الرشد وقبل أن تأخذ طبائعهم أشكالها الإسلامية" (5)، كما أن من المسيحيين من رأى أن «علينا جذب آلاف المشايخ والمقدمين إلى صفوفنا لأنهم القوة

(1)- فريد حاجي، السياسة الثقافية الفرنسية في الجزائر 1837-1937م (المنطلق - السيورة - المال)، دار الخلدونية، الجزائر، 2013، ص 42-78.

(2)- الطيب بن إبراهيم، الاستشراق الفرنسي وتعدد مهامه خاصة في الجزائر، دار المنابع للنشر والتوزيع، الجزائر، 2004، ص 78.

(3)- عبد الحليل التميمي، حركة التبشير في تونس، المرجع السابق، ص 50-51.

(4)- الطيب بن إبراهيم، المرجع السابق، ص 79.

(5)- مصطفى خالدي وعمر فروج، التبشير والاستعمار في البلاد العربية (عرض لجهود المستشرقين التي ترمي إلى إخضاع الشرق للاستعمار الغربي)، ط3، دون دار نشر، دون بلد، 1973، ص 68.



الحقيقية الدافعة للمجتمع الإسلامي، فلنمنحهم نوعاً من التقدير الرسمي (القوة والشرف) ونلبسهم برانيس حمراء ونوشح صدورهم بالأوسمة لأن القوة الحقيقية والسلطة الروحية على الأهالي تكمن فيهم وحدهم»<sup>(1)</sup>.

#### المطلب السادس: تكريس المنظومة التعليمية الفرنسية وتحييد اللغة العربية.

**أولاً- إخضاع المنظومة التعليمية التقليدية للتشريعات الاستعمارية:** من أجل إحكام الطوق الإيديولوجي على الأهالي ومحاصرة منابع الثقافة التقليدية التي كانت تغذي روح المقاومة، أخضعت الإدارة الاستعمارية التعليم التقليدي في الجزائر إلى كم هائل من القوانين، كقانون 1883م الذي نص على تنظيم التعليم وفقاً لما هو متبع في فرنسا خدمة لمصالحها، وذلك باستحداث إجراءات أهمها تعيين معلمين من الأهالي، والحصول على شهادة التعليم الابتدائي الأهلية، كما تم في 18 أكتوبر 1890م إصدار مرسوم ضبط الأهداف التربوية للمدرسة الأهلية ومهام المعلمين الأهالي بما يقيهم تحت المراقبة، ومن بين الشعارات التي سارت في هذا المنحى: "إننا نجعل من الأهالي أناساً شرفاء يحبون العمل ويقبلون بتأهيل حديث حتى يقترب من ثقافه المعمرين الأوروبيين وهذا لا يتحقق إلا باكتساب ناصيه اللغة الفرنسية"<sup>(2)</sup>.

**ثانياً-الفرنسة:** سعت فرنسا من خلال سياستها التعليمية في الجزائر إلى ضرب اللغة العربية، بهدف التمكين للغة الفرنسية وبسط هيمنتها، على حسب تعبير القائد العام للقوات الفرنسية في شمال إفريقيا الدوق "دو روفيغو"، ولا يمكن تحقيق ذلك إلا من خلال استبدال اللغة العربية تدريجياً باللغة الفرنسية، وما يؤكد هذا الطرح، هو المرسوم الذي أصدرته السلطات الاستعمارية سنة 1949م، حيث جاء فيه: "إن لغتنا هي الحاكمة، فإن قضائنا المدني والعقابي يصدر أحكامه على العرب الذين يقفون في ساحته بهذه اللغة، وبهذه اللغة يجب أن تكتب جميع العقود وليس لنا أن نتنازل عن حقوق لغتنا، فإن أهم الأمور التي نعتني بها قبل كل شيء هو السعي وراء جعل اللغة الفرنسية دارجة وعامة بين الجزائريين الذين عقدنا العزم على استمالتهم إلينا، وإدماجهم فينا وجعلهم فرنسيين"<sup>(3)</sup>.

عمل الإستعمار الفرنسي على محاولة فرنسة الجزائر وتبرير إلحاقها القصري بفرنسا تنفيذاً لمشروعه الإستعماري، إنطلاقاً من شقين أساسيين، برز الأول من خلال تدمير البنية الاجتماعية، بهدف تحويل الجزائر إلى ملك شاغر سياسياً وإقتصادياً وديموغرافياً وثقافياً ودينيّاً، فيما ظهر الشق الثاني في تأسيس المقاطعة الفرنسية المسماة الجزائر التابعة إدارياً لفرنسا، وترقية الثقافة الفرنسية<sup>(4)</sup>، بداية من فرض اللغة الفرنسية بالقوة، مستنفة ترسانة من القوانين كإصدار تعليمية

(1)-Octave Depont et Xavier Coppolani, Les confréries religieuses musulmanes, Typographie et Lithographie Adolphe Jourdan, Alger, 1897, p 283.

(2)-محمد الطيبي، الجزائر عشية الغزو الإحتلالي، المرجع السابق، ص 232.

(3)-إيفان تيران، المواجهات الثقافية في الجزائر المستعمرة "المدارس و الممارسات الطبية و الدين" (1830-1888م)، ترجمة محمد عبد الكريم أوزغلة، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007، ص 78.

(4)-منى طواهرية، اللغة والهوية الوطنية على محك الإرث الإستعماري "جرائم تاريخية وتأزم هوياتي"، مجلة البدر، العدد 01، مج 10، جامعة بشار،

الجزائر، 2018 ص 79، يُنظر: <https://www.asjp.cerist.dz/en/article/44235>.



غداة الإحتلال نصت: " أن أيلة الجزائر لن تصبح حقيقة مملكة فرنسية إلا عندما تصبح لغتنا هنا لغة قومية، والعمل الجبار الذي يجب إنجازه هو السعي وراء نشر اللغة الفرنسية بين الأهالي بالتدريج على أن تقوم مقام اللغة العربية"، كما صدر قانون 1904م الذي يمنع الجزائريين من فتح مدارس عربية لتعليم القرآن إلا بترخيص، وفي 1938م صدر قرار "شودان-Chaudain" <sup>(1)</sup>، وبهذا حاول المستعمر التمكين للغته، بهدف التمكين لفرنسا دولة وحضارة وفكرا وتوجها، بخلق فئة نخبوية يعتمد عليها لتجسيد مشروعه <sup>(2)</sup>.

**ثالثا- دور المدرسة الفرنسية في تكوين النخب الجزائرية المتفرنسة:** إن عملية التفكيك الاجتماعي والثقافي تبدأ بعملية خلق نخبة منشقة عن المجتمع الذي ينتمي إليه، وبالتالي يكون الإستيلاء الثقافي للنخبة موازيا للإستيلاء الروحي للجمهور، وهكذا يفقد المجتمع المستعمر "أساس وجوده العقلي"، على حد تعبير "برهان غليون" <sup>(3)</sup>، فالإيديولوجية الإستعمارية دوما تلجأ إلى أسلوب "الإقصاء والإستقطاب"، إقصاء عامة الشعب من الحياة الثقافية والسياسية واستدراج أقلية لخدمة المشروع الإستعماري <sup>(4)</sup>.

فهذه العملية كانت منوطة بالمدرسة عاملا حاسما للسيطرة، إذ كانوا يعتقدون بأن أية قوة عسكرية لا تكفي للحفاظ على ما تم الإستيلاء عليه، بدون مدرسة تمكنهم من إستعمار العقول من جهة، ومن جهة أخرى تمكنهم من خلق فئة من الأهالي المتمكنين من لغة المستعمر، وقد كان الحفاظ على اللغة وبعض العادات ضرورة في تكوين الوسطاء من النخبة لضمان مصداقيتهم في المجتمع، حسب وزير الحربية الفرنسي "برنارد-Bernard" منذ سنة 1839م: "... تلقين حضارتنا وعاداتنا وجميع معارفنا لأناس شباب، سيكونون وسطاء نافعين بيننا وبين إخوانهم في الدين... وجب على هؤلاء المبشرين بالقضية الفرنسية أن يكونوا مفرنسين تماما دون أن يفقدوا رغم ذلك خصوصيتهم الثقافية كلية..." <sup>(5)</sup>، ويكونون حسب "فلاديمير ماكسيمكو": "حلقة وصل بين إدارة الإحتلال والسكان المحليين" <sup>(6)</sup>، وبواسطتها ما أورده "موريس بولار - Mourice Boulard": "يتم إقناع الأهالي أن فرنسا صاحبة حضارة سامية متسامحة ومفيدة لهم" <sup>(7)</sup>.

(1)- فريدة بلقران، إشكالية التعدد في الوطن العربي وانعكاساته على اللغة العربية، المؤتمر الدولي الثاني للغة العربية، الندوة رقم 53 اللغة العربية بين

التعدد اللغوي ومعطيات العصر، 7-10 ماي 2013، ص5.

(2)- محمد رزق، الجرائم الفرنسية "شهادات واعترافات أكبر قادة وضباط فرنسا وخبرائها العاملين في الجزائر خلال الفترة" (1830-1871م) أخطر

مرحلة مرت بها الجزائر في تاريخها الحديث، دار قرطبة، الجزائر، 2018، ص460.

(3)- برهان غليون، مجتمع النخبة، معهد الإنماء العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1986، ص270.

(4)- محاسن أحمد، الحركة الوطنية الثورية في الجزائر، ترجمة مسعود مسعود، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2002، ص37.

(5)- كميل ريسليير، السياسة الثقافية الفرنسية بالجزائر 1830-1962م، ترجمة نذير طيار، دراكتابات جديدة للنشر الإلكتروني، دون دار نشر، أوت

2016، ص193.

(6)- فلاديمير ماكسيمكو، الأنتلجنسيا المغاربية (المنقرون أفكار ونزاعات)، ترجمة عبد العزيز بوباكير، دار الحكمة، الجزائر، ط1، 1984، ص27.

(7)- Mourice Bolard, L'enseignement pour les indigènes en Algérie, These de droit, Universite

de Paris, Impr Gojosso, Alger, 1910, pp 50-51.

لذلك ظلت مسألة فتح المدارس وتعليم الأهالي منذ 1830م من أكثر المسائل المطروحة للنقاش<sup>(1)</sup> بتعدد الآراء حول قضية تعليم الأهالي، بين من رأى أن الجزائريين جنس منحط غير قابل للتطور متعصب للثورة والإنتقام، من أمثال غلاة المعمرين، وبين من دعى لتعليم الأهالي لتحقيق الإدماج، من السانسمينيون، فحسب ما كتبه مدير مدرسة تكوين المعلمين في بوزريعة السيد "بول بيرنارد-Paul Bernard" أن: "مشكل التعليم الخاص بالمسلمين كان محور مناقشات أكثر من أي مشكل آخر"، غير أن أغلب الجزائريين ظلوا معرضين عن هذه المدارس و متمسكين حسب ما ذكره "لويس رين" بتعلم اللغة العربية والتعاليم الدينية المستوحاة من القرآن<sup>(2)</sup>، وحتى بعد إبعاد أبناء الأهالي عن التأثير الديني والإجتماعي بقي تأثير تعاليم الزاوية راسخا في أذهانهم<sup>(3)</sup>، فحاولت الإدارة الإستعمارية (1848-1852م) إعادة تنظيم التعليم في المدارس المحاذية للمساجد قصد تكسير رفض الأهالي للتعليم الفرنسي شريطة أن يكون تعيين المدرس "المؤدب-Mouadab" من طرفها، وتكون هذه المدارس تحت رقابتها المباشرة، لتغرس في نفوس التلاميذ الرغبة في تعلم اللغة الفرنسية والإطلاع على ثقافتها<sup>(4)</sup>.

وبعد مرور أكثر من عشرين سنة من الاحتلال زادت حاجة إدارة الاحتلال إلى نخبة أهلية موالية لها أو على الأقل غير مهددة لمصالحها في الجزائر، وفي نفس الوقت تكون منافسة لنخبة الزوايا والخواضر العلمية في المشرق والمغرب، لأن القضاء على التعليم الإسلامي وإرساء منظومة تعليمية جديدة، يؤدي حسب الكثير من منظري الاستعمار إلى إضعاف "تأثير الزوايا ويهيئ الأذهان لتقبل الاندماج في الحضارة الغربية"<sup>(5)</sup>، لذلك أسست بموجب قرار 30 سبتمبر 1850م "المدارس الرسمية الثلاث" (Les Medersas)، في تلمسان، قسنطينة، والمدينة، ثم نقلت الأخيرة إلى البليدة سنة 1855م وبعدها إلى مدينة الجزائر<sup>(6)</sup>، وهدفها تكوين موظفين من الأهالي كالقضاة ومعلمي اللغة العربية، لأن خرجي رجال الدين والقضاة من "المدارس الشرعية" قادرون على إضعاف نفوذ الزعماء الروحيين للمجتمع الجزائري<sup>(7)</sup>.

(1)-مصطفى عبيد، الجزائر في كتابات توماس إسماعيل أوربان 1812-1884م (دراسة تحليلية تاريخية)، مذكرة ماجستير في التاريخ المعاصر، جامعة الجزائر، 2007-2008م، ص ص 119-120.

(2)- louis Rinn, Note sur l'instruction publique musulmane en Algérie, L'Association ouvrière, Fontana et Compagnie, Alger, 1882, P 13.

(3)-فاطمة الزهراء شايب، اللغة العربية في المدرسة الكولونيالية الجزائر 1830-1936 صراع التحدي، دار الأمة، الجزائر، 2023، ص 24.

(4)-Paul Bernard, L'enseignement primaire des indigènes en Algérie, R.M.M, N° 1, Imprime ARRAULT, Tours, Novembre 1906, p 05.

(5)-مولود قرين، المرجع السابق، ص ص 82-83.

(6)- Jules Cambon, Le gouvernement général de l'Algérie ( 1891-1897 ), E. Champion, Paris, 1918, pp 34-35.

(7)-Colonna Fanny, Instituteurs algériens 1883-1939, Office Publications Universitaires, Alger, 1975, p 81.

عملت الإدارة الإستعمارية من خلال برامج هذه المدارس للقضاء على الثقافة الوطنية، وتكوين موالين لها، كما أسست بموجب مرسوم سنة 1857 م المعاهد العربية الفرنسية، لتمكين طلبة المدارس الشرعية مواصلة تعليمهم داخل الجزائر بدل المشرق العربي، وبموجب مرسوم 16 جوان 1867 م أنشئ معهدين في قسنطينة ووهران لأبناء العائلات الكبيرة<sup>(1)</sup>، وللاشارة فقد عرفت سنوات 1850-1870 م مشروع تأسيس المدارس العربية الفرنسية في التعليم الابتدائي وإخضاعها لرقابتها، بعدما أسفرت المرحلة الأولى نتائج سلبية غير متوقعة، لكن إقتصار أغلب هذه المدارس على مدينة الجزائر يوحي بالبعد الإستعماري للمشروع من جهة والتركيز على تدريس تاريخ فرنسا لبتز الصلة الحضارية للجزائر مع العالم الإسلامي<sup>(2)</sup>، أصدر " نابليون " في 4 مارس 1865 م مرسوم أسست بموجبه مدرسة المعلمين في مدينة الجزائر " تيلملي " التي تم نقلها فيما بعد إلى " بوزريعة " سنة 1888 م<sup>(3)</sup>، الهدف منها تكوين نخبة جزائرية مفرنسة، قادرة على زرع الأفكار الاندماجية والتغريبية للمشاريع الفرنسية في أذهان أبناء الأهالي، وهذا ما عبر عنه " فيلمان - Fellman " قائلاً: " ... إن الهدف المنشود ليس تكوين موظفين خاصين ولاتحضير مدرسين للتعليم العمومي، وإنما لتكوين رجال، بتأثيرهم على إخوانهم، يساعدوننا على تحويل المجتمع العربي وفق متطلبات حضارتنا ... " <sup>(4)</sup>، وبالإضافة إلى هذا عملت هذه المدرسة على نشر النعرات والتفرقة في المجتمع الجزائري عن طريق تركيزها على بلاد القبائل بتأسيس إدارتها لفرع قبائلي ضم أغلب تلاميذ هذه المنطقة<sup>(5)</sup>، فيما إستهدفت البرامج التعليمية إلى فرنسة الإنسان الجزائري، القضاء على اللغة العربية الفصحى لكونها لغة القرآن وأهم عناصر الشخصية الوطنية، في مقابل التمكين للغة الفرنسية بصفتها باب الولوج للحضارة الغربية، لما لها من مقدرة حسب منظري الاستعمار على إحداث شرح بين الحضارتين الغربية النصرانية والعربية الإسلامية، إضافة إلى سلخ الجزائري من ماضيه وإدخاله إذا أمكن في الهوية الفرنسية عن طريق تشويه التاريخ الجزائري والتقليل من شأن بطولات الجزائريين وأجدادهم، والتسويق بدل ذلك لعظمة وقوة فرنسا<sup>(6)</sup>.

(1)- مولود قرين، تاريخ النخبة الجزائرية " مرجعيات - تيارات - مواقف وإهتمامات (1892-1927م)، دار ومضة، الجزائر، ط 01، 2021، ص 84-85.

(2)- فاطمة الزهراء شايب، المرجع السابق، ص ص 26-30.

(3)- جيلالي صاري، بروز النخبة المثقفة الجزائرية ( 1850-1950 م )، ترجمة محمد المعراجي، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص 52.

(4)- عطاء الله فشار، النخبة الجزائرية " جذورها - تطورها - اتجاهاتها ( 1914-1954 م )"، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر بن يوسف بن خدة، 2008/2009، ص 87.

(5)- سعيد مزيان، السياسة الإستعمارية الفرنسية في بلاد القبائل ومواقف السكان منها (1871-1914م)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 2008-2009م، ص 289.

(6)- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر النقابي ج 03، المرجع السابق، ص ص 417-423. يُنظر أيضا مولود قرين، المرجع السابق، ص 87. للتوسع يُنظر:

Aimé Dupuy, Bouzarea histoire illustrée des écoles normales d'instituteurs d'Alger- Bouzarea, F. Fontana, Alger, 1937.

### المطلب السابع: تأصيل رموز الثقافة الفرنسية في الجزائر الجديدة.

**أولا-تغيير الطابع الحضاري لل عمران في الجزائر:** كان الإحتلال الفرنسي يدرك أن المظاهر المعمارية في أي بلد وعند أي شعب، هي بمثابة الهوية والذاكرة الجماعية التي تشعر بها الأمة وترتبطها بثقافتها، لذلك عمل على طمس النمط العمراني الإسلامي في الجزائر باعتباره مرجعية ثقافية لا كبنية معنوية فقط بل كمظهر مادي، فبدأ منذ سنة 1832م بنسف البنايات والمساجد والقصور القديمة واستبدالها بنمط العمارة الأوروبي، تحت ذريعة الدواعي العسكرية وتوسيع الطرقات، مثل تهدم "قصر الداى بالجنينة" في الخمسينات لتوسيع كاتيدرائية الجزائر بحجة أن القصر بناية متداعية لا قيمة فنية لها، وإستيلاء الدوق "دو روفيغو" بالقوة على مسجد كتشاوة وتحويله إلى كاتيدرائية، رغبة في تحويل الجزائر إلى مدينة أوروبية كما قال "بورتل أرزان" (1).

كما شن الإستعمار الفرنسي حربا أيضا ضد أسماء المدن والشوارع والساحات، فقام بتغييرها وحولها من أسمائها العربية التاريخية إلى أسماء فرنسية، وكانت هذه العملية في خطورتها أبعد من أن تكون تخليدا لعظماء التاريخ الفرنسي، فدلالته العميقة التأثير على تاريخ الأجيال الجزائرية الصاعدة التي تفتح عينها وهي تسير في شوارع وتقف في ساحات لأسماء عظماء فرنسا، ويكون على الآباء -من حيث لا يدركون- تقديم درس في تاريخ فرنسا عن هؤلاء العظماء (2).

نتج عن تغيير فلسفة العمران الإسلامي إلى تصميم المنازل على النمط الغربي حدوث إنعكاسات وخيمة على الحياة الخاصة للمجتمع الجزائري والعلاقات الأسرية، لأن الإقامة في المدينة الأوروبية المستحدثة تمت بذهنية وعادات وقواعد السكنات المحلية التقليدية، وعدم إحترام الممارين الأوروبيين للمبادئ الأخلاقية والروحية في تصميماتهم مثل السترة والحجة وداخلية الجمال، بتعويض مكانة الحوش عند البدوي بالشرفات الضيقة (3).

**ثانيا-توظيف الفنون التشكيلية:** ساهم الفن المعماري في سياسة الإحتلال وحمل مهمة بيداغوجية بعمله على إدراك الهوية السابقة اللاتينية والحاضرة الفرنسية، وإعطاء صورة عنه من خلال تزيين العمارات العمومية، ورسم المعالم التذكارية، واللوحات الفنية وتأسيس مؤسسة الفنون الجميلة بالجزائر تحت وصاية الإدارة التي قامت بتقديم إغراءات للفنانين لترسيخ المرجعية الفكرية للإستعمار في الجزائر ذات التوجه الرسمي السياسي أكثر منها إبداعا وجمالا، من أمثال "ل.فليب"، و"فورمانتان"، و"صاشيريو"، وشحن المدلول الرمزي للقطع الحجرية للتماثيل ومظهر البنايات في الشوارع الإستراتيجية بغرض التأثير المقصود والعميق في الجزائريين، مثل نصب التذكاري للدوق "أومال" في 1845م، وتمثال الماريشال "بيجو"، 1952م (4).

كما أن تجاهل المآسي التي تمخضت عن الاحتلال في الجزائر، لم تمنع أصحاب الخيال الأدبي من أن يحولوا جزائر الدماء والتشريد إلى "مكة الأدباء والمفكرين"، وهنا كانت الرابطة القومية بين المستعمرة الجديدة والنخبة الفكرية

(1)-فريد حاجي، المرجع السابق، ص ص 103-107.

(2)-محمد الصالح الصديق، كيف ننسى وهذه جرائمهم؟، المرجع السابق، ص ص 75-76.

(3)-زباني فاتح، المرجع السابق، ص ص 242-243.

(4)-فريد حاجي، المرجع السابق، ص ص 118-121.

الفرنسية، التي حج إليها غونكور Gancourt، وغوتيه Gautier، وألفونس دودي Alphonse Daudet، وغي دو موباسان Guy De Maupassant، فتوافد هؤلاء الأدباء والمفكرين أعطى صورة شرعية وحضارية للاحتلال، وغيرها من فكرة "أوكار المتعصبين" إلى موطن للإبداع والإكتشاف، يبينه "المعمرون الشجعان" ذوي الأخلاق النبيلة والأفكار الخارقة"، أما الجزائري فأصبح بلباسه وملامح شخصيته البنيوية من مسحات الديكور<sup>(1)</sup>.

### المطلب الثامن: الإدماج والتجنيس: تم تنفيذ أطروحة اندماج الجزائريين في المنظومة الحضارية

الفرنسية عبر:

-تطبيق سياسة الاستيطان في الجزائر: التي أدت لظهور بنية اجتماعية كولونيالية جديدة قوية بانتصاراتها والمعتزة بحضارتها والباحثة عن غرس جذورها، فدخلت في صراع مع البنية الاجتماعية للأهالي الأصليين للأرض القوية بجذورها، الضعيفة بتفكك بنيتها، فسعى منظرو الاحتلال لاستحداث قوة ثالثة تصل بينهما وتجنب الكولون الاحتكاك بالأهالي، وانطلاقا من هذه المرجعية الإيديولوجية والحاجة التنظيمية ظهر الخطاب الإدماجي كإجراء سياسي يهدف لاستمالة بعض الأهالي لتكوين نخبة مؤهلة حضاريا لاشراكها في تسيير شؤون المستعمرة<sup>(2)</sup>.

واتخاذ هذا القرار جاء بعد رفض الجزائريين الالتحاق بالمدارس الفرنسية، واستيعاب الاستعمار "أن أفكار الجزائريين الأصلية لا تسمح لهم بإدراك المكاسب التي يمكنهم أن يجنوها من النظام الإحتلالي...وميلهم هذا تغذية حالتهم القديمة وبخاصة ما تعلق بمعتقداتهم وبلغتهم ولذا وجب العمل على إزالة بقايا هذا الماضي ومحو أثره"<sup>(3)</sup>، فالمشروع الإدماجي كان بمثابة إجراء إستراتيجي غايته تغيير المرجعية الفكرية والسياسية المتعلقة بمسألة الهوية عند نخبة الأهالي، ليتطابقوا مع البنية الاجتماعية للكولون<sup>(4)</sup>، لإذابة شخصيتهم داخل المجتمع الكولونيالي، ويصبح بنية واحدة متجانسة، استنادا إلى القاعدة التاريخية التي تقرر أن الحضارات القديمة مجبرة على مواكبة النهضة التي أحدثتها الحضارات الجديدة، بناء على مبدأ خضوع الضعيف للقوي.

على الرغم من كون الإدماج فكرة استمدت من المرجعية الاشتراكية التي عرفتها فرنسا مع تطورات نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، التي هدفت للمقاربة بين المستضعفين من بروليتار فرنسا وإيطاليا وإسبانيا، لكنه في المستعمرة الجزائرية سعت لمنح الاستقلالية الإدارية للكولون وفسح المجال لاقتطاعها عن فرنسا الأم، وهي الفكرة التي لطالما شكلت هاجس خوف لدى الإدارة المركزية الفرنسية<sup>(5)</sup>.

لم يكن مفكروا فرنسا وحدهم من اهتموا بأطروحة الإدماج، فالكنيسة وعلى رأسها "لافيجري Lavigerie" هي أيضا تحمست للفكرة لتفكيك المرجعية الإسلامية القوية التأثير، وتجاوز الأخطاء التي صاحبت عملية الغزو الأولى، فعمل

(1)-محمد الطيبي، الجزائر عشية الغزو الإحتلالي، المرجع السابق، ص 216.

(2)-نفسه، ص 226.

(3)-آلبر ميمي، المصدر السابق، ص 89.

(4)- Leclerc Gérard, op cit, p 91.

(5)-Jacques Jurquet, La révolution algérienne et le parti communiste, Tome 01, Edition de centenaire, Paris, 1973, pp 71-73.

لا فيجري على غرس روح الإنجيل في نفوس أبناء الأهالي<sup>(1)</sup>، وتاريخيا يبدو أن الاتجاه الديني الإحتلالي هو الوحيد الذي كان واعيا بالمعنى الحقيقي للإندماج فهو كان يرى فيه الحل الوحيد لدخول الأهالي ضمن المنظومة الحضارية الفرنسية، وإرجاع البربر إلى دين وحضارة أجدادهم الرومان، لتشكيل إنتاج بشري جديد مفرنس، تمهيدا لإذابته في المجتمع الكولونيالي، أما باقي السكان الأصليين فسيسري عليهم قانون الأهالي العنصري ليجردهم من حقوقهم<sup>(2)</sup>.

وكلمة إدماج من منظور المعمرين الفرنسيين كانت تعني الإستقلال بحكم ذاتي للمستعمرة الجديدة، وإلغاء جميع الحقوق السياسية للأهالي، وعلى رأسها الأحوال الشخصية، وحق الوطن والهوية، وفي هذا الصدد صرح أحد غلاة الإحتلال قائلا: "هناك حقيقة تاريخية لا غبار عليها وصارت تفرض نفسها اليوم أن الأهالي المسلمين لا يفقهون في شؤون العالم ما يجعلهم يفكرون في المطالبة بالجزائر على أنها بلاد أجدادهم ومهد تراثهم، إن الجزائر اليوم وهي خليط من البشر المنحدرين من قوميات شتى لا يمكن مقارنتها بالأمم الأخرى حيث تتواجد وتوجد آثار حضارية قديمة وحيث يمكن لفكرة الوطن أن تأخذ بعض الدلالات"<sup>(3)</sup>، بل أن هناك من طالب بأن تصبح المستعمرة الجزائرية مفخرة لإنجازات الحضارة الفرنسية بتفكيك مؤسساتها التقليدية وإضعاف تأثيراتها الرمزية على الأهالي، ما يمنحهم الشرعية لاندماجهم مفصولين تماما عن شرعية أصولهم التاريخية القديمة، عن طريق خلق صراع إثني قبلي بين الأهالي يدفع بهم إلى الإقتتال، والتمييز بين نخب الأهالي المتفرنسين ونظرائهم من عامة الجزائريين لتعميق الشرخ الاجتماعي<sup>(4)</sup>.

— النظام القضائي والمدني ودورهما في تفكيك الروابط الاجتماعية: في إطار تطبيق سياسة اخضاع الأهالي، تم المس بمرجعية المجتمع من خلال ما أشار إليه "أنفوتان" قائلا: "... إننا لا نملك قانونا وسطا، يكون بين قانون محمد (ص) وقانون نابوليون، يجب أن نختار بين هذا أو ذاك..."، وفصل في حديثه باختياره القانون الفرنسي لكون القانون الإسلامي هو قانون سياسي ومدني وديني، الذي لا يتماشى ورغبتهم في غزو العائلة والقبيلة<sup>(5)</sup>. فتم توظيف القضاء المدني الفرنسي لتشريع قوانين الحالة المدنية للمس بالأحوال الشخصية للجزائريين، من خلال نقل صلاحيات القاضي الشرعي التقليدي إلى إختصاص القضاء الفرنسي، نتج عنه إجراءات تفكيكية مست بهوية المجتمع الجزائري، من بينها ما يدخل في إطار الإدماج كصياغة الإطار التشريعي لألقاب العائلات الجزائرية لقطع تواصلها التقليدي مع الثقافة النسبية المتوارثة، من خلال قانون 23 مارس 1882م، الذي هدف لتحويل روابط الدم والانتماء والقرابة، وترسيم الوضع الإداري الذي سلخ الجزائريين من تقاليد هويتهم الجزائرية، حيث أجبروا على حمل بطاقة هوية فرنسية وتسجيل المواليد وعقود الزواج لتتبع تزايدهم ومنع تأثيرها على نسبة المعمرين<sup>(6)</sup>.

(1)–Leclerc Gérard, op.cit, p22.

(2)–محمد الطيبي، الجزائر عشية الغزو الإحتلالي، المرجع السابق، ص 228.

(3)–Annie Rey Goldzigue , le Royaume arabes « la politique algérienne de Napoléon III

(1861–1870) », ENAG, Alger , 2010 , p 635.

(4)–محمد الطيبي، الجزائر عشية الغزو الإحتلالي، المرجع السابق ، ص 231.

(5)–فريد حاجي، المرجع السابق، ص 205.

(6)–محمد الطيبي، الجزائر عشية الغزو الإحتلالي، المرجع السابق ، ص 232.



**-التشريعات العقارية وتفكيك الريف الجزائري:** تعتبر الأرض عنصر أساسي من عناصر الهوية الوطنية، فعلى مدى التاريخ كانت علاقة الفرد بأرضه وثيقة، وتعبّر عن قوة صلته بماضيه وموطن أجداده، والاستعمار الفرنسي أدرك مدى ارتباط الجزائريين بأرضهم، وما المقاومات الشعبية إلا تعبير عن انتفاضات الأهالي لأجل الأرض التي سلبت منهم عن طريق التشريعات. ويعتبر قانون وارنبي الشهير الذي صدر سنة 1873م أهم قانون استلهمت منه الإدارة الاستعمارية تشريعاتها العقارية لتفكيك العلاقة الثقافية بين أهالي الريف الجزائري وأرضهم التي عاشوا عليها وتوطنوا فيها عبر التاريخ، والذي انتزعت بموجبه الأراضي من مالكيها، وفي سنة 1887م استكملت مخططها بإصدار قانون تكميلي لتعميم الملكية الخاصة للأرض وإخضاعها لسلطة التشريع الفرنسي، وأكملت تطويق الأراضي بإصدار سنة 1882م قانون حرم على الجزائريين الاستثمار في الثروة الغابية<sup>(1)</sup>.

**-التحكم في الحياة الدينية للأهالي:** قام الإستعمار بمحاورة نشاط الزوايا والمساجد وغلق عدد كبير منها، ومراقبة عمليات الحج تحت طائلة قانون جويلية 1880م، الذي قلص من عدد الحجاج، إضافة لتشديد الرقابة على التعليم الديني الحر بغية فصل الارتباط التاريخي للجزائريين عن محيطهم الإسلامي، ما نتج عنه تفرغ المجتمع من نخبة الدينية والفكرية ذات المرجعية الإسلامية المؤثرة في هوية المجتمع.

**-تراجع النشاط الحضاري للفكر الجزائري:** ساهمت عوامل التفكيك الاجتماعي في شل نبض الثقافة الجزائرية رغم طابعها التقليدي، ما أدى لتراجع النشاط الفكري والنضال السياسي، بعد تشتيت النخبة الجزائرية ليفسح المجال أمام الاندماج الحضاري القهري في منظومة الثقافية الفرنسية، تمهيدا لظهور صراعات فكرية حول الهوية والانتماء على عدة مستويات سياسية وأدبية وإعلامية خلال القرن العشرين، بين النخب التقليدية والنخب الجديدة، تحت إشراف إيديولوجيا نخب المعمرين<sup>(2)</sup>، من خلفية تاريخية عنصرية قائمة على التمييز بين الأهالي الجزائريين المسلمين والأوروبيين بعد توافد عدد كبير من نخب المتروبول الفرنسيين لاكتشاف حضارة العالم الإسلامي التي يمثل الفضاء الجزائري نموذجا لها، ما ساهم في تغيير النظرة إلى هوية الجزائر العميقة تدريجيا نتيجة التواصل المباشر بعيدا عن القرارات الإدارية للفترة السابقة، فاسحة المجال لفكرة تجريد الجزائريين من هويتهم القومية باستعمال تسمية الأهالي والسكان، وحشرهم بذلك واختصارهم في جماعة ذات هوية دينية من خلال عبارة مسلمين المقتصرة على الإنتماء الديني وإلغاء الإنتماء إلى الوطن<sup>(3)</sup>.

## المبحث الثاني: السياق التاريخي لظهور مسألة الهوية الوطنية في الجزائر.

### المطلب الأول: التجذر التاريخي لمسألة الهوية في الجزائر.

يرى بعض الباحثين أن إضافة صفة الجزائرية على الهوية الوطنية جعل تحديد مفهومها يأخذ من منظور زاويتين، فالزاوية الأولى هي ما يميز الفرد والمجتمع الجزائري من خصوصية ومقومات منها: الدين الإسلامي واللغة العربية وأصوله

(1)-محمد الطيبي، الجزائر عشية الغزو الإحتلالي، المرجع السابق، ص 233.

(2)-نفسه، ص 234.

(3)-العربي عقون، المرجع السابق، ص ص 05-06.



التاريخية وانتصاراته الحضارية، أما الزاوية الثانية فهي هوية الدولة ذات الحدود الجغرافية والنظام السياسي الذي يحوي المجتمع الجزائري، وخصوصياته التي تخضع للظروف وللمرحلة التاريخية والواقع السياسي<sup>(1)</sup>.

إن مسألة الهوية في الجزائر ظهرت منذ القدم ولعل الشعار الذي رفعه القائد النوميدي الأمازيغي ماسينيسا (148-218 ق.م) "إفريقيا للأفارقة"<sup>(2)</sup> يعطي صورة عن التجذر التاريخي لهذه القضية وجهود سكان المنطقة في الدفاع عن إنتمائهم لأرضهم التي هي مقوم أساسي من مقومات هويتهم، إلا أن المسألة أخذت أبعاداً أخرى أكثر تعقيداً خلال فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر الذي عمل طيلة قرن وربع قرن على تنفيذ عدة مخططات إستعمارية إستهدفت طمس الهوية الوطنية الجزائرية ومسح مقوماتها من خلال إحداث شرح هوياتي كبير بين مختلف الفئات السكانية المكونة للمجتمع الجزائري الذي إتحدت عناصره عبر الزمن تحت قومية واحدة، لها خصوصيتها المستقلة عن باقي شعوب العالم، لكن الإستعمار عمد إلى ضرب هذه المكونات ببعضها البعض وإلغاء عنصر على حساب عنصر آخر، وتهجين نقاوة أفرادها عن طريق إدخال عناصر دخيلة عنها لإضفاء طابع من التركيبة الغير متجانسة بهدف إنتاج مجتمع جديد مختلف تماماً عما كان عليه سابقاً، وظفت فيه الإيديولوجية الإستعمارية بفكرها العنصري وسياساتها الهدامة لدفن كل ما يذكر بالجزور الأولى لسكان المنطقة الأصليين.

كما يرى بعض المفكرين أن مسألة تجذر الهوية في المنطقة المغاربية تعود إلى أيام الفتح الإسلامي لها، نظراً للتغيرات الجذرية التي حدثت على مستوى الساكنة، بعد أن إستوطن العرب الفاتحين المنطقة وامتزاجهم مع الأمازيغ نتيجة إنصهار المقومات وتلاقح الأفكار، والإنتشار الواسع للإسلام بين السكان الذي توافق مع بساطة البربر، لينتج عنه مساهمة البربر لإستخدام اللغة العربية وتعلمها كونها لغة الدين الجديد، فهي لغة القرآن وآداء الصلوات الخمس، بالإضافة إلى أن المغلوب مضطر لتقليد لغة الغالب سواء قصر الوقت أم طال<sup>(3)</sup>، ويضاف لهذه الأسباب ما قام به الخليفة عبد الملك بن مروان من تعريب لدواوين الحكومة، مما أدى لتحول جميع المعاملات باللغة العربية<sup>(4)</sup>.

أما العادات والتقاليد العربية فكان من السهل إنتشارها بين البربر كما حدث مع الكثير من الشعوب التي فتحها المسلمون وانتشر فيها الإسلام الذي نادى باعتماد مبدأ المساواة، ومقتضيات الحكم والإختلاط والمعايشة<sup>(5)</sup>، وتحت قاعدة التأثير والتأثر. تسربت عدة عادات وتقاليد عربية الأصل إلى المنطقة المغاربية ارتبطت في عمومها بالممارسات الدينية وما أجازته الشريعة الإسلامية، وفي هذا الإطار بقيت بعض العادات والتقاليد البربرية تمارس حتى بعد الفتح الإسلامي نظراً لعدم تعارضها مع الدين الجديد، بل على العكس من ذلك تم تحسينها وتطويرها، مع التخلي بوعي عن العادات والتقاليد التي تتعارض مع الدين الإسلامي وتدعو للشرك بالله.

(1) -عادل شويب ومفيدة بلهامل، موقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من طروحات الهوية الجزائرية في مواثيق الحركة الوطنية الجزائرية (1936-

1954م)، مجلة العلوم الانسانية، العدد 02، المجلد 34، جامعة الاخوة منتوري، قسنطينة، الجزائر، جوان 2023، ص ص 873-887، ص 876.

(2) -أحمد بروال ويوسف مقارمة، المرجع السابق، ص 708.

(3) -محمد كمال شبانة، الدويلات الإسلامية في المغرب، دار العالم العربي، القاهرة، ط 1، 2008م، ص 20.

(4) -مخفوظ نخاح، الهوية، الدار الخلدونية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 7، 2004م، ص 07.

(5) -أحمد بروال ويوسف مقارمة، المرجع السابق، ص 712.

سمح تعامل المسلمون مع البربر في استمالتهم إلى الإسلام، عن طريق الفقهاء الذين انتشروا بينهم وتجاوزهم عن أخطاء أسلافهم لنقص خبرتهم بطبائعهم، فنتج عن ذلك انخيازهم لصفوف العرب والمسلمين، وجنودا في جيوش الفاتحين ثم قادة فاتحين للأندلس، وما أدهش المؤرخين الأوروبيين وحتى العرب، أنه لم ينقضي القرن الأول هجري حتى أصبحت نسبة كبيرة من البربر يتكلمون اللغة العربية ويدينون بالدين الإسلامي ويمارسون عادات عربية وإسلامية بالإضافة إلى عاداتهم وتقاليدهم الأمازيغية المعبرة عن إنتمائهم المتجذر في منطقة شمال إفريقيا التي احتفوا بها بما أنها لا تتعارض ما جاء في الشريعة الإسلامية في العصر الحديث<sup>(1)</sup>.

وبعد إحتلال الفرنسيين للجزائر سنة 1830م، عملوا على إستغلال هذا الموضوع لزرع الفُرقة بين الجزائريين لتثبيت أقدامهم في البلاد. وتطور الصراع الإثني بظهور ما يسمى بالوعي البربري، وبداية المطالبة بحق الاختلاف الثقافي، والإعتراف للبربر بالحق في الهوية الخاصة بهم لأنهم عنصر إثني مختلف ثقافيا عن العرق العربي<sup>(2)</sup>، وقد شكل الصراع اللغوي في الجزائر جزءا أساسيا ومهم من الصراع الفكري بين العرب والبربر، واشتد هذا الصراع بعد الإستقلال نظرا لتبني سياسة التعريب وجعل اللغة العربية هي اللغة الرسمية في البلاد، الأمر الذي لقي معارضة في بعض المناطق، وأدخل التيار العروبي الإسلامي في مواجهة مباشرة مع التيار البربري الفرنكفوني<sup>(3)</sup>، وكان لابد لهذا الإحتقان الاجتماعي الذي لم يتم معالجته في حينه أن يتطور أكثر، فالقضية في كل مرة تعود لتطفوا إلى السطح كلما وجدت الظروف الملائمة لتأجيج الصراع من نواحي مختلفة.

من هنا نستنتج أن السياق التاريخي الذي كان منطلقا لظهور مسألة الهوية في الجزائر برز بشكل كبير خلال الفترة الإستعمارية، نتيجة لما نفذته الإدارة الفرنسية من مخططات لإثارة النعرات بين أبناء الوطن الواحد، وإنحصر الصراع حينها بين الجزائريين وفرنسا التي إنتهجت سياسة إستيطانية عنيفة للقضاء على هوية الأمة الجزائرية بهدف الإحتفاظ بالمستعمرة الجزائرية فرنسية الإنتماء، لكن هذا الصراع لم ينتهي بإستقلال الجزائر وأخذ أبعادا أخرى نظرا لمخلفات الفكر الإستعماري التي زرعتها فرنسا، لذا لابد من التطرق إلى العلاقة التي ربطت بين الهوية الوطنية والعنف الإستعماري خلال فترة الإحتلال الفرنسي للجزائر.

### المطلب الثاني: إرتباط ظهور مسألة الهوية الجزائرية بالعنف الاستعماري.

يشير الزاوي بغورة إلى أن الهوية لا تنفصل عن العنف في التجربة التاريخية للجزائر، سواء خلال المرحلة الإستعمارية أو مرحلة الدولة الوطنية، فالهوية تحولت إلى عنصر أساس في خطاب بعض الأحزاب الوطنية، ومن هذا المنطلق يخلص إلى فكرة ارتباط الهوية الجزائرية بالعنف الاستعماري، واستند في فكرته إلى أن المرحلة الإستعمارية العنيفة ضد كل مقومات المجتمع الجزائري الذي صنفته الأيديولوجية الإستعمارية في مرتبة "الأهلي" ومؤرس ضده عنف شديد أظهر مدى إصرار الاستعمار على محو كل ما اعتبره هوية مجتمع، إلا أن هذا "الأهلي" تشبث بعناد غير مسبوق إزاء هويته، ودافع عنها

(1) - محمد كمال شبانة، المرجع السابق، ص ص 20-21.

(2) - ناصر جابي وآخرون، المرجع السابق، ص ص 125-126.

(3) - محمد كمال شبانة، المرجع السابق، ص 21.

بقوة السلاح، وكانت حرب التحرير في بعض مراحلها إعلاناً عن ميلاد هوية جزائرية<sup>(1)</sup>، وقد أشار المؤرخون إلى معارضة السكان الذين يعيشون داخل الحدود الجغرافية للأراضي الجزائرية، من الشعب الجزائري الأصلي المستعمر للعنف الاستعماري والإمبريالية الفرنسية المنتهجة ضدهم<sup>(2)</sup>.

وتظهر علاقة العنف بالهوية الجزائرية خلال القرن 19م مع بداية التوسع الاستعماري، بعد ترويض الشرق البعيد فأخذ يقترب تدريجياً ليتحول إلى مكون جوهري من مكونات الهوية الغربية، باعتبار الآخر المختلف يؤسس للوعي بالذات وبالعالم، فظهرت صورة الجزائري مرتبطة بالخيال الروائي الفرنسي للوجود الاستعماري، هذا الأخير الذي لجأ إلى عزل الجزائر عن محيطها الثقافي والحضاري بالقوة، وإحاقها بالدولة المحتلة كمقاطعة فرنسية، مطبقاً سياسة الإستيطان الموسع القائم على اغتصاب الأرض والإبادة والقتل والاستعباد، لكن رغم إحتلاله الأرض إلا أنه لم يستطع السيطرة على العقول والنفوس، وهو ما تبينه المقاومة الوطنية التي انتقلت إلى الأبنية الأنتروبولوجية العميقة للإنسان الجزائري، من منطلق غريزة البقاء التي غذت هذه المقاومة الجديدة، فوظف فيها الجزائري سلاح الدمار الشامل لحماية نفسه وضمان تماسك وحدته، وتجنب التلاشي والذوبان في كيان آخر<sup>(3)</sup>، بعد الطريقة العنيفة التي عامل بها الإستعمار رموز الهوية الوطنية من دين إسلامي ومساجد ولغة عربية.... إلخ، وهو ما سنلاحظه في مواضع مختلفة آتية من هذا البحث.

وأوضحت الباحثة أميرة سامي في بحثها حول "الهوية الجزائرية والاستعمار الفرنسي قراءة في أفكار سالم يفوت" رؤية الغرب للهوية الجزائرية المبررة للعنف وجرائم الإستعمار الفرنسي في الجزائر، الذي شكل عامل تحفيز في نظهم ليسرع من تغيير الوضع الاجتماعي السائد في الشرق، ويحقق بصورة لا واعية غاية من غايات التاريخ، بانخيار وسقوط الهياكل الاجتماعية البالية، وخلصت الباحثة في الأخير أنه يجب تصحيح صورة الواقع في الجزائر ونظرتها للآخر الذي تم في ظل عنف التاريخ والحضارات، وتصويب الخلط والالتباس الحاصل بين المفكرين حول مفهوم الهوية، والتي غالباً ما تفهم في عمومها فهماً مطلقاً ناقصاً ومعزولاً عن كل الظروف أو الشروط القائمة المحيطة بالمصطلح وظروف ظهوره<sup>(4)</sup>.

فالظروف التي تشكلت فيها الأيديولوجيا الجزائرية التي تبلورت وسط النخب الجزائرية تم داخل سياق الصراع التناحري مع الأيديولوجيا الكولونيالية بهدف تحقيق وعي بضرورة حل المسألة الوطنية وإلغاء الرابطة الكولونيالية كأولوية تاريخية، تحتم اللجوء إن اقتضى الأمر إرجاء حسم المسألة الاجتماعية داخل القوى الوطنية في مقابل بناء استراتيجية تخرج من إطار تمفصل الصراع الوطني مع الاجتماعي، بل توجيه جوهر الصراع ضد الإستعمار فقط، هذا الأخير الذي مست إيديولوجيته الكولونيالية التناقضات ليتحول إلى إيديولوجيا السلاح والعنف مع حوادث 8 ماي 1945م<sup>(5)</sup>.

(1)- الزاوي بغورة، الخطاب الفكري في الجزائر بين النقد والتأسيس في التاريخ والهوية والعنف، المرجع السابق، ص 127.

(2)- Jacques Jurquet, op cit, p 16.

(3)- الطيب بودريالة، صورة الجزائر في الرواية الفرنسية، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، العدد 02، مج 02، كلية الآداب واللغات، جامعة الوادي، الجزائر، 2010، ص 07.

(4)- أميرة سامي محمود حسين، الهوية الجزائرية والاستعمار الفرنسي قراءة في أفكار سالم يفوت، الملتقى الدولي في الفلسفة ورهانات المجتمع العربي المعاصر، جامعة 08 ماي 1945، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الاجتماعية، قالمة، الجزائر، 20-22 أبريل 2015، ص 01.

(5)- عمار بلحسن، مرافعة المستعمر إطار سيوسولوجي وثقافي لفهم الرواية الثلاثية لمحمد ديب، مجلة التبيين، العدد 04، الجاحظية، الجزائر، 01 أبريل 1992، ص ص 109-110.

لهذا فالجانب التاريخي الإستعماري له علاقة بتشكيل الهوية في الخطاب الثقافي الجزائري، متحليا في مناقشة جملة من المفاهيم ذات الصلات المختلفة بينها، كمفهوم الهوية والهوية الثقافية والوطنية والشخصية، والهوية والوعي التاريخي، والهوية والأمة والدولة، ثم استنتاج العلاقة بين الهوية والعنف، كما يقتضي دراسة مسألة الهوية طرح عدة تساؤلات متعلقة بالسياقات المختلفة للموضوع، مثل: لماذا طرحها جيل الحركة الوطنية والإستقلال ولم تطرحها الأجيال الأخرى؟ وما هي الإتجاهات والتيارات التي فكرت في الموضوع؟ وماذا يعني الوعي بالهوية؟ هل يعني الوعي بالوجود، أي وجود كيان جزائري، وهل يعني أن هذا الكيان والوجود قبل القرن الـ20 لم يعني ذاته ولم يدركها؟<sup>(1)</sup>

وفي بلد الألم العريض على حد تعبير مصطفى الأشرف<sup>(2)</sup> عبر فعليا عدد كبير من علماء السياسة والمؤرخين في شكل تساؤلات مرفوعة ببعض التحفظات، أن تاريخ الجزائر مطبوع بالعنف الاستعماري، حيث أشار له يوسف نسيب بقوله أن: "العنف قد استوطن في تاريخ الجزائر"، في الوقت الذي تساءل فيه أحمد روايحية من جهته في تقديم له بأحد مقالاته: "هل يشكل العنف مع ما يرافقه من تصفية جسمية للخصم، ومن فقدان للذاكرة دون عفو عام، عوامل مكونة للتاريخ وللثقافة الجزائرتين؟"<sup>(3)</sup>، فيما رأى وليام ب. كوانت-William B. Quant أن العديد من المختصين في الشرق الأوسط تسرعوا في تفسير الوضع في الجزائر، المتميز بتاريخ وثقافة خاصتين، كما كتب لويز مارتينيز-Louis Martinez قائلا: "لا يمكن أن نفسر -يقصد الوضع في الجزائر - إلا بخصوصية التاريخ لهذه الدولة الناشئة... فإن الجزائر قد تكون محكومة بشكل عميق بالعنف الذي ميز تاريخها"<sup>(4)</sup>.

إن الدراسة العميقة لإشكالية الهوية الجزائرية يستدعي طرح عدة تساؤلات لأن دراسة هذا الموضوع يتطلب الكثير من الوقت ومادة علمية كافية، لكن مبدئيا يمكن دراسة هذه التساؤلات عبر وضع تقسيم تاريخي أولي، وذلك بالإهتمام في البداية بالخطابات السابقة لحرب التحرير الوطني 1954م، ثم دراسة التحولات التي طرأت على هذه الخطابات ما بعد الثورة التحريرية والإستقلال، أي في ظل الدولة الوطنية، من خلال خطاباتها، ومحاولة تحليل عناصر ذلك الخطاب واسترجاعه لعدة خطابات كانت مستبعدة، وتبقى باختصار دراسة تحولات وأزمات خطاب الهوية في ظل الدولة الوطنية، أي البحث في البدايات المتصلة بمفهوم الهوية ووضع تحليل أولي ضمن خطاب الحركة الوطنية الجزائرية قبل الثورة، خصوصا ما صاغته خطابات فرحات عباس وعبد الحميد ابن باديس وإيديولوجية الدولة الوطنية<sup>(5)</sup>.

(1)-عمار بلحسن، مرافعة المستعمر إطار سيوسولوجي وثقافي لفهم الرواية الثلاثية لمحمد ديب، المرجع السابق، ص 128-129.

(2)-عمار بلحسن، المشروعية والتوترات الثقافية بالجزائر، مجلة آفاق، العدد 03، إتحاد كتاب المغرب، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، المغرب، 01 نوفمبر 1990، ص 55.

(3)-نقلا عن: حسن رمعون، مسألة التاريخ في النقاش حول العنف في الجزائر، دفاتر مجلة إنسانيات، الجزائر الهوية والتاريخ والتحولات العمرانية، المرجع السابق، ص 56.

(4)-حسن رمعون، مسألة التاريخ في النقاش حول العنف في الجزائر، المرجع السابق، ص 56.

(5)-الزاوي بغورة، الخطاب الفكري في الجزائر بين النقد والتأسيس في التاريخ والهوية والعنف، المرجع السابق، ص 129-130.

### المطلب الثالث: واقع الهوية الوطنية في ظل مثنوية الاحتلال الفرنسي للجزائر 1930م.

باحتيال فرنسا للجزائر سنة 1830م أبرم الجنرال دي بورمون قائد جيوشها اتفاقية مع الداي حسين، نصت ضمن شروطها على إطلاق الحرية التامة للدين الإسلامي وللجوامع الأهلية وتكفل أملاك أهل البلاد بتجارهم وصناعاتهم وتحفظ أعراضهم ونساءهم، إلا أن الإستعمار لم يلتزم بما جاء في معاهدة الإستسلام هذه. فاستحوذ على الأوقاف الدينية وأجبر السكان على دفع ثمن تهدم المساجد، واعتدى على حرمت الأماكن المقدسة للمسلمين<sup>(1)</sup>.

وقد برزت هوية الآخر في الجزائر المحتلة وإقصاء للهوية الوطنية تبعاً للظروف المصاحبة للإحتفالات المثنوية التالية<sup>(2)</sup>:

- مخلفات التوسع الاستعماري وقضاءه على أسس الدولة الجزائرية وقمعه لمختلف المقاومات الشعبية، وبداية بروز خطاب إستعماري يصور الجزائر على أنها قطعة فرنسية، وبلغ هذا التصور ذروته مع الاحتفالات المثنوية لاحتلال الجزائر، سنة 1930م.

- جهود المعمرين الفرنسيين للقضاء على الشخصية الوطنية الجزائرية وتثبيت استقرارهم الأبدي في الجزائر عن طريق تهميش الثقافة العربية الإسلامية بمنع تداول اللغة العربية في الإدارات والتعاملات الرسمية وإنزالها إلى مرتبة اللغات الميته والغير قادرة على مواكبة تحولات العصر خاصة بعد تراجع الانتاج الفكري والابداع الأدبي.

- يرجع بعض المؤرخين الجزائريين أن الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830م ما هو إلا امتداد للحروب الصليبية، وهو ما تؤكد الحملة التبشيرية التي صاحبت عملية الغزو تحت شعار: "السيف والصليب"، وما نتج عن سياسة التفرقة بين الجزائريين سواء على مستوى المذاهب الدينية أو الطرقية أو العرق وإستعمال مخطط همجي عنيف لإلغاء الهوية الجزائرية.

- التفكك الاجتماعي للأسرة الجزائرية التقليدية<sup>(3)</sup>، وعزلها عن وظيفتها داخل النظام القبلي ما أدى إلى القضاء على التماسك الاجتماعي<sup>(4)</sup>.

وفي إطار الاحتفال بالذكرى المئوية للاحتلال الفرنسي للجزائر، طلب شارل أندري جوليان الذي كان سكرتير "المجلة التاريخية - Revue Historique" من "ستيفان غزال-Stéphane Gsell" و "غبريل إيسكار-Gabriel

(1)- محمد الصالح الصديق، كيف ننسى وهذه جرائمهم؟، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص ص 53-55.

(2)- أحمد حمدي، جذور الصراع الأيديولوجي الجزائري، دار القصة، الجزائر، 2001، ص ص 61-62.

(3)- مصطفى الأشرف، الجزائر الأمة والمجتمع، المرجع السابق، 1982، يُنظر أيضا:

Mostafa Bouteffouche, La famille algérienne, évolution et caractéristiques récentes, 2eme éd, SNED, Alger, 1982.

(4)- صالح بوعزة، المرجع السابق، ص ص 510-511.

Esquer" جمع كل ما يتعلق بتاريخ الجزائر، فتم إحصاء 15 دراسة لأعمال في التاريخ والجغرافيا وما قبل التاريخ والإثنولوجيا والتاريخ القديم وتاريخ الأديان، وتاريخ العصور الوسطى (التاريخ الإسلامي) والتاريخ الحديث (الإسبان)، والاحتلال، والشرعية الإسلامية، الأدب، الفنون، الجامعة، وفي الأخير المصادر حول الجزائر، وتم جمع كل أساتذة جامعة الجزائر بناء على رغبة جوليان<sup>(1)</sup>، لتكريس الفكر الاستعماري تاريخيا في المنطقة.

إعتقدت فرنسا من خلال هذه الإحتفالات أن أطماعها في الجزائر قد تحققت ووطدت أقدامها فيها، فأقامت إحتفالا صارخا إستفزازيا بمناسبة مرور مئة سنة على إحتلالها للجزائر، ودعت إليه القساوسة والمسيحيين، معلنة أن الجزائر أصبحت صليبية من جديد وغروب شمس الإسلام عنها، وقد أثار التحدي الصليبي غضب الجزائريين المسلمين فانفضوا مطالبين بحقوقهم المغتصبة، فانعقدت لأجل ذلك الندوات والمظاهرات وتشكلت الأحزاب والهيئات والمنظمات الدينية والوطنية، فكان تحديهم حافزا لصحوة العقيدة الدينية وبعثا للروح الوطنية، فتعددت نشاطات الحركة الوطنية ووسائلها وبرامجها عبر ربوع الوطن، وأصبح لكل جبهة أنصارها وأعلامها وخطبائها باللغتين العربية والفرنسية، لتكشف حقيقة الشعب الجزائري المسلم الذي ما يزال حيا في بلاده رغم مضي مئة عام من إحكام قبضه المستعمر عليه<sup>(2)</sup>.

#### المطلب الرابع: موقف ابن باديس من الإحتفالات المئوية لتثبيت الاحتلال في الجزائر.

أحس الجزائريون بالذل والمهانة بعد أن ذكرتهم الإحتفالات المئوية لسنة 1930م بملايين الآلاف من أسلافهم الشهداء الذين سقطوا طيلة نصف قرن نظير دفاعهم عن حرية البلاد الجزائرية واستقلالها، خصوصا بعد الروح الصليبية التي تخللت خطابات المسؤولين الفرنسيين والتي أبانت عن حجم التطرف والعنصرية التي لازالوا يكونونها للعروبة والإسلام في الجزائر، رغم مرور هذه المدة الطويلة عن تواجدهم فيها<sup>(3)</sup>.

وكان ابن باديس قد كتب حول الإحتفالات المئوية قائلا: "إن قرنا من الزمن كان كافيا لكي تلتئم الجراح، واليوم يسعى رجال عديموا الرحمة لإثارة الذكريات البعيدة وإبرام نار من الحقد والضغينة، إن تلك الإستعراضات العسكرية وتلك العروض التي لا طائل من ورائها، والتي يجد فيها كبرياء المنتصر فيها ما يرضيه، تمثل مساسا كبيرا بكرامتنا وإهانة لزمرة أبنائنا الأمجاد"<sup>(4)</sup>.

وتعتبر تلك المجموعات من طلبة العلم المتخرجين الذين تم تكوينهم على يد ابن باديس درعا واقيا أمام سياسة الفرنسية والتعجيم، وسوف تكون بمثابة الرد المناسب على تباهي فرنسا بالإحتفالات المئوية، وبكون الجزائر أصبحت قطعة من فرنسا، لذلك كان ابن باديس ومناصروه على دراية ووعي باختيارهم الوقت والمكان المناسبين للرد البيداغوجي

(1) - فؤاد صوفي، التاريخ والذاكرة الإسطورولوجية الاستعمارية، دفاثر مجلة إنسانيات، عنوان العدد الجزائر الهوية والتاريخ والتحويلات العمرانية، العدد

02، المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، وهران، الجزائر، 2010، ص 45.

(2) - محمد خير الدين، مذكرات، ج 01، المصدر السابق، ص 270.

(3) - رابح تركي، الشيخ عبد الحميد ابن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر، المرجع السابق، ص 66.

(4) - عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء المسلمين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية (1931-1945)، دار البعث، قسنطينة، الجزائر،

ط1، 1981، ص 93.



والسياسي الحكيم على مزاعم فرنسا، لذا جاء تفكير ابن باديس في تأسيس جمعية التربية والتعليم عام 1930م، مختاراً لها تسمية لتكون عنواناً لمشروع بيداغوجي عصري متعدد الأهداف والغايات، معطياً المكانة الأولى للتربية قبل التعليم<sup>(1)</sup> لتهيئة النشء من أجل تحمل مسؤوليته في الرد على فرنسا مستقبلاً.

ولم تكتفي فرنسا بالإحتفالات المئوية لإحتلال مدينة الجزائر، بل دشنت سنة 1937م للإحتفال بالذكرى المئوية لإحتلال مدينة قسنطينة، وكان لابن باديس موقف من هذا الإحتفال وهو الذي كان يزاوّل نشاطه الإصلاحية من نفس المدينة، فبرز موقفه من خلال قيامه بـ:

- جمع 14 جمعية إسلامية وأقنعها بعدم المشاركة في الإحتفال.

- كتابته لنداء إلى الشعب الجزائري لمقاطعة الإحتفال بإمضائه وحده في تحدي منه لفرنسا.

- إتهامه بأنه يحرض على الثورة والمطالبة بالإستقلال، لكنه لم يخش هذه التهم قائلاً: "نحن قوم لا نتأخر عن الخوض في مثل هذه الميادين، وأنهم لا يزعموننا إن جرونا للبحث في مسألة الإستقلال، لأن الإستقلال حق طبيعي لكل أمة من الأمم وضرب أمثلة بالأمم التي استقلت عن الإمبراطورية الإستعمارية وهي دول وأمم أقل شأنًا من الأمة الجزائرية علما ومنعة وحضارة" كما قال: "ولعله سيأتي اليوم الذي ستصبح فيه الجزائر مستقلة"<sup>(2)</sup>.

وإذا كان تأسيس جمعية العلماء في حد ذاته هو رد من علماء الإصلاح الممثلين للأمة الجزائرية على الإحتفالات المئوية، فإنها كانت مدركة لمغزى الإحتفالات ضد الدين الإسلامي، وبين الشيخ خير الدين موقف الجمعية من الإحتفالات قائلاً: "... تجلت أهداف المستعمرين واضحة في العمل على محو الإسلام بمختلف الأساليب..."<sup>(3)</sup>.

ومواصلة لإحتفالاتها المئوية إستغلت فرنسا مناسبة مرور قرن على إنشاء الأسقفية الكاثوليكية في الجزائر سنة 1938م، وعقدت المؤتمر الأفخاريستي-le Congrès Eucharistique d'Alger سنة 1939م بالجزائر، لإبراز امتداد شمال إفريقيا لفرنسا والإعتراف بالجميل للذين ساهموا في الإحتلال سنة 1830م مدنيين وعسكريين<sup>(4)</sup>، ما يبرز جليا إستمرارها في سياستها الإستفزازية للجزائريين، خصوصا وأن إنعقاده تزامن مع إحتفالات الأمة الجزائرية بالمولد النبوي، الأمر الذي اعتبره ابن باديس فعل مقصود تجاوز البعد الديني إلى البعد السياسي، نظرا للمغزى المراد تحقيقه من عملية إعادته تمثيل أحداث غزو مدينة الجزائر، وما يمثله من إمتداد تاريخي للحروب الصليبية ضد الإسلام والمسلمين<sup>(5)</sup>.

(1)- حمادي عبد الله، المرجع السابق، ص 163-164.

(2)- عبد العزيز فيلاي، الكلمة الافتتاحية، المرجع السابق، ص 17.

(3)- محمد خير الدين، مذكرات، ج 02، المصدر السابق، ص 58.

(4)- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 06، المرجع السابق، ص 137.

(5)- للتوسع يُنظر: وعلي محمد الطاهر، التعليم التبشيري في الجزائر من 1830 إلى 1904م "دراسة تاريخية تحليلية"، المؤسسة الوطنية للفنون

المطبعة، الجزائر، 2009.



ويضيف ابن باديس أن هدف المؤتمر هو تنصير شمال إفريقيا، ورفض نشر تصريحات أسقف الجزائر ومندوب البابا بمجله "الشهاب"، فيما صرح الشيخ العقبي خلال الاجتماع الذي جرى بنادي الترقى في 8 ماي 1939م لمناقشة هذا الموضوع، أنه متدين ويحترم جميع الأديان محملا فرنسا مسؤولية إحتلالها للجزائر وليس الصليبية<sup>(1)</sup>.

عملت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من خلال جريدة "البصائر" على إبراز مدى إنفتاح المسلمين الجزائريين على باقي الأديان السماوية، لكنها تأسفت للنية المبيتة من إنعقاده، وإستنكرت مساندة رجال الدين النصرانيين لانعقاده رغم إدراكهم لأبعاده الحقيقية الدينية والسياسية، حيث قال: "...نوجه لومنا وإستنكارنا لما نراه من الإدارة المحتفلة بهذا المؤتمر من وقوفها إلى اليوم وقفة المعارض لنا في نشر ديننا ولغة ديننا بغلق المساجد في وجوه العلماء وعرقلة التعليم الديني ومعاكسة أهله.."<sup>(2)</sup>. وبالتالي ففترة الثلاثينات تعتبر من أهم فترات التاريخ الجزائري الحديث التي إشتد فيها ساعد الحركة الوطنية من جهة في مقابل تزايد ضغوط الاحتلال الفرنسي على مقومات الشخصية الجزائرية من لغة ودين وتاريخ وثقافة وحضارة<sup>(3)</sup>، وظهور مصطلح القضية الجزائرية على خلفية الأحداث التي أيقظت الأمة الجزائرية من سباتها ووحدت بين أفرادها شعورا وتفكيريا وغاية<sup>(4)</sup>، وهي نفس الفترة التي عرفت التحول الوطني عند التيار الإصلاحية في الجزائر<sup>(5)</sup>.

من هنا نجد أن ابن باديس أدرك في هذه الإحتفالات قيمة الدور الذي يلعبه المجتمع في التصدي للضغط الاستعماري، بداية من دعوته للمرأة الجزائرية بالمحافظة على مقومات الشخصية الوطنية ومنع ذوبانها، نظرا لوعيه بخطورة هذا السلاح في يد الإستعمار الفرنسي، وأكدت الأيام صحة نظريته من خلال المقال الذي كتبه الدكتور فانون في عدد "المقاومة الجزائرية" بتاريخ 16 ماي 1957م، أوضح فيه أن الحقيقة التي كشفها ابن باديس سنة 1929م حول فكرة تعلق المرأة الجزائرية ببيتها لم يكن يعني كراهيتها للشمس أو الهروب من العالم أو إجبار المجتمع الإسلامي على أسرها وتغييبها عن الحياة ومنعها من أي تطور على حد مزاعم الإستعمار الفرنسي، بل إن ذلك الإنطواء كان يعني المحافظة على بذرة الإخصاب داخل وجود محدود ومنسجم، شكل القوى الأساسية للشعب المضطهد<sup>(6)</sup>، ما يبين أن تفتن ابن باديس في

(1)- غفاف زقورة، المرجع السابق، ص ص 104-105.

(2) - عبد الحميد ابن باديس، حول المؤتمر الأفخارستي هل كان مظهرا خالصة؟ وهل ترك أثرا طيبا في القلوب، البصائر، العدد 166، السنة الرابعة، 29 ربيع الأول 1358هـ/ 19 ماي 1939م، ص 205.

(3) - تركي رابح، الصراع بين جمعية العلماء وإدارة الإحتلال الفرنسي للجزائر في الفترة ما بين 1933-1939، مجلة الثقافة، العدد 85، السنة 15، وزارة الثقافة والسياحة بالجزائر، الجزائر، ربيع الثاني-جمادى الطاولي 1405هـ/يناير-فبراير 1985م، ص 184.

(4)- هل في الإمكان تأسيس حزب وطني جزائري؟!، الأمة، السنة الأولى، العدد 03، الثلاثاء 22 جمادى الثانية 1353هـ/ 02 أكتوبر 1934م، ص 01.

(5)- Charlotte Courreye, L'Association des Oulémas Musulmans Algériens et la construction de l'État algérien indépendant : fondation, héritages, appropriations et antagonismes (1931-1991), Thèse pour obtenir le grade de Docteur de l'INALCO, Institut National des Langues et Civilisations Orientales, Université Sorbonne , Paris, 2016., p 23.

(6)- محمد الميلي، ابن باديس وعروبة الجزائر، المصدر السابق، ص 67.

هذه الإحتفالات المثوية لدى إدراك الإحتلال لأهمية دور المرأة الجزائرية في صنع مستقبل الأمة، وكان المنطلق لتكوين جيل مثّل خزان القوة الذي أشعل فتيل الثورة ضد الإستعمار سنة 1954م. كما أن ولادة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين جاءت من رحم معاناة الشعب الجزائري الذي مضى على استعمار مائة سنة وما شهدته من مجازر ومذابح<sup>(1)</sup>، لتمثل الإحتفالات المثوية للإحتلال نقطة التحول في مسار المقاومة الجزائرية بإستفاقة نخبة الإصلاحية وفي مقدمتهم ابن باديس لإحياء هوية الأمة تمهيدا لاسترجاع السيادة الوطنية.

#### المطلب الخامس: معالم ومنطلقات ابن باديس لإحياء الهوية الوطنية.

من خلال الكتابات التاريخية التي خلفها ابن باديس يتبين أن الرجل كان مدرك جيدا لواقع الإستعمار وأهدافه، ومطلعا إطلاعاً مدروساً ودقيقاً لوضع الأمة الجزائرية في ظل هذا الظرف الخاص والمتميز من أنواع الإستعمار الإستيطاني، ويبدو أن إدراكه هذا زاد مع الإحتفالات المثوية للإحتلال، لذلك كان هناك ملامح ومعالم لمنطلقات وضعها لإنقاذ الأمة من مخالب الإستعمار بإصلاح حال الفرد والمجتمع الجزائري تمهيدا لإحياء هويته الوطنية وعقيدته الإسلامية قبل حتى تأسيس جمعية العلماء المسلمين، التي كانت تنتظر الظروف السامحة لخروج مشروعها إلى الواقع، ونجد أنه ركز على إحياء الفرد والذات الجزائرية لكونها اللبنة التي سيقع على عاتقها مستقبلا مهمة تحمل واجباتها اتجاه الوطن، ومن بين المعالم والمنطلقات التي حددها ابن باديس لتحقيق أهدافه الوطنية اتجاه أفراد الأمة نجد:

#### أولا- الإستثمار في رأس المال المادي (الثقافة والتراث):

- إن فكر ابن باديس ينطلق من القرآن الكريم والسنة النبوية فيما يخص عمارة الأرض بالمساجد ومدارس العلم، فالمسجد له مقصد شرعي ديني لعبادة الله في الأرض، والمدارس لتعليم النشء، لذلك عملت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين على بناء المساجد والمدارس الحرة والنوادي لأهميتها في التربية الاجتماعية والتعليم الثقافي وتكوين مجتمع متشبع بالروح الوطنية، فالمسجد والمدرسة هي الوساطة القادرة على استقطاب جميع أفراد المجتمع وتصحيح عقيدتهم وتعليمهم لغتهم، ومتى كانت هذه المرافق الحيوية قريبة من الفرد كلما ساهمت في تطوير المجتمع وتنميته وزيادة إرتباطه بدينه وبالتالي بهويته الإسلامية ولغته العربية.

- أدرك ابن باديس مبكرا أن التعليم وحده لا يكفي إذا لم يصاحبه إهتمام بغرس الروح الوطنية والإعتزاز بالإنتماء لهذه الأرض التي ضحى من أجلها الأجداد وناضلوا ضد مختلف الإحتلالات التي مرت على المنطقة.

- لم تستثمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلمائها في بناء المساجد والمدارس الحرة فقط، بل عملت على ترميم المرافق والمؤسسات الدينية التي هدمها الإستعمار الفرنسي وقامت بفتحها لاستعادة دورها في تعليم الناس.

(1)- عبد الله حمادي، المرجع السابق، ص 167.

ثانيا - الاستثمار في رأس المال البشري للفرد الجزائري (العقل، الايمان، الاخلاق):

- إن أهم شيء ركز عليه ابن باديس هو بناء فرد جزائري متميز في هويته الوطنية ببعديها الإسلامي والعربي، مدرك لمسؤوليته اتجاه هذا الوطن لبناء أمة جزائرية وهو ما عبر عنه قائلا: "إن الأمة الإسلامية لم تتأخر عن ركب الأمم الراقية إلا بابتعادها عن تعاليم الإسلام، ولا سبيل إلا بإعادتها إلى الإسلام الصحيح" (1).

- من أجل تحقيق هذا الهدف وضع ابن باديس التربية والإصلاح ضمن أولى الأولويات في مشروعه النهضوي، للعودة بالفرد الجزائري إلى إسلامه الصحيح وعقيدته الخالصة من كل خرافات الشرك وأفكار سلبية.

- من أجل الخروج من هذا الوضع السيئ للمجتمع الجزائري بذل ابن باديس مجهودات كبيرة لتكوين رجال الإصلاح الذين سيقع على عاتقهم مسؤولية التعليم والتربية والوعظ والإرشاد وإصلاح الإنسان الجزائري وتقويم شخصية الفرد الذي هو ركيزة أي مشروع نهضوي خاصة إذا ما تعلق الأمر بترسيخ مرتكزات الهوية ومقوماتها على أرض صحيحة ومتينة يعول عليها لتحقيق الهدف الأساسي وهو الاستقلال وبناء أمة جزائرية لا تزول عبر التاريخ وقد تطلب منه هذا وقتا وصبرا.

- إن سبب إهتمام ابن باديس بالتربية والتعليم هو كسر الجمود الفكري بإصلاح الخلل الذي وقع على مستوى العقول، لكي تتفتح لاستقبال الأفكار التنويرية والتوعوية كي يتمكنوا من إدراك وضعهم وبث روح الحماس بنشر الفكر التحرري من الإستعمار، بعد الوعي بمدى تمايز الهوية الجزائرية بعد إحياء مقوماتها عكس ما أراد أن يكرسه المحتل والعمل على المحافظة عليها والتمسك برموزها الشخصية (2).

- إذا كان ابن باديس قد بدأ باصلاح الدين فإنه كان مدركا لأهمية القرآن في تكوين الفرد الجزائري خاصة فكريا، لأن القرآن لا يلغي مهمة العقل ودوره الفعال في التوحيد خاصة فيما يتعلق بتجديد أسلوب تدريسه والأدلة التي يتحجج بها، والمشكلات التي يعالجها، والمصادر التي يعتمد عليها.

- دعى ابن باديس العلماء إلى تجنب انتهاج الأساليب القديمة في التدريس والتعليم لأنها لم تعد تواكب تطورات العصر ولا تؤدي الدور المرجو منها وعبر عن ذلك قائلا: "فإننا نربي والحمد لله تلامذتنا على القرآن، ونوجه نفوسهم إلى القرآن منهم رجالا كرجال سلفهم، وعلى هؤلاء الرجال القرآنيين تعلق هذه الأمة آمالها وفي سبيل تكوينهم تلتقي جهودنا وجهودها" (3).

وبالإضافة إلى هذه المنطلقات نجد أن ابن باديس ركز أيضا على البناء العقائدي أو التربية الإيمانية للفرد الجزائري، والإصلاح الأخلاقي بالتربية السليمة، والاستثمار في الوطنية الجزائرية من وحدة للتراب الوطني ووحدة الشعب وإعتزاز بشخصيته الجزائرية، والاستثمار في الزمن لتحقيق أهدافه، والتاريخ الوطني من خلال إحيائه وتعليمه لأفراد الأمة لمعرفة

(1)- محمد الصالح صديق، المصلح المجدد الإمام ابن باديس لهذا حاولوا اغتياله، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2006، ص 72.

(2)- عمارة رابح تركي، الشيخ عبد الحميد ابن باديس باعث النهضة الإسلامية العربية في الجزائر المعاصرة، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 2003، ص88.

(3)- عبد الحميد ابن باديس، كلمة المختفل به، الشهاب، ج4، مع 14، ربيع الثاني وجمادى الأولى 1357هـ/ جوان وجويلية 1938م، ص 310.

أصولهم وإنتمائهم، وهي المعالم التي إنعكست على خطة جمعية العلماء وقانونها الأساسي ولو جزئياً، لكون علماء الجمعية تميزوا بالمرحلية في نشاطهم الإصلاحي بالتوازي مع الظروف والمستجدات الحاصلة وقتها.

**المبحث الثالث: خطة الجمعية لاعادة بعث مقومات الهوية الوطنية من خلال قانونها الأساسي.**

**المطلب الأول: التعليم.**

عرض ابن باديس في اجتماعه مع العلماء خطة عمل، لتنفيذ مشروعه الهادف لإنقاذ الأمة الجزائرية وتحرير البلاد من الاستعمار والمحافظة على مقومات هويتها الوطنية، وضمان استمراريتها عن طريق جملة من النقاط تتمثل في:

- تكوين لجنة للتسيير والتنفيذ من العلماء الحاضرين في الاجتماع.
- المباشرة الفورية في إنشاء المدارس الحرة لتعليم اللغة العربية والتربية الإسلامية.
- الالتزام بإلقاء دروس الوعظ لعامة المسلمين في المساجد الحرة، والتحول عبر ربوع الوطن الجزائري لتبليغ الدعوة الإصلاحية لكامل أفراد الشعب.
- توعية طبقات الشعب عبر الكتابات في الصحف والمجلات.
- إقامة الاجتماعات لإلقاء الخطب والمحاضرات في النوادي التي يتم إنشاؤها.
- إنشاء فرق الكشافة الإسلامية للشباب في كافة أنحاء الوطن.

العمل على إذكاء روح النضال وسط الشعب الجزائري، لتحرير البلاد من العبودية والحكم الاستعماري، لأن المبدأ الذي يجب -السير عليه هو إتباع هدى الرسول صلى الله عليه وسلم في العقيدة والإسلام، والتسلح بأدوات القتال فكلا السلاحين لا بد منهما<sup>(1)</sup>.

وفي الأخير تم تحديد مكان نشاط كل واحد من العلماء، فأُسندت للإبراهيمي مدينة سطيف وما جاورها، ومبارك الميلي بمكتب التعليم العربي ومساجد قسنطينة، والطيب العقبي كلف بالاستمرار في إلقاء الدروس بمدينة بسكرة، فيما أُسندت للعربي التبسي مهمة إلقاء الدروس بمدينة تبسة وما جاورها، وعين محمد خير الدين لإلقاء الدروس في بلدة "فرفار" وما جاورها من قرى ووحدات الزيبان<sup>(2)</sup>.

جاء في الفصل الخامس من القانون الأساسي للجمعية في قسمه الثاني المعنون بغاية الجمعية: "تتذرع الجمعية للوصول إلى غايتها بكل ما تراه صالحاً نافعا لها غير مخالف للقوانين المعمول بها، ومنها أنها تقوم بجولات في القطر في الأوقات المناسبة"، وأما في الفصل السادس من نفس القسم فقد أشارت الجمعية إلى غاية مهمة ستسعى فيما بعد جاهدة لتحقيقها وهي تعليم اللغة العربية من خلال إهتمامها بتأسيس مكاتب حرة لهذا الغرض، حيث جاء في هذا الصدد: "للجمعية أن تؤسس شعباً في القطر، وأن تفتح نوادي ومكاتب حرة للتعليم الابتدائي"<sup>(3)</sup>، وتقصّد بالمكاتب الحرة نظام التعليم العربي الحر الذي سيلعب دوراً مهماً في نشر الوعي الوطني ونهضة الأمة الجزائرية فيما بعد.

(1)-محمد خير الدين، مذكرات، ج 01، المصدر السابق، ص ص 72-73.

(2)-عبد الحميد ابن باديس، فاتحة السنة الرابعة، الشهاب، ج 01، مج 14، السنة 14، محرم 1357هـ/مارس 1938م، ص 01.

(3)-المصدر السابق، ص 104.

كانت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تسعى منذ تأسيسها للدفاع عن هوية الشعب الجزائري، من خلال وظيفتها التعليمية في المساجد والمدارس التي كانت منبراً لتلقين وترسيخ مقومات الهوية الجزائرية، وكذلك من خلال وظيفتها الإعلامية التنويرية المتمثلة في الصحافة المكتوبة التي لعبت دوراً بالغ الأهمية في نشر الأفكار التحريرية الإصلاحية، وتوعية الرأي العام في سبيل الدفاع عن هويته، إلى جانب وسائل أخرى سياسية لا تقل أهمية في مفعولها، وهي المواثيق والبيانات السياسية التي كانت محلاً لتجسيد طموحات الحركة الوطنية عموماً والجمعية خصوصاً فيما يخص هوية الشعب الجزائري.

ويبرز أبلغ وصف لخطة جمعية العلماء ما قاله الشيخ ابن باديس عن مبدأ مجلته "الشهاب" وسيرتها حيث قال: "نعمل لصالح الأمة بإسلامها وعروبتها، ونحافظ على هويتها وتاريخها، ونتناول أسباب الحياة والتقدم من كل جنس وكل لغة، ونعمل مع كل عامل لخير البشرية وسعادة الإنسان"<sup>(1)</sup>.

### المطلب الثاني: الإهتمام بالتراث والثقافة الجزائرية.

الثقافة في مفهومها متعلقة أيضاً بتحرير الفكر وتنمية العقل وتنبيه الوعي وإحياء الضمير، وتشترك فيه كل أصناف النخبة الجزائرية كما تشترك في النشاط العقلي والإنتاج الفكري، لكنها تختلف في نمط التفكير وطريقة الحياة والعيش، فالنخبة العربية ثقافتها إسلامية بالدرجة الأولى، والإسلام بالنسبة لها عقيدة وأسلوب حياة في نفس الوقت، وثقافتها عربية بالدرجة الثانية، لأنها تُرجمان لهويتها وشخصيتها، وتتفرد بل وتتميز عن غيرها أكثر بإحساسها القومي وارتباطها بالوطنية الجزائرية مع الإنفتاح على ثقافات الأوطان الأخرى، بما فيها الثقافة الفرنسية، ولها إنتاج أدبي وافر متعدد الأغراض تعليمياً وثقافياً وإصلاحاً ووطنية واستشرافاً بغد أفضل<sup>(2)</sup>.

إن تمجيد العروبة والإسلام لا يتم فقط من خلال تاريخ الجزائر، بل أيضاً من خلال تجديد اللغة العربية وإعادة تأسيسها باعتبارها اللغة الرسمية للعنصر الإسلامي، بفضل برامج جمعية العلماء، ومنح حياة ونفس جديدة للغة العربية، فأصبحت لغة الثقافة لأنصار الحركة الإصلاحية، وهذا لا يعني أن العلماء هم أعداء الأشكال الأخرى من الثقافة كما يدعي محمد حربي عندما إنتقد توجه الإصلاحيين في إشارة منه إلى رغبتهم في فرض اللغة العربية على البلاد بأكملها من منطلق أنها لغة القرآن، وبالتالي تعبيرهم عن ثقافة ما من خلال نضالهم لصالح اللغة العربية، فسعى العلماء قبل كل شيء إلى إعادة هذه اللغة التي سقطت نتيجة إهمال فرنسا لها، وكرد فعل حتمي على النفي الإستعماري الذي اعتبرها لغة أجنبية<sup>(3)</sup>.

(1)- حضر الإجتماع كل من الدكتور تامزالي عن النيابة المالية للقبائل والدكتور فرانسيس أحمد نائب المجلس المالي ، وقاضي قدور رئيس جمعية الفلاحين

المسلمين والدكتور أمين دباغين وحسين عسلة من حزب الشعب الجزائري، إضافة للشيخ العربي التبسي، والشيخ محمد خير الدين عن جمعية العلماء

المسلمين، الدكتور سعدان نائب بسكرة. الشيخ خير الدين، مذكرات، ج1، المصدر السابق، ص13.

(2)- عبد الحميد زوزو، الثقافة والتعليم الحر والرسمي في العهد الفرنسي، المرجع السابق، ص 125.

(3)-Ahmed Sarri, op cit , pp 65-66.

إن الصفوة المتعلمة التي كونتها الحركة الإصلاحية وأعدتها جمعية العلماء علما وثقافة بمساعدة الأمة ماليا خلال 25 سنة (1930-1954م) التي وصل عددها إحصائيا إلى أكثر 300 معلم ومعلمة أغلبيتهم من خريجي جامع الزيتونة، هم الذين سيمثلون المؤسسات التعليمية بعد الإستقلال، لأخذ أماكنهم كأساتذة بعد رحيل الفرنسيين، بالإضافة إلى أكثر من 200 متحصل على الشهادة الابتدائية وأكثر من 300 من هم في مستواها والذين سيتوزعون كمساعدين وممرنين على مختلف مدارس القطر الجزائري، بالإضافة إلى المتحررين من صفة الأمية فقد قدر عددهم بنحو 100 ألف بفضل إقبالهم على النوادي وعلى دروس الوعظ والإرشاد والتعليم الدراسي<sup>(1)</sup>.

كان القادة الإصلاحيون مدركين تماما للقيمة التعليمية للتعليم العلماني، وأدركوا بسهولة الخدمات البارزة التي قدمتها المدرسة الفرنسية لبلادهم. بالفعل في عام 1926، كتب ابن باديس، مشدداً على أهمية اللغة الفرنسية في التطور الفكري والمادي للمسلمين، نحن الجزائريون، نحن جزء من المجال الفرنسي<sup>(2)</sup>.

لذلك فعداء علماء الجمعية للثقافات الأجنبية الذي استنكره محمد حربي راجع إلى حد كبير لانخيازه وجهله لكتابات العلماء حول هذه المسألة، وفي الواقع فإن خريجي المدارس الفرنسية عانوا من أحادية اللغة التي أبعدهم عن تطور الجزائر المعاصرة حيث كانت الثقافة الفرنسية هي السائدة، ولم يرغب العلماء في ارتكاب نفس الخطأ مع الشباب المسلم، بالنسبة للعلماء، حيث يرى علي مراد أنه لم يكن هناك شك في تأليب التعليم الإسلامي الخاص ضد التعليم العام، ولا التبشير بالثقافة العربية ضد الثقافة الفرنسية، كما اعتقد العديد من المنتقدين السطحيين، ولذلك رأى أن العلماء كانوا ينادون بضرورة تثقيف أنفسهم باللغة الفرنسية، لذلك أرسل العديد من القادة الإصلاحيين أطفالهم إلى المدارس الفرنسية لضمان تعليم جيد لهم<sup>(3)</sup>.

ونخلص هنا إلى أن إهتمام الجمعية بالثقافة الجزائرية لم يكن يعني تفوقها على الماضي ورفض الحضارة الغربية، بل طالبت الجزائريين المثقفين ثقافة فرنسية بالالتفات إلى أمتهم لينتشلوها من وضعها المزري، معتمدين على ما اكتسبوه من علم وخبرة، مع المحافظة على مقومات أمتهم، ناقلينها بذلك إلى التطور الحضاري ومساهمين في نهضة أمة عظيمة بتاريخها<sup>(4)</sup>.

### المطلب الثالث: إصلاح الفرد الجزائري وبعث سمات الشخصية الجزائرية.

عمل الإستعمار الفرنسي على بتر الكيان الجزائري عن نسقه الاجتماعي والثقافي والحضاري ذو الطابع العربي الإسلامي بهدف إلحاقه بالكيان الثقافي الفرنسي ضمن إطاره الغربي بعد بسط سيطرته الامبريالية بمختلف أشكالها

(1)- المرجع السابق، ص ص 127-128.

(2)-Ahmed Sarri, op cit , p 66.

(3)- Ibid, pp 66-67.

(4)-قيمة الرجل بقيمة قومه، الشهاب، ج 08، مج 11، شعبان 1354هـ/ نوفمبر 1935، ص ص 143-144.



السياسية والاقتصادية والإدارية المقننة ذات الأبعاد الاستيطانية تنفيذا لمشروع ممنهج يسعى للاحتفاظ بالجزائر كمستوطنة فرنسية دائمة، ولا يمكن لهذا المسعى أن يتحقق دون تفتيت البنى الاجتماعية والاقتصادية المشابكة لهذا المجتمع<sup>(1)</sup>.

لذا فقد ارتبط عمل جمعية العلماء المسلمين بإصلاح الجانب الاجتماعي المرتبط بباقي الجوانب، لأن إصلاح الشؤون الدينية للفرد متصل بإصلاح الأسرة والمجتمع، والدين بالنسبة للجمعية لم يكن فقط من أجل العبادة وحدها، بل لإصلاح المجتمع عامة بتصحيح عقيدته وديانته، من تمجيد للعقل وتكريس للعدالة الاجتماعية ودحض للفوارق العنصرية، ونشر لروح التأخي وبعث التعليم ومحاربة الجهل للقضاء على ظاهرة إستعباد الناس وإستغلالهم من خلال:

- الإصلاح الفكري والعقلي للفرد الجزائري.

- إصلاح المعتقد الديني والإيماني للمجتمع الجزائري عبر محاربة الإلحاد ومظاهر الشرك والبدع والخرافات.

- إصلاح المرأة والأسرة.

- إصلاح الشباب.

وركزت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في خططها لمواجهة المخططات الإستعمارية الفرنسية الساعية لطمس الهوية الوطنية الجزائرية على التربية والتعليم، من خلال إنتهاج الإصلاح الديني والاجتماعي لتهيئة النفوس للإنصهار في حركة النضال السياسي إضافة لربط الجزائريين بمحيطهم العربي الإسلامي لضمان الوحدة الوطنية والإسلامية<sup>(2)</sup>، وقد أكد البشير الإبراهيمي أن الإستعمار جاء إلى الأرض الجزائرية بمشاريع لغرض القضاء على الركائز الأساسية لمقومات الأمة الثلاث الدين الإسلامي واللغة العربية وإحياء الإرث اللاتيني حيث قال: "إن الإستعمار جاء إلى هذا الوطن بثلاثة أشياء ليمحو بها ثلاثة أشياء: جاء باللاتينية ليغمر بها العروبة، وجاء باللغة الفرنسية ليقضي بها على اللغة العربية، وجاء بالمسيحية لينسخ بها الإسلام، وما عمله في إحياء البربرية إلا مثال من المبدأ الأول، وما ضغطه على التعليم العربي إلا مثال من القاعدة الثانية، وما تشجيعه للضلالات والبدع، وتلكؤه في فصل الإسلام عن الحكومة، ومشروع الإسلام الجزائري إلا أمثلة من المبدأ الثالث"<sup>(3)</sup>.

لذا فخطه الجمعية في ميدان التعليم التي تتوافق وشروط تحقيق نهضة الأمة الجزائرية إرتكزت على أربعة أبعاد تعتبر بمثابة دعائم أساسية ترتكز عليها مقومات الهوية الوطنية ومرتكزاتها وهذه الدعائم حددها الإبراهيمي سنة 1929م وهي:

- **الدين:** ويعتبره الإبراهيمي دين الفترة، والذي فطر عليه الإنسان، وهو أنسب دين للبقاء، لأنه لا يرجع في أحكامه إلا إلى النص القطعي من كتاب محكم أو سنة قولية أو عملية متواترة واعتبار كل ما ألصق به من محدثات بدع، وهو صالح لكل زمان ومكان، لما فيه من تآلف للأرواح بعد تلاقيها وأكد على الجزائريين ضرورة إلتماس الوحدة في الدين والقرآن الكريم لكونه أوسع أفقا<sup>(4)</sup>.

(1)- مريم لعماري، "دور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في تنظيم وتوحيد جهود الحركة الإصلاحية"، مجلة معارف، عدد 21، ديسمبر 2016م، السنة 11، ص 164.

(2)- عبد الرشيد زروقة، جهاد ابن باديس ضد الإستعمار الفرنسي في الجزائر، 1913-1940، ط 1، دار الشهاب، لبنان، 1999م، ص 166.

(3)- أحمد بوال و يوسف مقارمة، المرجع السابق، ص 717.

(4)- آثار محمد البشير الإبراهيمي، ج 01، جمع وتقديم: أحمد طالب الإبراهيمي، ط 05، دار الوعي، الجزائر، 2016، ص 14.



**-العلم:** دعى البشير الإبراهيمي جميع أطراف المجتمع الجزائري إلى طلب العلم والبحث في كل العلوم على اختلافها التي تتماشى مع خدمة نهضة الأمة سواء علوماً ثقافية أو علوماً شرعية لأن حاجة الإنسان إلى العلم لا تختلف عن حاجته للغذاء.

**-الأخلاق:** أساس بنائها مستمد من القرآن الكريم والمتوارث من آداب العرب، وأكد الإبراهيمي أن إحياء الأخلاق الإسلامية المتوارثة صعب لكنه غير مستحيل لأن معظمها مأخوذ من القرآن في أوضح عبارة وبيان<sup>(1)</sup>.

**-الاقتصاد:** لا يمكن لأي نهضة أن تقوم دون أن تعتمد على الاقتصاد وهو في نفس الوقت أحد أسباب سقوط الأمم والحضارات، لكون العلم والمال سلاحين ضروريين، لبناء أي أمة ولمواجهة تحديات العصر التي تعترضها في سبيل ترسيخ هوية شعبها، وفي هذا الصدد أكد الإبراهيمي ضرورة تأسيس شركات التعاون بين الفلاحين والتجار للوقاية من شر حكم الأجانب في أملاكهم وتأسيس مصارف مالية تكون مرجعاً للتوفير والإحتياط<sup>(2)</sup>.

### المبحث الرابع: عناصر الهوية الوطنية عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

مع مطلع القرن العشرين بدأ يتبلور الوعي وسط نخب الإصلاح في الجزائر بأهمية الهوية الوطنية واستقلال الشخصية الجزائرية عن الشخصية الاستعمارية التي أراد الفرنسيون ترسيخها وسط الأهالي، وما ساهم في ظهور هذا الفكر هو الظروف التي صاحبت التواجد الاستعماري في الجزائر وسياسته الاستيطانية منذ بداية الاحتلال سنة 1830م، والتعارض الكبير الذي أصبح واضحاً وقتها بين الأوضاع التي سبقت الاحتلال، وما كان عليه الشعب الجزائري من ترابط بين صلاته من خلال وحدة اللغة والثقافة والاعتقاد الديني، وقد كان للاستعمار الفرنسي دور في تغذية الشعور بالانتماء للوطن والارتباط بالتاريخ المشترك، والاحساس بالمصير الواحد نتيجة ما قام به من اضطهاد للشعب ما تسبب في تشكل نوع من اللحمة الوطنية ضد المستعمر<sup>(3)</sup>.

ولقد طرح الباحثون في موضوع الهوية عدة تساؤلات حول العناصر المشكلة للهوية؟ هل هي اللغة والدين والثقافة والتاريخ والذاكرة والمكان أم هناك عناصر أخرى؟ كيف تعمل هذه العناصر وتحقق؟ أي ماهي آليات الإثبات والنفي التي تمارسها مؤسسات معينة كمؤسسة التربية مثلاً؟ وفي هذه الحالة ألا تطرح الهوية مشكلة توظيفها في الخطابات المختلفة للفاعلين الاجتماعيين؟ ألا تكون في هذه الحالة مسألة إيديولوجية؟ ألا تقوم هوية معينة بعمليات الإصطفاء والانتقاء والإقصاء والإبعاد<sup>(4)</sup> لأطراف على حساب أخرى؟

إن طرح مثل هذه التساؤلات مشروع للباحثين، إلا أنها كما نلاحظ جاءت في إطارها العام زمنياً ومكانياً، ونحن مرتبطون في موضوعنا هذا بأعمال ومواقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين المتصلة إتصالاً وثيقاً بأفكارها ومفاهيمها

(1) - آثار محمد البشير الإبراهيمي، ج 01، المصدر السابق، ص 15.

(2) - نفسه والصفحة.

(3) -خير الدين شترة، لطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة 1900-1956م، ج2، ص 1513.

(4) -الزاوي بغورة، الخطاب الفكري في الجزائر بين النقد والتأسيس في التاريخ والهوية والعنف، المرجع السابق، ص ص 128-129.

وأهدافها، في مختلف القضايا، ومنها قضية الهوية الجزائرية، لذا فإن مفهوم الهوية الجزائرية عند الجمعية وعلمائها تعلق بثلاث جوانب أساسية:

الجانب الأول: إرتباط مفهوم الهوية الجزائرية بأركانها ومقوماتها من دين ولغة وتاريخ مشترك وجغرافيا معروفة.

الجانب الثاني: هو إرتباط الهوية الجزائرية بالأصول الحضارية للمجتمع الجزائري.

الجانب الثالث: متعلق بالفصل بين الهوية السياسية والهوية القومية<sup>(1)</sup>.

لذلك فإن كنا سنتطرق إلى جوانب محددة من مجال واسع، فإجاباتنا عن الأسئلة المطروحة سيكون مقتصرًا فقط على الإطار العام لمضمون بحثنا هذا.

### المطلب الأول: الدين الإسلامي.

منذ النصف الثاني من القرن الأول هجري اعتنق الجزائريون الدين الإسلامي وأصبح أحد أهم المقومات الأساسية الثابتة للأمة الجزائرية<sup>(2)</sup>، وبقي هذا المرتكز الذي غذى الروح النضالية للجزائريين على مدى تاريخهم الطويل، فحافظ على وجود الأمة الجزائرية، وساهم في بقائها صامدة ضد كل الأخطار التي تعرضت لها من المستعمر<sup>(3)</sup>، فقد مثل مصدرا للتجديد الروحي لعقيدة الجزائريين، والدافع الذي غذى روح المقاومة الوطنية والصمود ضد المغترب، ومكمن الهدف الرئيسي للحفاظ على البقاء والغاية السامية لاستمرارية الرقي والتطور<sup>(4)</sup>، فالدين الإسلامي مثل قفزة حضارية نوعية في مسيرة الإنسان الجزائري ووعيه بنفسه، بوصفه حائط صد طبيعي انكسرت على أمواجه كل محاولات إعادة تكريس هيمنة حضارة الغرب، كما ظل عامل تعبئة وتوحيد للجزائريين بمختلف مكوناتهم عبر مختلف المراحل التاريخية<sup>(5)</sup>.

وشكل الإسلام مرتكز أساسي ضمن المفهوم الشامل للهوية الجزائرية عند الجمعية، التي حددت مقوماتها من خلال شعارها "الإسلام ديننا والعربية لغتنا والجزائر وطننا" وهذه المقومات الثلاث هي أبرز مقومات شخصية الفرد والمجتمع الجزائري، فالإسلام طبع شخصية الجزائريين منذ 14 قرنا وارتضوه ديناً لهم مختارين لا مجبرين، وكان لهم شعاراً للحياة والممات، استقوا منه تقاليدهم وميز عمارتهم ونظم حكمهم، وبمجيء الاستعمار عمل على محو تاريخ الأمة ودينها الذي مثل حاضرها، بإدخاله النصرانية بديلاً، وشجع الجهل والخرافة للسيطرة على الإسلام، فبرزت جمعية العلماء بقيادة ابن باديس متصدية قويا لمشروع الإستعمار بتأكيد على أن الإسلام مكون أساسي للهوية، في مقاله الذي عنوانه بـ: "الدين الإسلامي هو أساس الحضارة الجزائرية"

(1)-عادل شويب ومفيدة بلهامل، المرجع السابق، ص 876.

(2)-عبد المالك مرتاض، أصالة الشخصية الجزائرية، مجلة الأصالة، العدد 08، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، ماي - جوان 1972، ص 225.

(3)-رابح تركي، التربية والشخصية الجزائرية، مجلة الأصالة، العدد 04، المرجع السابق، ص 94.

(4)-إسماعيل تاحي، مولود قاسم نايت بلقاسم نضاله السياسي ونظرته للهوية الوطنية، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ تخصص الحركة الوطنية، قسم التاريخ والآثار، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2006/2007م، ص 132.

(5)- عامر بغدادي، الدولة والهوية في الجزائر، المرجع السابق، ص 152-153.

لمن أعيش " قائلا: " أعيش للإسلام والجزائر ... نظرنا في الإسلام وجدناه الدين الذي يحترم الإنسانية في جميع أجناسها... " (1).

إن الدين الإسلامي بالنسبة للجزائريين هو أهم قاسم مشترك يجمعهم على إختلاف توجهاتهم، ويتجاوز في قدسيته وحدة التراب الوطني من حيث الدرجة (2)، فهو الرابطة الروحية التي انصهر فيها البربر والعرب في منطقة شمال إفريقيا، والعقيدة الدينية التي جمعت بين الجزائريين ومنحت شخصيتهم خصوصية تاريخية وحضارية متميزة عن غيرهم (3)، وهذه الأهمية الكبيرة التي حضى بها الدين وسط الأمة الجزائرية على مدى التاريخ، هو من أحد الأسباب التي جعلت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تعطي الأولوية الكبيرة وتضعه في مقدمة الركائز التي ناضلت من أجل الدفاع عنها، بل أكثر من هذا اتخذته دستورا لها، فالتصريح للقانون الداخلي للجمعية يجد أن المادة 66 أكدت على أن "الأمة الجزائرية أمة إسلامية عريقة في إسلامها، فالإسلام هو دينها الذي تفاخر به وميراثها الخالد" (4).

كان الإسلام من المنطلقات الأساسية عند ابن باديس للدفاع عن هوية الأمة الجزائرية التي عمل الإستعمار الفرنسي على مسحها عن طريق الكم الهائل من القوانين الردعية والزجرية والقمعية التي أصدرها، فابن باديس إنطلق من مبادئ وغايات واضحة المعالم تسعى للبحث عن ما تبقى من أطلال الأمة الجزائرية المستعمرة، وعبر عن هذا في جريدة "المنتقد" التي جاء فيها سلسلة إفتتاحيات تحت عنوان: "مبادئنا وغاياتنا وشعارنا" حيث قال: "نحن قوم مسلمون جزائريون في نطاق مستعمرات الجمهورية الفرنسية فلأننا مسلمون نعمل على المحافظة على تقاليد ديننا التي تدعو إلى كل كمال إنساني، ونحرص على الأخوة والسلام بين شعوب البشر وفي المحافظة على هذه التقاليد والمحافظة على أهم مقومات قومنا وأعظم أسباب سعادتنا وهنائنا، لأننا نعلم أنه لا يقدر الناس أن يعيشوا بلا دين، وأن الدين قوة عظيمة لا يستهان بها..." (5).

وقد توجه إلى إدارة الإحتلال الفرنسي لبيان لها قيمة ومكانة وأهمية الدين بالنسبة للشعب الجزائري قائلا: "... وأن الحكومة التي تتجاهل دين الشعب تسيئ في سياسته، وتجلب عليه وعليها الأضرار والأتعاب، بل ربما حصلت لها هزاهز وفتن كما أصاب حكومة هيريو في العهد القريب، ولا يعني بهذا أننا نخلط بين الدين والسياسة في جميع شؤوننا، ولا أن يتدخل رجال الدين في سياستنا، وإنما نعني إعتبار الدين قواما لنا، ومهيما -طريق بين منبسط- شرعيا لسلوكنا، ونظاما محكما نعمل عليه في حياتنا، وقوة معنوية نلتجئ إليها في تهذيب أخلاقنا، وقتل روح الإغارة والفساد منا، وإماتة الجرائم بيننا، فلهذا لا نألوا جهدا في خدمته بنشر مبادئه الحقة العالية وتطهيره من كل ما أحدثه فيه المحدثون والدفاع عنه من أن يمس بسوء بين أهله أو من غير أهله..." (6).

(1)-عبد الحميد بن باديس، لمن أعيش؟، الشهاب، ج 10، مج 12، شوال 1355هـ/ جانفي 1937م، ص ص 425-426.

(2)-سليمان عشراقي، الشخصية الجزائرية، المرجع السابق، ص 137.

(3)-إسماعيل تاحي، المرجع السابق، ص 144.

(4)-آثار محمد البشير الإبراهيمي، ج 01، المصدر السابق، ص 84.

(5)-عمار طالي، ابن باديس حياته وآثاره، ج 3، المصدر السابق، ص 263.

(6)-نفسه، ص ص 263-264.

لقد تبنى ابن باديس شعار الإنتماء للأمة الإسلامية منذ مباشرته للإصلاح، وبعد تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أعاد تأكيد الفكرة حيث قال: "الإسلام هو دين الله الذي وضعه لهداية عباده، وهو دين البشرية، العدل والمساواة، وهذه المعاني كفيلة بتحقيق الوحدة والمساواة الاجتماعية"<sup>(1)</sup>.

وبالعودة إلى المبادئ الأساسية التي قامت عليها دعوة الجمعية وأصولها، الذي حرره الشيخ ابن باديس في الجامع الأخضر بقسنطينة إثر صلاة الجمعة من يوم 4 ربيع الأول 1356هـ / 14 ماي 1937م، نجد أنه تضمن جملة من الأسس التي تخص الإصلاح الديني والهوية الوطنية من أهمها:

- الإسلام هو دين الله الذي وضعه لهداية عباده، وأرسل به جميع رسله، وكمله على يد نبيه محمد صلى الله عليه وسلم الذي لا نبي بعده.

- الإسلام هو دين البشرية الذي لا يسعد إلا به وذلك لأنه:
- \* يدعو إلى الأخوة الإسلامية بين جميع المسلمين يذكر بالأخوة الإنسانية بين البشر أجمعين.
- \* يمجّد العقل ويدعو إلى بناء الحياة كلها على التفكير.
- \* ينشر دعوته بالحجة والإقناع لا بالختل<sup>(2)</sup> وبالإكراه.
- القرآن الكريم هو كتاب الإسلام.
- السنة "القولية والفعلية" الصحيحة تفسير وبيان للقرآن.
- سلوك السلف الصالح "الصحابة التابعين وأتباع التابعين" تطبيق صحيح لهدى الإسلام<sup>(3)</sup>.

ونلاحظ أن هذه الأسس ركزت على الدين الإسلامي الصحيح الذي سعت الجمعية لدعوة الجزائريين إليه، سواء في القول أو الفعل، لكون تصحيح عقيدة الأمة الجزائرية هو المدخل الرئيسي لاستعادة هويتها الوطنية التي يعتبر الإسلام أحد ركائزها الأساسية، ومن أجل تحقيق هذا الهدف كان لابد من محاربة البدع والشرك والخرافات المضللة لأفراد الأمة التي استحدثها الطرقيون لتجميد العقول، وللم شمل الجزائريين على توحيد الله، حيث تضمنت أسس ابن باديس في هذا الشأن:

- البدعة كل ما أحدث على أنه عبادة وقرية ولم يثبت عن النبي فعله وكل بدعة ضلالة.
- التوحيد أساس الدين، فكل شرك " في الإعتقاد أو في القول أو في الفعل" فهو باطل مردود على صاحبه.
- إعتقاد تصرف واحد من الخلق مع الله في شيء ما، شرك وضلال ومنه إعتقاد الغوث والديوان.
- بناء القباب على القبور، ووقد السرج عليها، والذبح عندها لأجلها والإستغاثة بأهلها، ضلال من أعمال الجاهلية، ومظاهرة لأعمال المشركين، فمن فعله جهلا يعلم، ومن أقره ممن ينتسب إلى العلم فهو ضال مضل.

(1)- آثار محمد البشير الإبراهيمي، ج01، المصدر السابق، ص15.

(2)- خَتَل: الخداع والاحتيال إلى طُرُق مُتَوَيِّة فيها مراوغة لُبُلُوغ الغاية. يُنظر ابن منظور، لسان العرب، ج05، ص19.

(3)- محمد خير الدين، مذكرات، ج 01، المصدر السابق، ص 106-107.

-الأوضاع الطرقية بدعة لم يعرفها السلف، ومبناها كلها على الغلو في الشيخ والتحيز لأتباع الشيخ، وخدمة دار الشيخ، وأولاد الشيخ، إلى ما هناك من إستغلال وإذلال وإعانة لأهل الإذلال والإستغلال، ومن تجميد للعقول وإماتة للهمم، وقتل للشعور، وغير ذلك من الشرور<sup>(1)</sup>.

كما أوضح ابن باديس أن أصول دعوته قائمة على القرآن الكريم والسنة النبوية، وهدي السلف الصالح من الأئمة الأوائل، وجعل المصلحة العامة للأمة فوق كل اعتبار، لذلك دعى ضمن أسس دعوته إلى وحدة الكلمة ونبد الفرقة بين أفراد الأمة، حيث أشار إلى:

-ندعو إلى ما دعا إليه الإسلام وما بيناه منه من الأحكام بالكتاب والسنة، وهدي السلف الصالح من الأئمة، مع الرحمة والإحسان دون عداوة أو عدوان.

-عند المصلحة العامة من مصالح الأمة يجب تناسي كل خلاف يفرق الكلمة ويصدع الوحدة، ويوجد للشر الثغرة، ويتحتم التآزر والتكاتف حتى تنفجر الأزمة، وتزول الشدة بإذن الله، ثم بقوة الحق وإدراع الصبر وسلاح العلم والعمل والحكمة<sup>(2)</sup>.

نستنتج هنا أن ابن باديس دعى إلى الإعتراز بالدين والمحافظة عليه لأنه الطريق الوحيد لخدمة الحضارة والرفي بها وسبيل قوي للطمأنينة والسعادة والدين الذي دعى إليه خالي من البدع والخرافات والطرقية ومشايخها المتاجرين به، والذين شن عليهم حربًا نظرًا للخطورة التي شكلوها على الأمة الجزائرية، باعتبارهم أداة في يد الإستعمار لإخضاع المجتمع، ورد عليهم ردًا علميًا عميقًا في مطلع إفتتاحية جريدة السنة أبرز فيه الاختلاف بين الطرق الصوفية السنية والصوفية المبتدعة<sup>(3)</sup>.

إن المتمعن في خطاب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ووجهة نظرها نحو الهوية الوطنية يجد أنها حددت مقوماتها في ثلاثة عناصر أساسية إستلهمتها من مختلف الأحداث التاريخية التي عرفتتها الأمة الجزائرية، ووضعت الدين الإسلامي في مقدمة هذه المقومات التي لخصها البشير الإبراهيمي في قوله: "إن هذه الأمة كانت قبل الإستعمار ذات مقومات من دينها ولسانها، وذات مقومات من ماضيها وحاضرها"<sup>(4)</sup>.

وقد وضحت المادة 66 من الميثاق التأسيسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين أن الدين الذي تدين به الأمة الجزائرية هو الإسلام حيث أن: "الأمة الجزائرية أمة إسلامية عريقة في إسلامها، فالإسلام هو دينها الذي تفاخر به وميراثها الخالد"<sup>(5)</sup> فهو من هذا المنطلق المقوم الأول لعناصر الهوية الوطنية عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين باعتباره الدين الرسمي للأمة الجزائرية ونظام إجتماعي متكامل لتسيير حياة المسلمين صالح لكل زمان ومكان، وقانون

(1)-محمد خير الدين، مذكرات، ج 01، المصدر السابق، ص ص 107-108.

(2)-نفسه، ص ص 108-109.

(3) -عمار طالبي، ابن باديس حياته وآثاره، ج3، المصدر السابق، ص42.

(4) -آثار محمد البشير الإبراهيمي، ج 03، المصدر السابق، ص 98.

(5) - آثار محمد البشير الإبراهيمي، ج 01، المصدر السابق، ص 84.

تشريعي للحكم والسيادة لأنه يتضمن: "في طياته الكمال الإنساني، فنجده في عقائده غذاء العقل، وفي عباداته تركية النفس وفي أحكامه رعاية المصلحة، وفي آدابه خير المجتمع" (1).

وأكد الإبراهيمي سنة 1929م أن المشروع النهضوي للجمعية ينطلق من: "وعي كامل أن الجزائر تنتمي إلى الحضارة الإسلامية، وأن في كل حضارة ثابتا ومتحولا، وأن المحافظة على الثابت هو حفظ للشخصية الوطنية من الاستيلاء، إن مشخصات الأمم منها جوهر ومنها عرض، وإن الجوهر منها هو الصالح للبقاء، وإنه لا بد للفرد وللجماعة في تكييفه كما يشاء أو كما تشاء، وأن تطوره موكل إلى تدبير الاجتماع لا إلى تدبير الجماعات، وأن العرض منها هو محل التبدل والتغيير، يصلح لزمان فيؤخذ ولا يصلح لآخر فينبذ، فالمحافظة على جوهر المقومات ليست محافظة وإنما هي حفظ للقومية من الإنتقام والتداخل وعماد لها أن تتداعى وتسقط، وأما الأعراض فهي قشور تتحول وتزول كأوراق الخريف توجد وتندم والشجرة شجرة" (2).

وبعد تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931م قام الإبراهيمي بإدراج مشروعه النهضوي ضمن القانون الأساسي للجمعية الذي تولى مهمة تحريره بنفسه في نفس السنة بعدما كلف بذلك، وفي سنة 1935م صدر النص الأساسي للقانون في سجل مؤتمر جمعية العلماء تضمن شرح لأسباب تأخر المسلمين وتقدم غيرهم عليهم، بالإضافة لتحديد شروط النهضة الجزائرية التي أكد الإبراهيمي مجددا أنها يجب أن تقوم على الدين الإسلامي لأن القرآن هو السبيل الصحيح لوحدة المجتمع والدافع لأفق أوسع مخاطبا بذلك الشباب المسلم: "أي شباب الإسلام، إن الأوطان تجمع الأبدان، وإن اللغات تجمع الألسنة، وإنما الذي يجمع الأرواح ويؤلفها، ويصل بين نكرات القلوب فيعرفها فهو الدين، فلا تلتمسوا الوحدة في الآفاق الضيقة ولكن إلتمسوها في الدين، وإلتمسوها من القرآن، تجدون الأفق أوسع، والدار أجمع، والعبيد أكثر، والقوي أوفر" (3).

تعتبر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الدين الإسلامي دين سمح قائم على الحرية ما لم تتعارض مع تعاليمه، وليس تسلطيا كباقي الأديان التي فُرضت على سكان المنطقة بالقوة من طرف الإستعمار لذلك أقبل البربر على إعتناقه والدفاع عنه بعدما عرفوا حقيقته، ولهذا طالبت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين منذ أن تأسست خصوصا على لسان الإبراهيمي وجوب تطبيق فصل الدين الإسلامي عن الدولة كباقي الأديان، وترك أهله يتولون أمره لأنهم الأدرى به، ففي الرسالة التي وجهها للرئيس الفرنسي والتي جاء فيها: "فالدين الإسلامي مملوك للحكومة الجزائرية، تحتكر التصرف في مساجده ورجاله وأوقافه وقضاته، وقضية فصل الدين عن الحكومة معلقة بين السماء والأرض وواقفة بين حكومة فرنسا وحكومة الجزائر موقف التنافس، تلك تحكم بالفصل قولا، وهذه تحكم بالوصل عملا" (4).

أشار الإبراهيمي أن سبب إنحطاط الأمة الجزائرية راجع إلى إستبعاد الدين الإسلامي من القيادة الرشيدة لحياة المسلمين الجزائريين، وتوظيفه في خدمة المصالح السياسية للإدارة الإستعمارية، ونظرا لإدراكه أهمية الدين في تقويم حال

(1) - آثار محمد البشير الإبراهيمي، ج 01، المصدر السابق، ص 108.

(2) - نفسه، ص 15.

(3) - نفسه، ص 163.

(4) - آثار محمد البشير الإبراهيمي، ج 03، المصدر السابق، ص 92.



المجتمع وإصلاحه عن طريق علماء الإسلام إذا ما حدث خلل ينخر في الأصول الأساسية لثوابت المجتمع، حيث قال: "فالأمة الجزائرية كغيرها من الأمم الإسلامية ما سقطت في هذه الهوة السحيقة من الانحطاط إلا حين فقدت القيادة الرشيدة في الدين، تلك القيادة التي هي قبس من شعلة الوحي، وشعبة من قوة النبوة، والتي تنبثق عنها جماعات المسلمين حينما يضرب الفساد والنخر في أصول مجتمعهم" (1).

ومن جهته أكد مبارك الملي على أهمية الدين الإسلامي في حياة الأمة الجزائرية داعيا إلى التشبث به لأنه سبب سعادتها، وجوهر صلاحها واستمراريتها قائلا: "فيا أيتها الأمة الجزائرية إرجعي إلى دينك ولغتك، فلن تسعدي إلا به، ولن تسعدي به إلا بإحكام لغته"، ثم يضيف: "إن ديننا خالط مزاجنا، وتمكن من شرايين أبداننا، لا تقبل ذواتنا دواء غيره مما يخالف طبيعته" (2)، وعن الإصلاح قال: "ومن حاول إصلاح أمة إسلامية بغير دينها فقد عرض وحدتها للانحلال وجسمها للتلاشي، وصار هادما لعرشها بنية تشييده" (3).

ويرى مالك بن نبي أن الدين من أهم العوامل الأساسية في بناء الحضارات منذ القدم لأن الفكر الديني هو الذي يبنى الإنسان العاقل ويمنحه خصائص روحية مهذبة تمكنه من توظيف عقله في بناء حضارته ورفيها (4) لذلك كانت جهود الاستعمار الفرنسي منصبة على طمس الدين الإسلامي بهدف عزل المجتمع الجزائري عن محيطه الحضاري الذي ينتمي إليه، لكونه المرتكز الأساسي الذي قامت عليه وحدة أفراد المجتمع بمختلف إندماهم العربي والأمازيغي وعناصره الوافدة كالأتراك والأندلسيين والعجم، ساهم في قتل النعرات الجاهلية بينهم، ووضع العصبية القبلية في إطارها الإيجابي الخادم للوحدة الوطنية (5).

ومن هنا نجد أن حركة ابن باديس قامت على الإصلاح الديني والخلقي للفرد الجزائري وهو نفس المبدأ الذي عملت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين على تحقيقه، لتطهير الإسلام من البدع وما أحيط به من ضلال وأوهام علقت بعقول الجزائريين (6)، ولم تتمكن أي هيئة علمية إسلامية منظمة أن تصمد أمام الاحتلال ومقاومة البدع والضلالات المؤيدة من قبل سلطان ديني وديوي عدا الأمة الجزائرية (7)، فقد ناضلت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في مختلف الخطابات التي ألقاها رجال الجمعية أو التي ألقاها رئيسها نفسه ابن باديس أمام الشعب الجزائري يدعوه فيها للتمسك بدينه الإسلامي ويعمل على تعزيز مكانته في حياتهم، إذ يقول في إحدى هذه الخطابات: "...الدين قواما لنا، وملجأ

(1) - آثار محمد البشير الإبراهيمي، ج 03، المصدر الساب، ص 56.

(2) - آثار الشيخ مبارك الملي، مج 01، جمع وترتيب: أبو عبد الرحمن محمود، ط 1، دار الرشيد، الجزائر، 2012، ص 49.

(3) - نفسه والصفحة.

(4) - مالك بن نبي، شروط النهضة، دار الفكر، دمشق، 1986، ص 61-62.

(5) - بوقعادة البشير، البعد التاريخي لشعار جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الإسلام ديننا العربية لغتنا والجزائر وطننا وقضايا تاريخية، مجلة قضايا تاريخية، العدد 04، 1437هـ/2016م، ص 107.

(6) - أحمد محمود الجزار، الإمام المجدد ابن باديس والتصوف، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1999م، ص 66.

(7) - عمار طالي، الإمام عبد الحميد ابن باديس حياته وآثاره، ج 2، مج 03، عالم المعرفة، الجزائر، ط 01، 2014م، ص 69.



شرعيا لسلوكنا، ونظاما محكما نعمل عليه في حياتنا، وقوة معنوية نلتجىء إليها في تهذيب أخلاقنا وقتل روح الإغارة والفساد منها" (1).

وكتبت الشهاب في عددها الصادر في ماي 1934م: "إن هدف الجمعية يتمثل في إصلاح الشعب الجزائري العربي من الوجهة الدينية والوطنية والأدبية والعلمية"، فيما ذكر الشيخ خير الدين من جهته أن الهدف الرئيسي من تأسيس جمعية العلماء المسلمين هو إحياء الإسلام قائلا: "إن أهداف جمعية العلماء تتمثل في إحياء الإسلام بإحياء الكتاب والسنة وإحياء اللغة العربية وآدابها، وإحياء التاريخ الإسلامي وآثار رجاله المخلصين" (2).

كما أشار أبو القاسم سعد الله أن فرنسا لم تكن تعلم بالأهداف الحقيقية لجمعية العلماء القائمة على إحياء ثوابت الأمة الجزائرية بداية من الدين الإسلامي واللغة العربية والانتماء الوطني إذ يقول: "لقد سمحت فرنسا لمجموعة من العلماء بتكوين جمعية دينية تهذيبية لا دخل لها في السياسة أو نقابة دينية إذ صحت التعبير، فإذا بها تتحول إلى مؤسسة تهدد النظام القائم وتعمل على بعث شخصية الجزائر الضائعة، وتضع لذلك ثوابت ما تزال على كل لسان وهي الجزائر-الإسلام-العربية"، وكتب أيضا: "أما الثاني (الهدف الثاني للجمعية) فقد كان يتمثل في فصل -ارتباط- الجزائر عن فرنسا تحت علم الوطنية" (3).

إن الاهتمام بالدين الإسلامي في المشروع النهضوي الإصلاحي الذي وضعه ابن باديس يسعى لتحقيق ثلاثة أهداف رئيسية تعد بمثابة المرتكزات الأساسية للهوية الجزائرية، بداية من الحفاظ على الدين الإسلامي لمواجهة المخططات الإستعمارية الهادفة لتشيت أبناء الوطن الجزائري الواحد، بخلق النعرات الإثنية والعرقية والطائفية، فالدين هو البوثة التي تذوب فيها جميع عناصر الأمة الجزائرية، لذا أكد ابن باديس أن العرب والأمازيغ أصبحوا بفضل الدين الإسلامي مزيج لشعب واحد بنى حضارة إسلامية تحت مظلة واحدة إنتهت عندها جميع أشكال اللامساواة والتفرقة والتمييز لتتحد القلوب والأرواح والعقول داخل الأمة الواحدة، إذ قال في هذا الشأن: "ليس تكون الأمة يتوقف على إتحاد دمها ولكنه متوقف على إتحاد قلوبها وأرواحها وعقولها" (4).

وقفت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في وجه المخططات الإستعمارية الموجهة ضد الدين الإسلامي من خلال محاولة تنصير المجتمع الجزائري وتجنيس أفراده، فعمد ابن باديس رفقة رجال الجمعية إلى إصدار فتوى تنص على لقانون الأحوال الشخصية الذي منح للأهالي حق الحصول على الجنسية الفرنسية مقابل التخلي عن الأحوال الشخصية والذي اعتبرته الجمعية ارتدادا عن الدين الإسلامي، وتحريم الصلاة على المتجنس عند وفاته ومنع دفنه في مقابر المسلمين، الأمر

(1) -محمد الميلي، ابن باديس وعروبة الجزائر، المصدر السابق، ص160.

(2) -بوقعادة البشير، البعد التاريخي لشعار جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، المرجع السابق، ص105.

(3) -أبو القاسم سعد الله، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط01، 1992، ص 397.

(4) -محمد الميلي، ابن باديس وعروبة الجزائر، المصدر السابق، ص48.

الذي أثار فزعاً كبيراً لدى المتجنسين واغتاضت منه إدارة الاحتلال الفرنسي<sup>(1)</sup>، إلا أن العلماء واصلوا تأكيدهم على التمسك بالدين الإسلامي وتنوير الرأي العام بخطورة المخطط الفرنسي الهادف لسلخ الأهالي من هويتهم الإسلامية<sup>(2)</sup>. وقد أكد ابن باديس على دور الدين في النهضة التي يسعى لتحقيقها في المقال الذي نشره سنة 1936م قائلاً: "نهضتنا نهضة بنيت على الدين أركانها، فكانت سلاماً على البشرية لا يخشاها-والله- النصراني لنصرانيته ولا اليهودي ليهوديته، بل ولا المجوسي لمجوسيته، ولكن يجب-والله- أن يخشاها الظالم لظلمه، والدجال لدجله، والخائن لخيانته"<sup>(3)</sup>، كما يضيف حول الحرب العنيفة التي انتهجها الاستعمار نحو الإسلام ظاهرياً وباطنياً بقوله: "... لعل الفرنسيين كان يمكنهم أن يضعفوا شأن الإسلام في نفوس الجزائريين، ولكنهم أعلنوها حرباً صارخةً على دين الإسلام، فأول ما نزلوا إلى أرض الجزائر عمدوا حالاً إلى مصادرة جميع أوقاف المسلمين، التي كانت تقدر بمئات الملايين، ومبالغة في النكاية، جعلوا تلك الأوقاف بين يدي المبشرين، ثم عمدوا إلى المساجد فحولوها إلى كنائس، وبعضها حوله إلى مكاتب وإدارات وسكنات عسكرية ... ثم توجه إلى لغة الإسلام العربية فجردوها من كل حرمة وكرامة، وجعلوها لغةً أجنبيةً غير مرغوب فيها لا حول لها ولا قوة"<sup>(4)</sup>.

ثم يواصل قوله حول رد فعل الجزائريين حول هذه الحرب الدينية قائلاً: "... فعلوا كل ذلك وأكثر من ذلك، لأجل أن يقضوا على دين الإسلام في الجزائر، ولكن فاتهم أن الذي فعلوه أمام طبيعة عناد الجزائريين وصلابة المقاومة في أصول أخلاقهم، إنما هو عامل تثبيت لذلك الإسلام في نفوسهم، وذلك ما قد حصل بالفعل، فلقد تعصب الجزائريون لدينهم أشد التعصب، وتحذوا كل القوانين المسنونة ضدهم، فمارسوه في بيوتهم سرّاً وفي شوارعهم علناً، وفي جبالهم وسهولهم وفي مساجد أقاموها من جديد لهم... وأخيراً عجزت فرنسا أمام مقاومة الجزائريين..."<sup>(5)</sup>.

### المطلب الثاني: اللغة العربية.

شكل الانتشار الواسع للغة العربية المدعوم بالحضور البشري للعديد من القبائل العدنانية أساس المكون العربي الإسلامي في الهوية الجزائرية، لذلك غلب عليه الطابع الثقافي وبوصفه هذا لا يكتسي أي صبغة عرقية بالرغم من وجود تلك القبائل ضمن التركيبة السكانية للجزائر بفعل انتقالها إلى بلاد المغرب، والتي عرفت في الموروث الشعبي بالتغريبية، ويشير رابح بونار إلى أن اللغة العربية كادت أن تعم القطر الجزائري في عهد الدولة الزيانية<sup>(6)</sup>، والحقيقة أن هناك عدة عوامل ساهمت في هذا الانتشار نجملها في خمسة عوامل أساسية تمثل في<sup>(7)</sup>:

- (1)-نبيل أحمد بلاسي، الاتجاه العربي والإسلامي ودوره في تحرير الجزائر، الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية، مصر، 1990م، ص111.
- (2)-عبد الرشيد زروقة، جهاد ابن باديس ضد الاستعمار الفرنسي في الجزائر، 1930-1940، دار الشهاب، لبنان، 1999م، ص138.
- (3)- محمد الميلي، ابن باديس وعروية الجزائر، المرجع السابق، ص65.
- (4)-الفضل الورتيلاني، المصدر السابق، ص 95-96.
- (5)-نفسه، ص 96.
- (6)-رابح بونار، المغرب العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1981، ص 283.
- (7)-عامر بغدادي، الدولة والهوية في الجزائر، المرجع السابق، ص 103-107.

- توجه الأمازيغ نحو تعلم العربية طواعية، لضرورات أملاها ارتباط الفهم الصحيح للدين بمعرفتها، وهو ما يدل عليه وجود الزوايا في أعماق المناطق الجبلية المنعزلة والصحراوية عكس المناطق السهلية التي يتواجد فيها العنصر العربي.

- استقرار قبائل عربية عدنانية منذ بدايات الألفية الثانية في عموم المنطقة المغاربية، منذ عهد الزيريين والحماديين والموحدين، وهو ما كان له تأثير ملموس في نشر العربية عبر الجوار والمصاهرة والاختلاط في السهول والهضاب، مثل قبائل زناتة وصنهاجة وكنامة الأمازيغية.

- أن الاختلاط الطوعي بين المجموعات السكانية العربية الأمازيغية على مر الزمن أثر بشكل بارز في تشكيل الجسم الرئيسي للمجتمع الجزائري المعاصر، الذي يتميز بدينه الإسلامي وعربية غالبية لسانه دون أي صبغة عرقية.

- الدور البارز الذي قامت به الممالك والدول الأمازيغية التي تأسست في الجزائر خلال الحقبة الإسلامية، في استخدام اللغة العربية ونشرها بوصفها حاملة لقيم الإسلام، وبمثل ما ساهمت تلك الدول الإسلامية في نشر العربية بمثل ما وطلدت إلى غير رجعة التجانس القائم بين أبناء الجزائر عبر جميع المناطق، بوصف العربية حاملة للدين أضحت هي اللغة المستعملة في التعليم والإدارة والتخاطب والمراسلات.

- أثر الأندلسيين في نشر اللغة العربية على طول السواحل المغاربية، فقد كانوا حملة للثقافة العربية الراقية.

- تزامن الدخول العثماني للجزائر في بداية القرن الـ 16م مع استقرار الأندلسيين الذين وقفوا إلى جانب السكان لطرد الإسبان، مما جعل العربية مصدر رئيسيا للمعاملات بين القادة العثمانيين وسكان الدواخل فاتسع استخدامها.

من هنا نجد أن العربية ترسخت في الجزائر ليس فقط لكونها لغة الدين، ولكن أيضا باعتبارها لغة الأغلبية الساحقة في المجتمع الجزائري، نتيجة تقبلها وعدم فرضها فرضا، على العكس من ذلك كانت محل عناية واحترام من قبل العام والخاص، ومع امتداد الزمن ازدادت ترسخا في البلاد، فوحدت لسان الجزائريين ووطدت الانسجام بينهم، وهو ما أكدته محفوظ قداش<sup>(1)</sup> في تتبعه لسياسة التعريب، حيث أشار إلى أن انتشار الإسلام عزز استعمال العربية، التي توطنت في الجزائر، وأزاحت اللغة اللاتينية في المدن، لغة الإدارة والتجارة، ولم تكن لها علاقة مباشرة بالأمازيغية الموجودة في الأرياف، كما أن ازدهار التجارة ساهم في انتشار طرق القوافل ومحطات المبادلات الصحراوية، وإذا كان الإسلام عاملا أساسيا في التحام مختلف العناصر، فإن اللغة العربية كانت عامل حاسم ساهم في تجانس تلك العناصر<sup>(2)</sup>.

إن اللغة هي المقوم الأساسي الذي تستند وترتكز عليه باقي مقومات بناء الشخصية الوطنية والوعاء الذي تحفظ فيه عناصر الهوية الوطنية<sup>(3)</sup> لذا اللغة العربية بالنسبة للجزائريين الوسيلة التي أدركوا بها مدلول الإسلام واعتنقوا بها مبادئه السامية، فانتشار اللغة العربية ارتبط مباشرة بانتشار الدين الإسلامي لأنها لغة القرآن الكريم، وهذا الانتشار الواسع هو ما مكنها من الارتقاء لأن تصبح اللغة الوطنية للأمة<sup>(4)</sup>، وإذا كانت اللغة العربية هي اللسان الذي ينطق به غالبية الجزائريين،

(1)-Mahfoud Kaddache, L'Algérie Médiévale, ENAL, Alger, 1992 , p 14.

(2) -المرجع السابق، ص ص 107-108.

(3)-رابح تركي، التربية والشخصية الجزائرية، مجلة الأصالة، العدد 4، وزارة التعليم الأصلي والثقافة، الجزائر، 01 أكتوبر 1971، ص 30.

(4)-عبد المالك مرتاض، أصالة الشخصية الجزائرية، مجلة الأصالة، عدد 08، المرجع السابق، ص 220.

فإن اللغة الأمازيغية تعتبر هي أيضا لغة رسمية ثانية للأمة الجزائرية بعد إدراجها في دستور الدولة الجزائرية، رغم أن استخدامها اقتصر فقط على الاستعمال الشفهي في بعض المناطق المحلية من البلاد<sup>(1)</sup>.

وجمعية العلماء اعتبرت مقوم اللغة العربية لغة الشعب الجزائري بأسره، وهي لغة قدمت مع قدوم الاسلام، واختارتها الأمة الجزائرية منذ ذلك الزمان لسان دين وعلم ولغة تواصل تربط بين مختلف الأعراق والقبائل، كما أن العربية والاسلام متلازمان، لذلك كانت مشاريع الاستعمار كلها تهدف لفصل اللغة العربية عن الإسلام، من أجل إحلال اللغة الفرنسية محلها، على اعتبار العربية لهجة لها ما ينافسها مثل "الأمازيغية"، لذلك نجد أن الشيخ البشير الابراهيمي لم يتساهل مع هذا الطرح، وندد في مقال له المطالبين من الحكومة الفرنسية تخصيص حصة في الإذاعة باللغة الأمازيغية، واعتبر الأمر فتنة، وأنه لا بديل للغة العربية لسانا للجزائريين<sup>(2)</sup>.

ما ميز ابن باديس أنه وقف جل حياته لخدمة اللغة العربية والدين في الجزائر، واضعًا الخطط والبرامج، ومؤسسًا للمدارس، ومعلمًا ومكونًا ومدرسًا لبناء جيل يتكلم العربية، وحارب أعداءها بصلافة، حيث وقف موقفًا صريحًا وقويًا ضد قانون 8 مارس الذي أهان اللغة العربية في الجزائر بتصنيفها لغة أجنبية<sup>(3)</sup>، فكتب ابن باديس في هذا الشأن ضمن مقال عنوانه —: "يا لله للإسلام والعربية في الجزائر" ومما جاء فيه: "بينما الأمة الجزائرية تنتظر من فرنسا منحها حق التصويت البرلماني مع بقائها على شخصيتها الإسلامية، إذ أعداء الأمة الجزائرية وأعداء فرنسا أيضًا يجمعون أمرهم، ويدبرون كيدهم فيستصدرون من الحكومة قرارا وزاريا بعقوبات صارمة على التعليم، ليهدموا هذه الشخصية الإسلامية من أصلها، وليقضوا عليها بالقضاء على مادة حياتها، علموا أن لا بقاء للإسلام بتعلم عقائده وأخلاقه وآدابه وأحكامه، وأن لا تعليم له إلا بتعلم لغته، فناصروا تعليمها العدا..."<sup>(4)</sup>.

من هنا نستنتج أن أهمية اللغة العربية بالنسبة للأمة الجزائرية تكمن في كونها وسيلة لثلاث غايات بداية من بقاء الإسلام وأحكامه وآدابه وأخلاقه وقيمه، ثم نهضة الأمة وبقائها واستمراريتها قوية وحية بين الأمم، فاللغة هي التي تحافظ على مقدساتها ومعالمها المميزة لها<sup>(5)</sup>، وقال مبارك الملي في هذا الشأن: "ومن أعرض عن اللغة العربية فقد أعرض عن ذكر ربه"<sup>(6)</sup> مستشهدا بالآية الكريمة ﴿وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾<sup>(7)</sup> لكون اللغة العربية هي لغة القرآن وما يتبع ذلك من آداء للعبادات.

(1)-محمد الملي، ابن باديس وعروبة الجزائر، ص48.

(2)-عادل شويب ومفيدة بلهامل، المرجع السابق، ص 878.

(3)-أحمد عيساوي، خطاب الهوية عند الحركة الوطنية الجزائرية "ابن باديس عن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أنموذجا"، المرجع السابق، ص226.

(4)-عمار طالي، ابن باديس وآثاره، ج 03، المصدر السابق، ص243-245.

(5)-أحمد عيساوي، خطاب الهوية عند الحركة الوطنية الجزائرية "ابن باديس عن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أنموذجا"، المرجع السابق، ص227.

(6)-مبارك بن محمد الملي، هل نحن في بداية نهضة؟، المنتقد، العدد 10، 14 صفر 1344هـ/03 سبتمبر 1925م. يُنظر أيضا: آثار الشيخ مبارك

الملي، مج 01، جمع وترتيب: أبو عبد الرحمن محمود، ط1، دار الرشيد، الجزائر، 2012، ص 49.

(7)-سورة الجن، الآية 17.

ويعتبر علماء اللسانيات من جهتهم اللغة من أقدم تحليلات الهوية لدى الجماعات البشرية ومرآة فكرها وأصدق عناصر التعبير عن تفرد خصوصية الهوية، فاللغة هي التي صاغت هوية الجماعة في تاريخ الإنسان<sup>(1)</sup> وقال الإبراهيمي عنها: "إن اللغة هي المقوم الأكبر من مقومات الاجتماع البشري، وما من أمة أضاعت لغتها إلا وأضاعت وجودها واستتبع ضياع اللغة ضياع المقومات الأخرى"<sup>(2)</sup>.

ومن هذا المنطلق أولت الجمعية للغة أهمية كبيرة في مشروعها النهضوي نظرا لعلاقتها بالهوية الوطنية، فهي عند ابن باديس "لغة الدين، لغة الجنس، لغة القومية، لغة الوطنية المغروسة وهي الرابطة بيننا وبين ماضينا، وهي وحدها المقياس الذي نقيس به أرواحهم بأرواحنا، وهي وحدها اللسان الذي نعز به وهي الترجمان عما في القلب من عقائد، وما في العقل من أفكار وما في النفس من آلام وأمال"<sup>(3)</sup>، فابن باديس يرى في الإسلام من وجهة نظره عزا ونصرة للأمة الجزائرية، بحكم أن التاريخ عنده يبدأ من الفتح الإسلامي، فيما يرى أن اللغة العربية هي معيار القومية عند الشعب الجزائري وأنها "الرابطة التي تربط بين ماضي الجزائر المجيد وحاضرها الأغر، ومستقبلها السعيد، وهي لغة الدين والجنسية والقومية ولغة الوطنية المغروسة"<sup>(4)</sup> ويعتبرها بذلك لغة العلم، تتحقق عن طريقها النهضة للأمة الجزائرية<sup>(5)</sup>.

ومن جهته وقف الإبراهيمي موقف ابن باديس في إيلاء الأهمية للغة العربية، وأرجع لها الفضل الكبير على الأمة الجزائرية في معرفة البربر ما يجهلونهم فعن طريقها، "عرف البربر مالم يكونوا يعرفون"<sup>(6)</sup> نظرا لكونها القالب الذي نقل علوم السلف من خلال ترجمة مؤلفاتهم، فهي كما يقول: "لغة المدنية والعمران... التي قاربت بين الفكر الفارسي المنفعل القلق وبين الفكر البربري الرصين الهادئ، وهي التي سهلت لهذه الأمم أسباب العلم والمدنية"<sup>(7)</sup>.

وأرجع الإبراهيمي أسباب إنتشار اللغة العربية لكونها لغة القرآن الكريم الذي تتلى آياته وإقامة الصلاة، ولغة العلم الذي يبني حضارة الأمم. بالإضافة إلى ما تتميز به من سحر البلاغة الذي أضفى جمالا على اللسان العربي، دون أن لا ننسى ما تمتع به العرب الفاتحون من عدل وإنصاف، ساهم في إقبال شعوب الديار المفتوحة على تعلمها<sup>(8)</sup> من جهة إضافة إلى قيام المسلمون بتعريب الدواوين.

وبناء على ما تقدم نجد أن الإبراهيمي دعى إلى ضرورة الحفاظ على اللغة العربية ووجوب تعلمها لأنها لغة الدين الإسلامي الذي تدين به الأمة الجزائرية، وهي لغة الهوية والجنسية للفرد الجزائري، إذ يقول في دواعي تعلمها: "لأن لهذه

(1) -للتوسع يُنظر: فيصل الحفيان، اللغة والهوية إشكاليات المفاهيم وجدل العلاقات، مجلة التسامح والتفاهم، العدد 05، وزارة الأوقاف والشؤون

الدينية، سلطنة عمان، 31 ديسمبر/كانون الأول 2004، ص ص 39-56.

(2) - آثار محمد البشير الإبراهيمي، ج 01، المصدر السابق، ص 134.

(3) - آثار محمد البشير الإبراهيمي، ج 3، المصدر السابق، ص 92.

(4) - نفسه، ص 56.

(5) - محمد يحي الدين سالم، ابن باديس فرس الإصلاح والتنوير، ط 1، دار الشروق، مصر، 1999م، ص 76.

(6) - أحمد بروال ويوسف مقارمة، المرجع السابق، ص 720.

(7) - آثار محمد البشير الإبراهيمي، ج 01، المصدر السابق، ص 34.

(8) - محمد يحي الدين سالم، المرجع السابق، ص 100.

اللغة على الأمة الجزائرية حقان أكيدان كل منهما يقتضي وجوب تعلمها، حق من حيث أنها لغة دين الأمة وحق من حيث أنها لغة جنسها ففي المحافظة عليها محافظة جنسية ودين معا" (1).

يقول محمد البشير الإبراهيمي: "اللغة العربية في القطر الجزائري ليست غريبة ولا دخيلة بل هي في دارها وبين حمايتها وأنصارها وهي ممتدة الجذور مع الماضي، مشتدة الأواخي مع الحاضر، طويلة الأنان في المستقبل، لأنها دخلت هذا الوطن مع الإسلام على ألسنة الفاتحين ترحل برحيلهم، وتبقى بإقامتهم، فلما أقام الإسلام بهذا الشمال الإفريقي إقامة الأبد، وضرب بجراته فيه أقامت معه العربية لا ترم ولا تبرح مادام الإسلام مقيما لا يتزحزح، فما مضى عليها جيل أو جيلان حتى إتسعت دائرتها وخالطت الحواس والشواعر وجاوزت الإبانة عن الدين إلى الإبانة عن الدنيا، فأصبحت لغة دين ودنيا معا، وجاء دور القلم والتدوين فدونت بها علوم الإسلام وآدابه وفلسفته وروحانيته" (2).

وفي إطار المحافظة على اللغة العربية حذر ابن باديس من خطورة المخطط الإستعماري ضدها لكونها لغة الإسلام، وأكد مواصلة جهوده لكشف خبث الاحتلال، وحرصه الشديد على تعليمها ونشرها وسط المجتمع الجزائري متحديا جميع ما يعترضه من مخاطر وعراقيل، لإيمانه الشديد وقناعاته الكاملة عن يقين كبير أن الإسلام واللغة العربية سيبقيان خالدين ولن تستطيع قوة على الأرض القضاء عليهما (3)، فواجهه بشجاعة في مقالاته بلسان حاد محاولات الاحتلال الفرنسي للتمكين للهجات المحلية وتشجيعه على التخاطب والتحدث بها، عوض إستعمال اللغة العربية وتوجيهه البحوث والدراسات للبحث في خصائص ومميزات هذه اللهجات على تنوعها، وزرع الشك في مدى أصالة اللغة العربية وعدم تناسبها مع المجتمع الجزائري المختلف في تركيبته عن هذه اللغة، والهدف من وراء ذلك هو نشر التفرقة بين أفراد المجتمع الجزائري بمحاربة اللغة العربية التي توحد لسان أفرادها ولغة دينه، وإحياء للإرث الروماني بأشكال مختلفة.

أكد ابن باديس لطلابه في جميع المناسبات العلمية والثقافية والدينية وحلقات التدريس التي تجمعهم بهم أن الجنسية الجزائرية والعربية والدين الإسلامي والتاريخ رمز هويتهم ومصدر عزهم، وأن الإستعمار لا يمكنه القضاء عليها ومحاولاته مآلها الفشل إذ قال: "إن كل محاولة لحمل الجزائريين على ترك جنسيتهم أو لغتهم أو دينهم أو تاريخهم أو أي شيء من مقوماتهم، هي محاولة فاشلة مقضي عليها بالخيبة" (4).

وقد حققت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين نتائج طيبة بعد الجهود التي بذلتها من أجل الحفاظ على اللغة العربية إذ يقول ابن باديس: "حوريت فيكم العروبة حتى ظن أنه قد مات منكم عرقها، ومسح فيكم نطقها فجئتم بعد قرن

(1) - آثار محمد البشير الإبراهيمي، ج 01، المصدر السابق، ص 131.

(2) - محمد يحي الدين سالم، المرجع السابق، ص 26-27.

(3) - محمد الميلي، ابن باديس وعروبة الجزائر، المرجع السابق، ص 151-152.

(4) - نصيرة هرون، المشروع الإصلاحي عند عبد الحميد ابن باديس، مجلة العلوم الإنسانية والإجتماعية، مجلد 04، العدد 50، جامعة قسنطينة،

الجزائر، 2018م، ص 10.



تصدق بابلكم بأشعارها، فتثير الشعور والمشاعر، وتهدر خطباؤكم بشقاشقها، فتدك الحصون والمعازل، وتهز كتابكم أقلامها، فتصب الكلى والمفاصل" (1).

وخلال الثورة التحريرية واصل علماء الجمعية دفاعهم عن مقومات الهوية الوطنية إسلاما وعروبة حتى وهم خارج الوطن، مثل ما يبينه مقال فضيل الورتيلاني بتاريخ 13 أكتوبر 1955م على صفحات جريدة "بيروت المساء" و"المنار" الديمشقية بعنوان: "محنة اللغة العربية في الجزائر... اللغة هي مظهر كرامة الأمة، وعنوان بقائها" حيث قال في دفاعه عن اللغة العربية: "إن اللغة مظهر مقدس من مظاهر كرامة الأمة التي تحترم نفسها، وعنوان من عناوين مجدها ووجودها، ولا يجوز أن يقل اعتبار اللغة في مجال الكرامة عن اعتبار العالم "والبيرق"، أو تغيير النشيد الوطني الذي يعاقب القانون والعرف من لا يقوم له إجلالاً عند سماعه" (2).

ويضيف الورتيلاني أن الاستعمار الفرنسي ألحق باللغة العربية في عقر دارها بالجزائر إهانة كبيرة، "فللغة في نظري عرضٌ كما للأشخاص أو أشد" (3) على حد تعبيره. فمنذ أن احتل الفرنسيون الجزائر عام 1830م، وجدوا أهلها يدينون بالإسلام ويتكلمون العربية ويقدمونها منذ إثنى عشر قرناً ونصف، فعزّ عليهم أن يكون للأمة مقدساتها ومقومات حياتها، فعملوا على إصدار قوانين لمنع العربية، عن طريق جعل اللغة الفرنسية هي اللغة الرسمية الوحيدة، ولغة المدرسة بجميع أطوارها، والمعاملات العامة، وازداد الأمر سوءاً بإصدار قانون آخر يعتبر اللغة العربية لغة أجنبية بين أهلها، وتجاوز الوضع إلى إخضاع المدارس الأهلية العربية لقانون المدارس الأجنبية، وهو نفس ما طُبق على الصحف العربية، والمراسلات بالعربية (4).

كما يضيف أن فتح المدارس العربية محض افتراض، فهو لا يزال في نظر الفرنسيين أخطر من فتح مصنع لإنتاج الأسلحة والذخائر، أو لصنع المخدرات، فقد شهدت المحاكم على منازعات جر إليها المستعمر معلمي اللغة العربية لمحاكمتهم كجناة، لكن رغم هذا يطمئن الورتيلاني أن الجزائريين قد داسوا على هذه القوانين الحقيرة، من أجل بقاء لغتهم تقاوم المستعمر (5).

وفي مقال آخر للورتيلاني بعنوان "فرنسا تحارب الإسلام علناً في الجزائر" صدر في جريدتي "المساء" و"المنار" أوضح استمرارية مقاومة الجزائريين للسياسة الاستعمارية ضد المقدس الديني قائلا: "... فمثال ذلك أن حضراتهم قد قرروا لأول ما تغلبوا على الجزائر محو الإسلام في جميع ربوعها، وانتزاعه من أمة عاشت تقدسه مدة تزيد على ثلاثة عشر قرناً، ثم لم يكلفوا أنفسهم معرفة هذه الأمة، حتى يتسنى ما يمكن أخذه منها، وما لا يمكن، وحتى

(1) -عمار طالي، الإمام عبد الحميد ابن باديس حياته وآثاره، ج 02، مج 03، المصدر السابق، ص 521.

(2) -الفضيل الورتيلاني، المصدر السابق، ص 89.

(3) -نفسه، ص 89.

(4) -الفضيل الورتيلاني، المصدر السابق، ص 89-90.

(5) -نفسه، ص 95.



يتبينوا في الوقت نفسه الكيفية التي تضمن لهم أخذ الممكن حينما يريدون، من أجل ذلك، ومن حسن حظ الجزائر، أنهم جهلوا من بين ما جهلوا أعرق صفة في تلك الأمة وأعمقها، وهي المقاومة والعناد...<sup>(1)</sup>.

من أجل أن تحقق جمعية العلماء المسلمين الجزائريين هدفها في المحافظة على اللغة العربية اتبعت سياسة تعليمية تقوم على التعليم بهذه اللغة في مختلف مراحل التمدرس وسواء كان التلاميذ المتدربين في المدارس الفرنسية أو مدارس التعليم الحر التي أسستها معتمدة فيها على مناهج معربة كلياً، ووضعت شرط الإسلام ومعرفة اللغة العربية وقواعدها وفصاحة اللسان والبيان لمن أراد التدريس في هذه المدارس، حسب المادة 42 من ميثاق التأسيس الذي نص على: العضو العامل هو كل عالم مسلم محصل لعلمه باللغة العربية، جزائري الموطن، وهو ما يدل على أن التوجه العام للجمعية كان مشرقياً<sup>(2)</sup>.

### المطلب الثالث: الوطن الجزائري.

أما فيما يخص المقوم الثالث في شعار الجمعية المتعلق بالوطن الجزائري المعروفة بجغرافيته، والتي تعبر عن علاقة الفرد الجزائري بأرضه الدالة على أصالة الوجود وعمق التاريخ<sup>(3)</sup>، فقد برزت فكرة القومية والوطنية بشكل واضح في الفكر والخطاب الباديسي من خلال المعالم التي تضمنتها سلسلة مقالاته الإفتتاحية حول الوطن والوطنية الجزائرية حيث كتب يقول: "... ولأننا جزائريون نعمل للـ شعب الأمة الجزائرية، وإحياء روح القومية في أبنائها وترغيبهم في العلم النافع، والعمل المفيد حتى ينهضوا كأمة لها حق الحياة، والانتفاع في العالم، وعليها واجب الخدمة والنفع للإنسانية، وإننا نحب الإنسانية ونعتبرها كلاً، ونحب وطننا ونعتبره منها جزءاً، ونحب من يحبه، كما نحب الإنسانية، ونحب أن نخدمها، ونبغض من يبغضها ويظلمها، وبالأحرى نحب من يحب وطننا ويخدمه، ونبغض من يبغضه ويظلمه، فلهذا نبذل غاية الجهد في خدمة وطننا الجزائري، وتحبيب بنيه فيه، ونخلص لكل من يخلص له، و نناوئ كل من يناوؤه من بنيه ومن غير بنيه"<sup>(4)</sup>.

وبالتالي فإن معالم الوطن والوطنية القومية الجزائرية عند ابن باديس تكمن في العمل على توحيد الأمة الجزائرية، وهذا لن يتأتى إلا عن طريق العلم النافع والعمل المفيد الذي يحيي روح القومية وشعور الوطنية في أبنائها، ويرسخ محبة الوطن في نفوسهم وإكثان الحب لكل من يحب هذا الوطن وحب جميع الإنسانية وخدمتها وبغض من يبغضها<sup>(5)</sup>، وقال في موضع آخر: "... حب الوطن من الإيمان، كلمة تجري دائماً على ألسنة المسلمين، لأن معناها صحيح ثابت في الإسلام... وما جاء الإسلام في محبة الوطن إلا بما تقتضيه الفطرة ويقبله العقل ويعترف به حكماء الأمم... والإخلاص أن تعمل لوطنك ولو أنكرك وأنكر عملك أبناء وطنك..."<sup>(6)</sup>.

(1)-الفضل الويتيلاني، المصدر السابق، ص 95.

(2)-أحمد بروال ويوسف مقارمة، المرجع السابق، ص 721.

(3)-عادل شويب ومفيدة بلهامل، المرجع السابق، ص 878.

(4)-عمار طالي، ابن باديس حياته وآثاره، ج3، ص 264.

(5)-أحمد عيساوي، خطاب الهوية عند الحركة الوطنية الجزائرية "ابن باديس عن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أنموذجاً"، المرجع السابق، ص 225.

(6)-محبة الوطن، الشهاب، ج 03، مج 14، ربيع الثاني، 1357م/ جوان 1938م، ص 108.

وقد قسم ابن باديس الناس في مقاله بعنوان: "الوطن والوطنية الحق فوق كل أحد والوطن قبل كل شيء" إلى عدة أقسام بناءً على علاقاتهم بوطنهم فمنهم من لا يعرفون إلا أوطانهم الصغيرة ووصفهم بالأنانيين ومنهم من يعرفون وطنهم الكبير ويعملون ويضحون من أجله، ومنهم من أنكروا الوطن والوطنية عند الأمم الأخرى وهؤلاء الفاشلون نظرا لمساييرتهم للفكر الإستعماري الإستطاني، وقسم أخير يؤمن بقيمة الوطن ومكانته في الحياة وهؤلاء هم أهمل الوطنية الإسلامية الحققة<sup>(1)</sup>.

فتسمية الجزائر كوطن عند البشير الإبراهيمي تعني: "... هذه القطعة ذات خصائص طبيعية وخصائص مكتسبة، اجتمعت كلها في نقطة واحدة... هذه النقطة التي تعرب عن نفسها وتسفه كل من يريد تغطيتها هي أن الجزائر وطن بربري قبل الإسلام يضم قبل الإسلام جماهير القبائل البربرية وأصولها الأولى، ووطن عربي إسلامي منذ دخله الإسلام يصحب ترجمانه الأصيل وهو اللسان العربي... وليس لها في النظر التاريخي الصحيح إلا هذان الطوران وهاتان الصبغتان"، ثم يضيف نافيا فكرة أن يكون هذا الوطن قطعة من فرنسا: "... ومن أسفه السفه دعوى مجانين السياسة من الفرنسيين أنها قطعة من فرنسا..."<sup>(2)</sup>.

كما انتقد الإبراهيمي على ما روج له "موريس طوريز" من فكرة كاذبة حول أن الجزائر ليست وطنا موجودا، وإنما وطن يتكون، فرد عليه قائلا: "... كأنهم يفسرون الأوطان القائمة على خصائصها الطبيعية ومدلولاتها العرقية بالمعاني الجيولوجية فهي تتكون على نحو مما تتكون المعادن في مئات السنين أو في آلافها، ولو صح رأيهم هذا لما صح أن يوجد وطن على ظهر الأرض، وليت شعري ماذا تكون الجزائر إن لم تكن وطنا. وماذا تراهم يقدر من الزمن لتمام تكوينه. بعد إن لم تكف لتكوينه ثلاثة عشر قرنا في نظرهم؟... ومن عاش خمسين سنة آتية وسألهم هل تم التكوين؟ يجيبونه بأنه في طور التكوين مادام لم ينته إلى معنى الذي يريدونه لكلمة وطن"<sup>(3)</sup>.. ويعتبر الوطن عاملاً أساسياً في توحيد عواطف أفكار ومصالح وأهداف أبناء الأمة الواحدة، لذلك لا يمكن أن تتحقق أبعاد الهوية الوطنية دون هذا المقوم الهام، الذي أولته الجمعية نصيباً من الاهتمام، من خلال تصنيف الإبراهيمي لثلاثة أنواع من الأوطان، لكنها تجتمع في معانيها لتعبر عن الشعار الذي وضعه علماء الجمعية إختصاراً لعناصر الهوية الجزائرية، فالوطن الجغرافي يعبر عن الحدود الجزائرية التي سلبتها فرنسا منذ سنة 1830م، والوطن الفكري تمثله اللغة العربية التي حاول الإستعمار الفرنسي محوها عن طريق منع التعليم باللغة العربية وفسح المجال للتعليم الفرنسي بإنشاء المدارس الإستعمارية، أما الوطن الروحي فيمثله الإسلام ببعده الروحي الذي يستقي منه الجزائري عقيدته<sup>(4)</sup>، فابن باديس عبر تعبيراً واضحاً وقوياً عن معنى الوطن عندما سئل لمن تعيش؟ فرد قائلاً: أعيش للجزائر.

إن جدل الهوية في الجزائر هو جدل لغوي بالدرجة الأولى في ظل الإختلاف العرقي للسكان وإستغلال الاحتلال الفرنسي لهذا الأمر بهدف ضرب الهوية الوطنية والتفريق بين أبناء الوطن الواحد لضمان بقاءه في الجزائر، ويرجع الفضل

(1) -أحمد عيساوي، خطاب الهوية عند الحركة الوطنية الجزائرية "ابن باديس عن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أنموذجاً"، المرجع السابق، ص225.

(2) -آثار محمد البشير الإبراهيمي، ج 02، المصدر السابق، ص 378.

(3) -نفسه، ص 379.

(4) -أحمد بوال و يوسف مقارمة، المرجع السابق، ص723.

الكبير لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الحفاظ على الهوية الوطنية وإعادة بعث مقوماتها من جديد في ظل ظروف صعبة جدا صاحبت تأسيسها بعد الإحتفالات المئوية للإحتلال، وقد تبنت العروبة كمقوم هوياتي أساسي جامع للأمة الجزائرية في ظل التنوع والثراء اللهجات الأمازيغية وهذا لا يعني تنكر جمعية العلماء لأصول الشعب الجزائري، بل راجع إلى تكوين أغلبهم بالمشرق العربي وربط الجزائر بمشكلات الأمة الإسلامية، لذلك فإن التغيير الذي أرادت الجزائر إحداثه في المجتمع الجزائري منطلقه ديني بحث<sup>(1)</sup> لكون إصلاح العقيدة هي المرتكز الأساسي لباقي الإصلاحات.

غير أن بعض الجزائريين المحسوبين على النخبة، مثل فرحات عباس قد ركنوا إلى إنكار الوجود الجغرافي للأمة الجزائرية، واعتبروها أرضا فرنسية، كان ذلك في رأي أوضحه من خلال مقاله "فرنسا هي أنا"، وقد رد الشيخ ابن باديس على ما كان يزعمه فرحات عباس، مثبتا وجود الأمة الجزائرية بمقوماتها بعيدا عن الوجود الفرنسي رافضا أن تكون ولا تستطيع أن تكون فرنسا<sup>(2)</sup>.

وترجع أهمية الوطن في مشروع إحياء الهوية الجزائرية لعدة اعتبارات، من بينها المكانة التي نالها الفضاء الجزائري في المشروع الاستعماري الفرنسي، بحكم ما يتمتع به موقعها من مؤهلات جغرافية وسياسية وحضارية واقتصادية منحتها قوة وهيبة دولية على حوض المتوسط، وهو الأمر الذي جعلها محل أطماع الاستعمار، وهذه الأهمية هي التي طبعت العلاقة بين البلدين بخصوصية تاريخية قامت على فكرة إلغاء الكيان الجزائري ومحو جميع مقوماته، التي كانت قبل سنة 1830م، بهدف إنشاء جزائر فرنسية مرتبطة بالوطن الأم ارتباطا كليا على جميع المستويات والأبعاد. وهذا التوجه الاستعماري الفرنسي كان نتيجة لخلفية تاريخية أحدثتها الطفرة الاقتصادية التي عرفتها أوروبا عامة بعدما شهدت من مظاهر للثورة الصناعية خلال النصف الثاني من القرن 18م، نتيجة توسع آفاق المعرفة في جميع المجالات من بينها المجال الثقافي، من خلال محاولة العقل الأوروبي فهم الآخر، والتعامل معه من أجل احتوائه، وتوجيهه لما يخدم المصالح الأوروبية، تمهيدا للهيمنة عليه والسيطرة على إمكانياته ومؤهلاته<sup>(3)</sup>.

ومن هذا المنطلق باشرت فرنسا تطبيق سياستها الاستعمارية للقضاء على الأمة الجزائرية، موظفه الآلة العسكرية كمرحلة أولى في عملية الإجتثاث السياسي للبلاد الجزائرية من انتماؤها العربي والإسلامي وإخضاعها بالقوة لكيان استعماري دخيل، إلا أن هذه السياسة اصطدمت برد فعل عنيف من قبل الجزائريين طيلة المراحل الأولى للاحتلال وهو ما لم يكن ضمن تكهنات الخطة الاستعمارية، لهذا لجأ الفكر الاستعماري إلى توظيف سياسة جديدة كمرحلة ثانية، اعتمدت على الاستيلاء الثقافي لابتلاع المجتمع الجزائري وتغريبه، وهدم الثوابت الشخصية والوطنية لهويته، تمهيدا لدخوله في المجتمع الفرنسي روحيا وثقافيا وفكريا.

(1) -عمار طالي، الإمام عبد الحميد ابن باديس حياته وآثاره، ج2، مج 03، عالم المعرفة، الجزائر، ط1، 2014، ص ص292-293.

(2) -عادل شويب ومفيدة بلهامل، المرجع السابق، ص 878.

(3) -نصر الدين سعيدوني، الجزائر منطلقات وآفاق "مقاربات للواقع الجزائري من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية"، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان،

2000، ص ص 463-464.

فالظاهرة الاستعمارية في الجزائر أخذت طابعا خاصا، قام على فكرة تحويل الجزائر إلى "مقاطعة فرنسية" و "حلما أزليا" يكون محصلة لعمليات الإغراق التاريخي، عن طريق الإلحاق والتبعية واقتلاع الإنسان من أرضه، وفتح المجال أمام تجذر فرنسا ماديا ومعنويا<sup>(1)</sup>، ف"بيير لافيت-Pierre Laffitte" انتهى بعد دراسته لوضع الجزائر المستعمرة إلى توصيات، تفيد بعدم إمكانية الجلاء الفرنسي ولا يمكن إلحاقها بتركيا الضعيفة، واهتدى أن الحل في رأيه يكمن في تحسين سياسة التعامل مع الاسلام من خلال تغيير نظرة الغرب إليه<sup>(2)</sup>، ما يعني أن الإستعمار الفرنسي عمل على تنفيذ فكرة الإستحواذ على الوطن الجزائري وتحويله إلى مقاطعة فرنسية عبر طريقتين خدمتا بعضهما البعض طيلة سيرة الاحتلال، وشكلتا في مظهرهما أبشع أنواع الإستعمار، من خلال التهيب بالقوة العسكرية والترغيب عن طريق إصدار الإصلاحات.

وهو ما توضحه الأهداف الثقافية لاحتلال الجزائر التي أبانت عنها فرنسا التي من بينها إنشاء جزائر فرنسية على جميع المستويات، وفي هذا الصدد يقول شارل روبير أجيرون: "إعلان دستور 1848م أن الجزائر جزء لا يتجزأ من الأرض الفرنسية ووعد بأنها ستوضع تحت نظام قوانين البلاد الأم، وقد جرت في الواقع محاولة لتحقيق ارتباط الدوائر المدنية الأساسية: الشعائر الدينية والتعليم العام الفرنسي، والفضاء، والجمارك، ارتباطاً مباشراً بالوزارات الباريسية المقابلة لها"<sup>(3)</sup>.

أدرك الاستعمار الفرنسي أن الحدود الترابية هي المفاتيح الأساسية للاستحواذ على الوطن الجزائري، لذا عمد إلى إنشاء محميات تحيط به لإضعاف قوته وتسهيل السيطرة عليه، وعمل على بناء هوية ترابية مصطنعة في الجزائر، بعيداً عن مدلولها المحلي ومبتورة في سندها التاريخي، بدايةً من إسقاط تسمية: "الجزائر"، نظراً لما يحمله هذا الاسم من دلالات سياسية للمرحلة العثمانية، واستحداث اسم: "ممتلكات فرنسا في شمال إفريقيا" (Possession Française dans L'Afrique du Nord)، وهذا بهدف بترها عن ماضيها، فلا صلة لهذا الماضي بالواقع الكولونيالي الأوروبي الجديد<sup>(4)</sup>.

بالمقارنة مع المجتمعات الغربية نجد أن المجتمع الجزائري متجانس إلى حد بعيد رغم الخصوصيات الموجودة في كل منطقة، لأن الجامع بين هذه الخصوصيات ليجعلها دولة عريقة ومستقرة هو رابطة الانتماء للوطن والإرادة في العيش المشترك، والولاء للدولة، والتوافق في وضع الضوابط والقوانين التي تحكمها، فكلما كان الشعور بالانتماء للوطن قويا كانت الرابطة الوطنية أقوى، وكلما كانت الإرادة في العيش المشترك بين المجموعات المكونة للدولة عميقة في النفوس كان أساس

(1)-Chrles André Gulien, Histoire de l'Algérie contemporaine la conquête et les débuts de la colonisation 1827-1871, Edition Casbah, Alger, 2005, p 114.

(2)-صادق سلام، فرنسا ومسلموها قرن من السياسة الإسلامية (1895-2005)، ترجمة زهيدة درويش جيور، دار كلمة، أبو ظبي، ط01، 2012، ص 44.

(3)-شارل روبير أجيرون، تاريخ الجزائر المعاصرة، ترجمة عيسى عصفور، منشورات عويدات، بيروت، 1982، ص 47.

(4)-توفيق بن زردة، المرجع السابق، ص 46-47.

بناء الدولة الحديثة قويا، خصوصا إذا كانت ثمرة توافق وطني عام تلحمه السنين وتصهره الآلام وتحفزه الآمال في غد أفضل<sup>(1)</sup>.

وهو ما عبر عنه ابن باديس في رسالة الإستهجان للإدارة الفرنسية وحكومتها قائلا: "نحن الجزائر وما الجزائر إلا الجزائريون فإذا كنتم تريدون المحافظة على الجزائر فحافظوا على قلوبنا بالله، وإذا ضيعتم قلوبنا فقد ضيعتم الجزائر لا محالة ولا ينفعكم في ذلك اليوم العصيب شيء مما تقدرون اليوم"<sup>(2)</sup>.

#### المطلب الرابع: التاريخ المشترك.

يعتبر التاريخ من الأهداف الثقافية لاحتلال الجزائر التي أبانت عنها فرنسا بطمسها التاريخ الوطني وثوابت الشخصية العربية الإسلامية للمجتمع الجزائري عن طريق التركيز على ثلاث أبعاد أساسية: تحييد الدين الإسلامي، ومحاربة اللغة العربية، وتشويه تاريخ الجزائر الموعول في القدم، وقد استمرت فرنسا جاهدة في سياستها هذه طيلة فترة الاحتلال لتحقيق هذا الهدف<sup>(3)</sup>، في وضع جزائري صنف من بين أسوأ الأوضاع التي تعرضت له الشعوب المستعمرة التي خضعت للسيطرة الاستيطانية الممنهجة، لذلك فمن يرجع إلى تاريخها بمختلف مراحله، يجد أنه كاد أن يفرغ تماما من محتواه الإيجابي، فقد تم تكييفه ليكون غير قادر على تحفيز المواطنين لاستنهاضهم ودفعهم إلى العمل للخروج من دائرة التخلف والسيطرة، نتيجة إتلاف الإنتاج الفكري والثقافي الإسلامي الجزائري<sup>(4)</sup>.

لقد طرح الزاوي بغورة مسألة الهوية كحالة وجودية وعلاقتها بالتاريخ؟ وكيف نتعرف عليها معرفيا كمعطى تاريخي؟ وهل يمكن الحديث عن هوية من دون وعي بالتاريخ؟ ألا ترتبط الهوية بنوع معين من التاريخ الذي يتم تشيئته بإرادة معينة؟ أو بتعبير آخر ألا ترتبط الهوية بنوع من التاريخ الخاضع لإرادة المعرفة؟ وماذا يعني التاريخ المشترك والذاكرة الجماعية وهل يمكن الحديث عن هوية في ظل استمرار وانقطاع الذاكرة؟ وهل تطرح هذه الأسئلة على التاريخ الجزائري المعاصر في مجمله أو أن لكل مرحلة معينة أسئلتها؟<sup>(5)</sup>

كما طرح "ستيفان غزال-Stéphane Gsell" فكرة بناء ماضي الجزائر قائلا: "... ما هي أصول هؤلاء السكان؟ كيف تشكلت تقاليدهم؟ ومؤسساتهم؟ ومعتقداتهم؟ ما هي العبر التي يمكن أن يقدمها لنا الاحتلال والاستعمار الروماني؟..."<sup>(6)</sup>، ويرى أن للتاريخ في الجزائر وظيفة إجتماعية بارزة قائلا: "... لقد سطر لنا التاريخ أيضا واجباتنا،

(1)- عامر بغدادي، الدولة والهوية في الجزائر، المرجع السابق، ص 47-48.

(2)- عبد العزيز فيلاي الكلمة الافتتاحية، أعمال الملتقى الوطني الصحافة الإصلاحية بين المقومات الوطنية والواقع يوم 18 ماي 2014 بقسنطينة، المرجع السابق، ص 16.

(3)- محمد حسين، المرجع السابق، ص 76.

(4)- محمد العربي الزبيري، أسباب فشل نظام الحكم في إعادة بناء الدولة الجزائرية، المرجع السابق، ص 41.

(5)- الزاوي بغورة، الخطاب الفكري في الجزائر بين النقد والتأسيس في التاريخ والهوية والعنف، المرجع السابق، ص 128-129.

(6)- Stéphane Gsell, Histoire et Historiens de l'Algérie, Librairie Félix Alcan, Paris, 1931, pp

02-05.

وإرادتنا صارمة في أن نكون قادة في كل مكان وزمان، بالإضافة إلى ضرورة وجود إستعمار تدعمه نسبة كبيرة من السكان الريفيين الأوروبيين، وهي ضرورة لا تقل أهمية في تقريب الرعايا (الأنديجان) إلينا مع الرغبة القوية والأمل في الإنصهار في المستقبل، قريبا كان أو بعيدا، ولا يعد هذا التاريخ في إفريقيا عديم الفائدة ضمن العلوم<sup>(1)</sup>.

وبالنسبة للجزائريين تعتبر الثورة التحريرية الكبرى الحدث التاريخي الأبرز في الحياة المعاصرة لأنه عبأ كل شرائح الشعب فوحدها، وذلك للمشاركة في طرد الإستعمار الفرنسي، وبالتالي للثورة قيمة كبيرة لدى الجزائريين لأنها سمحت باستعادة السيادة الجزائرية التي كانت جزءا من فرنسا<sup>(2)</sup>.

إن الهوية الوطنية هي في جوهرها تمثل خلاصة التفاعلات التي حدثت بين المجموعات البشرية ضمن محيطها الجغرافي<sup>(3)</sup>، لهذا كان لتاريخ الجزائر الطويل دور مهم في الحفاظ على الهوية الوطنية للأمة الجزائرية، من خلال بقاءه شاهدا على أصل الشعب الجزائري وتعميق ارتباطه بمجذوره التاريخية، التي تمثل المنبع الذي تشكلت منه وبنيت عليه الشخصية الجزائرية وثبتت أركانها عبر مراحل تاريخية طويلة، ووقف حاجزا منيعا أمام كل محاولات التزييف والطمس والتحريف للحقائق وفضح جميع المغالطات التي قام بها المحتلون الذين مروا على المنطقة، لذلك استعصى عليهم محوها أو القضاء عليها<sup>(4)</sup>.

ويعتبر مولود قاسم نايت بلقاسم من المؤرخين الجزائريين الذين أكدوا على دور البعد التاريخي في صقل الهوية الوطنية للأمة الجزائرية، حيث اعتبر المقوم التاريخي يمثل جزءا كبيرا من هويتنا، وهو من أسباب ترشيد المجتمع وتنوير فئاته، كما ذهب في تحليله إلى أبعد من إعطاء الأهمية، وتجاوزها إلى ربط تغافل الأمم عن الاستفادة من دروس تاريخها وإهمالها لأخذ العبر مما مر عليها، بما تتعرض له من أوضاع الهوان، وما تمر به من حالات الضياع<sup>(5)</sup>.

نتيجة لهذه الأهمية ظهرت خلال الاحتلال الفرنسي للجزائر مجموعة من الشخصيات الجزائرية البارزة التي استطاعت بفضل تأثرها وتشبعها بالفكر القومي والوطني السائد وقتها، أن تنفطن إلى أهمية الحديث عن ماضي الأمة وإعادة الاعتبار للتاريخ الوطني المشوه من قبل الاستعمار الفرنسي، وقد انبرى لهذه الغاية النبيلة مجموعة من رواد جمعية العلماء، يتقدمهم أحمد توفيق

الذي استطاع من خلال إسهاماته التاريخية خلال العشرينات من القرن الماضي، في كتابة تاريخ وطني أصيل يعكس عراقة الجزائريين وامتدادهم الحضاري عبر التاريخ، فكتابات التاريخ، فكتابات التاريخ اتسمت بأبعاد الهوية الوطنية ككتابه "الجزائر"<sup>(6)</sup>.

(1) -Stéphane Gsell, op cit, pp 02-05.

(2) -عامر بغدادي، الدولة والهوية في الجزائر، المرجع السابق، ص ص 78-79.

(3) -نفسه، ص 52.

(4) -عبد المالك مرتاض، أصالة الشخصية الجزائرية، مجلة الأصالة، عدد 8، المرجع السابق، ص ص 217-218.

(5) -إسماعيل تاحي، المرجع السابق، ص 146.

(6) -عبد الحفيظ موسم، الهوية الوطنية ضمن كتابات أحمد توفيق المدني كتاب "الجزائر" أنموذجا، مجلة دراسات، المجلد 13، العدد 02، كلية العلوم

الإنسانية والإجتماعية، جامعة عبد الحميد مهري قسنطينة 2، الجزائر، 2022، الصفحات (515-534)، ص 516.



ومن جهته يرى ابن باديس من خلال مقاله الشهير بعد المؤتمر الإسلامي سنة 1936م بعنوان: "هل آن أوان اليأس من فرنسا" أن تاريخ الأمة الجزائرية تشكلت عبر حقبة الماضي، وقد عرض مجموع مقومات الأمة الجزائرية بتاريخها الطويل والثري الضارب في أعماق الحضارة، كما نوه بأهمية التاريخ الوطني في محاضرته بعنوان: "لمن أعيش؟" قائلا: "... أما الجزائر فهي وطني الخاص الذي تربطني بأهله روابط من الماضي والحاضر والمستقبل بوجه خاص، وتفرض علي تلك الروابط لأجله فروضا خاصة، وأنا أشعر بأن كل مقوماتي الشخصية مستمدة منه مباشرة"<sup>(1)</sup>.

من هذا المنطلق فإن التاريخ هو الطريق الوحيد الذي يربط حاضر الأمة بماضيها، لذلك يرى مولود قاسم وجوب تقديره، وقد أولاه رجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين إهتماما وعناية خاصة منذ تأسيسها ودافعوا عنه ضد فكرة الإدماج التي تم طرحها من قبل الإستعمار منذ إصداره قانون سيناتوس كونسولت سنة 1865م، الذي نص على حق الجزائريين في الحصول على الجنسية الفرنسية تحت شرط التخلي عن الأحوال الشخصية، ثم قانون 1919م الذي تضمنت مادته الثانية شروط الحصول على حق المواطنة الفرنسية ليعقبها مشروع بلوم فيوليت سنة 1935م الذي شرع لحوالي 24000 مثقف جزائري الحق في الحصول على الجنسية الفرنسية دون إلزامهم التخلي عن حالتهم الدينية<sup>(2)</sup>.

ومن أمثلة المثقفين الجزائريين المحسوبين على النخبة المتفرنسة الذين استهدفتهم قوانين الإدماج الإستعمارية لإستئصالهم لصفها فرحات عباس الذي ألغى وجود أمة جزائرية قبل الاحتلال الفرنسي فرد عليه ابن باديس قائلا: "إننا نحن فتيشنا في صحف التاريخ وفتشنا في حالة الحاضرة، فوجدنا الأمة الجزائرية المسلمة متكونة موجودة، كما تكونت ووجدت كل أمم الدنيا، ولهذه الأمة تاريخها الحافل بجلال الأعمال، ولها وحدتها الدينية واللغوية، ولها ثقافتها الخاصة وعوائدها بأخلاقيها، بما فيها من حسن وقبح، شأن كل أمة في الدنيا، ثم إن هذه الأمة الجزائرية الإسلامية ليست هي فرنسا، ولا يمكن أن تكون فرنسا، ولا تريد أن تصبح فرنسا، ولا تستطيع أن تصبح فرنسا ولو أرادت، بل هي أمة بعيدة عن فرنسا كل البعد في لغتها وفي أخلاقها وفي عنصرها، وفي دينها، لا نريد أن تندمج ولها وطن محدود معين هو الوطن الجزائري بحدوده الحالية المعروفة، والذي يشرف على إدارته العليا السيد الوالي العام المعين من قبل الدولة الفرنسية"<sup>(3)</sup>، ويقر ابن باديس في هذا الرد أن الجزائر لها وحدتها الدينية والعقيدية وأن أي محاولة لتفريقها عرقيا أو لغويا، ستكون مجرد مرحلة ظرفية سرعان ما تعود الجزائر لإحتضان جميع أبنائها مرة أخرى<sup>(4)</sup>.

ومن خلال هذه الجهود استطاعت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الحفاظ على مقومات هوية المجتمع الجزائري وإنيتته الصافية والتميزة التي يعتز بها أفرادها، وهو ما عبر عنه البشير الإبراهيمي قائلا: "جمعية العلماء هي التي حققت

(1) -عمار طالي، ابن باديس حياته وآثاره، ج3، ص 233-237. يُنظر أيضا: الشهاب، ج10، م12، شوال 1355هـ/جانفي 1937م، ص 424-428.

(2) -آثار محمد البشير الإبراهيمي، ج3، المرجع السابق، ص27.

(3) -عمار طالي، ابن باديس حياته وآثاره، ج3، ص 292-293.

(4) -آثار محمد البشير الإبراهيمي، ج 03، المصدر السابق، ص207.



للجزائري نسبه العربي الصحيح، بريئا من شوائب الأقراف والهجينة، وأحيت في نفسه شعور الاعتزاز بنفسه، وفي لسانه شعور الكرامة للغته، وهي ضميره شعور الارتباط بين المقومات الثلاثة: الجنس واللغة والوطن يمدّها الشرق بسنانه ويغذيها الإسلام بروحانيته<sup>(1)</sup>، وعلى الرغم من أن الشعوب هي أساس قوة "السلطان" كما يقول الشيخ الإبراهيمي غير أن هذا المنطق غائب تماما في الواقع الجزائري، فقوة ما يقارب عشرة ملايين من المسلمين الجزائريين لا تشارك في رسم قوانين البلاد ولا تنفيذها وهو ما لا يتطابق مع الماضي المجيد لهذا الشعب، الذي يمنحهم كل الحق في أن يتصدروا مصاف الأمم، لولا ما تعرضوا له من احتلال سخر النهضة الصناعية لقهر شعب الضعيف.<sup>(2)</sup>

### المطلب الخامس: الوحدة الوطنية.

يعرف الباحث المصري سمير مرقس أن المواطنة تعني تمتع كل المواطنين بالحقوق نفسها وعليهم أن يفوا بالالتزامات نفسها ويخضعون للقوانين نفسها دون أي اعتبار للعنصر بمفهومه الاجتماعي أو للنوع أو للإنتماء لجماعة تاريخية أو عرقية أو دينية، فهم جميعا يتساوون كمواطنين وعلى الدولة بمؤسساتها أن تعمل على ترسيخ ذلك وعلى المجتمع المدني أن يقدم النموذج في القدرة على تجاوز الانقسامات وإتاحة الفرصة للجميع أن يعملوا سويا لتحقيق المصالح العامة<sup>(3)</sup>، وهو نفس الطرح الذي ذهب إليه العديد من الباحثين الجزائريين الذين ربطوا المواطنة بفكرة التمتع بالحقوق في مقابل القيام بالواجبات<sup>(4)</sup>.

كما يتضح من خلال معنى كلمة مواطنة أنها مصطلح عربي مشتق من لفظ الوطن، ويدل على صفة المواطن الذي له حقوق وعليه واجبات تفرضها طبيعة إنتمائه إلى الوطن، بغض النظر عن كيفية اكتساب ذلك الانتماء<sup>(5)</sup>، وبالتالي فهي تعبر عن علاقة الفرد بالدولة، التي يقيم فيها ويحمل جنسيتها ويخضع لقوانينها باعتباره فردا يتمتع بشكل متساو مع الأفراد الآخرين بنفس الحقوق ويلتزم بنفس الواجبات التي تقرها النظم والقوانين التي تحكم المجتمع<sup>(6)</sup>.

وعلاقة الفرد بالدولة لا تحكمها الانتماءات العرقية أو الدينية أو الجهوية أو القبلية، وهي كلها انتماءات تتعارض مع مبدأ الولاء للوطن، وتحد بالتالي من ممارسة حق المواطنة بالكيفية الصحيحة، فلا دخل للعرق ولا الدين ولا للجهة ولا للقبيلة في إقرار مبدأ المواطنة، لكون الدولة الجامع لكل المواطنين والعيش المشترك دون ممييز أو إقصاء ولا تهميش لأن مكون من مكونات الأمة، وهي القيم التي تقوم عليها المواطنة، وهي لا تختلف عن القيم التي جاء بها الإسلام، كما أن المواطنة ترتبط بالدولة الوطنية متجاوزة بذلك الطوائف والمذاهب والجماعات العرقية، لكونها انتماءات ضيقة<sup>(7)</sup>.

(1) - آثار محمد البشير الإبراهيمي، ج 03، المصدر السابق، ص 206.

(2) - عفاف زقورة، العلماء وجدل المرجعية الدينية في الجزائر، المرجع السابق، ص 17.

(3) - سمير مرقس، المواطنة والتعبير، مكتبة الشروق، القاهرة، 2006، ص 31.

(4) - حسن رمعون، مقاربات حول ممارسة المواطنة، مجلة إنسانيات، العدد 03، مع 17، مركز البحث في الأنتروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، وهران، 2013، ص 35-64.

(5) - عامر بغدادي، الدولة والهوية في الجزائر، المرجع السابق، ص 174.

(6) - عامر الشماخ، المرجع السابق، ص 21-23.

(7) - عامر بغدادي، الدولة والهوية في الجزائر، المرجع السابق، ص 275.

فالمواطنة بهذا المفهوم لا تفرق بين المواطنين رغم تعدد المناطق التي يضمها الوطن الواحد، ومهما تباينت وتعددت اتجاهاتهم ومشاريعهم، لذل يجب تلمين قيم المواطنة لكونها الحجر الأساس في بناء الدولة الآمنة والمستقرة، وحفاظا على استمرارية الكيان السياسي الذي تشكله الجماعة الوطنية، وبذلك يتكرس مفهوم الدولة للجمع، يملكها الجميع، ويبنيها الجميع، تعزيزا للعيش المشترك<sup>(1)</sup>.

تعتبر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من التنظيمات الرائدة التي إنتهجت المقاومة الثقافية ضد كل ما يمس بالهوية الوطنية والشخصية الجزائرية بأبعادها العربية والإسلامية، متخذة من الإصلاح الفكري والعلمي للفرد الجزائري سبيلا لتحقيق أهدافها، وسلاحا لمواجهة السياسة الإستعمارية، والدعوة إلى التمسك بثوابت الأمة الجزائرية، منذ بداية الثلاثينات، رافضة كل أشكال الإدماج والتجنيس التي ستؤدي لتفتيت وحدة الأمة الجزائرية، وتوضح هذا النهج أكثر من خلال المقال الذي أورده عبد الحميد بن باديس في جريدة الشهاب ردا على ما كتبه فرحات عباس سنة 1936م حول الأفكار الإدماجية التي تنفي وجود أمة جزائرية، حيث قال: "الأمة الجزائرية ليست هي فرنسا، ولا تريد أن تصبح فرنسا، ومن المستحيل أن تصبح فرنسا حتى ولو جنسوها"<sup>(2)</sup>، ويضيف ابن باديس: "العروبة و الإسلام والعلم والفضيلة هذه أركان نهضتنا، وأركان جمعية العلماء المسلمين التي هي مبعث حياتنا، ورمز نهضتنا، فمازالت هذه الجمعية منذ كانت تفقهنا في الدين، وتعلمنا اللغة، وتيرنا بالعلم، وتحلينا بالأخلاق الإسلامية العالية، وتحفظ علينا جنسيتنا، وقوميتنا، وتربطنا بوطنيتنا الإسلامية الصادقة"<sup>(3)</sup>.

وقد عبر ابن باديس بصدق عن وحدة الأمة الجزائرية، من خلال تركيزه على وحدة اللسان<sup>(4)</sup>، بقوله سنة 1936 قائلا: "تكاد لا تخلص أمة من الأمم لعرق واحد، فليس الذي غايتها هو هبوطها من سلالة واحدة"<sup>(5)</sup>، ويضيف في مقال آخر له سنة 1938: "ليس تكون الأمة بمتوقف على اتحاد دمها، ولكنه متوقف على اتحاد قلوبها وأرواحها وعقولها اتحاد يظهر في وحدة اللسان وآدابه واشتراك الآلام والآمال"<sup>(6)</sup>، وفي مقال آخر قال: "هذه الأمة تربط بينها -زيادة على رابطة اللغة- رابطة الجنس ورابطة التاريخ ورابطة الألم والأمل، فالوحدة الأدبية متحققة بينها لا محالة، ولكن هل بينها وحدة سياسية؟"<sup>(7)</sup>.

ومن جهته كانت وحدة الجزائر والجزائري هي الهدف الأول للبشير الإبراهيمي وشغله الشاغل فقد عمل دائما بعلمه ولسانه وفكره ووجدانه مع إخوانه علماء الإصلاح لصهر عنصرى الشعب الجزائري عربيه وبربره في بوتقة واحدة، إنطلاقا

(1)-عامر بغدادى، الدولة والهوية في الجزائر، المرجع السابق، ص 176-181.

(2)-رضوان شافو، مسألة الهوية بين جيل الثورة التحريرية وجيل الإستقلال، المؤتمر الوطني الأول حول إشكالية الهوية بين التأويل الإيديولوجي و الفهم العقلاني 27-28 نوفمبر 2018 جامعة الوادي، ص 3-4.

(3)-عبد الحميد ابن باديس، الإجتماع السادس العام لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين أو عيد النهضة الجزائرية الحديثة، البصائر، العدد 83، 25 رجب 1356 هـ/ 30 سبتمبر 1937م، ص 262.

(4)-عامر بغدادى، الدولة والهوية في الجزائر، المرجع السابق، ص 48.

(5)-صالح خرفي، في رحاب المغرب العربي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985، ص 127.

(6)-محمد الملي، ابن باديس وعروبة الجزائر، المصدر السابق، ص 48.

(7)-نفسه، ص 71.

من الإسلام الذي عرب الشعب الجزائري، وتعجب من الذين أرادوا جعل البربر فرنسيين، ولا تجمع بينهم وبين فرنسا لا نسب ولا أواصر دينية، ولا عرقية ولا تاريخية ولا جغرافية على عكس ما يجمعهم بالعروبة<sup>(1)</sup>.

كما أن المتتبع لنشاط جمعية العلماء وجهود رجالها، يجد أنه بالرغم من التوجه الديني الذي تميز به النشاط الإصلاحي العام للجمعية بهدف بعث الإسلام الصحيح في نفوس الجزائريين وإصلاح عقيدتهم، لكون الدين أهم ركيزة في الشخصية الجزائرية المرتبطة ارتباطا وثيقا بالهوية الوطنية للأمة الجزائرية، لبناء اللحمة الاجتماعية والسياسية التي ستصهر فيها وتذوب جميع الأفراد، بحكم أن الدين هو من مرتكزات الهوية الجامعة، وكانت المساجد مركزا مهما في هذه العملية، التي تولاهما رجال أكفاء عبر مختلف أنحاء التراب الوطني، تميزوا بالحزم في العمل والثبات على المبادئ، والمقدرة العالية على استقطاب مختلف شرائح المجتمع الجزائري ونشر أفكارهم بالموعظة الحسنة، كما إستغلوا الصحافة الإصلاحية لتوسيع نشاطهم، إلا أن هذا التوجه الديني تخلله جهود في المجال السياسي من خلال نشاط رجال الجمعية في تكوين وعي وطني بالقضايا الوطنية التي تخص الأمة الجزائرية، وبرز من خلال إبداء موقفها من بعض القضايا السياسية التي تخص الإدماج والتجنيس والفرنسة وفصل الدين عن الدولة، وكلها قضايا تخص وحدة الأمة وتماسكها في ضل مقومات واحدة.

ويظهر هذا الوعي الوطني بتوحيد كلمة الأمة الجزائرية خلال الأزمات التي تنشب بين مختلف العناصر المشكلة للأمة، أو تقع في بعض الأحيان بين الأحزاب الوطنية، فتتدخل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سعيًا منها لرأب الصدع، وفض النزاع كي لا تتفرق الجهود الوطنية ضد المسمعر، وتضيق بذلك ثمرات الكفاح، ومن أمثلة ذلك عمل علماء الجمعية على مخاطبة جماهير الأمة الجزائرية وسائر الأحزاب الوطنية إثر إختلاف كلمتهم حول الدستور الذي وضعته الحكومة الفرنسية للجزائر سنة 1947م، والذي كان قد نال موافقة البرلمان في شهر أكتوبر من نفس السنة<sup>(2)</sup>.

وفي سؤال حول الأقليات في الجزائر أجاب الورتيلاني في "جريدة المنار" و"جريدة الأنباء" التونسية قائلا: "إن المزابيين أو بني ميزاب في الجزائر هم كبقية أبناء الأمة تمامًا، جزائريون عرب مسلمون لا يختلفون عن سواهم في شيء، وإنما ينتسبون إلى بلد في جنوب الجزائر الصحراوية"، وافترض الورتيلاني أن ما حدث لا يعدوا أن يكون تقصير في أداء الواجبات الوطنية من بعض التجار من بني ميزاب، فاستغل الاستعمار الفرنسي الوضع في محاولة لنشر الطائفية بين الجزائريين والتفريق بينهم، إلا أن الجزائر لا تملك المواد الخام لإشعال فتيل هذه الطائفة<sup>(3)</sup>.

كما أن ابن باديس إجتمع رفقه أعضاء جمعية العلماء في شهر أوت من عام 1939م، في مقدمتهم توفيق المدني وأبو يقضان ومحمد لمين العمودي لدراسة الوضع التبشيري في بلاد القبائل وجهود الإدارة الإستعمارية لإستعادة قوة تأثير التقاليد القبائلية على حساب تطبيق الشريعة الإسلامية، الأمر الذي سيؤدي إلى تفريق الجزائريين المسلمين، مما جعله

(1)-يوسف القرضاوي، مقومات الفكر الإصلاحي عند الإمام محمد البشير الإبراهيمي، كتاب الملتقى الدولي للإمام محمد البشير الإبراهيمي بمناسبة

الذكرى الأربعين لوفاته، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط 01، 2006، ص 62.

(2)-محمد خير الدين، مذكرات، ج 02، المصدر السابق، ص 47.

(3)-الفضيل الورتيلاني، المصدر السابق، ص ص 69-70.

يبحث على توحيد سكان القبائل تحت راية واحدة مع جميع المسلمين الجزائريين، بما فيهم الذين لا يختلف وصفهم عن وضعهم عن سكان القبائل إلا أن أبو اليقظان أكد أن المزابيين مسلمون قبل كل شيء<sup>(1)</sup>.

فابن باديس كان وطنيا حتى النخاع، لإيمانه القوي بضرورة إستعادة الوطن الجزائري من سيطرة الاحتلال، وإعادة إيقاض الأمة الجزائرية التي يعمل الإستعمار على طمسها، ما جعله يسخر جل كتاباته ومقالاته الصحفية لبث الروح الوطنية في نفوس الجزائريين من خلال تعريفهم بوطنهم الذي سلب منهم حيث يقول في الوطنية: "الوطني الصميم من لا تلهيه المنافع المؤقتة الزائلة عن المنافع الآجلة الباقية، ويعزو إلى ماضيه وحاضره مالهما وما عليهما، كما يعزو إلى ماضي غيـره وحاضره مالهما وما عليهما، ومع تكييف فكرة تكيفا مناسباً للظروف في غير تفريط ولا إفراط"<sup>(2)</sup>.

ولم تختلف وطنية الشيخين الإبراهيمي والتبسي عن ابن باديس من خلال آرائهما، حيث يتبين بوضوح موقفهما الوطني الأصل النابع من قيم الحضارة العربية الإسلامية، والتي تنم عن عمق فكري وفهم صحيح لمعنى الانتماء للوطن، حيث يرى العربي التبسي الإتحاد ضرورة ملحة للجزائر، لأنه المنقذ في وقت الحن، فلا بد من إتحاد أفراد الأمة شعبيا لا سياسيا، لأنه هو السبيل الوحيد القادر على تغيير الحال في الجزائر<sup>(3)</sup>.

وظهر البعد الوحدوي للجمعية خلال الثورة التحريرية أيضا من خلال ما أوضح الورتلاني في جريدة "الصباح" بتاريخ 11 جانفي 1956م، أن المفاوضات مع فرنسا قائمة على أساس الاعتراف بالسيادة الجزائرية الموحدة التي لا تتجزأ أولا، والاعتراف بالشخصية الجزائرية في تصريح رسمي مناهض لجميع القوانين التي تزعم أن الجزائر أرضا فرنسية، بالرغم من التاريخ والجغرافيا واللغة والدين والعوائد التي يتصل بها الشعب الجزائري ثانياً، وفي مقابل ذلك تعهدت جبهة التحرير الوطني لجميع الفرنسيين الراغبين في البقاء بالجزائر تخييرهم بين جنسيتهم الأصلية واعتبارهم أجناب بالنسبة للقوانين المعمول بها، وبين الجنسية الجزائرية وفي هذه الحالة يكونون جزائريين لهم ما للجزائريين من حقوق وعليهم ما على الجزائريين من واجبات<sup>(4)</sup>.

#### المطلب السادس: الانتماء الحضاري للأمة العربية الإسلامية.

فيما يخص البعد الحضاري للهوية الجزائرية فإن علماء الجمعية يرجعون أصول الأمة الجزائرية إلى امتدادها وتعلقها بالحضارة العربية الإسلامية عبر قرون طويلة، والتي شملت الارتباط بالدين واللغة والعلم والثقافة والسياسة والعمران، بين الشيخ ابن باديس هذا الارتباط في العديد من مقولاته وشعره، التي من أبرزها قصيدة "شعب الجزائري مسلم". وبين من خلال هذه الأبيات الانتماء الإسلامي للشعب الجزائري، فهذه الأمة تدين بالدين الإسلامي، بالإضافة إلى إنتسابها العربي والذي لا يمكن أن تنفصل عنه، مهما حاول الإستعمار الفرنسي أن يقضي على هذين البعدين لفصل

(1)-عفاف زقورة، المرجع السابق، ص ص 105-106.

(2)-محمد الميلي، ابن باديس وعروبة الجزائر، المرجع السابق، ص 49.

(3)-مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، المنار، العدد 09، السنة 01، الجزائر، 05 أكتوبر 1959.

(4)-الفضيل الورتيلاني، المصدر السابق، ص ص 74-75.

هذا القطر عن أصله الإسلامي العربي المتجذر عبر التاريخ، كما أكد ابن باديس أن من يحاول أن يقول أو يدعي غير هذه الفكرة فهو كاذب، أو من يدعي أن الشعب الجزائري قد تم إفناؤه وانتهى من الوجود فقد كذب، ويتبين مدى اعتزاز ابن باديس بهذا الانتماء الإسلامي العربي الذي يرفض التخلي عنه ويدعو إلى الحفاظ عليه كأهم مرتكزات الشخصية الجزائرية<sup>(1)</sup>.

هذا الارتباط هو نقيض الأطروحة الاستعمارية التي روجت لها فرنسا، وحاولت تجسيدها في الواقع الجزائري بمختلف الأساليب والوسائل، زاعمة امتداد الأمة الجزائرية إلى البعد الحضاري الروماني الأوروبي، سواء كان عرقياً أو ديناً أو جغرافياً<sup>(2)</sup>، بوضع خطط ومشاريع استعمارية توظف فيها جميع الإمكانيات للقضاء على المقاومة الوطنية، التي تقف عائقاً أمام تجسيد أهدافها في الجزائر، وقامت هذه المخططات على تفتيت نقاط قوة المقاومة، وإضعاف روح النضال والمواجهة التي تغذيها العقيدة الإسلامية، ووحدة الانتماء للوطن، والانتصار للغة القرآن، تمهيداً لإحقاق الجزائر بفرنسا، ثقافياً وسياسياً واقتصادياً وإدارياً، من خلال إذابة الشخصية الجزائرية العربية الإسلامية، وإحلال المقومات الفرنسية الاستعمارية محلها، وإحقاق الجزائر بفرنسا وربطها ثقافياً وحضارياً بها من خلال ما اصطلاح عليه بـ "المهمة التمدينية"، والتي برر بها الفرنسيون احتلالهم للجزائر، والقائمة على: زعم فرنسا مساعدة الشعوب المتخلفة حتى تتطور وتستطيع تسيير شؤونها بنفسها<sup>(3)</sup>، وهذه ذريعة لبسط النفوذ الاستعماري الفرنسي على الجزائر سياسياً وعسكرياً والاندفاع بالمنطقة<sup>(4)</sup>.

يعتبر مشروع الإدماج من أخطر المشاريع الفرنسية في الجزائر لإستعانتها في تنفيذه بأبناء الأهالي المثقفين ثقافة فرنسية خصوصاً وأنه حول الجزائريين إلى رعايا من الدرجة الثانية في بلادهم وهم في الحقيقة السكان الأصليون للبلاد، وردا على هذه الحملة الإستعمارية إقترح ابن باديس مشروعاً بديلاً يقتضي إشراف فرنسا على نهضة الجزائر، والتي تعتبر أمة مغلوب على أمرها ينخرها الضعف وهي بحاجة إلى أمة قوية تستعيد في كنفها قوتها وتميزها التاريخي وإستقلالها عن الأمة الفرنسية حيث قال: "أظنتم أن الأمة الجزائرية ذات التاريخ العظيم تقضي قرناً كاملاً في حجر فرنسا المتمدنة ثم لا تنهض بجانب فرنسا تحت كنفها، يدها في يدها، فتاة لها من الجمال والحيوية ما لكل فتاة أنجبته أو ربته مثل تلك الأمم، أخطأتم يا هؤلاء التقدير... إننا نسعى لربط أواصل المودة بيننا وبين الأمة الفرنسية وتحسين العلائق بين الأمتين مرتبطتين بروابط المصلحة المشتركة، والمنافع المتبادلة من الجانبين، تلك الروابط التي ظهرت دلائلها وثمراتها في غير ما موطن من موطن الحرب والسلام"<sup>(5)</sup>.

وقد انتشرت في الجزائر موجة الدعوة للتحنس بالفرنسية والحصول على الحقوق السياسية والاجتماعية التي كان يتمتع بها المتفرنسيون، ما جعل ابن باديس يقف لها بالمرصاد من خلال إصدار فتوى وضع فيها حكم الإسلام من التحنس، وأشار إلى أن رفض أحكام الشريعة الإسلامية بعضها أو كلها يعتبر إرتداداً عن الإسلام يصل حد الخروج منه،

(1)- الزاوي بغورة، الخطاب الفكري في الجزائر بين النقد والتأسيس في التاريخ والهوية والعنف، المرجع السابق، ص ص 128-129.

(2)- عادل شويب ومفيدة بلهامل، المرجع السابق، ص ص 876-877.

(3)- محمد حسين، المرجع السابق، ص 76.

(4)- محمد عوض، الاستعمار والمذاهب الاستعمارية، دار الكتاب العربي، القاهرة، مصر، 1953، ص 35.

(5)- أحمد بروال ويوسف مقاومة، المرجع السابق، ص 723.

لذلك يتم ترك المتجنسين وما إختاروا لأنفسهم، وبعد أن عقد المتجنسون إجتماعا في أوائل أفريل من عام 1934م، من أجل المطالبة بتسهيل إجراءات التجنس حتى يزداد عددهم<sup>(1)</sup>، ورد ابن باديس على المتجنسين من الأهالي داعيا إياهم إلى التوقف عن ما يدعون إليه من مطالب لتسهيل التجنس، من أجل الحصول على الحقوق التي مهما قدموا من تنازلات لن ينالوها كلها وسيظلون يحاولون تحصيلها في مقابل ذلك سينالها كلها أخط متجنس أوروبي حيث قال: "غير أننا لا نستجيز السكوت عنهم إذا رأينا منهم دعاية لتوسيع نطاق التجنس إذ في ذلك محاولة إضعاف الإسلام باختطاف الضعاف من بنيهم ومجاوزة لحدود النظر لأنفسهم بالإغراء لغيرهم، فنحن بلسان الإسلام نحتج على هذا من هؤلاء السادة، ونصح لهم بالكف عن كل دعاية في هذا المعنى والتفرغ لاستحصال جميع حقوق الجنسية التي اعتنقوها وارتكبوا ما ارتكبوا لأجل نيلها، والتي ينالها كلها أخط أوروبي بمجرد التجنس وهم ما يزالون ولن يزالوا يحاولون إستكمالها"<sup>(2)</sup>،

ومع تطور لهجة الإستعمار ومشاريع الإدماج والتجنيس لطمس الهوية الجزائرية مع نهاية العشرينات من القرن الماضي بدأ ابن باديس يفصح عن مواقفه السياسية لمواجهته، بأسلوب ينم عن حنكة كبيرة ورصانة في عمق الطرح السلمي لمواقفه، قائلا لزملائه العلماء في الجمعية: "لابد من الجمع بين السياسة والعلم، فلا ينهض العلم والدين حق النهوض إلا إذا نهضت السياسة بجد"<sup>(3)</sup>، ومن هنا أصبح يخوض في المواضيع السياسية علنا، دون خوف لأنه اعتمد على الوعي الوطني الذي نشره وسط الجزائريين، وبهذا بدأت المواقف السياسية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين تبرز تدريجيا من خلال قيام أعضائها بحملة تحسيسية لمحاربة فكرة إعطاء الجنسية الفرنسية الجماعية للجزائريين وقد إستطاعت جمعية العلماء تأليب الجزائريين على الإدارة الفرنسية وتقوية العداء ضدها لكونها تأسست داخل الجزائر وليس في فرنسا مثل بعض التيارات السياسية الأخرى.

وللإشارة فإن المشروع النهضوي لجمعية العلماء كان يحتاج إلى مهادنة الإستعمار وعدم الدخول في مواجهة مباشرة معه، أثناء المطالبة بحقوقه الوطنية، لذلك حرص ابن باديس منذ تأسيس الجمعية على عدم جر إدارة الاحتلال الفرنسي إلى توقيف نشاطها وحلها، وهو ما سيؤثر على جهودهم الإصلاحية لإعادة إحياء مقومات الأمة الجزائرية، لهذا كان يتعامل مع كل موقف حسب ما يتلائم معه من رد فعل بناء على الظروف التي صاحبته، وهو ما لاحظناه عبر المسار النضالي المتميز لنشاط رجال الجمعية وما تحلله من إختلاف في المواقف بين الشدة واللين والمهادنة، في محاولة منها لربح الوقت إلى غاية نضوج وتبلور الوعي الوطني لدى الجزائريين، وإدراكهم لحقيقة الإستعمار وأهدافه في الجزائر.

كما انتقد من جهة أخرى الإدماج الروحي للجزائريين الذين يحاولون بحارة الأوروبيين في مطالبهم متناسين أصالة إنتمائهم، واعتبر ما يطالبون به، إضرار بعروبيتهم وإسلامهم الذي يريدون التخلي عنه لإرضاء إدارة الاحتلال، ولقد أثرت

(1) - مازن صلاح مطبقاتي، عبد الحميد ابن باديس العالم الرباني والزعيم السياسي، دار العلم، دمشق، 1999م، ص 78.

(2) - تسهيل التجنس، الشهاب، ج 05، مج 10، محرم 1353هـ/16 أفريل 1934م.

(3) - نقلا عن: عبد العزيز فيلاي، المداخلة الافتتاحية، المرجع السابق، ص 15.



الدعاية التي تبناها العلماء ضد التجنيس على جميع طبقات الأمة في مختلف أنحاء الجزائر، نافرين منه، ومعتبرين المتجنس مارق عن الإسلام<sup>(1)</sup>.

ولم تكن الفتوى ضد التجنيس الطريقة الوحيدة لمواجهته، بل عمدت الجمعية إلى وسائل أخرى لترسيخ ونشر الثقافة العربية الإسلامية، وزرع روح الاعتزاز بالتراث العربي الإسلامي، الذي يمثل رافدا من روافد إرساء مقومات الهوية الوطنية من خلال المؤسسات الدينية والعلمية، وتوظيف الصحافة لبث التوجه العربي الإسلامي للجمعية وسط أفراد الأمة. فحاولت جاهدة إستغلال الإطار الديني الذي تأسست ضمنه ومارست نشاطها في ظلله مناورة الإدارة الإستعمارية من خلال التغطية على نضالها السياسي مدعية أنها بعيدة عن السياسة، وعدم تعديها على قوانين النظام العام، إما بإصدارها لإعلانات رسمية في صحفها، أو بدفاع أصحاب المكانة الاجتماعية عبر برقيات التبرئة والتأييد للعلماء، بهدف درء الشبهات عن التوجه السياسي للعلماء، وتعزيز مظاهر المآزرة الشعبية التي تتمتع بها الجمعية<sup>(2)</sup>.

ومن المقالات التي نشرتها الشهاب مدافعة فيها عن المقومات الهوية الوطنية للأمة الجزائرية ورغبتها في المحافظة على جنسيتها القومية رافضة كل أشكال الإدماج والتجنيس ما كتبه ابن باديس قائلا: "نحن الأمة الجزائرية لنا جميع المقومات والمميزات لجنسيتنا القومية، وقد دلت تجارب الزمان والأحوال على أن من أشد الناس محافظة على هذه الجنسية القومية، وإننا ما زدنا على الزمان إلا قوة فيها وتشبثا بأهداها وأنه من المستحيل إضعافنا فيها فضلا عن إدماجنا أو محونا"<sup>(3)</sup>، ولقد أكد ابن باديس على أن الوطن الجزائري موجود وقائم محدود المعالم حيث قال: "ولها وطن محدود معين، هو الوطن الجزائري بحدوده الحالية المعروفة"<sup>(4)</sup>.

ورغم أن ابن باديس كان ينادي بالإنتماء العربي الإسلامي للأمة الجزائرية، إلا أنه وضع مصلحة الوطن الخاصة فوق باقي الأوطان رغم ما يربطها بالبلاد من صلات، إذ يقول: "نعلم أن لنا وراء هذا الوطن الخاص أوطانا أخرى عزيزة علينا هي دائما على بال، ونحن نعمل فيما نعمل لوطننا الخاص، نعتقد أنه لا بد أن تكون قد خدمناها وأوصلنا إليها النفع والخير وهي طريق خدمتنا لوطننا الخاص"، كما وضع موقفه من المُعادين للجمعية مؤكدا على ضرورة التخلي عن الخلافات لصالح الوحدة الوطنية وإجتماع الأمة على كلمة واحدة، إذ يقول: "أما موقف الجمعية مع خصومها فإنها تعلم أن الأمة اليوم تختار طورا من أشق أطوارها وأخطرها، فهي تتناسى كل خصومة وتعمل على جمع الكلمة، وتوحيد الوجهة"<sup>(5)</sup>.

لاقت جهود ابن باديس في سبيل نشر فكرة الوطن الجزائري وغرس الروح الوطنية بين أبناء الأمة الجزائرية إعترافا من قبل الفرنسيين أنفسهم من بينهم الكاتب الفرنسي Jean lacouture<sup>(6)</sup>، كما اعترف له الدكتور محمود قاسم الذي

(1) -نبيل أحمد بلاسي، الإتجاه العربي والإسلامي ودوره في تحرير الجزائر، الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية، مصر، 1990م، ص ص 85-86.

(2) -نفسه، ص 86.

(3) -نصيرة هرنون، المشروع الإصلاحي عند عبد الحميد ابن باديس، المرجع السابق، ص 06.

(4) -عبد الرشيد زروقة، جهاد ابن باديس ضد الإستعمار الفرنسي، المرجع السابق، ص 147.

(5) -محمد الملي، ابن باديس وعروبة الجزائر، المرجع السابق، ص ص 56-65.

(6) -نبيل أحمد بلاسي، المرجع السابق، ص 97.



عاصره زمانه فضله الكبير في تحطم أسطورة الجزائر الفرنسية حيث قال: "وقد استطاع بصادق فطرته وإخلاصه أن يهتدي إلى السلاح الناجح الذي حطم أسطورة الجزائر الفرنسية، تلك الأسطورة التي حاولت فرنسا فرضها على الجزائريين، وقد نجحت في أن تجر إليها نفرا من السياسيين المحترفين" <sup>(1)</sup>.

كما سار مبارك الملي في نفس نهج علماء الجمعية مساهما بكتابات في غرس الشعور بالإنتماء الوطني للفرد الجزائري والتنويه بواجبه نحوه حتى وإن ابتعد عنه حيث قال: "...عزيز النفس الذي يؤثر وطنه على كل شيء، تزداد غيخته عليه، ويتقوى شعوره بمحاسنه، إذا قذفته المقادير خارج محيط وطنه، فمن لي داعي هجرة وطنه من تعلم أو تجارة أو غرض آخر، تجده أشد غيرة ممن ضربت له أوهامه سورا بين وطنه ووطن آخر..." <sup>(2)</sup>، إذ يدافع عنه مع من يحالسهم بتصوره إياه في أحسن صورة مستشهدا بمحاسنه، وإذا عاد إلى إليه إن دفع لخدمته غير مدخر أي جهد في سبيل إعلاء شأنه. فالوطني الحق في نظر الملي لا ينسلخ من إنتمائه لأمته حسب قوله: "...وما بلغنا أن مفكرا ينسلخ عن قوميته ورمى بها جانبا وخرج من مسؤوليتها بخروجه من ترابها، واندمج في سلك أمة أخرى بدعوى أنها أرقى من أمته..." <sup>(3)</sup>، ثم يذكر بواجب الفرد الجزائري نحو وطنه قائلا: "...وعزيز النفس حر الضمير الذي يعرف واجب الوطن لا يرضى أن يبدله بغيره أو يتبرأ منه..." <sup>(4)</sup>.

وفي مقال للورتيلاني بعنوان "كتاب مفتوح من الورتلاني إلى رئيس حكومة فرنسا "غي موليه" في جريدة "بيروت المساء" 26 و 27 فيفري 1956م "والمنار" الديمشقية حول مطالب الجزائريين من فرنسا، التي استهلهها بالاستقلال التام، والتحرير العاجل للجزائريين وتدرجيا إلى أن يحصلوا على سيادتهم <sup>(5)</sup>، كما رأى ضرورة الإلغاء الفوري لما يسمى بالدستور الجزائري <sup>(6)</sup>، وإعلان حرية الدين الإسلامي، وتسليم جميع شؤونه لأهله يتصرفون فيها كما يشاؤون، وطالب وجوب التعويض الكامل على جميع الأوقاف التي اغتصبها الاستعمار واعتدى عليها ضلماً، وإنشاء وزارة الأوقاف حالاً <sup>(7)</sup>.

كما طالب الورتيلاني الإدارة الاستعمارية بتطبيق الحلول الإيجابية التي لخصها في إعلان حق الجزائر في السيادة والاستقلال مع التأسيس العاجل للحكومة الجزائرية، التي تتولى وضع دستور جزائري عتيدي، يسمح باعتماد اللغة العربية كلغة رسمية ووطنية في جميع أنحاء البلاد الجزائرية <sup>(8)</sup>.

(1)- مازن صلاح مطبقاتي، عبد الحميد ابن باديس العالم الرباني والزعيم السياسي، المرجع السابق، ص 152.

(2)- آثار الشيخ مبارك الملي، مج 01، المصدر السابق، ص ص 58-59.

(3)- نفسه، ص 59.

(4)- نفسه، ص 60.

(5)- الفضيل الورتيلاني، المصدر السابق، ص 165.

(6)- يقصد به قانون 20 سبتمبر 1947م، وهو القانون التنظيمي للجزائر حسب الترجمة الأصلية للنص الصادر في الجريدة الرسمية للجمهورية

الفرنسية، سمي أيضا بالقانون الأساسي الجزائري، دستور الجزائر، القانون الخاص بالجزائر.

(7)- الفضيل الورتيلاني، المصدر السابق، ص ص 165-166.

(8)- نفسه، ص ص 166-167.

### المطلب السابع: القيم الاجتماعية والثقافية والسياسية للمجتمع الجزائري.

تعتبر القيم الثقافية والدينية والاجتماعية في رأي ابن باديس أركان أساسية من أركان الهوية الوطنية ولا يمكن أن تكون فاعلة في الأمة إلا إذا وظف العلم والتعليم والمعلم بشكل صحيح لخدمة المجتمع<sup>(1)</sup>، وهو ما برز من خلال سلسلة المقالات التي نشرت في مجلة الشهاب تحت عنوان: "صلاح التعليم أساس الإصلاح" حيث بيّن خطته في إحياء معالم الهوية الاجتماعية الدينية والثقافية والسياسية للأمة الجزائرية، فكتب قائلاً: "لن يصلح المسلمون حتى يصلح علماءهم فإنما العلماء من الأمة بمثابة القلب إذا صلح القلب صلح الجسد كله، وإذا فسد فسد الجسد كله، وصلاح المسلمين إنما هو بفقههم الإسلام وعملهم به، وإنما يصل إليهم هذا على يد علمائهم، فإذا كان علماءهم أهل جمود في العلم وإبتداع في العمل فكذلك المسلمون يكونون، فإذا أردنا إصلاح المسلمين فلنصلح علماءهم، ولن يصلح العلماء إلا إذا أصلح تعليمهم، فالتعليم هو الذي يتبع المتعلم بالطابع الذي يكون عليه في مستقبل حياته... فإذا أردنا أن نصلح العلماء فلنصلح التعليم، ونعني بالتعليم التعليم الذي يكون به المسلم عالماً من علماء الإسلام يأخذ عنه الناس دينهم ويقتدون به فيه، ولن يصلح هذا التعليم إلا إذا رجعنا به للتعليم النبوي في شكله وموضوعه وفي مادته وصورته..."<sup>(2)</sup>، ومن يركز فيما قاله ابن باديس يتبين له مدى أهمية التعليم والتعلم والعلم والمعلمين في تشكيل ركن الهوية الثقافية والدينية والسياسية للأمة، فهو أحد أهم أركان تشكيلها ونهضتها واستمراريتها خاصة إذا كانوا علماء من ذوي التعليم النبوي والهداية<sup>(3)</sup>.

### المطلب الثامن: موقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من اللغة الأمازيغية.

وظف الإستعمار الفرنسي في الجزائر جميع الآليات والطرق من أجل تفتيت الوحدة الوطنية للشعب الجزائري والقضاء على مقومات الهوية القائمة عليها هذه الوحدة، ومن بين هذه الطرق إشعال صراع إثني بين العرب والبربر، من خلال التمييز بين اللغة العربية واللغة الأمازيغية ومساواتهما في الدرجة بترقية الأمازيغية إلى لغة قومية، في خطة ذكية منه لخلق النزعات وصراع لغوي بين العرب والبربر بعد فشله في القضاء على اللغة العربية وإحلال الفرنسية مكانها كلغة رسمية في البلاد، إلا أن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تفتنت لهذا الأمر، فعملت على فضح مخطط الخبث الإستعماري الذي أراد دس السم في العسل<sup>(4)</sup>.

قامت خطة الإستعمار على تجنيد عدد من الجزائريين ليقوموا بمهمة الدفاع عن حق البربر في ترقية لغتهم الأمازيغية، في مقابل إتخاذ هذا الأمر حجة لمحاربة اللغة العربية والإنقاص من شأنها، وإخراص أفواه المطالبين بحقها في وطنها الأم بعدما سلبت منهم هذا الحق وهو ما عبر عنه الإبراهيمي قائلاً: "الهدف الفرنسي من إحياء الدعوة إلى البربرية

(1)- أحمد عيساوي، خطاب الهوية عند الحركة الوطنية الجزائرية "ابن باديس عن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أنموذجاً"، المرجع السابق، ص 227.

(2)- عمار طالي، ابن باديس، ج 3، المصدر السابق، ص 217-222. يُنظر أيضاً: الشهاب، ج 11، مج 10، رجب 1353 هـ / 10 أكتوبر 1934 م، ص 478-481.

(3)- أحمد عيساوي، خطاب الهوية عند الحركة الوطنية الجزائرية "ابن باديس عن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أنموذجاً"، المرجع السابق، ص 228.

(4) - آثار محمد البشير الإبراهيمي، ج 01، المصدر السابق، ص 206.

وتخصيص إذاعة لها، أنه سلاح مبتكر لحرب العربية ومكيدة مدبرة للتقليل من أهميتها، وحجة مصطنعة لإسكات المطالبين بحقوقها في وطنها، لأن من عادة الإستعمار أن يحيي المعاني الميتة ليقتل بها المعاني الحية" (1).

وتبين هنا أن الهدف الفرنسي الرئيسي من هذا القرار حسب الإبراهيمي هو تحويل الصراع اللغوي في الجزائر من صراع فرنسي جزائري إلى صراع جزائري جزائري أو بربري عربي، وبالتالي شق صفوف الوحدة الوطنية بين الجزائريين لإستنزاف الجهود وتضليل المسألة اللغوية عن مشكلتها الرئيسية مع الإستعمار بإشغال الجزائريين ككل بصراعات فكرية وإثنية داخلية مضیعة للوقت تضمن للمستعمر بقاءه في البلاد وتوحيد مطلب الإستقلال، من مطلب رئيسي إلى ثانوي (2).

والملاحظ أن منطقة القبائل عرفت عدة أنواع من التنظيمات العصرية لمقاومة الإستعمار خصوصا بعد الحرب العالمية الثانية، فأنباء المنطقة كانوا من أوائل المنخرطين في أحزاب الحركة الوطنية من بينها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين (3)، وكان لهم دور في نشر الفكر الإصلاحي النهضوي، فابن باديس كانت له علاقة الوطيدة بعلماء بمنطقة زواوة بالقبائل الكبرى الممتدة جذورها حتى قبل تأسيس الجمعية، مثلما يظهر ذلك أثناء انشغاله في الحد من ظاهرة التنصير بهذه المنطقة، وتكليفه لأحد أصدقائه بترجمة مقال للكاتب الفرنسي "روني فانلاند" لنشره على صفحات الشهاب سنة 1929م، لكونه يكشف نشاط جماعة الإنجليزيين الأمريكيين في المنطقة، معتمدين في نشاطهم التنصيري على انتقاد الاحتلال الفرنسي للجزائر، وإستمالة السكان بالخدمات الاجتماعية (4).

وكان ابن باديس قد قام برحلة واسعة سنة 1930م إطلع من خلالها عن كثب على وضعيتها الثقافية خصوصا مجال التعليم والمدارس الموجودة بها، فاحتك بعلمائها وتعرف على المدرسين الذين كانوا يرسلون أفواج من منطقتهم لإتمام دراستهم عند الشيخ ابن باديس، ومن بين هؤلاء العلماء الذين كانوا مقرين منه نجد: باعز بن عمر وكان قد نشر عدة مقالات في جريدة البصائر، الفضيل الورتيلاني، الهادي الزروقي، يحي حمودي... إلخ (5)، وهذا التواصل المتين بين الزواوة وابن باديس برز جليا خلال تأسيس جمعية العلماء، حيث تبين مجلة الشهاب (6) مساهمة شيوخ المنطقة بقوة في تشكيلة المجلس الإداري للجمعية، وعند تجديده سنة 1935م (7)، إضافة إلى إعماده على أسماء منه المنطقة كانت قريبة منه لتوسيع نشاطه الإصلاحي داخل الوطن وخارجه، ونلاحظ ذلك من خلال حضور ابن باديس في التراث الشعبي

(1) - آثار محمد البشير الإبراهيمي، ج 01، المصدر السابق، ص 378.

(2) - أحمد بروال ويوسف مقارمة، المرجع السابق، ص 721.

(3) - ناصر جاني وآخرون، المرجع السابق، ص 154.

(4) - يُنظر الشهاب الأعداد: ج 04، مج 05، ماي 1929م/ ج 05، مج 05، جوان 1929م/ ج 06، مج 05، جويلية 1929م/ ج 07، مج 05، أوت 1929م.

(5) - محمد أرزقي فراد، بلاد الزواوة من خلال نصوص الحركة الإصلاحية، دار الأمة، الجزائر، 2016، ص ص 16-21.

(6) - الشهاب، ج 06، مج 07، صفر 1350هـ/ جوان 1931م، ص ص 343-345.

(7) - الشهاب، ج 07، مج 11، رجب 1354 هـ/ أكتوبر 1935م، ص 442.

الأمازيغي وتغنيه بالحركة الإصلاحية القائمة على بناء المدارس ونشر العلم، فالفكر الإصلاحي في أذهان أهل الزواوة إقترن بشخصية ابن باديس<sup>(1)</sup>.

وهو ما يعني أن جمعية العلماء المسلمين لم يكن لديها مشاكل مع علماء منطقة القبائل من جهة، ولا مع اللغة الأمازيغية التي كان يتحدث بها هؤلاء العلماء من جهة أخرى، وهم بدورهم كانوا يقبلون على تعلم اللغة العربية والثقافة الإسلامية وتفوقوا فيها ولم يكن لديهم معاداة لها، على عكس ما هدفت له سياسة الإستعمار الفرنسي. فبسبب إنتشار العربية بين الأمازيغ يرجع إلى كونها لسان العلم وآلة المصلحة، فقد أخذت موضعها من ألسنة البربر عن اختيار لا عن جبر<sup>(2)</sup>.

وفي إطار توضيح الأهداف الحقيقية للإستعمار كتب الإبراهيمي في رده على إذاعة أغاني قبائلية عبر أثير راديو الجزائر وتخصيص حصة لإذاعة الأخبار باللسان القبائلي أن هذا الأمر يدخل ضمن المحاولات الإستعمارية لضرب الوحدة الوطنية للشعب الجزائري تحت غطاء فكرة إحياء اللغة الأمازيغية من منطلق سياسي يثير النعرات بين أفراد الأمة الواحدة حيث قال: "وتدجيل سياسي على طائفة من هذه الأمة ومكر إستعماري لطائفة أخرى، وتفرقة شنيعة بينهما، وسخرية عميقة بينهما"<sup>(3)</sup>.

وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين انتهجت توجهها مشرقيا أعلنت فيه الولاء التام للإنتماء العربي متبينة كلا من العروبة واللغة العربية كمقومات أساسية ضمن الهوية الوطنية واعتبرت أن كل محاولة لإحياء أي توجه آخر خارج إطار العروبة هو بمثابة محاولة لشق عصا الطاعة والولاء للإسلام، وهو الأمر الذي رآه البعض الآخر تعصبا وحيادا عن الصواب، مما جعل الإبراهيمي يرد على هذا الرأي بتبيين شرف الدعوة للعروبة والإنتماء إليها، فهي الأمة التي حباها الله بالإسلام، ولغته العربية التي هي ترجمان القرآن ولسانه ولا يمكن قراءة القرآن إلا بها وعن طريقها<sup>(4)</sup> وبالنسبة للأمة الجزائرية ليست بغريبة فهي ممتدة الجذور في هذه الأرض ترحل برحيل هذا الشعب وتقيم بإقامته حيث قال: "اللغة العربية ليست غريبة ولا دخيلة في الجزائر، بل هي في دارها وبين حمايتها وأنصارها، وهي ممتدة الجذور مع الماضي، دخلت هذا الوطن مع الإسلام على ألسنة الفاتحين ترحل برحيلهم وتقيم بإقامتهم"<sup>(5)</sup>.

إلا أن إقرار علماء الجمعية باللغة العربية في الجزائر لامتداد انتمائها التاريخي للعروبة والإسلام، لا يعني إنكارهم أن الأمازيغ (البربر) هم السكان الأصليون للجزائر قبل الفتح الإسلامي<sup>(6)</sup>، إذ قال ابن باديس رحمه الله: "ما من نكير أن الأمة الجزائرية كانت مازغية من قديم عهدها، وأن أمة من الأمم التي اتصلت بها، ما استطاعت أن تقلبها عن

(1) - محمد أرزقي فراد، بلاد الزواوة من خلال نصوص الحركة الإصلاحية، المرجع السابق، ص 16-21.

(2) - أحمد بروال ويوسف مقارمة، المرجع السابق، ص 722.

(3) - آثار محمد البشير الإبراهيمي، ج 01، المصدر السابق، ص 48.

(4) - أحمد بروال ويوسف مقارمة، المرجع السابق، ص 722.

(5) - محمد البشير الإبراهيمي، اللغة العربية في الجزائر عقيلة حزة ليس لها ضرة، المصدر السابق، ص 206. يُنظر أيضا: البصائر، العدد 41،

20 شعبان 1367 هـ / 28 جوان 1948 م، ص 317.

(6) - الحسن بن عليجة، المرجع السابق، ص 434.

كيانها، ولا تخرج بها عن مازيغيتها، أو تدمجها في عنصرها...<sup>(1)</sup>، وهو نفس ما ذهب إليه الإبراهيمي لدحض أفكار الإستعمار اللغة حول الإنتماء المثيرة للنعرات في منطقة زواوة قائلا: "زواوة معقل من معاقل الإسلام والعروبة، كانت ومازالت على ذلك... إن الغاية التي يرمي إليها الإستعمار... هو إبعاد طوائف من المسلمين عن الإسلام بالتدريج حتى تضعف فيهم النعرة الدينية وعاطفة التآخي الإسلامي، وتصير الأمة الواحدة أمتين أو أمتا"<sup>(2)</sup>.

وإذا كانت منطقة القبائل عرفت تاريخيا اتصالا وتفاعلا مع مختلف الاحتلالات التي تعرضت لها المنطقة وصولا إلى الإستعمار الفرنسي العنيف الذي ترك آثارا خطيرة على المستوى السوسولوجي واللغوي، فإن بنو مزاب حافظوا بفضل العزلة الجغرافية على إستقلالية واسعة إبان الحكم التركي والفرنسي وفق تكريسهم لإتفاقيات أبرموها معهم بصفتهم جماعة مستقلة، مما ساعدهم على الحفاظ على نظمهم وكيانهم الاجتماعي الديني اللغوي المستقل، أما التوارق فلم يكن اتصالهم بالاحتلال الفرنسي إلا في بدايات القرن العشرين بعد إحتلال المقرار سنة 1922<sup>(3)</sup>، لذا فحالة الأمة الجزائرية متميزة عن غيرها من الأمم، إذ نجد أن الجزائر هي خلاصة التفاعلات التي شهدتها البلاد بين المكونات الإسلامية والعربية والأمازيغية عبر القرون، مع تعدد روافدهم البشرية وما يكتنونه من تنوع في لهجاتهم وما يظهرونه من تمايز الطبوع الثقافية لديهم<sup>(4)</sup>، وهذا التمايز الذي طبع البلاد شكل تاريخيا عاملا إيجابيا في إتحاد سكانها وتعايشهم في أمة واحدة، والدليل أن نزعة التنافس والتنافر بين مكونات هذه الأمة الجزائرية لم تعرفها الجزائر إلا خلال مرحلة الاحتلال الفرنسي.

ونجد أن الحركة الإصلاحية بقيادة جمعية العلماء في فترة الاحتلال بذلت جهودا للمحافظة على وحدة الأمة وإندماج المكون الأمازيغي فيها. فقد لعبت دورا كبيرا منذ بداية القرن الـ20 في مسار إندماج المجموعة المزابية في الفضاء الوطني، ما يبين أن نشأة الاهتمام بالأمازيغية عند المزابيين كان في حوض الحركة الإصلاحية الدينية، وهو ما يفسر في نفس الوقت عدم معاداتها للثقافة العربية الإسلامية، على عكس نشأة الحركة الأمازيغية بمنطقة القبائل، التي تطورت في خضم التيار العلماني الحداثي، الذي يحدد الهوية الأمازيغية كنقيض وبديل للهوية العربية الإسلامية<sup>(5)</sup>، وهذا ما حاربه جمعية العلماء.

فقد أكد الشيخ محمد خير الدين على فكرة الوحدة الوطنية في كلمته المعنونة بـ: "ما جمعه يد الله لا تفرقه يد الشيطان" التي ألقاها إثر خطاب الشيخ يحيى حمودي باللغة القبائلية ليله مأدبة النادي لجمعية العلماء، حيث ركزت في هذا الاجتماع على فكرة الوحدة الجزائرية باعتبارها جزء لا يتجزأ من الوحدة الإسلامية والعربية المتصلة حلقاتها بأحكام وانسجام منذ سنين، ولا يمكنها أن تنفصل عن بعضها إلا بقوة الله، وتساءلت الجمعية فهل سيتعظ دعاة التفرقة والإيديولوجية العصرية<sup>(6)</sup>.

(1) -عبد الحميد ابن باديس، كيف صارت الجزائر عربية؟، الشهاب، ج 12، مج 13، ذي الحجة 1356 هـ/ فيفري 1938م، ص 565.

(2) -آثار محمد البشير الإبراهيمي، ج 02، المصدر السابق، ص 269-270.

(3) -ناصر جابي وآخرون، المرجع السابق، ص 102.

(4) -عامر بغدادى، الدولة والهوية في الجزائر، المرجع السابق، ص 80.

(5) -ناصر جابي وآخرون، المرجع السابق، ص 125-126.

(6) -محمد خير الدين، مذكرات، ج 02، المصدر السابق، ص 295.

كما أكدت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من خلال العديد من مقالات رئيسها الشيخ ابن باديس وعلماء الإصلاح المنخرطين فيها، الوحدة بين العرب والأمازيغ تحت راية الإسلام، وهو ما عبر عنه الشيخ خير الدين في كلمته: "أن أبناء يعرب وأبناء مازيغ قد جمع بينهم الإسلام منذ بضع عشر قرنا، ومع مرور تلك القرون امتزجوا فيما بينهم في الشدة والرخاء، في العسر واليسر، وتوحدوا في السراء والضراء، حتى أصبحوا عنصرا مسلما جزائري أمة الجزائر وأبوه الإسلام، وقد كتب أبناء يعرب وأبناء مازيغ آيات اتحادهم على صفحات هذه القرون بعدما أراقوا من دماء في ميادين الشرف لإعلاء كلمه الله وما سال من محابريهم في مجالس خدمة العلم"<sup>(1)</sup>، كما نوه أن هذه الوحدة لا يمكن أن تفرقها أي قوة مهما كانت قدرتها، ملمحا إلى الإستعمار الفرنسي وأتباعه، وناصحا أبناء الأمة الجزائرية أن يتحدوا لأن الشقاق لن يخدم إلا أعداء الأمة حيث قال: "فأي قوة بعد هذا يقول عاقل تستطيع أن تفرقهم؟ لولا الظنون الكواذب والأمانى الخواضع، يا عجا لو يفترقوا وهم الأقوياء، فكيف يفترقون وغيرهم القوي؟ كلا والله، بل لا تزيد كل محاوله للتفريق بينهم إلا شدة في اتحادهم وقوه لرابطتهم بما ذمتي أقول رهينة، وأنا به زعيم والإسلام له حارس، والله عليه وكيل. نعم إننا لننفع أنفسنا، وننفع إذا استطعنا غيرنا. ومعاذ الله والإسلام أن نتحد على أحد، أو نتفق على باطل، أو نتعاون على إثم أو عدوان"<sup>(2)</sup>.

من هنا نجد أنه رغم ما نفذه الاحتلال من مشاريع لإثارة النزعات إنطلاقا من اللغة والانتماء بين الجزائريين، إلا أن مسألة الهوية في حد ذاتها لم تكن مطروحة خلال فترة الاحتلال إلا مع المستعمر، كما أن التداول الحاد للمسألة في السنوات الأخيرة<sup>(3)</sup>، ما هي في نظرنا إلا تداعيات لمخلفات فكر إستعماري واصل نفس مساعيه لهدم ثوابت الأمة الجزائرية.

ونستخلص في هذا الجزء إلى أن جمعية العلماء هدفت من تأسيسها إلى النهوض بالمجتمع الجزائري لإرتباط النهضة الإصلاحية بالمحافظة على مقومات الهوية الوطنية، فلا يمكن بناء صرح حضاري للأمة الجزائرية دون الإعتماد على ركائز صحيحة تمثل القاعدة الصلبة التي ترتكز عليها النهضة لإعادة بناء الدولة الجزائرية، فلا بد من إعادة إحياء مقوماتها ومعالمها التي تعرضت للطمس فترة طويلة من الاحتلال من أجل إستشراف المستقبل المنشود، فالغاية هي إسترجاع السيادة الوطنية للبلاد في إطار مقومات هويتها المرتبطة بالماضي المتجذر في التاريخ والصانع لكيانها الذي يميزها عن غيرها من الأمم، وحاضرها الذي لا بد أن يعاد تصحيح مساره للمحافظة على بقاء هذه الأمة واقفة مواجهة للتحديات الكبيرة التي تعترضها من قبل الاحتلال، لهذا فقد جمع علماء الجمعية بين مختلف المراحل التاريخية بماضيها وحاضرها ومستقبلها، إضافة إلى المزج بين الأصالة والمعاصرة من خلال المحافظة على عراقة المجتمع الجزائري بعاداته وتقاليده على إختلافها وتنوعها ومحاكاتها تفاصيل الشخصية الجزائرية المتميزة مع فسخ المجال أمام التطور العصري لخدمة النهضة وإصلاح العقيدة الجزائرية.

(1)-محمد خير الدين، مذكرات، ج 02، المصدر السابق، ص 295.

(2)-نفسه، ص 295.

(3)-ناصر جابي وآخرون، المرجع السابق، ص 119-121.

# الفصل الرابع

دور جمعية العلماء في ترسيخ المرجعية الدينية وإحياء  
مقومات الهوية الوطنية

- المبحث الأول: الخطاب الديني عند جمعية العلماء بين الأصالة والمعاصرة.
- المبحث الثاني: جمعية العلماء ومواجهة الخطاي الديني الصوفي والاستعماري.
- المبحث الثالث: النشاط الثقافي والدعوي الإصلاحي لجمعية العلماء المسلمين.
- المبحث الرابع: النشاط الإعلامي التوعوي.
- المبحث الخامس: الصعوبات التي واجهت الجمعية في ترسيخ الهوية الوطنية.



إن دراسة التيار الاصلاحى ممثلا في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الجزائر تطرح عدة تساؤلات خاصة التي أثارها الفئات المنتقدة لهذا الاتجاه خلال الفترة الاستعمارية، ومنها بالتحديد فيما إذا كان أصحاب هذا الاتجاه يمتلكون فعلا فكراً ومرجعية وإيديولوجية محددة يستندون عليها في نضالهم ضد الاستعمار، أم أنهم يستهدفون فقط إعادة بعث الهوية الجزائرية دون المطالبة بالاستقلال الوطني؟ أو بعبارة أخرى هل يملك التيار الاصلاحى الذي ظهر في الجزائر أثناء المرحلة الاستعمارية والممثل في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين فكراً إيديولوجياً تم الاعتماد عليه خلال مرحلة النضال ضد الاستعمار، أم أن قادة هذه الحركة الاصلاحية كانوا يناضلون دون مرجعية فكرية يستندون عليها؟ وإذا كانوا يمتلكون فعلاً فكراً وإيديولوجية خاصة بالتغيير، فما هي مرجعية وخصوصية هذا الفكر الاصلاحى الذي نادوا الجماهير للالتفاف حوله في خطاباتهم وبرامجهم؟ وما هي العوامل التي تحدده؟ ومن هي الشخصيات التي لعبت دوراً في تشكيله؟ وهل كان نتاج زعيم أو منظر نخبوي أو جاء كخلاصة لنقاش عميق في المجتمع في فترة ما قبل الحرب العالمية الثانية أم أنه لم يرقى إلى هذا المستوى من الوعي؟

### المبحث الأول: الخطاب الدينى عند جمعية العلماء بين الأصالة والمعاصرة.

إن العلاقة بين الهوية الوطنية والقيم الدينية يعتبر من المسائل المهمة التي يثار حولها النقاش، فالبعض على سبيل المثال يرفض تحية العلم الوطنى أو الوقوف عند سماع النشيد الوطنى باعتبار أن ذلك يدخل ضمن ما اصطلح عليه بمظاهر الوثنية، والواقع أن مقاصد الشريعة تقدم حفظ النفس على حفظ الدين، إذ لا وجود لدين من دون وجود بشر يقيمونه على وجه الأرض، وباعتبار أن العقد الوطنى الذى تُدار على أساسه الدول وتُقام به المجتمعات هو نتاج اتفاق على مبادئ عامة بين أفراد الجماعات البشرية المكونة للدولة، لحفظها من الصراعات المؤدية إلى هلاك النفس وبسط الأمن والأمان، فإن مقاصد العقد الوطنى تكون متوافقة مع مقاصد الدين<sup>(1)</sup>.

ومن باب العقل الذى ميّزنا الله به فإن مقاصد الشريعة في هذا المقام تجعل العقد الوطنى مُقدماً على العقد الدينى، وهو ما يعنى أن الهوية الوطنية تأتي في المقام الأول لأن حفظ الوطن والمواطن من الدمار والهلاك هو من صميم حفظ النفس، فسلامة الوطن والمواطن تهيئ الظروف المواتية لعبادة الخالق وإقامة شعائر الدين، كما أن الدولة عبر التاريخ الإسلامى لم تكن دولة دينية بل نموذج حكم يستند في رؤيته للكون والحياة إلى المرجعية الإسلامية، كما أن الدمج بين العروبة كمفهوم ثقافى حضارى والإسلام كمرجعية دينية يقره الواقع القائم في بلاد المغرب، والجزائر تقع في القلب، نظراً لأن الحضور العربى ارتبط تاريخياً بدخول الإسلام إلى هذه الديار<sup>(2)</sup>.

من هذا المنطلق نجد أن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين منذ سنة 1933م أصبحت عقيدة عند الشعب الجزائرى، حيث إعتنقها وتغافى في مساندتها وتعزيزها ومناصرتها ليس ضد مناورتها ومنافسيتها فقط، بل ضد حتى القيود التي كانت الإدارة الفرنسية وقوانينها، مثل "مرسوم ميشال"<sup>(3)</sup>.

(1)-عامر بغدادى، الدولة والهوية في الجزائر، المرجع السابق، ص 81.

(2)-نفسه، ص ص 81-82.

(3)-عبد الحميد زوزو، الثقافة والتعليم تاحر والرسى في العهد الفرنسى، المرجع السابق، ص 75.

### المطلب الأول: ظهور الخطاب الايديولوجي الإصلاحي لجمعية العلماء المسلمين.

ظهرت الحركة الإصلاحية النهضة بعد فتور الحركة الوهابية في المشرق، وتزايد سياسة الإحتلال داخليا في الجزائر، وتميزت هذه الحركة بتوجهها المستقبلي<sup>(1)</sup>، من خلال النهوض لمقاومة الاستعمار بالاعتماد على وسائل التقدم الحديثة التي هي في الأصل وسائل إسلامية<sup>(2)</sup>، ورغم أن الفكر الإصلاحي في الجزائر كانت له إرهابات وجهود مع بداية الرعيل الأول، بظهور عدد من المثقفين وعلماء الإصلاح الجزائريين، الذين تميزت جهودهم بانحصارها في إطارها الفردي المنعزل والغير منظم. إلا أن هذه الجهود كانت اللبنة التي ساهمت في تطور فكرة الإصلاح وتحسينها الفعلي والمباشر على أرض الواقع على يد عبد الحميد ابن باديس الذي حول هذا الفكر إلى حركة ثقافية اجتماعية منظمة في شكلها القانوني وأهدافها الوطنية مع بداية الثلاثينات أطلق عليها إسم جمعية العلماء المسلمين، في رد واضح على الغطرسة الاستعمارية واحتفالاتها الضخمة والمهينة لمشاعر الجزائريين وكرامتهم بمناسبة الذكرى المئوية الأولى لاحتلال البلاد<sup>(3)</sup>.

فالخطاب الإصلاحي عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين هو تطوير لأفكار عدة علماء إصلاح في مقدمتهما الشيخين "عبد القادر المجاوي" و"حمدان لونيسي" أستاذي عبد الحميد بن باديس<sup>(4)</sup>، الذين ركزا على ضرورة النهوض بالثقافة العربية والدفاع عن الشريعة الإسلامية، ضف لهذا إسهامات أفكار النخبة القسنطينية المثقفة التي رفعت للبرلمان الفرنسي سنة 1887م عريضة ترفض فيها التجنيس واندماج الجزائريين في الأمة الفرنسية، وتطالب بتنظيم المدارس العربية<sup>(5)</sup>.

حسب ما ذهب إليه مصطفى الأشرف فإن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أهملت الجوانب السياسية في مشروعها حيث يقول: "إن جمعية العلماء لم يكن برنامجها يشمل جميع الجوانب التي كانت من المفروض أن تعمل على إحيائها وتجديدها، فقد إقتصرت عملها على الصعيدين الثقافي والديني، ونظرت إلى الأوضاع نظرة سطحية وطرحت المشكلة السياسية بكيفية غير سديدة، ولعل السبب في ذلك أن التراث السياسي الثقافي الذي تولى الرعيل الأخير للنخبة المثقفة القسنطينية في سنة 1887م نقله إلى الخلف في خطوته العامة، قد انشق أو يكاد عندما إنتقل إلى جمعية العلماء التي حققت أو أهملت السياسية الصرفة، وتركزت على جوانبه التربوية (نشر اللغة العربية) والروحية (محاربة العقلية الخرافية التي يروجها المرابطون والمطالبية بفصل الدين عن الدولة)، والتشريعية (العمل من أجل إستقلال القضاء الإسلامي الأصيل)، ولكن هذا كله ما هو في الواقع إلا نوع من المحاولات لإصلاح ما أفسده الدهر"<sup>(6)</sup>، لكننا سنلاحظ أن إهمال الجانب السياسي في مشروع الجمعية مقصود لدوافع مرحلية.

(1)- أحمد حمدي، المرجع السابق، ص 80.

(2)- عابد الجابري، الأتلاحينسيا في المغرب العربي، دار الحداثة، بيروت، لبنان ط1، 1987، ص ص 25-33.

(3)- أحمد حمدي، المرجع السابق، ص ص 82-83.

(4)- مصطفى الأشرف، المصدر السابق، ص 242.

(5)- أحمد حمدي، المرجع السابق، ص 83.

(6)- مصطفى الأشرف، المصدر السابق، ص 343.

فجمعية العلماء آمنت منذ البداية أن تحقيق فكرة الإستقلال تحتاج إلى بناء جيل جديد متشبع بالأفكار الإصلاحية وقادر على إستيعاب علوم العصر، مطلع على ماضيه، لذا رفعت شعارها: "الإسلام ديننا، الجزائر وطننا، العربية لغتنا"، وبهدف تحقيق هذه الغاية تم إنشاء المدارس والمعاهد والصحف وإلقاء الخطب والمحاضرات وحلقات الوعظ بالمساجد والنوادي، متحدية الظروف الصعبة نتيجة القوانين الاستعمارية التي عرقلت عملها<sup>(1)</sup>.

سمحت الجهود الإصلاحية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين في هذه الفترة من القرن الـ20م بظهور عدة مصطلحات في الخطاب الإيديولوجي الجزائري حملت ضمناً دلالات ذات أبعاد سياسية وهوياتية، أشار إليها المؤرخ الفرنسي "شارل رويبر أجيرون قائلاً: "ظهرت في لغة الجزائر العربية كلمات ذات معنى جديد مثل: وطن، الأمة الجزائرية، الشعب" وهو نفس الطرح الذي ذهب إليه أحمد الخطيب حيث قال: "كانت شعارات الجمعية تعني دائماً التوجه نحو المستقبل، فعبارات (التقدم) و(النهضة) و(الترقى) كانت ملازمة لكل توجه خطابي أو كتابي نحو الشعب، كما كانت هذه العبارات تطلق على بعض المؤسسات الاجتماعية والثقافية"<sup>(2)</sup>.

وهي نفس الفكرة التي أشار إليها الكاتب الفرنسي "جان برين" عام 1936م في كتاب "مسيرة الشعب عبر ملايين الشهداء" حينما أقر تطور لغة العلماء من معاني لمرجعيات تقليدية إلى لغة تربط معطيات الماضي بالحاضر، حيث قال: "إن هؤلاء -العلماء- قد أدركوا الفائدة التي يجنونها من وراء استعمال لفظ التقدم، وقد استبدلوا بتمائم الطريقة المضحكة وتعاويذها السخيفة، شعارات جديدة مثل الحرية والكرامة والاستقلال"<sup>(3)</sup>، وبالتالي سنلاحظ أن هذا الخطاب الديني سيتطور تدريجياً في ظل النشاط السياسي لجمعية العلماء وعقد المؤتمر الإسلامي وهو ما سنتطرق له لاحقاً<sup>(4)</sup>، لأن موضوعنا هنا متعلق بملامح ظهور هذا الخطاب من منطلقاته وإطاره الديني. والوعي بظروف الخطاب<sup>(5)</sup>.

لذا فإن سمات الخطاب الإصلاحي وجذوره التاريخية تبرز بوضوح من خلال مقال عبد الحميد ابن باديس بعنوان "دعوة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأصولها"<sup>(6)</sup> التي أجملها في القرآن والسنة والسلف الصالح، واعتبرها المرجع والنموذج الوحيد الذي يجب الإقتداء به لمحاربة الجهل، لذا يجب تكاثف الجهود لتجاوز الأزمة وهذا الخطاب التقليدي هو أساس الثوابت الوطنية الجزائرية كالدين واللغة والوحدة الوطنية<sup>(7)</sup>، وبذلك أرسى ابن باديس دعائم خطابه الإصلاحي على العقيدة السلفية والمذهب المالكي، ما يعني أن مفهوم الهوية الوطنية قام من خلال هذا الخطاب على أساس الاختلاف الكلي عن الآخر أو عن المستعمر الفرنسي، لأن الهوية من هذا المنظور لا يمكن أن تؤدي معناها الحقيقي على

(1)- أحمد حمدي، المرجع السابق، ص ص 84-85.

(2)- أحمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المرجع السابق، ص 226.

(3)- جبهة التحرير الوطني، المسيرة "مسيرة شعب عبر ملايين السنين"، قسم النشر والتوثيق والمؤسسة الوطنية للطباعة، الجزائر، 1979، ص 100.

(4)- سنعود إلى النشاط السياسي لجمعية العلماء وتطور الخطاب الإيديولوجي الإصلاحي عندها في الفصل الخامس لارتباطه بالمؤتمر الإسلامي الجزائري سنة 1936م وتقاطعته بعلاقة الجمعية مع أحزاب الحركة الوطنية في إطار مساعي العلماء ونضالهم من أجل هوية الأمة الجزائرية.

(5)- مصطفى كحيل، جدل الهوية في الخطاب الجزائري المعاصر، دار ميم، الجزائر، 2022، ص 51.

(6)- عبد الحميد ابن باديس، دعوة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأصولها، مجلة الشهاب، ج4، مج13، ربيع

الثاني 1356هـ/11 جوان 1937، ص 195

(7)- أحمد حمدي، المرجع السابق، ص ص 86-87.

أكمل وجهه إلا داخل مجموعة من العلاقات البنائية إما تعارضا أو تقابلا، ومن أهم المفاهيم التي تقابل مصطلح الهوية نجد مصطلح الغير أو المختلف عنا<sup>(1)</sup>، فالإستعمار بالنسبة لجمعية العلماء تميز بالإختلاف كليا عن الهوية الجزائرية. لأنه غريب ودخيل عن الذات الوطنية<sup>(2)</sup>.

وبالتالي فالهوية لا يمكن أن تتشكل إلا إذا تم إدراكها إنطلاقا من الآخر المختلف عن الذات، لهذا جاء الخطاب الإصلاحى لجمعية العلماء المسلمين مؤكدا على ثنائية الأنا والآخر، وبناءا عليه عمل علماء الإصلاح على تثبيت وجودية الأنا والإقرار بقبول إختلاف الآخر الذي يملك مقومات دخيلة عن الأنا، وبالتالي فإن هذه الثنائية لا تتجسد واقعا إلا بتحقيق الأنا والذات المتميزة بمقوماتها، وهو ما ألغاه الخطاب الإدماجي، فكيف أثبتته الخطاب الإصلاحى<sup>(3)</sup>.

رد ابن باديس على فرحات عباس قائلا: "...إننا نحن فتنشنا في صحف التاريخ وفتشنا في الحالة الحاضرة، فوجدنا الأمة الجزائرية متكونة موجودة، كما تكونت ووجدت كل أمم الدنيا..."<sup>(4)</sup>، كما رفع شعاره الشهير الإسلام ديني والعربية لغتي والجزائر وطني تعبيرا عن تميز الأمة الجزائرية عن الأمة الفرنسية. وبين أن هذه الأمة الجزائرية التي تعني الدولة والوطن والشعب لا يمكن أن تدمج في فرنسا لإختلافها عنها كل الإختلاف في الكثير من المقومات الوطنية حيث قال: "...ثم إن هذه الأمة الإسلامية ليست هي فرنسا. ولا يمكن أن تكون فرنسا. ولا تريد أن تصبح فرنسا. ولا تستطيع أن تصبح فرنسا ولو أرادت، بل هي أمة بعيدة عن فرنسا كل البعد في لغتها وفي أخلاقها وفي عنصرها وفي دينها، لا تريد أن تندمج"<sup>(5)</sup>، وهو ما يدل على إثبات الأنا الجزائري لأنه لا يمكن أن يتحقق إختلاف الآخر ولا يمكن تصوره<sup>(6)</sup> إلا في ظل تأكيد وجود الذات الجزائرية وإثبات حضورها الواقعي والفكري وإبراز إمتدادها التاريخي الموهل والمتجذر في الفضاء الجزائري منذ القدم أرضا وشعبا.

إن الفكرة الثانية الذي إرتكز عليه مفهوم الهوية عند الخطاب الإصلاحى هو إبراز طبيعة هذا الآخر المختلف حتى درجة العداء معه وصولا إلى وجوب مقاومته، وإستندت المقاومة في الفكر الإصلاحى لابن باديس على مواجهة جبهة داخلية بمحاربة البدع والخرافات التي شوهت الدين الصحيح، والعمل على إرجاع هذا المرتكز الأساسى الذي تقوم عليه الهوية الوطنية إلى وضعه الأصلي ومقاومة الداعين للإدماج من أبناء الوطن، والوقوف ضد الإستعمار بالمحافظة على المرتكز الثانى للهوية الوطنية وهو اللغة العربية، بتعميم التعليم وطنيا، لأن الأمة التي تصطبغ بلغة غيرها من الأمم يكون

(1) - زازوي موفق، المرجع السابق، ص 35-36.

(2) - مفهوم الغيرية بالعربية أو بالفرنسية altérité مشتق من اللغة اللاتينية التي تعني الآخر الذي يعرف اصطلاحا: "على أنه خاصية ما هو غير،

أي ما يقابل الأنا، أما من الناحية الفلسفية فإنه يعرف على أنه تعبير عن التنوع والإختلاف، أي كل ما هو غريب عن الذات ودخيل عنها. يُنظر:

Jacqueline Russ et Clotilde Badal Lequil, dictionnaire de philosophie, Bordas, Paris, 2004, p36.

العربي ميلود، الذات والغيرية في فلسفة بول ريكور "رحلة البحث عن الذات من خلال الآخر، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الإجتماعية، قسم الفلسفة،

جامعة وهران، 2010/2011، ص 137-138.

(3) - المرجع السابق، ص 36.

(4) - عبد الحميد ابن باديس، في الشمال الإفريقي "كلمة صريحة"، الشهاب، ج 01، مج 12، محرم 1355 هـ / أبريل 1936م، ص 47.

(5) - نفسه، ص 48.

(6) - زازوي موفق، المرجع السابق، ص 36.

مآلها فقدان ذاتيتها وذوبان كيانها في الكيان الذي إقتبست لغتها منه، وإذا كان الإخلال بشئانية الأنا والآخر يؤدي إلى إعدام "أنا" الهوية فإنه بالمقابل كل إقصاء للشعور بالإنتماء إلى الدين والأمة وإلى التاريخ هو إعدام نهائي للأمة، لهذا قامت الجمعية بإثبات الإنتماء للوطن حتى تعزز الهوية<sup>(1)</sup> الوطنية لدى الجزائريين.

إعتبرت الجمعية نفسها الحركة الدينية والثقافية المدافعة باسم الأمة الجزائرية عن هذه الهوية ذات الإنتماء العربي الإسلامي بأسلوبها المتميز عن باقي الأحزاب السياسية الموجودة آنذاك على الساحة الوطنية بانتهاجها الدين لتحقيق أهدافها إنطلاقاً من القرآن والسنة. لكن في نفس الوقت لم يترك علماءها ثغراً من ثغور التعبير الحر إلا وسدوه فقد توسع الخطاب الإصلاحي في عهدهم وتوسع وانتشر إستعماله في التعليم والوعظ والإرشاد سواء في المساجد أو المدارس الحرة والنوادي السنوية والزيارات والمحاضرات والمسامرات، ولم تكن الخطب تعالج مواضيع النهضة والمواضيع الاجتماعية والتعليم فقط، بل امتدت إلى المواضيع الوطنية كتاريخ الجزائر والعرب والإسلام والإستعمار وإستقلال الشعوب وحررتها<sup>(2)</sup>.

إلا أن هذا لا يعني عدم تدخل الجمعية في السياسة خلال نشاطها النضالي للحفاظ على الهوية وإثبات الإنتماء الوطني، بل إنتهجت إستراتيجية مع النظام الإستعماري الفرنسي قامت على الذكاء السياسي، نظراً لإرتباط القضايا الوطنية التي دافعت عنها بالقوانين الإدارية الإستعمارية، لذلك فإن ولوجها السياسة كان حتمية تقتضيها ظروف النضال الوطني ضد الإستعمار الذي لم يترك مجالاً إلا وأضفى عليه الطابع السياسي خصوصاً ما تعلق بكيان الأمة، ومن هنا فإن رفض الجمعية سياسة الإدماج كان من منطلق تمييزها بين الجنسية القومية والجنسية السياسية، لكون الجنسية القومية من منظور علماء الإصلاح تعني الإبقاء على الهوية الثقافية للجزائريين بعيداً عن الهوية السياسية<sup>(3)</sup> كنوع من التحايل على الإستعمار وعدم دخول الجمعية في صراع فاشل معه قد يفضي إلى حلها، لذا تظاهرت بقبول النظام السياسي الفرنسي والدخول تحت وصايته بهدف إكتساب المواطنة، مع المحافظة على أحوال الشخصية الإسلامية للأمة الجزائرية.

ضف لهذا فحالة الجزائر تختلف كثيراً عن جميع الشعوب المستعمرة حتى وإن تشابهت في أصل الاحتلال، نظراً لطبيعة الأهداف الفرنسية في الجزائر، والتي كانت مصممة على إلحاق هذا الفضاء بترابها، وهذا لن يتم إلا بإلغاء كيان أمة أرضاً وشعباً وطمس جميع مقوماتها التاريخية التي تشير لوجودها تمهيداً لتطبيق مشروع الإلحاق، وبالتالي إختفاء كيان أمة كاملة من على الوجود وهو ما أشار إليه المؤرخ الإيطالي "فيكو" حيث حدد مصير الشعوب بعدد إستعمارها في فكرة: "أن أية أمة عندما تبطل بالإستعمار تكون أمام ثلاثة حلول وهي إما الذوبان أو الإنسلاخ أو الإستقلال"<sup>(4)</sup>.

لذا فإن المآلات التي ستؤول إليها حالة الشعوب المستعمرة تتحدد حسب مدى قدرتها على إختيار الحلول المعروضة عليها أو قبول الحلول المفروضة عليها، والتجاوب معها تبعاً لإمكاناتها ونشاطها وأصالتها التي يبرز مدى تشبها

(1) - زازوي موفق، المرجع السابق، ص 36-37.

(2) - أبي يعلى الزواوي، خطب أبي يعلى الزواوي 1866-1952، عناية: عادل بن الحاج همال الجزائري، ط 01، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، 2008، ص 20.

(3) - زازوي موفق، المرجع السابق، ص 37.

(4) - نفسه والصفحة.

بها<sup>(1)</sup> وما يوضحه التاريخ في هذا الصدد أن الأمم التي إختارت حل الذوبان داخل الكيان الإستعماري حكمت على نفسها بالفناء، أما الأمم التي إختارت حل الإنسلاخ فهو حل خارجي يقيها ضمن حدود السيطرة الدائمة فكرا وواقعا وأغلب الشعوب التي تتقبل هذا الحل تتميز بالقابلية للإستعمار والولع بتقليد الغالب، أما الأمة التي إختارت حل الإستقلال فهي أمة تملك سيادتها وشخصيتها المستقلة عن المحتل<sup>(2)</sup>، وبالتالي رفضها لكل ما هو دخيل عن كيانها، وهو النهج الذي سارت وفقه جمعية العلماء المسلمين الجزائريين منذ تأسيسها، لذا فالمرجعية الإصلاحية لجمعية العلماء التي ناضلت في إطارها هي إثبات خصوصية الهوية الجزائرية ذات الإمتداد العربي الإسلامي، والتي لخصها ابن باديس في ثلاثية الدين الإسلامي واللغة العربية والوطن الجزائري، وبالتالي إعادة الأمة الجزائرية إلى إنتمائها الأصلي بأبعاده الإسلامية.

### المطلب الثاني: العودة إلى الأصول المرجعية للدين الإسلامي.

ظل الدين الإسلامي بمصدره الكتاب والسنة المنطلق الأساس الذي اعتمده المحددون والمصلحون في إعادة بعث وإحياء الأمة الإسلامية، وقد تميزت دعوة هؤلاء بالأصالة، من خلال العودة إلى الينابيع الأولى الصافية عن طريق الفهم الصحيح، وعبد الحميد ابن باديس كان من المحددين المحدثين الذين ظهروا في المغرب العربي، لم يكن ليحيد عن هذه الدعوة في مشروعه، الذي إنبنى على ضرورة العودة بالأمة الجزائرية وربطها بأصولها المرجعية، على أساس الفهم الصحيح السليم، فنظر إلى الواقع بعين المتبصر فوجد أن حظ هذه الأمة من التدين ضعيف، وأن علاقتها بالقرآن والسنة علاقة هزيلة لا تتعدى التلاوة والقراءة على الأموات<sup>(3)</sup>، كما وضح ذلك قائلا: "وخلفت من بعدهم خلوف اتخذوه حرفة وتجارة بقراءته على الأموات... فأذلوا رسم حامل القرآن"<sup>(4)</sup>، وما يقال عن علاقة الجزائريين بالقرآن في فترة الاستعمار، لا يختلف عن علاقتهم بالسنة، "فلم يكن الناس يسمعون إلا صحيح البخاري عند احتباس الغيث؟"<sup>(5)</sup>.

نتج عن هذه العلاقة تشوه صورة الإسلام في أذهان الناس وأصبح الانتساب إليه انتسابا ذاتيا، فماتت الغيرة عليه وضعفت قداسته، فأصبح المسلم النسبي أو الجغرافي على حد تعبير ابن باديس: "لا يربطهم به إلا خيط من العادة رقيق، ويرى شعائر الإسلام تداس وتهان، ويرى المظاهر المزرية بالإسلام، المصقفة كذبا وظلما به تقام، يرى كل هذا... ولا يتحرك منه عرق، ولا تكون له غيرة ولا حمية، ولو كان ما يراه في بلده وقومه وفي نفس أبنائه"<sup>(6)</sup>.

(1)- نصر الدين سعيدوني، الجزائر منطلقات وآفاق مقاربات للواقع الجزائري من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية، عالم المعرفة، الجزائر، ط2،

2009، ص278

(2) - زازوي موفق، المرجع السابق، ص37.

(3) - سامية جفال، المرجع السابق، ص63.

(4) - عبد الحميد ابن باديس، واقصص القصص لعلمهم يتفكرون، الشهاب، ج1 مج13، محرم 1356هـ/14 مارس 1937م، ص21.

(5) - عبد الحميد ابن باديس، في بحر عام "أعمالنا وآمالنا"، الشهاب، العدد 32، مج 02، 11 ذي الحجة 1344هـ/24 جوان 1926م، ص03.

(6) - عبد الحميد ابن باديس، أيها المسلمون احفظوا الاسلام على أبنائكم ان كنتم مسلمين، الصراط، العدد 4، الاثنى 19 جمادى الثانية

1352هـ/09 أكتوبر 1933 م، ص01.



وعلى الرغم من هذا الوضع الذي كان يعيشه الدين الإسلامي في دياره إلا أن ابن باديس كان يرى أن شعلة التدين لم تنطفئ في قلوب أبناء أمته، وأن الوضع الذي آل إليه الإسلام في أرض الجزائر إنما هو ناتج عن جهل أبنائه وليس عن رفضهم له أو من زهدهم فيه<sup>(1)</sup>، "غير أن الذي يبقى لنا في المسلمين الرجاء ويفسح لنا المجال وبيعنا على العمل هو أن ما عليه أكثرنا ليس عن زهد في الإسلام ولا عن قلة محبة فيه وإنما هو جهل طال عليه الأمد وغفلة توالى عليها الحقب"<sup>(2)</sup>، فابن باديس أدرك إدراكا كاملا أن الوضع الذي وصلت إليه حالة الإسلام ومكانته في نفوس الجزائريين في تلك المرحلة الاستعمارية، ما هو إلا تحصيل لسياسة الاحتلال التي طال أمدها، والتي كانت جهنمية لم تستثني أي شيء في مخططاتها، خاصة الاضطهاد الديني العنيف الذي مارسه على الإسلام، لإدراكها قوة تأثيره على الجزائريين، فهو منبع تكوين شخصيتهم الوطنية.

لهذا إعتبر ابن باديس أن عملية البناء لا تقوم إلا على الإسلام ممثلة في الكتاب والسنة، فهما الركيزة الأساسية لتطهير العقيدة الأمة، حيث قال: "وأن الإسلام إنما هو في كتاب الله وسنة رسوله... فصمدنا ندعو الأمة إلى الرجوع إلى هذه الأصول، وطرح كل ما يخالفها من قول وعمل واعتقاد"<sup>(3)</sup>، ولقد ردد في الكثير من المناسبات بوجوب الالتزام بالمرجعية الإسلامية، وأنه لا تكون نهضة دينية إلا بالقرآن وقد برهن على ذلك من خلال إبرازه لشمولية الخطاب القرآني فيما يتعلق بالخلق الإنساني، هذا الإنسان الذي يتكون من فكر وغرائز وعقائد وأعمال، فالفكر منحه كامل الحرية في البحث، وجعل العقل أساس الوصول للحقيقة، أما من ناحية الغرائز فالقرآن جاء ليقوم الحياة الإنسانية، أما العقائد فقد بين أن القرآن كله دعوة للاعتقاد الصحيح المبني على الفكر والعلم السليم، أما من ناحية السلوك فهي تحصيل حاصل للفكر والغرائز والعقائد، إذا ما استقامت استقام السلوك<sup>(4)</sup>.

هذا نظريا، أما عمليا فقد استشهد ابن باديس بالأمة الإسلامية التي كانت في أسوأ درجات الجمود الفكري، فجاء القرآن وأخرجها إلى نور التوحيد، فكانت خير أمم الأرض، بالإضافة إلى أن الإسلام دين الإنسانية، الذي لا نجا لنا إلا به، لذا فمنطلق النهضة والإصلاح من وجهة نظر ابن باديس لن يكون إلا بالرجوع إلى القرآن أو المرجعية الإسلامية، وهو الأساس الذي دارت حوله أغلب آراءه الفكرية وتصورات الإصلاحية، ورفض أي دعوة تتجه إلى الإصلاح من منطلق غير الإسلام، لأن مآلها سيكون الفشل لإيمانه العميق بأن منطلق أي دعوة تغييرية يجب أن تنطلق بالأساس من رحم الأمة الجزائرية، وتماشيا مع خصوصيتها الإسلامية، وهو ما أكده مالك بن نبي قائلا: "وأي مشروع نفكر فيه بأفكار الآخرين ونحاول إنجازه بوسائل غيرنا معرض للفشل لا محالة"<sup>(5)</sup>.

وعليه فقد كرس ابن باديس حياته بجمعية جمعية العلماء المسلمين لخدمة القرآن المرجع الأول للأمة الجزائرية، فاستوحى منه منهجه الإصلاحية ودعوته للتغيير، مستمدا منه علاج أمراض القلوب ودواء النفوس، مثابرا في سبيل إرجاع

(1)- سامية جفال، المرجع السابق، ص 64.

(2)- عبد الحميد ابن باديس، أيها المسلمون احفظوا الإسلام على أبنائكم ان كنتم مسلمين، الصراط، العدد 4، المصدر السابق والصفحة.

(3)- عبد الحميد ابن باديس، في بحر عام "أعمالنا وآمالنا"، الشهاب، العدد 32، المصدر السابق، ص 03.

(4)- سامية جفال، المرجع السابق، ص 65-66.

(5)- مالك بن نبي، بين الرشاد والتهيه، دار الفكر، الجزائر، ط02، 1988، ص 172.



الأمة الجزائرية إلى الحقيقة القرآنية منبع النهوض الحضاري<sup>(1)</sup>، لذلك كان منهجه في تفسير القرآن يعتمد على طريقة السلف في عدم التعمق في مسائل العقائد وتأويلها تأويلا يعتمد على المصطلحات العقلية، واتباع الطريقة العلمية الحديثة القائمة على استقراء مظاهر الكون والحياة والمجتمع والإنسان<sup>(2)</sup>، وهو ما سارت عليه جمعية العلماء، لكون هدف وأبعاد الإصلاح كانت وطنية تخص مستقبل الأمة الجزائرية بداية من إحياء مقومات هويتها، وقد ارتكزت مرجعية ابن باديس على:

**-تحقيق النهضة من منطلق الأصالة:** نظرا لخصوصية الأمة الإسلامية المتميزة عن غيرها من الأمم في العالم، فإن تحقيق نهضتها لا يمكن أن يتم إلا في نفس الشروط التي تشكلت خلالها التجربة التأسيسية للمجتمع الإسلامي الأول تبعا لقاعدة "لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح أولها" وهو ما أكدته ابن باديس نفسه<sup>(3)</sup> قائلا: " القرآن الذي كون رجال السلف لا يكثر عليه أن يكون رجلا في الخلف"<sup>(4)</sup>، لذلك اجتهد في تفسير القرآن وتدريسه محاولا ربط الحقيقة القرآنية بالواقع المعاش، وكان منهجه يعتمد على جعل تعاليم القرآن واقعا وسلوكا، وشرح السيرة النبوية واستلها من تعاليم التعامل مع الواقع وأساليب الدعوة حاثا المسلمين أن يستلهموا من السيرة ما يساعدهم في بناء حاضرهم ومستقبلهم حيث قال: "ومن سيرته الجليلة إجمعوا عناصر نهضتكم، ومواد بنائكم القومي فلسانه لسانكم وقوميته قوميتكم، وتاريخه تاريخكم..."<sup>(5)</sup>.

ولابد من التنويه هنا إلى أن دعوة ابن باديس إلى وجوب العودة إلى الأصول لأهميتها في بناء النشء لا تعني أبدا محاولة استنساخ مجتمع نموذجي كالمجتمع الأول لإختلاف الزمن والمتغيرات والمستجدات، بل إستلها من الأسس الثابتة في عملية بناء الأمة الجزائرية، فدعوته ليست تقليدية بل دعوة مزاجية بين القديم والجديد بما يتناسب وخصوصية المجتمع الجزائري وطبيعته الإسلامية، كما أن العودة إلى الأصول في منهج ابن باديس لا تعني الانغلاق الكلي على كل جديد ووافد من الحضارة الغربية، فهذا انحاف لحقيقة الاسلام، الذي لم يمنع الناس من الاغتراف من ثقافة الأمم التي تخالف في توجهاتها العقيدة الإسلامية، من منطلق أن العلم إلهام رباني وكسب انساني، ليس حكرا على أمة دون أخرى<sup>(6)</sup>، شريطة أن يكتفي بـ " ما يصلح لبنائه معرضا عما لا حاجة له به، أو ما لا يناسب شكل بنائه الذي وضعه على مقتضى ذوقه ومصلحته"<sup>(7)</sup>، لأنه لكل حضارة مرجعيتها وأصولها النظرية والدينية، لذلك لا يمكن الأخذ منها أو إستلها الأفكار عنها دون ضوابط أخلاقية تتوافق مع الدين وتحفظ للهوية الوطنية الإسلامية خصوصيتها.

(1)- عمر عبيد حسنة، الاجتهاد لتحديد سبيل الوراثة الحضارية، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط01، 1998، ص 84.

(2)-محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم "تفسير المنار"، ج7، دار المنار، القاهرة، مصر، ط3، 1947، ص ص 141-147. وأيضا: عبد الحميد

ابن باديس، العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، دار الفتح، الشارقة، الإمارات العربية، ط01، 1995، ص ص 14-19.

(3)- سامية جفال، المرجع السابق، ص 73.

(4)- عبد الحميد ابن باديس، كلمة المختفل به، الشهاب، ج4، مج14، ربيع الثاني-جمادى الأولى 1357هـ/جوان-جويلية 1938م، ص 309.

(5)-عمار طالي، عبد الحميد بن باديس حياته وآثاره، مج 06، المصدر السابق، ص 262.

(6)- سامية جفال، المرجع السابق، ص 74-75.

(7)-عبد الحميد ابن باديس، محمد صلى الله عليه وسلم رجل القومية العربية، الشهاب، ج03، مج12، ربيع الأول 1355هـ/جوان 1936م، ص

لم تكن دعوة ابن باديس إلى العودة للأصول وفهمها الفهم الصحيح لتأتي من فراغ، لولا ما قام به من تمنع دقيق لحالة المجتمع الجزائري خلال الفترة الاستعمارية، فلاحظ أن الأغلبية الساحقة من المجتمع لا تدين بالإسلام تدينا ذاتيا إنما كان منشأ هذا التدين الوراثية، حيث قال: "يولد المرء من أبوين مسلمين فيعود مسلما فيشرب ويكتهل ويشيخ وهو يعد من المسلمين تجري على لسانه وقلبه كلمات الإسلام وتبشر أعضاؤه عبادات وأعمالا إسلامية، فراق روحه أهون عليه من فراق الإسلام نفسه، لو نسبته لغير الإسلام لثار عليك أو بطش بك ولكنه لم يتعلم يوما شيئا من الإسلام ولا عرف شيئا من أصوله في العقائد والأخلاق والآداب والأعمال... هذا الإسلام الوراثي هو الإسلام التقليدي يؤخذ بدون نظر ولا تفكير وإنما يتبع فيه الأبناء ما وجدوا عليه الآباء"<sup>(1)</sup>، وهو ما انعكس سلبا على الهوية الشخصية للفرد الجزائري وتأثير ذلك على الهوية الوطنية للأمة ككل.

هذا الإسلام الذي أخذ بالوراثية لم يكن ليغير من واقع المجتمع الجزائري شيئا ولا يمكن أن يحرك ساكنا لسليبيته، رغم أن ابن باديس نظر إليه من زاوية أخرى نظرة استحسان كونه<sup>(2)</sup>: "حفظ على الأمم المتمسكة به وخصوصا العربية منها شخصيتها ولقتها وشيئا كثيرا من الأخلاق ترجح به الأمم الإسلامية إذا وزنت بغيرها ومن ذلك خلق العفة والطهر الذي حفظ نسلها"<sup>(3)</sup>، إلا أنه كان يرى أن الأمم لم تعد تسعى للحفاظ على نسلها فقط، فقد تعاضت الأهداف مع التغيرات الحاصلة، وأصبحت المرحلة تقتضي تدينا يفجر طاقات الإنسان الجزائري بالأخص، لتحقيق هدف الرقي المعرفي، فهو ما لا يمكن أن يحدثه التدين الوراثي<sup>(4)</sup>، وهو ما عبر عنه قائلا: "لا يمكن أن ينهض -يقصد التدين الوراثي- بالأمم لأن الأمم لا تنهض إلا بعد تنبيه أفكارها وتفتح أنظارها والإسلام الوراثي مبني على الجمود والتقليد فلا فكر فيه ولا نظر"<sup>(5)</sup>، ومن هنا يتبين أن ابن باديس حاول شرح الإسلام الصحيح للناس، كونه جوهر دعوته الإصلاحية لاستنهاض الأمة وإحياء مقومات هويتها، ما ساهم في إحياءه في نفوسهم ودفعهم إلى الثورة على واقعهم الاستعماري.

إن الحديث عن نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين هو الحديث عن الوطنية المرتبطة بالأصالة العربية الإسلامية، بحكم القيم الوطنية النابعة من الإسلام السلفي الصافي الذي سعت للتمكين له، واللغة العربية الأصيلة التي سعت لتخليدها في نفوس الجزائريين، وهو ما حفظهم من مختلف المخاطر التي مست الهوية الشخصية والوطنية كالاندماج والفرنسة والتجنيس، وتمكنت بذلك من جمع الأمة على الكلمة ووحدت صفوفها تحت لواء الوطنية<sup>(6)</sup>.

(1)- عبد الحميد ابن باديس، الإسلام الذاتي والإسلام الوراثي أيهما ينهض الأمم؟، الشهاب، ج 3، ص 14، ربيع الثاني 1357هـ/جوان 1938م، ص ص 119-120.

(2)- سامية جفال، المرجع السابق، ص 79.

(3)- عبد الحميد ابن باديس، الإسلام الذاتي والإسلام الوراثي أيهما ينهض الأمم؟، الشهاب، ج 3، ص 14، المصدر السابق، ص 120.

(4)- المرجع السابق، ص 80.

(5)- عبد الحميد ابن باديس، الإسلام الذاتي والإسلام الوراثي أيهما ينهض الأمم؟، الشهاب، ج 3، ص 14، المصدر السابق، ص 120.

(6)- يوسف منصورية، دراسات وأبحاث في المقاومة و الحركة الوطنية الجزائرية (1830-1954)، دار هومة، الجزائر، 2014، ص 281.

اعتبرت جمعية العلماء المسلمين نفسها مرجعية دينية جامعة للمسلمين الجزائريين، وعملت جاهدة للرد على المنتقدين لنشاطها والمتهجمين على الدين الإسلامي، خصوصاً النواب الفرنسيين، حيث عقدت إجتماع في 9 جانفي 1937م، بمدرسة التربية والتعليم بقسنطينة، حضره محمد البشير الإبراهيمي والعربي التبسي، ومبارك الميلي، وابن باديس والطيب العقبي ومحمد خير الدين، بالإضافة إلى آخرين، وخلص الإجتماع بارسال برقية إلى رئيس الوزراء ووزير الداخلية ووزير الحكومة، عبروا فيها عن شكرهم لحكومة الجبهة الشعبية لاهتمامها بالقضايا الجزائرية، كما استنكروا في نفس الوقت وبشده<sup>(1)</sup> "... تهجم بعض النواب وبالأخص النائب "سوران" على الدين الإسلامي الإنساني تهجماً ناشئاً عن حقد وجهالة بحقائق هذا الدين"، وفند الإبراهيمي: "ما أعلنته بعض الهيئات في الجرائد بلسان كبير من كبرائها وهو "كوزان" من رميمها لجمعية العلماء، بأنها مصدر كل تعصب ديني وكل تشويش فكري في الجزائر"<sup>(2)</sup>.

وللإشارة فإن جمعية العلماء بقيت تذكر الجزائريين دائماً بعقيدتهم على صفحات جرائدها الناطقة باسمها منذ نشأتها إلى غاية الثورة، مثلما فعلت جريدة "الشباب المسلم - Le Jeune Musulman" بنشرها مقالا تحت عنوان "المبادئ الأساسية لعقيدة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين"، تطرقت فيه إلى أسس العقيدة التي وضعها ابن باديس، والمتمثلة في:

\* الإسلام دين الله، أنشء من أجل حسن توجيه الناس، وأكملها بسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، الذي لن يخلفه نبي من بعده.

\* كما يدعوا للأخوة الإسلامية، ويذكر على نفس القدر من الأهمية بواجب الإنسانية اتجاه البشرية جمعاء.

\* الإسلام هو دين الإنسانية بامتياز، فلا يمكن للإنسانية أن تضمن سعادتها إلا من خلاله<sup>(3)</sup>.

**-وحدة العقيدة بوحدة اللغة:** اللغة العربية في الهوية الوطنية هي وحدة ربانية أنعم الله بها على الأمة الجزائرية توحدت كلماتها بكلمة التوحيد من كتاب ربها وهدى نبيه وخاتم أنبيائه، واحتضنت الأمة العقيدة في اقتناع وتصميم واخلصت المحبة للغة القرآن فبنت حياتها وحضارتها على هذا الكتاب المبين فاهتدت إلى الحق وضمنت لنفسها سبيل الرشاد وغاية السعادة الأبدية، دخلت العربية بإسلام الأمة الجزائرية فزادتها فضلا لا ينكره إلا جاحد قد تطوي جوانحه صليبية حارقة أو عنصرية حاكمة أو علمانية متمردة على الإيمان والعلم معا، فالإسلام في صفاء الفطرة التي فطر الله الناس عليها هو الذي جمع بين قلوب أفراد الأمة الجزائرية ووجد بين أجزائها ومحى الفروق بين أطرافها وفنأتها الجامعة بوحداية دين زرع المحبة والرحمة بينهم، وبذلك جمع الصفوف لعبادة الله ولهداية خلقه<sup>(4)</sup>.

(1) -عفاف زقور، المرجع السابق، ص45.

(2) -عبد الحميد ابن باديس، جمعية العلماء المسلمين تحتج على غلاة المستعمرين وعلى المتهمجين على الدين الاسلامي الحنيف، البصائر، العدد

51، الجمعة 03 ذو القعدة 1355هـ / 15 جانفي 1937م، ص 08.

(3)-Abdel Hamid Ben Badis, Bases fondamentales de la doctrine de l'Association des Oulamas musulmans d'Algérie, Le Jeune Musulman, 1<sup>er</sup> Annee, N°01, 6 Juin 1952/13 Ramadhan 1371, Alger , p4, p8. Dar Al-Gharb Al-Islami.

(4)-محمد الطاهر فضلاء، الهوية الوطنية، المرجع السابق، ص ص 70 - 71.

قد يعجز الباحث في مسيرة ارتباط الأمة الجزائرية بعقيدة الإسلام ولغته عن إيجاد ثغرة يتنكر فيها لأفضال لغة الإسلام على الأمة والوطن فهي كثيرة، من أهمها إستعصاء احتوائها من قبل الاستعمار، بقصد تحويل الأمة عن فطرتها وتغيير أصول خصائصها، فما نقرأه من تاريخ أجدادنا وما نستمع إليه من روايات رسمت معالم فكر هذه الأمة كان بفضل اللغة العربية، التي جعلت الشعب الأمازيغي يدرك حقيقة الإسلام الذي اعتنق عقيدته السمحة وشريعته المثلى وقيمه فعاش مع العرب الفاتحين في اتحاد متين واستمرت حياتهما مع أجيال الأبناء والأحفاد تتوثق وتتوطد وتحقق فيهم قول شيخ المؤرخين أنهم تفوقوا على معلمهم في اللغة العربية دونما أي تعقيد<sup>(1)</sup>.

وهو النهج الذي سار فيه البشير الإبراهيمي ربان سفينة الوطنية في هذا الوطن الذي نشرت له البصائر سنة 1948م، كلمة في هذا الموضوع وكأنها تتحدث عن واقع اليوم حيث قال: "إن العربي الفاتح لهذا الوطن جاء بالإسلام ومعه العدل وجاء بالعربية ومعها العلم فالعدل هو الذي أخضع البربر للعربي ولكنه خضوع الأخوة لا خضوع القوة. وتسليم الاحترام لا تسليم الإجتراح. والعلم هو الذي طوع البربرية للعربية ولكن تطويع البهرج الجيدة لا طاعة الأمة للسيدة...!! لتلك الروحانية في الإسلام ولذلك الجمال في اللغة العربية أصبح الإسلام في عهد قريب صبغة الأرض التي لا تنصل ولا تحول. وأصبحت العربية عقيلة حرة ليس لها بهذا الوطن ضرة!!"<sup>(2)</sup>.

### المطلب الثالث: الفصل بين الدين والدولة.

وصف الإبراهيمي الحال الذي وصلت إليه المساجد في الجزائر بعد مرور مائة عام من الإحتلال الفرنسي بمحاولة إبتلاع أوقاف المسلمين الجزائريين وإحتكار التصرف فيها قائلا: "... جمعية العلماء المسلمين باسم الأمة الجزائرية تريد بكل تأكيد فصل الدين الإسلامي عن الحكومة تحقيقا للمبدأ الجمهوري ... إن أقرب هذه المناورات الحركة القائمة لتأسيس جمعيات دينية من الموظفين الرسميين والأشخاص الحكوميين الذين لا تثق بهم الأمة ولا تطمئن إليهم في دينها ولا في دنياها... إن الأمة لا ترضى أن تستلم مساجدها فقيرة عريانة ولا ترضى أن يتولى المفاوضات عنها شخص ولا هيئة تختارها الحكومة ولا جمعيات دينية... لا ترضى الأمة إلا بأن تختار هي الجمعيات الدينية بعيدة عن المؤثرات الحكومية وأن تنتخب تلك الجمعيات مجلسا إسلاميا يتولى تسوية الأوقاف... ولا يستمد قوته إلا من المؤتمر السنوي للجمعيات الدينية..."<sup>(3)</sup>.

إن صراع جمعية العلماء مع الإدارة الإستعمارية من أجل تطبيق فصل الدين الإسلامي عن الدولة كان طويل الأمد منذ ظهور القانون سنة 1907م، فقد واجه علماء الجمعية مثل الطيب العقبي والعربي التبسي والبشير الإبراهيمي هذا القانون بكتاباتهم شديدة اللهجة، نظرا لإيلائهم المسألة أهمية فائقة كونها المنطلق المذهبي لجمعية العلماء المسلمين وأحد أبرز المطالب المتعلقة بإستقلال الديانة الإسلامية التي إنطلقت عند جمعية العلماء المسلمين من المطالبة بحرية التعليم العربي وإمتدت إلى المطالبة بالخطابة في المساجد وإسترجاع أوقاف المسلمين الجزائريين وإستقلالية القضاء

(1)- محمد الطاهر فضلاء، الهوية الوطنية، المرجع السابق، ص 72-74.

(2)- آثار محمد البشير الإبراهيمي، ج 03، المصدر السابق، ص 207.

(3)- محمد البشير الإبراهيمي، من الحقائق العريانة، البصائر، العدد 01، الجمعة 07 رمضان 1366هـ / 25 جويلية 1947م. ص 06.

الإسلامي عن القضاء الفرنسي، وتعتبر هذه المطالب الثلاثة من الشروط الأساسية عند رجال الإصلاح ولا يمكن فصلها عن بعضها لقيام الإصلاح عليها مترابطة مكتملة لبعضها البعض<sup>(1)</sup>، ونظرا لإدراك الإدارة الإستعمارية أهمية هذه الأسس الثلاث ظلت سياستها متعنتة لمطالب الجمعية، حيث أوضح الإبراهيمي أن مسألة فصل الدين عن الدولة لم تكن بالبساطة التي تصور على أنها علاقة حاكم بمحكوم، إن المسألة أكبر من ناحيتها الفكرية لكونها معركة وصراع بين الإسلام والمسيحية، رغم أن الحكومة الفرنسية تدعى لائقيتها قانونيا، إلا أن الروح المسيحية لا زالت تغذي الفكر الاستعماري، لهذا رأى أن المطالبة بالحقوق السياسي إلى جانب الحقوق الدينية هي مسألة طبيعية عند جمعية العلماء، من منطلق شرعيه المطالب الدينية المرتبطة بالسياسة، فلكل ركن من أركان الإسلام معناه السياسي<sup>(2)</sup>.

وفي 04 أوت 1944م أعطى تصريح الوالي العام للجزائر "كاترو" المنشور في الجرائد، بريق أمل للجزائريين لتطبيق قانون 27 ديسمبر 1907م الذي تم إرجاع القضية إليه تحقيقا لأصل فصل الدين عن الحكومة، إلا أن تعيين الحكومة لمفتي الجزائر وفقا للنمط القديم أحبط طموحات الجزائريين بخصوص حل المسألة الدينية، وأظهر فهمهم الخاطئ لتصريح "كاترو"، وبناء على هذا الأمر صرحت جمعية العلماء أنها تتمسك بعبارة فصل الدين الإسلامي عن الحكومة الجزائرية باسم الدين وباسم الأمة الجزائرية، ووضعت الكيفية التي يتم وفقها تطبيق هذا المبدأ<sup>(3)</sup> حيث طالبت بـ:

- فصل الدين الإسلامي عن الحكومة الجزائرية وعدم تدخلها في شؤونه لا ظاهريا ولا باطنيا لا في أصوله ولا في فروعها.
- تسليم شئون الدين إلى يد الأمة الإسلامية، وتقرير سلطتها على أمور دينها تقريرا فعليا خالصا لا إلتواء فيه، عن طريق:
- تشكيل مجلس إسلامي أعلى مؤقت بعامة الجزائر يتكون من: بعض العلماء الأحرار المعترف بعلمهم وعملهم للدين الإسلامي، وبعض أعيان المسلمين المنتخبين البعيدين عن المناصب الحكومية، وبعض الموظفين المتدينين بشرط أن يكونوا أقل من النصف، وتسلم لهذا المجلس جميع السلطات التي كانت للحكومة فيما يخص الشئون الدينية.
- يتولى المجلس تشكيل جمعيات دينية بالطرق الممكنة أو يكتفي بالصالح من الجمعيات الدينية الحرة السابقة.
- يعقد مؤتمر ديني من المجلس الأعلى ورؤساء الجمعيات الدينية وبعض أعضائها لوضع نظام عام طبقا لقانون الفصل.
- مقررات هذا المؤتمر يعتبر قانونا نافذا لا ينقضها إلا مؤتمر سنوي آخر.

- يتم حل المجلس الأعلى المؤقت بعد عقد مؤتمر أول وانتخاب الجمعيات للدينية لمجلس تبعا لمدة يحددها المؤتمر.
- المجلس الإسلامي الأعلى المنتخب يملك السلطة التنفيذية لمقررات المؤتمر الدينية السنوية، فيما تؤول السلطة التشريعية للمؤتمرين، ومهمة المجلس هي تقديم الإرشادات ووضع التقارير والدفاع عنها أمام المؤتمر<sup>(4)</sup>.

إستحوذت مقالات الإبراهيمي حول مسألة فصل الدين عن الدولة على معظم الكتابات الإصلاحية، وعاد في هذه المقالات إلى الجذور التاريخية للمسألة وجهود الجمعية في الدفاع عن القضية منذ الثلاثينيات، حيث فصل فيها سنة

(1) - عفاف زقورة، المرجع السابق، ص ص 83-84.

(2) - محمد البشير الإبراهيمي، التعليم العربي والحكومة "10"، البصائر، العدد 74، الإثنين 06 جمادى الثانية 1368هـ/4 أبريل 1949م، ص 255.

(3) - محمد خير الدين، مذكرات، ج 01، المصدر السابق، ص ص 113.

(4) - نفسه، ص ص 113-114.

1947م، ويُنَّ أن الجمعية قدمت سنة 1950م مذكرة تطالب فيها بتطبيق فصل الدين الإسلامي عن الحكومة الجزائرية المرسل إلى الوالي العام ورئيس المجلس الجزائري، بما أن البرلمان الفرنسي فضّل في الأمر من خلال المادة 56 من القانون الأساسي للجزائر والمجلس هو المخول له قانونيا بتطبيقه، وقد وعد بالنظر فيهما بين سنتي 1950-1951م<sup>(1)</sup>، كما أكد الطيب العقبي من جهته على مطلب الفصل في المذكرة التي قدمها إلى مجلس الإصلاحات الإسلامية بالجزائر تضمنت جملة من الأسس قائلا: "أن العامة هي صاحبة القول الفصل في الموضوع لا تريد أصالة التحصيل على الجنسية الفرنسية إنما تريد بكل تحقيق التساوي وجميع الحقوق"<sup>(2)</sup>.

ونبه الإبراهيمي إلى ضرورة فهم الترابط الكبير بين الشعائر الإسلامية أثناء مطالبته بفصل الدين عن الدولة، مؤكدا إرتباط شهر رمضان كظرف زمني للدين بالمساجد كظرف مكاني، وإعتبر أن تدخل الحكومة الفرنسية في الدين باطل لإختلاف ديانتها عن المجتمع الجزائري، والمطلع على الأعداد التي نشرتها جريدة البصائر بعد هذا الاجتماع يلاحظ أن الإبراهيمي لم يغير من لهجته اتجاه الإدارة الإستعمارية بخصوص قضية فصل الدين، وهذا يعود ربما لعدم تأمله في هذه الاجتماعات، وقد ألح في شهر جويلية سنة 1949م على عدم إعتبار سكوت السابقين ذريعة لعدم المطالبة بفصل الدين، وأوضح أن الواجب المعجل هو تطبيق أمرين متلازمين، بداية بتنفيذ قانون الفصل الذي تضمنه الدستور الجزائري الأعرج كما سماه، مثل حياد الحكومة التام في تأسيس الجمعيات الدينية التي تنتخب المجلس الإسلامي الأعلى<sup>(3)</sup>، واستمرت الجمعية في جهودها سنة 1950م لإسترجاع إستقلالية الدين الإسلامي، بنشر بلاغ صادر عن كتابتها العامة في جريدة البصائر، وضحت فيه مضمون مذكرتها للإدارة الإستعمارية، التي أرسلتها في شهر ماي 1950م، عرضت فيها تاريخ نضالها من أجل هذه المسألة، وأوردت جملة مقترحاتها لتطبيق قرار الفصل، مركزة على إيضاح الخلفيات السياسية للقضية وما شهدته من تماطل في تنفيذ المادة 56، التي أصدرها البرلمان الفرنسي، مبرهنة قدرة الجزائريين على تسيير شؤونهم الدينية والمدنية<sup>(4)</sup>.

وبقي الحال على ما هو عليه من النضال في سنة 1951م، حيث واصل الإبراهيمي مواقفه الصريحة من قضية فصل الدين الإسلامي، التي لم يحد عنها، وإستمر في توضيح ما سماه بمسعى الأمة الجزائرية، التي نابت عنها جمعية العلماء المسلمين لنيل حقها في الإرث والإستحقاق، مما أفرز صدام بينها وبين الإدارة الإستعمارية، التي سعت إلى إلحاق الشعب الجزائري بفرنسا، إلا أن الإبراهيمي شدد في جميع كتاباته على تمسك الجمعية بمطالب الفصل الديني، حتى وإن أدى بها الأمر إلى التخلي عن حق الجمعية في الدفاع عن القضية تحت ضغوطات الإدارة الإستعمارية، وإتهاماتها لجمعية العلماء

(1) - محمد البشير الإبراهيمي، فصل الدين عن الحكومة "2"، البصائر، العدد 83، الإثنين 16 شعبان 1368هـ / 13 جوان 1949م، ص 297.

(2) - الطيب العقبي، تحقيق فصل الديانة الإسلامية عن الحكومة بالقطر الجزائري "2"، الإصلاح، العدد 47، جمادى هـ / 01 ماي 1947م، ص 02.

(3) - غفاف زقورة، المرجع السابق، ص ص 88-91.

(4) - الكتاب العامة لجمعية العلماء، بلاغ جمعية العلماء المسلمين تطالب بإستقلال الديانة الإسلامية عن الحكومة، البصائر، العدد 122، 19 شعبان 1369هـ / 05 جوان 1950م، ص 270.



بالتدخل في السياسة تحت غطاء الدين، لهذا سيبقى أعضاؤها متمسكين بهذه المطالب بصفتهم أفراد من الأمة الجزائرية، لهم حق الدفاع عن هويتهم الإسلامية وما تتعرض له من إنتهاكات<sup>(1)</sup>.

في سنة 1952م واصلت جمعية العلماء طرحها لقضية فصل الدين عن الدولة، عبر حملاتها في جريدة البصائر مستندة على الحجج الفقهية المؤكدة واقعا في إلغاء الإدارة الإستعمارية للشرعية التي أضفتها على القوانين التعسفية ضد الدين الإسلامي، وهو ما ذهب إليه الشيخ العربي التبسي بعد توجيه إنتقاداته لإدارة الإحتلال، مجددا في 20 ديسمبر 1953م بتقديم جملة مطالب متعلقة بالدين الإسلامي وطريقة توظيف رجاله، وقضية الأوقاف المصادرة، وكلها تدخل ضمن تطبيق مطلب الفصل الديني، ورفع الحكومة الفرنسية يدها عن التصرف في الشؤون الدينية لمسلمي الجزائر، والتوقف عن زرع الطائفية بينهم، والموافقة على حق الجزائريين في إنشاء قانون داخلي لتسيير شؤونهم الدينية دون الحاجة لتدخل أي هيئة غير مسلمة<sup>(2)</sup>، وشدد التبسي على رفضه للبنود الواردة في مشروع الفصل المنافية لأصول الدين الإسلامي وشريعته السمحاء، كإسناد التعلم الديني إلى الجمعيات بدل إشراف الهيئة العامة على تعلم أفراد الأمة الجزائرية لشؤونهم الدينية، وتقسيم أموال أوقاف المسلمين على الدوائر المركزية بدل إخضاعها لتصرف الهيئة العامة، إضافة إلى جعل التوظيف الديني من حق المركزيات فقط، بدل إشراف الهيئة العامة على ترشيح الموظفين المتحصلين على شهادات علمية تمنحها الهيئة العامة في نظام جديد ينشئ للتعليم، مع جعل إنتخابات الجمعيات الدينية في مساجد الجمعية، وإختيار المصلين المعترف لهم دينيا بحق تمثيل الإسلام من شعائر ووظائف لخدمة الدين<sup>(3)</sup>.

لكن سنة 1953م عرفت أيضا بداية تسلل اليأس إلى تفكير رجال جمعية العلماء بخصوص قضية فصل الدين عن الحكومة، وبرز هذا من خلال المقالات المنشورة على جريدة البصائر، مثل المقال المعنون بـ: "الحكومة الجزائرية تدفن قضية فصل الدين الإسلامي عن الدولة في المجلس الجزائري"، حيث أوضح المقال السياسة التي إنتهجها المجلس الجزائري للحيلولة دون تنفيذ الفصل بعد أن ختم سلسلة جلساته، معتبرا الدين الإسلامي يقع على نفس الدرجة من المساواة في الحرية مع الديانة المسيحية واليهودية<sup>(4)</sup>، ويظهر البعد السياسي في قضية فصل الدين بشكل واضح في البيان المطول للمكتب الدائم لجمعية العلماء، نشرت نسخة منه جريدة البصائر في شهر جويلية من عام 1953م، ممضى من طرف الشيخ العربي التبسي، الذي أقر أن وضعية الدين الإسلامي في الجزائر هو إرادة إستعمارية، بدأت تفاصيلها منذ بداية الإحتلال الفرنسي، حيث صنعت فرنسا إسلاما جزائريا يخدم مصالحها، وألغت الإسلام الحقيقي الذي هو دين الله<sup>(5)</sup>، وإستمرت

(1) - محمد البشير الإبراهيمي، قضية فصل الدين خصمان... فمن الحكم، البصائر، العدد 158، 29 شعبان 1370هـ / 4 جوان 1951م، 177.

(2) - العربي التبسي، فصل الدين عن الدولة مناف لوصله بها، البصائر، العدد 210، 05 ربيع الآخر 1372هـ / 22 ديسمبر 1952م، ص 237.

(3) - نفسه والصفحة.

(4) - الحكومة الجزائرية تدفن قضية فصل الدين الإسلامي عن الدولة، البصائر، العدد 225، 26 رجب 1372هـ / 10 أبريل 1953م، ص 364.

(5) - العربي التبسي، بيان عن إصرار الحكومة الفرنسية على تولي إغتصاب المساجد والأوقاف وإفكاكها لحق المسلمين لإقامة الشعائر الدينية الجماعية في مساجدهم، البصائر، العدد 236، 29 شوال 1372هـ / 10 جويلية 1953م، ص 01.



جريدة البصائر لسان حال جمعية العلماء المسلمين نشر مقررات المجلس الجزائري تحت عنوان "المكتب الدائم لجمعية العلماء يفضح للأمة مكائد إجتماع المجلس الدائم للجمعية" المجتمع ما بين 28 و 30 مارس 1954م، حيث عرضت الجريدة تطورات المسألة الدينية وتتبع مسارها منذ صدور قانون 1947م، وسعت بذلك إلى فضح الأساليب الإدارية الإستعمارية للرأي العام الجزائري والإسلامي والعالمي<sup>(1)</sup>.

كما إحتجت جمعية العلماء في أبريل من سنة 1952م، عبر الرسالة التي وجهتها إلى المجلس الجزائري ورؤساء المجالس والممثلين الرئيسيين لأهم الإتجاهات السياسية، بعد تأكدها أن المجلس الجزائري والإدارة يسعيان إلى إفشال فصل الدين، وفي 10 جويلية 1953م قدمت بيان إحتجت على ما وصفته "محو الإسلام" من الجزائر، بالإضافة إلى إرسال بريقة إحتجاج أخرى في نوفمبر 1953م، وقدمت طلب في أبريل 1954م لأنصارها من أجل التجمع في مساجد مدينة الجزائر للتعبير عن مدى غضبهم من الوضع الذي آلت إليه القضية الدينية، وحررت مذكرة تدعو فيها المسلمين الجزائريين لمساعدتها من أجل تحقيق مبدأ فصل الدين عن الدولة، وفي 16 جوان 1954م أعلنت جمعية العلماء إستحالة إيجاد حل للمسألة بعيدا عن مشاكل الجزائر ككل، وهو الموقف الذي أكدته أحمد حماني في 07 أوت 1954م<sup>(2)</sup>.

مما جاء نستخلص أن قضية فصل الدين الإسلامي عن الدولة الفرنسية هي قضية دينية وسياسية في نفس الوقت، إذ أن جمعية العلماء لم تعترف بشرعية تسيير الإدارة الفرنسية لشؤون الديانة الإسلامية بناء على عدم جواز إشراف مسيحي على مسلم، ورغم الجهود التي بذلها رجال الجمعية من أجل تطبيق المبدأ على الديانة الإسلامية مثل ما طبق منذ سنة 1907م على باقي الديانات، إلا أنها إصطدمت بجدلية الدولة الفرنسية المسيحية واللائكية<sup>(3)</sup>، لكن جهود علماء الجمعية تبرز مدى تصميمهم على إستعادة حق الأمة في إشرافها على مؤسسات العبادة وشؤونها الإسلامية من خلال:

**- إستعادة حق التعليم والمساجد والأوقاف وممارسة الشعائر الدينية:** تبرز مطالب جمعية العلماء بخصوص المساجد من خلال مضمون التقرير الذي قدمه مجلس إدارتها إلى الحكومة الفرنسية بالجزائر بعد إجتماعها المنعقد في 05 أوت 1944م، والذي عالج المسائل المتعلقة بالدين الإسلامي التي لخصها الإبراهيمي في المجالات الثلاث: **المساجد والتعليم والقضاء**، وكلها مطالب تخص موضوع الهوية الوطنية والتي جاء حولها في التقرير ما يلي:

- ترى جمعية العلماء أنها بحكم أمانة الدين وعهد الله، وشهادة الواقع، تعتبر نفسها مسؤولة عند الله وأمام الأمة الجزائرية عن الإسلام ومعابده وتعليمه ولغته وجميع شعائره الحقيقية وأحكامه القضائية.

- تعلم الجمعية أن الحكم القاطع في الإسلام في مسألة التصرف في المساجد هو من حق المسلمين بما فيه تسيير الأئمة.

(1)- المكتب الدائم لجمعية العلماء، المكتب الدائم لجمعية العلماء المسلمين يفضح للأمة مكائد الحكومة والمجلس الجزائري حول قضية فصل الدين عن

الدولة، البصائر، العدد 266، 06 شعبان 1373هـ/ 9 أبريل 1954م، ص 321.

(2)- عفان زقورة، المرجع السابق، ص 101.

(3)- نفسه، ص ص 101-102.

- دور الوقف الخيري التطوعي في القيام بالواجبات الدينية والإجتماعية كبناء المساجد، دون الحاجة إلى الخزينة العامة، وبناء على هذا اعتبرت الجمعية كل تدخل للحكومة في الأمور الدينية تعدي على مبادئ احترام الأديان والحريات.

- علماء الأمة الجزائرية المسلمة هم أصحاب الحق المطلق دينيا وعقليا وعرفيا في إقامة دينها وإدارة معاهدها واختيار من يصلح لوضائفه خطابة وإمامة وقضاء وتعليم بالتوافق مع قواعد الدين، الذي تصح به العبادة والأحكام وبما أنها هي من تصلي في المسجد فالحق لها أن تختار من تقدمه للصلاة، ومن يتولى أمور القضاء الديني لاشتماله على أركان إجتماعية خطيرة كالنكاح والميراث، إضافة إلى إشرافها على تعليمهم والنظر في توليتهم وعزلهم ومراقبتهم<sup>(1)</sup>.

- ترى جمعية العلماء المسلمين ومن ورائها الأمة الجزائرية أن الديانات المتجاورة مع الإسلام في الجزائر تتمتع بالحرية التامة عكس الدين الإسلامي، وهو ما يمثل أقبح أنواع الظلم من قمع واحتقار له ومنع لشرحه، لهذا طالبت جمعية العلماء التي يفرض عليها الواجب الديني قول كلمة الحق، ومعبرة بلسان الأمة الجزائرية على أنه ليس من العدل ولا من حق الإدارة الإستعمارية التدخل في شؤون الإسلام، فهو حق للمسلمين فقط من منطلق أداء فرض ألزم الإسلام القيام به.

- كما ترى الجمعية أنها تزن الأمور بالواقع المشهود لكونها الهيئة الدينية الوحيدة التي إلزمت بشروط الإسلام، وعاهدت الله على الدفاع عن عقائده بالحجة والبرهان وعن حقائقه بالعلم وعن شعائره بالعمل، ومواقفها ثابتة في هذه المبادئ.

- إن الخلافات التاريخية التي واجهتها جمعية العلماء المسلمين مع بعض الهيئات الإسلامية الأخرى ليس بخلاف ديني وإنما خلاف العلم والجهل، ولو لم يجد تشجيعا من خصوم الجمعية لعاد أصحابه إلى الحق، لأن الحق في الإسلام واحد<sup>(2)</sup>.

**- إستعادة الأوقاف الإسلامية:** نظرا لما للأوقاف الإسلامية من دور في التعليم والرعاية الإجتماعية، وتكريس للعقيدة<sup>(3)</sup>، رأت جمعية العلماء أن الحكومة الفرنسية وضعت يدها على مساجد المسلمين وأوقافهم وأئمتهم وفق نظام جائر منذ بداية الإحتلال، مدعية في عهودها الكتابية أنها تحترم الإسلام ومعابده وشعائره التي حكم التاريخ على مدى تنكرها لها، فمبادئ الحرية والأخوة والمساواة التي كان من أصولها فصل الدين عن الحكم لم يقع تنفيذه على الدين الإسلامي، كما تم إقراره في عهد الجمهورية الثالثة، وقانون 27 ديسمبر 1907م الذي جاءت فصوله صريحة بخصوص فصل الدين عن الحكومة موضحة بإعطاء المسلمين حريتهم الكاملة في كل ما يتعلق بديانتهم لكونهم الوحيدين الذين كانوا محرومين من هذا الحق، إلا أن الواقع بقي على ما عليه بعدم تنفيذ هذا القانون، واستمراره خلف سخطا من الجزائريين خصوصا العلماء الأحرار الذين طالبوا ببعض الحقوق، فكان جزاؤهم منعهم من ممارسة التعليم في بيوت الله<sup>(4)</sup>.

(1)-محمد خير الدين، مذكرات، ج 01، المصدر السابق، ص 109.

(2)- نفسه، ص ص 110 - 111.

(3)-رابح تركي، الشيخ عبد الحميد ابن باديس باعث النهضة الإسلامية العبرية في الجزائر المعاصرة، المرجع السابق، ص 88.

(4)-محمد خير الدين، مذكرات، ج 01، المصدر السابق، ص ص 111 - 112.

إذا كان قانون 27 ديسمبر 1907م لم ينفذ أساساً إلا أنه بمجيء الحرب العالمية الأولى، تم منح بعض الوظائف للجنود المحاربين إرضاء لهم وخدمة للإستعمار، وكان أقبح ما وقع بعده هو تشكيل هيئات دينية أشرف عليها مسيحيون بدل أن تشرف عليها الأمة الجزائرية، ولو طبق هذا القانون تطبيقاً صحيحاً على الدين الإسلامي لما هاجت أفكار العلماء على الإدارة الإستعمارية<sup>(1)</sup>، لذا واصل الإبراهيمي توجيه إنتقاداته إلى المجلس الجزائري والحكومة الفرنسية المتملصة من مسؤولياتها في تنفيذ قرار الفصل، واصفا الطريقة المنتهجة في حل المسألة بالبيروقراطية<sup>(2)</sup>، مستدلاً في رأيه بتماطل الإدارة الإستعمارية في فتح المسجد الأعظم بقسنطينة لطلبة معهد ابن باديس، الذي لم يعد يسعهم، هذا رغم عراقه عائلة مصطفى ابن باديس وقربها للحكومة الفرنسية، لكنها لم تلبي مطلبه وبقي المسجد الأعظم مساراً للزيارات الرسمية لنشد إمتزاج الأديان<sup>(3)</sup>، وهذا المنطلق الديني السياسي في رفض علماء الإصلاح لإشراف السلطة الاستعمارية على الدين الإسلامي في الجزائر لطالما تم التعبير عنه مراراً وتكراراً والمطالبة بمنحهم أولوية التعليم المسجدي، وقد انجر عن محاولتهم تفعيل مضمون الخطاب الديني الذي انعكست مظاهره على عدة مستويات منها:

- تشير التقارير الأمنية الفرنسية إلى موقف الإدارة الاستعمارية من الخطاب الديني المسجدي لجمعية العلماء المسلمين، منذ نشأتها، ويظهر ذلك من خلال تتبع ومراقبة مضمون دروس علماء الجمعية، كالشيخ الطيب العقبي ممثل جمعية العلماء بعمالة مدنية الجزائر منذ 1931 إلى غاية استقالته من المجلس الإداري سنة 1938، ولم تكتفي بالمراقبة والمتابعة فقط بل قامت أيضاً بتدوين مضمون المحاضرة وتسجيل عدد الحاضرين وتحديد موقف الإدارة الاستعمارية، كما حدث في مسجد القبة، إضافة إلى محاضراته المستمرة بالمسجد الحنفي "لايشري-la bécherie"، وقد بلغ عدد الحاضرين لدرسه بتاريخ 30 سبتمبر 1931 ما يقارب 1500 شخص<sup>(4)</sup>.

إن المواضيع التي تطرق لها العقبي كانت من أسباب توجس الإدارة الاستعمارية منه، حيث ألقى درساً حول الوحدة بالمسجد الحنفي، وأكد عن مدى تميز الدين الإسلامي عن باقي الديانات الأخرى، ونعمه على معتنقيه وشحن في الحاضرين شعوراً بتملكهم سيادة مصيرهم مشدداً على الآية القرآنية: "إن الله لا يغير بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم"<sup>(5)</sup>، والعقبي كان كثير النشاط ببرمجته دروس بالمسجد الحنفي صباحاً، وإلقاءه المحاضرات<sup>(6)</sup> مساءً في نادي الترقى، الجاور

(1)- محمد خير الدين، مذكرات، ج 01، المصدر السابق، ص 113.

(2)- عفاف زقورة، المرجع السابق، ص 91.

(3)- محمد البشير الإبراهيمي، فصل الدين عن الحكومة 4، البصائر، العدد 88، 29 رمضان 1368هـ / 25 جويلية 1949م، ص 337.

(4)- المرجع السابق، ص 18.

(5)- سورة الرعد، الآية 11.

(6)- رغم إنحياز العقبي عن الخوض في السياسة إلا أن ما يلاحظ على محاضراته ودروسه تجاوزه الجانب الديني منذ سنة 1932م، وتوجيهه لانتقادات لاذعة لمن خالفه الرأي آنذاك، وهو ما جعل الإدارة الاستعمارية تصنفه في خانة الخطرين، فقد نعتته بالخطيب المصقع وبأن له ذاكرة مذهلة لقدرته الكبيرة على الاسترسال في الآيات القرآنية دون عناء، وهناك من وصفه بالمندفع في خطبه كالتيار فكان أخطب الخطباء لإرتجاله وفصاحته وقدرته على تحريك الجماهير وإيقاظ النفوس، فكان له تأثير كبير في مستمعيه، بمحاضراته التي لامست الانشغالات الرئيسية للأهالي، ووصل بهم التأثير مرحلة تقليد لهجته وطريقة لباسه وطريقة صلاته، فأطلق على مناصريه الذين كان أغلبهم من العمال "بالجيش الأزرق". يُنظر: عفاف زقورة، المرجع السابق، ص 19. وأيضاً: حمزة بوكوشة، ما رأيت وما رويت، جمع ونشر سهيل شنوف، زيتا غرافيك، الجزائر، ط 1، 2012، ص 51. وأبي يعلى الزواوي، خطب أبي يعلى الزواوي 1866-1952، المرجع السابق، ص 20.

للمسجد بحضور الإمام أبي يعلى الزواوي<sup>(1)</sup> إمام مسجد سيدي رمضان<sup>(2)</sup>، وكانت لهجة العقبي شديدة الإنتقاد لوزارة الشؤون الدينية بعد مساندتها لرجال الطرق الصوفية، الذين اعتبرهم رجال مصالح يبحثون عن جني المنافع الذاتية ونفى قطعاً أن يكون المؤمن في حاجة إلى وسيط بينه وبين الله تعالى، كما احتجت جمعية العلماء بشدة على مشاركة عناصر لا صلة لهم بالدين في الإحتفال بالمناسبات الدينية داخل المساجد، كإحتفال بشهر رمضان، المنظم بمسجد لايشري بحضور 2500 شخص وما يقارب 150 امرأة، إضافة لممثلين من السلطات الاستعمارية ورجال الدين الرسميين<sup>(3)</sup>.

اتخذت السلطات الاستعمارية قرارات صارمة أتجاه جمعية العلماء بداية من سنة 1933م، نظراً لانتقاداتها اللاذعة للممارسات الفرنسية ضد الإسلام ومؤسساته التي انتهكت حرمتها، ضف لهذا الوشاية من العناصر المعادية للجمعية، خصوصاً بعد أن اعتبرت جمعية العلماء هذه القرارات موجهة ضد المسلمين الجزائريين، وترجمت جريدة السنة المحمدية<sup>(4)</sup>، الأسئلة الكتابية "لموريس فيوليت-Mourice Viollette" وزير الداخلية الفرنسي، المنقولة عن جريدة "لاديياش الجيريان-La dépeche Algerienne" في عددها بتاريخ 15 جوان 1933م، الذي دار فحواه حول ما قام به عامل عمالة الجزائر من تجاوزات تخص قانون فصل الكنيسة وحله للجمعية الدينية الإسلامية بالجزائر في 28 فيفري 1933م، وهو الأمر الذي تأسست لأجله جريدة "الصراط السوي" بعد أن دافعت السلطات الاستعمارية على هذا القرار<sup>(5)</sup>.

وبعد مرور ثلاث سنوات قام الطيب العقبي بترجمة حرفية لقرار "ميشال" الأول والثاني وذلك سنة 1936، ليبين أن "سي صالح الطيب" سعى من خلال القرارين إلى ضرب جمعية العلماء والدين الإسلامي معاً، وعلق العقبي على ترجمة "مرسوم ميشال" التي قامت بها البصائر، أنه تم إصدار قرار آخر في 24 فيفري 1933م، يفضي إلى حل الجمعية الدينية، حيث انتقد العقبي رئاسة "ميشال" لها واختياره لأعضائها من أعوانه المقربين، واعتبر العقبي هذا المرسوم بمحاورة الثلاثة طعن في صميم الدين الإسلامي، ولقي "قرار ميشال" احتجاجاً واسعاً من قبل عدة شخصيات اجتماعية، من خلال جريدة البصائر التي سجلت على صفحاتها عدة مقالات، عن احتجاج سكان برج امناييل وذراع الميزان<sup>(6)</sup>.

لم تمنع المضايقات الاستعمالية العقبي من مواصلة المطالبة بحرية ممارسة الشعائر الإسلامية، وتعميم تطبيق قانون فصل الإسلام طيلة فترة الثلاثينات والأربعينات، رغم أن "قرار ميشال" جعله يهجر الصلاة بالمساجد الرسمية منذ سنة 1933م، وطلب منه أبو يعلى الزواوي إقامة فريضة صلاة الجمعة على صفحات جريدة الإصلاح<sup>(7)</sup>، ورد عليه العقبي قائلاً: "... وبودنا وقد زالت الموانع اليوم أو كادت تزول، أن لو ترجع الحكومة المحلية إلى العلماء حريتهم في

(1) - يعتبر الإمام الرسمي الوحيد العضو في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وقد ربطته بالعقبي علاقة وطيدة امتدت إلى غاية وفاته سنة 1950م.

(2) - غفاف زقورة، المرجع السابق، ص 18-19.

(3) - نفسه، ص 21-22.

(4) - أسئلة برلمانية كتابية، جريدة السنة المحمدية، العدد 11، 25 صفر 1352هـ / 19 جوان 1933، ص 05.

(5) - ولسعود أمين، أجوبة وزارية عن أسئلة برلمانية، جريدة الصراط السنوي، العدد 07، 11 رجب 1352هـ / 30 أكتوبر 1933م، ص 03.

(6) - غفاف زقور، المرجع السابق، ص 26.

(7) - غفاف زقور، المرجع السابق، ص 30. يُنظر أيضاً: الزواوي أبو يعلى، "صلاة الجماعة" صلاة الجمعة وحكمها في الإسلام وأدعو إليها صديقي

الشيخ العقبي وسائر العلماء والمصلحين، جريدة الإصلاح، العدد 23، 8 ماي 1940م.

المساجد، ولو أنها تراقب سير دروسهم الدينية بواسطة من يوثق به من أهل الفضل والعلم والدين"، كما يضيف: "...ولازلنا نحاول في كل مناسبة إفهام رجال العدل والإنصاف من الحاكمين، بأن حل الأزمة الدينية بفصلها عن الحكومة حسب قانون فصل الكنيسة عن الحكومة هو أهم المشاكل التي تشغل بال المسلمين ...".<sup>(1)</sup> وفي سنة 1935 تم اختيار قاعة "ديكس جيرمان" في رويسو لآداء صلاة عيد الفطر يوم 07 جانفي، وهو ما يوضح مدى الحركة التي شهدتها الفضاءات التحسيسية من أجل خلق فضاءات موازية للمسجد الرسمي من ونواحي وشوارع. بتعبئة سكان العاصمة يتقدمهم الشيخ العقبي بمناسبة عيد الفطر 1935م، محاولين دخول المسجد الكبير، ورغم فشلهم استمر العقبي في نشاطه ثابتا على موقفه إلى غاية 1940م يطالب بتطبيق مطلب المساواة على الديانة الإسلامية للجزائريين قائلا: "...إنما نريد المساواة مع غيرنا لا أقل ولا أكثر... إذ لم تبق الحكومة المحلية متأثرة بحكم قراري 16 و 18 فيفري سنة 1933م، اللذين أشرنا إليهما، حيث بطل وذهب كل باطل قديم وحل محله في عهده هذه الحكومة الجديدة، عهد حق وعدل وحكم جديد... هذان القراران هما سبب كل ما وقع من القلق الجزائري... وقد أثبت الواقع براءة العلماء من كل تهمة وجهت إليهم قبل اليوم"، واستمر الوضع على ما عليه إلى غاية فترة الخمسينات بقيادة الإبراهيمي الذي أوضح سنة 1949م طبيعة الصراع على الدين، حقق خلالها نشاط الجمعية تأثيرا اجتماعيا بعودة تفعيله، فلم يعد يتجرأ أحد على هتك المحرمات جهرا، وتجاوز الخطاب الديني المنظور التقليدي لشيوخ الطرقيين ورجال الدين الرسميين، ما اضطر فرنسا إلى محاولة إعادة ضبط الخطاب النظري وفضاءاته التي سيطرت عليها الجمعية، ومنحتها رمزية فعالة لتعبئة الجزائريين ضد الاحتلال<sup>(2)</sup>.

**-رفض مبدأ اللائكية الدينية:** أقر رجال جمعية العلماء وفي مقدمتهم الإبراهيمي، أن الدولة الفرنسية هي دولة مسيحية، فرغم إدعائها بفصل الدين عن الدولة، لكن هذا لم يطبق على أرض الواقع، لأن الإستعمار بقي يعتمد على المسيحية في إدارة شؤون الجزائر ومحاربة الإسلام، بغية القضاء عليه كليا، ورغم الجهود التي بذلها علماء الجمعية لتطبيق قرار الفصل، إلا أنهم لم يعترفوا باللائكية الدولة الفرنسية، وإن كانوا قد إستغلوا هذا الأمر كمنطلق يتماشى مع قوانين الجمهورية الفرنسية للحصول على مطلب الفصل بالنسبة للدين الإسلامي فقط، وهو ما أكدته الإبراهيمي قائلا: "...وفصل الدين عن الحكومة مبدأ جمهوري فرنسي، ولكنه من أكذب المبادئ بالنسبة إلى دين الإسلام في الجزائر، فما زالت الإدارة الجزائرية في جميع عهودها متمسكة بما أورثها الإستعمار من مساجدنا أكثر وأشد من تمسك المتدين بدينه، لا تبالي لحقوق طبيعية، ولا لمبادئ جمهورية، ولا بمفارقات دينية، ولا بعواطف إنسانية ولا سبب لهذا الإعمال في التسلط والإحتكار إلا إستضعاف المسلمين وإحتقارهم، وإلا فما بال هذه الحكومة لم تتسلط على معابد اليهود ولا نقول المسيحيين لأننا لسنا ممن يعتقد لائكية الحكومة الجزائرية"<sup>(3)</sup>.

ومن هنا نلاحظ حرص الإبراهيمي على تبين معارضته للمبدأ اللائكي القاطع للصلة بين العبد وربّه، وانتقد المدنية الفرنسية التي يدعيها الإستعمار وإستنكر من سار في ركبها من العالم الإسلامي قائلا: "...سلمنا أن فرنسا دولة

(1)-عفاف زقور، المرجع السابق، ص 31-32.

(2)- نفسه، ص 34-37.

(3)- محمد البشير الإبراهيمي، من الحقائق العريانة، البصائر، العدد 01، 07 رمضان 1366هـ/ 25 جويلية 1947م، ص 06.

مستعمرة... وأنها تمتاز بإدعاء أنها ممدنة العالم ومعلمته وناشئة لولاء الحريه فيه، وأنها السابقة إلى نبذ الأديان وقطع الصلة بين الله وعباده، وأنها واضعة نظام اللائكية الذي معناه وضع سور بين الحكومات وبين الأديان كيفما كان نوعها، ومعناه أيضا تقوية السلطة المادية، وتوهين السلطة الروحية...<sup>(1)</sup>. كما أوضح الإبراهيمي أن تناقض الحكومة الفرنسية واضح بينما تدعو إليه من مبادئ وما بين ممارساتها مع الدين الإسلامي في الجزائر قائلا: "... هذه الحكومة لائكية في الزعم والمظهر، وإن كانت مسيحية في الحقيقة والجوهر... فماذا تفسر المحافظة على الإسلام؟ إبتلاع الأوقاف، وأكلها أكلا لما، والأوقاف هي الأساس المادي للدين، أم بتحويلها للمساجد الكبيرة كنائس؟ أم بحسن إختيار رجال الدين؟ أم بأعمالها ( المشكورة) في حرية الحج؟ أم بتدخلاتها المعروفة في الصوم والإفطار والأعياد؟ أم بتنشيطها على ( أعراس الشيطان)؟ إن قرنا عشرين سنة تشهد بشهورها وأعوامها بأن هذه الحكومة على إختلاف رجالها ونزعاتها، لم تعمل عملا إيجابيا يسمى - ولو مجاز - محافظة على الإسلام، بل ما عملت إلا على إضعافه ومحوه... " <sup>(2)</sup>.

وقد عارض رئيس جمعية العلماء سنة 1951م وصف الإدارة الإستعمارية للإسلام بالحكم التيوقراطي، وأوضح أن هناك حدودا فاصلة في مفهوم اللائكية لدى العلماء، وبين تيسير أمور الدين الإسلامي للأمة الجزائرية وهو المطلب الأساسي لفصل الدين، إذ يقول حول محاولة الإستفادة من مبدأ حرية تسيير الديانة لتطبيقه على الديانة الإسلامية بعيدا عن سيطرة الحكومة الفرنسية المسيحية: "... إن لكل طائفة دينها الذي ربطتها به الوراثة والإختيار... يصرفونه بأنفسهم، لأنهم أعرف بعقائدهم... سنة التطور التي إنتهت بعض الأمم إلى أن تعد من الرشد إبتعاد الحكومات عن سياسة الدين،... وإقتصارها على سياسة الدنيا... وليس معنى هذا سقوط التكاليف الدينية عن الطبقات الأخرى، ولا تساهل فيها كما تفيد كلمة حرية التدين في هذا العصر، وإنما كلامنا في تيسير شؤون الدين... كذلك ليس من معناه أن لا تساس الأمة بإسم الدين كما هو مفهوم " حكومه تيوقراطية" فالإسلام أضمن للعدل والمساواة وأحفظ لمصالح البشر الخاصة والعامة، من أن يتبرم به متبرم أو يعد الحكم بإسمه تيقراطيا... " <sup>(3)</sup>، وهوما أشار إليه محمد شرفة عندما تعرض لخطاب العلماء وعلاقته بالسياسة، بعد الإنتقادات الموجهة للعلماء بسبب تدخلهم في العمل السياسي، وأوضح العلماء أن الإسلام يجمع بين سياسة الدين والدنيا <sup>(4)</sup>.

إلا أننا نجد أن خطاب الشيخ العربي التبسي الذي ألقاه بالملعب البلدي بحسين داي في 19 ماي 1951م في إجتماع الجبهة الشعبية، والذي نقلته البصائر على صفحاتها، مطالبة مفتي الجمعية بتطبيق المنظور الغربي بناء على منطلقاته الحضارية والسياسية التي تبنتها الإدارة الفرنسية من لائكية وديمقراطية وإحترام لحقوق الإنسان على الدين

(1) - محمد البشير الإبراهيمي، فصل الدين عن الدولة "2"، 16 شعبان 1368هـ / 13 جوان 1949م، ص 297.

(2) - محمد البشير الإبراهيمي، ونعود إلى فصل الدين عن الدولة "6"، البصائر، العدد 104، 03 ربيع الثاني 1369هـ / 23 جانفي 1950م، ص 119.

(3) - محمد البشير الإبراهيمي، قضية فصل الدين ومن فروعها رمضان، البصائر، العدد 157، 22 رمضان 1370هـ / 28 ماي 1951م، ص 169.

(4) - محمد شرف الأكحل، هذا الوضع الشاذ لا يرضاه الإسلام، البصائر، العدد 331، 15 محرم 1375هـ / 2 سبتمبر 1955م، ص 122.



الإسلامي، بإعتباره ديناً للمسلمين الجزائريين، وبصفتهم جنساً مختلفاً عن الفرنسيين، في محاولة منه لجر فرنسا لتطبيق مبدأ الفصل بناءً على لائقيتها، قائلاً: "... الواجب على كل ديمقراطي حر الضمير أن ينظر إلى المسألة من جهتها الديمقراطية التي هي وجوب فصل الدين عن الدولة، ووجوب إحترام الناس في أديانهم وعقائدهم وشعائر دينهم، ومنع الحكومة من التفريق بين الأديان... أيها الديمقراطيون يجب علينا أن نقف كلما حاولت الحكومة أن تعتدي على مظهر من مظاهر الديمقراطية... مضي قرن وبعض والحكومة معتدية على الديمقراطية في شخص الديانة الإسلامية ساخرة بأصولها وفروعها...".<sup>(1)</sup> وهذا لا يعني إعترافاً من العربي التبسي باللائقية الفرنسية بقدر ما هو إجتهد في إطار مساعي علماء الجمعية السلمية لدفع فرنسا إلى تطبيق قانون فصل الدين على الإسلام تحت ظل مبادئها التي تعترف بها. وفي إطار هذه المساعي أشار التبسي إلى الوفد الذي أرسلته جمعية العلماء في أكتوبر 1950م إلى باريس للإلتقاء بمختلف الفاعلين السياسيين هناك، موزعاً نسخة من المذكرة التي سلمها للمجلس الجزائري، ومحملها القادة الفرنسيين مسؤولية الإعتداء على الديمقراطية والإسلام وحده، ومستنكراً باسم الشعب الجزائري كافة الظلم العنصري الممارس على الدين الإسلامي منذ زمن طويل<sup>(2)</sup>، وكان التبسي قد إحتج في الرسالة المفتوحة التي أرسلها إلى رئيس المجلس الجزائري، ونشرت على صفحات البصائر بإسم الأمة الجزائرية، على القرار الذي نعت به بالرجعي، والمتعلق بتعيين الدولة لرجال الدين قبل أن يفصل المجلس الجزائري في قضية إستقلال الدين الإسلامي<sup>(3)</sup>.

من خلال ما جاء من تصريحات لرجال الجمعية يتضح الرفض الذي أبداه العلماء اتجاه المذهب اللائكي، لأنه يفصل في مضمونه دين العبد وربه، وعدم إمكانية تطبيقه نظراً لمسيحية الحكومة الفرنسية، رغم أن العلماء حاولوا الإستثمار في هذا المبدأ، عن طريق توظيف المصطلحات والمبادئ الغربية لتطبيق الفصل الديني بناءً على الواقع التاريخي للجزائر المحتلة، ولم تتوقف مطالب علماء الجمعية عند قضية الفصل لأركان الإسلام وما يتبعها من تعيين لرجال الدين<sup>(4)</sup>.

**-استرجاع حق الحج من الإدارة الاستعمارية: الحج ركن أساسي من أركان الإسلام، ونظراً لأهميته بالنسبة للجزائريين عملت السياسة الاستعمارية على بسط نفوذها وسلطتها عليه من خلال تقييد حركته، لما لها من إسهام كبير في نشر الوعي نتيجة إحتكاك الجزائريين في المشرق العربي، ونقل الفكر الإصلاحي والثقافي المنتشر هناك والمناهض للإستعمار، لذا عمل الإحتلال على تقويض دور الحج، وهو ما جعل جمعية العلماء تولي هذا الموضوع أهمية بالغة، حيث كانت من أشد المتابعين للحجاج، نظراً لما كان يعيشه الحج في تلك الفترة من ظروف صعبة، سماها الشيخ البشير الإبراهيمي بالمهازل فقال: "سكتنا -مع مرارة السكوت- لا رضى بما تصنع الحكومة في شعيرة إسلامية محضة،**

(1) - العربي التبسي، الخطاب القيم الذي ألقاه الأستاذ العربي التبسي بالملاعب البلدي في العاصمة، البصائر، العدد 168، 02 ذي الحجة 1370هـ / 3 سبتمبر 1951م، ص 257.

(2) - نفسه.

(3) - العربي التبسي، رسالة إحتجاج على لجنة الديانة بالمجلس الجزائري، البصائر، العدد 187، 26 رجب 1371هـ / 21 أبريل 1952م، ص 59.

(4) - عفاف زقورة، المرجع السابق، ص 115-116.



ولا إقرارا لعبثها بدينها، ولكننا سكتنا انتظارا لانسداد الستار حتى تقوم الحجة وتنقطع المعاذير، فنضيف قضية الحج إلى قضايا المساجد والأوقاف والتعليم الديني، ونحمل الحملات الصادقة في سبيل تحريرها... كان المتفائلون يظنون -وبعض الظن إثم- أن الحكومة تنفض يدها من مسألة الحج في هذه السنة. فإن لم تنفض يدها بالمرّة صحّحت أخطاءها القديمة، وعدلت آراءها السقيمة، ووسعت الدائرة وخففت الشروط" ثم يضيف: "فلتعلم هذه الحكومة السائرة على منهج لا يتبدّل في احتكار أمور ديننا أننا سائرون على منهج لا يتبدّل في المطالبة بحقنا الديني الطبيعي، وفي التظلم منها والتشنيع عليها، وأنا لها بالمرصاد"<sup>(1)</sup>.

وقد فصل إبراهيمي من خلال مقاله بالبصائر في قضية الحج فاضحا بذلك أساليب الإدارة في تسييرها لشؤون الحج والحجاج، وكيف أنها استعملت الحج وسيلة لإستعباد الأمم الإسلامية، وإن ما استغربه الشيخ في الشروط التي وضعتها الإدارة الاستعمارية على الحجاج، مثل: البراءة من التهم والإجرامات المدنية والسياسية، ومن العجيب أن يكون الإجرام المدني والسياسي مانعا من الحج<sup>(2)</sup>.

-استرجاع لجنة أهلة رمضان والأعياد الدينية من الإدارة الاستعمارية: لم يكن الحج وحده من المناسك التي طالبت الجمعية باسترجاع إدارتها من الاستعمار الفرنسي، فقد كانت المناسبات والأعياد الدينية من ضمن المناسك الإسلامية التي ألحت عليها الجمعية إلحاحا كبيرا لاسترجاعها، وقد نوه إليها إبراهيمي ضمن قضية فصل الدين في مقال كتبه بعنوان "فصل الدين عن الحكومة أو فصل رمضان والأعياد عن قاضي الجزائر" قائلا: "نحن نريد -جاذين- فصل ديننا بجميع شعائره وعلائقه عن حكومة الجزائر اللائكية المسيحية فصلا ناجزا حاسما... فقد كان الصوم والإفطار والأهلة والأعياد كلها بعيدة عن تدخّل الحكومة، وكانت كالأحذية المستقلّة من الوطن المستعمر، لم يصيبها من تسلّط الحكومة ما أصاب المساجد والأوقاف والحج..."<sup>(3)</sup>.

طالب البشير إبراهيمي بفصل "لجنة الأهلة" الخاصة بصوم شهر رمضان عن الحكومة الإستعمار، نظرا لتحكمهم في رؤية هلال رمضان، يخفونه ويظهرونه تبعا لمصالحهم، لكون الأعياد الإسلامية الرسمية تعطل الأعمال الحكومية والمهنية والصناعية للمستعمر، وكان تشريع القوانين الإستعمارية لإجبار الموظفين والعمال المسلمين على الخضوع إلى رأي لجنّتها في مناسك الصوم والإفطار إذا اختلفت الآراء، مهينة بذلك لقطع حبل تواصل الجزائريين الأقطار الإسلامية، وهو ما برز من خلال بسط نفوذها على ركن الحج، وتحاول من جديد تكوين "إسلام جزائري" على طريقتها الفرنسية<sup>(4)</sup>.

(1)-سومية بوسعيد، القضايا الوطنية من خلال صحف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين (البصائر نموذجاً)، رسالة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ

الحديث والمعاصر، قسم العلوم الإنسانية والاجتماعية، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجليلي ليايس، سيدي بلعباس، الجزائر،

2014/2015م، ص359

(2)- نفسه، ص360.

(3)- آثار البشير إبراهيمي، ج 03، المصدر السابق، ص113.

(4)- نفسه، ص168.

### المطلب الرابع: القضاء الإسلامي في المرجعية الدينية لجمعية العلماء.

لم يكن فصل الدين فقط مطلب علماء الجمعية بل أضافوا إلى مطالبهم مسألة القضاء الذي إعتبروه مسألة دينية بغض النظر عن كونها منصب إداري وسياسي<sup>(1)</sup>، فالقضاء يعتبر بين المسلمين في أحوالهم الشخصية والمالية والجنائية جزء لا يتجزأ من دينهم، وذلك راجع لسببين، خضوع الأحكام بين المسلمين لحكم من الله عز وجل من جهة ومرجع أصول تلك الأحكام إلى نصوص الكتاب والسنة، ومضمونها ديني بحت، وخضوع الجزائريين لها جاء من منطلق كونهم مسلمين، وهو ما تعترف به الدولة الفرنسية إعترافا صحيحا، ما يفسر جلها معارضة مطالب الجزائريين بحقوقهم السياسية بسبب تمسكهم بالقانون الإسلامي وأحوالهم الشخصية، ورغم بتر الإستعمار لأحكام الجنايات والأحكام المالية من القضاء الإسلامي والإبقاء على أحكام النكاح والطلاق والميراث فقط، وأعقبها بإخضاع القضاء الإسلامي للقضاء الفرنسي ممهدة لإلغاءه تدريجيا<sup>(2)</sup>.

إنجر عن هذه السياسة فوضى في المحاكمات نتيجة جهل القضاة وسوء تعليمهم وما خلفه إهمال التربية الإسلامية لكونها الشرط الأساسي في القضاة، وعدم شعور القضاة بالمراقبة الدينية للأمة، فطالبت جمعية العلماء من الحكومة الإستعمارية وضع حد لهذا الوضع الشاذ، لكونها تعتبر القضاء الإسلامي جزء من الدين، لذلك فهي ترى لزوم التدرج في إصلاح القضاء والدين لا هواده فيه، وقدمت الجمعية برئاسة البشير الإبراهيمي في التقرير المقدم إلى الحكومة الإستعمارية بالجزائر في 5 أوت 1944م الأصول التي يقوم عليها الإصلاح لمعالجة هذا الوضع<sup>(3)</sup> مركزة فيه على:

- **التعليم القضائي:** يجب توسيع برامج التعليم القضائي في مادة اللغة العربية، والفقه والأصول، ودراسة التفسير والحديث، ومآخذ الأحكام منها، وتاريخ القضاء في الإسلام وفلسفة التشريع وعلم النفس.

- **الوظائف القضائية:** يجب فتح باب القبول لعلماء مدرسين من المتخرجين من جامع الزيتونة أو غيره تعتبر فيه الكفاءة معيارا لإختيارهم.

- **السلطة العليا:** يجب تكوين مجلس قضائي أعلى من القضاة المسلمين تكون سلطته مستقلة عن القضاء الفرنسي، يتولى مهمة إختيار القضاة وترسيمهم ومراقبة سلوكهم وتحديد العقوبات.

- **محاكم الإستئناف:** تكوين محاكم إستئناف إسلامية تستأنف إليها الأحكام الأولية تكون سلطتها إسلامية محضة، وتعتبر أهم نقطة في الإصلاح، لكون حكم القاضي المسلم لا ينقضه إلا قاض مسلم<sup>(4)</sup>.

وشدد علماء الجمعية على أهمية القضاء الإسلامي في المرجعية الإسلامية للأمة الجزائرية وخطورة هذا المنصب لكونه تطبيق لأحكام الدين الإسلامي في المعاملات الحياتية للجزائريين دينية محضة تخص عقيدة المسلم الجزائري، وملتصدة كل الإتصال بشخصيته الذاتية، وليس كما تريد الإدارة الإستعمارية أن تحصره في منصب إداري وسياسي فقط، ففي

(1) - عفاف زقورة، المرجع السابق، ص 115-116.

(2) - محمد خير الدين، مذكرات، ج 01، المصدر السابق، ص 115-116.

(3) - نفسه، ص 116.

(4) - نفسه، ص 116-117.

مقال بعنوان "العدالة بآثارها"<sup>(1)</sup>، كتبه مبارك المليي بجريدة "الشهاب" جاء فيه: "... إن السبب لعدم تطابق القانون الشارخ للعدالة وآثارها هو نزاهة المشروع، وخبث طوية المطبق، نزاهة المشروع حملته على اختيار الأنظمة اللائقة بالإنسانية الرافعة لشأنها، وخبث المطبق حملة على العبث بالناس وعدم احترام حقوق البشر، وإن أجلى فرق بين القانون وأثر العدالة ما تراه بالوطن الجزائري"<sup>(2)</sup>، واعتبر أن العدالة وإن لم تبلغ منتهاها إلا أنها تبقى صالحة لا بأس بها، غير أن هذا الأثر لا ينعكس على واقع الأمة الجزائرية، التي وصف فكرها بفكر ما قبل الإسلام نتيجة عدم توظيف القرآن في مخاطبة العقل.

ومن منطلق أن القضاء تكليف شرعي له مكانة مهمة في المرجعية الإسلامية، فقد أولته جمعية العلماء المسلمين أهميه كبيرة نظرا لخلفيته الدينية والتاريخية، وعملت عبر صفحاتها وسلسلة مطالبها إبراز خطورة منصب القضاء بالنسبة للمسلمين، خصوصا في ظل وضع الإحتلال الذي تغلغت سياسته الإستعمارية في جميع المجالات المتعلقة بمرتكزات هوية الأمة الجزائرية، وقد بين حمزة بوكوشة أن القضاء أكبر المناصب بعد الإمامة العظمى، لكون القاضي هو المنفذ بالشرع للأحكام، وأحكامه تشمل حتى الأمراء والوزراء<sup>(3)</sup>، وإستدل على كلامه بالآيات الدالة على المرجعية الدينية للتحاكم بين المسلمين في منازعاتهم، وخصص بوكوشة في مقاله المنشور على صفحات البصائر حول القضاء الإسلامي في الجزائر بعد الإحتلال الفرنسي، وما تم تطبيقه من طرف الإدارة الإستعمارية من سياسة قضائية ممنهجة، بقصد إفراغ القضاء الإسلامي من محتواه الديني، وحصر دوره كمنصب سياسي وإداري فقط، حيث قال "... عاش القضاء الإسلامي بالجزائر حيناً من الدهر، ينعم بما ينعم به القضاء في بلاد الإسلام، ومنذ نجم قرن الإستعمار الفرنسي... أخذ ظل القضاء الإسلامي يتقلص رويدا رويدا بمفعول الأوامر والإصلاحات، التي طاهرها فيه الرحمة وباطنها من قبله العذاب، وهي أوامر وقوانين ما سنت إلا لسلب القضاء الإسلامي كل معنى من معاني الحياة، وتركه هيكلا بلا روح... أصبح في القطر الجزائري المنكود لا يتجاوز الأنكحة والمواريث وتنفيذ أحكام قضاة الصلح الإفرنسيين، وقضاة الصلح الإفرنسيين تمتد أيديهم حتى للبقية الباقية من قضايا الأنكحة والمواريث..."<sup>(4)</sup>.

يظهر موقف جمعية العلماء المسلمين مما آل إليه حال القضاء الإسلامي في الجزائر على يد الإحتلال الفرنسي، من خلال جملة المقالات التي كتبها البشير الإبراهيمي خلال فترة الخمسينيات من القرن العشرين، حول فصل الدين عن الحكومة<sup>(5)</sup>، إذ وضح المنظور الفقهي الذي إستند عليه في المطالبة بفصل القضاء الإسلامي عن القضاء الفرنسي، من منطلق أن القضاء مسألة دينية محصنة تخص عقيدة المسلم الجزائري، ومتعلقة بشخصيته الهوياتية في حد ذاتها، حيث قال: "... هذا ما قلناه من سبع سنوات خلت في إصلاح القضاء الإسلامي، ومازلنا نقوله، ومازلنا نرفع أصواتنا

(1)- مبارك المليي، العدالة بآثارها، الشهاب، العدد 04، مج 01، 16 جمادى الأولى 1344هـ/03 ديسمبر 1925م، ص 68.

(2)- آثار الشيخ مبارك المليي، مج 01، المصدر السابق، ص ص 70-71.

(3) - عفاف زقورة، المرجع السابق، ص 116.

(4)- حمزة بوكوشة، القضاء الإسلامي للجزائر، البصائر، العدد 01، 07 رمضان 1366هـ/25 جويلية 1947م، ص 14.

(5)- للتوسع يُنظر: آثار محمد البشير الإبراهيمي، ج 03، المصدر السابق، 73-193.

بأن المسلم لا يجوز له دينا أن يتحاكم إلى حاكم غير مسلم، ولا يجوز له أن يستبيح نكاحا أو إرثا أو مالا من أي وجه كان، أو دما بأية شبهة كانت إلا بحكم قاض مسلم...<sup>(1)</sup>.

كما عمل الإبراهيمي على توضيح المسائل المتشعبة المتعلقة بالدين الإسلامي، مؤكدا على الخصوصية التي يتمتع بها القضاء الإسلامي، وهو ما يستدعي ضرورة فصله عن القضاء الفرنسي وحكومته، لارتباطه المباشر بشؤون المسلمين الجزائريين دون غيرهم، وتساءل الإبراهيمي عن الغاية من مناقشة مسألة القضاء الإسلامي من طرف النواب الأوروبيين في المجلس الجزائري، الذي أسس على مبدأ التمييز بين سكان الجزائر، وما القصد من وراء تغيب إستشارة العلماء في هذه القضية الحساسة<sup>(2)</sup>، وفصل الإبراهيمي في شرح آليات الإدارة الفرنسية لتفريغ القضاء الإسلامي من مضمونه، لبتز تأثيره ومقدرته على الفصل بين الخصوم، بإبعاد مراكز التقاضي عن الجزائريين والمطالبة في الفصل في القضايا والنوازل التي تخصهم إذ قال: "...القضاء الإسلامي أيضا من الدين، فما لهم يجهلون؟ فقد أثرت في هذه الدورة للمجلس الجزائري قضية (القضاء الإسلامي)... وتلهي المجلس بها أسبوعا أو يزيد... إن للحكومة -بلا ريب- نية مبيتة في إلغاء القضاء الإسلامي بالتدريج، فهي تمهد الأسباب لذلك وتهيئ الذرائع من بعد زمان بعيد... ونلمح هذه الحقيقة في ظل الأعمال التي تأتيها الحكومة بإسم التنظيم للقضاء الإسلامي... والبطء الممل في سير النوازل، والتغاضي لبعض القضاة عن الهنات الأخلاقية المخلة بشرف القضاء، المشوهة لسمعته وإبعاد مراكز القضاء عن المتقاضين، وإرادة فتح باب التخيير للمتقاضين بين القاضي المسلم وبين القاضي الأوروبي، كل ذلك وما أشبهه يرمي إلى تنفير المسلم من القضاء الإسلامي... وإختياره للقضاء الفرنسي..."<sup>(3)</sup>.

إستدل الإبراهيمي في البرهنة المؤكدة أن القضاء الإسلامي جزء من الدين، مواجهها بذلك الإدارة الإستعمارية التي عملت على تحويله إلى مسألة زمنية تابعة لوزارة العدل، عن طريق إعطاء الإبراهيمي لدلائل تثبت جهود الإستعمار منذ القرن 19م لإفراغ القضاء الإسلامي من فعاليته، بضرب مكن قوته بحصرها أهميته في قضايا الأحوال الشخصية من زواج وطلاق وموارث دون نوازل المالية والملكية، وتواصل هذا المسعى حتى فترة الخمسينيات باعتبار الأحوال الشخصية مسألة زمنية لا علاقة لها بالدين<sup>(4)</sup>، حيث قال الإبراهيمي "... ولعل رجال هذا المجلس حين كانوا يخوضون في قضية إصلاح القضاء الإسلامي، كانوا يظنون أو يعتقدون أن القضاء في الإسلام ليس من الدين، وإنما هو تشريعات زمنية، يأخذ منها الزمان ويدع، وهو في هذا يبين إثنين، الجهل بقيمة الإسلام أو التجاهل... إن أحكام النكاح وتوابعه تعد من مفاخر التشريع الإسلامي المستند على الوحي الإلهي، ولا يوجد دين من الأديان السماوية أو الوضعية -ولا أستثني- إعتني بهذه الأحكام، وفصل القول فيها وبنى أصولها على الفطرة وما تحتمل وما لا تحتمل... نعتقد أن المثقفين من أعضاء المجلس المسلمين كانوا يعتقدون في القضية خلاف ما يعتقد زملائهم،

(1) - محمد البشير الإبراهيمي، فصل الحكومة عن الدين"، البصائر، عدد 109، 10 جمادى الأولى 1329هـ/ 27 فيفري 1950م، ص01.

(2) - غفاف زقورة، المرجع السابق، ص117.

(3) - محمد البشير الإبراهيمي، فصل الحكومة عن الدين، البصائر، العدد 108، المصدر السابق والصفحة.

(4) - المرجع السابق، ص118.

كانوا يعتقدون أن هذه المسألة دينية، يجب الرجوع فيها لأهل العلم بالدين، ولكن صوت الحق في هذا المجلس تملؤه أصوات الباطل والجهل...<sup>(1)</sup>.

مع سنة 1950م تصاعدت لهجة الإبراهيمي في إنتقاد الإدارة الإستعمارية، بسبب تناقضات القانون الفرنسي مع الأحوال الشخصية للمجتمع الجزائري خاصة بعد المناقشات التي خضعت لها المسألة من طرف النواب، وتطرقوا لها بمنطق إستعماري بني على التناقض من خلال حرمان القوانين الفرنسية الجزائري المسلم من حقوقه المدنية والسياسية، لحفاظه على أحواله الشخصية، وخلال فترة الخمسينيات حاول نفس المجلس رفع الصبغة الدينية عن القضية، حيث قال الإبراهيمي: "...وإذا كان أعضاء المجلس الجزائري يعتقدون ويقولون أن القضاء ليس من الدين، فقد قالها قبلهم حاكم مسؤول منذ سبع سنوات، وكان هدفه في كلامه إثبات عدم (دينية) القضاء ليمهد للحكومة بقاء يدها مبسوطة عليه كالمسائل الإدارية،... فتناول هذه المسألة الدينية بمنطلق إستعماري، وفكر عنصري، ولم نستطيع الرد عليه إذ ذاك لعدم وجود صحيفة تنشر لنا...<sup>(2)</sup>.

وقد عاد الإبراهيمي إلى عرض هذه المسألة إلى مضمون التقرير الذي قدمته جمعية العلماء إلى الإدارة الإستعمارية، الذي يخص القضاء الإسلامي سنة 1944م، وشددت تأكيده على تبعيته إلى الدين، وبناء عليه دعى لفصل المسألة عن الإدارة الفرنسية وإعادة حق الإشراف عليه إلى العلماء المسلمين الجزائريين، حيث قال: "... القضاء بين المسلمين في أحوالهم الشخصية والمالية والجناية جزء لا يتجزأ من دينهم... والدولة الفرنسية نفسها تعترف بهذه الحقيقة إعترافا صريحا، فقد كانت إلى العهد القريب، تعارض مطالبة الجزائريين بحقوقهم السياسية، لتمسكهم بالقانون الأساسي في الأحوال الشخصية، والحقيقية أن الحكومة الجزائرية منذ الإحتلال بترت القضاء الإسلامي فانزعزت منه أحكام الجنايات والأحكام المالية، ولم تبق له إلا أحكام النكاح والطلاق والموارث... إحتكرت تعليمه واحتكرت وظائفه لمن يتخرجون على يدها وتبعاً لتعاليمها، وجعلت نقض أحكامهم وتعقبها بيد القضاة الفرنسيين... وأصبح القضاء بحكم الضرورة لا يرجعون في أحكامهم إلى النصوص الفقهية...<sup>(3)</sup>.

عرضت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين خطة الإصلاح التي سعت إلى تطبيقها على القضاء الإسلامي، والتي تدرجت من التكوين إلى التوظيف وتنتهي بالسلطة العليا، التي يخضع إليها القاضي الجزائري المسلم، حيث وضع الإبراهيمي المواد التعليمية المدرجة في التعليم والتكوين، والتي يتوجب على القاضي الإحاطة بها، كما طالب بتوظيف خريجي جامعة الزيتونة أو الجامعات الإسلامية الأخرى، لتكوين القضاة، ونادى بتأسيس مجلس أعلى لقضاء الإسلامي يكون منفصلاً في تسييره عن القضاء الفرنسي، وإخضاع محاكم الإستئناف التي تتولى الفصل في القضايا الخاصة بالجزائريين المسلمين إلى قضاة مسلمين<sup>(4)</sup>، وقال في هذا الشأن: "... يجب توسيع برامج التعليم القضائي في مادة

(1) - محمد البشير الإبراهيمي، فصل الحكومة عن الدين، البصائر، العدد 109، 10 جمادى الأولى 1329هـ / 27 فيفري 1950، ص 159.

(2) - نفسه.

(3) - نفسه.

(4) - غفاف زقورة، المرجع السابق، ص 120.

العربية والفقه والأصول ودراسة التفسير والحديث ومآخذ الأحكام منهما وتاريخ القضاء في الإسلام وفلسفه التشريع وعلم النفس، كذلك يجب فتح الباب لقبول علماء مدرسين لتلك العلوم من المتخرجين من جامعة الزيتونة أو غيره، لا تعتبر فيهم إلا الكفاءة لما يراود منهم<sup>(1)</sup>، أما في الوظائف القضائية فنصح بإدخال عناصر من المتخرجين الزيتونيين أو غيرهم من المعاهد، وتكوين مجلس قضائي أعلى في السلطة العليا، يهتم بتسيير القضاء، ليكون سلطة مستقلة عن القضاء الفرنسي، وتكوين محاكم إستئناف إسلامية ذات سلطة إسلامية محصنة تستأنف إليها الأحكام الأولية، لأن حكم القاضي المسلم لا يمكن أن ينقضه إلا قاض مسلم.

كما عارض أهل الحل والعقد في منطقة الزاوة من خلال العريضة المضادة التي نشرتها جريدة البصائر سنة 1948م، تحت عنوان: "الرجوع إلى الأصل"<sup>(2)</sup>، ما قام به الإستعمار الفرنسي من إخضاع التشريع القضائي إلى العرف، إذ دعي الممضون على العريضة التي أرسلت إلى الولاية العامة للحكومة الجزائرية، إلى إلغاء القوانين المتعلقة بالأحوال الشخصية لمنطقة زواوة والعودة إلى تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية في الزواج والطلاق وما يتفرع عنهما من معاملات إدارية، تخص مسائل الميراث والوصية والحجر، منتقدين العودة إلى العرق الذي يعتبر مطلب عزيز من مطالب الإستعمار الفرنسي، وتكفل الصالحي صالح من تيزي وزو بإرسال العريضة نيابة عن جميع الموقعين عليها<sup>(3)</sup>.

### المبحث الثاني: جمعية العلماء في مواجهة الخطاب الطرقي والاستعماري.

#### المطلب الأول: الصراع بين جمعية العلماء والطرق الصوفية.

تعتبر فترة الثلاثينيات من القرن العشرين من أكثر المراحل التاريخية التي شهدت حدة في الصراع بين جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والطرقين بزواياهم، وهو ما تؤكدته الكتابات من الإتجاهين على صفحات الجرائد، فالصراع تناولته عدة دراسات تاريخية تميزت في غالبيتها بمناصرة طرف على حساب الآخر، مع أن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ضمت في صفوفها عند التأسيس سنة 1931م عددا من القوى الدينية التقليدية، والذين وصفوا بالشباب المجدد، إلا أن هذه الوحدة كانت مؤقتة بسبب إختلاف الرؤية الإصلاحية وأهدافها، إضافة إلى رغبة كل طرف في ترجيح كفة التأثير الإجتماعي لصالحه<sup>(4)</sup>.

لذا فقد تزامنت محاربة الطرق المبتدعة مع ظهور حركة الإصلاح الديني في الجزائر، لكون الصراع اشتد بين الطرفين بظهور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، رغم أنها ضمت المثقفين بمختلف انتماءاتهم الثقافية ودون إقصاء لأحد، بما فيهم ممثلي الزوايا الطرقية. كما تم ترك الحرية الكاملة لمن أراد الرحيل منها ممن كانوا يبحثون عن القيادة، ولم يؤثر خروج بعض أعضائها المؤسسين منها أي أثر على تقدمها، ولم يكن عدم انضمام غير الإصلاحيين إليها ليؤثر هو الآخر على

(1) - محمد البشير الإبراهيمي، فصل الحكومة عن الدين، البصائر، العدد 109، 10 جمادى الأولى 1329هـ / 27 فيفري 1950، ص 01.

(2) - للإطلاع على نص العريضة العودة إلى صالحي صالح، زاوية الكبرى تتمسك بعروة الإسلام الوثقى وتطلب الرجوع إلى الأصل، البصائر، العدد 59، 05 صفر 1368هـ / 06 ديسمبر 1948م، ص 03.

(3) - عفاف زقورة، المرجع السابق، ص 121.

(4) - نفسه، ص 136.



استمرارية نشاطها وتغلغله وسط الأمة الجزائرية، فقد لمعت أسماء القادة الإصلاحيين الأربعة الذين أشرفوا على رئاستها، وكان لها بفضلهم تأثير كبير على مواقفها خلال الفترة الممتدة من 1931-1956<sup>(1)</sup>.

وبعد النجاحات التي أحرزتها الحركة الإصلاحية من خلال نشاطها وإرساء فروعها عبر مختلف أنحاء الوطن والدعاية الواسعة التي قام بها ابن باديس ورفاقه، إغتناض الطريقون من الأمر لأن همهم لم يكن حركة التجديد الروحي والفكري والثقافي للجمعية، بقدر ما كانوا مهتمين بكسب القوة الدنيوية التي أصبحت مهددة بالإنحصار بسبب النشاط الإصلاحي للجمعية، فبدأوا بالبحث عن السلطة الإدارية داخلها للتحكم في تسيير مصالحهم الخاصة، وكانت إنتخابات اللجنة الإدارية للجمعية سنة 1932م فرصة سانحة للطريقين، ظهرت فيها نواياهم الحقيقية في الزعامة، وهو ما سبب أزمة داخل الجمعية، إلا أن علماء الإصلاح وعلى رأسهم ابن باديس ما كانوا ليسمحوا بالأمر<sup>(2)</sup>، فانسحب الطريقون من الجمعية.

من هنا اتجهت الحركة الإصلاحية في عامها الثاني لمحاربة الطرق الصوفية المبتدعة واتخذت هذه العملية عدة مظاهر اختلفت باختلاف مراحل الإصلاح<sup>(3)</sup>، ولعل هذا راجع بشكل كبير إلى ما اتسم به عصر ابن باديس من سيطرة للطريقة على التفكير الإسلامي إلى حد كبير فسبب تعطيلًا لمختلف الطاقات الاجتماعية للأمة، ونعني هنا الطرق التي سارت في فلك الإستعمار وأطروحاته الساعية لطمس ثوابت الأمة الجزائرية، وتغييب الوعي الفكري للجزائريين. وظهر التأثير السلبي للطريقين على المجتمع الجزائري من خلال ما تم زرع من معتقدات تدعو للخمول والكسل والتقاعد عن مقاومة الإستعمار، مثل قولهم: "الآخرة لنا والدنيا للكفار"، " نأكل القوت وننسى الموت"، "الله قدر علينا الإستعمار الفرنسي فلا تجوز مقاومته"<sup>(4)</sup>، لذلك فمقاومة الصوفية المبتدعة إرتبطت بإصلاح العقيدة إرتباطًا وثيقًا<sup>(5)</sup>، وتبر مظاهر الخلاف بين جمعية العلماء المسلمين والطريقين في النقاط التالية:

**- نقد معتقدات الطرق الصوفية:** حيث يعتبر الاصلاحيون أن الطرق الصوفية بدعة لم يعرفها السلف، بنيت على اعتقادات واهية، تقوم على الغلو في المشيخة والتحيز لأتباعها، وخدمة أهلها، وهو ما يعتبر استغلالاً وتحميداً للعقول والشعور<sup>(6)</sup>، ويقول توفيق المدني أن تركيبة الطرق الصوفية وممارستها أدخل الوثنية للإسلام<sup>(7)</sup>، فيما هاجم البشير الابراهيمي طقوس الطريقين قائلاً: "القوم عارفون بالله، وإن لم يدخلوا كتابًا ولم يقرأوا كتابًا، وكل من ينتسب إليهم عارف بالله بمجرد الانتساب، أو بمجرد الحضوة من شيخه وقد كان قداماؤهم يتخذون من مراحل التربية مدارج

(1)-Ahmed Sarri, op cit , p 67.

(2)- زيلوخة بوقرة، سوسيولوجيا الإصلاح الديني في الجزائر "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين نموذجًا"، مذكرة ماجستير في علم الاجتماع الديني، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية، قسم علم الاجتماع والديموغرافيا، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 2009، ص 141.

(3)- سامية جفال، المرجع السابق، ص 71.

(4)-عمار طالي، عبد الحميد ابن باديس حياته وآثار، مج 1، المصدر السابق، ص 21.

(5)- محمد البشير الإبراهيمي، الطرق الصوفية، مكتبة الرضوان، الجزائر، ط 1، 2008، ص 05.

(6)-عبد الحميد ابن باديس، دعوة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأصولها، الشهاب، ج 04، مج 13، ربيع الثاني 1356 هـ / 11 جوان 1937م، ص 198.

(7)-أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، المطبعة العربية، الجزائر، دون سنة، ص 351.

للوصول إلى معرفة الله فيما يزعمون، وفي ذلك تطويل المسافة، وإشعار أن المطلوب شاق...ومن تنقيحاتهم تحديد مراحل التربية (الخلوية) لمعرفة الله بثلاثة أيام (فقط لا غير) تتبعها أشهر أو أعوام في الانقطاع لخدمة الشيخ...ولئن سألتهم لِمَ نزلتم مدة الخلوة إلى ثلاثة أيام، ليقولن فعلنا ذلك مراعاة لروح العصر الذي يتطلب السرعة في كل شيء، فقل لهم قاتلكم الله، وَلَمْ نقصتم مدة الخلوة وَلَمْ تنقصوا مدة الخدمة أيها الدجاجة<sup>(1)</sup>، كما اعتبر علماء الإصلاح أن التوسل شرك بالله وحاربوا كل من يدعي امتلاكه لصفات وقدرات خاصة كصفة الربوبية<sup>(2)</sup>.

**-نقد التنظيم الهيكلي للطريقة:** انتقد العلماء النظام الهرمي الذي بُيِّتَ عليه العلاقات الدينية داخل الطرق الصوفية، الشبيهة بالنظام الكهنوتي، والبعيدة كل البعد عن الكتاب والسنة، وقيامها على مبدأ الخضوع للشيخ، الذي يجلب باللقاب تتصف بالذات الإلهية، ورفع مكانته عند السواد الأعظم من الناس تعدت مكانة الله عز وجل<sup>(3)</sup>.

**-نقد المظاهر الاجتماعية الناشئة عن الطريقة:** أشار العلماء أن أهم الأخطار التي نجمت عن ممارسة الطريقة، هي إنقسام الأمة بين مشايخ ومقدمين وإخوان، بدل التساوي في الحقوق والواجبات بين كل الجزائريين، وخلقت هذه الاختلافات التعصب للأتباع، فكل واحد له طريقة يناصرها، وافترق الناس ولم يعودوا يجتمعون في العبادات الشرعية<sup>(4)</sup>.

**-نقد النزعة الاستغلائية لدى مشايخ الطرق:** انتقد علماء الإصلاح لما ابتدعه الطرقيون من عادات لأنفسهم، كالزيارات والهدايا وما تكلفه من أموال، واستجلبوا الزكاة لأنفسهم، إضافة إلى تشريعهم لعادات اجتماعية واقتصادية "كالتوزيع" أو "المعونة"، ووضح الشيخ في ترتيب الأولويات قبل أهل البيت.

وفي المقابل كان الطرقيون يرون أن تعلم الفتاة مرفوض، عدى حفظها بعض الآيات القرآنية، ثم توجيهها لأعمال البيت، كما انتقدوا ما جاء به الإصلاحيون من تعاليم رافضة لممارسات الطرقيين، واتهموهم بتشويه الإسلام، كما رفضوا ما دعى إليه المصلحون من فصل للشؤون الدينية للمسلمين عن الدولة<sup>(5)</sup>، وترجع دوافع الجمعية لمحاربة الطرقيين إلى:

-إن المستفيد الأكبر من نشر المعتقدات الضالة هو الإستعمار، وخدمة أهدافه، من خلال تخدير عقول الجزائريين لكسب ولائهم له وعدم مقاومته، وسلخهم من إنتمائهم الوطني، وإبعادهم عن الإسلام الصحيح، وهو المنطلق الذي استهل منه ابن باديس وعلماء الجمعية جهادهم لإعادة الشخصية الجزائرية إلى أصولها الحقيقية وإنتمائها التاريخي عن طريق تنوير العقول بكشف حقيقة الإستعمار ومخططاته ومحاربة الطريقة الموالية له، فكانت دعوة الناس إلى الإسلام الحقيقي عبر مناظرة الطرقيين بالحكمة والأدب مستنديين على الحجج الدامعة والأدلة المقنعة لدحض الشكوك، وقد شدد علماء الجمعية على محاربة الطريقة إلى الحد الذي بلغ تدبير محاولة إغتيال ابن باديس. ففي مقال نشره ابن باديس في مجلة "الشهاب" تحت عنوان "لماذا حارب الشهاب الطريقة؟" قال: "حاربنا الطريقة لما عرفنا فيها-علم الله- من بلاء على

(1)- سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، المطبعة الجزائرية الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، 1935، ص 243.

(2)- أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، المصدر السابق، ص 351.

(3)- أحمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المرجع السابق، ص 184-185.

(4)- نفسه، ص 185.

(5)- نفسه، ص 185-186.

الأمة من الداخل ومن الخارج فعملنا على كشفها وهدمها مهما تحملنا في ذلك من صعاب وقد بلغنا غايتنا والحمد لله<sup>(1)</sup>.

- عدم توافق المشروع الإصلاحى لابن باديس رفقة العلماء القائل على إحداث نخضة علمية ودينية مع أهداف الطريقة المبتدعة، فالعلماء عملوا على توحيد الفكر في مختلف أرجاء الجزائر بعد أن مزقته الطريقة بالصراعات بين أتباع شيوخها<sup>(2)</sup>، ولقد توصل الحميد ابن باديس والإبراهيمي سنة 1931م من خلال درايتهما بحالة الجزائر الاجتماعية إلا أن البلاء المنصب عليها إنما هو "آت من جهتين متعاونتين عليه، أو بعبارة أوضح من إستعمارين مشتركين يمتصان دمه ويفسدان عليه دينه ودينه، استعمار مادّي هو الاستعمار الفرنسي... واستعمار روحاني يمثله مشايخ الطرق المؤثرون في الشعب والمتغلغلون في جميع أوساطه، والمتجرون باسم الدين والمتعاونون مع الإستعمار عن رضا وطواعية"<sup>(3)</sup>.

- إن جميع المستحدثات التي جاءت بها الطرق الصوفية المبتدعة، هدفت لخدمة مصالحها الدنيوية، وهو بعيد عن ما يدعوا إليه الإسلام، وساهمت بذلك في إفساد عقول الناس وإبعادهم عن النهج الصحيح ما انعكس سلبا على الأمة الجزائرية كلها، مشكلا خطرا عليها بتلاشيها وإضمحلالها من الوجود، وهو ما جعل الجمعية تعتبر الطريقة "علة العلل في الإفساد ومنبع الشرور وإن كل ما هو متفش في الأمة من ابتداء في الدين وضلال في العقيدة وجهل بكل شيء وغفلة عن الحياة والإلحاد في الناشئة، فمنشؤه من الطرق ومرجه إليها... وأنها سبب تفرق المسلمين"<sup>(4)</sup>، وكانت الجمعية ترى أن المخرج الوحيد من الأزمة الجزائرية لن يتحقق إلا بمحاربة الطرق المبتدعة، لأن نجاح الإصلاح مرتبط بالقضاء على الخرافات التي نشرتها هذه الطريقة وسط المجتمع وضللت بها أفراد الأمة<sup>(5)</sup>، ومما قامت به جمعية العلماء لمواجهة الخطاب الطرقي والإستعماري وسط المجتمع الجزائري نجد:

#### - تغيير المفهوم الديني السائد في المجتمع الجزائري:

كان ابن باديس يرى أن من أسباب عزوف الناس عن الدين الصحيح وانخراطهم في الطرق الصوفية، هو ما أصاب المذاهب الفقهية من تعقيدات صعبت في فهم أحكامه بسهولة ويسر، لذلك لجأوا إلى الطريقتين الذين أباحوا التحلل والتكلف، كما رأى أن السبيل الوحيد لتغيير هذا المفهوم الخاطي، هو العودة بالإسلام إلى منابعه الأولى للسلفية الصادقة وانتهاج التفسير العقلي<sup>(6)</sup>، لذا عمل علماء الجمعية على نشر المفهوم الصحيح للدين، من خلال تفسير القرآن

(1) - مركز البحوث والدراسات، التجربة الدعوية للشيخ عبد الحميد بن باديس، مجلة البيان، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1435هـ، ص 97.

(2) - محمد البشير الإبراهيمي، الطرق الصوفية، المصدر السابق، ص 51.

(3) - مسعود فلوسي، الإمام عبد الحميد بن باديس، دار قرطبة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 1، 2006م، ص 96.

(4) - عبد الكريم بوصفصاف، "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطورها في الحركة الوطنية الجزائرية (1931-1945م)"، أطروحة

ماجستير في التاريخ، معهد العلوم الاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 1983م، ص 204.

(5) - عبد الرحمن بن بوزيان، موقف الطرق الصوفية من نشاط الشيخ محمد البشير الإبراهيمي بتلمسان (1932-1939م) - الطريقة الدرقاوية

والعلوية أمودجا -، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، العدد 03، الجزائر، دون سنة، ص 230.

(6) - أحمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المرجع السابق، ص 177.

تفسيراً صحيحاً، وإقامة حلقات الوعظ والإرشاد، ودعوة الناس للتمسك بأهداف دينهم القويم، والابتعاد عن البدع والخرافات، وبفضل نشاطهم هذا وثباتهم على دعوتهم، تمكنوا من توعية الناس الذين بدأوا يتخلون عن كثير من العادات الخاطئة، والاعتقادات التي لا علاقة لها بالإسلام، كزيارة الأضرحة والتوسل لها، وقراءة قصيدة البردة "للبيصري" في الجنائز<sup>(1)</sup>.

### -خروج الحركة الإصلاحية من قسنطينة وانتشارها في مختلف أنحاء الوطن:

استهدفت الحركة الإصلاحية ضمن دعوتها القضاء على الطرق الصوفية المبتدعة التي اتخذت من الزوايا مقراً لها<sup>(2)</sup>، وقد انحصر الصراع بين المصلحين والطريقين في بادئ الأمر بعمالة قسنطينة باعتبارها مركز بداية الدعوة، ونظراً لافتقار المنطقة على مدافعين أقوياء من الطريقين قادرين على الوقوف في وجه علماء الإصلاح<sup>(3)</sup>، فقد امتدت الدعوة إلى وسط الجزائر وغربها وكلما اتسعت دائرة الانتشار وكلما زادت حدة الصراع بين الاتجاهين<sup>(4)</sup>، ولم تخف حدته إلا مع الشروع في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بعد الاحتفالات المثوية للاحتلال الفرنسي للجزائر، وهو ما خلق تقارباً مشتركاً لمواجهة الاستفزازات الاستعمارية<sup>(5)</sup>، إلا أن هذا التقارب لتأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لم يكن ليؤثر على نشاطها، لأن الإصلاحيين استمروا في مناوئتهم للطريقين في مقابل اتهام الطريقين لجمعية العلماء أنها أصبحت جمعية مصلحين، وخرجت عن منحها الأساسي المرجو منها لإصلاح ذات البين بين الفريقين، وراح كل طرف يحاول الاستئثار بالجمعية، ورجحت الكفة للإصلاحيين<sup>(6)</sup>، ما اضطر الطريقين إلى تأسيس جمعية علماء السنة الجزائريين<sup>(7)</sup>.

### -ثبات علماء الجمعية على مبادئ الإصلاح لشكريس المرجعية الدينية الشرعية الصحيحة :

أثار النشاط المتنامي لجمعية العلماء المسلمين حفيظة الطريقين ورجال الزوايا الموالين للإستعمار، فعملوا على إعتراضها لخروجها عن المألوف، فنادوا إلى التوحد لإطفاء ما يوقده العلماء من مصاييح على حد تعبير البشير الإبراهيمي، الذي قارن بين ما يقوم به رجال جمعية العلماء المسلمين وعلماء السنة قائلا: "إننا ندعوهم إلى السنة وهم يدعون إلى البدعة ونحن ندعو إلى أخوة الإسلام نشد بكتاب الله حبالها ونجمع بسنة رسول الله أوصالها، وهم

(1)-أحمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المرجع السابق، ص 178.

(2)-هناك زوايا أقامها أصحابها من أجل العلم والعبادة ولم تتخذ مريدين طريقين، مثل زاوية الهامل المشهورة، يُنظر: أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، الجزء الثاني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1977، ص 93.

(3)-أحمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المرجع السابق، ص 179.

(4)-أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج 02، المصدر السابق، ص 107.

(5)-علي مراد، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر "بحث في التاريخ الديني الاجتماعي من 1925-1940"، ترجمة محمد بجاتن، دار الحكمة، الجزائر، 2007، ص 172.

(6)-أحمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المرجع السابق، ص 179-180.

(7)-علي مراد، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر، المرجع السابق، ص 173.

يدعوننا إلى الفرقة وخلاف الطرق وإننا نذكر الأمة بكتاب الله وما صح من سنة نبيه وهم يذكرونها بالطلبل والمزمار"<sup>(1)</sup>.

إضافة إلى هذا عملت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين على نشر كتب التفسير والحديث الموثوق بها وزاومت الكتب المظلمة للناس من خلال بداية تداولهم للأحاديث الصحيحة في المجالس والإستدلال بها في كلامهم<sup>(2)</sup>، ومما لا شك فيه أن إنتهاج الجمعية لتفعيل التعلم المسجدي على أرض الواقع ونشر الفكر النهضوي الهادف لاسترجاع مقومات الهوية الوطنية إنطلاقاً من الدين، خلق صدام مع القوى الدينية المتجذرة تاريخياً في الجزائر، والتي لها شرعية أسبقية التواجد والتأثير الاجتماعي بحكم طول الفترة الزمنية الطويلة لظهورها، منذ قبل حتى الإحتلال الفرنسي، إلا أن الجمعية إستمرت في مسعاها للظفر بالمرجعية الدينية الشرعية للجزائريين المسلمين، رغم طول أمد الصراع مع هذه القوى الدينية التقليدية في الجزائر، وانعكاساته الإقتصادية والإجتماعية التي أخذت بعداً سياسياً للمسألة<sup>(3)</sup>.

بعد الإنشقاق الذي حدث سنة 1932م بين الإتجاهات الدينية، وانسحابها من جمعية العلماء، ظهرت عدة دعوات للوحدة ولم الشمل، وقد ردت الجمعية على لسان رئيسها ابن باديس عبر جريدة "السنة النبوية الحمدية" في مقال مطول بعنوان: "جواب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين عن الدعوة إلى الصلح التي أذاعتها جريدة النجاح بعددها الصادر يوم 7 ماي سنة 1933م نحن لا نرفض الصلح ولكن نرفض (شروط الحافظي) - أقسم أن حكم- هذه شروطهم فأين تقع شروطنا"، حيث قال فيه "... إن المعنى الذي وقفنا عليه أنفسنا من الإصلاح الديني يرجع في غايته إلى إزالة الخلاف بين المسلمين وما وقفنا موقف الخصم للطرق إلا لما علمنا أن من آثارها اللازمة تفرغ كلمة المسلمين، فأثارنا رضى الله على رضاها... إن الصلح لا يكون صلحاً إلا إذا لم يحرم حالاً ولم يحل حراماً ولم يمت سنة ولم يحيي بدعة ولم يعرف منكراً ولم ينكر معروفاً، فما بالك تدعو يا أستاذ إلى الصلح وتقيده بشروط من معانيها إقرار البدع والمنكرات والسكوت عنها ومن معانيها تثبيت الضلال وإعانتة بالنفس والمال. ومن معانيها تعطيل النظر والإستبدال... نحن نرى أنه لا خلاف بيننا وبينكم في حقيقة الأمر إلا في أشياء نسميها بدعاً وننكرها ونشدد في إنكارها، وتسمونها سنناً وتأتونها وتصرون عليها وتلتمسون لها المخارج والتأويلات ونحاكمكم في هذا إلى كتاب الله وسنة رسوله وهدى السلف الصالح من أمتة"<sup>(4)</sup>.

أشار ابن باديس إلى موقفه من الطرق الصوفية من خلال مقال نشرته جريدة البصائر سنة 1939م تحت عنوان: "بيني وبين طريقي مصارحة واعتراف"، حيث عرج الشيخ في بداية حديثه عن قدم معرفته لشيخو الطرق الصوفية، لكن هذه العلاقة لم تدم طويلاً لمفارقتها لهم نهائياً، ونوه ابن باديس أن معرفته بهم كانت بهدف ليتعاونوا معاً على خدمة الجزائر

(1) - عبد الحميد زوزو، الثقافة والتعليم الحر والرسمي في العهد الإستعماري، المرجع السابق، ص 77.

(2) - محمد البشير الإبراهيمي، موقف الجمعية من التعليم، سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، دار المعرفة، الجزائر، 2009، ص 51.

(3) - عفاف زقورة، المرجع السابق، ص 136.

(4) - عبد الحميد ابن باديس، جواب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين عن الدعوة إلى الصلح التي أذاعتها جريدة النجاح بعددها الصادر يوم 7

ماي سنة 1933 " نحن لا نرفض الصلح ولكن نرفض شروط الحافظي " أحصم أم حكم هذه شروطهم فأين تقع شروطنا، السنة النبوية الحمدية، العدد

08، 29 ماي 1933م، ص 08.

بالإسلام والعربية أو ليعمل معهم في سبيل الإسلام والعربية والجزائر، لكن مفارقتهم لهم كانت بعد معرفته لتناقض غايته مع مسعى الطرفين، وهناك من الناس من عرف هذه الحقيقة فتفهم موقف الشيخ من المسألة، ولم يحمل له البغض وأبقى الأمر ضمن حدود الرد الشخصي المحتفظ به لصاحبه، ووضح ابن باديس أكثر من خلال سرده لحادثة لقائه الذي كان صدفه مع أحد الطرفين أثناء رحلة سفره، وعبر بصراحة عن إختلاف فكرته مع فكرة الطرفين لكون المسألة متعلقة بشعب معرض للخطر في مقومات هويته الوطنية، ولا يتوقف عند حدود شخصنة المسألة، حيث قال: "...وأنتي لم أستطيع أن ألقاك وأنت تعمل لغاية هي ضد ما أعمل إليه، وقلت له إن العلائق الشخصية قد جمعت الآن بيننا، ولكن الموقف العام فرق بيننا غاية التفريق، فأخذ يشي على شخصي الضعيف وييدي من الأسف على عدم إتصالنا ببعضنا وإن اختلفنا في الفكرة، ويذكر عن كثير من أعضاء الجمعية الطرقية مثل ما يقول، فقلت: إن المسألة ليست مسألة شخص بل هي مسألة شعب معرض للخطر في دينه ولغته، فبينما رجال جمعية العلماء يلقون كل عناء ويلاء في سبيل الإسلام ولغة الإسلام إذا أنتم على الضد من ذلك..."<sup>(1)</sup>.

وجدد ابن باديس سنة 1939م دعوته إلى العمل الموحد لأهمية المسألة بالنسبة للجمعية، والتي تخص إستقلال الأمة الجزائرية في العمل بدينها ولغة دينها، وأوضح أن الفكر الطرقي انكشفت معالمه، وصدر الجزائر لا يمكن أن يضيق عن فكرتين، لذا دعى الشيخ الطرفين إلى البقاء على طريقتهم لكن مستقلين عن تحكم الإدارة الإستعمارية فيهم ولا يكونوا أداة في يدها، حيث قال: "... ليست مسألة إصلاح وطرقية، وإنما هي مسألة إستقلال في العمل للدين ولغة الدين، إن الطرقية اليوم قد انجلى أمرها للناس فلا يهمن أن تبقى للزمان، ومن المحال أن يضيق صدر الجزائر عن فكرتين أو مذهبين أو دينين... اتفقوا على طريقتكم، وكونوا مستقلين مثلنا، ودعوا الإدارة لشأنها وتعالوا نعمل يدا واحدة، لا أقول لكم كونوا أعداء للإدارة ولا كنا نحن أعداء لها، وإنما أقول لكم لا تكونوا كما لم تكن آلة في يد أحد. إنني قلت وكتبت مرارا أن كل شيخ يتقدم لخدمة الإسلام والعربية مستقلا بوحى ضميره فإنني أمد له يدي وأعمل معه"<sup>(2)</sup>.

### المطلب الثاني: جمعية العلماء وودادية رجال الدين الرسميين.

إنتقد علماء الإصلاح رجال الدين الرسميين حتى قبل تأسيس جمعية العلماء، حيث تشير جريدة "المنتقد إلى مقال تحت عنوان "أين الجمعية الودادية؟" منتقدة فيه إياها على عدم قيامها بدورها الذي تأسست من أجله وهو ربط صلة المودة بين أفراد هذه الهيئة الذين كانوا من لرجال القضاء الشرعي، ورفع هذا الأخير إلى مستواه الصحيح، من خلال المحافظة على مركزه والدفاع عن الناموس الإلهي حتى يأخذ حقه بالموازاة مع القضاء المدني في الإحترام وصدور الأحكام، وتنفيذها، والسلطة التامة داخل إختصاصات هذه الهيئة الشرعية، ولا يتم ذلك إلا بحذف المواد القانونية التي عطلت

(1) - عبد الحميد ابن باديس، بيني وبين طريقي مصارحة وإعتراف، البصائر، العدد 161، 23 صفر 1358هـ/ 14 أفريل 1939م، ص01.

(2) - نفسه.



الأحكام الشرعية، التي تم تضيق مجالها نتيجة القوانين الإستثنائية، ولن يتم الوصول إلى هذه الأهداف إلا عن طريق المثابرة في الطلب بالرسائل المشروعة، والإحتجاج على إقتراح النواب بإلغاء المحاكم الشرعية بالقطر الجزائري<sup>(1)</sup>.

كما انتقد العلماء أداء الصلاة في المسجد الكبير بمناسبة الإسرائء والمعراج لنصرة فرنسا، وهي الصلاة التي حضرها العقبي، وأدت إلى مناوشات بينه وبين رجال الدين الرسميين، واعتبر العلماء المسلمون هذا الأمر منافي للمعاني الدينية للمناسبة، كما اعتبروا أنه كان من الأجدر الصلاة من أجل تحسين مصير المسلمين وقراءه " يا لطيف " عوض دفعهم للموت<sup>(2)</sup>.

وللإشارة فقد تقاسم الوعاظ الإصلاحيون لجمعية العلماء المساجد الرسمية في مدينة قسنطينة مع رجال الدين الرسميين بما يعادل 10 وعاظ رسميين مقابل 08 وعاظ إصلاحيين بمناسبة حلول شهر رمضان لعام 1955م، وهو ما زاد من الدعم الشعبي لرجال الإصلاح خصوصا على مستوى المسجد الكبير بقسنطينة، الذي أصبح يلقي محاضرات ودروس في الإصلاح، وهو نفس الوضع الذي سار عليه مسجد سيدي لخضر الذي أشرف عليه الشيخ أحمد حماني، وزاد دعم الجمعية للثورة في 29 أفريل 1955م بعد إصدار طلبة المعهد الباديسي بقسنطينة فتوى تعتبر الثوار مجاهدين من أجل الدين الإسلامي وثوابت الأمة، وأجازت لهم الإفطار في شهر رمضان<sup>(3)</sup>.

ويعتقد ابن الحاج الجزائري أن جمعية العلماء المسلمين أدت ما عليها من جهاد الكلمة خلال وقت حرج من تاريخ الجزائر، ولم يدخر علماءؤها جهدا في ذلك، لكون هذه القضية لم تحمد إلا مع سنة 1952م بوفاة "العاصمي" من رجال الدين الرسميين والزواوي من رجال الدين الرسميين المحسوب على إصلاحيين جمعية العلماء المسلمين، ورحلة البشير الإبراهيمي إلى المشرق العربي، وفشل النضال السياسي وظور بوادر العمل المسلح التي إنتهت بإندلاع الثورة التحريرية سنة 1954م<sup>(4)</sup>.

### **المطلب الثالث: مواجهة جمعية العلماء للخطاب الديني الاستعماري باللغة العربية.**

وظف الإستعمار الفرنسي كل الوسائل والآليات التي تمكنه من القضاء على الهوية الجزائرية بمختلف مقوماتها وعناصرها، ونظرا لإدراك الفكر الإستعماري خطورة الخطاب الديني باللغة العربية، ومدى التأثير الكبير لرجال وعلماء الإصلاح على المجتمع، من خلال قوة خطاباتهم باللغة العربية، عمدت إلى الإستثمار في هذا الأمر عبر أثير الإذاعة ومختلف قنوات "راديو الجزائر"، الذي بدأ في الإنتشار وسط المجتمع الجزائري لحدائه ظهوره، وبدأ الإعتماد عليه في رصد حركية المجتمع، سواء من ناحية مضمون برامجهم أو من ناحية إستغلال وظيفته.

(1) - المولود بن الصديق الحافظي الأزهري، المنتقد، العدد 11، وزارة الثقافة، الجزائر، الخميس 21 صفر 1344هـ/ 10 سبتمبر 1925م، ص 45.

(2) - عقاف زقور، المرجع السابق، ص 50.

(3) - بشير بلمهدي علي، موقف الأطراف الدينية الثلاثة (الزوايا، المساجد الرسمية وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين) من الثورة التحريرية في سنتها الأولى 1954-1956م، المرجع السابق، ص 261.

(4) - أبي يعلى الزواوي، خطب أبي يعلى الزواوي 1866-1952، عناية: عادل بن الحاج همال الجزائري، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط 01، 2008، ص 159.

فمرحلة الثلاثينيات عرفت نهايتها محاولات للإدارة الإستعمارية من أجل إيجاد شخصية دينية إصلاحية مسلمة لها تأثير قوي، توظفها للدعاية خدمة لمصالحها عبر إذاعة الجزائر، وأشارت بعض المصادر الفرنسية أن شخصية إسرائيلية من مدينة الجزائر مشهورة بنشاطها في المحيط الإسلامي، إقترحت على الإستعمار السماح للشيخ ابن باديس بصفته رئيس العلماء تقديم دروس على أمواج راديو الجزائر، لتأثيره لصالح سمعة فرنسا داخليا وخارجيا، وتم إختياره لعدة اعتبارات، من بينها ما يتمتع به من قدرات لغوية وإمكانيات علمية وجمال الصوت العربي والمحتوى الديني الخالص في دروسه، ونبه نفس الشخص الإسرائيلي<sup>(1)</sup> الذي لم تفصح المصادر عن اسمه، خطورة هذه الخطوة نظرا لإمكانية تجاوز خطاب الشيخ لبعده الديني، لذا إقترح متابعة خطابه والإشارة إليه بالتوقف عن التعمق في فكرة ما، إذا كانت لا تخدمها<sup>(2)</sup>.

كان الهدف الأساسي من هذه الخطوة الإستفادة من تأثير ابن باديس على الجزائريين، وباقي الإصلاحيين، لينتهجوا نفس نهج رئيسهم وإمتداد التأثير إلى شخصيات وطنية أخرى لكسب ولائها، مع العلم أن الإستعلامات الفرنسية إقترحت على العقبي مدير الشؤون الأهلية أنذاك تقديم محاضرات دعائية ضد الألمان على أثر إذاعة الجزائر، غير أنه رفض الفكرة لإلتزامه الحياد في ممارسة السياسة، وهو ما يوضح أن علماء الجمعية كانوا مهتمين بمتابعة تأثير المدرسة الفرنسية على اللغة العربية، خصوصا على أثر الإذاعة نظرا لخطورة إستغلال الخطاب الديني من طرف فرنسا، وإنعكاساته على الأبعاد الهوياتية للأمة، والتي ستضرب في العمق بإستعمال لغتها العربية، وقد إستنكرت جريدة البصائر سنة 1936م في مقال لها بعنوان "آفة الراديو وخطره على الأخلاق"، وإعتبرت ما يبيته الإستعمار على الراديو يمس مباشرة بالثقافة العربية الإسلامية للجزائر، وتنفيذ لمشاريع سياسية تحت غطاء ديني<sup>(3)</sup>.

ومما جاءت في المقال "... إن موقفنا منه موقف حيرة وارتباك لحال الاستفادة بما فيه من الإتصال بالعالم الخارجي... تسمع مرغما إلى عشرات القطع التي يمحها الذوق والسمع لما فيها من الدعارة والمجون... ويكفي أن نذكر لك عنوان هذه الأسطوانة "ليلة مع البنات" لتعرف مبلغ ما فيها من الدعارة والتسفل الأخلاقي... هكذا هذه الألفاظ على التوالي وبصفة تثير الإحساسات الجامدة، وتسمع لربات الخدور بالإنتلاق من القيود العائلية والتلهف على حياة الخلاعه والمجون..."<sup>(4)</sup>.

وبالإضافة إلى أن الراديو لم يكن الوسيلة الوحيدة التي واجهتها الجمعية، بل تم مواكبة المسرح وتأثيراته على الرأي العام الوطني بسبب تغلغله داخل المجتمع الجزائري، ومن خلال الإنتقادات التي كانت تنشرها جريدة البصائر والموجهة ضد الإذاعة والمسرح خصوصا، نستنتج مدى الإهتمام الذي أولاه رجال الإصلاح في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لمتابعة مختلف الفقرات التي تم التطرق لها، فقد إنتقدوا توظيف المسرح في نشر ما يناهز الأخلاق الإنسانية، والسعي إلى محاربة العلم والدعوة للجهل، كالخوض بالبرهنة على أمية بعض الصحابة، ورغم إنتقاد الجمعية من خلال البصائر لما قدمه محي

(1) - رجحت عفاف زقور أن تكون الشخصية الإسرائيلية هي "إيلي جوزلان" أو "غزلان" لعلاقته المعروفة مع الإصلاحيين خصوصا الطيب العقبي وتردده على نادي الترقى.

(2) - عفاف زقورة، العلماء وجدل المرجعية الدينية في الجزائر، المرجع السابق، ص 121-122.

(3) - نفسه، ص 122-123.

(4) - الفتى المغربي، آفة الراديو وخطره على الأخلاق، البصائر، العدد 6، 13 ذي القعدة 1354هـ/07 فيفري 1936م، ص 05.

الدين بشطارزي في فيفري 1952م، لحتوى مسرحية "أجبد يماهم" المشكوك في قيمتها للأمة الجزائرية، وهو ما اعتبرته الجريدة محاربة للتعليم العربي، مع أن بشطارزي إعتذر مسبقا لعدم إقتناعه بمحتواها<sup>(1)</sup>، إلا أن الجمعية نفسها أثنت على بشطارزي في مجلة الشهاب، حيث ربطته علاقة مع رجال الإصلاح منذ ثلاثينيات القرن العشرين، إذ كانت له مشاركة في إحتفالات الجمعية الخيرية الإسلامية بحضور الطيب العقبي<sup>(2)</sup>، وأنشد وقتها أنشودة الجزائر القومية التي حملت في مضمونها معاني الإستفاقة لأبناء الأمة الجزائرية<sup>(3)</sup>.

لقد بينت البصائر مسعى الإذاعة في الدعاية لرواية "أجبد يماهم"، بسبب العلاقة الواضحة بين وقت عرضها على المسرح ووقت إذاعتها ومغزاها الواضح في محاربه المدرسة والمسجد ومدرسي اللغة العربية وإهانة التعليم العربي الحر، والتقليل من شأن معلمي اللغة العربية الأحرار، وخريجي جامع الزيتونة، والاستخفاف بدورهم الكبير في إحياء الأمة الجزائرية بإنقاذها من الجهل، الذي لم تفضله حسب مضمون المسرحية على العلم، مستدلين بما كان عليه حال بعض الصحابة<sup>(4)</sup>، كما اعتبرت جريدة البصائر أن الدعاية التي قامت بها إذاعة الجزائر للمسرحية عمل يستثير مشاعر المسلمين من خلال إساءتها للدين واللغة العربية بفتاويها الخارجة عن الدين وتشويهه للغه القرآن<sup>(5)</sup>.

وكانت لهجة الإبراهيمي شديدة عند إنتقاده للإذاعة الجزائرية في إتباعها لحملة الدعاية ضد مقومات الأمة الجزائرية من خلال زرعها الفتنة بين البربر والعرب، من خلال تخصيص مترجمين للقبائلية أمام الناطق بالعربية في المجلس الجزائري، وإذاعة الأخبار والأغاني القبائلية مع أن من يملكون هذه الوسيلة أغلبهم من سكان الحضر، الذين لا يجيدون القبائلية التي يتقنها سكان الجبال وإمكاناتهم لا تسمح لهم بإقتناء المذياع، نتيجة ما لحق بهم من ضرر إقتصادي حرّمهم من نور العلم، وتساءل عن معنى التدجيل على القبائل بلغتهم؟ وتخصيص مترجم للقبائلية والأغلبية يحسنون الفرنسية<sup>(6)</sup>.

#### المطلب الرابع: علاقة جمعية العلماء المسلمين بالزوايا التعليمية.

كانت مؤسسات التعليم القاعدي والمتوسط والعالي في الجزائر قبل الاحتلال هي المساجد والكتاتيب والزوايا وبرامجها الدراسية هي حفظ القرآن وتعليم الفقه الإسلامي على مذهب الإمام مالك وشرح وتحفيظ متن ابن عاشر، ورسالة أبي زيد القيرواني، وأسهل المسالك، ومختصر الشيخ خليل، وموطأ الإمام مالك، وتدرّيس العقيدة الأشعرية، وتعليم اللغة العربية قراءة وكتابة، والحساب جمعا وضربا وطرحا وتكسيرا، والحكم العطائية لابن عطاء الله السكندري، وهي المناهج التربوية ذاتها المعتمدة في جامع الزيتونة بتونس، وجامع القرويين بفاس.

إنتشرت الزوايا في الجزائر عبر مختلف أنحاء الوطن، خصوصا في منطقة القبائل التي تجاوز عددها الخمسين زاوية، وهي نوعان: الزوايا التي أسست لعبادة الله تعالى وتحفيظ القرآن وتعليم الدين ونشر القيم والفضائل الإسلامية ودراسة

(1) - معلم، المسرح البلدي والإذاعة الجزائرية يجاريان التعليم العربي، البصائر، العدد 184، 13 جمادى الثانية 1371هـ / 10 مارس 1952م.

(2) - غفاف زقورة، المرجع السابق، ص 126.

(3) - الفتى الزواوي، يوم الجمعة الخيرية الإسلامية بالعاصمة، الشهاب، ج 02، مج 11، صفر 1354 هـ / 5 ماي 1935م.

(4) - نفسه.

(5) - معلم، المسرح البلدي والإذاعة الجزائرية يجاريان التعليم العربي، البصائر، العدد 184، المصدر السابق والصفحة.

(6) - محمد البشير الإبراهيمي، اللغة العربية في الجزائر عقيلة حرة ليس لها ضرة، البصائر، العدد 41، 20 شعبان 1367هـ / 28 جوان 1948م.

العلم، وكانت تعتبر مدارس للتربية والتعليم وتهيئة النشء للمعاهد الإسلامية العالية، أما النوع الثاني فيتمثل في زوايا لأضرحة الأولياء الصالحين<sup>(1)</sup>، ولا نهمنا في هذا البحث، لذلك سنركز على النوع الأول من الزوايا لمساهمتها في التعليم.

فالزوايا كانت مؤسسات لتعليم الدين وتحفيظ القرآن الكريم، وحماية العقيدة الإسلامية للجزائريين من حملات التبشير وبقاء قيمه ومفاهيمه نظيفة خالصة، بالرغم من بساطة التعليم فيها إلا أنه ارتبط ارتباطاً وثيقاً بالأخلاق الإسلامية، فانعدام التحصيل الدراسي لا يلغي التحصيل الأخلاقي الذي يبوء الطالب مكانة مرموقة في المجتمع. وبهذا لعبت الزوايا الجزائرية منذ نشأتها دوراً بارزاً في الحفاظ على وحدة المجتمع وصون هويته وشخصيته الوطنية، ومثلت رقماً مهماً في خروج الجزائر من المحن والمصاعب التي شهدتها عبر تاريخها سالمة موحدة متماسكة، فحاربت الإستعمار الفرنسي بمختلف سياساته الرامية لتشتيت المجتمع الجزائري وطمس هويته وإضعاف بنيته لضمان بقاءه في البلاد، كما كان لها إسهامات في المحافظة على المكاسب الوطنية خلال فترة الإستقلال نظراً لانتشارها الواسع عبر مختلف أنحاء الوطن<sup>(2)</sup>.

لم يكن إختيار تاريخ تأسيس جمعية العلماء المسلمين اعتبارياً، فتاريخ 05 ماي يتوافق مع استشهاد محمد المقراني قائد مقاومة عنيفة ضد الاستعمار سنة 1871م رفقة أشرف وزعماء الأسر الدينية، والمقراني وغيره من قادة الثورات الشعبية كانوا أصحاب زوايا أو متخرجين منها، ممن تأصل فيهم الإسلام وتغلغل فيهم قيمه وأخلاقه، ويضمرون للكفر كراهية شديدة، ومن قرأوا أحكام الإسلام على المجرم الذي إستحل الحرمات وعبث بالمقدسات، ودافعوا عن وطنهم وأرضهم المغتصبة وأسرهم المهدة بانتهاك حرمتها، وتلوّث عرضها، فزادهم الدافعية للقتال فقدّموا ما يستطيعون في سبيله، والعربي يتميز بالشجاعة والثبات، مقبل على الموت من أجل الحق، وهي قيم تنم عن تقديس واجب فداء الوطن والدين<sup>(3)</sup>، كما أن تأسيس جمعية العلماء المسلمين كان مواصلة وتعزيزاً وإضافة لجهود الزوايا التعليمية والمساجد التي بقيت منذ 1830 واقفة ضد الإستعمار تدافع عن الشخصية الجزائرية المسلمة بحفاظها على الدين الإسلامي وتعليم اللغة العربية (يُنظر الملحق رقم 30)<sup>(4)</sup>.

فعندما احتل الفرنسيون الجزائر كان أول من رفع رايات الجهاد ضدهم هم مشايخ الزوايا وطلبتها، ومريدوا وأتباع الطرق الصوفية في الزوايا، جاهدوا للدفاع عن الدين والوطن واسترجاع أوقاف المسلمين وقضائهم الشرعي والتّمكين لدين الله تعالى، وهو ما نفذه وطبقه على أرض الواقع الأمير عبد القادر، فعندما احتل الفرنسيون الجزائر سنة 1832م لم يعد للجزائريين كيان اسمه الدولة يستظلون تحت حمايته في هذا الوقت كانت الزوايا في أوج عطائها، وكانت تربطها بالناس والحياة والدين علاقات علم وعبادة وعمل اجتماعي، وعلاقات ود ومحبة وولاء لما فيها من خير وفير، فكان شيوخ الزوايا هم الملاذ الآمن، والحضن الدافئ للأهالي. وأشار محمد الصّالح الصّديق أن: "مؤسسو هذه الزّوايا والمعلّمون فيها

(1)- محمد الصالح الصديق، كيف ننسى وهذه جرائمهم؟، المرجع السابق، ص 37.

(2)- كفاح جزار، زوايا ثائرة "من اللوحة إلى البندقية"، منشورات الأنييس، الجزائر، ط1، 2012، ص 337.

(3)- محمد الصالح الصديق، كيف ننسى وهذه جرائمهم؟، المرجع السابق، ص ص 66-70.

(4)- الشريف اشناشلية، التركة المغمورة "هؤلاء ... لهم أثر"، عين البيضاء، الجزائر، ط02، د.د.ن، 1989، ص ص 15-26، ص 04-05.

أصحاب رسال، وذوو وزن عند الله تعالى وعند الناس، لأنهم صانعو أجيال وبناء مجد، احتفظ التاريخ بأسمائهم في صفحاته المضيئة المشرقة لذكورهم بالإعجاب والتقدير، وترسم خطاهم ونحذو حذوهم...<sup>(1)</sup>.

دعى أبو يعلى الزواوي إلى تنظيم وهيكلية الزوايا في منطقة الزاوة عبر سلسلة مقالاته على جريدة البصائر، ومواكبة تطور العصر من خلال تطبيق وسائل ومناهج عصرية تتلائم مع الحركة الحاصلة في المجتمع الجزائري، واستمرار الزوايا في أداء دورها المهم في نشر التعليم وتسيير الشؤون الاجتماعية في بلاد القبائل كونه يدخل ضمن الواجب الديني والعلمي<sup>(2)</sup>، واقترح جملة من الشروط لتحقيق التعليم في الزوايا لأهدافه المرجوة منه نظرا للعلاقته المباشرة بالحفاظ على الهوية الوطنية والشخصية الجزائرية المسلمة، ومواجهه المخططات التغريبية للتعليم الإستعماري ومن هذه المعايير نجد :

- وجوب تعيين الهيئة الحاكمة في الزاوية لأعضاء متحليين بالمسؤولية ووضع دفتر خاص يحصر مداخل ومصاريف الزاوية، وضبط مجموع الطلبة القادرة الزاوية على استيعابهم.

- تحديد الفئة العمرية المستهدفة والمستوى التعليمي، وضبط المدة الزمنية اللازمة لتحصيل الفنون والمعارف.

- تعيين مدرء أكفاء، و مفتشين ومنح إجازة للطلبة الذين يثبتون قدرتهم على مباشرة الإمامة وفقا لشروطها الفقهية عبر المداشر والمدن، وعليهم أن يكونوا محكمين ومطاعين في تسيير الأحوال الشخصية للمسلمين والفصل في نزاعاتهم وهو من الأدوار الأصلية للزوايا<sup>(3)</sup>، بما يحفظ وحدة المجتمع الجزائري ويبقى على التلاحم بين أفرادها ويحفظ إستمراريتها.

يعتبر محمد خير الدين من رجال الجمعية الذين إنتقدوا التعليم في زوايا الطرق الصوفية، ووصفه بالتعليم الجامد وأرجع سبب ذلك إلى تدني المستوى العلمي للمشرفين عليه، وجعله مطية لأطماعهم الدنيوية، وتسائل عن المرجعية الدينية للطريقين، والنتائج التي أفادنا بها التعليم في زواياها؟ بإستثناء زوايا بلاد القبائل التي كانت علمية في نظامها وإدارتها، وأي ثمار جنتها الأمة الجزائرية من هذا التعليم طيلة قرون طويلة؟ وأين هم العلماء الذين تخرجوا من هذه الزوايا؟ وأجاب خير الدين أن هذه الزوايا لم تقدم شيئا للدين الإسلامي وإن كان فعلا فهو طفيف مقارنة بما إستحوذت عليه من أموال الشعب، وإستدل على كلامه هذا بالمقارنة بين ما تعلمه آلاف التلاميذ منذ بضع سنوات على يد الشيخ ابن باديس وعودتهم لأهاليهم بفكر نير يحمل علما صحيحا وعقيدة نقية كان لها أثرها النافع على العلم والدين والجزائريين، على عكس التعليم العقيم للزوايا طيلة أجيال وسنين طويلة، فالطلبة المتخرجون منها يعانون من جمود الفكر وضعف الإرادة ومقلدين لشيخوخهم، مجادلين بالباطل والبدع والضلال، وأكد أن الطريقة ما إن إنتشرت في بلد ما إلا وتكرس الجمود والإنحطاط والضعف، وغياها يسمح بالنهوض والتطور وهو ما أثبتته تاريخ الأمم والشعوب<sup>(4)</sup>.

ولالإشارة فإن عدد زوار زوايا الطريقين شهد تراجعا مع بداية حرب التحرير الوطني، وهو ما سجل على سبيل المثال لا الحصر في زاوية الشيخ الشريف بمدينة الجزائر في نوفمبر 1954م، التي تراجع عدد زائريها، إضافة إلى تراجع عدد

(1)-محمد الصالح الصديق، كيف ننسى وهذه جرائمهم؟، المصدر السابق ، ص 37.

(2) - غفاف زقورة، المرجع السابق، ص141.

(3) - أبو يعلى الزواوي، إصلاح الزوايا في بلاد الزاوة "02"، البصائر، العدد 131، 21 رجب 1357هـ/ 19 سبتمبر 1938م.

(4) - محمد خير الدين، للحقيقة والتاريخ في الزوايا...، البصائر، العدد 124، 01 جمادى الثانية 1357هـ/ 29 جويلية 1938م.

زائري ضريح سيدي أحمد إلى 98 من أصل 500 شخص تم دعوته من قبل عبد القادر بن عمار المرابط بسيدي حمود بشارع "روفيغو - Rovigo" بمدينة الجزائر، التي إستنكر سكانها الحفل المقام للضريح، وهو ما يفسر بالمقابل قوة تأثير التيار الإصلاحي لجمعية العلماء وإنتشاره الواسع تدريجيا والسيطرة على الميدان، خصوصا المدن إلا أن هذا في نفس الوقت يمكن أن لا يكون السبب الوحيد لتزامن إندلاع حرب التحرير في نفس الشهر<sup>(1)</sup>.

### المبحث الثالث: النشاط الثقافي والدعوي الإصلاحي لجمعية العلماء المسلمين.

من أجل إعادة إحياء الثواب الوطنية وتعزيزها وسط المجتمع الجزائري بذلت الجمعية جهودا كبيرة من خلال نشاطها في العديد من المجالات الثقافية نذكر منها:

#### المطلب الأول: التعليم العربي الحر ونشاط مدارسه.

تظاهرت الإدارة الإستعمارية إلى غاية 1914م بتساهلها مع التعليم العربي الحر، لعدم مساهمته في نخوض الأمة الجزائرية، لكن مع بداية ظهور الوعي الوطني وحاجة الأمة لتعلم لغتها من أجل فهم دينها وما صاحب الأمر من تطور للتعليم الحر، خصوصا مع ظهور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بدأت المسألة تثير قلق الإدارة الإستعمارية<sup>(2)</sup>. لقد حددت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أهدافها منذ تأسيسها والمتمثلة في تطهير الدين الإسلامي من البدع والخرافات، والعمل على نشر الوعي الوطني وسط الأفراد عن طريق تعليم وإحياء اللغة العربية، مما يسمح بإعادة بعث وإحياء الأمة الجزائرية بعد تعريف الجزائريين بتاريخ بلادهم عن طريق التأليف والتدريس، وهذا النهج الذي سلكه العلماء في الإصلاح مرده إلى إدراكهم اليقين أن تحرير الأذهان هو المهم في تلك المرحلة، لأنه السبيل الكفيل لقيادة الأفراد إلى تحرير الأوطان، بعدما كرسه الإستعمار من تجميد للفكر الجزائري فترة زمنية طويلة، لهذا أولت الجمعية إهتماما كبيرا للتعليم، وشرعت في إنشاء المؤسسات التعليمية عبر مختلف أنحاء القطر الجزائري<sup>(3)</sup>.

ويعتبر كلا من التربية والتعليم سلاحا خطيرا أدركت الجمعية أهميته كما أدرك ذلك الإستعمار الفرنسي من قبل فعمد إلى تدمير كل ما يتعلق به<sup>(4)</sup>، فابن باديس عندما بدأ إرساء مشروعه الإصلاحي النهضوي كان واعيا لما للتعليم من دور كبير في تحقيق المقاصد العقائدية والفكرية حيث قال: "... فإذا أردنا إصلاح المسلمين فلنصلح علماءهم ولن يصلح العلماء إلا إذا صلح تعليمهم، فالتعليم هو الذي يطبع المتعلم بالطابع الذي يكون عليه في مستقبل حياته وما يستقبل من عمله لنفسه وغيره..."<sup>(5)</sup>، لهذا ركزت الجمعية على التعليم العربي الإسلامي، من خلال تشجيع أبناء الأمة على إرسال أطفالهم للتعليم وحثهم على تثقيفهم، لكون التعليم هو الذي يطبع المتعلم بالطابع الذي

(1) - عفاف زقورة، المرجع السابق، ص ص 142 - 143.

(2) - محمد خير الدين، مذكرات، ج 01، المصدر السابق، ص 114.

(3) - لعراج جبران، دور جمعية العلماء المسلمين في الحفاظ على ثوابت الأمة الجزائرية من خلال التعليم العربي الإسلامي، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والإجتماعية، جامعة سيدي بلعباس، المجلد 14، العدد 02، ديسمبر 2022م، ص ص 129-130.

(4) - محمد قريشي، الأوضاع الاجتماعية للشعب الجزائري منذ نهاية الحرب العالمية الثانية إلى إندلاع الثورة التحريرية الكبرى 1945-1954، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة الجزائر، 2002/2001، ص ص 115-116.

(5) - الزبير بن رحال، الإمام عبد الحميد ابن باديس رائد النهضة العلمية والفكرية 1889م-1940م، دار الهدى، الجزائر، 1997م، ص 61.



سيكون عليه مستقبلاً، وعبر عن ذلك في القانون الداخلي للجمعية<sup>(1)</sup> الذي خطه البشير الإبراهيمي حيث جاء فيه: "...ما هو داخل دخولا أوليا في مقاصد الجمعيات وهو التربية والتعليم... وعلى الجمعية أن تسعى في تعمير هذه المساجد الجديدة وتصييرها معاهد علمية يقوم مديروها وخطباؤها بتنفيذ مقاصد الجمعية على أحسن الوجوه..."<sup>(2)</sup>.

إن ما ميز الحركة الإصلاحية في الجزائر، هو موازاتها بين الدعوة والتعليم على حد السواء، فقد استندت في دعوتها على مصلحين أكفاء فكرياً وثقافياً، سَهَّلَ عليها تنظيم نفسها لتوسيع نشاطها التعليمي بافتتاحها مدارس عربية حرة عبر مختلف أنحاء التراب الجزائري، تميزت جهودهم التعليمية بمرحلتين متميزتين، الأولى عرفت نشاط ثقافي وإعلامي كبيرين، للتعريف بمبادئ الجمعية كتنظيم إصلاحي جديد وسط الجزائريين، وذلك بفتحها مدارس حرة بعيداً عن سيطرة الاستعمار ورقباتها، بالإضافة إلى مواصلة التدريس<sup>(3)</sup>، والثانية عرفت تقلص الإبراهيمي لمطالب جمعية العلماء في قضية التعليم العربي ضمن التقرير الذي قدمه مجلس جمعية العلماء المسلمين في 05 أوت 1944م إلى الحكومة الإستعمارية في الجزائر، وتمثلت في:

-إلغاء جميع القرارات السابقة المتعلقة بالتعليم إلغاء صريحاً سواء كانت إدارية أو وزارية.

-نسخ جميع القرارات بقانون صريح يقرر حرية التعليم العربي وعدم تقييده، ويراعى في وضع ذلك القانون المسائل التالية:

- جمعية العلماء والجمعيات العلمية الأخرى يكون لها الحق بمقتضى ذلك القانون أن تنشئ ما تشاء من المدارس.
- ليس على الجمعيات إلا إعلام الإدارة باسم المدرسة ومحليها وبأسماء المعلمين فيها، ثم تشرع في العمل بلا توقف.
- يتضمن القانون ضمانات كافية مقنعة في عدم الإلتجاء إلى تعطيل المدارس العربية للأسباب السياسية أو غيرها من الإعتبارات، لأن تعطيل المدارس العربية في نتيجته يعد عقوبة لأولاد متعلمين لم يقترفوا أسبابها، وهذا ظلم لهم.
- كما لا تتدخل الإدارة في اختيار المعلمين، ولا تتدخل في وضع البرامج التعليمية، ولا في اختيار الكتب المدرسية.
- على جمعية العلماء والجمعيات العلمية الأخرى أن تخضع للمراقبة الصحية العامة في دائرة قوانينها التفتيش الرسمي<sup>(4)</sup>.

(1) -عبد الرحمان شيبان، من وثائق جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، دار المعرفة، الجزائر، 2009م، ص55.

(2) - لعرج حبران، دور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الحفاظ على ثوابت الأمة الجزائرية، المرجع السابق، ص130.

(3) - أحمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المرجع السابق، ص 198.

(4) - محمد خير الدين، مذكرات، ج 01، المصدر السابق، ص 155.

### المطلب الثاني: إحياء الهوية الوطنية عبر الكتابات التاريخية لرجال الجمعية.

أولاً- الهوية الوطنية ضمن كتابات أحمد توفيق المدني "كتاب الجزائر": ظهر كتاب الجزائر لصاحبه توفيق المدني خلال النصف الأول من القرن العشرين، وكان أهم كتاب يحاكي تاريخ الجزائر، ملم بجغرافية الأرض وعادات أهلها وتقاليدهم وأخلاقهم، وعناصر سكانها، وأصولهم والقبائل المنتمين إليها، وتميز الكتاب عن غيره بروح الشباب والتجديد لذا كان تأثيره واسعا وخالدا نظرا لفائدته<sup>(1)</sup>، وقال أحمد توفيق المدني عن الكتاب: "هذا الكتاب صورة حقيقية لقطر الجزائر، لم ترسمها ريشة مصور إنما رسمها قلم باحث جعل همه ذكر الحقائق كما هي"<sup>(2)</sup>.

فبالإضافة إلى شمولية الكتاب على المواضيع المعاصرة كالنظام القضائي والإداري والإقتصادي والاجتماعي، وأهم المدن وعدد سكانها والحياة العلمية فيها، وصحفها ونواديها، ركز في الجانب التاريخي على سرد الإمتداد الحضاري للأمة الجزائرية الموعول في القدم وذكر دور الجزائريين فيه وأهم القبائل التي استوطنت المنطقة من بربر وعرب<sup>(3)</sup>، كما تطرق إلى السياسة الإستعمارية العنصرية من تحقير وتهميش للسكان الأصليين التي مارسها الاحتلال الذي مر على المنطقة منذ القدم، فيما قدم أيضا بطاقة تعريفية للطبيعة الجزائرية من موقع وحدود ومساحة وخصائص طبيعية ونباتية، وتطرق بعدها إلى التقسيم الإداري للجزائر أثناء عهد الاحتلال، بما فيها الحالة الراهنة آنذاك لسنة 1930م<sup>(4)</sup>، وهو ما يبين رغبة توفيق المدني في مؤلفه الجزائر إطلاع الرأي العام العالمي على ما تعانيه الجزائر من حقائق مرة فرضت عليها من قبل الإستعمار<sup>(5)</sup>.

وتعتبر فكرة القومية الوطنية من الأسباب التي دفعت المدني لكتابة مؤلفه هذا، ويظهر جليا تأثره بالفكرة إلى حد الدعوة إلى الحركة الوطنية وإستقلال الشخصية الجزائرية عن الإستعمار، نظرا لغيرته على وطنه، متألما للوضع المزري الذي وصل إليه ولما مارسه عليه من ظلم، ويظهر مدى إعترازه الشديد بانتمائه الجزائري<sup>(6)</sup> مبديا إستعداداه للدفاع عنه لذلك انتهج النضال السياسي الوطني<sup>(7)</sup>، مدركا أن الحرية أساس تجسيد القومية وأنه من حق أي شعب في الإستقلال وتأسيس أمة قومية متحررة<sup>(8)</sup> يتميز شعبها بمقومات تختلف عن باقي الشعوب الأخرى من حيث الدين واللغة

(1) - محمد قناش، المواقف السياسية بين الإصلاح والوطنية في فجر النهضة الحديثة، الشركة الكونية للنشر والتوزيع، الجزائر، دون تاريخ، ص115.

(2) - أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، المطبعة العربية، الجزائر، 1931م، ص373.

(3) - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي (1830-1954)، ج7، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1998م، ص422.

(4) - موسى عبد الحفيظ، الهوية الوطنية ضمن كتابات أحمد توفيق المدني كتاب الجزائر أمغودبا، مجلة دراسات، العدد2، مج 13، 2022م، ص522.

(5) - حميدة عميروحي، الشرق والغرب في مدونات الرحالة العرب المسلمين، أبحاث ندوة الرحالة العرب والمسلمين إكتشاف الذات والآخر (دورة الجزائر 2005)، دار السويدية للنشر والتوزيع، أبو ضبي، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2005، ص400.

(6) - محمد قناش، المواقف السياسية بين الإصلاح والوطنية في فجر النهضة الحديثة، المرجع السابق، ص116.

(7) - نفسه، ص119.

(8) - عبد الرحمان الجليلي، تاريخ الجزائر العام، ج4، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994م، ص32.

والعادات التي تمثل هويته، وإن كانت العديد من دول العالم قد استطاعت تحقيق ذاتها فإن الشعب الجزائري لا يزال يعاني من سيطرة الإستعمار الفرنسي الذي يرفض الاعتراف له بهذا الحق<sup>(1)</sup>.

وقد تساءل المدني في كتابه "الجزائر" عن الوضع القانوني للجزائريين في ظل سياسة الاحتلال قائلا: "عندما تساءلت عن الحالة العامة للمسلمين الجزائريين وجدت أن الجزائري من حيث المنطق والمعقول هو مسلم جزائري وكف، ومن حيث القانون الدولي فهو فرنسي، ومن حيث المعاملات الداخلية يعتبر رعية فرنسية، يقوم بالواجبات ولا يتمتع بالحقوق الفرنسية، وإن أراد ذلك فيجب أن يتخلى عن الأحوال الشخصية... إن الذي يدهشنا حقا ويفتح أبواب الهواجس في أنفسنا هو ما يسلكه نحونا رجال الإدارة الإستعمارية، فهم لا يريدون لنا أي رقي لا ضمن فرنسا ولا خارجها...، لكننا نقول لهم بكل هدوء أن عاقبة هذه السياسة الخرقاء لن تكون إلا وخيمة"<sup>(2)</sup>.

من هنا يتضح لنا أن المدني كان واعيا ومدركا لقضية بلاده التي راح يبحث لها عن حل لتخليص أمته من سيطرة الاحتلال، الذي أوقف عجلة التطور الحضاري للجزائر بعد طول المدة التي مكثها سالبا لحريتهم طامسا لشخصيتهم، لاغيا لتاريخهم مانعا الحركة تقدمهم رغم أن الزمن هو في تدافع مستمر لا ينقطع مجراه أبدا، إلا أن فرنسا لا تريد لهذا الجزائري أن يكون له دوره الطبيعي الفاعل في هذا الزمن ولا إثبات لوجوده فيه، عازلة إياه عن المحيط الخارجي لميدان التفاعل الحضاري مغيبة شخصيته الدولية المستقلة عن مجرى الأحداث، وانطلاقا من هذا الإدراك وجد المدني أنه لا بد من التشهير بأعمال فرنسا الدنيئة وفضح أفكارها المضللة ونزعتها الحاقدة التي تنادي بها في مؤتمراتها الدولية<sup>(3)</sup>.

إتسم المدني من خلال كتاب الجزائر بوطنية عالية في قوة الطرح، لفضح الإستعمار وإبراز معاناة الشعب الجزائري، بهدف إستنهاض همته لمقاومة الاحتلال<sup>(4)</sup>، مستندا على التاريخ في إعطاء صورة عن نضال الجزائريين ضد الإحتلالات التي مرت عليهم، رافضين الرضوخ للمستعمر والإندماج معه، مثبتين دائما وعلى مر الزمن إختلافهم عن غيرهم ومتشبهين بأرضهم التي لم يسلموها للطامعين فيها بل على العكس من ذلك ساهموا في بناء حضارة إمتدت إلى أوروبا، وفرضوا شخصيتهم السيادية على حوض المتوسط لقرون عديدة، إذ يقول في هذا الصدد: "لم أرى في التاريخ العالمي أمة من الأمم وقع عليها الاحتلال فاندمجت بكليتها في المحتل وأصبحت وإياه جزءا واحدا... إن الجزائر سواء أحرزت أم لم تحرز الحقوق السياسية سوف تبقى عربية مسلمة، ولن ترتقي إلا بالجزائرية والعروبة والإسلام"<sup>(5)</sup>.

(1) - André Noshi, la naissance du nationalisme Algerien, 1914-1954, Edition de minuit, Paris, 1962, p155.

(2) - أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، المرجع السابق، ص 327.

(3) - عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج 4، المرجع السابق، ص 39.

(4) - موسى عبد الحفيظ، الهوية الوطنية ضمن كتابات أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 524.

(5) - أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، المصدر السابق، ص 329.

إن القارئ لكتاب الجزائر يلاحظ الأفكار الجديدة للمدني والقائمة على الحجج والبراهين، ما تثبت قوة الطرح في مواجهة قوانين الحكومة الفرنسية، ومدى إطلاعه الواسع وإنفتاحه فكريا، وطول نفسه، وهذوئه الرزين لأنه يعالج قضية وطنية تخص تاريخ الجزائر<sup>(1)</sup>، الذي عمل الإستعمار على طمسها وجاءت الإحتفالات المخلدة لمئوية الاحتلال<sup>(2)</sup>، لتأكيد هذا الأمر المستفز لشعور الجزائريين، لذا فإن فترة صدور الكتاب في حد ذاته هي رد على الإدعاءات الكاذبة للإدارة الإستعمارية بفرنسية الأرض الجزائرية إنطلاقا من شرعية طول فترة الاحتلال، وتوظيفها للتاريخ كمرجعية لتحديد فترة بداية الاحتلال كميلاد الأمة الجزائرية فرنسية الإنتماء، وطمس الوجود التاريخي لها قبل سنة 1830م، لهذا فمرحلة الثلاثينيات تعتبر مرحلة صعبة بعدما طبقته الإستعمار من مخططات مست بالهوية الوطنية لدفعها من المراجع والكتب، فجاء كتاب الجزائر ليلغي مزاعم فرنسا ويتدحها بالدليل على الرغم من أن بعث تاريخ الجزائر وإعادة إحياءه من قبل المؤرخين الجزائريين باللغة العربية التي عانت من الإقصاء منذ بداية الاحتلال كان يحتاج إلى جرأة لمواجهة ما كتبه الفرنسيون عن تاريخ الجزائر من وجهة نظرهم الإستعمارية<sup>(3)</sup>، فالمدني بإصداره لكتابه هذا لم يرد على فرنسا فقط بل رد على فكر إستعماري نظرت له ترسانة من المؤرخين الفرنسيين والأوروبيين لتحقيق مصالحهم المتبادلة.

كما يشير عبد الملك أنور أنه لا يمكن لهوية أمة أن تظهر تمايزها عن غيرها ضمن سلم الحضارة العالمية، ما لم تبرز أولا معالم تمايز أفرادها أو الجماعة المشكلة لهذه الأمة<sup>(4)</sup>، ويعتبر أحمد توفيق المدني ممن تنطبق عليهم هذه الفكرة، فهو قبل أن يكون رجل إصلاح ضمن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، هو فرد من هذه الأمة، أصوله الجزائرية حركت فيه دوافع النهوض بها واستعادة قسما تمايز مقومات هويتها المغيبة في عالم الشهود الحضاري<sup>(5)</sup>.

كانت الكتابات التاريخية لأحمد توفيق المدني في مراحل حرجة من التاريخ الوطني، فأعماله تشهد له بنشاطه الوطني الدؤوب في مراحل غابت فيها الكتابات التاريخية الوطنية، وتصدرت أعماله قائمة أعمال نضراء من الحركة الإصلاحية نظرا لإتساع ثقافته وتميز موهبته الأدبية<sup>(6)</sup>، ويبدو هذا جليا في مؤلفه "كتاب الجزائر" الذي مثل مساهمة مهمة في إطار مساعي جمعية العلماء لإحياء الهوية الوطنية للأمة الجزائرية مع مطلع القرن العشرين، وبرزت الشخصية

(1) - عبد الملك مرتاض، نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر (1925-1954) النهضة الفكرية- النهضة الصحفية والأدبية- النهضة التاريخية،

الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1983م، ص ص 207-208.

(2) - إلياس نايت قاسي، مئويّة الاحتلال الفرنسي للجزائر وأثرها على الحركة الوطنية، دار كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م، ص 78.

(3) - عبد الملك مرتاض، المرجع السابق، ص ص 207-208.

(4) - عبد الملك أنور، الفكر العربي في معركة النهضة، دار الآداب، بيروت، لبنان، ط3، 1981م، ص 102.

(5) - عبد الكريم بوصفصاف، المؤرخون الجزائريون ومنهجية الكتابة في الحركة الوطنية الجزائرية في عهدي الاحتلال والإستقلال، مداخلة منشورة ضمن

أعمال الملتقى الدولي الأول لمنتدى التاريخ المعاصر حول منهجية كتابة تاريخ الحركات الوطنية في المغرب العربي، منشورات مؤسسة التهييم للبحث

العلمي والمعلومات، تونس، سبتمبر 1998م، ص 44.

(6) - فارس كعوان، المؤرخون الجزائريون ونمو الوعي التاريخي (1830-1962) مساهمة في التاريخ الثقافي والفكري، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ

وعلم الآثار، جامعة قسنطينة، 2011-2012، ص 356.

الثقافية والفكرية المتميزة للمدني من خلال هذا الكتاب الذي لقي شهرة واسعة، وعقدت عليه جمعية العلماء آمالها الإصلاحية<sup>(1)</sup>.

إن المطلع على "كتاب الجزائر" سيلاحظ ما يحمله من أفكار وطنية تبرز معالم الهوية الجزائرية التي تشبع بها المدني ووقف بذلك مدافعا عنها، حتى أن الباحث "جوزيف ديارمي" اعتبر تأليف الكتاب في هذه الفترة التاريخية كانت له غايات سياسية وطنية<sup>(2)</sup>، ومن أهم معالم أبعاد الهوية الوطنية التي تضمنها الكتاب نجد:

- معالجة المدني لواقع الجزائر من مختلف جوانبه باعتماده لوجهة نظر عربية إسلامية جريئة الطرح بمواقف شجاعة من الأوضاع السائدة مع إلتزام الموضوعية في فضح التجاوزات الإستعمارية في حق المعالم الحضارية للأمة الجزائرية المسلمة<sup>(3)</sup>.

- دفاع المدني من خلال الكتاب عن الأمة الجزائرية التي غيبتها القوانين الزجرية للإحتلال الفرنسي، منطلقا من مبادئ وأهداف واضحة المعالم للبحث فيما تبقى من أطلال هذه الأمة الممتدة في عمق التاريخ<sup>(4)</sup>.

- تبرز معالم الهوية الوطنية واضحة على غلاف الكتاب من خلال وضع شعار جمعية العلماء المسلمين الجزائريين: "الإسلام ديننا، العربية لغتنا، الجزائر وطننا"، كدباجة تتصدر صفحات الكتاب<sup>(5)</sup>، وهي عنوان لرموز الهوية الوطنية التي دافع عنها المدني في فصول كتابه، فقد وقف المدني مناضلا قويا عن حرمة الدين الإسلامي للجزائريين، ولغتهم العربية، وتاريخهم الطويل، منوها بالقيم الثقافية والسياسية للمجتمع الجزائري<sup>(6)</sup>.

- بلور المدني في "كتابه الجزائر" بعض المفاهيم ذات البعد الوطني التي تم تغييبها قصدا عن أذهان الجزائريين، مثل: "أرض الجزائر"، "الوطن"، "الأمة الجزائرية"، "الشعب"<sup>(7)</sup>.

- إعتزف المؤرخ الفرنسي شارل رويبر أجبرون أن قوة المشاعر الوطنية التي تضمنها الكتاب من خلال توظيفه لمصطلحات تقوي أوصل الأخوة والوحدة بين الجزائريين<sup>(8)</sup>.

(1) - علي مراد، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر بحث في التاريخ الديني والإجتماعي من 1925 إلى 1940، ترجمة محمد حياتن، دار الحكمة، الجزائر، 2007م، ص 138.

(2) - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي (1830-1954)، ج 7، المرجع السابق، ص 422.

(3) - بلقاسم ميسوم، كتاب الجزائر لأحمد توفيق المدني دراسة نقدية، مجلة المصادر، العدد 16، السداسي الثاني، 2007، ص 217-220.

(4) - محمد قناش، المواقف السياسية بين الإصلاح والوطنية في فجر النهضة الحديثة، المرجع السابق، ص 123.

(5) - يُنظر غلاف كتاب الجزائر لأحمد توفيق المدني وما كتب عليه.

(6) - SaadEddine Bencheneb, Quelques historiens arabes modernes de l'Algérie, Revue Africaine, Volume 100, A. Jourdan Libraire-Editeur, Alger, Année 1956, p492.

(7) - شريف الدين غنو، مسألة الذاكرة ضمن إهتمامات مؤرخي الحركة الوطنية والثورة الجزائرية (1900-1962)، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة تلمسان، 2018/2019، ص 101.

(8) - عبد المالك مرتاض، نخضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر (1925-1954) النهضة الفكرية- النهضة الصحفية والأدبية- النهضة التاريخية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1983م، ص 207-208.

-أثنى ابن باديس على "كتاب الجزائر" قائلاً: "الخدمات التي يجب تقديمها للبلاد في مثل هذا الظرف هي نظير ما إخطته المدني، بما يجعل الشباب عارفين لوطنهم...فاكتشاف كل ما كان للوطن من عز هو عمل مثمر...، فالذي يحمل كل فكرة وطنية لا يصدق فيها بقول إلا إذا خدم الوطن من الناحية التي خدمها المدني" (1).

-تكمّن القيمة التاريخية لكتاب الجزائر في رده الصريح على مزاعم الإستعمار وإثباته للسيادة الوطنية للأمة الجزائرية من خلال عرض مضمونه لمعالم الأمة الجزائرية، وسرده لحقائق تاريخية عن الجزائر تعود إلى عهود قديمة، وتحديه للسلطة الفرنسية خلال مطلع الثلث الأول من القرن العشرين (2)، فكتابات المدني تتميز باجتهاداته الموهبة في التاريخ الجزائري، مستخلصاً منه الحقائق التي ترفع من شأن العربية والإسلام، للرد على مزاعم الاستعمار وإساءته الشنيعة إلى تاريخ الأمة الجزائرية بما يحمله من عظمة ومجد كما وقع في إحتفالات القرن (3).

كما اعتمد المدني في "كتاب الجزائر" على المنظور الوطني والحس الديني في عرض الأفكار، ماعكس نيته في إثارة النفوس وتربية الأجيال على حب الوطن وشحن الهمم بدعوته لهم للتحرر من الإستعمار، وكان صريحاً في توجيه دعوته علناً للجزائريين من أجل مقاومة الإستعمار الفرنسي الذي استوطن وطنهم وطرده من أرضهم من منطلق أنها ليست فرنسية ولا يمكن أن تصبح فرنسية، وهو ما أثبتته الواقع من خلال التمييز العنصري للسياسة الفرنسية بين شعبين مختلفين تماماً في الخصائص والمقومات والانتماء، فالأول ضارب بأعماقه في العروبة والأمازيغية الإسلامية، سلبت منه أرضه وتم الإستيلاء على خيراته، وصودرت حقوقه تحت سلسلة قوانين المواطنة المزعومة (4) والثاني أوروبي مسيحي. ساهم المدني بكتابه في نشر الوعي الوطني وترسيخ الانتماء القومي بتوجيهه إلى الشباب الجزائري وهي الغاية من تأليفه، التي وضعها في مقدمة الكتاب قائلاً: "...حتى تعرف وطنك حق المعرفة، فلا تزداد بمعرفة إياه إلا حبا له وغراما فيه، فهو وطن ماجد، وتاريخه نبيل، ورجاله أبطال، وأرضه صالحة، وأمتة حية شريفة، ولن تكون لمعرفتك إياه من نتيجة إلا إقبالك على خدمته الخدمة المثلى، فتقبله من عثرته وتسير به بحول الله نحو المستقبل البعيد..." (5).

حاول المدني معالجة مشكلة الفراغ الفكري التاريخي التي يعاني منها الشباب الجزائري سواء المثقفين ثقافة فرنسية من الذين مزقت أذهانهم السياسة التعليمية الإستعمارية بتشويه تاريخهم الوطني وجذبهم نحو تاريخ دخيل عنهم، أو

(1)-شارل روبر أجرون، تاريخ الجزائر المعاصر، ترجمة عيسى عصفور، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، 1982م، ص144.

(2)-عبد الحميد ابن باديس، "كتاب الجزائر" كذلك ويمثل ذلك يؤدي الواجب أيها الجزائري الناشئ، الشهاب، ج3، مج08، ذي القعدة 1350هـ/مارس 1932، ص 171.

(3)-الأستاذ توفيق يعلم الشباب كيف يبر بالامة وكيف يخدم بلاده؟، الأمة، السنة الثالثة، العدد 131، الجزائر، الثلاثاء 17 جمادى الأولى 1356 هـ/ 27 جويلية 1937م، ص 01.

(4)-محمد بوطيبي، بواكير كتابة تاريخ الجزائر خلال النصف الأول من القرن العشرين، كتابات أحمد توفيق المدني أنغوزبا، مجلة تاريخ العلوم، العدد03،

مج 05، جامعة زيان عاشور، الجلفة، جوان2020، ص365.

(5) -أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، المصدر السابق، ص71.



المثقفين ثقافة عربية ممن تكونوا دون الرجوع إلى المراجع الأصلية التي تربطهم بماضي بلادهم فكان تكوينهم ناقصا جعلهم يتخبطون وسط وضع مشئت<sup>(1)</sup> مابين الانتماء العربي والفرنسي، وحول هذه الفكرة يقول المدني: "إنكم ترون كما رأيتم أن أبناء العربية في الجزائر يجهلون كل شيء عن هذا الوطن...، وكأنهم خلقوا على أرض مبتورة الأصل مجهولة النسب فهم لا يبحثون عن حوادث أمسها ولا يهتمون لحالة يومها ولا يتساءلون عن مستقبل غدها"، وانتقد المدني المفكرين الجزائريين الذين لم يهتموا بكتابة تاريخ بلادهم، مما أدى لضياح وطنهم، لذا أصبح من الواجب حسب رأيه تنوير الأهالي بحقيقة أصلهم وتذكيرهم بانتمائهم وحالتهم الشخصية دون تشويه أو تزيف إستعماري<sup>(2)</sup> للتاريخ وجغرافية الجزائر كما قام به الأوروبيون منذ 1830م، وإغراق المسلمين ببحوث ودراسات علمية وجد الجزائريون أنفسهم أمام كتب تاريخ وجغرافية يعرفون فيها صورة وطنهم بصعوبة، وتوفيق المدني جاء ليسد هذا الفراغ<sup>(3)</sup>.

يشير أبو القاسم سعد الله أن توفيق المدني في كتابه الجزائر إعتد على أسلوب واضح ولغة مفهومة وعاطفة وطنية موجهة لصالح الهوية العربية الإسلامية للجزائر<sup>(4)</sup>، فالكتاب حمل في طياته توجيهات ورسائل مهمة وضعت في سياقها التاريخي لتعكس مدلولاتها الإيديولوجية ذات الغاية الوطنية، من بين هذه الغايات دعوة المدني الصريحة للشباب الجزائري من أجل إيلاء أهمية لمعرفة وطنهم، كي لا تتجاوزهم التيارات يمينا ويسارا لدرجة أنهم أصبحوا كمن يعيش على أرض ليست بأرضهم مبتوري الأصل، وأرجع المدني سبب إنشغال الشباب عن هموم بلادهم إلى إنعدام وسيلة الكتابة بلسان عربي، ثم أن تركيزه على توجيه خطابه إلى فئة الشباب لأنها تمثل مركز الشعور في جسد الأمة الجزائرية، حيث قال: "أيها الشباب البررة وعلى أعمالكم يعتمد هذا الوطن، كي يبنى صرح مجده عاليا، ويتبوأ مقعده بين الأمم العربية الناهضة"<sup>(5)</sup>.

تطرق توفيق المدني في كتاب الجزائر أيضا إلى تاريخ البربر والقبائل البربرية<sup>(6)</sup>، كما نوه بضرورة مطالعة الشباب لهذا الكتاب لأنه سيزيدهم حبا لوطنهم، منوها أن الجزائر لن تسعد إلا إذا سارت في نهج يتوافق مع دينها ولغتها وقوميتها، في رسالة ذكية منه لغرض التصدي لسياسة التجنيس، ورفض هذه الفكرة الدخيلة، ودعى للمحافظة على الخصوصية الدينية واللغوية للأمة الجزائرية والمساهمة في تطويرها<sup>(7)</sup>.

(1) - أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر ، ص18.

(2) - نفسه، ص ص 356-359.

(3) - علي مراد، جغرافية الجزائر لأحمد توفيق المدني، الفتى المسلم، ج 02، تعريب محمد المعراجي وعمر المعراجي، دار ثالة، الجزائر، 2013، ص 153.

(4) - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 07، المرجع السابق، ص 422.

(5) - أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، المصدر السابق، ص ص 373-374.

(6) - عامر بغدادي، المرجع السابق، ص 126.

(7) - أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، المصدر السابق، ص 381.

يمكن القول أن توفيق المدني وضع معالم وأبعاد الهوية الوطنية ضمن سياقها التاريخي، وبالمقارنة مع من عاصره من المؤرخين الجزائريين نجد أن المدني اتسم بنزعة دينية في معالجته لواقع الجزائر شأنه في ذلك شأن رفاقه من جيل النهضة أمثال عبد الرحمان الجيلالي ومبارك الملي (1)، فظهرت خاصية التجديد بشكل واضح عندما تطرق إلى قضايا المجتمع الجزائري كالتيكليم والصحافة والشباب، ودعوته لإنشاء المدارس وتكوين الشباب وإتقان العمل في الفلاحة والتجارة وهي الأفكار التي نادى إليها مبارك الملي (2)، كما اشترك معه في حرصه على إظهار الشخصية الجزائرية ببعديها البربري والعربي والمتميزة تاريخيا باستقلاليتها ورفضها الذوبان في الغير، وأكد على قدم تعميهم في المنطقة التي قطنوها منذ القدم وبين اتحاد العنصر البربري مع العربي ليشكلا شعبا واحدا، لهذا فكل من المدني والملي مدرسة فكرية واحدة سعيًا بجهودهما لترسيخ الهوية الوطنية وسط الجزائريين والنشء الصاعد في كتاباتهما التاريخية (3).

ويربط أبو القاسم سعد الله في مقارنة تاريخية بين كتاب الجزائر للمدني وكتاب المرأة لحمدان بن عثمان خوجة (4) في صورة تعكس تواصل النضال الوطني لتأكيد خصوصية المقومات الهوية الوطنية للشخصية الجزائرية المستقلة والمختلفة تماما عن فرنسا، إستدل فيها كلا المؤلفين بحقائق أقرها التاريخ بوجود أمة جزائرية لها مقوماتها التي صنعها أبناؤها على أرضها عبر الزمن، والعمل على إيصال صدى هذه الفكرة محليا وخارجيا في وقت روجت فيه فرنسا لفكرة الجزائر الفرنسية، وأصبحت هناك من الدول العربية والإسلامية نفسها من لا يسمع عن قطر إسمه الجزائر المغاربية العربية المسلمة. كما أن عبد الرحمان الجيلالي نفسه الذي دارت كتاباته في فلك الإهتمامات الفكرية للمدني، قدم من جهته مقارنة للكتابين خلص فيها إلى إعتقاد مؤلفيهما على الواقع الذي عايشاه في تلك الفترة الإستعمارية كمصدر أساسي في الكتابة، ودعم أفكارهما بأسلوب مقنع للتعريف بالقضية الجزائرية كالعودة إلى مبادئ الثورة الفرنسية وما تضمنته من قيم إنسانية مدافعة عن العدل والحرية لإجبارها على الرضوخ للأمر الواقع (5).

**ثانيا- الهوية الوطنية ضمن كتابات مبارك الملي كتاب "تاريخ الجزائر في القديم والحديث":** إن الحديث عن توفيق المدني يجر إلى الحديث عن مبارك الملي (6) حيث أولت كل كتب التاريخ التي ألفها جزائريون منذ أيام الحركة الوطنية الجزائرية للمكون الأمازيغي عناية خاصة، ويظهر ذلك من خلال ما كتبه مبارك الملي، حيث أفرد قسم كبير من كتابه الموسوعي "تاريخ الجزائر في القديم والحديث" الذي أصدره سنة 1928 للعنصر البربري، حيث تحدث بالتفصيل في الجزء الثالث من الكتاب عن البربر وتاريخ الدولة البربرية التي عرفتها الجزائر (7)، وترك كتابه الذي عنوانه بتاريخ الجزائر

(1)- شريف الدين غنو، مسألة الذاكرة ضمن إهتمامات مؤرخي الحركة الوطنية، المرجع السابق، ص 119.

(2)- فارس كعوان، المرجع السابق، ص 364.

(3)- Saad Eddine Ben Chaneb, op cit, p 495.

(4)- أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر النقابي، ج 07، دار البصائر، الجزائر، ط 1، 2007، ص 422.

(5)- عبد الحفيظ موسم، الهوية الوطنية ضمن كتابات أحمد توفيق المدني كتاب الجزائر أنموذجا، المرجع السابق، ص 530.

(6)- المرجع السابق، ص 417.

(7)- عامر بغداداي، المرجع السابق، ص 126.

في الحاضر والماضي والذي نشر جزء الأول في سنة 1929 وجزئه الثاني في سنة 1932 صدى إيجابي كبير في نفوس الجزائريين، لأنه تصدى لأطروحات الفرنسية التي كانت تقول إن الاسلام جاء بدين ولم يأتي بحضارة<sup>(1)</sup>.

بنفس الطريقة التي بحث بها توفيق المدني في كتب التاريخ الخاصة به لإحياء التاريخ الوطني وإعلاء مشاعر أبناء وطنه، بتسليط أعماله الضوء على تاريخ الجزائر وإشادتها بالحضارة العربية الإسلامية، تناول مبارك الملي في كتابه "تاريخ الجزائر القديم والحديث" أهمية التاريخ في وجود الأم، وبين أن دراسة أفراد أمة ما تاريخها، يجعل شبابها يدرك دورها التاريخي ويعرف حقيقتها في التفاعل مع أمم الجوار، وبالتالي الأمة التي لا تعي تاريخها لا تدرك خصوصية جنسيتها<sup>(2)</sup>.

عملت جمعية العلماء على بعث الثقافة العربية في وطن سعى فيه الاستعمار إلى دمجها كلياً مع فرنسا، تبعاً للقوانين الفرنسية التي خولت للمدارس التابعة لها وحدها بنشر التعلم في الجزائر، ومواجهةً لهذه السياسة انتهجت الجمعية مسار نشر الإصلاح الديني والفكري عن طريق التعلم القومي، الذي يقوم على دراسة التاريخ العربي الإسلامي، لأنه السبيل للنهوض بالأجماع الوطنية، من خلال تعريف النشء بتاريخه، قبل توعيته بالتطلعات المستقبلية، وهو المسعى الذي جعل مبارك الملي يؤلف كتاب "تاريخ الجزائر في القديم والحديث"، ومن بعده توفيق المدني كتابه "الجزائر"، في مرحلة كان فيها الفكر الجزائري مهتماً بما كتبه الأوروبيون عن تاريخ بلادهم<sup>(3)</sup>.

وتكمن أهمية الكتابين في تأليفهما خلال الحقبة الإستعمارية من جهة وتوجيههما إلى من يجهل تاريخ أسلافه من الجزائريين خاصة، فالهدف منهما هو التعريف بالشعب الجزائري الذي كانت فرنسا تنكر وجوده، لذا جاء هذان الكتابان للدفاع عن الهوية الجزائرية وإثبات وجودها الذي تنكره فرنسا<sup>(4)</sup>.

وفي الحقيقة فقد أشار بوعلام باقي وزير العدل الجزائري في الكلمة التي ألقاها سنة 1984م بمناسبة المؤتمر الرابع عشر للاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب بالجزائر: أن علماء الجمعية لم يتركوا الكثير من المؤلفات قبل الإستقلال لإنشغالهم بواجبهم النضالي كون حياتهم كانت كفاحاً وأقلامهم كانت سلاحاً، فابن باديس لم يترك كتابات له سوى ما خطه من مقالات في مجلة "الشهاب"، رغم تخرج عدد كبير من أعضاء الجمعية، وهو نفس ما يقال عن البشير الإبراهيمي المشهود له من العرب بمكانته فلم يترك محفوظاً عدى مقالاته على صفحات "البصائر"، فالعلماء إلتزموا مع الثورة فعكفوا على خدمتها ولم ينصرفوا إلى التأليف إلا بعد إستقلال الجزائر، وإسترجاع اللغة العربية لمكانتها<sup>(5)</sup>.

(1)-عبد الوهاب بن خليفه، كتاب تاريخ الحركة الوطنية من الإحتلال إلى الاستقلال، المرجع السابق، ص 138-139.

(2)-Ahmed Sarri, op cit , p 65.

(3)-أحمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المرجع السابق، ص 197.

(4)-عامر بغدادي، الدولة والهوية في الجزائر، المرجع السابق، ص 126.

(5)-محمد خير الدين، مذكرات، ج 02، المصدر السابق، ص 22.

## المبحث الرابع: النشاط الإعلامي والتوعوي.

كان نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في مجال نشر الوعي الاجتماعي على عدة مستويات منها:

### المطلب الأول: النوادي والحركة الكشفية.

أولاً- نشاط نوادي الجمعية: حظيت فئة الشباب باهتمام كبير من قبل جمعية العلماء المسلمين، لتوقف العمل الإصلاحي عليها، لذلك وجهت أغلب نشاطاتها لاستقطاب هذه الفئة من المجتمع الجزائري، فزيادة على المؤسسات التعليمية، ساهمت الجمعية - كما أشرنا سابقاً - في إنشاء النوادي الثقافية والفرق الكشفية، من أجل تربية الشباب تربية اجتماعية ووطنية صحيحة، لخدمة وطنه والمحافظة على شخصيته الجزائرية، من خلال ربطه بتاريخه الأصيل<sup>(1)</sup>.

ومن أجل هذا المسعى نوهت جمعية العلماء برئاسة الإبراهيمي في التقرير المقدم إلى الحكومة الإستعمارية بالجزائر في 05 أوت 1944م إلى مسألة النوادي العربية، الذي تعاملت معه الإدارة الإستعمارية بالشدة بدل التساهل معه نظراً لصلته القوية بالدين، فالجمعية رأت أن النوادي التي أسستها أو تؤسسها هي في حكم مدارس للتعليم ومكملة لوظائفها نحو شباب الأمة الذين تتخطفهم أزقة الشوارع وبيوت الخمر والفجور، وإذا ما أرادت الجمعية القيام بواجبها الديني إتجاههم عليها تنشيط النوادي لتقوم بمهمتها التهديبية، وعلى الحكومة عدم مضايقتها في مهمتها، كإصدارها قرار مارس 1938م الذي نص على منعها من بيع المشروبات المباحة<sup>(2)</sup>، فالجمعية تشجعت إنشاء النوادي الثقافية والاجتماعية، باعتبارها أماكن عامة لالتقاء الشباب الجزائري على اختلاف توجهاتهم الفكرية والسياسية والثقافية، وبالتالي استغلال هذا الالتقاء في وضع الشباب أمام جو مفعم بالمبادئ الإسلامية والعربية، من خلال البرامج الثقافية والمواظب الدينية، التي تقدم في هذه النوادي، حيث كانت نوادي الحركة الإصلاحية مهيكله لتحقيق غايات الجمعية، بتوفير قاعة الاجتماعات ومصلى ومكان لتقديم المشروبات المباحة لتغطية نسبة من ميزانية النوادي، زيادة على ما يجمع من اشتراكات الأعضاء، وخصص جزء من إيرادات النوادي لتغطية الاحتياجات المالية لمدارس الإصلاح التي تقع بالقرب منها<sup>(3)</sup>.

تنوعت أنشطة نوادي الإصلاح في عدة مجالات ثقافية وفنية واجتماعية ودينية، من خلال عقد مؤتمرات تجمع الشباب والطلبة<sup>(4)</sup>، وتنظم محاضرات عامة ومهرجانات وتعرض مسرحيات تعالج الوضع الثقافي في الجزائر، بالإضافة إلى إحياء المناسبات والأعياد الدينية<sup>(5)</sup>، ومن أهم النوادي الثقافية التابعة للإصلاحيين، التي كان لها نشاط ثري نجد "نادي الترقى" الذي أسس في مدينة الجزائر قبل ظهور الجمعية، وواصل نشاطه لصالح الجمعية وكان من النوادي الرئيسية لعلماء الجمعية، بالإضافة إلى "نادي صالح باي" في قسنطينة المؤسس عام 1926م، وعرف باسم "نادي عبد الحميد بن باديس"، ناهيك عن "نادي الاتحاد" بقسنطينة، و"النادي الإسلامي" بميلة، و"نادي التقدم" في البليدة، و"نادي النجاح"

(1)- أحمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المرجع السابق، ص 227.

(2)- محمد خير الدين، مذكرات، ج 01، المصدر السابق، ص 117.

(3)- أحمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المرجع السابق، ص 227-228.

(4)- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج 03، المرجع السابق، ص 116.

(5)- علي مراد، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر، المرجع السابق، ص 378.

في سيدي بلعباس، و"نادي العمل" في سكيكدة، و"نادي الشبان المسلمين" في قلمة<sup>(1)</sup>، فساهمت هذه النوادي وغيرها في ملء الفراغ الذي كان يهدد الشباب الجزائري عامة، واستغلال طاقاتهم الفنية المتنوعة رياضيا وفنيا، وبذلك انتشلتهم من المستنقع الاستعماري الذي عمل على هدم شخصيته ومكانته كجزائري .

فقد كانت تقام في نادي الترقى صلاة التراويح بمسجد الجمعية الخيرية بالجناح الخاص بها في عمارة النادي<sup>(2)</sup>، وهو ما يعني تحويل نوادي جمعية العلماء إلى قاعات للصلاة بديلة عن المساجد الرسمية، ما سمح باستمرار العمليات التحسيسية على مستوى الفضاءات التي إنتقل إليها الخطاب الديني خلال فترة الثلاثينات، فالطبيب العقبي مثلا واصل تقديم دروسه في نادي الترقى على أمل العودة إلى استئناف دروسه بالمساجد الحكومية<sup>(3)</sup>، على إثر عدم تطبيق قانون فصل الدين.

**ثانيا- الكشف:** تم التفكير في تأسيس منظمة كشفية جزائرية ذات مظهر عسكري، على أمل أن يصبح أعضاؤها تحت غطاء كشف لـ: "جنود العروبة والإسلام"<sup>(4)</sup>، وقد تمكن "محمد بوراس" من تشكيل أول فوج للكشافة الجزائرية سنة 1930م بمدينة مليانة، تحت إسم "فوج الخلود"، أعقبه تأسيس فوج آخر بمدينة الجزائر تحت إسم "فوج الفلاح"، وكان "بوراس" متأثرا تأثرا كبيرا بعلماء الجمعية، كالطبيب العقبي وابن باديس وتوفيق المدني، وحاول إنشاء جامعة للكشافة الإسلامية إلا أن الإدارة الاستعمارية رفضت طلبه، لينتظر إلى غاية تولي حكومة "الجبهة الشعبية" زمام الحكم في فرنسا، ويؤسس سنة 1937م أول تنظيم كشفى وطني تحت إسم: "الكشافة الإسلامية الجزائرية" (S.M.A)، وحدث على إثره توحيد الأفواج الكشفية المشتتة عبر التراب الوطني، خلال المؤتمر المنعقد في شهر جويلية عام 1939م بمدينة الجزائر، تحت رئاسة الشيخ عبد الحميد ابن باديس الفخرية، رفع خلالها شعار جمعية العلماء المسلمين الجزائريين: "الإسلام ديننا والعربية لغتنا والجزائر وطننا"<sup>(5)</sup>، كما تم إنتقاء مجموعة من كبار وقدماء تلاميذ المدرسة الجديدة ببسكرة، لتأسيس على إثرها فوج للكشافة الإسلامية، على رأسهم العربي بن مهيدي، الذي كان تلميذا يتابع دروسه بالمدرسة<sup>(6)</sup>.

وبالتالي فالكشافة الإسلامية الجزائرية نشأت وتطورت ضمن الإطار الإصلاحي، الذي تشرف عليه جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وهو ما يدل عليه إسمها، وكان أغلب المنتسبين إليها من تلاميذ المدارس الحرة الشعبية، وإشراف معلمها على مهمة الإرشاد في الكشف، كما تلقت الدعم الكبير من الحركة الإصلاحية بمشاركة ابن باديس والعقبي والابراهيم في عدد كبير من التجمعات التي تنظمها للشباب، ضف لهذا مساهمة شعراء الجمعية في تأليف عدد من أناشيد الحركة الكشفية الجزائرية من أمثال: "محمد العيد آل خليفة"، وكانت أناشيد مشبعة بالروح الوطنية المناهية

(1)- أحمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المرجع السابق، ص 228-229.

(2)- مسائل جزائرية "منع التعليم الديني بالمساجد قرار من برقي عمالة الجزائر في ذلك لعمالته"، الشهاب، ج 04، مج 09، 12 مارس 1933، ص 188-189.

(3)- غفاف زقور، المرجع السابق، ص 48.

(4)- علي مراد، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر، المرجع السابق، ص 314.

(5)- أحمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المرجع السابق، ص 230.

(6)- محمد خير الدين، مذكرات، ج 01، المصدر السابق، ص 136.

بالاستقلال، والمعززة للانتماء القومي العربي للشعب الجزائري، نظراً لتركيز جمعية العلماء في الشق الاجتماعي على تغذية الإحساس الوطني للشباب<sup>(1)</sup>، وهو ما تدل عليه أهداف الجمعيات الكشفية على صفحات البصائر<sup>(2)</sup>.

### المطلب الثاني: المقالات الصحفية.

قدم ابن باديس مطالبه من الاستعمار بالعرائض والمقالات التي نشرها على الجرائد الإصلاحية، وتمثلت هذه المطالب في:

- حق الأمة الجزائرية أن يكون لها ممثلين في جميع المجالس المنتخبة.

- ترسيخ اللغة العربية إلى جانب اللغة الفرنسية.

- معاملة الصحافة الناطقة بالعربية، كمعاملة زميلتها الناطقة بالفرنسية.

- تسليم المساجد للمسلمين، وتخصيص ميزانية تليق بها ويتولى أمر المساجد جمعيات دينية جزائرية.

- طالب الإدارة الفرنسية بتأسيس كلية لتعليم الدين والشرعية الإسلامية<sup>(3)</sup>.

- تحرير القضاء الإسلامي من المنظومة القضائية الفرنسية، وهي مطالب كان جده المكي بن باديس القاضي

وعمه حميدة قد سبقاه إليها في نهاية القرن 19م.

- طالب أيضاً بالهوية الوطنية والأحوال الشخصية والشرعية الإسلامية<sup>(4)</sup>.

ومن أهم ما جاء من مقالات صحفية حول موضوع الهوية الوطنية في هذه الجرائد نجد:

- **جريدة المنتقد:** تضمنت جريدة "المنتقد" مقالات توضح المبدأ السياسي الذي حافظ من خلاله ابن باديس

على قيم الأمة الجزائرية وتقاليدها ودينها ولغتها، كتبت: "نحن قوم مسلمون جزائريون في نطاق مستعمرات

الجمهورية الفرنسية، فلأننا مسلمون نعمل على المحافظة على تقاليد ديننا التي تدعو إلى كل كمال إنساني...

وفي المحافظة على هذه التقاليد المحافظة على أهم مقومات قوميتنا وأعظم أسباب سعادتنا وهنائنا لأننا نعلم أنه

لا يقدر الناس أن يعيشوا بلا دين وأن الدين قوة عظيمة لا يستهان بها وأن الحكومة لا تتجاهل دين الشعب

تسيء في سياسته وتجلب عليه وعليها الأضرار... لا نعني بهذا أننا نخلط بين الدين والسياسة في جميع شؤوننا

ولا أن يتداخل رجال الدين في سياستنا وإنما نعني اعتبار الدين قواماً لنا ومهيماً شريفاً لسلوكنا ونظاماً محكماً

نعمل عليه في حياتنا وقوة معنوية نلتجئ إليها في تهذيب أخلاقنا... ولأننا جزائريون نعمل للم شعث الأمة

الجزائرية وإحياء روح القومية في أبنائها وترغيبهم في العلم النافع والعمل المفيد حتى ينهضوا كأمة لها حق

الحياة... " (5).

(1)- أحمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المرجع السابق، ص 230-231.

(2)- يُنظر: كشافي تلمساني، كشفة المنصورة، البصائر، العدد 128، مج 05، 29 جمادى الثانية 1357هـ/26 أوت 1938م، ص 317. وأيضاً:

محمد الحسن الورتلاني، جمعية كشافة الرجاء، البصائر، العدد نفسه، ص 318.

(3)- لم يتمكن من إنشائها بإمكانياته الخاصة، لأنه كان يحلم بإنشاء كلية يضاهي بها الزيتونة، ولكنه لم يتمكن فطالب فرنسا بذلك فرفضت طلبه.

(4)- عبد العزيز فيلاي، الكلمة الافتتاحية، المرجع السابق، ص 15-16.

(5)- المنتقد، العدد 01، مج 01، 11 ذي الحجة 1343هـ/2 جويلية 1925م، ص 05.



في مقال بعنوان "نكبات الأمة الجزائرية" أشارت جريدة "المنتقد" إلى تاريخ الأمة الجزائرية مع النكبات منذ القدم، مركزة على أنه بدخول الإسلام إليها إمتلك القلوب لا الأراضي، فجنتحت الأمة الجزائرية إليه واتخذت منه ديناً أبدياً، وأصبحت حرة متمدنة، نظراً لما تميز به المسلمون من معاملة حسنة، فبادرت إلى الإحتماء به، والدخول في زمرته وتعلم لسانه، فأصبحت أمة إسلامية عربية بعدما كانت وثنية بربرية أو مسيحية رومانية، فتمازجت الأمة الجزائرية بالأمة العربية الإسلامية تمازج الروح بالبدن، إلا أن ما مرت به الأمة في تلك الفترة من نكبة مرده لأرباب الصوفية، وتسلبتهم على العامة باسم الدين بسبب كثرتهم، وهم جذور النكبات التي ما فتئت تمتد عروقها حتى كادت أن تمحي الأمة الجزائرية من الوجود<sup>(1)</sup>.

أشار الطيب العقبي في مقاله في جريدة "المنتقد" تحت عنوان "الدين والإجتماع" إلى ضرورة العودة بالأمة الجزائرية إلى دينها الصحيح وعقيدته الأصيلة قائلاً: "... إذ الأعمال إنما هي نتائج العقائد تصلح بصلاحتها وتفسد بفسادها وقد فسدت العقائد عن أكثر الناس، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما صلح به أولها، فإلى الدين الخالص إلى العلم الصحيح، إلى عمل السلف الصالح، إلى الإلتباع ورفض الإبتداع ندعو العاملين والله ولي المؤمنين"<sup>(2)</sup>.

وهو نفس الأمر الذي دعى إليه مبارك الميلي في مقال تحت عنوان "هل نحن في بداية نهضة؟؟!!" على جريدة "المنتقد" قائلاً: "... فيا أيتها الأمة الجزائرية إرجعي إلى دينك ولغته فلن تسعدي إلا به ولن تسعدي به إلا بإحكام لغته، إن ديننا خالط مزاجنا وتمكن من شرايين أبدانها لا تقبل ذواتنا دواء بغيره مما يخالف طبيعته، ومن حاول إصلاح أمة إسلامية بغير دينها فقد عرض وحدتها للإنحلال وجسمها للتلاشي وصار عادماً لعرشها بنية تشييده، ومن أعرض عن اللغة العربية فقد أعرض عن ذكر ربه ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذاباً صعباً"<sup>(3)</sup>.

- جريدة الشهاب: نظراً للدور الذي تلعبه الصحافة في عملية الإصلاح فقد جاء في جريدة "الشهاب" مقال تحت عنوان "الجرائد والإصلاح" يوضح أهمية الجرائد الناطقة باللغة العربية في تنوير الرأي العام بمصالح الوطن، وخدمة الدين، وعدم الحياد عن هذا المبدأ<sup>(4)</sup>، وبناءً على هذا الدور واصلت "الشهاب" مساعيها على نفس نهج سابقتها "المنتقد" من خلال نشر مقالات تخدم الوطن والدين والقومية الجزائرية. ففي مقال تحت عنوان "ذكرى لأبناء الوطن" دعت فيه "الشهاب" إلى ضرورة الإتحاد والتعاقد بين أفراد الأمة الجزائرية من أجل خدمة الوطن، حيث جاء في المقال: "... بني وطني تعالوا نتعاضد على العمل لفائدة الوطن. الوطن والدين فإنه سيأتي يوم يجازي فيه المحسن بأحسنه والمسيء بإساءته يوم لا ينفع فيه مال ولا جاه إلا من أتى للوطن والدين يعمل نافع جليل..."<sup>(5)</sup>.

(1)- حبشاش محمد الصالح، نكبات الأمة الجزائرية، المنتقد، العدد 04، مج 01، 03 محرم 1343هـ/23 جويلية 1925م، ص ص 17-18.

(2)- الطيب العقبي، الدين والإجتماع، المنتقد، العدد 6، مج 01، 16 محرم 1343هـ/06 أوت 1925م، ص ص 25-26.

(3)- مبارك بن محمد الميلي، هل نحن في بداية نهضة، المنتقد، العدد 10، مج 01، 14 صفر 1344هـ/3 سبتمبر 1925م، ص 41.

(4)- المولود بن الصديق الحافظي الأزهرى، الجرائد والإصلاح، الشهاب، العدد 04، مج 01، 16 جمادى الأولى 1344هـ/3 ديسمبر 1925م، ص 75.

(5)- حر الضمير، ذكرى لأبناء الوطن، الشهاب، العدد 05، مج 01، 33 جمادى الأولى 1344هـ/10 ديسمبر 1925م، ص ص 100-102.

وفي نفس الموضوع كتبت مقالا آخر تحت عنوان "الجرائد ومنافعها" ذكرت بفضل "الشهاب" في لم شمل الجزائريين ودرء الفتنة والسعي للوحدة قائلة: "... وهذه الأمة الجزائرية كانت قبل ظهور الفن منبع العلوم ومهد الحضارة وبسبب ما ذكر رجعت القهقري وولت الأدبار. ومن غير بعيد كنا نسمع الحضري يكفر البدوي والبدوي يستحل رقبة الحضري والقبائلي يسب العربي والعربي يشتم البربري والبربري يستحل أموال المزايبي والمزايبي يفر من الأصناف المذكورة فرار الحمر من القسورة والحال أن الأمة واحدة ونيهم وقرآنهم وقبلتهم واحدة..."<sup>(1)</sup>.

-جريدة الصراط السوي: تطرقت الصراط إلى مسألة تعليم النشء دينهم الإسلامي ولغته العربية قائلة: "إن مسألة تعليم أولادنا دينهم ولغة دينهم هي في نظر كل مسلم مسألة المسائل وأعظم المطالب لأنها عبارة عن حفظ الإسلام في قلوب أبنائنا وبقائهم مسلمين لا يموتون إلا وهم مسلمون وهذا الإسلام الشريف عندنا أعز من الأرواح والأموال وكل عزيز... ونحن -معشر المسلمين الجزائريين- قد منعنا منه في كثير من جهات قطرنا... كما كثرت الطلبات لفتح المكاتب لتعليم أولادنا مبادئ الإسلام ولغة الإسلام فمن المسؤول عن هذا المنع يا ترى؟"<sup>(2)</sup>.

وفي مقال آخر عن الدين الإسلامي دعت الصراط الأمة الجزائرية إلى المحافظة على الإسلام بتعليمه لأبنائهم قائلة: "وما مظهر المحبة إلا التمسك بالإسلام والمحافظة عليه والعمل على بقاءه راسخا في القلوب منتشرا في آفاق الأرض... فليعلم إخواننا المسلمون أن الإسلام دين له عقائد وأخلاق وأحكام وأن على المسلم أن يعرب من ذلكما لا يكون المسلم مسلما إلا به وأن عليه أن يقوم بذلك في أهله وبنيه وبناته ومن في رعايته وكفالاته"<sup>(3)</sup>.

كما شددت الصراط على ضرورة اختيار الآباء للمدارس التي يتعلمون فيها أبنائهم دون أن يمس تعلمهم للغة الفرنسية بعقيدتهم الإسلامية لأهميتها في حفظ النشء من المدارس النصرانية، حيث كتبت: "نحب لأبنائنا أن يتعلموا اللغة الفرنسية... دون أن نرضى بأن يمس شيء ولو قليلا من أمر عقيدتهم وصبغتهم الدينية لأن العقيدة والصبغة الدينية عندنا هي فوق كل شيء وقبل كل شيء وأعز من كل عزيز وأعظم من كل عظيم. فلهذا يجب علينا عندما نأخذ بيد أبنائنا لتعلم اللغة الفرنسية وما يعلم بها أن نبحث عن المدرسة التي نريد تقديمهم إليها هل هي من المدارس العلمانية المحضة التي لا تتعرض للدين والعقيدة... أم هي مدرسة دينية لا تخلو من شيء من هذا ولو كان قليلا"<sup>(4)</sup>، ورغم أن التجارب دلت على: "أن الأمة الجزائرية من أشد الأمم محافظة على جنسيتها ومن أقواها تمسكا بها مما أكسبها إحتراما عند كل معتز بجنسه، محترم لأصله، أمين على تراث أسلافه. حتى يبلغه لأبنائه

(1)-محمد الحاج إبراهيم الطرابلسي، الجرائد ومنافعها، الشهاب، العدد 08، مج 01، 14 جمادى الثانية 1344هـ/31 ديسمبر 1925م، ص ص 159-161.

(2)-من المسؤول عن المنع من تعليم أولادنا؟، الصراط السوي، العدد 03، مج 01، 05 جمادى الثاني 1352هـ/25 سبتمبر 1933م، ص 01.

(3)-أيها المسلمون! إحتفظوا بالإسلام على أبنائكم إذا كنتم مسلمين، الصراط السوي، العدد 04، مج 1، 19 جمادى الثاني 1352هـ/09 أكتوبر 1933م، ص 1.

(4)-مدارس الحكومة العلمانية والمدارس النصرانية أيهما يسوغ للمسلمين أن يقصدها بأبنائهم، الصراط السوي، العدد 06، مج 1، 04 رجب 1352هـ/23 أكتوبر 1933م، ص 01.

من بعده" إلا أن هذا لم ينعكس بمثله في المحافظة الدين الإسلامي لذلك دعت الجمعية إيلاء الآباء أهمية للمحافظة على إسلام أبنائهم أكثر من المحافظة على أرواحهم<sup>(1)</sup>.

- جريدة السنة المحمدية: جاء في العدد الأول من الجريدة إشارة إلى بعث العقيدة الإسلامية الصحيحة للفرد الجزائري في كنف الوحدة الوطنية من خلال قول ابن باديس: "... فيها وحدها ما يرفع أخلاقنا من وهدة الإنحطاط ويظهر عقيدتنا من الزيف والفساد ويبعث عقولنا على النظر والتفكير ويدفعنا إلى كل عمل صالح ويربط وحدتنا برباط الأخوة واليقين ويسير بنا في طريق واحد مستقيم ويوجهنا وجهة واحدة في الحق والخير ويحيي منا النفوس والهمم والعزائم ويشير كوا من الآمال ويرفع عنا الأسر والأغلال ويصيرنا -حق- خير أمة أخرجت للناس..."<sup>(2)</sup>.

إضافة لهذا إنتقدت الجمعية في نفس العدد إستمرار الإدارة الإستعمارية سياسة مقاطعة المساجد وحرمان العلماء من من الوعظ والإرشاد فيها وأعربت عن إستنكار الأمة الجزائرية لهذا الوضع من خلال قيامها بمظاهرات يومي 24 فيفري و03 مارس 1933م في مدينة الجزائر، على إثر ما تعرض له الطيب العقبي من منع لمواصلة عظاته البليغة ودروسه الدينية، مظهرين إستيائهم واستنكارهم للقرار الذي اعتبروه اعتداء على الدين الحنيف، وتأثيراته بتراجع عدد مصلي الجمعة في العاصمة<sup>(3)</sup>.

كما أعرب الطيب العقبي أن الأمة الجزائرية تشهد نهضة إصلاحية جاءت في أوانها، بفضل رجال الإصلاح الديني، لتشييد هيكل تقدم الأمة والتخلص من الخضوع للطريقة والإستعمار، باتباع الكتاب والسنة لتمدين الشعب وتحذيب الأمة<sup>(4)</sup>، التي هي في إقبال متزايد على دروسها، وما خلفته من تبديل لحياة الناس في المناطق التي يقيم فيها بعض علماء أعضاء الجمعية، بتزايد عدد المصلين وقل الخمر، وفتح المكاتب لتعليم الأبناء مبادئ الدين واللغة والآداب الإسلامية<sup>(5)</sup>.

كما أشار إبراهيمي إلى: "أن الأمة الجزائرية هي قطعة من المجموعة الإسلامية العظمى من جهة الدين وهي ثلة من المجموعة العربية من حيث اللغة التي هي لسان ذلك الدين... وأن التاريخ لم يعرف ديناً من الأديان لم يبق على أساس الجنسية ولم يرجع على قواعدها إلا دين الإسلام... ولهذا خاطبت العالم البشري بلسان واحد، وبلهجة واحدة إن كانوا لا يعرفونها فإنهم سرعان ما يألفونها لأنها تدعو الأرواح لما يزيكها وتدعو الأجسام لما يحفظها وبقية... هذا الإسلام- قاما اللسان العربي فهو لسان هذا الدين الذي نزل به كتابه وهو -بعد- ترجمانه الحاذق الذي نقل الإسلام وما فيه من عقائد سامية..."، ثم يضيف عن الدين قائلاً: "... إن الدين هو اللغة

(1)- ألا تحافظون على دينكم كما تحافظون على جنسكم، الصراط السوي، العدد 09، مج 1، 25 رجب 1352هـ/ 13 نوفمبر 1933م، ص 1-2.

(2)- عبد الحميد ابن باديس، بواعثنا- عملنا- خطتنا- غايتنا، السنة النبوية المحمدية، العدد 01، مج 02، 08 ذي الحجة 1351هـ/ دون ت م، ص 1.

(3)- مقاطعة المساجد، السنة النبوية المحمدية، العدد 01، المصدر السابق، ص 03.

(4)- الطيب العقبي، "لسنا أعداء لفرنسا ولا نحن نعمل ضد مصلحتها بل نعينها على تمدين الشعب وتحذيب الأمة ونساعدنا" نخبة الجزائر اليوم،

السنة النبوية المحمدية، العدد 02، 22 ذي الحجة 1351هـ/ 17 أبريل 1933م، ص 01-02، وص 07.

(5)- العربي بن بلقاسم التبسي، هذه جريدة "السنة" يا أهل السنة، السنة النبوية المحمدية، العدد 02، المصدر السابق، ص 03، وص 06.

وإن اللغة هي الدين فبينما هما دين ولغة إذا هما شيء واحد وإذا تلك النفوس التي كانت بعيدة عن مزاج هذا الدين وعن مزاج لغته تعتقد أن معنى العربية جزء من معنى الإسلام...<sup>(1)</sup>.

-جريدة الشريعة: كتبت الزاهري حول تزايد مظاهر التجنيس في الأمة الجزائرية قائلاً: "... إنه من الخير لفرنسا أن يبقى هذا الشعب عربياً مسلماً يقاسمها السراء والضراء، وليس من الخير لها أن يترك الإسلام ويصير مسيحياً لا يرضيه منها شيء... فهذه الأمة العربية المسلمة إن لم تستيقظ اليوم، فلابد أن تستيقظ غدا... أيها المسلمون الجزائريون إنها لكبيرة من الكبائر، وعظيمة من العظائم أن يتنصر ألف وسبعمائة مسلم هم من صميم الإسلام في وطن كالجزائر كل أهاليه مسلمون لا يوجد بينهم ولا واحد غير مسلم ونحن بعد ذلك ندعي أننا من أشد الناس تمسكاً بالإسلام. يجب أن نعالج هذا الداء بالوسائل العادلة المشروعة قبل أن يستفحل ويعظم أمره علينا"<sup>(2)</sup>.

كما أكد البشير الإبراهيمي الغايتين الوطنيتين من تأسيس جمعية العلماء المسلمين قائلاً: "... إن جمعيتم هذه أسست لغايتين شريفتين لهما في قلب كل عربي مسلم بهذا الوطن مكانة لا تساويها مكانة وهما إحياء مجد الدين الإسلامي وإحياء مجد اللغة العربية. فأما إحياء مجد الدين الإسلامي فبإقامته كما أمر الله أن يقام بتصحيح أركانه الأربعة العقيدة والعبادة والمعاملة والخلق... وأما إحياء مجد اللسان العربي فلأنه لسان هذا الدين والمترجم عن أسرار ومكباته-لأنه لسان القرآن الذي هو مستودع الهداية"<sup>(3)</sup>.

-جريدة البصائر: تضمنت عدة مقالات عن الهوية الوطنية وضرورة إحياء مقوماتها والمحافظة عليها ومن الأمثلة على ذلك ما أورده ابن باديس حول الجنسية القومية موضحاً أن الشعوب تختلف بمقوماتها ومميزاتها كما يختلف الأفراد حيث كتبت: "... لا بقاء لشعب إلا ببقاء مقوماته ومميزاته كالأشأن في الأفراد، فالجنسية القومية هي مجموع تلك المقومات وتلك المميزات وهذه المقومات والمميزات هي اللغة يعرب بها ويتأدب بآدابها، والعقيدة التي يبنى حياته على أساسها، والذكريات التاريخية التي يعيش عليها وينظر لمستقبله من خلالها والشعور المشترك بينه وبين من يشاركه في هذه المقومات والمميزات"<sup>(4)</sup>، داعياً الأمة الجزائرية للمحافظة على جنسيتها القومية من الاندماج.

وباعتبار اللغة من أهم مميزات الجنسية القومية وإستقلال الأمة نوهت البصائر أنها أساس الحياة القومية قائلة: "الإستقلال والحرية لا يكونان إلا إذا كان المرء متمسكاً بعوائد بلاده وتقاليدها ولغة أجداده وأي إستقلال ننشد

(1)-محمد البشير الإبراهيمي، الإسلام والمسلمون شجون من الحديث عنها وعن الإصلاح الديني، السنة النبوية المحمدية، العدد 04، مج 02، 06 محرم 1352هـ/ 01 ماي 1933م، ص 03.

(2)-محمد السعيد الزاهري، ألف وسبعمائة مسلم يرتدون عن دينهم الخفيف ويعتقون النصرانية الكاثوليكية، الشريعة النبوية المحمدية، العدد 02، مج 02، 01 ربيع الثاني 1352هـ/ 24 جويلية 1933، ص 07.

(3)-محمد البشير الإبراهيمي، الجمعية دعوتها وغايتها، الشريعة النبوية المحمدية، العدد 04، مج 02، 15 ربيع الثاني 1352هـ/ 07 أوت 1933، ص 03.

(4)-عبد الحميد ابن باديس، الجنسية القومية والجنسية السياسية، البصائر، العدد 58، مج 04، 29 ذو الحجة 1355هـ/ 12 مارس 1937م..

عند من لا يعرف شيئاً من ذلك مهما حسنت نيته وما مثله إلا كمثل ولد لغير رشد يفتخر بآباء الغير<sup>(1)</sup>، وحول التجنيس قال العقبي: "التجنس -بمعناه في شمال إفريقيا- حرام والإقدام عليه غير جائز بوجه من الوجوه"<sup>(2)</sup>.

كما لفت البصائر نظر الأمة إلى مخاوفها على اللغة الجزائرية الدارجة بعد تغريب اللغة العربية الفصحى، لكثرة المفردات الفرنسية التي أصابت اللسان الجزائري بالعي أثناء الكلام، حيث كتبت: "من المناظر التي تفاجيء ولا تفارق الباحث المتجول في القطر الجزائري ما يشاهده في غالب العنصر الإسلامي من العي في الألسن، والضعف البادي في ملكة الكلام حتى في الأمور الجارية المألوفة"<sup>(3)</sup>.

وتعتبر البصائر من أكثر جرائد الجمعية التي حاربت التجنيس واعتبرته على لسان العربي التبسي غزوا للعقائد الإسلامية ومحاول لتكفير المتجنس، ونوع من المسخ لما ينتج عنه من رفض المتجنس لأحكام الإسلام الإلاهية وخضوعه للأحكام الوضعية رغبة في الدنيا، مثل الزواج بالأجنبيات وما ينجم عنه من إندماج الزوج في أمة زوجته، ومغادرته الشريعة الإسلامية، وتتبع الأبناء لأهمهم متجنسين تجنسا يقطع صلتهم بدينهم وأمتهم الجزائرية، لذلك نصح بالتوبة والرجوع لدين الإسلام حسب ما تنص عليه فتوى علماء الجمعية، الذي نشرتها البصائر في نفس العدد<sup>(4)</sup>.

وكتبت عن الوطنية الصادقة وأثرها على الوطن وسيادته أن: "الوطنية الصادقة هي العمل لرفع شأن الوطن، وإذا كان كذلك، وصحبها الشعور الحي والوجدان الصادق عادت بالخير على الوطن كله وغذت الروابط الاجتماعية... ومن أهم الأسباب والوسائل لرقى الوطن الاتحاد والتناصر بين جميع طبقاته وأفراده وجماعاته ففي هذا وحده مجد الأمة... ومتى أحسن كل واحد منا بمثل هذه الوطنية الصادقة وجعلها أساسا للتعاون مع إخوانه وقام كل واحد بتأدية ما كلف به من الواجبات والحقوق الوطنية إرتفع شأن الوطن ونال حظه من السيادة والحرية"<sup>(5)</sup>.

ولا يمكن أن نمر على فترة الثلاثينات دون أن نشير إلى دور الصحف الإصلاحية المساندة لجمعية العلماء. مثل جريدة "الدفاع-La Defense" للأمين العمودي، التي تعتبر الناطق شبه الرسمي بإسم العلماء والمعبّر عن أفكارهم لدى النخبة الجزائرية المفرنسة والفرنسيين وإدارتهم الإستعمارية، بالإضافة لأنها كانت داعما قويا للجمعية، ومنذ اختفائها سنة 1938م لم تتلقى جمعية العلماء الدعم من الجرائد الوطنية الناطقة بالفرنسية كالذي كانت تتلقاه من جريدة الدفاع<sup>(6)</sup>.

(1)- اللغة أساس الحياة القومية لا حياة لشعب لا لغة له يتعلق بها، البصائر، العدد 59، مج 04، 06 محرم 1356 هـ/ 19 مارس 1937م.

(2)- الطيب العقبي، كلمتي الصريحة في التجنيس والمتجنسين، البصائر، العدد 77، مج 04، 11 جمادى الثانية 1356 هـ/ 30 جويلية 1937م.

(3)- أبو العباس أحمد بن الهاشمي، بعد غربة اللغة العربية أصبحنا نخشى على اللغة الدارجة!، البصائر، العدد 08، مج 03، 28 ذي القعدة 1354 هـ/ 21 فيفري 1936م.

(4)- العربي التبسي، فتوى جمعية العلماء في التجنيس الكلي والجزئي، البصائر، العدد 95، مج 05، 12 ذي القعدة 1356 هـ/ 14 جانفي 1938.

(5)- عمر العريايوي، الوطنية الصادقة، البصائر، العدد 73، مج 08، 28 جمادى الأولى 1368 هـ/ 28 مارس 1949م.

(6)- أحمد صاري، من جرائد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الشاب المسلم، أعمال الملتقى الوطني الصحافة الإصلاحية بين المقومات الوطنية والواقع، يوم 18 ماي 2014 بقسنطينة، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2015، ص 101.

- جريدة الشباب المسلم: رحبت جمعية العلماء بجريدة الشباب المسلم منذ إنطلاقتها سنة 1952م، لكونها كانت الناطقة بإسمها والمعبرة عن أفكارها باللغة الفرنسية<sup>(1)</sup>، ولقد ركزت على الدين الإسلامي باعتباره من أهم مقومات الهوية الوطنية الجزائرية طيلة أعداد السنة الأولى من نشاطها. مثلما أشار إليه طالب الإبراهيمي قائلاً: "مثل كل تجربة تستحق هذا الاسم، لقد خلصت سنتنا الأولى بتعزيز قناعتنا أكثر فأكثر عمقا: إيماننا في الإسلام. الإسلام الموجه للبشرية كافة، ففيه تكون نجدة هذا العصر الذي يتخبط في الشقاء. على أتباعه أن يفهموه وينشروه تحت وجهه الحقيقي"، لكون الجريدة موجهة إلى الشباب المسلم المتكون في المدرسة الفرنسية بهدف: "التوضيح والتوحيد لهؤلاء الشبان الذين وصلوا إلى مفترق الطرق ليجدوا سبيل الإسلام وهم في الظلمات الكاملة"، ويتم تحقيق هذا الهدف على عدة مستويات، في مقدمتها المستوى العقائدي الذي يبرز شعارا لأفكار الجريدة من خلال "الدفاع وشرح الإسلام وإيصاله إلى عنصره الأول. أثناء هذه السنة الأولى، في نور القرآن والحديث بعض المبادئ للعقيدة الإسلامية في الميادين المختلفة للحياة. ولقد جاوبنا أولئك الذين يستعملون الشتم والجدل وحاولوا تشويه الإسلام"<sup>(2)</sup>.

وتظهر جليا هذه المبادئ على صفحات الجريدة التي أبانت عنها منذ عددها الأول ورسمت خطها الإصلاحي الموجه للشباب بنشرها لأسس العقيدة الإسلامية عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي وضعها ابن باديس<sup>(3)</sup>، بالإضافة إلى ربط الشباب الجزائري المسلم بدينه من خلال تنويه توفيق المدني في المقال الافتتاحي إلى وجوب ربط الصلة بين الشباب المسلم من الثقافة العربية والمتكئين من الثقافة الفرنسية، والانصهار في نفس الجسم الوطني والإسلامي، لأنه على الرغم من الروابط التي لا تنفصم من وطن مشترك ودين ومثل عليا، إلا أنهم معرضون لخطر التقسيم بتشويه أفكارهم، رغم أنه أكد فشل هذا المخطط الإستعماري قائلاً: "وإننا نستطيع أن نؤكد بكل فخر ويقين أن الاستعمار سيفشل في محاولاته الإجرامية، وسيظل وطن أجدادنا الأبرار محتفظا بوحدته إلى الأبد تحت الرعاية الروحية للإسلام وفي إطار الثقافة العربية.."، لكنه حذر من الواقع القاسي الذي يعيشه الشباب الجزائري المثقفين بالفرنسية فقط، كونهم يعرفون القليل أو لا يعرفون شيئا عن الإسلام<sup>(4)</sup>.

ولأهمية العقيدة الإسلامية عند الشباب باعتبارها مرجعية الأمة الجزائرية واستمرار الجمعية في نهجها الثابت لتصحيحها في نفوس الجزائريين وفقا لما أرساه ابن باديس من مبادئ كتبت الجريدة: "لقد أكدنا دائما على العودة إلى الطهارة الأولى للإسلام -التي اكتسب فيها المؤمنون الأوائل نصاحة الفضائل وفتح ثلث المعمورة ومن ألمع

(1)- أحمد صاري، من جرائد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الشباب المسلم، أعمال الملتقى الوطني الصحافي بين المقومات الوطنية

والواقع، المرجع السابق، ص 102.

(2) - أحمد طالب الإبراهيمي، حصيلة سنة، الفتى المسلم، ج 01، تعريب محمد المعراجي وعمر المعراجي، دار ثالة، الجزائر، ط 02، 2013، ص ص 261-262.

(3)- Abdel Hamid Ben Badis, Bases fondamentales de la doctrine de l'association des Oulamas musulmans d'Algérie, Le Jeune musulman, N° 01, 01<sup>er</sup> Année, vendredi 13 Ramadhan 1371/ 06 Juin 1952, Dar Algharb Al-Islami, Beyrouth, Liban, 2000, p 04, p 07.

(4)- Taoufik El Madani, Editorial, Le Jeune musulman, N° 01, op cit, p 01.



الحضارات- التي تكون الشرط الأساسي لنهضة العالم الإسلامي. صرنا منذ ستة قرون "مسلمين جغرافيين". ذلك لأننا مسلمون بالإسم فقط"<sup>(1)</sup>، وكتبت أيضا: "من الممكن أن نكون تلاميذ الغرب- مثلما كنتم في القرون الوسطى- في الميدان العلمي والتقني ولكننا قبل كل شيء ورثة العقيدة وحضارة واجبها العودة إلى التقاليد والعودة إلى المبادئ".

وعلى المستوى الوطني حللت الجريدة بعض المشاكل الجزائرية محاولة البحث عن علاج فعال لها، وعلى رأسها كشف بعض دسائس الإستعمار الهادفة إلى تفرقة الجزائريين، وصممت الجريدة على أن تظل مستمرة في كفاحها متجاوزة كل فكر حربي في سبيل وحدة الشعب وتحقيق تطلعاته المشروعة وحقه في الحرية والإستقلال، وبخصوص الإنتماء الوطني أكدت الجريدة على الارتباط الوثيق للجزائر بمحيطها الإسلامي قائلة: "لقد أكدنا على ارتباطنا الذي لا يحل مع العالم الإسلامي والجزائر جزء منه أحب من أحب وكره من كره"<sup>(2)</sup>.

وبالنسبة لمقوم اللغة العربية ناقشت الجريدة رأي أحد المسلمين من "مونبليي" حول الإكتفاء باستعمال العربية في العبادة فقط قائلا: "هكذا كاتبنا مسلم من مدينة مونبليي... يجب أن تترك اللغة العربية وأن تخصص سوى للعبادة والدراسة... ولا تستعمل في الحياة الدنياوية لتخصص فقط لميدان الدين!" وردت الجريدة على رأيه الذي إعتبرته سخيفا مدافعة عن اللغة العربية بالحجج قائلة: "...إن هذه اللغة القرآنية باستعمال جيد من قبل عشرات الملايين من البشر... لا يمكن أن تختفي من يوم لآخر بانقراض شامل وعنيف لكل هؤلاء الناس الذين يجعلون منها لغة حية"<sup>(3)</sup>. ثم تساءل عن السبب الذي يجعل الفرنسيين يلحون على فكرة تخلي الناس عن لغتهم الأصلية، ويجب عن ذلك قائلا: "دون شك أن تنجح في جعل الناس يتخلون عن لغة أجنبية لتقاليدهم الإجتماعية والوطنية، ولو أنها أطعمت فيهم منذ جيلين أو ثلاثة. ولكن لا يمكنك أبدا أن تجعلهم يرفضون لغة تغذوا بها مع حليب أمهاتهم، لغة ترجع إلى أصول تاريخه وغرست فيهم جذورا عضوية تقريبا. يمكنك إن كنت سلطانا قويا أن تمنعهم من الكلام بلهجتهم أمام الملاء... يمكنك أن تقطع ألسنتهم وتخط شفاههم سيقون ويتابعون في النطق في قلوبهم تلك الكلمات الصامتة التي لا يمكنك أن تهدمها"<sup>(4)</sup>.

### المطلب الثالث: الرحلات والتجمعات والملتقيات.

تعتبر التجمعات والمؤتمرات من السبل التي اعتمدتها جمعية العلماء منذ إنشائها بهدف نشر فكرها الإصلاحية وسط الأمة الجزائرية وإرشادها إلى الدين الصحيح، وتوعية العلماء الناس من أجل النهوض بهم ورفع الغبن عنهم والمحافظة على شخصيتهم الوطنية ومقوماتهم الأصيلة. فقد قام رجال الجمعية بتنظيم مؤتمرات سنوية ذات صبغة علمية وثقافية حضرها آلاف العاملين والمؤيدين وشيوخ الزوايا والطرق الصالحين من مختلف الطبقات الإجتماعية ومن جميع النواحي

(1) -أحمد طالب الإبراهيمي، العالم الإسلامي يسير، الفتى المسلم، ج 01، المصدر السابق، ص 395.

(2) -أحمد طالب الإبراهيمي، حصيلة سنة، الفتى المسلم، ج 01، المصدر السابق، ص 262.

(3) -أحمد طالب الإبراهيمي، اللغة العربية والإسلام، الفتى المسلم، ج 01، المصدر السابق، ص 403-404.

(4) -نفسه والصفحات.

الجزائرية، فكانت أشبه ما يكون بأسواق عكازية يتبارى فيها الشعراء والخطباء، وفرصة يتدرب خلالها الناشؤون على أساليب الدعوة الخطابية، وطرق الإلقاء والإرشاد<sup>(1)</sup>.

كما كانت بعض إجتماعات الجمعية ردا منها على السياسة الإستعمارية وقوانينها الجائرة ضد مقومات الهوية الجزائرية، حيث سجلت مدينته الجزائر بعد إصدار "قرارات ميشال" حراكا اجتماعيا غير مسبوق سنة 1933م، من خلال سلسلة الإضطرابات والتظاهرات والاجتماعات التي غطت تفاصيلها بعض الصحف والتقارير الأمنية، ففي المظاهرة التي نظمت يوم 24 فيفري 1936م، بعد صلاة الجمعة ببطحاء الحكومة احتجاجا على القرارات، حثت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين النواب على تقديم إستقالتهم وهو ما استجاب له ثلاثة نواب من مدينته الجزائر وثلاثة آخرون من قسنطينة، واستمرت الاحتجاجات على صفحات الجرائد وقرر أصدقاء مورييس فيوليت الحاكم العام السابق، عقد اجتماع بنادي الترقى في جوان 1933م، بغية إرسال وفد إلى باريس للمطالبة بإلغاء القرارات المتخذة ضد اللغة العربية<sup>(2)</sup>.

وبما أن نشاط علماء الجمعية غير مقتصر على مكان بعينه نظرا لطبيعته الدعوية فكان لزاما على أعضائها والقائمين عليها التنقل عبر مختلف أنحاء الوطن الجزائري لإيصال دعوتهم إلى الناس عبر تنظيم تجمعات وتظاهرات أخذت في معظمها طابع الوعظ والإرشاد وإلقاء الدروس والخطابات للعامة، إلا أن نشاطهم هذا تعرض لمضايقات شديدة من قبل الإدارة الإستعمارية وعرقل أداء واجبه نحو أبناء الأمة الجزائرية. ما جعل جمعية العلماء تطالب برئاسة الإبراهيمي في التقرير المقدم إلى الحكومة الإستعمارية بالجزائر في 05 أوت 1944م إلى تسهيل تحول العلماء للوعظ والإرشاد من منطلق أن أول واجب على علماء الدين هو نشر الهداية الإسلامية بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأفضل وسيلة لأداء هذا الواجب هي دروس الوعظ والإرشاد، وما سنت جمعية العلماء التجول بين المناطق للوعظ والإرشاد إلا أداء لهذه المهمة، فتحول العلماء للوعظ والإرشاد من وسائل نشر الدين وتعليمه للناس، ومن القواعد المسلمة أن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب<sup>(3)</sup>.

من خلال ما سبق يتبين أن الخطاب الإصلاحى الدينى لجمعية العلماء أفرز نشاطا اجتماعيا، إما مساندا أو معارضا لفكرهم سواء على مستوى القاعدة الجماهيرية أو على مستوى التنظيمات الدينية والسياسية الفاعلة كالطرق الصوفية ونواب المجالس المختلفة<sup>(4)</sup>، وهو ما انعكس على المواقف الاجتماعية من القضايا الدينية التي تمس بالعقيدة الجزائرية والهوية الوطنية للأمة وبداية إستنفار الوسائل الكفيلة بالدفاع عنها.

دعى قرار المجلس الإداري لجمعية العلماء بقيادة ابن باديس في ربيع الأول عام 1354 هـ / جوان 1935م لقيام رجالها بالوعظ والإرشاد في كامل أنحاء التراب الوطني، وعين وقتها الطيب العقبي و"أولخيار" على عمالة الجزائر،

(1) - عبد الحميد زوزو، الثقافة والتعليم الحر والرسمي في العهد الإستعماري، المرجع السابق، ص 76-77.

(2) - Kaddache Mahfoud, Histoire du nationalisme algérien, 2ème Edition, Tome 1, Entreprise Nationale de livre, Alger, 1993, pp 288-294.

(3) - محمد خير الدين، مذكرات، ج 01، المصدر السابق، ص 117.

(4) - عناف زقورة، المرجع السابق، ص 53.

والإبراهيمي وزيان ومحمد السعيد الزموشي<sup>(1)</sup> على عمالة وهران، وابن باديس والتبسي وخير الدين على عمالة قسنطينة، واعتذر مبارك الميلي بسبب المرض واكتفى بزيارة القرى القريبة من مقره بميلة، ومن المؤتمرات التي عقدتها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين مؤتمر المعلمين الأحرار الأول حول رجال التعليم العربي الحر بنادي الترقى في سبتمبر 1937م، تبادل فيه المؤتمرون كل ما يهم التعليم العربي الحر وإبداء آراء في مدى أفضلية اختيار كتب التدريس بين الكتب المصرية أو تأليف كتب ذات روح جزائرية<sup>(2)</sup>.

وبناء على قرار المجلس الإداري لجمعية العلماء فقد بدأت الوفود عملها في شهر جويلية واستمرت في الخروج الى غاية قيام الحرب العالمية الثانية ووفاة ابن باديس، ولم تستأنف إلا بعد نهاية الحرب بإشراف الإبراهيمي، فانتقلت أسماء العلماء الذين اختارتهم للتجول عبر أنحاء القطر الجزائري خدمة للإسلام والعروبة خلال شهري أوت وسبتمبر 1954م، تحضيرا للعام الدراسي الجديد وإرسال رسالتها الإصلاحية في الدين والعلم نظرا لتعلق مستقبل الجمعية بنجاح هذه المهمة السنوية، من أجل ربط الصلة بين رجال الجمعية وأفراد الأمة الجزائرية<sup>(3)</sup>، كما عملت على إحياء المناسبات الدينية والتاريخية عبر جميع أنحاء القطر الجزائري، وإعطائها طابعا جماهيريا قوميا<sup>(4)</sup>، وكان شهر رمضان من المناسبات الدينية المهمة التي زاد فيها نشاط جمعية العلماء المسلمين لتبليغ دعوتها الصحيحة بإحياء دروس الوعظ والإرشاد في جميع مراكزها ومدارسها ومساجدها<sup>(5)</sup>.

### المبحث الخامس: الصعوبات التي واجهت الجمعية في تكريس مبدأ الهوية.

واجهت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين خلال مسيرة نشاطها من أجل تنفيذ مشروعها الإصلاحي وتحقيق أهدافها في إحياء ثوابت الأمة الجزائرية عدة صعوبات وعراقيل من قبل الإدارة الإستعمارية وأعوانها المحليين، وهو ما عبر عنه البصائر بقول ابن باديس: "إن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تعلم ما تجتازه الأمة اليوم في طريق نهضتها من وقت حرج، ومصاعب جمة، وما يحف بها من أخطار، وما ينصب لها من عراقيل، وما يتجاذبها من عوامل التفريق من الخارج ومن الداخل، وإن الجمعية التي بثت روح النهضة في الأمة بما دعت إليه من الرجوع للكتاب

(1)- محمد السعيد الزموشي: من أبرز علماء الإصلاح في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ولد بعين البيضاء (أم البواقي) في 04 مارس 1904م، أخذ بمبادئ العلوم على يد علماء وفقهاء البلاد، ثم انتقل إلى جامع الزيتونة ليتحصل منها على شهادة التطوع، ثم عاد إلى الجزائر وانضم إلى الحركة العلمية للشيخ عبد الحميد بن باديس شاغلا منصب أستاذ مساعد في الجامع الأخضر، ثم انتقل سنة 1932م إلى مدينة معسكر وقاد فيها الحركة الإصلاحية والعلمية التي تميزت بنشاطه المكثف، ما جعل السلطات الإستعمارية تصدر قرارا بتوقيف تقديمه للدروس العربية، مع فرض الإقامة الجبرية عليه بالحرش (العاصمة)، وبعد رفع الحجز عنه عين معتمدا عن جمعية العلماء بوهران واستمر في النضال والكفاح والدفاع عن اللغة العربية والإسلام، إلى أن تم اعتقاله سنة 1956 وتعذيبه في أماكن مجهولة، وبعد إطلاق صراحه انضم إلى صفوف جبهة التحرير، ثم انتقل إلى وجدة وواصل نضاله من هناك، توفي في 19 ديسمبر 1960م، ودفن بوجدة، وفي سنة 1964م نقل جثمانه إلى وهران تنفيذا لوصيته. يُنظر: مجموعة مؤلفين، موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، ج 02، ط 01، تقدم محمد الأمين بلغيث، منشورات الحضارة، الجزائر، 2014، ص ص 91-92. للتوسع أكثر يُنظر: لحسن بن علحية، الشيخ محمد السعيد الزموشي سيرة ومسيرة، مكتبة عراس للنشر والتوزيع ودروب للنشر والتوزيع، الجزائر، 2024.

(2)- محمد خير الدين، مذكرات، ج 01، ص ص 213-214.

(3)- نفسه، ص 216.

(4) - عبد الحميد زوزو، الثقافة والتعليم الحر والرسمي في العهد الإستعماري، المرجع السابق، ص 95.

(5)- المصدر السابق، ص 221.

والسنة والحفاظة على الجنس واللغة، والإعتزاز بالإسلام والعروبة حتى عرفت الأمة نفسها... غن الجمعية التي بثت النهضة هي حارستها في جميع أطوارها والمدافعة عنها بكل ما لديها، والصابرة على البلاء من القريب والبعيد في سبيلها"<sup>(1)</sup>، ومن خلال ما ورد فإن أبرز الصعوبات التي واجهت الجمعية في نضالها لإحياء الهوية تمثلت في:

### المطلب الأول: صعوبات العام الأول من التأسيس:

منذ تأسيس الجمعية ظهرت بعض التصدعات إلى السطح، بداية من مكتبها الذي كان مشكلا من 13 عضوا، غالبيتهم من خارج العاصمة، ما اضطر الجمعية لتشكيل مكتب دائم لتسهيل المداومة اليومية بمكتبها، فتم انتخاب ما سمي بـ "لجنة العمل الدائم"<sup>(2)</sup>، وهو ما عبر عنه البشير الإبراهيمي حين قال: "لم يكن تأسيس جمعية العلماء المسلمين خفيف الواقع، على الجماعات التي ألفت استغلال جهل الأمة وسذاجتها... فما كان من تلك الجماعات إلا أن سايرت الجمعية في الظاهر، وأسرت لها الكيد في الباطن، وكان المجلس الإداري الذي تألف بالإختيار في السنة الأولى غير منقح، ولا منسجم، لمكان العجلة والتسامح، فكان من بين أعضائها بقية يخضعون للزوايا وأصحابها... فإما أن يتخذوهم أدوات لإفساد الجمعية وإسقاطها، وإما أن يتذرعوا بهم لتصرفها في مصالحهم وأهوائهم"<sup>(3)</sup>.

كما ذكر ابن باديس أنه: "...لم تكتمل على تأسيس جمعيتنا سنتان حتى أصبحنا نلقى من الإنتفاعيين الذين لا يعيشون إلا على الجهل ما نلقى من وشايات كاذبة تولد تقارير باطلة..."<sup>(4)</sup>، وأشار مبارك المليي إلى ما تعانيه جمعية العلماء من صعوبات يضعها في طريقهم عباد المصالح الشخصية قائلا: "وعباد المصالح الشخصية هم عراقيل كل حركة إصلاحية في جميع الأزمنة والأمكنة فلا غرو إذا وجدوا بالجزائر ووقفوا خجر عثرة في طريق جمعية العلماء المسلمين ولا غرو إن يكونوا أشخاصا بارزين وفي حماية مصالحهم جادين"<sup>(5)</sup>، فيما قال عنهم الطيب العقبي أنهم: "... كما تعلم (أي الحكومة) أن هؤلاء الخصوم هم أعداء لها وللأمة ولكل فضيلة أحباب لأنفسهم وشخصياتهم ومنافعهم الخاصة، لا يهتمهم مصلحة الأمة ولا الحكومة ولا مصلحة أي كان، وإنما همهم الوحيد أن يملأ الرجل منهم بطنه وجيوبه ويجمع الدراهم بأي واسطة..."<sup>(6)</sup>.

(1)- عبد الحميد ابن باديس، دعوة وبيان إلى عموم الشعب المسلم الجزائري الكريم، البصائر، العدد 79، السنة الثانية، الجمعة 12 جمادى الثانية 1356هـ/ 20 أوت 1937م.

(2)- عبد الله حمادي، المرجع السابق، ص 174.

(3)- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، المصدر السابق، ص 45.

(4)- عبد الحميد ابن باديس، احتجاج جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ضد إعتداء النائب المالي غراب وافترائه، الشريعة النبوية المحمدية، العدد 06، مج 02، 29 ربيع الثاني، 1352هـ/ 24 أوت 1933م، ص 01.

(5)- مبارك بن محمد المليي، بيان وإرشاد، السنة النبوية المحمدية، العدد 02، المصدر السابق، ص 04.

(6)- الطيب العقبي، ألا فليعيش المصلحون وليخسأ المبطلون، السنة النبوية المحمدية، العدد 06، مج 02، محرم 1352هـ/ 15 ماي 1933م، ص 03.

## المطلب الثاني: الإدماج والتجنيس للقضاء على الأحوال الشخصية.

عمل الاستعمار على المساس بثوابت الأمة الجزائرية وهويتها من لغة ودين وثقافة والتي تكون المقومات الشخصية للشعب الجزائري، وذلك عن طريق فصله عن انتمائه الحضاري واجتثاثه من موروثه الثقافي، بتطبيق سياسات مختلفة وفي مقدمتها الإدماج والتجنيس<sup>(1)</sup>، فكيف تم ذلك:

-**التجنيس:** كان تطبيق مبدأ المساواة في الحقوق الشخصية بين الجزائريين والفرنسيين في أغلبه متوقف على التجنيس، الذي رفضه الأهالي حيث قال مبارك الملي: "... أما المساواة في الحقوق فأغلبها منوط بالتجنيس الذي يرغب عنه الأهالي أشد من رغبة المائلين عن الشيوعية..."<sup>(2)</sup>، فمسألة ترسيخ مقومات الهوية الوطنية كانت من أكثر القضايا صعوبة وحساسية بالنسبة لابن باديس، لما تتضمنه من إغراءات إيديولوجية وعراقيل مادية قد تطيح بالبعد المنهجي، إلا أن ما كان يتمتع به من حكمة وإيمان راسخ وصبر طويل، سمح له بالتغلب على ما واجهه من صعاب واستطاع المحافظة على مقومات الشخصية الجزائرية من مخالب المستعمر<sup>(3)</sup>. وقد وصف البشير الإبراهيمي حرب جمعية العلماء ضد سياسة التجنيس حتى قضت عليها بقوله: "حاربت جمعية العلماء المسلمين سياسة الإدماج في جميع مظاهرها، فقاومت التجنيس ونازلت أنصاره الحمس، ودعاته المقاويل، حتى قهرتهم وأخرستهم وقطعت عليهم الحبل في أيديهم ثم أفتت فتواها الجريئة فيه، يوم كانت الجرأة في مثل هذه المسائل بابا من العذاب فكان منها ذلك تحديا للاستعمار، وإبطالا لكيدته وتعطيلا لسحره وأثبتت بتلك المواقف للجزائر إسلاميتها"<sup>(4)</sup>.

-**الإدماج:** إلى جانب التجنيس اعتمدت السلطات الفرنسية سياسة الإدماج، التي لم تكن أقل تأثيرا من سابقتها، وتعود خلفية هذه السياسة إلى مساعي الإستعمار لمحو الهوية الجزائرية عن طريق الوسائل القانونية، بإصدارها في البداية قانون الأهالي للتمييز بين الأهالي المسلم الخاضع لأحواله الشخصية والمواطن الفرنسي، ثم تبعته كخطوة جديدة بفكرة الإدماج لكي يصبح الجزائري مواطنا فرنسيا واضحة شرط التخلي عن أحواله الشخصية للإستفادة منه، وبالتالي كان القانون أداة في يد المستعمر لفرض هيمنته على الجزائريين، وطمس هويتهم عن طريق الإقصاء والتغريب<sup>(5)</sup>. سعى الإستعمار ظاهريا لدمج نخبة الشعب الجزائري، ليتمتعوا بالحقوق السياسية على نفس المرتبة مع الفرنسيين، كالتعليم والترقية في الوظائف العامة، لكن الواقع كان مخالف للإدعاءات الفرنسية، التي هدفت لتطبيق الإدماج على

(1) - مريم لعماري، "دور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في تنظيم وتوحيد جهود الحركة الإصلاحية"، مجلة معارف، العدد 21، السنة 11، ديسمبر 2016م، ص 164.

(2) - آثار الشيخ مبارك الملي، مج 01، المصدر السابق، ص 83.

(3) - الصالح بوعزة، "بعد الهوية والمواطنة في المقاربة التربوية الباديسية - نظرة تحليلية"، مجلة تنمية الموارد البشرية، العدد 11، ديسمبر 2015م، ص 508، 509.

(4) - رشيد مياد، "مبادئ ومجالات الإصلاح عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين (1931-1954م)"، مجلة الخلدونية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، مج 12، العدد 1، 2020م، ص 204.

(5) - مصطفى كحيل، المرجع السابق، ص 85.

الأرض دون الأهالي، وإدماج فئة من الجزائريين الذين انبهروا بالثقافة الفرنسية<sup>(1)</sup> شكل خطرا كبيرا على الوحدة الوطنية للجزائريين، من خلال زرع التفرقة بين شرائحه. والواقع المؤكد أن سياسة فرنسا في الجزائر كانت مستوحاة دوما من هواجس خوفها برؤية الشبان المسلمين مرتبطين بدينهم ولغتهم وتاريخهم، وهو ما توضحه الطريقة التي تعاملت بها مع التعليم العربي الحر للغة العربية ومساعدتها الدائمة ضمينا لتكريس التعليم الرسمي بالفرنسية<sup>(2)</sup>.

### المطلب الثالث: الأنديجينا ومظاهر التهميش والعنصرية.

عمل الإحتلال الفرنسي من خلال الدراسات الإستعمارية على تعزيز الصورة النمطية العنصرية على نحو غير مباشر قامت على أن القبائل أكثر ميلا للتقدم نحو حضارة منسجمة مع الحضارة الفرنسية عكس العرب<sup>(3)</sup>، وهو ما يدل على تطبيق نظام عنصري جائر للحط من قيمة العنصر الأهلي، حيث يشير مبارك الميلي لذلك قائلا: "... لعلك تظن أن شذوذ هذه الأمة عن غيرها لفساد طبيعتها وجمود قريحتها، فإنه ظن من قبيل الإثم المحض، إنما ذلك لعبث بعض ولااته بقوانينه وجشع غالب المستعمرين الذين يرون يقظة الأهلي أشد عليهم بلاء من نزول البرد على غلاتهم ومن كل جائحة، حتى رشح إناء بعض منهم بهذه الكلمة" إذا وجدت عربيا وأفعى فاقتل العربي" فهم لا يألون جهدا في تصوير الأهلي بصور ترع من لا يعرف حقيقته ويرضى له كل هوان وسقوط..."<sup>(4)</sup>.

كما يضيف أيضا واصفا النظام العنصري الذي طبق على الأهالي الجزائريين قائلا: "... فإذا طلب الأهلي حرية التفكير، فالشيوعي وهو مسلم لم يرض التجنس فضلا عن الشيوعية، فهددته الحكومة وأصبح لا يعرف مذهباً للتفكير ولا نظاماً للحياة عدى أفراد شددت طباعهم وغالبوا وسطهم، غير أن الشاذ في أمة عديم التأثير في جمهورها- وإن ذكرت حرية الاجتماع التي هي وليدة حرية التفكير قامت قيامة الاستعماريين، وقالوا لا نفهم الفرق بين حرية الاجتماع والثورة! لهذا وذاك أضحت الجمعيات عندنا مفقودة!"<sup>(5)</sup>، وأوضح أن القانون الإستعماري لم يكن لوحده ضد جمعية العلماء ورجال الإصلاح، بل كان هناك ما هو أخطر منه وهم من وصفهم بعبدة الأغراض الشخصية، في ظل من يراقب عقول الأمة من المعمرين، وبالتالي بقاء الفكر الجزائري محدودا ومحصورا ضمن بيئة مقيدة لا تسمح له بالتطور الذي بقي حكرا على أبناء المعمرين.

كما أشارت جريدة الشاب المسلم إلى الفكر الإستعماري الذي أراد تغريب الهوية الثقافية للجزائريين قائلة: "يعرفون كيف يلغونه ثقافة مضادة للوطنية. قد يبرهنون له أنه خارج هذه الثقافة لا يجد أي نجاة. ويتخمين غادر يجعلونه يظن أن تاريخ أجداده وثقافة آبائه يعني ثقافة ماضية، لا يستحق أن ينفذ عنه الغبار، بإيجاز يبقونه في جهل

(1)- مراد بوعباش، "الدولة والمجتمع في برنامج الحركة الوطنية الجزائرية (1919-1962م)"، أطروحة دكتوراه في العلوم السياسية، فرع التنظيم

السياسي والإداري، كلية العلوم السياسية والإعلام، جامعة الجزائر 3، 2010 / 2011م، ص ص 285-286.

(2)- أحمد طالب الإبراهيمي، الناجون الكاذبون، الفتى المسلم، ج 01، المصدر السابق، ص 423.

(3)- بيتريشيا لورسن، المرجع السابق، ص 116.

(4)- آثار الشيخ مبارك الميلي، مج 01، المصدر السابق، ص 81.

(5)- آثار الشيخ مبارك الميلي، مج 01، المصدر السابق، ص ص 81-82.



ثقافته، يجعلونه يحتاج إلى الأفكار الأجنبية وأن يلتهم الشعور الغربية وأن يذوب في التقاليد الخارجية... الغلطة التي تغتفر للأمم الأوروبية -على الأقل المكلفة بالمهمات التمدينية- هي أنه حاولت بكل الوسائل، حتى التي يحرمها الضمير البشري، أن تقضي على الحضارات الوطنية للبلدان المستعمرة لتقيم فيها بامتياز الثقافة الأوروبية. هذه ليست غلطة فقط إنها خيانة. ذلك لأنه بفضل إدخال العلم تلقن ثقافة بقتل الثقافة الأخرى...<sup>(1)</sup>، وإذا ما استثنينا الجبهة الشعبية فإن رجال الحكم والمعمرين لطالما كانوا منزعين من نشاط جمعية العلماء بدعوى أنها موجهة ضد ثقافتهم ومؤسستهم، فعملوا على تثبيت عزمة المؤيدين لهم من المثقفين والبرجوازيين الصغار ودعاة الاندماج، ما يعني أن الفرنسيين مثل ما قاوموا الاتجاه القومي الجزائري نظروا بعين الاحتقار إلى الاتجاهات الموالية لهم<sup>(2)</sup>.

وإذا ما عدنا إلى المقارنة بين التسهيلات التي منحتها الإدارة الفرنسية بالجزائر للزوايا والإرساليات التبشيرية، نجد أن الشيخ خير الدين رأى سنة 1938م أن الهدف الأساسي من إنتهاج هذا التمييز هو طمس عروبة وإسلام الأمة الجزائرية، لذا فإن الجهود توحدت ما بين الإدارة والجمعيات الدينية المسيحية والزوايا التي إستمالها الإستعمار من أجل تسهيل تحقيق هذه الغاية، وأشار "روبير أجيرون" لهذا الأمر قائلا: "... التصير والإدماج والقضاء على العنصر العربي الذي عاش في هذا الوطن طيلة هذه القرون، تلك الخطة الماكرة التي كان بوادرها الظهير البربري في بلاد المغرب"<sup>(3)</sup>، لذا عمل الإستعمار على زيادة عدد مراكز التبشير المسيحية في منطقة القبائل<sup>(4)</sup>، وإسدال أحكام الإسلام عندهم، بمقابل رجال الدين من الكاثوليك والبروتستانت والمشعودين أهل التضليل، فدعاة المسيحية فتحوا مراكزهم في كل جهة لاصطياد الفقراء والأيتام والأرامل، مع تعهد فرنسا بحمايتهم<sup>(5)</sup>.

تعتبر قاعدة "فرق تسد" هي الإستراتيجية الأساسية التي بُني عليها الاستعمار قديماً وحديثاً، فما غزى يوماً قوياً ضعيفاً إلا وحاول قبل العمليات الحربية إضعاف صفوفه، عن طريق إشاعة الخلاف والتفرقة، وتظل هذه القاعدة سائدة حتى بعد الغزو الحقيقي، والانتصار على المغلوب، لكونها العامل الأساسي لضمان استغلال الشعوب المستعمرة، وتثبيت النظام الاستعماري فيها، من خلال البحث عن عوامل نفسية فعالة لتغذية النفور والكراهية بين الأفراد والجماعات، لقتل الثقة بينهم حتى يتعذر تعاونهم ضد الاستعمار، ونظراً لكون عاطفة الدين ثم الجنس من أقوى العواطف وأشدّها سلطاناً على النفوس، فقد استغل الفرنسيون عاملي "الدين" و"العنصرية" لتشتيت الشعب الجزائري<sup>(6)</sup>.

(1)- أحمد طالب الإبراهيمي، علم وثقافة، الفتى المسلم، ج 01، المصدر السابق، ص ص 467-468.

(2)- مصطفى الأشرف، الجزائر الأمة والمجتمع، المرجع السابق، ص 245.

(3)- Charles Robert Ageron, Politique colonialisme au Maghreb, press Universitaire de France, Paris, 1972, p p 109-148.

(4) -العودة إلى: حديجة بقطاش، الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر 1871-1830، دحلب، الجزائر، 2007، ص ص 135-163.

(5)- محمد خير الدين، التعليم العربي الإسلامي بالجزائر محاولة القضاء عليه ليشهد العالم وليسجل التاريخ، البصائر، العدد 115، 27 ربيع الأول 1357 هـ / 27 ماي 1938م، ص 02.

(6)- الفضيل الورتيلاني، الجزائر الثائرة، المصدر السابق، ص ص 61-62.

وهو ما أشارت إليه جريدة الشاب المسلم على لسان عمار أوزقان قائلا: " في الضباب الإمبريالي الذي يريد إخفاء الحقائق الجزائرية، من بين أكثر الأكاذيب وحشية، يعد تقسيم الجزائريين المسلمين إلى كتل عربية وكتل قبايلية أحد أكثر الأسلحة الأيديولوجية غدرا وفتكا "، ثم يضيف: " حتى عام 1936 تقريبا، كانت الانتخابات في الجزائر العاصمة تطلق في كل مرة العنان لما لا يزال قائما من الكراهية بين الأشقاء، من خلال معارضة ما يسمى بالقائمة العربية لما يسمى بقائمة القبائل، ومنذ وقت ليس ببعيد أثارت صحيفة L'Echo d'Alger ضجة كبيرة حول احتمال حدوث إنقسام في منظمة وطنية مهمة" (1).

كما خضعت الفرنسيات اللاتي إعتنقن الإسلام أو تزوجت رجلا وفق تعاليم الزواج الإسلامي والمرجعية الإسلامية إلى قيود، لكون الإسلام لا يقتصر على إختلاف العقيدة وحدها، بل يتعداها إلى الإثنية، من باب أن الإسلام هنا يخص مجموعة بشرية محددة عرقيا (2)، ولعل إدراك ابن باديس من بداية نخضته الفرق بين فرنسا الحضارة والقيم وفرنسا العنصرية والتعصب والإستعمار (3) وخطورة هذه الأخيرة على مشروعه، فعمل على إستدعاء فرنسا المبادئ والمثل في مطالبه (4).

#### المطلب الرابع: محاربة اللغة العربية وغلق مدارس التعليم العربي الحر.

عندما لم يجد الإستعمار بيده من قوانين عامة يتخذها سلاحا ضد التعليم العربي الحر، لجأ إلى القرارات الإدارية لغرض قتل اللغة العربية والتضييق على تعليمها ومطاردة رجالها وإلجام صحافتها، ومن أكثر القرارات تأثيرا على المسلمين الجزائريين هو اعتبار اللغة العربية لغة أجنبية في الوطن الجزائري، وما نتج عنه من مبالغة في التنكيل والمحاكمة من أجل تنفيذه، فسيق معلمو العربية إلى مجالس القضاء كما يساق المجرمون، وفرضت عليهم عقوبات مالية وبدنية من سجن وتعذيب ونفي (5).

ومن الأمثلة على ذلك غلق للمدارس الحرة واعتقال عدد كبير من العلماء تحت ذريعة عدم إمتلاك رخصة حسب قرار 08 مارس 1938م الصادر عن وزير الداخلية الفرنسي (6)، وحين أغضب الإستعمار الإحتفالات التي جرت بمناسبة اختتام ابن باديس للتفسير، قررت إغلاق العديد من المدارس وضايقت المعلمين بموجب قانون 08 مارس، بالإضافة لتفعيل قوانين إغلاق النوادي وحرمان الكبار من التهذيب ومنع التدريس في المساجد وفرض شروط للحصول على رخصة للتعليم تنفيذا لقانون 1892م، والتي لا تعطي إلا لمن يعلم بالشكل الذي يتوافق مع سياسة التعليم الفرنسية (7).

(1)-Amar Ouzegane, Le Berberisme Doctrine réactionnaire de division impérialiste, Le Jeune musulman, N° 01, op cit, p 05.

(2)-Dedouche J.B, nation et nationalité, OP.cit, p29.

(3)- أشرنا إلى هذا التمييز في الفصل الأول من البحث عند التحدث عن الهوية الفرنسية والهوية الإستعمارية.

(4)- عبد الله حمادي، المرجع السابق، ص 271.

(5)- محمد خير الدين، مذكرات، ج 01، المصدر السابق، ص 114.

(6)- عمار بن مزور، المرجع السابق، ص 209.

(7) -عبد الحميد زوزو، الثقافة والتعليم الحر والرسمي في العهد الإستعماري، المرجع السابق، ص 77.

إضافة إلى هذا قامت الحكومة الاستعمارية بالإستيلاء على مدارس الجمعية، كما حدث في مدينة سيدي بلعباس خلال عهد البشير الإبراهيمي نتيجة الأزمة بين جمعية العلماء المسلمين وخصوصها هناك، فقامت السلطات الإستعمارية بعرقلة النهضة الإصلاحية بغلق مدارس الجمعية، وعزل مدرائها التابعين للجمعية وتعطيل التعليم لتثبيط الحركة الإصلاحية<sup>(1)</sup>.

كما يشير مبارك المليي أن التعليم الفرنسي في الجزائر كان متنوع وكثير، إلا أن نتائجه على الأهالي قليل ولا يتوافق بالمقارنة مع عدد المدارس والفنون التي تدرس أنذلك، فالتعليم العربي مفقود تماما عدى ثلاث مدارس دولية تعلم فيها العربية محدود جدا، والمساجد تعتمد طرق تقليدية مقتصر على ما يتعلق بالعبادات، أكثر من اهتمامه بالنتائج<sup>(2)</sup>، وعبر عن هذا الوضع في مقال له بعنوان: "التعليم الديني بالجزائر وحظ الزوايا منه" موضحا فيه أن الشعب الجزائري من أغنى الشعوب في تأسيس الزوايا، ولشيوخها سلطة روحية كبيرة على أتباعهم، فتحكموا في نفوذ العلماء داخل المجتمع الذي أصبح انتشار نشاطهم بين الناس خاضع لاعتراف شيوخ الزوايا بشهاداتهم وسلامة عقيدتهم فإذا ما شأؤوا رفعوا مقام العلماء، وإذا ما شأؤوا سلبوهم مكانتهم وقت ما أرادوا ذلك<sup>(3)</sup>.

ورغم إحتجاج جمعية العلماء المتوالية على المعاملة السيئة من قبل الإدارة الإستعمارية، إلا أنها لم تلقى ردا إيجابيا على شكاويها، فطلبت المفاهمة الشفاهية فأجبت بالمماثلة والتسويق الإستعماري، ورغم تصريح للحكومة مرارا تقبلها مراقبة مدارسها من طرف مفتشي المعارف الرسميين إلا أنها لم ترى مفتشا مركزيا واحدا زار مدارسها، عدى أعوان البوليس الذين يزورونها لتبليغ أمر الغلق، أو الأعوان الشرعيين لتبليغ إستدعاء المحاكمة، كما تم تعطيل الجرائد، وأغلقت النوادي<sup>(4)</sup>.

#### المطلب الخامس: التضيق الاستعماري على نشاط أعضاء الجمعية وإذكاء الفتنة بينهم.

إن مشاركة جميع اتجاهات الإصلاح وجميع العلماء الجزائريين في جمعية العلماء المسلمين أعطتها قوة معنوية كبيرة، فقد سمح الحضور القوي للإصلاحيين في مجلس الإدارة بتوجيه الجمعية، ومنحها بنية داخلية صلبة لاستمرارية نشاطها وتغلغل وسط الأمة الجزائرية،<sup>(5)</sup> خصوصا في المسائل الوطنية المتعلقة بإحياء مقومات هوية الأمة الجزائرية.

لهذا عملت الإدارة الإستعمارية منذ نشأة جمعية العلماء على تفعيل خطاب الزوايا الموالية لها لتعويض الخطاب الديني الإصلاحي لجمعية العلماء المسلمين، وهو ما يفسر استدعاء الشيخ الحفقي مولود بن الصديق شيخ زاوية قرقور بقسنطينة لإلقاء محاضرة بقاعة مدينة الجزائر "Les Amis Réunis Faubourg"، التي حضرها 180 شخص، انتقد خلالها خطاب الشيخ الطيب العقبي دون أن يصدر أي رد عليه<sup>(6)</sup>، واعتبر العلماء ما قام به المفتي فتنة ومساغية للتغريب

(1)- محمد خير الدين، مذكرات، ج 01، المصدر السابق، ص ص 229-230.

(2)- آثار الشيخ مبارك المليي، مج 01، المصدر السابق، ص 82.

(3)- مبارك بن محمد المليي، صحيفة المتناظرين التعليم الديني بالجزائر وحظ الزوايا منه، الشهاب، العدد 13، وزارة الثقافة، الجزائر، 21 رجب 1344هـ/4 فيفري 1926م، ص ص 266-269، يُنظر أيضا: آثار الشيخ مبارك المليي، مج 01، المصدر السابق، ص 94.

(4)- محمد خير الدين، مذكرات، ج 01، المصدر السابق، ص ص 114-115.

(5)- Ahmed Sarri, op cit , p 67.

(6)- عفاف زقور، المرجع السابق، ص 47.

بالناس في صحن الجامع<sup>(1)</sup>، وقد تواصلت مساعي الإستعمار أكثر في تقويض نشاط علماء الجمعية بعد إدراكها لمدى خطور أهدافها عليها، ما سبب عدة مصاعب في مسار الجمعية حاولت تجاوزها متماشية مع إختلاف الأوضاع الإستعمارية التي واجهتها.

وأوضح ابن باديس أن الجرائد الإستعمارية شن حربا على الجمعية ورجالها من أجل تعطيل نشاطها قائلا: "أن أعداء الأمة الذين تمثلهم الجرائد الإستعمارية الكبرى هنا وهناك ويصدع بأمرهم كراسى متنوعة- ما فتئوا يوالون ضرباتهم، ويعيدون هجماتهم على الجمعية لأنهم يرون فيها حياة الأمة، ويشاهدون فيها السد الحصين دون ما يرغبون من ذوبان الأمة وإنحلالها لأفنانها وإبتلاعها وتنقصها من أطرافها، فكل ما تجتازه الأمة اليوم وما تعانيه وما تلاقيه هو ما تجتازه الجمعية وما تعانيه وما تلاقيه على أبلغه وأشدّه، لأن الجمعية هي الأمة، والأمة هي الجمعية"<sup>(2)</sup>.

ورغم جهود جمعية العلماء المسلمين التي استمرت منذ تأسيسها إلى غاية 1940م من أجل إلغاء "قرارات ميشال"، لكنها فشلت في ذلك، وكان الطيب العقبي يلح دائما باسمه الشخصي ومدافعا عن جمعية العلماء المسلمين، رغم استقالته من مجلسها الإداري سنة 1938م<sup>(3)</sup>، وردا على "كاتروا" قدم مجلس إدارة الجمعية تقريرا إلى الإدارة الفرنسية في الجزائر بعد إجتماعه المنعقد في 05 أوت 1944م، الذي لخص فيه القضايا الثلاث المساجد، التعليم، والقضاء<sup>(4)</sup>.

عملت الإدارة الإستعمارية على تذكية الصراع بين أعضاء جمعية العلماء المسلمين، حيث صنفت العديد من تقارير الإدارة الإستعمارية بداية من سنة 1942م الشيخ العقبي بالشخصية الإدارية المعتدلة لقربه منها، على عكس الإبراهيمي الذي وصفته بممثل التيار المتطرف في جمعية العلماء المسلمين، لسعيه لتطبيق الإصلاح وفق أبعاد مشرقية كما حرصت أيضا على تشديد المراقبة على علاقة العقبي بابن باديس، لاستغلالها لصالحها إذ وصفت علاقتهما مع نهاية الثلاثينات بالعدائية، ويرجح أن التساؤلات التي وجهها أتباع العقبي إلى مسيري جمعية العلماء المسلمين كانت تدخل في إطار إخراجهم أمام الرأي العام وإضعاف تأثيرهم على الجزائريين، ومن أهم تلك الأسئلة: "ما هو موقفكم الفقهي من المسلمين المتواجدين في جبهات القتال ويقاتلون لصالح الكفار؟"، "وما موقفكم من الزواج المختلط بين مسلم ومواطنة فرنسية"، بالإضافة إلى "فتوى فيما يتعلق بالمسلمين المتجنسين"، وتشير الوثائق الفرنسية أن ابن باديس نظم

(1)- أحمد بوشمال، كاد فضيلة الشيخ المفتي بقسنطينة أن يوقع فتنة بالجامع الكبير، السنة النبوية المحمدية، العدد 2، المصدر السابق، ص 05-06.

(2)- عبد الحميد ابن باديس، دعوة وبيان إلى عموم الشعب المسلم الجزائري الكريم، البصائر، العدد 79، المصدر السابق، ص 229.

(3) -عفاف زقور، المرجع السابق، ص 50.

(4) -وثائق الحركة الوطنية، نصوص أساسية ووثائق من 1350/ 1363 هـ -1944/1931م، مطبوعات مديرية الوثائق لولاية قسنطينة، ط2، 1982، ص ص 09-12.

جولة ميدانية داخل عمالة قسنطينة ثم تلمسان لتجنب الإجابة على هذه التساؤلات<sup>(1)</sup>، وعلى الرغم من أن فتوى ابن باديس بتحريم التجنيس واضحة، إضافة إلى فتوى الشيخ العربي التبسي بعدم جواز الزواج المختلط<sup>(2)</sup>.

ومع أن الجمعية حاولت تجاوز الخلافات بين أعضائها الذي استغلته الإدارة الإستعمارية لصالحها، من خلال لقاء الصلح الذي جرى بين ابن باديس والعقبي في أكتوبر 1939م، إلا أن العقبي احتفظ بموقفه الحيادي حيال النشاط السياسي، كما أن الإدارة الإستعمارية وعلى رأسها "إيف رولان بيلكار" كانت مدركة أن السياسة الإسلامية في الجزائر قامت على دور المرابطين، لحضوتهم الدينية وقوة تأثيرهم في المجتمع الجزائري قبل ظهور جمعية العلماء المسلمين، التي غيرت موازين التأثير الاجتماعي لصالحها، وكان رد فعلها على قرار منع العلماء المسلمين غير الرسميين من التعليم المسجدي له دلالة على مدى إنتشار الفكر الإصلاحي وسط الجزائريين الذين التحقوا بالنشاط النضالي للدفاع عن الإسلام، الذي أبانت فرنسا الإستعمارية عن نيتها الصريحة بما لا يدع مجالاً للشك في إقتلاعه من حياة الجزائريين<sup>(3)</sup>.

وقد أرجع "بيلكار" أسباب تغيير الإدارة الإستعمارية سياستها مع نهائه الثلاثينات باتباع النهج البيروني في موقفها من التعليم والخطابة في المساجد الحكومية إلى ما إصطلحت عليه إلتحاق الشيخ الطيب العقبي بالقضية الفرنسية سنة 1939م، وهو ما خلق شرخاً داخلياً بين صفوف جمعية العلماء المسلمين، ضف لهذا وفاة رئيسها ابن باديس سنة 1940م<sup>(4)</sup>.

وعملت السلطات الإستعمارية على التفريق بين رجال الجمعية من خلال إرسال الدعوة إلى الشيخ السعيد الزموشي لحضور لقاء مع رئيس الوزراء الفرنسي "غي مولي" بدلا من الشيخ العربي التبسي، وهو العرض الذي رفضه الزموشي، كما حذا توفيق المدني حذوه، وأكدت البصائر أهدافها الإستقلالية وداعمها لجهة التحرير بنشرها تأكيدات محمد خيضر لعدم وجود هدنة مع الإستعمار، واعتبرت الجمعية أنها لم تستدعي للقاء "غي مولي" ولم يتم التفكير فيه، في مقابل استدعاء الأحرار والأساقفة وموظفي المساجد الرسمية، وهو الموقف الذي جعل سلطات الإستعمار الفرنسي تشدد الرقابة على المساجد الإصلاحية التي أصبحت تستقبل عدد أكبر من المصلين، بسبب إنتشار أخبار الثورة والتطورات السياسية فيها<sup>(5)</sup>.

(1) -عفاف زقور، المرجع السابق، ص52.

(2) -يوسف بوعابة، معالم الفكر السياسي لجمعية العلماء المسلمين "دراسة تحليلية"، دار زمورة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2023، ص ص 249-252.

(3) -عفاف زقور، المرجع السابق، ص 52-53.

(4) - إن ما ذهب إليه "بيلكار" لم يكن مجسدا واقعيا فقد تم إلغاء "مرسوم ميشال" سنة 1944م نظريا فقط على مستوى الإطار القانوني، وبقي الوالي العام محتفظا بحقه في إختيار علماء الإصلاح ورجال الدين الذين يدرسون في المساجد الحكومية، وهو ما يعني إستمرار نفس السياسة السابقة في تغييب دور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بمنعها من التعليم المسجدي، يُنظر: عفاف زقورة، المرجع السابق، ص53.

(5) - بشير بلمهدي علي، موقف الأطراف الدينية الثلاثة (الزوايا، المساجد الرسمية وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين) من الثورة التحريرية في سنتها الأولى 1954-1956م، المرجع السابق، ص ص 266-267.

### المطلب السادس: إفتعال المكائد لإحباط المؤتمر الإسلامي.

أشارت جريدة الأمة أن أبواق الفتنة لطالما اعتادت تكبير الخلافات التافهة بين جمعية العلماء وباقي التيارات الفاعلة في الحركة الوطنية، من قبل من وصفتهم الجريدة بشياطين الانس والجن، الذين يجعلون من الحبة قبة ومن الحبل ثعبانا ومن الساقية هوة عميقة، مثلما حدث مع حزب الوفد بقيادة محمد الصالح بن جلول سنة 1934، على إثر الخلاف الذي نشب بين الشيخ الشريف الصائغي ومبارك الميلي، وتطوره الخطير على الأمة الجزائرية، في الوقت الذي كانت بحاجة إلى الألفة والوئام وتعاون الكفاءات لدفع الأخطار المحيطة بها من جميع جهاتها الدينية والسياسية والإقتصادية،<sup>(1)</sup>، فرغم العلاقة الطيبة التي جمعت العلماء مع نجم شمال إفريقيا منذ زمن طويل، لكن كان دائما هناك أشخاصا يستمتعون بخلط الأوراق ونشر البلبلة وسط الرأي العام ونشر الضغائن بين الطرفين<sup>(2)</sup>.

لذا فجمعية العلماء واجهت منذ نشأتها الفتن والمكائد التي حاولت عرقلة مسارها النضالي، خصوصا ما قام به الإستعمار من دسائس لإحباط المؤتمر الإسلامي سنة 1936 خوفا على مصالحه، بعد الإجماع الشعبي للمؤتمرين والآمال التي علقها الأمة على الجمعية، فحاول عرقلة الصحوة الجزائرية من خلال الإغتيال والاعتقال والنفي والمصادرة، وحملات الاستفزاز من "صحف تتأول وألسن تنقول، تقابلها من جهتنا عقيدة لا تتحول، وثبات لا يتزلزل، وثقة في الله لا تتبدل" كما قال الإبراهيمي، ومن جملة هذه المكائد نجد:

- مقتل المفتي "ابن دالي كحول" في وقت اجتماع المؤتمر الإسلامي، وما ترتب عنه من تطويق لنادي الترقى باعتباره مركز جمعية العلماء ومقر دروس الطيب العقبي أهم دعائنا في العاصمة الذي سجن مع عباس التركي بتهمة التحريض على قتل المفتي، إضافة لغلق الجمعية الخيرية التي يرأسها العقبي، وإدارة البصائر التي يشرف على تحريرها، لتنتقل الجرائد الفرنسية في حملتها ضد الجمعية، واصفة الإغتيال بالمؤامرة والعلماء بالمجرمين، إلا أن براءة العقبي وعباس تركي كانت بعد أيام<sup>(3)</sup>.

- محاولة إعتبار الشيخ أحمد الحبيباتي في نفس الأسبوع بقسنطينة وإتهام الشيخ ابن باديس أو بعض أتباعه بقتله، وغلق جمعية التربية والتعليم التي يرأسها، لكن المحاولة باءت بالفشل ولم يعرف الجاني، واكتفت الشرطة الفرنسية بالتحقيق مع الشيخ الحبيباتي لمعرفة أعداءه وإتهامهم بالعملية لكنه أصر على عدم وجود عداوات له فطوي الملف وأغلق.

- إنتشرت في تلمسان رواية أن أحد كبار الموظفين وثيق الصلة بالفرنسيين، علم بما كانوا يدبرونه في الخفاء، فأوعزه ضميره إلى إبلاغ البشير الإبراهيمي بعدم دخول العاصمة في تلك الأيام محافظة على سلامته، ففعل الأمر وأحبط المحاولة.

(1) - تطور العلائق بين جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأعضاء حزب الوفد!!، الأمة، السنة الأولى، العدد 08، الثلاثاء 28 رجب 06/1353 نوفمبر 1934م، ص 01.

(2) - L'Etoile Nord-Africaine et L'Association des Oulams « Mise au point », El Ouma, Cinqueme Annee , N° 44, Novembre-Décembre 1936, p 01.

(3) - محمد خير الدين، مذكرات، ج 01، المصدر السابق، ص 282.



إن المتتبع لهذه الحوادث يدرك أن الإستعمار الفرنسي وأذنا به يرون في جمعية العلماء أكبر خطر عليهم في الجزائر، لتخوفهم من نفوذها ومخططاتها أكثر من تخوفهم من النواب والأحزاب الأخرى (1).

### المطلب السابع: مصادرة صحف الجمعية وغلق النوادي.

لم تكن فرنسا تجد صعوبة في إيجاد المبررات القانونية لتعطيل جرائد الجمعية وغلقها، فيكفي أحيانا اتخاذ ترجمة خاطئة لكلمات أو جمل من بعض أعوان الإدارة ليصدر قرار الغلق (2)، ولا تكاد تنجو جريدة أو صحيفة من التهديد والمضايقات، فجرائد جمعية العلماء كانت تسقط الواحدة تلو الأخرى، بسبب مواقفها الوطنية المناوئة لأهداف الإحتلال الفرنسي، وبسبب الخط الإصلاحي والأسلوب الإنتقادي والتوجه العقائدي لجريدة "المنتقد" تم إيقافها من طرف السلطات الإستعمارية بعد صدور 18 عددا (3)، وأشار بعضهم أن شيوخ الطرق الصوفية كان لهم دور في إيقافها، بسعيهم للوشاية للإستعمار (4)، وما يؤكد رأيهم إشارة ابن باديس قائلا: "... ولكن آثار الذين اعتادوا التملق صدقها، وكبر على الذين تعودوا النفاق صراحتها، وهال الذين اعتادوا الجبن من الرؤساء أو اعتادوا الجمود من الأتباع صرامتها، أجمعت هذه الطوائف أمرها فأخذوا يسعون في الوشاية ضدها وحمل الحطب للمراجع العليا لحرقها حتى عطلت" (5).

كما عانى ابن باديس من صعوبات مالية في السنة الرابعة من صدور "الشهاب" كادت تحجبها عن القراء وعلى إثرها تم تحويلها إلى مجلة، حيث قال عن ذلك (6): "لقد غالبته الظروف بمالها من قسوة وسلطان، ولقد قاومها بما له من حق وإيمان، ولو حاربته بغير إيمان لخرج كعادته منصورا" (7)، لكن رغم الصعوبات عمرت "الشهاب" فترة لا بأس بها من 1925 إلى 1939م تاريخ إصدار الوالي العام أمرا بتوقيفها، وأرخت بذلك للتجربة الإصلاحية خلال حقبة العشرينات والثلاثينات من القرن الماضي وما صاحبها من أحداث ثقافية لتوسع موضوعاتها (8).

كما أثارت جريدة "السنة" مخاوف الإدارة الإستعمارية لما حملته من لواء للإصلاح الديني والإجتماعي والتربوي، فقام وزير الداخلية بإصدار أمر بتوقيفها دون محاكمة أو توضيح، وهو نفس مصير جريدة "الشريعة" التي خلفت "السنة" في التوجه والأفكار، فلم تمهلها سوى 07 أعداد لتصدر قرار غلقها، فكان شعار جريدة "الصراط السوي" موجهها ضد المتربصين بالجمعية وجرائدها: "قل كل متربص فتربصوا فستعلمون من أصحاب الصراط السوي ومن اهتدى" (9)، وكان ابن باديس قد نشر في العدد الأول منها تعليقا حول العراقيل الإدارية ضد نشاط الجمعية عازما على الوقوف ضدها

(1)- محمد خير الدين، مذكرات، ج 01، المصدر السابق، ص ص 282-283.

(2)- النخبة، الشهاب والمنتقد، الشهاب، العدد 01، مج 01، 25 ربيع الثاني 1344هـ / 12 نوفمبر 1925م، ص 03.

(3)- بعد عقد من السنين، الشهاب، ج 01، مج 11، محرم 1354 هـ / 05 أبريل 1935م، ص 06.

(4)- عمار بن مزوز، المرجع السابق، ص ص 207-212.

(5)- محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية، ألفا ديزاين، الجزائر، ط 02، 2006، ص 61. وعبد الرحمن شيبان، الشهاب، مج 01، ص 11.

(6)- عمار بن مزوز، المرجع السابق، ص 213.

(7)- "الشهاب" الشهري بعد الأسبوعي، ج 01، مج 05، رمضان 1347 هـ / فيفري 1929م، ص 03.

(8)- عمار بن مزوز، المرجع السابق، ص ص 213-214.

(9)- الصراط السوي، العدد 01، مج 01، 21 جمادى الثانية 1352 هـ / 11 سبتمبر 1933م، ص 01.

قائلا: "كنا ومازلنا على ثقة تامة من بنبيل غايتنا واستقامة طريقتنا فيما أسست له جمعيتنا من نشر العلم والفضيلة ومحاربة الجهل والرديلة"<sup>(1)</sup>، ولم تكن هي أيضا أوفر حظا من سابقاتها، حيث تم إيقاف صدورها في جانفي 1934م، كما عانت جريدة "البصائر" من العراقيل الإدارية للإحتلال بين سنوات 1933-1935م، ممثلة في "جانت ميرانت" الوالي العام المعروف بعدائه للإسلام والعروبة، فأضهرت الجريدة ولاءها لفرنسا تحاشيا للتوقيف، وأبطلت برنامج الجمعية في كافة المجالات الأخرى، ونجح هذا الأسلوب في إطالة عمرها إلى غاية 1939م، مع أن الجمعية آثرت توقيفها لظروف الحرب العالمية الثانية على حد تعبير الإبراهيمي: "التعطيل خير من نشر الأباطيل"<sup>(2)</sup>.

ومن الصعوبات التي عانت منها جمعية العلماء نتيجة تداعيات اغتيال الشيخ كحول اضطراب الأوضاع في العاصمة وضواحيها، وعدم تمكن شعب الجمعية الموجودة بها من أداء مهمتها بعد غلق نادي الترقى ونادي بلكور بالعاصمة ونادي شرشال في البليدة، وشل حركة الأندية في الوسط الجزائري، بالإضافة إلى تقييد حركة الطيب العقبي وما لاقاه من شباب حزب الشعب بلغت بالإهانة والشتم في الطريق العام وأثناء أدائه لمهمته في الوعظ والتدريس، فقام ابن باديس في صيف 1937م، باستدعاء الشيخ خير الدين إلى العاصمة لإصلاح مسيرة الحركة الإصلاحية، فعمل على تجديد نشاط الشعب وفروعها واستعان بالشيخ حمزة بوكوشة والشيخ فرحات ابن الدراجي، للقيام بجولات في عمالة الجزائر لتجديد النشاط الشعبي وتنظيم عمل الأندية وإلقاء دروس الفقه في نادي الترقى الذي أعيد فتحه بعد سبعة أيام من إغلاقه<sup>(3)</sup>.

ومن خلال ما تعرضنا له نخلص إلى أن فرنسا حاربت الجمعية ووضعت في مسيرتها النضالية كل العقوبات الإدارية والقانونية، ففي 16 فيفري 1933م نشر والي العاصمة بيانا هاجم فيه العلماء واتهمهم بالعمالة للجامعة الإسلامية، ثم أصدر بعد يومين قرار منع العلماء من التدريس والإرشاد في المساجد دون ترخيص، وبلغ الصراع أوجه عام 1938م، بإصدار وزير الداخلية الفرنسي قانون 20 جانفي للتضييق على نشاطات الجمعيات والنوادي الثقافية والرياضية التابعة لجمعية العلماء.

### المطلب الثامن: نشاط الآباء البيض.

تطبيقا للإيديولوجية الدينية المسيحية الإستعمارية للقضاء على العقيدة الإسلامية، تعرضت المنطقة المغاربية ككل إلى حملة تنصيرية شرسة على أيدي المبشرين المدعومين بالأيادي العسكرية، محاولة القضاء على مقدسات العبادة والأوقاف، خاصة في الجزائر التي عانت من مختلف الأساليب الممنهجة والنوايا المبيتة بعد إحتلالها، والذي يعتبر حدثا تاريخيا ونصرا كبيرا صفقت له كل الدول الأوروبية ورجال الكنيسة، تدشيننا لإنشاء شعب حر مسيحي<sup>(4)</sup> وتغيير عقيدة المجتمع الجزائري.

(1)- الصراط السوي، العدد 01، مج 01، 21 جمادى الثانية 1352 هـ / 11 سبتمبر 1933م، ص 01.

(2)- عمار بن مزور، المرجع السابق، ص ص 216-218.

(3)- محمد خير الدين، مذكرات، ج 01، المصدر السابق، ص 282.

(4)- عبد الجليل التميمي، دور المبشرين في نشر المسيحية بتونس 1830-1881، المجلة التاريخية المغربية، العدد 3، يناير / كانون الثاني، مطبعة

الإتحاد العام التونسي، تونس، 1975، ص ص 05-06.

وهو ما تدل عليه الأعمال التي ارتكبتها الجنرال بيجو المعروف بالتدمير الثقافي والحضاري للشعب الجزائري، من خلال الرعاية والمساعدات السخية التي قدمها لجيش الكنيسة مما سمح بزيادة نفوذه وتوسع نشاطه بطريقة لم يعرفه أحد من قبل، فلم يجد من تصرفاته أي وازع إنساني، ولعل أفضل مثال ما فعله في بوفاريك حين هجم على إحدى القرى وقتل وشرّد مئات المواطنين وشتت عائلات منتزعا منهم فلذات أكبادهم، وهم 250 طفلا قدمهم للأب "برمو-Brumeaud" ليجعلهم مسيحيين، فيما عبر كاتبه "لوي فييو-Louis Veillot" قائلا في إحدى كتاباته: "إن الإنسان يكون أعمى إذا لم يدرك أن العناية الإلهية تعمل للقضاء على الإسلام ... ووقتها تصبح الجزائر مملكة مسيحية ولن تكون مسلمة" (1).

بالإضافة إلى ما قام به الأميرال "غيدون-Gueydon" بضربه لحصون المقاومة العقلية من لغة ودين، حيث نشطت فرق الحركة التبشيرية التي كانت تحت حمايته أثناء حكمه للجزائر، فتم تقويض دور المؤسسات الإسلامية وقيدت حرية تنقل رجال الدين المسلمين والطرقين، ومنع الأهالي من الاتصال بهم وزيارتهم، نظرا لتخوفه منهم (2)، لدورهم في الحفاظ على العقيدة الروحية للشعب الجزائري، خاصة بعد منع الحج.

ويعتبر الأسقف "لافيجري-Lavigerie" من بين أهم الشخصيات الاستعمارية التي هندست لتمزيق الشخصية الجزائرية بمحاربته للإسلام عدوه الأول. بحكم نشاطه التبشيري من خلال إنشاء مراكز اليتامى لغسل أدمغتهم، لذا فإن جرعات الأفكار الاستعمارية التي تم دسها في عقول الأهالي الجزائريين على يد الآباء والأخوات (البیض)، كان لها تأثير متفاوت فيما بعد على بعض المثقفين، ولافيجري من النماذج الاستعمارية التي قدمت خدمة للإدارة الفرنسية نظرا لما كان يتمتع به من وسائل أدبية ومادية سمحت له أن يحقق ما عجزت السلطات السياسية والعسكرية عن تحقيقه، من خلال نشر الحضارة المسيحية وتركيز دعائم الوجود الفرنسي، وما تركه من آثار ثقافية بظهور فئة تتعاطف أحيانا مع إجتاهه (3).

لقد ظل الفرنسيون منذ إحتلالهم للجزائر يبحثون عن الوسيلة التي تهيء لهم الامتلاك الدائم للشمال الإفريقي وتعميره بمسيحيين من العنصر اللاتيني وكان يقف حجر عثرة في سبيل هؤلاء السكان الأصليين المتمسكين بإسلامهم وبوحدتهم وعروبته، ولكن الأيام تمر والعنصر الأهلي لا يزداد إلا بعدا عن الانحدار للفناء برغم كل ما يحاط به من مكر وتقتيل (4).

نعم لقد ظن منظرو الغزو الفرنسي أن سياستهم هذه من شأنها أن تؤدي إلى إضعاف البنى الداخلية للشعوب المغاربية، وتصوروا أن العلاقة بين الفئات الاجتماعية لأبناء البلد الواحد ما هي إلا علاقة سطحية، تقوم على المصلحة الآنية الناشئة بين البربر والعرب الذين حملوا لهم الإسلام، واللغة تدول نزول بزوال هذه المصلحة، وبعدها يمكن للبربر أن

(1)-حسين رئيس، المرجع السابق، 52.

(2)- عبد الجليل التميمي، دور المبشرين في نشر المسيحية بتونس 1830-1881، المرجع السابق، ص ص 14-15.

(3)-المرجع السابق، ص ص 54-58.

(4)- علال الفاسي، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، مطبعة الرسالة، القاهرة، 1948، ص 161.

يعودوا إلى روحانيتهم القديمة التي جاءت بها روما من قبل، وإن اللغة والثقافة والقضاء أدوات قابلة للإستبدال بأدوات بديلة<sup>(1)</sup>.

من خلال ما نشرته جريدة الشاب المسلم، نلاحظ أن نشاط الآباء البيض ظل مستمرا إلى غاية أواسط الخمسينات من خلال إستغلالها البربرية لضرب وحدة الجزائريين حيث جاء في الجريدة: "ومن مناوراته (يقصد الإستعمار) المفضلة هي المعارضة في كتل معادية للجزائريين المسلمين، مما يزيد من الفجوة العميقة بين المسلمين وغير المسلمين، واستغلاله البربرية، وهي عقيدة رجعية معادية للمسلمين والعرب والقومية، وأكثر ناشطيتها هم المبشرون الكاثوليك، وفي مقدمتهم الآباء البيض"<sup>(2)</sup>.

ومن خلال ما واجهته الجمعية العلماء من صعوبات في مسارها النضالي ندرك مدى شراسة المعركة مع الإستعمار، لكنه لم يمنع العلماء من السعي قدما لتحقيق أهدافهم الإصلاحية في إحياء الثوابت الوطنية للأمة الجزائرية، وهو ما عبر عنه ابن باديس قائلا: "إن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين - كالمسلمين الجزائريين - جبلت على النضال والمقاومة والصبر والمصابرة وقد صبرت لغشم الحكومة وأذنانها وكيد الإستعمار وجرائده، ولن تزال ثم لن نزال...". ثم رد على أعداء الجمعية الذين يحاربونها دون علم بمقاصدها والمفترين على رجالها بالتدخل في السياسة، وهي التي وقفت في مؤتمر الأمة تطالب بالدين واللغة وشروط المحافظة على الجنسية والشخصية، حيث قال: "يا هؤلاء!.. إن الجمعية ليست عاجزة عن مقاومتكم وإظهار خطئكم وكشف باطلكم، ولكنها تعلم ما تحتاج إليه الأمة اليوم من إجتماع الكلمة وعدم التفرقة وتوحيد الصفوف، فلهذا تركتكم راجية لكم أن تدركوا حقيقة الموقف فتعملوا بما تقتضيه"<sup>(3)</sup>.

وهو نفس ما عبر عنه البشير الإبراهيمي قائلا: "ولو لم يتجهم لها (يقصد الجمعية) الزمن، ولم تواجهها العقبات المتنوعة، ولم تقف في وجهها العوائق المتكررة، لسارت في جميع فروع الإصلاح التي يشملها برنامجها سيرا حثيثا"<sup>(4)</sup>، فإذا كان التعليم المدرسي والخطاب المسجدي قد أرسى البنية الفكرية والعقائدية وعمق الإلتزام الحضاري لدى أفراد الأمة، فإن الصحافة تصدت لمشاريع التجنيس والإندماج، ودافعت عن مقومات الشخصية الوطنية، وحملت الوعظ والإرشاد في التجمعات والمؤتمرات كانت جدار صد ضد التبشير ونشر المسيحية، مما أبقي هذا الشعب على هويته الأصيلة.

(1)- حسين رئيس، المرجع السابق، ص 63.

(2)- Amar Ouzegane, Les Pères Blancs au service de l'impérialisme français, Le Jeune musulman, N° 02, 01<sup>er</sup> Année, Vendredi 27 Ramadhan 1371/20 Juin 1952, op cit, p 04.

(3)- عبد الحميد ابن باديس، دعوة وبيان إلى عموم الشعب المسلم الجزائري الكريم، البصائر، العدد 79، المصدر السابق، ص 229.

(4)- محمد البشير الإبراهيمي، الطرق الصوفية، المصدر السابق، ص 45.

# الفصل الخامس

تداعيات مسألة الهوية على الحركة الوطنية والثورة  
التحريرية وموقف جمعية العلماء المسلمين منها.

المبحث الأول: النشاط السياسي لجمعية العلماء وتطور خطابها الإصلاحي.

المبحث الثاني: الهوية الوطنية عند تيارات الحركة الوطنية.

المبحث الثالث: موقف جمعية العلماء من الهوية عند تيارات الحركة الوطنية.

المبحث الرابع: مقومات الهوية في مواثيق الثورة التحريرية وموقف بعض علماء  
الجمعية منها.

بعد الحرب العالمية الأولى، أدى الصراع من أجل الهيمنة الأيديولوجية في الجزائر إلى بروز ثلاثة تيارات شكلت النواة الأولى للمجتمع المدني الجزائري وهي التيار الإدماجي، والتيار الإستقلالي الثوري، والتيار الإصلاحية الديني، إلا أن مطالب الحركة الوطنية بمختلف أطيافها عرفت انتكاسة كبرى بعد أحداث الثامن من ماي 1945، وتوضح فشلها في مساعيها السياسية للمطالبة بالتغيير الذي كان موقف الاستعمار الفرنسي منه سلبيا، فالجرائم التي راح ضحيتها الآلاف من الجزائريين خلال المظاهرات والوضع القمعي الذي انتهجته فرنسا أبان عن الوجه الحقيقي للسياسة الاستعمارية التي لا تأمن بمطالب الحركة الوطنية بمختلف أطيافها، لكن هذا الوضع في نفس الوقت كان من الأسباب التي أدت إلى التفكير في العمل المسلح واندلاع الثورة التحريرية، غير أن هذه الثورة لم تكن في معزل عن الخلفيات والإفرازات التي طرحها الواقع القديم للحركة الوطنية، فيما يخص مسألة الهوية الوطنية التي انعكست على المواقف المرجعية للثورة.

لذلك سنحاول في هذا الفصل التعرف على ما مدى اهتمام أحزاب الحركة الوطنية بمسألة الهوية الجزائرية، من خلال إبراز درجة إيلاء برامج هذه الأحزاب أولوية لموضوع الهوية الوطنية، كون برامج الأحزاب تجسد التوجه الفكري لنخبها ومناضليها، ومعرفة موقفها من هذه المسألة في تلك المرحلة؟ وتسلط الضوء على التداعيات التي نتجت عن إثارة المسألة الهوياتية بعد المؤتمر الإسلامي ودخول جمعية العلماء السياسة، مروراً بوفاة رئيسها ومدى تأثير غيابه على موضوع الهوية كونه صاحب فكرة إنشاء الجمعية وأبرز الفاعلين بقوة في الدفاع عن الهوية الوطنية ضد الإستعمار والموالين له، ومدى إستمرار ثقل التأثير على يد خلفائه سواء ضد الإستعمار وأعوانه، أو من خلال مواقفهم من موضوع الهوية عند تيارات الحركة الوطنية؟ وكيف تطورت الهوية وامتدت أبعادها إلى مرحلة اندلاع الثورة التحريرية؟ بإبراز انعكاسات الموضوع على مواقف الثورة باعتبارها المرجعية التاريخية والوطنية للأمة والدولة الجزائرية ومساهمة هذه المواقف في بناء عناصر الثقافة السياسية للأفراد، والحجر الأساس الذي تستنبط منه الأهداف الوطنية.

### المبحث الأول: النشاط السياسي لجمعية العلماء وتطور خطابها الإصلاحي:

لخص رابح لونيسي تعريف التيارات الوطنية والقومية في قوله أنها: "تتمثل في الذين يركزون في خطابهم على مسألة الهوية أو استرجاع الاستقلال الوطني للجزائر، أو الذين يعتمدون على خصوصيات إقليمية أو محلية في طروحاتهم وأفكارهم"<sup>(1)</sup> ويعتبر هذا الاتجاه من التيارات الوطنية التي تميزت بجرأة الطرح لأفكاره المناهضة للإستعمار.

ونحن إذ نتحدث عن هذه التيارات هنا، فباعتبارها تيارات وطنية أو قومية كما اصطلح على تسميتها من قبل الباحثين، نظرا للمطالب الوطنية التي كانت تنادي بها، من السلطات الاستعمارية الفرنسية، خاصة فيما تعلق بمطلب الاستقلال التام، ولا يمكن لهذا الاستقلال أن يتم ما لم يتضمن في ثنايا برامج المطالبة باسترجاع مرتكزات الهوية الوطنية للمجتمع الجزائري بأبعادها العربية والإسلامية، في ظل فكر إستعماري متعنت وبرز الأزمة البربرية

(1) - رابح لونيسي، التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة بين الاتفاق والإختلاف (1920-1954)، دار كوكب العلوم، ط 1، 2009، ص 109.



في هذه المرحلة، ومن أجل هذا لا بد من التعرف على ما مدى اهتمام هذه الأحزاب الوطنية بمسألة الهوية الوطنية في برامجها التي وضعتها لاستعادة السيادة الوطنية وحل القضية الجزائرية؟ فكيف تعاملت مع هذا الموضوع؟ وما هو موقفها من هذه المسألة؟

### المطلب الأول: الهوية في مطالب الجمعية خلال المؤتمر الإسلامي الجزائري سنة 1936م.

تزامن نشاط جمعية العلماء مع نشاط الأحزاب السياسية التي كانت تدعو إلى الاستقلال الوطني والرفي بالأمّة الجزائرية وكان لكل حزب مبادئه وأسلوبه الخاص به. وقد حرص ابن باديس أن يبعد جمعية العلماء عن كل ما من شأنه أن يجعلها حزبا أو يصبغ نشاطها بطابع سياسي، رغم أن الهدف الذي كانت تسعى له هو الاستقلال إلا أنها لم تعلن عن ذلك صراحة لإيمانها بمبدئين: أولهما أن العمل السياسي العلني يجعل نشاط جمعية العلماء معرضا للبطش الاستعماري وهي لا زالت في المهّد لم يشتد عودها بعد فتموت قبل أن تحقق أهدافها، ثانيهما أن بناء الدعامة الوطنية الأصلية يتمثل في عودة الشخصية الجزائرية ثم تليها غاية الاستقلال الذي يقوم على أعمدة متينة الأركان، لأن نشر الوعي الديني بكل الوسائل الممكنة وعدم الدخول في صدام مع الاستعمار هو السبيل الوحيد حتى لا تعرقل هذا العمل، وإن كان لبعض رجالها مواقف في قضايا معينة محلية ووطنية سواء مع بعض الأشخاص أو الأحزاب، إلا أنها بقيت في إطارها الخاص<sup>(1)</sup>، حفاظا على اللحمة الوطنية ضد الإستعمار.

إن عدم تصريح جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بأهداف سياسية في قانونها الأساسي مع بداية تأسيسها لا يعني أنه لم يكن لديها اهتمامات سياسية، ولا يعني إهمال الشؤون الوطنية والقومية حسب رأي ابن باديس، الذي بين منذ بداية حركته الإصلاحية<sup>(2)</sup>، أن عمله منصب على لمّ شعث الأمّة الجزائرية، وإحياء روح القومية لدى أبنائها، وإكسابهم سلاح العلم والعمل النافع، ليكونوا قادرين على النهوض بأمّتهم، ويكون لها حق الحياة والاستمرار كغيرها من الأمم<sup>(3)</sup>.

لكن في نفس الوقت ابتعاد الجمعية عن الخوض في النشاط السياسي حسب ما نص عليه قانونها الأساسي تفاديا للغلق والحل لم يلغي الخوض فيه بصفة فردية وشخصية من طرف أعضائها، حيث تركت الجمعية للعلماء حرية النشاط السياسي لكن ليس باسمها، فابن باديس كان يتطرق للسياسة باسمه الشخصي في جريدته المنتقد والشهاب، باعتبارهما تنتسبان إلى الجمعية، وقد برر سبب تعديه إلى المسائل السياسية إلى جانب إصلاح حال الأمّة، لطبيعة الإحتلال الذي يناصره عنصر يون ومعمرون متطرفون، موضحا بقوله أن: "كلامنا اليوم عن العلم والسياسة معا، وقد يرى بعضهم أن هذا الباب صعب الدخول، لأنهم تعودوا من العلماء الإقتصار على العلم والابتعاد عن مسالك

(1)- محمد خير الدين، مذكرات، ج 01، المصدر السابق، ص 250.

(2)- أحمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المرجع السابق، ص 235.

(3)- الشهاب، العدد 01، 02 جويلية 1925م، ص 1.

السياسة، مع أنه لابد من الجمع بين السياسة والعلم، ولا ينهض العلم والدين حق النهوض، إلا إذا نهضت السياسة بجد" (1).

إن الموقف المسالم الذي أبداه ابن باديس في بعض تصريحاته، التي اعترف فيها بالواقع السياسي للجزائر، كانت في محاولة منه للتأكيد على الشخصية الجزائرية، التي عملت فرنسا على طمس رموزها(2)، وهو ما أشار إليه في أحد تصريحاته قبل تأسيس الجمعية بقوله: "إن الأمة الجزائرية أمة ضعيفة ومتأخرة، فنرى من ضرورتها الحيوية أن تكون في كنف أمة قوية عادلة متمدنة، لترقيتها في سلم المدنية والعمران، وترى هذا في فرنسا التي ربطتها بها روابط المصلحة والوداد، فنحن نخدم للتفاهم بين الأمتين، ونشرح للحكومة رغائب الشعب الجزائري، ونطالبها بصدق وصراحة بحقوقه لديها، ولا نرفع مطالبنا أبداً إلا إليها، ولا نستعين عليها إلا بالمنصفين من أبنائها"، ويضيف قائلاً: "... تشريكنا تشريكاً صحيحاً سياسياً واقتصادياً على إدارة شؤون وطننا الجزائري"(3)، مبرراً المطالب السياسية للأمة.

وبعد تأسيس جمعية العلماء واصلت اهتمامها بالسياسة لتقاطعها مع أهدافها الثقافية والدينية، فالإسلام هو دين الدولة حيث ترتبط فيه عقيدة الفرد بالتوجه السياسي للبلاد، بسبب طبيعة نظام الحكم في الأقطار الإسلامية، حيث الحاكم يحكم باسم الدين الإسلامي، لكن الأمر يختلف كثيراً في الجزائر المستعمرة، ففرنسا لم تكن تحكم باسم الإسلام عكس باقي البلدان الإسلامية التي استعمرت، والتي لم يكن المصلحون فيها بحاجة للتدخل في السياسة، لسيادة الحكم الإسلامي فيها، فاكثفوا بإصلاح الدين، إلا أن الوضع في الجزائر أجبر المصلحين على الاهتمام بإصلاح الدين والتدخل في السياسة، لعلاقتهمما التلازمية رغم تجنبهم تأليب الاستعمار(4)، فقد طالب ابن باديس بالإصلاح السياسي تحت شعار: " الحق والعدل والمؤاخاة في إعطاء جميع الحقوق للذين قاموا بجميع الواجبات، بدون تمييز لأن الجزائريين قاموا بجميع الواجبات، ولهذا لا يمكن مطالبتهم بالإنخلاع عن قوميتهم أو دينهم أو لغتهم، وأن الأمة الجزائرية صاحبة الحق، فكلمتها من كلمة الله وإرادتها من إرادة الله، وقوتها من قوة الله" (5).

وقد أوضحت الجرائد الإصلاحية أن الأمة الجزائرية في حاجة شديدة إلى الإصلاح في جميع الجوانب الحياتية الاجتماعية والسياسية والإقتصادية، لأن تحقيق الإصلاح في جانب من هذه الجوانب يستلزم إصلاح النواحي الأخرى، وكل إصلاح لا يقوم على الدين فهو فاشل، فلا يصلح الأمة إلا دينها، ودعت الجزائريين إلى رفض أي مشروع إصلاحي

(1)-عبد العزيز فيلاي، الشيخ عبد الحميد بن باديس وعيه بالاستعمار والثقافة الغربية من خلال أرشيف الإستخبارات الفرنسية، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2016، ص 46-48

(2)-أحمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المرجع السابق، ص 235.

(3)-الشهاب، العدد 01، 0210 ذو الحجة 1343هـ/ جويلية 1925م، ص1.

(4)-أحمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المرجع السابق، ص 236.

(5)-عبد العزيز فيلاي الكلمة الافتتاحية، المرجع السابق، ص 16.

يمس بدين الإسلام<sup>(1)</sup>، من هنا نجد أن ارتباط حركة الإصلاح الديني بالإصلاح السياسي عند جمعية العلماء لم يكن أمراً مستحدثاً، نظراً لتحكم جملة من الظروف والعوامل السياسية في نشاطها، نتيجة ما كانت تمر به البلاد من فترات صعبة، أجبرت علماء الجمعية على إتباع أسلوب المرونة والتكيف مع هذه الظروف، فكثيراً ما نلاحظ تراجع في نشاط الجمعية في فترات الضغط الاستعماري، والتخفيف من تحركات العلماء، مسايرين بذلك الإدارة الاستعمارية بعبارات المسالمة في مواقفهم وتصريحاتهم، وإذا ظهرت بوادر للتسامح عاد نشاط العلماء بقوة من جديد، على مختلف الأصعدة والأساليب المتاحة، لكن ما يمكن التنويه له أنه على الرغم من تغير الظروف من مرحلة لأخرى، إلا أن مبادئ علماء الجمعية بقيت ثابتة على نفس النسق، ولم تغير من مضمونها الذي أنشأت من أجله<sup>(2)</sup> خصوصاً موضوع الهوية الوطنية.

وأبرز أبو القاسم سعد الله موقف جمعية العلماء في فترة الثلاثينيات، التي قامت على المزاجية بين الدين والمواجهة، واصفاً أسلوبها كالذي يمشي على حبل رقيق، امتزج فيه الأمل بالاحتجاج والسخط على الإدارة الاستعمارية من جهة، وإبداء الثقة في ديمقراطية فرنسا، ومطالبتها بالاستقلال عن طريق فرنسا، والثورة على رجال الدين الرسميين لفرنسا، والدعوة إلى الوحدة الدينية رغم الانتماء، وتحذير النواب من الاندماج، والاستنجا بجم عند تضيق الإدارة الاستعمارية على نشاطها، وإمكانية تحالفها مع الشيوعيين والفاشييين وحتى اليهود ضد الإدارة الاستعمارية، ولعله من أحد الأسباب التي أثارت عدة انتقادات لعلماء الجمعية، لعدم الفهم الصحيح لخطتها في المحافظة على استمرارية نشاطها، وتجنب نفسها خطر الغلق والحل<sup>(3)</sup>، من قبل الإدارة الاستعمارية كما حدث مع كثير من فصائل الحركة الوطنية الأخرى.

وانقسم نشاط جمعية العلماء في المجال السياسي إلى فترتين متميزتين، بدأت الأولى منذ تاريخ تأسيسها إلى غاية وفاة رئيسها الأول سنة 1940، لتبدأ المرحلة الثانية من هذا التاريخ إلى غاية اندلاع الثورة<sup>(4)</sup>، وبحكم أن نشاط الجمعية في السنوات الأولى من تأسيسها اقتصر على المجال الديني والتعليمي والثقافي والاجتماعي، مبتعدة عن الخوض في الأمور السياسية، والتزاماً بما نص عليه قانونها الأساسي الذي حدد أهدافها، وامتد هذا الوضع إلى غاية سنة 1935، أين عرفت الجمعية تطوراً في نشاطها ومواقفها السياسية، وبناءً عليه سنقسم نشاطها هذا إلى مرحلتين، تبدأ الأولى من سنة 1935 إلى غاية 1940، ثم تليها المرحلة الثانية من وفاة ابن باديس إلى غاية 1956 تاريخ حل نفسها والتحاقها الرسمي بالثورة.

تميزت مرحلة (1940-1935) بدخول جمعية العلماء المعترك السياسي، من خلال مواجهتها للاحتلال، بإبداء مواقفها من أحداث سياسية مهمة تمس خاصة بفكرة الحفاظ على الهوية الوطنية للأمة الجزائرية ومقومات كيان الدولة الجزائرية المستقلة عن الكيان الاستعماري، ضماناً لمستقبلها واستمرارية وجودها، ولارتباط نضالها في الدفاع عن ثوابت الأمة الجزائرية بسلسلة التشريعات والقوانين والإصلاحات الإدارية والسياسية للإستعمار، لذلك فطبيعة السياسة

(1)- يجب أن يكون الدين أساس كل إصلاح، الأمة، السنة الثالثة، العدد 103، الجزائر، الثلاثاء 14 شوال 1355 هـ/ 29 ديسمبر 1936م، ص 01.

(2)- أحمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المرجع السابق، ص 236-237.

(3)- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، الجزء 03، ص 96.

(4)- أحمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المرجع السابق، ص 237.

الإستعمارية هي التي فرضت عليها الدخول في النشاط السياسي، وعدم امكانيتها النضال من أجل الهوية الوطنية بمعزل عن ذلك، وبرز نضالها للدفاع عن ثوابت الأمة الجزائرية من خلال:

-رفضها لمشروع "فيوليت"<sup>(1)</sup> حيث أشارت جريدة "الشهاب" إلى تخوفات جمعية العلماء من هذا المشروع الإندماجي، ما جعلها ترفضه لعدم وجود تسوية عادلة في الحقوق بين الجزائريين والفرنسيين من جهة، ولا بين طبقات الجزائريين أنفسهم من جهة أخرى، فقد نص المشروع على تهيئة الفئة المثقفة لاندماجها، مع تجاهل تام للدين واللغة<sup>(2)</sup>، إلا أن المشروع في الأخير لم ينفذ بسبب عدم موافقة الكولون عليه في المجلس البرلماني الفرنسي، لرفضهم أي تغيير في وضع الجزائريين حتى ولو تخلو عن أحوالهم الشخصية<sup>(3)</sup>، لكن أعيد طرح المشروع مع مجيء حكومة "الجبهة الشعبية" في 1936.

-دعوة جمعية العلماء لعقد المؤتمر الإسلامي الجزائري، بهدف إستشارة الأمة الجزائرية في مشروع "بلوم-فيوليت"، من منطلق "لا يبنى مستقبل الأمة إلا الأمة" حسب تعبير البشير الإبراهيمي، الذي أبرز أبعاد الهوية الوطنية من تسمية المؤتمر بالإسلامي قائلا فيه: "...أنا الأم ومن حق الأم أن تسمي ولدها، وقد سميتكم العرب المسلمين وأشهدت التاريخ فسجل، فلستم مني أن عققتُموني بتبديل الإسم، أو تفريق المسمى، إني قريرة العين بيومكم هذا وسمتموه بوسمي وسميتُموه باسمي وشرفتموه بالإسلام زينتموه بالعربية"<sup>(4)</sup>، ويعتبر هذا المؤتمر أهم حدث برز فيه توجه جمعية العلماء المسلمين الجزائريين نحو النشاط السياسي، من خلال مشاركتها للأحزاب والهيئات والشخصيات السياسية اجتماعاتها ومؤتمراتها علانية، وقد أحدث هذا المؤتمر تحولا في النهضة السياسية لعلماء الجمعية، وبداية استعماهم لعبارة "الحقوق السياسية" بدل ما كانوا يرددونه من حقوق عامة<sup>(5)</sup>، خصوصا وأن فكرة عقد المؤتمر<sup>(6)</sup> جاءت من طرف عبد الحميد بن باديس أواخر سنة 1935 على إثر دعوته لاجتماع طارئ لدراسة الوضع في الجزائر وما شاهده من تشتت واختلاف بين الأحزاب والهيئات الوطنية وقتها<sup>(7)</sup>، فابن باديس كان يؤمن أن المرجع الوحيد في المسائل التي تخص الأمة هو العودة إلى الأمة نفسها، عن طريق عقد المؤتمرات للتواصل مع أفرادها<sup>(8)</sup>، ولكون الإجماع أصل من أصول التشريع

(1)-عرف "موريس فيوليت" منذ أن كان واليا عاما على الجزائر في سنوات 1925-1927 بدعوته إلى منح النخبة الجزائرية حقوق المواطنة الفرنسية والسير قدما لتحقيق مطالبها الإندماجية، وعرض مشروعه في هذا الصدد الذي بقي يدافع عنه منذ سنة 1931، وتمسك به طيلة فترة الثلاثينات، يُنظر: صالح بلحاج، الحركة الوطنية الجزائرية بين الحريين 1910-1939م، دار قرطبة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2018، ص ص 320-321.

(2)-الشهاب، ج 04، مج 02، جمادى الأولى 1355هـ/ جويلية 1936م، ص 214.

(3)-أحمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المرجع السابق، ص 242.

(4)-محمد خير الدين، مذكرات، الجزء 1، المصدر السابق، ص 273.

(5)-أحمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المرجع السابق، ص 244.

(6)-إنطلاقاً من فكرة المؤتمرات التي كانت تعقد في فترة العشرينيات والثلاثينيات عربياً وأوروبياً. يُنظر: أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج 03، المرجع السابق، ص 160.

(7)-محمد خير الدين، مذكرات، ج 1، المصدر السابق، ص ص 272-273.

(8)-الشهاب، جمادى الأولى 1355هـ/ جويلية 1936م، 198.

الإسلامي فلما لا يتم العمل به في السياسة<sup>(1)</sup>، بدعوة جميع الفصائل الوطنية على إختلاف إنتماءاتها السياسية والفكرية والثقافية من المسلمين الجزائريين، للإدلاء برأيهم في تحديد النظام السياسي الذي يخصهم، من خلال النقاش العام الذي سيعقد في العاصمة، أو في أي مكان آخر في أقرب وقت، بهدف البحث في مصير ستة ملايين نسمة، الذين يعتبرون أحياناً فرنسيين مع أن حق التمتع بالحقوق لا يشملهم، ويعاملون أحياناً أخرى كأجانب مع أنهم في بلادهم ووطنهم<sup>(2)</sup>. ومن أجل عقد المؤتمر باشر ابن باديس اتصالاته بداية من قسنطينة، فأقنع "الدكتور بن جلول" من كتلة النواب، ليصدر الطرفان نداء الى المسلمين الجزائريين في 17 ماي 1936<sup>(3)</sup>، بهدف تشكيل لجان تحضيرية للمؤتمر الإسلامي الجزائري الذي حدد شهر جوان تاريخاً لانعقاده بمدينة الجزائر، بهدف وضع برنامج إصلاحي شامل لمطالب الجزائريين، تشارك فيه جميع الأطياف الجزائرية<sup>(4)</sup>، التي هبت لعرض مطالب الأمة الجزائرية وعرض حقوقها، وتبادل الآراء حول ما يتفق مع أوضاع الحكومة الفرنسية حينها<sup>(5)</sup>.

وفي يوم 07 جوان من سنة 1936 إنعقد المؤتمر بقاعة "الماجستيك" (Majestic) بمدينة الجزائر، وحضره عدد كبير من مختلف الإنتماءات الجزائرية<sup>(6)</sup> بداية من ممثلي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، والنواب الجزائريين، وممثلي الإتجاه الإشتراكي والشيوعي<sup>(7)</sup>، فكان إجتماع الجزائريين في يوم مشهود أثبتوا فيه وطنيتهم وإسلامهم للعيان في هذا المؤتمر الذي لم تشهد الجزائر في تاريخها منذ ارتباطها السياسي بفرنسا مثيلاً له، فتلاشت فيه الفوارق وتوحدت الأمة فكراً وعقيدة وإجتمع المصلحون والطرقون وعلماء الدين ورجال السياسة والشيوخ والشباب والتجار والفلاحون والعمال حول مبدأي الإسلام والجزائرية، وحدتهم الظروف القاسية وألفت بينهم المحن والهموم فعبروا عن رغائب الدين بلغة الدين وعن رغائب الدنيا بلغة السياسة، والتقى جميع الجزائريين عند نقطة الإسلام والجزائر، ودار البحث حول الإسلام ولسانه والمسلم وحقوقه في الحياة<sup>(8)</sup>، وشاركت جمعية العلماء المسلمين بـ 09 أعضاء في اللجنة التنفيذية للمؤتمر، من أجل تقديم

(1)-وما يدعم أن ابن باديس هو صاحب فكرة المؤتمر الإسلامي الجزائري، هو ما كتبه جريدة "الدفاع" (La Défense) الناطقة باللغة الفرنسية، حول دعوة ابن باديس، وإذا كان الشيخ خير الدين أشار إلى أن الدعوة كانت باسم رئيس جمعية العلماء، فيما أن مراجع أخرى تشير إلى أن ابن باديس طلب نشر الدعوة باسمه الشخصي تفادياً للحساسيات السياسية وضمان موافقة جميع التيارات الوطنية على إختلافها قبول دعوته. محمد خير الدين، مذكرات، ج 1، المصدر السابق، ص 274.

(2)-La Défense, Nos Revendications « ce que nous dit le cheikh Abedelhamid Benbadis », 3ème Année, N° 88, 03 janvier 1936, p 01.

(3)-هناك إختلاف في تاريخ اللقاء بين ابن باديس وبين جلول، فجريدة الدفاع حددته يوم الأحد 17 ماي 1936م، فيما ذكر أحمد الخطيب نقلاً عن : كوللو وهنري ، الحركة الوطنية الجزائرية، ص 70 أن تاريخ اللقاء كان في 16 ماي 1936م.

(4)-La Défense, Pour un Congrès Musulman Algérien, 3ème Année, N° 106, 22 Mai 1936, p 2.

(5)-محمد خير الدين، مذكرات، ج 1، المصدر السابق، ص ص 272-273.

(6)-ذكر أبو القاسم سعد الله في كتاب "الحركة الوطنية الجزائرية"، ج 03، ص 165 إلى حضور المرابطين أيضاً، فيما ذكر Nouschi André في كتابه (1979) La Naissance du nationalisme Algérien ص 70 إلى حضور ممثلي حزب نجم شمال إفريقيا رغم عدم مشاركتهم الفعلية في المؤتمر، إلا أن أغلب المصادر تشير إلى إقتصار الحاضرين على العلماء والنواب والشيوعيين.

(7)-فرحات عباس، ليل الإستعمار، ترجمة أبو بكر رحال، دار القصبة، الجزائر، 2005، ص 96.

(8)-محمد خير الدين، مذكرات، الجزء 1، المصدر السابق، ص 274.

المطالب المتفق عليها إلى حكومة "الجبهة الشعبية" في باريس بتاريخ 23 جويلية 1936، ومثلت سمة المؤتمر وهو الإسلام فحق أن يقال أن الأمة الجزائرية كلها حشرت في هذا المؤتمر، وتلخصت المطالب التي برزت فيها هوية الأمة من خلال:

- إلغاء القوانين الاستثنائية.

- إلحاق الجزائر بفرنسا مع المحافظة على الحالة الشخصية الإسلامية.

- فصل الشؤون الدينية عن الدولة.

- إعادة أموال الأوقاف إلى الجزائريين المسلمين.

- حرية تعليم اللغة العربية.

- حرية الصحافة العربية مع إلزامية التعليم للجنسين.

- تحسين مستوى العمال والفلاحين وتوزيع الأراضي عليهم.

- إلغاء قانون "الغاب" ومنح العفو السياسي العام للجزائريين وتوحيد الناخبين<sup>(1)</sup>.

عبر الشيخ خير الدين عن الشعور الوطني الذي ميز الجو العام لتحضيرات المؤتمر وأهم المطالب الوطنية المتفق عليها قائلا: "...وكم كان جميلا أن يلودوا بجمعية العلماء المسلمين ويسترشدوا بها ويمزجوا رأيها برأيهم ويظهروا مجتمعين على معاني الوفاء لها والإخلاص لمبادئها والإعتراف بفضلها على هذه الأمة فيما أيقظت من مشاعر ونبهت من إحساسات وجمعت على المصلحة العامة من قلوب اتفقت فيها آراء النواب والشباب والعلماء على المطالب الوطنية" التي انقسمت إلى قسمين: جملة التطلعات الصريحة المشتركة بين جميع التيارات الوطنية من إلغاء للقوانين الاستثنائية المطبقة على الجزائريين كحرية الفكر والإجتماع والتنقل والتعليم العربي والمساجد، وجملة الحقوق السياسية التي تحتاج إلى إعادة النظر فيها خصوصا النيابة البرلمانية. وعموما تم المطالبة بحقوق المسلم الجزائري السياسية التامة غير منقوصة، مع المحافظة التامة على الأحوال الشخصية الإسلامية، ومنح حق النيابة البرلمانية على أساس الانتخاب المشترك بين المسلمين والفرنسيين مع المساواة في الحقوق، ونوه ابن باديس في خطابه المؤثر بقيمة المؤتمر في تاريخ الجزائر، مذكرا من جهته بضم مطالب الجمعية الخاصة بالدين واللغة العربية إلى لائحة مطالب المؤتمر<sup>(2)</sup>.

يعتبر المشروع الذي جاء به "بلوم- فيوليت" مشروعا إدماجيا، وهو ما طرح عدة تساؤلات من الباحثين حول سبب موافقة جمعية العلماء على مطلب إلحاق الجزائر بفرنسا رغم معارضتها من جهة أخرى فكريا التجنيس والإدماج؟ وهل تفسير الجمعية لمعنى الإلحاق يختلف من وجهة نظرها عن معنى الإدماج؟<sup>(3)</sup> وهل هذا الإلحاق هو الحل الوحيد للقضية الجزائرية مع الإستعمار؟ ألم تكن هناك حلول أخرى تحافظ على الهوية الوطنية للأمة الجزائرية أفضل من هذا الحل؟ كيف وافق باقي علماء الجمعية على فكرة ابن باديس في الرد على مشروع مصطفى بطابع إدماجي؟ صف لهذا كيف وثق العلماء في نية فرنسا منحهم حقوقهم وهي التي دلت التجارب التاريخية على عدم إلزاماتها بجمع الإصلاحات التي

(1)-أحمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المرجع السابق، ص 247.

(2)-محمد خير الدين، مذكرات، ج 1، المصدر السابق، ص 275-277.

(3)-أحمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المرجع السابق، ص 248.



أصدرتها؟ وما هي مبررات غياب التيار الاستقلالي عن مؤتمر الأمة كما سُمي؟ وللإجابة عن هذه الأسئلة لابد من العودة إلى مطالب الجمعية في المؤتمر الإسلامي، لمعرفة ما إذا فعلا حادت عن نهجها بخصوص التجاوب مع فكرة الاندماج الإستعمارية. فالمعروف عن الجمعية هو مواقفها الثابتة والمعارضة للإدماج لكونه محو للشخصية القومية الجزائرية، ونلاحظ أن الجمعية قدمت مطلبان أساسيان في المؤتمر متعلقان بـ: اللغة العربية وضرورة تعليمها وجعلها لغة رسمية في الجزائر، على غرار اللغة الفرنسية، فيما تمثل المطلب الثاني في: تسليم المؤسسات الدينية كالمساجد والأوقاف إلى جمعيات دينية والإشراف على تنظيم القضاء الإسلامي وترقية مستواه<sup>(1)</sup>، وبالتالي ركزت مطالب الجمعية على الهوية الوطنية للأمة الجزائرية من خلال:

- اللغة العربية: تعتبر لغة رسمية مثلها مثل اللغة الفرنسية وتكتب بها في جميع المنشائر الرسمية وبنفس القدر من المساواة مع الفرنسية تعامل صحافتها وتعطى الحرية في تعليمها بالمدارس الحرة.
- المساجد: تسلم المساجد للمسلمين مع تخصيص مقدار من الميزانية لأوقافها وتتولى جمعيات دينية للإشراف على أمورها كما هو معمول به في القوانين المتعلقة بفصل الدين عن الحكومة.
- التعليم الديني: تأسس كليه لعلوم الدين ولسانه العربي لتخريج موظفي المساجد من أئمة وخطباء ومدرسين ومؤذنين.

- القضاء الإسلامي: يتم تنظيم القضاء بوضع مجله أحكام شرعية على يد هيئة إسلامية يكون إنتخابها تحت إشراف الجمعيات الدينية مع إدخال إستراتيجيات على المدارس التي يتخرج منها رجال المحاكم والتحقيق في العلوم الشرعية الإسلامية وطبع التعليم بطابعها لتكوين رجال يكونون من أصدق الممثلين لها.

وتعتبر هذه النقاط الأساسية التي قدمها رئيس جمعية العلماء لتكملة مطالب الأمة في النواحي الحياتية الأخرى وعرفت موافقة المؤتمر بالإجماع عليها، وهو ما يفند كل المزاعم التي تتهم جمعية العلماء المسلمين بتقديمها طلب للإندماج في فرنسا<sup>(2)</sup>. وهو ما يبينه أيضا تقديم ابن باديس باسمه الشخصي بعيداً عن انتمائه للجمعية لدرء اقحامها علناً في الشؤون السياسية، بمطليبين سياسيين، تمثل الأول في: المساواة في الأوضاع والمعاملات الخاصة مطالباً فيه برفع جميع الأوضاع الاستثنائية السارية على الجزائريين، كالمصرفيات ومجالس الكرمينال والمعاملات والأنديجينا وأعطيات الجندية، ورفع مدة الخدمة العسكرية، وبرنامج التعليم، بالإضافة إلى التمييز بين الجزائريين والفرنسيين في الحقوق، فيما كان مطلبه السياسي الثاني متعلقاً بـ: المساواة بين الجزائريين والفرنسيين في جميع المجالس، وحق الجزائريين في المشاركة في انتخابات النواب البرلمانيين على اختلاف جنسيتهم وعقيدتهم، مع محافظتهم على شخصيتهم الإسلامية<sup>(3)</sup>.

كما أن ابن باديس برر موقف الجمعية من الإلحاق والإدماج بتمييزه بين الجنسية القومية والجنسية السياسية، حيث تعتبر الجنسية القومية هي مجموع المقومات والمميزات التي يتميز بها شعب معين، وتشمل اللغة والعقيدة والتاريخ

(1)- حقوق الأمة الجزائرية التي تطلبها من الأمة الفرنسية، الشهاب، ملحق ج 04، مج 12، ربيع الثاني 1355هـ/جويلية 1936، ص 211-212.

(2)- محمد خير الدين، مذكرات، ج 1، المصدر السابق، ص 278.

(3)- الشهاب، ملحق ج 4، مج 12، المصدر السابق، ص 211.

والشعور المشترك بهذه المقومات بين أبناء الأمة الواحدة، ومن وجهة نظر جمعية العلماء فإن الأمة الجزائرية تتمتع بكامل المقومات والمميزات التي تؤهلها لأن تكون لها جنسية قومية خاصة بها وحدها، ومن هذا المنطلق فلا يمكن إضعاف شخصيتها أو إدماج شعبها أو محوه، أما الجنسية السياسية فتعني السماح لشعب ما بالتمتع بمختلف الحقوق الممنوحة لشعب آخر، يمثل ما عليهما من نفس الواجبات التي يشتركان في القيام بها، نظرا لظروف المصلحة التي تجمعهما<sup>(1)</sup>.

والمستنتج من هذا التوضيح أن جمعية العلماء وافقت على فكرة إلحاق الجزائر بفرنسا بهدف حصول الجزائريين على الحقوق والواجبات التي يتمتع بها الفرنسيون، بما أن قانون "السيناتيس كونسيلت" لعام 1865 يعتبر الأهالي الجزائريين مواطنين فرنسيين، إلا أن تنفيذه كان فيه إجحاف كبير في حقهم، إنطلاقاً من جملة الواجبات الفرنسية المفروضة عليهم من دون منحهم بالمقابل حقوقهم كغيرهم من الفرنسيين<sup>(2)</sup>، وإنطلاقاً من هذه الأسباب قامت الأمة الجزائرية بالإجماع في المؤتمر الإسلامي للمحافظة على الخصائص الثابتة للشخصية الجزائرية والمطالبة بمنحها كامل حقوقها السياسية<sup>(3)</sup>.

بعد عودة المؤتمرين إلى الجزائر عقد إجتماع حافل في الملعب البلدي بالعاصمة، تحدث فيه ابن باديس إلى الحاضرين قائلاً: "أيها الجزائري التاريخي القديم المسلم الصميم... إننا مددنا إلى الحكومة الفرنسية أيدينا، وفتحنا قلوبنا، فإن مدّت إلينا يدها، وملأت بالحب قلوبنا فهو المراد، وإن ضيعت فرنسا فرصتها هذه، فإننا نقبض أيدينا ونغلق قلوبنا فلا نفتحها إلى الأبد... وبعدها إما الحياة وإما المماتة"<sup>(4)</sup>، كما أن اللجنة التنفيذية للمؤتمر الإسلامي قامت بإرسال عريضة إلى الحكومة شرحت فيها الوضع في الجزائر آنذاك وعرضت مطالب المؤتمرين ووجهت نداء إلى الأمة الجزائرية توصيها فيه بالإتحاد والإلتفاف حول رجال المؤتمر ومؤازرتهم في سائر الظروف وبكافة الوسائل المتاحة<sup>(5)</sup>، ورغم الفشل الذي مني به المؤتمر الإسلامي الأول وما ناله من تسويف، إلا أن الجزائريين وعلى رأسهم جمعية العلماء المسلمين بقوا على إصرارهم لتحقيق مطالبهم، بعقد مؤتمر ثاني في جويلية 1937 معلنين تمسكهم بمطالب المؤتمر الأول لكونها الحد الأدنى من مطالبهم، وكان رد الحكومة الفرنسية برئاسة "ليون بلوم" المماثلة إلى أن تم إصدار مشروع "بلوم - فيوليت" المعدل لمشروع "فيوليت" بهدف إحتواء بعض المطالب<sup>(6)</sup>.

-مشروع "بلوم - فيوليت": استجابة لمطالب وفد المؤتمر بتاريخ 23 جويلية 1936<sup>(7)</sup>، المقدم إلى مجلس النواب الفرنسي في 30 ديسمبر 1936، وافقت فرنسا على منح بعض الفئات من الرعايا الفرنسيين الجزائريين الحقوق السياسية التي يتمتع بها المواطنون الفرنسيون، دون اشتراط تخليهم عن أحوالهم الشخصية وحقوقهم المدنية الإسلامية<sup>(8)</sup>،

(1)-الجنسية القومية والجنسية السياسية، الشهاب، ج 12، مج 12، ذو الحجة 1355هـ/ فيفري 1937م.

(2)-أحمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المرجع السابق، ص 248.

(3)-الجنسية القومية والجنسية السياسية، الشهاب، ج 12، مج 12، فيفري 1937م.

(4)-عبد الحميد ابن باديس، حياته وآثاره، ج 6، المصدر السابق، ص 317.

(5)-محمد خير الدين، مذكرات، ج 1، المصدر السابق، ص 279-280.

(6)-أحمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المرجع السابق، ص 248-249.

(7)-أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، الجزء 03، المرجع السابق، ص 176.

(8)-علي مراد، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر، المرجع السابق، ص 499-500.

وكان رد النخب السياسية التقليدية مرحباً بالمشروع، كما أن جمعية العلماء المسلمين أبدت موافقتها عليه، من خلال ما جاء في جريدة "الشهاب" حيث كتبت: "إن أغليبتنا توافق على مشروع بلوم-فيوليت، وتعتبره دستور للجزائر، وتبني آمالاً كبيرة على تنفيذه"<sup>(1)</sup>.

ويذكر "علي مراد" أن الجمعية رغم إبدائها موقفاً إيجابياً من المشروع، إلا أنها وضعت إستثناءات للموافقة على تنفيذه، نظراً لاستجابته إلى جزء محدود من آمال الجزائريين، وأن موافقتها عليه كمرحلة أولية مؤقتة تستلزم إستكمالها بمراحل أخرى<sup>(2)</sup>، لأن المشروع لم يتطرق إلى المطالب الأساسية التي كانت جمعية العلماء قد قدمتها سابقاً، كتعليم اللغة العربية، واستقلال القضاء الإسلامي، وفصل الدين عن الدولة، لم يكن المستوطنين وأعوأهم من المهيمين على السياسة الفرنسية ليوافقوا على مشروع "بلوم فيوليت"، ما جعل الجمعية تطلب من الجزائريين أن يبقوا متيقظين، كما طلبت من النواب الجزائريين أن يستقيلوا جماعية في حالة ما إذا لم يوافق البرلمان الفرنسي على مشروع "بلوم-فيوليت"، وإنتهى الأمر بسحبه من البرلمان في شهر سبتمبر عام 1938<sup>(3)</sup>، حيث رد رئيس حكومة فرنسا "إدوارد دلاديه" (Edouard Daladier) أن البرلمان الفرنسي يعارض مشروع "فيوليت" إنطلاقاً من اعتبار المواطنة الفرنسية لا تتوافق مع الحالة الشخصية الإسلامية للجزائريين وأمام هذا الوضع لا يمكنه أن يفعل أي شيء، وأشار عليهم أن يعينوه فقط في حفظ النظام، وعدم جره لاستعمال القوة التي تتمتع بها فرنسا، فكان رد ابن باديس أنه لا سلطة فوق سلطة الله، وأن قضيتنا عادلة وسيواصل الجزائريون الدفاع عنها، وبهذا الرد إنتهى المؤتمر الإسلامي الجزائري دون أن يحقق أي مطلب، وهو ما يعني أيضاً فشل سياسة فرنسا في الجزائر، إلا أنه لا يمكن إهمال موقف جمعية العلماء التي رفضت تأييد فرنسا، في الحرب العالمية الثانية، وذهبت إلى أبعد من ذلك من خلال تفكير ابن باديس في الثورة على فرنسا، وهو ما صرح به إلى أحد المقررين إليه، بأنه سيعلم الثورة عندما تحين الفرصة السامحة<sup>(4)</sup>.

بعد فشل المؤتمر اتخذ ابن باديس موقفاً رافضاً لتأييد فرنسا في حربها ضد الألمان قائلاً: "إنني لا أوافق على إرسال هذه البرقية أبداً، ولو قطعوا رأسي، لأن ذلك يعتبر قبولاً مني بتجديد أبناء هذه الأمة في الحرب، وكيف أوافق وألوان الإضطهاد ما تزال تنصب على الأمة، وتنال من دينها ولغتها وقوميتها، وأنا أنتظر إلا إحدى الحسينيين فإما حياة السعادة (ويعني التخلص من الإستعمار) وإما الفوز بالشهادة"<sup>(5)</sup>، ويدل موقف ابن باديس أنه لا سبيل لحل القضية الجزائرية إلا بالتخلص من الإستعمار أو الشهادة في سبيل الوطن والأمة والدين، وكلف موقف الجمعية المعادي لفرنسا، اعتقال قياداتها ونفيهم وفرض الإقامة الجبرية على بعضهم متذرعة بخطرهم على أمن البلاد، فابن

(1)- أحمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المرجع السابق، ص 243

(2)- علي مراد، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر، المرجع السابق، ص 499-500.

(3)- أحمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المرجع السابق، ص 243-249.

(4)- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج 03، المرجع السابق، ص 181-197.

(5)- عبد العزيز فيلاي، الكلمة الإفتتاحية، المرجع السابق، ص 16-17.

باديس فرضت عليه الإقامة الجبرية بقسنطينة إلى غاية وفاته 16 أبريل 1940، البشير الإبراهيمي نفي إلى آفلو مدة 08 سنوات<sup>(1)</sup>.

### المطلب الثاني: الهوية في خطابات الجمعية ومواقفها الوطنية خلال الحرب العالمية الثانية:

إذا كانت المرحلة التأسيسية من نشاط جمعية العلماء تميزت بتصدر ابن باديس الواجهة، لكونه رئيسها والناطق الرسمي باسمها والمخطط الأول لسياستها، وتمتعه بمكانة مهمة وإحترام وهيبة وثقة وإخلاص كبير للوطن، وتفاؤل للمستقبل، فسطع نجمه رغم صعوبة الظروف، في وقت انشغل فيه باقي أعضائها بتوطيد دعائم الدعوة الإصلاحية وتثبيت مؤسساتها لنشر الوعي، فإن المرحلة الثانية تميزت بتأثير الروح الجماعية للجمعية وتخليها عن أسلوب المهادنة مع الاستعمار، من خلال جرأة مواقفها الوطنية في المطالبة بالحقوق، مواكبة لتطورات الحرب العالمية الثانية وانتشار أفكار تقرير مصير الشعوب، والمساواة في الحقوق، وظهور ميثاق الأطلسي، وتحولها إلى أسس لميثاق الأمم المتحدة، ووصول هذه الأفكار للشعوب المضطهدة، التي منحتها أملاً في استقلالها، وبناءً على هذا الوضع العالمي الجديد ظهر نضال الجمعية من أجل مقومات الهوية الجزائرية وثوابت الأمة من خلال موقفها من الأحداث الوطنية التالية:

- **مذكرة 22 ديسمبر 1942 إلى الحلفاء:** واصل أعضاء الجمعية نشاطهم السياسي السري، بمشاركة في حركة فرحات عباس وزملائه من النواب الجزائريين، حيث استشار هذا الأخير كلاً من الشيخ خير الدين والعربي التبسي، قبل تقديمه لمذكرة 22 ديسمبر 1942 إلى الحلفاء، تحت تسمية "الممثلين الجزائريين المسلمين"، بهدف الدعوة لعقد مؤتمر إسلامي جزائري، يقوم بوضع دستور سياسي واقتصادي واجتماعي للمسلمين الجزائريين، إلا أن اقتراح فرحات عباس رفض من طرف الإدارة الاستعمارية، تحت ذريعة تجاوز الفرنسيين واعتبار الأمريكيين والانجليز شركاء في حكم الجزائر<sup>(2)</sup>.

- **بيان 10 فيفري 1943:** نتج عن الوعي السياسي الذي تميزت به المنظمات الوطنية في هذه المرحلة باستغلال فرصة نزول الحلفاء في الشمال الإفريقي للمطالبة بحقوق الشعب الجزائري، فترأس الشيخ البشير الإبراهيمي اجتماعاً في العاصمة بمكتب أحمد بومنجل، واتفق المجتمعون على خطة أولية أطلق عليها إسم "الجهة الوطنية" تضمنت مجموعة من مطالب الجزائر إستناداً على تصريح الرئيس "روزفلت" الذي أقر باسم الحلفاء إحترام جميع الشعوب في العهد الجديد، وبناءً على الاجتماع تم تحديد مسؤولية كل واحد، وتضمنت المطالب: إدانة الإستعمار، وتطبيق حق تقرير المصير للشعوب المستعمرة، ومنح الجزائر دستوراً خاصاً يضمن الحرية والمساواة غير المشروطة، والإعتراف باللغة العربية كلغة رسمية إلى جانب الفرنسية والتعليم المجاني والإجباري، وحرية الدين لجميع السكان وتطبيق قانون فصل الدين عن الدولة<sup>(3)</sup>.

كما استشار فرحات عباس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين مرة أخرى، عند إصداره رفقة مجموعة من النواب بيان 10 فيفري 1943 المقدم إلى الحاكم العام الفرنسي في الجزائر، بتاريخ 31 مارس 1943م، وتُظهر روح التغيير في

(1)- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج 03، المرجع السابق، ص 198.

(2)- أحمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المرجع السابق، ص 252.

(3)- الشيخ خير الدين، مذكرات، ج 1، المصدر السابق، ص 13.

المطالب الجزائرية مدى الوعي الفكري السياسي السذي مَسَّ الجزائريين من خلال جرأة مطالبهم الهوياتية في البند الثاني (1):

-استنكار الاستعمار وإزالته، والمطالبة بتطبيق مبدأ تقرير المصير على جميع الشعوب.

-المطالبة بمنح الجزائر دستوراً خاصاً، يضمن حرية ومساواة جميع السكان بغض النظر عن العرق والدين، والاعتراف باللغة العربية لغة رسمية كالفرنسية، ومجانية التعليم لكلا الجنسين، وحرية العقيدة وتطبيق مبدأ فصل للشؤون الدينية عن الدولة.

-مشاركة الجزائريين في حكم بلاده، وتحرير جميع المعتقلين السياسيين.

كان رد فعل الاستعمار على هذه المطالب الرفض لروحها الاستقلالية، ولم تمر فترة طويلة حتى تم اعتقال فرحات عباس ورفاقه، إلا أن ضغط الحلفاء ومحاولة "ديغول" تهدئة الوضع في الجزائر، أجبر فرنسا على إطلاق سراح جميع المعتقلين السياسيين في شهر ديسمبر عام 1943 على معتقلي حزب الشعب، وكان أعضاء جمعية العلماء من بين المفرج عنهم، ليخوض العلماء صراعاً طويلاً مع الاستعمار من أجل مستقبل الجزائر السياسي (2) ضمن شخصيتها العربية الإسلامية.

-أمرية 07 مارس 1944: في 12 ديسمبر 1943 أعلن "ديغول" في خطابه بقسنطينة عن نية "الهيئة الفرنسية للتحرير الوطني"، تطبيق جملة من الإصلاحات في الجزائر، تشمل إسناد حقوق المواطنة الكاملة فوراً إلى بضع عشرات الآلاف من المسلمين الفرنسيين بالجزائر، ولا يقبل أي منع أو تحديد لممارسة هذه الحقوق باعترافات أساسها قانون الأحوال الشخصية، مع رفع نسبة المسلمين الفرنسيين في المجالس المحلية، وفتح عدد كبير من الوظائف (3)، وهو ما تضمنته أمرية 07 مارس 1944 (4).

ومن أجل وضع توصيات بخصوص هذه الإصلاحات تُقدَّم إلى "الهيئة الفرنسية للتحرير الوطني"، شكَّلت الإدارة لجنة أدلت فيها أحزاب الحركة الوطنية بما فيها جمعية العلماء رأيها، وقدمت مطالبها من خلال إعلان البشير الإبراهيمي أثناء مقابله للجنة في 3 جانفي 1944، رفضه للمقترحات المعروضة، والتي تقضي على الشخصية العربية للمسلمين الجزائريين، وتعديل أحوالهم الشخصية الإسلامية، مذكراً أن الشعب الجزائري لا يريد أن يتجرد من أحواله، وعدم رغبته في تصنيفه إلى فئات متعددة، وتفضيله البقاء على حالته العربية الإسلامية، فهو لا يلتمس الشرف في رفعه إلى مرتبة المواطنة الفرنسية، لأن الإسلام رفعه كثيراً بصفته الإسلامية، كما اعتبر محمد البشير الإبراهيمي أن مشروع "ديغول" ما هو إلا إحياء لمشروع "فيوليت" القلبي (5).

(1)-أحمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المرجع السابق، ص 252.

(2)-نفسه، ص 253.

(3)-شارل أندري جوليان، إفريقيا الشمالية تسير، ترجمة المنجي سليم وآخرون، الدار التونسية للنشر، تونس، 1976، ص 376.

(4)-Journal Officiel de la republique francaise, Soixante sixieme Annee, N°24, 18 Mars 1944, p 01.

(Regard les Annexes)

(5)-أحمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المرجع السابق، ص 253-254.

ومن المقترحات السياسية الخاصة بالهوية التي أشار إليها الإبراهيمي مطالبته بتكوين المواطنة الجزائرية التي يشترك فيها أفراد الأمة في هذا البلد في جميع الحقوق والواجبات دون تمييز عرقي أو ديني، واستبدال النظام الكولونيالي بالنظام الحكومي وتكون "الحكومة الجزائرية" مسؤولة أمام البرلمان الجزائري، وتسهيل مشاركة جميع الجزائريين في الوظائف العامة دون أي اعتبار عدى الكفاءة المهنية. ولعل هذا المطلب متعلق بتعيين أئمة المساجد والمعلمين والقضاة المسلمين<sup>(1)</sup>.

بالرغم من المقترحات المعروضة في توصيات الحركة الوطنية بما فيها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين المقدمة إلى اللجنة الإدارية، إلا أن الهيئة الفرنسية في 7 مارس 1944 أصدرت "أمرية" لم تتضمن أي من المقترحات التي أشارت إليها فصائل الحركة الوطنية خصوصاً المتعلقة بثوابت الأمة الجزائرية، وأبانت عن مساعيها لإرضاء دعاة الاندماج والفرنسة، حيث نصت الأمرية على<sup>(2)</sup>:

- تمتع الجزائريين بنفس الحقوق والواجبات الممنوحة للفرنسيين.
- إن الجزائريين الفرنسيين متساوون أمام القانون.
- إلغاء القوانين الاستثنائية.
- المسلمون سيخضعون لأحكام الشريعة الإسلامية في أحوالهم الشخصية.
- منح فئات من الجزائريين عددهم 70 ألف نسمة، حق التمتع بالجنسية الفرنسية مع احتفاظهم بالأحوال الشخصية.

- بعض الإصلاحات الشبيهة بما ورد في مشروع "بلوم-فيوليت"<sup>(3)</sup>.

تفاجأت السلطات الاستعمارية من رد فعل الجزائريين على أمرية 7 مارس 1944، ففي الوقت الذي كانت تنتظر فيه موافقة العدد الأكبر منهم على مضمون الإصلاحات، وجدت رفضاً شاملاً للمشروع، ووصف شارل أندري جوليان كيفية تغيير الرأي العام الأهلي تغييراً عميقاً خلال ظرف 8 سنوات، فنفس الرجال الذين كانوا متحمسين سنة 1936 للحقوق التي نص عليها مشروع "بلوم-فيوليت" قابلوا أمرية 1944 بسخرية شديدة، في الوقت الذي أخذت فيه "الهيئة الفرنسية للتحرر الوطني" على عاتقها أهم الإصلاحات التي نص عليها المشروع، ويرجع "شارل أندري جوليان" سبب رفض الوطنيين الجزائريين لأمرية 7 مارس 1944 إلى أنها مناهضة للديمقراطية، نظراً لتمييزها بين الجزائريين ومعاملتهم الاستبدادية، ونيتها إدخال الجزائر في البوتقة الفرنسية بدل تأهيلها لأن تكون دولة مستقلة<sup>(4)</sup>، كما لا ننسى نضج الوعي الوطني بعد تطور الحركة الوطنية وفي مقدمتها تأثير جهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين طيلة هذه الفترة، بدعوتها الشعب الجزائري إلى التمسك بمقوماته، ورفضها الصريح وشديد اللهجة على لسان أعضائها البارزين التخلي عن عناصر الهوية الجزائرية في جميع مواقفهم مع الإستعمار.

(1)-أحمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المرجع السابق، ص ص 253-254، ص 254.

(2)-تم الإشارة إلى هذه الأمرية في الجريدة الرسمية الفرنسية، العدد 24، بتاريخ 18 مارس 1944م، ص ص 217-218 تحت عنوان: Ordonnance du 7 Mars 1944 relative au statut des Français musulmans d'Algérie. (يُنظر الملاحق).

(3)-أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج 03، ص 234.

(4)-شارل أندري جوليان، إفريقيا الشمالية تسير، المصدر السابق، ص 328.



كان رد فعل الجزائريين بما فيها جمعية العلماء تشكيل جبهة موحدة في 17 مارس 1944، ضمت بعض النواب، وحزب الشعب، والجمعية، أطلق عليها إسم "أحباب البيان والحرية" للدفاع عن ما جاء في بيان الشعب الجزائري في 10 فيفري 1943، ومطالبتهم بحرية التعبير عن إرادة كافة الجزائريين في التحرر، ومن خلال القانون الأساسي "لجبهة أحباب البيان والحرية" يتوضح أنه كان أكثر التزاما بالقضايا الوطنية مقارنة بما جاء في البيان نفسه، إذ يشير في مادته الرابعة إلى الهدف الرئيسي من تكوين الجبهة وهو: تقريب فكرة الأمة الجزائرية والترغيب في إنشاء جمهورية مستقلة بالجزائر يجمعها نظام فيدرالي مع جمهورية فرنسية متحدة مناهضة للإستعمار والأمبريالية<sup>(1)</sup>، ونجحت الجبهة في استقطاب عدد كبير من الجزائريين إليها بعد فترة قليلة من تأسيسها، حيث وصل عددهم إلى 500.000 مواطن جزائري<sup>(2)</sup>.

من هنا يتبين أن التيار الوطني الاستقلالي الذي قاده حزب الشعب بالدرجة الأولى، وبمشاركة جمعية المسلمين الجزائريين له، بدأ يفرض نفسه على الساحة الوطنية في الجزائر، من خلال تصدره للأحداث، وهو ما يبرز من خلال انعقاد مؤتمر مارس 1945، والذي إقتصرت الحاضرون فيه على أنصار التيارين، وقد تميز بمظاهر حماسية صاحبة تجاوزت في مقرراتها أفكار "البيان الجزائري"، صارفة نظر مطالب الجزائريين عن أفق جمهورية مستقلة يجمعها نظام فيدرالي بالجمهورية الفرنسية، إلى التفكير في: برلمان جزائري وحكومة جزائرية، وأعلن المؤتمر بامكانية الاندماج في النظام الذي ترتضيه بكل حرية<sup>(3)</sup>، دون التخلي عن الأحوال الشخصية وثوابت الهوية الوطنية للأمة الجزائرية.

### المطلب الثالث: الهوية في خطاب الجمعية خلال فترة حدوث مجازر 08 ماي 1945.

تعتبر مجازر الثامن ماي في تاريخ نشاط جمعية العلماء المسلمين وباقي أطياف الحركة الوطنية مرحلة جديدة من النضال مع المستعمر، باسداد الستار على مرحلة المطالبة بالإصلاحات وبداية تغيير أسلوب وخطاب ووسائل النضال الوطني، بعد فشل أسلوب المرحلة الأولى الذي إنتهى بإبادة فرنسا عن وجهها الحقيقي في الإحتفاظ بالأرض الجزائرية وإن اضطرها الأمر لإبادة جميع الجزائريين، وكتب محمد البشير الإبراهيمي عن هذه المجازر قائلا: "أما والله لو أن تاريخ فرنسا كتب بأقلام من نور، بمداد من عصارة الشمس في لوح منحوت من صفحة القمر، ثم قرطه عشاقها المتيمون منا بالؤلؤ المنثور بدل القرص المشعور، والشعر المنثور، ثم كتب في آخره هذا الفصل المخزي بعنوان مذابح - سطيف وقالة وخرطة - لطمس هذا الفصل ذلك التاريخ كله ولجلله بمثل ما لجلل الأفق من ليلة محاق ظلماتها معتكرة، ونجومها متكدر، فكيف وفي تاريخها كثير من هذه الفصول السوداء؟"<sup>(4)</sup>

وعلى إثر هذه الأحداث الدامية حلت السلطات الاستعمارية جبهة "أحباب البيان والحرية" واعتقلت فرحات عباس والبشير الإبراهيمي وعشرات الآلاف من رجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأنصارها وأتباعها، وظل الإبراهيمي رئيس الجمعية 11 شهرا في الإعتقال إلى أن ساءت صحته<sup>(5)</sup>، وقد أثرت هذه الأحداث على سياسة جمعية

(1)-أحمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المرجع السابق، ص 255.

(2)-شارل أندري جوليان، إفريقيا الشمالية تسير، المصدر السابق، ص 329.

(3)-شارل أندري جوليان، إفريقيا الشمالية تسير، المصدر السابق، ص 330.

(4)-محمد الصالح الصديق، كيف ننسى وهذه جرائمهم؟، المرجع السابق، ص 77.

(5)-أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج 03، المرجع السابق، ص 253-254.

العلماء، فالتزمت أسلوبا معتدلا اتجاه المسائل السياسية، حتى بعد تطبيق القانون الأساسي للجزائر «Statut de l'Algérie»، ورغم السياسة الحذرة لجمعية العلماء اتجاه الخوض في المسائل السياسية إلا أنها كانت تدخل في نقاشات من خلف الستار مع حزب الشعب الجزائري وحزب البيان الجزائري لفرحات عباس، حيث تميزت جمعية العلماء في هذه الفترة بوجود فئتين متميزتين كونتا بنيتها الأساسية بين تيار المعلمين الشباب الذين مثلوا فئة قليلة مالت إلى التعاون مع حزب الشعب الجزائري، بينما كانت الفئة المهيمنة هي كبار العلماء وكان هذا التيار يميل إلى التعاون مع حزب البيان الجزائري<sup>(1)</sup>.

وتعود دوافع تعاون جمعية العلماء مع حزب البيان مع أنه تيار إدماجي إلى سببين، أحدهما متعلق بوحدة الوضع الاجتماعي للقاعدة الشعبية التي قام عليها الانتهاجين. فأعضاء الجمعية المحلية التي كانت تمول مؤسسات الجمعية وتديرها عمليا كانوا في كثير من الأحيان من الطبقة البرجوازية الصغيرة، المنتمين إما إلى حزب البيان أو المتعاطفين معه، بخلاف القاعدة الشعبية لحزب الشعب الجزائري، التي كانت تضم في غالبيتها الفئات الشعبية العمالية الكادحة، فيما يكمن السبب الثاني في انتهاج حزب البيان الجزائري لسياسة معتدلة قامت على الحوار كوسيلة لتحقيق الأهداف السياسية<sup>(2)</sup>، وهو نفس الخط الذي انتهجته جمعية العلماء لتحقيق أهدافها الدينية والثقافية والاجتماعية، على عكس حزب الشعب الجزائري الذي واصل سياسة النضال الثوري كسبيل للوصول إلى الهدف الرئيسي وهو الإستقلال التام للجزائر، وتعتبر مشاركة جمعية العلماء في "الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها" آخر نشاط سياسي لها مع أحزاب الحركة الوطنية الجزائرية، ومن خلال بيان الجبهة الصادر في 25 جويلية 1951 تبين أنها سعت لتحقيق عدة أهداف لكننا نجد هدفين أساسيين متعلقان بالهوية الوطنية: الأول نص على احترام الحريات الأساسية كحرية الاعتقاد والرأي والصحافة والاجتماع، والثاني نص على إنهاء تدخل الإدارة الاستعمارية في الشؤون الدينية الإسلامية، وقد وقع البيان من جانب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين كلا من الشيخين العربي التبسي والشيخ خير الدين<sup>(3)</sup>.

وهو ما أدركه حزب البيان فيما بعد وأنه أصبح أداة لتحقيق أهداف ليست من أولوياته، فقرر إلزام التحفظ والحذر<sup>(4)</sup>، في موقفه. وهو نفس الأمر الذي أثر على جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي ألمها تفرق الصف الوطني وعادت خلال هذه الفترة من بداية الخمسينات إلى تكثيف اهتمامها بالنشاط الثقافي والديني على أمل أن يتمكن الجيل الصالح المتعلم والمتمسك بعرويته وإسلامه من قيادة الأمة الجزائرية والسير بها نحو الاستقلال الوطني في الوقت الذي لم تنتبه فيه الجمعية إلى أن هذا الجيل الذي تسعى لإنشائه قد أصبح ناضجا نتيجة الممارسة السياسية الثورية في الخلايا السرية التي كونها حزب الشعب الجزائري، والمعبئة بالروح الوطنية، التي كانت تشحنها فيه المدارس العربية الحرة ومساجد الإصلاح والتوعية لتكون الثورة التحريرية التي اندلعت في أول نوفمبر 1954 الحدث الذي أخلط أوراق السياسيين،

(1)- أحمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المرجع السابق، ص 258.

(2)- شارل أندري جوليان، إفريقيا الشمالية تسير، المصدر السابق، ص 370.

(3)- أحمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المرجع السابق، ص 258-259.

(4)- شارل أندري جوليان، إفريقيا الشمالية تسير، المصدر السابق، ص 368.

وأجبرت جميع قادتها بما فيها جمعية العلماء للإلتحاق بها، باعتبارها الطريق الوحيد المتبقي للجزائريين والكفيل باسترجاع إستقلالهم الوطني<sup>(1)</sup>.

إن الدافع الأساسي لاهتمام جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالإصلاح في الجزائر في كافة المجالات الدينية والثقافية والاجتماعية والسياسية راجع إلى الأهداف المسطرة مسبقا من قبل رجالها، والتي كانت تصب في مجملها حول فكرة الحفاظ على مقومات الشخصية العربية الجزائرية، بسبب مساعي السلطات الاستعمارية الفرنسية منذ بداية الاحتلال سنة 1830 إلى القضاء عليها، مستعينة بترسانة من القوانين والأنظمة التي أصدرتها لجعل الجزائر جزءا لا يتجزأ من فرنسا، وتحويل شعبها إلى رعايا فرنسيين من خلال فتحها لباب التمتع بالمواطنة الفرنسية شريطة التخلي عن الأحوال الشخصية الإسلامية، ضاغطة عليهم بكل السبل لانتهاج هذا المنحى بواسطة النظام "الإحتجائي السري" وقانون "الأهلي" الأنديجان بهدف صهرهم في البوتقة الفرنسية للأبد<sup>(2)</sup>، وبالتالي تحملت الجمعية مسؤولياتها الوطنية أما جميع هذه الأخطار للحفاظ على إستمرارية وجود الأمة الجزائرية.

### المبحث الثاني: الهوية الوطنية عند تيارات الحركة الوطنية.

#### المطلب الأول: الهوية في برنامج التيار الإستقلالي وخطابه الوطني.

**أولا- الهوية الوطنية في برنامج نجم شمال إفريقيا (1926-1937م):** تأسس نجم شمال إفريقيا على خلفية لجنة الدفاع عن الأنديجان سنة 1923، ثم تحول إلى حزب سياسي بقيادة مصالي الحاج سنة 1926، متبنيا في برنامجه الخطوط العريضة لحركة الشبان الجزائريين<sup>(3)</sup> التي قادها الأمير خالد، والتي طالبت بإلغاء قانون الأنديجان، والمساواة في جميع الميادين بين المسلمين والفرنسيين بما فيها الحريات الأساسية، وحق التمثيل في المجالس المحلية والبرلمان الفرنسي<sup>(4)</sup>، ويؤكد محمد قنانش أن تأسيس النجم كان على أنقاض الخطاب الوطني الذي دعى في برنامجه<sup>(5)</sup>، بالإضافة إلى إلغاء قانون الأنديجان مع جميع توابعه من قوانين إستثنائية وزجرية والعودة إلى القوانين العامة، والتطبيق التام لقانون التعلم الإجباري مع حرية التعليم لجميع الأهالي<sup>(6)</sup>، والمطالبة بإستقلال الجزائر، والإنسحاب الكامل لقوات الاحتلال الفرنسي، وإنشاء جيش وطني، وتكوين برلمان جزائري منتخب ومجالس بلدية، والمساواة في الحقوق السياسية والثقافية مع الفرنسيين،

(1)- أحمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحية في الجزائر، المرجع السابق، ص ص 259-260.

(2)- نفسه، ص 261.

(3)- كانت حركة الشبان الجزائريين مرتبطة بالثقافة الأجنبية، فيما كانت حركة المحافظين أو المدرسين الرسميين مرتبطة بالمصلحة الذاتية والوظيفة، يُنظر: عبد

الحמיד زوزو، الثقافة والتعليم الحر والرسمي في العهد الفرنسي، المرجع السابق، ص ص 71-72.

(4)- عبد الوهاب بن خلف، تاريخ الحركة الوطنية من الإحتلال إلى الإستقلال، المرجع السابق، ص ص 123-124.

(5)- تم المصادقة على مطالب الحزب والقوانين الأساسية في جمعية عامة سنة 1926م، ونشرها جريدة الإقدام، وأبرزها مصالي الحاج في مؤتمر بروكسل سنة

1927م المنظم من قبل الرابطة المناهضة للإضطهاد الاستعماري والإمبريالي.

(6)- محمد قنانش، الحركة الإستقلالية في الجزائر بين الحربين 1919-1939م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص ص 37-38.

وتأمين التعليم وتطويره مع إنشاء مدارس التعليم العربي، وإعادة الأراضي الزراعية للفلاحين وأراضي الغابات للدولة الجزائرية، واحترام الملكيات، وحرية الصحافة وتأسيس الجمعيات<sup>(1)</sup>.

لكن الحزب تعرض للحل من قبل السلطات الفرنسية في 20 نوفمبر 1929 مباشرة بعد إعلان إستقلاله عن الحزب الشيوعي، ورغم القرار واصل نضاله السياسي، بانتفاضه ضد إحتفالات الذكرى المئوية لاحتلال الجزائر سنة 1930، وإرساله رسالة إلى عصبة الأمم، كشف فيها التجاوزات الاستعمارية الفرنسية الممارسة ضد الشعب الجزائري<sup>(2)</sup> تحت تسمية "نجم إفريقيا الشمالية المجيد" (La Glorieuse Etoile Nord-Africaine)، لايهام السلطة الفرنسية بتغيير النجم المنحل، وعلى إثر تأسيس جريدة "الأمة" (El Ouma) في أكتوبر 1930 بفرنسا، وتولى مصالي الحاج المسؤولية السياسية عليها سنة 1931<sup>(3)</sup>، قام بإعادة هيكلة الحزب في 28 ماي 1933، من خلال عقد مؤتمر تبلور فيه البرنامج السياسي الشامل<sup>(4)</sup> لنجم شمال إفريقيا، ركز فيه على عدة مطالب<sup>(5)</sup> جاءت في قسمين: الأول تضمن المطالب السياسية، والثاني تضمن مطالب إجتماعية وثقافية وإقتصادية، لكننا هنا سنركز على المطالب التي تمس مباشرة بمقومات الهوية الوطنية للأمة الجزائرية وتبرز البعد الوطني المستقل للدولة الجزائرية عن فرنسا:

#### المطالب التي تخص الهوية الوطنية:

- إجبارية التعليم باللغة العربية ومجانيته.

- الحق في مباشرة التعليم في جميع المستويات.

- إنشاء مدارس عربية جديدة.

- ووجوب نشر العقود الرسمية باللغتين العربية والفرنسية.

- إعتبار اللغة العربية لغة رسمية للبلاد<sup>(6)</sup>.

#### المطالب التي تخص إعادة بناء دولة جزائرية مستقلة وطنياً عن فرنسا:

- إستقلال الجزائر إستقلالاً تاماً<sup>(7)</sup>.

- إنسحاب قوات الاحتلال الفرنسي من الجزائر.

(1)- أحمد الخطيب، حزب الشعب الجزائري "جذوره التاريخية والوطنية ونشاطه السياسي والإجتماعي"، ج 01، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 157-158.

(2)- عبد الوهاب بن خلف، تاريخ الحركة الوطنية من الإحتلال إلى الإستقلال، المرجع السابق، ص 123-124.

(3)- المرجع السابق، ص 159.

(4)- للتوسع أكثر في باقي مطالب الحزب يُنظر: محفوظ قداش، حزب الشعب الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط 01، 1988. وأيضاً:

Mahfoud Kaddache et Djilali Sari, L'Algerie Pérennité et résistance (1830-1962), OPU, Alger, 2002, p 68-70.

(5)- عبد الوهاب بن خلف، تاريخ الحركة الوطنية من الإحتلال إلى الإستقلال، المرجع السابق، ص 123-124.

(6)- محمد قناش، الحركة الإستقلالية في الجزائر بين الحربين 1919-1939م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص 37-38.

(7)- أحمد الخطيب، حزب الشعب الجزائري "جذوره التاريخية والوطنية ونشاطه السياسي والإجتماعي"، ج 01، المرجع السابق، ص 129-131.

- إنشاء برلمان وطني منتخب بالاقتراع العام.

- إنشاء حكومة وطنية ثورية.

- تشكيل جيش وطني جزائري.

- وإعادة البنوك والمناجم والسكك الحديدية والأملاك العامة إلى الدولة الجزائرية بما فيها الأملاك الكبيرة<sup>(1)</sup>.

وهي المطالب التي أُلقت بضلالها على نداء أول نوفمبر 1954، ومن بعده وثائق مؤتمر الصومام 1956، وعلى ميثاق طرابلس 1962، ومختلف الوثائق المرجعية للدولة الجزائرية<sup>(2)</sup>.

أنشأ أنصار الحزب "جمعية الاتحاد الوطني لمسلمي شمال إفريقيا"، التي وضعت قانونها في 28 فيفري 1935، ونظرا للظروف التي مر بها الحزب جاءت مطالب برنامجه معتدلة، وكانت الهوية الوطنية ضمنية في مطلب: تحرير مسلمي شمال إفريقيا ماديا وروحيا، وضم مسلمين من كافة مناطق شمال إفريقيا إلى الجمعية، والعمل على تربيتهم تربية وطنية وإجتماعية، والدفاع عن مصالحهم الوطنية والمادية والروحية والسياسية والإجتماعية، ورغم إطلاق صراح مصالي الحاج إلا أنه عانى من ملاحظات قضائية وإمكانية إعادة اعتقاله، فلجأ إلى جنيف في 18 جانفي 1936، ولم يعد إلى فرنسا إلا في 18 جوان 1936، على إثر تولي الجبهة الشعبية الحكم وإصدارها العفو العام، وفي 02 أوت 1936 زار الجزائر وحضر المؤتمر الإسلامي الجزائري، وألقى خطابا حماسيا في الملعب البلدي، أعلن فيه رفضه لربط الجزائر بفرنسا<sup>(3)</sup>، وكان "نجم شمال إفريقيا" الحزب الوطني الوحيد الذي رفض مشروع بلوم-فيوليت، ولم يشارك في مناقشات المؤتمر الإسلامي، إلا أن زعيمه مصالي الحاج ألقى خطاباً أمام المؤتمرين، أقر فيه أنه حضر شخصياً من فرنسا لربط النجم بهذه المظاهر الكبيرة، ولم يخفي رفضه لبعض المطالب التي درسها المؤتمر خصوصاً ما تعلق بمشروع بلوم-فيوليت، لاعتراضه الشديد على: "ربط الجزائر بفرنسا، بالإضافة إلى رفضه مقترح التمثيل النيابي"<sup>(4)</sup>، وبدخوله الجزائر بدأ يسيطر على الساحة الوطنية بمواقفه الإستقلالية<sup>(5)</sup>.

وإذا ما عدنا إلى تسمية "نجم شمال إفريقيا" فنجد أنها تحمل في مضمونها مرجعيات جغرافية وطبيعية ودلالات رمزية للهوية الوطنية، فكلمة النجم توحى بالبعد الديني والإسلامي والإفتخار بالماضي، كما أن "الاتحاد الوطني لمسلمي شمال

(1)- عبد الوهاب بن خلف، تاريخ الحركة الوطنية من الإحتلال إلى الإستقلال، المرجع السابق، ص ص 124-125.

(2)- أحمد حمدي، جذور الخطاب الايديولوجي الجزائري، المرجع السابق، ص 112.

(3)- أحمد الخطيب، حزب الشعب الجزائري "جذوره التاريخية والوطنية ونشاطه السياسي والإجتماعي"، ج 01، المرجع السابق، ص ص 128-131.

(4)- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج 03، المرجع السابق، ص ص 176-175.

(5)- في 26 جانفي 1937 تم إعلان حل جمعية النجم، فطلب مصالي الحاج من أعضاء الحزب العمل تحت إسم جمعية "أحباب الأمة" (Amis d'El

Ouma)، وهي التسمية التي ظل يمارس نشاطه تحتها إلى غاية 11 مارس 1937 تاريخ تأسيس حزب الشعب الجزائري (La Parti de Peuple

Algérien) في مدينة نانتر (Nanterre) الفرنسية. يُنظر: أحمد الخطيب، حزب الشعب الجزائري "جذوره التاريخية والوطنية ونشاطه السياسي

والإجتماعي"، ج 01، المرجع السابق، ص ص 131-132.

إفريقيا" سنة 1934، تشير إلى وجود وطن ومواطنين مسلمين، ثم تطورت الفكرة والخطاب مع "حزب الشعب الجزائري" بتحديد المجال الجغرافي للقطر الجزائري، ورغم غياب البعد الديني في التسمية<sup>(1)</sup>، إلا أنها لم تغب في مطالب الحزب. لم تكن إيديولوجية جبهة التحرير عشية بدء الكفاح المسلح سوى نفس إيديولوجية النجم التي راجعتها وأثرت مؤتمرات حزب الشعب الجزائري والحركة من أجل انتصار الحريات الديمقراطية، وبكل ذكاء تمكن المسؤولون عنها من إثرائها بالأفكار الإيجابية التي شملت عليها الأيديولوجيات الوطنية الأخرى، فبسل تغيير الوضع المزري في الجزائر يمر حتما بضرورة العمل على تقويض أركان الاحتلال والتخلص من التبعية، لذلك توجه نجم شمال إفريقيا إلى توظيف جميع الوسائل الممكنة للقضاء على نظام الاحتلال، ورأى في الكفاح المسلح أحد أهم هذه الوسائل، لأن التاريخ القريب أثبت أن الإستعمار الفرنسي لا يفهم إلا لغة العنف، غير أن الكفاح المسلح وحده لا يكفي ولن ينجح ما لم يصاحبه توعية للجماهير الشعبية بحقيقة الواقع المفروض عليهم، لذا وجب تكوينه تكوينا سياسيا يسهل عملية التعبئة للكفاح المسلح<sup>(2)</sup>، وبالتالي العودة إلى الفكر الإصلاحية الذي بدأته جمعية العلماء منذ 1931، والتي كانت ترى أن خلاص الشعب الجزائري من الإستعمار وإسترجاعه لسيادته الوطنية لن يتم دون النهوض بالأمة أولا وإحياء مقومات هويتها.

وهو ما يبينه لجوء حزب الشعب على خطى جمعية العلماء إلى فتح المدارس الحرة لتعليم مبادئ اللغة العربية لأبناء الشعب، والتاريخ الوطني وجغرافيا القطر الجزائري، وغرس الروح الوطنية في النفوس، وتكوين فروع الكشافة الإسلامية عبر مختلف أنحاء الوطن، وكانت هذه المؤسسات الاجتماعية قنوات إتصال مفتوحة مع الجماهير الشعبية، بالإضافة إلى الدور الذي لعبته المنظمة الخاصة في تكوين المناضلين الشباب تكوينا عسكريا وإيديولوجيا، استعدادا لخوض معركة التحرير، وهو ما يقر بأن أول نوفمبر يعتبر حوصلة ذكية لأدبيات الحركة الوطنية الجزائرية<sup>(3)</sup>.

كما أن مصطلح "الوطنية" الذي يعتبر بعدا هاما من أبعاد هوية الأمة إزداد رسوخا في الجزائر مع ظهور نجم شمال إفريقيا سنة 1926، من خلال تبلور الأفكار الوطنية التي أخذت موقعها من الإنتشار وسط الجزائريين إنطلاقا من النشاط السياسي لهذا الحزب خاصة بعد الثلاثينات نظرا لتركيزه على فكرة المطالبة بالإستقلال التام للجزائر عن فرنسا، بالإعتماد على كل الوسائل المتاحة، وهو ما ميز المواطنين المؤمنين بحق: "الأمة الجزائرية" في تقرير مصيرها، ومن يؤمنون بفكرة الإندماج ضمن الأمة الفرنسية<sup>(4)</sup>، ويشير محفوظ قداش إلى أن الأمير خالد إعتد على إطارين في عمله السياسي، الأول الإنطلاق من القوانين الإستعمارية، والثاني أكثر ثورية بعد رفض الإدارة الإستعمارية الإستجابة لمطالبه، ليتحدد تصور الكفاح الثوري كطريق وحيد للنضال من منطلق الوطنية المتشعبة بروح الإسلام<sup>(5)</sup>، وبالتالي فتوظيف مصطلح الوطنية عند التيار الإستقلالي راجع لأسبقية ظهور الحزب في العشرينات من جهة بالإضافة لطبيعة الفكر السياسي الذي ظهر فيه المصطلح ونشط فيه التيار الإستقلالي، في مقابل المجال الديني الذي نشطت فيه جمعية العلماء وظهورها في فترة

(1) - أحمد حمدي، جذور الخطاب الإيديولوجي الجزائري، المرجع السابق، ص 119-120.

(2) - محمد العربي الزيري، أسباب فشل نظام الحكم في إعادة بناء الدولة الجزائرية، المرجع السابق، ص 167-168.

(3) - نفسه، ص 167-168.

(4) - أحمد حمدي، جذور الخطاب الإيديولوجي الجزائري، المرجع السابق، ص 103.

(5) - محفوظ قداش والجيلالي صاري، الجزائر في التاريخ المقاومة السياسية (1900-1954م)، المرجع السابق، ص 53.



الثلاثينات، لكن هذا لا يعني أن جمعية العلماء المسلمين لم تتداول مصطلح الوطنية في خطاباتها وبرامجها، فرغم عدم تصريحها بعدم الخوض في السياسة ظاهرياً، إلا أن المتتبع لخطابات وكتابات علماء الجمعية يجد أنه وقع توظيف للمصطلح تصريحاً وضمناً في الكثير من المواقف وردود الفعل على الإستعمار رغم سياسية المصطلح، فالنشاط الديني الذي طبع نضال جمعية العلماء المسلمين لا يعني إنعزالها عن التعاطي مع باقي تيارات الحركة الوطنية خصوصاً التيار الإستقلالي الذي تتقارب معه في الأهداف خلال فترة الثلاثينات وتتقاطع معه في المنطلق الإسلامي الذي تشعب به مصطلح الوطنية، وإن اختلفت عنه في طريقة ووسيلة النضال.

وهذا المنطلق الإسلامي الذي تتقاطع فيه الجمعية مع التيار الإستقلالي يظهر من خلال العودة إلى جذور حزب نجم شمال إفريقيا. الذي إستفاد من الرئاسة الشرفية للأمير خالد الذي منحها مرجعية تاريخية انبثقت عن الكفاح المرير للشعب الجزائري، والاقتران التام بعدم جدوى الأساليب التقليدية في مقاومة الإستعمار الفرنسي، وضرورة تغييرها إلى طرق أكثر نجاعة تسمح بنشر الوعي السياسي لدى الجزائريين حول فكرة الوطنية الممتزجة بالروح الدينية الضاربة بجذورها العميقة في ذات الفرد الجزائري، يجعلها عاملاً أساسياً في توحيد الجزائريين وتجنيدهم ضد الإحتلال<sup>(1)</sup>.

من جهة أخرى نجد بُعد الهوية الوطنية واضحاً في موقف النجم المعارض لمشروع "فيولت"، من منطلق تناقض بنود إصلاحاته الإدماجية مع البرنامج الإستقلالي للحزب ومبادئه الأساسية، القائمة على الوقوف في وجه أي فكرة تهدف لاندماج الشعب الجزائري بفرنسا، مؤكداً على أن الحل الوحيد يكمن في التحرير الكلي لشمال إفريقيا<sup>(2)</sup>، كما هاجمت جريدة "الأمة" لسان حال الحزب، فكرة الاندماج ونوهت بخطورتها على الهوية الجزائرية قائلة: "نقول للشعب بأن سياسة الاندماج والتخلي عن قانون الأحوال الشخصية يشكلان خطراً كبيراً، إذ في حالة وقوعها نضيع جنسيتنا وكرامتنا وكل أمل في إستعادة حريتنا، وتكون النتيجة، الإنتحار، إننا نندد بهذه السياسة ونقف بكل قوانا ضدها، ونهيب بكل الشعب الجزائري المسلم أن يقف ضدها"<sup>(3)</sup>.

ويرى محمد حربي من جهته: "أن المنابع الرئيسية للإيديولوجية الوطنية عند مصالي الحاج تكمن في العودة إلى المفاهيم الصحيحة "للعروبة والإسلام" من خلال إعادة تثمين الماضي، وظهرت "العقيدة الوطنية" لمصالي الحاج بعد موقفه من مشروع "بلوم-فيوليت" يوم 20 أوت 1936، الراض بشدة فكرة الإندماج والاندماج، وأدان بلهجة حادة كل أشكال إلحاق الجزائر بفرنسا، وأكد أن العقيدة الوحيدة التي لا بد أن ترسخ بوعي هي فكرة الإستقلال قائلاً: "هذه الأرض لنا، وليست للبيع"<sup>(4)</sup>. وهو ما يبين مدى أهمية العقيدة الإسلامية والانتماء العربي في هذه المرحلة من النضال الوطني.

(1) - أحمد حمدي، جذور الخطاب الإيديولوجي الجزائري، المرجع السابق، ص 107-108.

(2) - أحمد الخطيب، حزب الشعب الجزائري "جذوره التاريخية والوطنية ونشاطه السياسي والإجتماعي"، ج 01، المرجع السابق، ص 192-193.

(3) - عبد الحميد زوزو، الدور السياسي للهجرة في فرنسا بين الحزبين "1914 - 1939 نجم شمال إفريقيا وحزب الشعب"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص 138.

(4) - محمد حربي، جبهة التحرير الوطني، الأسطورة والواقع، 1954-1962، ترجمة جميل قيصر دافغر، دار الحكمة، بيروت، ط 1، 1983، ص 30.

كما إعتبر مصالي أن المشروع درس بعمق ودقة من قبل "الأخصائيين في الشؤون الإسلامية" للتمييز بين الجزائريين، وضرب وحدتهم الوطنية وتشيتت الأمة الجزائرية وإنهاء وجودها. فهدف المشروع هو: "تحويل الجزائر إلى أرض فرنسية بمقدار 20 ألف جزائري، ويهدف أيضا إلى فصل بلادنا عن شمال إفريقيا وعن العالم العربي الإسلامي، وخلف المشروع يستعد الإستعمار لعملية توسع كبيرة وتعزيز إستيلاته الكولونيالية، فأمام هذا الخطر يتجند نجم إفريقيا الشمالية ويقرع ناقوس الإنذار"<sup>(1)</sup>، أما "عمار عيماش" فرأى أن مشروع "بلوم-فيوليت" مسخًا غريبًا من نوعه يشبه عملية: "تحويل الصنوبر إلى صفصاف، ومسح بط بشكل ديك وحشي"<sup>(2)</sup>.

ثانيا- الهوية الوطنية في برنامج حزب الشعب (1937-1939م): حزب الشعب الجزائري هو التسمية الجديدة لنجم شمال إفريقيا المنحل رسميا في 26 جانفي 1937، والذي بقي ينشط سرًا على يد خلايا "أحباب الأمة"، لتحسيس الشعب الجزائري بمطالبه الأساسية<sup>(3)</sup>، وتقرر إعادة بعث الحزب من جديد سنة 1937، والعودة إلى النشاط السياسي العلني على نفس خطى نجم شمال إفريقيا<sup>(4)</sup>، بنقل نشاطه إلى الجزائر في شهر جوان من نفس السنة<sup>(5)</sup>.

طالب حزب الشعب في خطابه السياسي والإعلامي بالحفاظ على مقومات الهوية الوطنية الجزائرية في العديد من المناسبات التي كان يحضرها مصالي الحاج، وقاوم الحزب جميع مظاهر دمج الأمة الجزائرية ضمن المجتمع الفرنسي شعبا وتاريخا وجغرافيا، مؤكدا على الوجود التاريخي للأمة الجزائرية ومثبتا خصصية كيانها المستقل في جميع مقوماته عن فرنسا، حيث قال مصالي: "وإن رجاله هم-يقصد حزب الشعب الجزائري- لم ينسلخوا ولم يتجنسوا ولم يندمجوا ولم

(1)- أوضح مصالي في مذكراته أن العشرون ألف من الأهالي الجزائريين الذين أختيروا ليصبحوا مواطنين فرنسيين، تم إختيارهم بدقة، وبناءً على إئتناء غالبيتهم إلى الفئة البرجوازية، من معلمين ومدرسين وأساتذة وأطباء ومتقاعدي الجيش والمتطوعين فيه، وأصحاب الرتب من حراس الأراضي والقايد والآغا والباش آغا، لذا فإن لباس المواطنة الفرنسية لهؤلاء يهدف لمناورة خطيرة، تقوم على التميز بين الجزائريين، بوقوف العشرين ألف سيمنحون حق المواطنة في وجه ستة ملايين أهلي جزائري محسوبين من الرعايا الفرنسيين. يُنظر: مصالي الحاج، مذكرات 1838-1898، ترجمة محمد المعراجي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2007، ص 233.

(2)- أحمد الخطيب، حزب الشعب الجزائري "جذوره التاريخية والوطنية ونشاطه السياسي والإجتماعي"، ج 01، المرجع السابق، ص 194.

(3)- بغض النظر عن رفض نجم شمال إفريقيا لمطالب المؤتمر الإسلامي الأول في 07 جوان 1936م، فإن عدم المشاركة الفعلية للحزب في أشغال المؤتمر راجع لعدة أسباب وظروف أشار إليها العديد من الباحثين والمؤرخين، كنشاطه في فرنسا بعيدا عن أرض الوطن، وخيبة أمل زعيم الحزب مصالي الحاج في حكومة الجبهة الشعبية بعد تنكرها للوعود التي قدمتها للحزب على إثر مساندة قاعدته العمالية لها من أجل الوصول إلى الحكم، ناهيك عن روح الزعامة التي ميزت شخصية مصالي الحاج، لكن ربما السبب يعود أيضا إلى الوضع السياسي الصعب الذي كان يعيشه نجم شمال إفريقيا منذ أوائل نوفمبر 1934م بعد إيداع القادة الثلاث (مصالي الحاج، عمار عيماش، بلقاسم راجف) السجن، فمصالي لم يعد إلى فرنسا إلا في شهر جوان 1936م، عقب إصدار قرار العفو عن المساجين السياسيين، يُنظر: صالح بلحاج، الحركة الوطنية الجزائرية بين الحريين (1910-1939)، دار قرطبة، المحمدية، الجزائر، 2018، ص ص 418-422.

(4)- عبد الوهاب بن خلف، تاريخ الحركة الوطنية من الإحتلال إلى الإستقلال، المرجع السابق، ص 126.

(5)- إلا أن الإدارة الاستعمارية باشرت حملة التضييق على الحزب باعتقال أعضائه البارزين في 27 أوت 1937، بتهمة التشويش، ولم يعد مصالي من المنفى إلا في 13 أكتوبر 1946م، أسس حركة إنتصار الحريات في 23 أكتوبر 1946م، من أجل المشاركة في الانتخابات التشريعية بتاريخ 10 نوفمبر 1946م. يُنظر: أحمد الخطيب، حزب الشعب الجزائري "جذوره التاريخية والوطنية ونشاطه السياسي والإجتماعي"، ج 01، المرجع السابق، ص ص 132-134.

يتفرقوا، وسيبقون كذلك ما دامت الأرض أرضاً، والسماء سماء، وما دام الشرف يسمى شرفاً والوطنية تسمى وطنية وأضاف في موضع آخر أو هذه الأمة لا ترضى أن ترجع فرنسوية أحببت أم كرهتم" (1).

كما أن الجرائد الناطقة باسم حزب الشعب الجزائري تضمنت في الكثير من مقالاتها مسألة الهوية الوطنية، من خلال تطرقها إلى مواضيع تخص المقومات الأساسية للأمة الجزائرية، كتوضيحها لموقفها الصريح الرفض لسياسة الإدماج، التي كان يطبل لها المنغربون الجزائريون، فصحيفة "الأمة" مثلاً بينت في مقالها بمناسبة إنعقاد المؤتمر الإسلامي الثاني سنة 1937، موقف الحزب من مسألة تغيير الجنسية الجزائرية قائلة: "إنه من المستحيل تغيير الجنسية كما تغير ربطة عنق، جنسيتنا قبل كل شيء هي ماضينا، تاريخنا، أخلاقنا، ذكرياتنا، شبابنا، عاداتنا، تفكيرنا، كل ما يدخل في تكوين "أنا" الجماعة، ولا يمكن تفريغ الشخصية من محتواها بمجرد فعل إرادي" (2).

إن ما ميز برنامج حزب الشعب في مرحلة الثلاثينات هو مطالبه الثورية التي عكست تجذره الاجتماعي، وتبنيه الدفاع الكامل عن القضية الجزائرية، إنطلاقاً من تحسين الأوضاع العامة للشعب الجزائري ورفع مستواه المعيشي (3)، وبالتالي تركيز مجمل نشاطه في هذه الفترة على المطالب الاجتماعي. على عكس مرحلة بداية الأربعينيات التي عرفت توجّهاً سياسياً للحزب خصوصاً منذ سنة 1943، حيث تحول الحزب للمناداة بضرورة إحداث تغيير جذري باستعمال القوة (4).

تعزيزاً لهذا المبدأ أصدر حزب الشعب جريدة باللغة العربية سنة 1937 حملت إسم "الشعب"، كما طالب سنة 1938 بإصدار مرسوم يجعل اللغة العربية إجبارية في جميع المستويات التعليمية، مع الحرية المطلقة في التعليم العربي الحر، وهو ما يعد انتصاراً لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي تمارس هذا النوع من التعليم، وكانت تتعرض للإضطهادات القاسية من الإدارة الإستعمارية عن طريق "قرار ميشال" سنة 1933، وقرار "رينيه" سنة 1935، وبهذا أصبح مطلب اللغة العربية من ضمن المطالب الشرعية والوطنية لغالبية أحزاب الحركة الوطنية (5).

يظهر التشبث الكبير لحزب الشعب بمطلب اللغة العربية من خلال مطالبته ضمن نفس الإطار التعليمي بتأسيس كلية للآداب العربية بجامعة الجزائر، تدرس فيها اللغة والآداب العربية إلى جانب التاريخ وعلم الاجتماع والفلسفة الإسلامية، ورفع مستوى الثانويات الإسلامية أو ما أُصطلح عليه بالمدارس الرسمية، من خلال تحويلها إلى جامعات

(1) - رضوان شافو، إشكالية مفهوم الهوية الوطنية الجزائرية عند الجزائريين، المرجع السابق، ص 68.

(2) - نفسه، ص 69.

(3) - Annie Rey Goldziguer, le Royaume arabes « la politique algérienne de Napoléon III (1861-1870) », ENAG, Alger, 2010, p 635.

(4) - عبد الوهاب بن خلف، تاريخ الحركة الوطنية من الإحتلال إلى الإستقلال، المرجع السابق، ص 127.

(5) - حسان صبحي، العقيدة التربوية الإستعمارية الفرنسية في الجزائر، المرجع السابق، ص 345.

إسلامية تدرس العربية وآدابها على يد أساتذة مسلمين<sup>(1)</sup>، نظرا لكون الدراسات العربية الإسلامية كانت في المدارس الحكومية تلقن على يد مستشرقين فرنسيين<sup>(2)</sup>.

**ثالثا- الهوية الوطنية في برنامج حركة انتصار الحريات الديمقراطية (1947-1953م):** بعد تأسيس الحركة في 23 أكتوبر 1946 ومشاركتها في الانتخابات التشريعية الملغاة من طرف الإدارة الإستعمارية، بدأ سلسلة من الخطابات الناجحة بداية من شهر فيفري 1952 بشرق الجزائر ووسطها، ليتم إعتقاله على إثرها وإبعاده إلى فرنسا، وفي عام 1953 ظهر إنشقاق داخل التيار الاستقلالي عرف بأزمة إنتصار الحريات الديمقراطية<sup>(3)</sup>، لتطور الأوضاع بإعلان الثورة التي قضت نهائيا على النشاط السياسي لمصالي الحاج، نظرا لرفضه الإنضمام لجهة التحرير الوطني على غرار باقي تيارات الحركة الوطنية، ما جعله يبدو في نظر الكثيرين بموقفه هذا عاملا للتفرقة<sup>(4)</sup>.

على غرار حزب الشعب الجزائري نلاحظ غياب الدلالة الجغرافية بشقيها الطبيعية والبشرية في تسمية حركة إنتصار الحريات الديمقراطية، ما فتح المجال للتركيز على المحتوى "الفكري" لأهمية الوعي السياسي، وترسيخ الروح الوطنية في الممارسة السياسية، لإيقاظ الحس الوطني، وبعث روح التضحية من أجل تحرير الوطن وبعث روح التفاؤل بالمستقبل المزهري بعد تحقيق الإنتصار الذي يجب الإيمان بإمكانية تحقيقه<sup>(5)</sup>، ليأتي مصطلح الجبهة ليوحد جميع الأفكار السابقة تحت فكرة واحدة هي التحرير الوطني واسترجاع الحرية بالقوة وليس بالمطالب<sup>(6)</sup>.

إن الدارس لتاريخ الحركة الوطنية والثورة التحريرية يلاحظ أن أعضاء المنظمة الخاصة وحركة إنتصار الحريات الديمقراطية سنة 1947، كانوا كلهم من الشباب الجديد<sup>(7)</sup> المنظمين حديثا للحركة الوطنية، ويمكن أن يكون لهذا التكوين البسيط للجيلين أثر فيما بعد على الإنتاج الفكري للثورة التحريرية، التي وصفت بأنها ثورة ممارسة ميدانية محضة، أي أن الخطاب حول الثورة يدور في فلك تفسير الممارسة، ولا نجد أثر كبير للفكر الإيديولوجي إذا ما إستثنينا وثائق مؤتمر الصومام أو التحليل الفلسفي لبعض ما طرأ على المجتمع الجزائري من مظاهر وتغيرات أشار لها المفكر "فرانز فانون"<sup>(8)</sup> والتي وصفت الثورة ك: "فيل برأس بعوضة"، دلالة على: "عدم إنسجام حجم الحدث مع حجم الفكر" ولعل هذا ما يفسر إشكالية "النص والممارسة" في الحياة السياسية الجزائرية اليوم، حيث يلاحظ أن المواثيق والنصوص لا نجد لها صدى كبير في الممارسة أو الحياة الشعبية<sup>(9)</sup>.

(1)- عبد الحميد زوزو، دور المهاجرين الجزائريين، ص 188-189.

(2)- أبو القاسم سعد الله، اللغة العربية في موثيق الحركة الوطنية، مجلة الكلمة، العدد 4، السنة الأولى، جانفي 1993م، ص 09.

(3)- أحمد الخطيب، حزب الشعب الجزائري "جذوره التاريخية والوطنية ونشاطه السياسي والإجتماعي"، ج 01، المرجع السابق، ص 134-135.

(4)- نفسه، ص 134-135.

(5)- أحمد حمدي، جذور الخطاب الإيديولوجي الجزائري، المرجع السابق، ص 107-108.

(6)- نفسه، ص 120-121.

(7)- كانوا ذو تكوين ثقافي محدود (متوسط أو ثانوي) عكس الرواد الأوائل الذين اتصفوا بانعدام تكوينهم الثقافي عدى معارف بسيطة محصلة تجاربهم النضالية.

(8)- في كتابه "سوسيولوجية ثورة -Sociologie d'une eévelution" و "معذبو الأرض - Les damnés des la terre".

(9)-، أحمد حمدي، جذور الخطاب الإيديولوجي الجزائري، المرجع السابق، ص 122-123.

وما يؤكد هذه الفكرة هو التوضيح الذي تضمنه التقرير العام لحركة انتصار الحريات المقدم أمام المؤتمر الوطني الثاني المنعقد في أبريل سنة 1953م، حيث أشار إلى أن: "العقيدة هي مجموع الصفات والأهداف التي لا يمكن تحقيقها إلا بعد تحقيق الإستقلال"، حيث أقر التقرير: "أن المذهب الذي نبحت عنه هو جملة الوسائل اللازمة لبلوغ الإستقلال"، كما يضيف التقرير: "إن السمة الثورية هي الغالبة للحزب من حيث التفكير والأهداف والوسائل"<sup>(1)</sup>.

وأشار التيار الإستقلالي إلى: "أن الشعب الجزائري يفصح من الآن بلسان حركة انتصار الحريات الديمقراطية ترجمان الصادق عن أن: كل عمل من شأنه مسح شخصيته، ويشهر بكل مداولة تدور تحت تأثير عقلية رجعية... ويؤكد أمام الملاء أن له وحده الحق في تقرير مصيره وأنه لا يريد أن يكون تحت تصرف أية أمة ولا أية كتلة من الأمم"<sup>(2)</sup>، ومن بين أعضاء حركة انتصار الحريات الديمقراطية البارزين الذين كان لهم دور كبير في الدفاع عن الشخصية الجزائرية المسلمة بالشرق الجزائري خاصة نجد الشيخ بلقاسم زيناوي<sup>(3)</sup>، وما قام به من جهود إصلاحية في سبيل محاربة الشعوذة والقبيلية والعصبية التي كان يشجعها الإستعمار الفرنسي، بالإضافة إلى مساعيه التعليمية لغرس الوطنية في نفوس أبناء الأمة والاعتزاز بانتمائهم، والتوعية بخطورة المستعمر، فوفق في إنشاء شباب وطنيين مستعدين لحمل لواء الجهاد<sup>(4)</sup>.

**رابعا- ظهور المسألة الأمازيغية داخل الحزب الاستقلالي:** طرحت المسألة الأمازيغية لأول مرة في تاريخ الجزائر الحديث سنة 1949، كرد فعل من المناضلين الوطنيين من منطقة القبائل الناشطين في صفوف حركة انتصار الحريات الديمقراطية بفرنسا، على إثر التقرير الذي قدمه مصالي الحاج رئيس الحزب إلى منظمة الأمم المتحدة حول الجزائر التي عرفها بـ "الدولة العربية الإسلامية"، حيث اعتبر عدد من مناضلو القبائل أن هذا إقصاء للبعد الأمازيغي للجزائر، وأدى لتفجير أزمة داخلية حادة عرفت تاريخيا بـ "الأزمة البربرية"، بين هؤلاء المناضلين وقيادة الحزب السرية، هذه الأخيرة التي رأت في ذلك مؤامرة بل وسعت إلى التصفية الجسدية لبعض مناضلي القبائل<sup>(5)</sup>.

(1) - يحي بوعزيز، الإيديولوجيا السياسية للحركة الوطنية الجزائرية من خلال ثلاث وثائق جزائرية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986، ص ص 73-172.

(2) - الفضيل الوتريلاني، الجزائر الثائرة، المصدر السابق، ص 418.

(3) - الشيخ بلقاسم زيناوي: ولد سنة 1903 ببلدية فكرينة، نشأ في وسط ديني محافظ، إلتحق بجامعة الزيتونة، ثم سافر إلى دمشق وواصل تعليمه الثانوي والعالي، ومنها إنتقل إلى البقاع المقدسة ووقف على معالم الإسلام فيها، وعند عودته إلى عين البيضاء باشر التعليم في مسجد الدغري (أبي ذر الغفاري حاليا)، ألقي عليه القبض خلال أحداث 8 ماي 1945، ورغم فرض الإقامة الجبرية عليه بمدينة فرندة بضواحي تيارت إلا أنه واصل جهوده الفكرية في نشر الوعي الوطني، إنخرط في حركة انتصار الحريات الديمقراطية، شارك في مؤتمر بروكسل، وبعد اندلاع الثورة التحريرية كلف بمهمة التنسيق في الجهة الشرقية، ألقي عليه القبض وحكم عليه 30 سنة، بعد الإستقلال عين قاضيا شرعيا، لكنه لم يستمر فيها طويلا، حيث أثر مواصلة جهوده في تعليم النشء والدعوة إلى الوحدة الوطنية توفي سنة 1969. يُنظر: الشريف المصدر السابق، ص ص 15-26.

(4) - الشريف اشناطلية، المصدر السابق، ص ص 20-21.

(5) - ناصر جاي وآخرون، المرجع السابق، ص ص 89-90.

مع أن صادق هجرس الذي كان أحد أعضائها صرح أنه لم تثر مسألة الأمازيغية البتة كقضية أساسية وإنما أثّرت مع جملة من المطالب الأخرى مثل التسيير غير الديمقراطي للحزب وقضية النضال الوطني لتحرير الجزائر، كما أن "عمر كارلي" أرجع ظهور هذه المسألة في فرنسا، كنتيجة لالتقاء الجيل القديم الناطق بالأمازيغية والجيل الجديد المتخرج من المدارس الفرنسية بعد الحرب العالمية الثانية، والذي حاول بعث الحركة الوطنية انطلاقاً من البعد التاريخي الأمازيغي، ومهما يكن من أمر فإن قيادة الحزب تمكنت من فرض حصار على هذا التيار الذي سمي بـ "التيار البربري الوطني" وتحييده سياسياً، عن طريق إثارة الشكوك حوله لإبعاد المناضلين عن أطروحاته<sup>(1)</sup>.

واصلت حركة إنتصار الحريات الديمقراطية نضالها على نفس الأسس التي قام عليها حزب الشعب، ومنها مطلب اللغة العربية، حيث أصدرت هي الأخرى صحف بالعربية ناطقة باسمها مثل "المنار" و"المغرب العربي" و"صوت الجزائر"، ونتيجة تكريسها لمبدأ اللغة العربية كلغة وطنية ورسمية في الجزائر ضمن المطالب الأساسية الأولى للحزب، تشبع أعضاؤها بهذا المبدأ وما إن إندلعت الثورة حتى تركز هذا المبدأ ضمن موانئها كعنصر أساسي من عناصر هوية الأمة الجزائرية، وعلى غرار المدارس الحرة التي أنشأتها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أنشأ حزب الشعب على شاكلتها مدارس تابعة له، لتعليم اللغة العربية لأبناء الشعب الجزائري، بداية من 1950<sup>(2)</sup>.

#### المطلب الثاني: الهوية في برنامج وخطاب التيار الاندماجي.

يعتبر الطرح الإندماجي تحصيلاً منطقياً كان منتظراً لأطروحة الفرنسية والتجنيس التي جاء بها القرار المشيخي "Sénatus Consulte" وما تلاه من جهود لإنتاج نخبة ثالثة تمثل أنصاف المتعلمين الذين سيكونون همزة الوصل بين المعمرين والأهالي، مستلبي الثقافة الجزائرية<sup>(3)</sup>، والمتنعم لطبيعة المجتمع الجزائري خلال الفترة الإستعمارية يلاحظ وجود عاملان ديناميكيان فيه، مثلها المثقفون ذوي التكوين الفرنسي في مقابل المثقفين المعربين أصحاب التوجه الإصلاحية، فيما مثل الشعب الغالبية العظمى، والذي عاش أوضاعاً صعبة من الجهل والامية يتخبط بين نزعتين متصارعتين تحديشية ومحافظية، وقد مثل الخطاب الإندماجي الدكتور بن جلول والصيدلاني فرحات عباس الشاب، وضم حزبهما أعضاء من الطبقة البرجوازية الصغيرة من المتحصلين على شهادات علمية والمثقفون ثقافة فرنسية، وطالب هذا التيار بإدماج الشعب الجزائري في المجتمع الفرنسي من أجل تطويره وتحضره، وعبر هذا الاتجاه عن ولائه للثقافة الفرنسية<sup>(4)</sup>، هذا في البداية لكن مع مرور الوقت تطورت الأوضاع والأفكار لتتطور معها المطالب الوطنية داخل نفس التوجه الإندماجي وتؤدي لإنفصال فرحات عباس عن بن جلول وتشكيله لحزب يعبر عن أفكاره الإندماجية الجديدة، لهذا ستركز على مدى إهتمام التوجهين بثوابت الهوية الوطنية في سلسلة المطالب التي كان ينادي بها كل طرف، وفقاً للمراحل التي مر بها.

(1) - ناصر جالبي وآخرون، المرجع السابق، ص 90.

(2) - حسان صبحي، العقيدة التربوية الإستعمارية الفرنسية في الجزائر، المرجع السابق، ص 355.

(3) - أحمد حمدي، جذور الخطاب الأيديولوجي الجزائري، المرجع السابق، ص 94.

(4) - زازوي موفق، الهوية الوطنية في التاريخ بين الإندماجين والإصلاحيين "فرحات عباس الشاب وعبد الحميد ابن باديس نموذجان، مجلة الفكر المتوسطي،

المجلد 06، العدد 02، مخبر حوار الديانات والحضارات في حوض المتوسط، جامعة أوبكر بلقايد تلمسان، ديسمبر 2017م، ص 34.



**أولاً- فدرالية المنتخبين الجزائريين (الصالح بن جلول):** ساندت التيارات الإندماجية من الحركة الوطنية الأطروحات الفرنسية التي عرضت على المجتمع الجزائري ضمن مشاريع طمس الهوية الوطنية عن طريق الإدماج التدريجي لمن ستمهم إدارة الاحتلال بالأهالي، ومن هؤلاء الذين مثلوا هذا التيار نجد الطيب محمد الصالح بن جلول، والشريف بن حبيلس الذي بين أفكاره الإندماجية في كتابه بعنوان "الجزائر الفرنسية كما يراها اندجان" الصادر سنة 1914، حيث أكد فيه أن الجزائر قبل دخول الفرنسيين إليها كانت: "عش للصوص البحر وقطاع الطرق كما أن الفضاء الجغرافي للقطر الجزائري كان شاغرا ولم يعرف ظاهرة الدولة بمختلف رموزها ومقومات تأسيسها، ونصح الجزائريين حسب رأيه أن الخير بالنسبة للأهالي يكمن في خدمة الكولون، وتقبل الثقافة الفرنسية، والانخراط مع الفرنسيين في الحياة العامة وتفكيرهم الغربي<sup>(1)</sup>.

ويذهب بعض المؤرخين إلى أن حركة الدكتور "بن تامي" الذي أسس جمعية المسلمين الجزائريين سنة 1927، جمعت في صفوفها المقتنعين بفكرة التجنيس والإندماج<sup>(2)</sup>، وتبلورت أسس الفكر الإندماجي على يد "محمد الصالح بن جلول" و "فرحات عباس" بعد سنة 1931، في كتاب "الشباب الجزائري"<sup>(3)</sup>، فيما يتفق كل من Guy Pervillé ومحمد عباس أن هناك تيارين إندماجين<sup>(4)</sup> في الجزائر، واحد متطرف والآخر معتدل، والإندماج هو انحياز (رغم اختلاف التبريرات) إلى رغبات المستعمر، لذلك فأحمد حمدي يلغي فكرة الاعتدال في الإندماج، ويرى أن الأقرب هو أن يطلق عليه إتجاه إندماجي مندفع وآخر بطيء، وحسب الإتجاه الأول تيار المنتصرين والمتجنسين، والثاني التيار الشيوعي الإستعماري<sup>(5)</sup>، ويرى محمد عباس في كتابه: "الإندماجيون الجدد" أن هذه الشيوعية الإندماجية المتشعبة بالإيديولوجية الإستعمارية رسبت في أذهان مناضلين شيوعيين من أصل جزائري، لتظهر ابتداء من سنة 1955، في شكل شيوعية إندماجية وإستقلالية في آن واحد، إندماجية في الثقافة ونمط الحياة، وإستقلالية في السياسة<sup>(6)</sup>.

وقد تحفظ أحمد حمدي في إستخدام مصطلح الإندماج مع الإستقلال هنا كون الثقافة ونمط الحياة والسياسة أشكال ومظاهر للوعي الاجتماعي، ومن الصعب جدا بل من المستحيل الفصل بينها، وأرجع إلى أن الكاتب -محمد عباس- يتحدث عن مساواة سياسية من قبل الشيوعيين الإندماجين بهدف إحتلال مواقع إدارية هامة في جزائر الإستقلال<sup>(7)</sup>، فيما انقسم الإتجاه الإندماجي الثاني إلى تيارين نتيجة لنجاح المدرسة الفرنسية التي تمكنت من إحداث الطلاق المنشود

(1) -رضوان شافو، إشكالية مفهوم الهوية الوطنية الجزائرية عند الجزائريين، المرجع السابق، ص 69.

(2) - غير أنها لم تمكث طويلا حيث انقسمت على نفسها بعد ثلاث سنوات (1930م)، إلى إتحادية النواب المسلمين العامة بقيادة "زروق محي الدين"،

وإتحادية النواب المسلمين القسنطينية، بقيادة "الشريف سيسبان"، وإتحادية وهران بقيادة "بن عودة باشارزي". يُنظر: أحمد حمدي، المرجع السابق، ص 96.

(3) - للتوسع يُنظر: فرحات عباس، ليل الإستعمار "مرحلة المساواة في الحقوق وسياسة الإدماج"، ترجمة أبو بكر رحال، دار القصة، الجزائر، 2005، ص 84.

(4) - كان Guy Pervillé أصدر كتابه: "Les étudiants Algériens de l'université française 1830-1962" وأصدر محمد

عباس كتاب بعنوان "الإندماجيون الجدد". يُنظر: أحمد حمدي، جذور الخطاب الايديولوجي الجزائري، المرجع السابق، ص 96.

(5) - أحمد حمدي، جذور الخطاب الايديولوجي الجزائري، المرجع السابق، ص ص 96-97.

(6) - محمد عباس، الإندماجيون الجدد "الكتاب الثالث"، مطبعة دحلب، الجزائر، 1993، ص 93.

(7) - أحمد حمدي، جذور الخطاب الايديولوجي الجزائري، المرجع السابق، ص 138.

بين التلميذ ومحيطه الثقافي والحضاري<sup>(1)</sup>، والإبقاء على الإسلام مقتصرًا على ممارسة الشعائر الدينية المفروضة والتمسك بالأحوال الشخصية، ويظم هذا التيار طائفتين واحدة تدعوا إلى "التماثل" بين الجزائر وفرنسا في كل المجالات، وأخرى تدعوا إلى المشاركة في إطار "الإتحاد الفرنسي"<sup>(2)</sup>.

في الخطاب المطول الذي ألقاه رئيس المؤتمر الإسلامي الدكتور صالح بن جلول بين فيها المقاصد من عقده، وأعلن أن النواب مجمعون على المطالبة بالحقوق السياسية خصوصًا التمثيل البرلماني الذي لا يجب أن يكون على أساس البرامج الشخصية الرائجة بل على أسس المساواة التامة والتعليم التام والمحافظة على الأحوال الذاتية الإسلامية، بحيث ينتخب الجزائريون على اختلاف أجناسهم نائبا واحداً، على أن يكون حق الانتخاب مكفول لجميع الجزائريين مع محافظتهم على ذاتيتهم الشخصية الإسلامية وهو ما أجمعت حوله النواب، كما وافقوا على إضافة اقتراح إلغاء المحاكم العسكرية<sup>(3)</sup>.

يظهر البعد الهوياتي للتيار الإدماجي من خلال ما أبداه النائب محمد الصالح بن جلون من خلال دعوته الدينية سنة 1938 مسعاه الهادف للتوفيق بين الجمعيات الإسلامية الجزائرية والجمعيات الإسلامية الفرنسية لتوحيد الكلمة المرفوعة إلى الحكومة باسم الأمة كلها<sup>(4)</sup>، وأضاف الشيخ الحاج سعيد من عمالة وهران بعد استنكاره لما تعرضت له جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من عراقيل في سبيل هذه الأمة، مذكراً بأهمية الدين الإسلامي وضرورة تعليمه قائلاً: "...إننا المسلمين ليس لنا لا ماركس ولا غيره وإنما لنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي جاءنا بكل خير للإنسانية... وذكر لزوم تعلم المسلمين لدينهم ولزوم الاتفاق بين العلماء وغيرهم..."<sup>(5)</sup>.

ثانياً- الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري (فرحات عباس): أخذ الإحتلال الفرنسي في الجزائر بعدا إستيطانياً إندماجياً إعتد على مختلف وسائل القوة والإكراه، فقد ضحت فرنسا بما يقارب 90٪ من مستعمراتها في إفريقيا مقابل الإحتفاظ بالجزائر<sup>(6)</sup>، وعند محاولة إخضاع الخطاب الإدماجي الإستعماري للمقايضة يواجهها مفهوم الهوية لكونها تمثل الإختلاف عن الآخر<sup>(7)</sup> ما يطرح تساؤلات حول مدى إمكانية تنفيذ الإندماج في ظل وجود إختلاف بين مقومات الأمة الجزائرية وفرنسا الإستعمارية. ولكن بالعودة إلى خطاب فرحات عباس "الشاب الجزائري" نجده يرى فكرة الإندماج في المطالبة بإحداث إصلاحات إجتماعية في إطار النظام الإستعماري تحت سيادة الحكومة الفرنسية، بحيث تسمح تلك الإصلاحات بالحصول على كامل حقوق العضوية في المجتمع الفرنسي كما هو الحال بالنسبة إلى المواطنين المقيمين في

(1)- محمد عباس، الإندماجيون الجدد" الكتاب الثالث ، المرجع السابق، ص 96.

(2)- نفسه ، ص 98.

(3)- محمد خير الدين، مذكرات، ج 1، المصدر السابق، ص 277.

(4)- عبد الحميد ابن باديس، في سبيل الإتحاد والعمل، البصائر ، العدد 125 ، السنة الثالثة، 08 جمادى الثانية 1357هـ/ 5 أوت 1938م.

(5) - نفسه.

(6)- عبد الوهاب بن خليف، تاريخ الحركة الوطنية من الإحتلال إلى الإستقلال، دار طليطلة، المحمدية، الجزائر، 2009، ص 42.

(7) - زازوي موفق، الهوية الوطنية في التاريخ بين الإندماجين والإصلاحيين، المرجع السابق، ص 34.

الجزائر" <sup>(1)</sup> وما يلاحظ هنا رفع الاختلاف بين الأنا الجزائري بجميع مقوماته الهوياتية والآخر الفرنسي المستعمر بجميع ما يحمل من مقومات غربية ودخيلة عن المجتمع الجزائري ستحول الاختلاف بين الأنا والآخر إلى تماثل فتنعدم بذلك الهوية حسب الخطاب الإدماجي <sup>(2)</sup>.

كما أن "نور الدين أفاية" أشار في كتابه "الغرب والمتخيل": "أن الآخر بوصفه إختلافا دينيا أو ثقافيا يشكل أفقا للذات، وأحيانا جزءا من النظرة إلى الذات سواء تقدم باعتباره شريكا مسالما أو في هيئة كيان غاز أو في صفة محتل متغطرس أو مفاوض مهادن أو تقدم إلى مساحة الوعي كإختلاف جسدي أو ثقافي... إلخ المهم أن الآخر حاضر وبكيفية وجودية في المجال العام للوعي بالذات، ولذلك فهو يمثل وبشكل مفارق أحيانا موضوع إغراء ومصدر حذر وحيطة في نفس الوقت" <sup>(3)</sup>، ولقد عبر فرحات عباس عند دعوته للإدماج والمساواة عن الهوية الجزائرية العربية المسلمة في عبارة: "إن الجزائر فرنسية، ونحن فرنسيون" <sup>(4)</sup> وبالتالي غيب حضور الأنا "الجزائر" وأكد حضور الآخر "فرنسا"، وهو متناقض مع المبدأ الثاني الذي يقوم عليه مفهوم الهوية <sup>(5)</sup>.

كتب فرحات عباس بتاريخ 27 فيفري 1936 في العدد 24 من جريدة « L'Entente » <sup>(6)</sup> مقالا بعنوان « En marge du nationalisme, la France c'est moi »، وكان هذا المقال <sup>(7)</sup> بمثابة البداية لظهور مجموعة من خطابات الهوية الوطنية، إما ردا، أو رفضا، أو تأسيسا، ويذهب "الزاوي بغورة" إلى الإقرار أن هذه الافتتاحية كانت بداية لظهور مختلف الخطابات حول الهوية الوطنية تحديدا، وذلك لما تبعها من مواقف وسجال، ما زال قائما ليومنا هذا <sup>(8)</sup>.

ولعل فكرة الإدماج التي عرفت مرحلتها الثلاثينات من القرن 20م جعلت فرحات عباس يتبنى أفكار ومبادئ التجنس والإندماج من خلال ما كتبه في مقاله بجريدة "الوفاق" الناطقة باسم إتحادية المنتخبين تحت عنوان: "على هامش الوطنية

(1) - سليمان الرياشي وآخرون، الأزمة الجزائرية "الخلفيات السياسية والإجتماعية والإقتصادية والثقافية"، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط2، 1999م، ص21.

(2) - زازوي موفق، الهوية الوطنية في التاريخ بين الإدماجين والإصلاحين، المرجع السابق، ص34.

(3) - محمد نور الدين أقارية، الغرب والمتخيل صورة الآخر فب الفكر العربي الإسلامي الوسيط، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 2000م، ص51.

(4) - فرحات عباس، الشاب الجزائري، ترجمة أحمد منور، وزارة الثقافة، 2007م، ص99.

(5) - زازوي موفق، الهوية الوطنية في التاريخ بين الإدماجين والإصلاحين، المرجع السابق، ص34.

(6) - Farhat Abbas, En marge du nationalisme La France c'est moi, L'Entente, Deuxieme Annee, N° 24, Constantine, 27 Fevrier 1936, p 01. (Regarder les annexes)

(7) - المقال تم نشره في جريدة "L'Entente" لصاحبها ابن جلول، ولعل فرحات عباس نشر مقاله في هذه الجريدة نظرا للإتهامات التي وجهت لابن جلول على صفحات جريدة "le Temps" واصفة إياه بزعيم المعارضة عند الأهالي الجزائريين ومعاداته لفرنسا نظرا إنتقاداته يُنظر:

Le Temps, La situation en Algerie, Soixante Quinzieme Annee, N° 26866, Paris, 24 Mars 1935, pp 03-04.

et aussi: Le Temps, M.Marcel Régner en Algérie, Soixante Quinzieme Annee, N° 26848, Paris, 06 Mars 1935, p 02

(8) - الزاوي بغورة، الخطاب الفكري في الجزائر، المرجع السابق، ص 130.

فرنسا هي أنا<sup>(1)</sup> مصرحا بعدم عثوره على الأمة الجزائرية في التاريخ قائلا: "...لو إكتشفت الأمة الجزائرية لكنت وطنيا ولما خجلت من ذلك كما أخجل من جريمة... الرجال الذين ضحوا بأنفسهم في سبيل المثل الأعلى الوطني هم محل تكريم وإحترام يوما بعد يوم حياتي ليست أغلى من حياتهم، وإلا لما بدلت هذه التضحيات، الجزائر كوطن هي خرافة، إنني لم أعر عليها، سألت التاريخ، سألت الموتى والأحياء زرت المقابر، لا أحد حدثني عن ذلك"<sup>(2)</sup>.

إن إعطاء صفة التأسيس والبداءة التاريخية لمسألة الهوية الجزائرية من منطلق الافتتاحية التي كتبها فرحات عباس، تتطلب منا وضع الإطار العام لظهور هذا الخطاب وما نجم عنه من ردود مختلفة، وكيف يُفهم اليوم ضمن المسار العام للحركة الوطنية، والمسار الذي يمثله فرحات عباس، وكيف نفهم اليوم موقف فرحات عباس نفسه والرد المباشر الذي جاء على لسان عبد الحميد ابن باديس والردود اللاحقة؟ وكيف كان موقف الاستعمار الفرنسي من هذه المسألة؟ وهو ما يستلزم العودة الى الخطاب وما جاء فيه؟ فلا يمكن فصل الخطاب عن وظائفه وتكتيكه واستراتيجيته، والعودة لتاريخية المسألة لتبين وتوضح ما أحاطها من ظروف وملابسات، فمن الضروري أيضا إبراز عناصر هذا الخطاب<sup>(3)</sup>.

جاء خطاب فرحات عباس في شكل إجابة أو رد فعل، وبالتالي فهو اكتسب صفة الخطاب الموجه، والحوار الغير المباشر بين الطرفين، ومن الصعب حصر جميع عناصر هذا الخطاب، إلا أنه يمكن التوقف عند منطوقه أو سطحيته دون الغوص في مضمونه ودلالته، لأن الهدف هنا هو معاينة عناصره، فمن منطوق الخطاب يظهر أنه رد على خطاب صدر في جريدة "Le Temps"<sup>(4)</sup>، الذي يتهم النخبة (المفرنسة والمعربة) بعدة ثُم، حاول فرحات عباس الرد عليها، كاشفاً أن وراء الخطاب إرادة الكولون وليس فرنسا، التي عبرت من خلال وزير داخليتها السيد "مارسيل رينييه-Marcel Régnier" عن ثقتها في المستعمرة وممثليها<sup>(5)</sup>.

وبالعودة إلى أعداد جريدة "Le Temps" وما نشرته على صفحاتها قبل خطاب فرحات عباس نجد أنها كتبت منذ بداية سنة 1935 عدة مقالات عن زيارة وزير الداخلية الفرنسي "مارسيل رينييه-Marcel Régnier" إلى الجزائر، لمعاينة الوضع المضطرب<sup>(6)</sup> فيها نتيجة الوعي الذي انتشر وسط الجزائريين وهو ما عبر عنه روكس فريسينيغ - Roux-

(1) -المقال صدر في جريدة الوفاق بتاريخ 27 أبريل 1936، ونشر أيضا في جريدة "la Defense" التي تصدر بالفرنسية لصاحبها لمين لعمودي في العدد 95 يُنظر:

Farhat Abbès, En marge du nationalisme La France c'est moi, la Defense, N°95, 3eme Année, 28 février 1936, p 01. (Regarder les annexes)

(2)-Farhat Abbès, En marge du nationalisme La France c'est moi, la Defense, N°95, op cit , p 01.

(3)-الزاوي بغورة، الخطاب الفكري في الجزائر، المرجع السابق، ص 130.

(4)-Le Temps, La situation en Algerie, Soixante Quinzieme Annee, N° 26866, Paris, 24 Mars 1935, pp 03-04. (Regarder les annexes)

(5)-المرجع السابق، ص ص 130-131.

(6)-Le Temps, La situation en Algerie « une grave manifestation de chomeurs a Mostaganem », Soixante Quinzieme Annee, N° 26841, Paris, 27 février 1935, p 02.. (Regarder les annexes)

Freissineng بـ: "أزمة أخلاقية تثقل كاهل الجزائر. والسبب هو الصحوة المقلقة للإسلام، أو بتعبير أدق للوحدة الإسلامية، التي تدعمها ألمانيا ضدنا... وفي باريس يُوحّد الحزب الشيوعي عمله مع العمل الإسلامي. فقد تم إنشاء مجموعة تحت اسم "Etoile Nord-Africaine"؛ وأقسم أعضاؤها من الأهالي، وهم يلوحون بالخناجر، على طرد الفرنسيين من شمال إفريقيا. وتم حل هذه المجموعة، لكن أعيد تشكيلها تحت اسم "Glorieuse Etoile Nord-Africaine". ومن ناحية أخرى، يضيف السيد Roux-Freissineng، فإن أقلية من الجزائريين حصلت على شهادات ابتدائية وثانوية وأحيانا عليا في المدارس الفرنسية. شعرت بخيبة أمل أمام طموحاتها، وأصبح معظمهم مدفوعون بالعداء الحقيقي ضد فرنسا. فالأطباء والمحامون، يريدون الوصول ليس فقط إلى حياة مدنية للسكان الأهالي، ولكن أيضاً إلى الحياة السياسية الفرنسية، علاوة على ذلك، تريد جمعية العلماء والوهابية الجديدة تجديد الإسلام من خلال إعادته إلى الالتزام الصارم بمبادئه الأصلية. هذا هو الوضع الحقيقي..."<sup>(1)</sup>.

ونشرت الجريدة المناقشات البرلمانية لفكرة اندماج الأهالي التي عرضها "فيوليت" مع احتفاظهم بأحوالهم الشخصية قائلة: "...يطلب السيد فيوليت أن يحصل عدد معين من الأهالي على الجنسية الفرنسية، مع احتفاظهم بأحوالهم الشخصية، ومنحهم حق التصويت والاندماج في المدينة الفرنسية. ويشير السيد Roux-Freissineng في هذا الصدد، إلى أنه إذا لم يتم تجنيس بعض الأهالي فذلك لأنهم، عندما يفعلون ذلك، يعرضون أنفسهم لتسلط لا يطاق من إخوانهم في الدين. ماذا سيحدث إذا حصل الأهالي على الجنسية الكاملة مع احتفاظهم بدينهم، كما يريد السيد فيوليت؟ يجب السيناتور من وهران، أن المتجنسين سيكونون قادرين على شغل جميع الوظائف العامة، وأن يصبحوا نواب الولاية، وقضاة، ومدعين عامين، وبهذه الصفة الأخيرة، على الرغم من أن لديهم أربع زوجات شرعيات ومحظيات متعددة"<sup>(2)</sup>.

وحسب رأي روكس فريسسينغ- Roux-Freissineng المنحاز للمستوطنين والكولون، فإن ما اقترحه فيوليت يتعارض مع القانون الفرنسي لأن الأهالي المتجنسين: "سيصبحون أيضاً ولاية وحكاماً وجنرالات ووزراء"، فرد السيد فيوليت: "ولم لا؟"، فأجابه السيد لوسيان هوبرت: "وسوف تصوت زوجاتهم — (يضحك)"، ورد السيد Roux-Freissineng: "ستأتي النساء المغاربيات المحجبات إلى صناديق الاقتراع، فנסاء الجزائر يظهرن كلتا العينين ونساء وهران يظهرن واحدة فقط (تبتسم)، دون أن يتم التحقق من هويتهن. حسناً! أقول إنه من غير المقبول أن يكون هناك فئتان من المواطنين في فرنسا، البعض ملزم بمراعاة جميع القوانين الفرنسية، والبعض الآخر معفى من الالتزام ببعضها" وتضيف الجريدة أن: "السيد Roux-Freissineng خلص إلى أن أولئك الذين طلبوا دخول

(1)-Le Temps, Le document communiste, Soixante Quinzieme Annee, N° 26866, Paris, 24 Mars 1935, pp 03-04.

(2)-ibid.

المدنية الفرنسية، وخاصة المتجنسين، لن يفعلوا ذلك، ولم يعد بإمكانهم الشكوى من معاملتهم كمواطنين من الدرجة الثانية"<sup>(1)</sup>، وهذا بسبب إختلاف ديانتهم الإسلامية التي تتعارض مع قوانين المواطنة الفرنسية.

وبناء على خطابات فرحات عباس<sup>(2)</sup> يمكن إبراز وجهة نظره للهوية من خلال تبين موقفه من مقوماتها التالية:

- **الشعور بالانتماء إلى الدين الإسلامي:** يعتبر الدين من أهم مميزات الهوية الوطنية وهو بمثابة مرجعية المرجعيات، لأن غياب عنصر الدين يفضي إلى التوجه اللاتيني، ويرى الزاوي بغورة أن هذه الفكرة تتنافى مع الطرح الذي جاء به فرحات عباس من خلال دعوته إلى المساواة بين الجزائريين والفرنسيين في قوله: "ينبغي ألا تكون هذه الدولة المنتظرة دومينيونا يكون للأوروبيين عليه حق الإحتكار المطلق بل ينبغي أن تكون هذه الدولة جمهورية ديمقراطية إجتماعية قائمة على أساس إتحاد أخوي بين جميع الجزائريين مهما كانت جنسيتهم، وديانتهم وعلى أساس إعطاء كل ذي حق حقه من السيادة"<sup>(3)</sup>.

لكن بالعودة إلى إعتراقات فرحات عباس في كتاب "الشباب الجزائري" نجد أنه يرى في الإسلام الوطن الروحي له، كما دافع عن الحضارة الإسلامية وانتصر للنبي صلى الله عليه وسلم، أمام مراهنات الفرنسيين على خرافة "إفريقيا اللاتينية" الموروثة عن سياسة الرومان، وتقديمهم لأنفسهم بصفتهم خلفاء للإمبراطورية الرومانية التي قامت على الإستعباد الأزلي للأهالي، ما يعني أن فرحات عباس رفض فكرة "الجزائر الرومانية" أمام فكرة الحضارة العربية التي إعتزف بفضلها الكبير والمفيد في وقتها، ويظهر الإيمان القوي لفرحات عباس بالإسلام من خلال قوله: "إن ساستنا المحنكين يعتقدون أن الإسلام ستقطع أوصاله بسبب تهدم مسجد أو بسبب أن الخليفة وقع عليه إنقلاب، لا فائدة، إنني أحمل في قلبي مسجدا من الغرانيت والحديد الصلب، لن يتهدم أبدا، ألم يقاوم أسوأ انحطاط وأشدّة إثارة للشجن؟ فهل يخشى سلام وأنوار الأزمنة الحاضرة"<sup>(4)</sup>. والمتمعن في مضمون خطابه "فرنسا أنا" لا يجد تصريحاً واضحاً منه بفكرة التخلي عن الأحوال الشخصية للجزائريين ولا عن دينهم الإسلامي أثناء مطالبته بالمساواة في الحقوق مع الفرنسيين ومنح الأهالي الإستقلال في الإشراف على تسيير شؤونهم، كما رفض فكرة إحتكار الأوروبيين للسيادة المطلقة على الدولة الجزائرية المتحدة فدراليا مع فرنسا التي يطالب بإنشائها.

- **اللغة العربية والتعليم العربي:** بالتفصيل في فحوى الخطاب، نجد أن فرحات عباس رد على التهم الموجهة إلى الشيخ الطيب العقبي وإلى جمعية العلماء المسلمين، ودافع عن حق جمعية العلماء في تعليم وتدرّيس اللغة العربية والعلوم الدينية العصرية، ورأى أن هذا ما كان يجب على فرنسا أن تقوم به، إلا أن ما حدث العكس حيث قامت فرنسا بحرمان

(1)-Le Temps, Le document communiste, Soixante Quinzieme Annee, N° 26866, Paris, 24 Mars 1935, pp 03-04.

(2) - تتميز خطابات فرحات عباس بخصوصيتها عن بعضها البعض، فكل خطاب يفهم تبعاً لظروفه والمرحلة التي كتب فيها، مع الأخذ بعين الإعتبار طبيعة شخصية فرحات عباس وأفكاره التي تختلف من خطاب لآخر، وما يجده الباحث من تناقضات مرحلية في كتاباته.

(3) - يحيى بوعزيز، المرجع السابق، ص 51.

(4) - مصطفى كيجل، جدول الهوية في الخطاب الجزائري المعاصر، المرجع السابق، ص 71.



"الأهلي" من التعليم الفرنسي والتعليم العربي على حد سواء، وبالتالي تسببت في تجهيله وأميته، كما نفى فرحات عباس أن تكون جمعية العلماء منتسبة إلى "التيار الوهابي" والقومية العربية، مبيّنًا أن تعليم العربية والاسلام يسمح بالفتح والاستنارة، والخروج من الدروشة والطرقية<sup>(1)</sup>، وهو ما يبرز مدى الاتفاق الفكري بين فرحات عباس وجمعية العلماء حول سلسله المطالب التي نادى بها التيار الاصلاحى، بل تعدى إلى الدفاع عنه، وفي هذا الصدد قال فرحات عباس: "وليس من اختصاصي الدفاع عن الشيخ ابن باديس والشيخ العقبي ومعهما جميع العلماء. السؤال الذي يهمني هو سؤال تعليم اللغة العربية الذي طرحته صحيفة Le Temps. هذه اللغة بالنسبة للدين الإسلامي هي مثل الكنيسة بالنسبة للدين الكاثوليكي. لم تستطع العيش بدونها. إن اعتقاد المسلم الجاهل هو شبكة من الخرافات غير القابلة للهضم. المسجد في البيت لا شيء. قراءة الكتاب المقدس هي كل شيء. فهو يشكل أسمنت الإيمان. فهل من الضروري في هذه الظروف أن نؤكد تمسكنا بتعليم اللغة العربية أساس عقيدتنا؟"<sup>(2)</sup>.

كما دافع فرحات عباس على جهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في فتح المدارس لتعليم أبناء الأمة الجزائرية، وهو ما سبب قلقًا للإدارة الإستعمارية، وتساءل كيف لهذه الجهود المضنية في سبيل التعليم أن تجلب الإستياء من الإدارة الإستعمارية الفرنسية إذا لم يكن التعليم في نظر بعض الإستعماريين خرافة أصلاً، حيث قال فرحات عباس: "في بلد حيث أكثر من 800.000 طفل محرومون من المدرسة، كل أطفالنا سوف يذهب إهتمامهم نحو التدريس. وينعكس هذا القلق في الطلبات المتواصلة التي قدمت إلى السلطات العامة لإنشاء المدارس. وينعكس أيضاً في الشكر الذي ندين به لهذه المبادرات خاصة وعلى وجه الخصوص للعلماء، في إنتشالهم لعدد كبير من الأطفال بضمهم إليها وإنقاذهم من الشارع الذي كان مصيرهم للأسف. هل هذا جهد جدير بالثناء ينبغي أن يجلب الاستياء لقادتنا إذا لم تكن كلمة "التعليم" عبارة عن كلمة أسطورة بالنسبة للبعض منهم؟"<sup>(3)</sup>.

-شعور الفرد بالانتماء إلى دولة أو أمة لها ثقافة أصيلة أو إلى وطن معين: إلا أن هذه المفاهيم مختلفة في خطاب فرحات عباس حسب وجهة نظر بعضهم، فهناك من يرى أنه ارتكب خطأ فادحاً عندما قال في كلمته الشهيرة سنة 1935: "الجزائر كوطن مجرد أسطورة لأنني لم أعثر عليها لقد سألت التاريخ والأموات والأحياء وزرت المقابر لكن لا أحد حدثني عنها"<sup>(4)</sup>، فالباحثون يرون أن الجزائر الأمة والوطن والدولة بالنسبة لفرحات عباس عبارة عن خرافة كما قال، وهذا التصور يوضح جلياً مدى تفاقم حالة الإغتراب الثقافي والهوياتي التي كانت تعيشها النخبة المثقفة ثقافة فرنسية، لأن هكذا خطاب يخفي في طياته أفكار خطيرة تخص الهوية الوطنية إنطلاقاً من غياب وجود أمة جزائرية تاريخياً وعدم تمتع هذا الوطن بالسيادة على أرضه منذ القدم وإنما كان مسرحاً للنهب الأجنبي الذي مرّ على المنطقة عبر العصور، وبناءً على ما جاء من أفكار في خطاب فرحات عباس تصب في مجملها في فرضية أن العرب المسلمين لا

(1)-الزاوي بغورة، الخطاب الفكري في الجزائر، المرجع السابق، ص 131.

(2)-Farhat Abbès, *En marge du nationalisme La France c'est moi*, la Defense, N°95, op cit, p 01.

(3)-Ibid

(4)-Ibid.

يختلفون عن غيرهم ممن وفدوا إلى الأرض الجزائرية عبر التاريخ، وبذلك دعم فكرة أنهم مجرد غازين للسكان البربر الأصليين، وفرحات عباس كان تركيزه الوحيد في خطابه على مطلب مساواة الجزائريين مع الفرنسيين من حيث الحقوق، ولا يهتم في مقابل ذلك فكرة الهوية الجزائرية أو العروبة ولا حتى الإسلام، ما يعني وقوع فرحات عباس في أحضان الأيديولوجية الفرنسية التي تدعو إلى تغريب الجزائر<sup>(1)</sup>.

صحيح أن فرحات عباس أشار في فكرة بحثه عن الأمة الجزائرية إلى الإقرار بوجود إمبراطورية عربية وإسلامية كرمته الإسلام والعرق الذي ينتمي إليه وبالتالي الأهالي ككل، وهو هنا يشير بشيء من الرمزية إلى وجود أمة ينتمي إليها ذات دين إسلامي وعرق متميزين، تعود في إنتمائها للإمبراطورية العربية والإسلامية رغم إنقراضها التاريخي، وربما فرحات عباس هنا ينوّه بجهود الاستعمار لطمس البعد التاريخي للإنتماء العربي الإسلامي للأهالي الجزائريين، وهو ما يؤكد من خلال إشارته إلى اختلاف الإنتماء الديني والعنقي للأهالي<sup>(2)</sup> تمامًا عن الأمة الفرنسية التي أراد الاستعمار إلحاقهم بها، عن طريق إحياء الموروث اللاتيني والروماني للعصور الوسطى، وتدريبه للأهالي على أنه يمثل إنتمائهم، وهو ما نفاه فرحات عباس واعتبره تاريخ ليس ملك لنا حيث قال: "لا شك أنني وجدت "الإمبراطورية العربية"، "الإمبراطورية الإسلامية"، التي تكرم الإسلام وعرقنا، لكن هذه الإمبراطوريات انقضت. سوف تتوافق مع الإمبراطورية اللاتينية والإمبراطورية الرومانية المقدسة في العصور الوسطى. لقد ولدوا لعصر وإنسانية لم تعد ملكنا"<sup>(3)</sup>.

ومن جهة أخرى فإذا سلمنا بفكرة دعم فرحات عباس لفكرة أن العرب مجرد غازين للسكان البربر الأصليين، فكيف نبرر دفاعه في خطابه عن التعليم العربي الحر الذي اعتبر عرقته من طرف الإدارة الإستعمارية هو حرب على الإسلام، متخذة الوهابية والوحدة العربية ذريعة إتهم بها معلموا الاستعمار جمعية العلماء المسلمين ورجالاتها، وفرضت على الأهالي الذين رفضوا التعليم الفرنسي في المدارس الإستعمارية وإمتنعوا عن تلقي الثقافة الفرنسية حرمانهم من تعلم اللغة العربية والثقافة العربية، بهدف إبقاء الجزائريين جاهلين لدينهم الإسلامي محدودين في تفكيرهم، وبالتالي إستمرارية خضوعهم للإستغلال الإستعماري وسيطرته، حيث قال فرحات عباس: "ويرتبط هذا التعليم ارتباطاً وثيقاً بحرية الضمير. إن اضطهاد هذه التعليم أو ببساطة عرقته هو إعلان حرب على الدين الإسلامي. وهو قبل كل شيء إعلان حرب على التعليم. يجب علينا أن نرى الأشياء كما هي: الوهابية والوحدة العربية هما شاشتان هشتان تحتمي خلفهما التصاميم الحقيقية لمعلمينا الاستعماريين الكبار. الجماهير التي رفضت التعليم الفرنسي يجب أن تحرم من تعليم اللغة العربية. لا الثقافة الفرنسية ولا الثقافة العربية. جيش من الخدم المولودين و"غير المؤمنين" الذين سيسمحون لأنفسهم بخنوع بأن يتم استغلالهم ما لم يملأوا أوكار القمار والسجون"<sup>(4)</sup>.

(1) - زازوي موفق، الهوية الوطنية في التاريخ بين الإندماجين والإصلاحيين، المرجع السابق، ص 35.

(2) - عبر فرحات عباس انخيازه الكبير لانتماءه العنقي للأهالي الجزائريين في قوله: "... إن هؤلاء المخلوقات البسيطة التي تحببنا وأنا أحبها، بمعنى بها رابط لا يقبل الإنفصام، إن دمها هو دمي". يُنظر: مصطفى كحيل، جدل الهوية في الخطاب الجزائري المعاصر، المرجع السابق، ص 72.

(3) - Farhat Abbès, En marge du nationalisme La France c'est moi, la Defense, N°95, op cit, p 01.

(4) - Ibid.

ويرى الزواوي بغورة أنه إذا كانت جمعية العلماء من وجهة منظور الكولونيالي وهابية وقومية ومتطرفة، فإن النخبة الممثلة بفرحات عباس والدكتور بن جلول اتهمت بالوطنية "La Nationalisme" بمعناها الشوفوني<sup>(1)</sup>، وهنا صدر الخطاب الذي كان المنطلق الذي تردد عند كل الدارسين، حيث قال فرحات عباس: "لو إنني إكتشفت "الأمة الجزائرية" لأصبحت وطنياً، الجزائر باعتبارها وطناً خراقة، لقد سألت التاريخ، وسألت الموتى والأحياء، لقد زرت المقابر، لم يحدثني عنها أحد"<sup>(2)</sup>. وطيلة مرحلة التفكير في الهوية الوطنية خلال الفترة الاستعمارية، تم ترديد منطوق الحكم الذي جاء على لسان فرحات عباس: "الجزائر باعتبارها وطن، خراقة"، ولم يتم التساؤل عن منطلقات أخرى وردت في نفس الخطاب من بينها: "الوطنية"، "الأمة الجزائرية"، "الجزائر؟"، "الوطن"، "التاريخ"، لكون التفكير في هذه المنطلقات يعد خطوة لفهم الحكم الصادر، ما يمنح إمكانية للخروج من القناعة التي تم ترسيخها بمختلف الوسائل<sup>(3)</sup>، كما أن هذه الفكرة التي توصل إليها الزواوي بغورة لم تلغي نظرتة الانتقادية للفكر الإندماجي عند فرحات عباس حيث يرى أن خطابه يصب مباشرة في خطاب الأيديولوجية الاستعمارية، ويثبت ما حاولت ترسيخه خلال قرن، وهي إيديولوجية مبنية على نكران الهوية الوطنية، وهنا تساءل إذا كان فرحات عباس قد سقط في فخ الأيديولوجية الاستعمارية التي ناضل ضدها، وكيف يفهم ما كتبه قبل سنة 1936؟ وما بعد هذا التاريخ؟<sup>(4)</sup>.

وللإجابة عن الشق الأول من التساؤل نعود إلى ما كتبه فرحات عباس حول الهوية والانتماء قبل هذا الخطاب في كتابه "الشباب الجزائري" فنجد أنه تصدى لعدة أطروحات إستعمارية ورفضه لها جملة وتفصيلاً، كأطروحة "الجزائر

(1)- وهو ما عبرت عنه جريدة le Temps على لسان العقيد "دو لاروك" قائلاً: "... في فرنسا، يجري الصراع الأساسي، في الفترة الحالية، بين الفاشيين (أو المؤيدين للفاشية) ومناهضي الفاشية... أما في الجزائر فالوضع مختلف. بالنسبة للسكان الفرنسيين (والأوروبيين عمومًا) في الجزائر، أي حوالي 800 ألف نسمة، يتم طرح المشكلة، تقريباً، بنفس الطريقة التي يتم بها طرحها في فرنسا، على الرغم من وجود سلسلة من الخصوصيات المهمة. لكن المشكلة الرئيسية داخل السكان الأصليين ليست: "الفاشية أو مناهضة الفاشية"، المشكلة الرئيسية هي: ". الإمبريالية أو معاداة الإمبريالية. " يجب علينا، في الواقع، أن نعتقد أن نظام القمع الذي تمارسه الإمبريالية الفرنسية على الجماهير الأصلية لا يقل فظاعة عن ذلك الذي فرضه هتلر على الشعب الألماني. الأمة الفرنسية ليست أمة الشعب الجزائري. إنها أمة غريبة عن الشعب الجزائري، إنها الأمة الظالمة، إنها أمة الإمبريالية التي ضمت الجزائر لنفسها بالحديد والنار، وهي التي تخضع الأمة الجزائرية للعبودية". يُنظر للملاحق:

Le Temps, Le document communiste, Soixante Quinzieme Annee, N° 27082, Paris, 27 October 1935, p 05.

(2)-Farhat Abbès, En marge du nationalisme La France c'est moi, la Defense, N°95, op cit, p 01.

(3)- يحتاج هذا الموضوع إلى دراسة متعمقة في جميع جوانبه وحيثياته عند التيار الإندماجي، وضرورة إمتلاك الآليات والوسائل اللازمة لمعرفة تداعيات الخطاب على جميع تيارات الحركة الوطنية وموقفها من خطاب فرحات عباس وكيف فهمته من وجهة نظرها في تلك المرحلة والبحث فيما إذا كانت مواقفها متشابهة اتخذت نفس النظرة السلبية من الخطاب، أم أن هناك إتجاهات أيدت فرحات عباس، وإذا كان هناك فعلاً من توافق رأيه مع أفكار فرحات عباس في خطابه هذا فلماذا لم يبرز موقفه بنفس اللهجة الانتقادية التي وجهت للخطاب حينها؟ وهي تساؤلات يمكن العودة إليها في أبحاث قادمة خارج موضوع هذا البحث المتعلق بالتيار الإصلاحي.

(4)- الزواوي بغورة، الخطاب الفكري في الجزائر، المرجع السابق، ص ص 131-132.

الشاعرة" حيث أكد أن الجزائر قبل مجيء الإستعمار الفرنسي كانت معمورة بقوم أشداء وليست ملك للمجموعة الأوروبية<sup>(1)</sup>، كما يراد أن يصور للأهالي.

**-الوطن الجزائري والقومية الجزائرية والأمة الجزائرية:** بالعودة إلى مضمون الخطاب دائما نجد أن فرحات عباس إستمر في دفاعه عن علماء الجمعية أمام فكرة العنصرية التي إتهمهم بها الإستعمار، وبين أنه إذا كان العلماء عنصريين من مبدأ دعوتهم للوحدة الإسلامية، فإنه إتهم رفقة صديقه السياسي بن جلول أيضا بالقومية، وهو إتهام ليس بالجديد ومواقفه حوله معروفة حسب قوله، حيث وضح أن القومية هي ذلك الشعور المشترك بين أفراد الشعب الذي يدفعهم للعيش ضمن حدود جغرافية تكون الأمة، وواصل فرحات عباس رده على الإستعمار بكونه لو عرف شعور القومية هذا سابقا لتمكن من إكتشاف الأمة الجزائرية ولكان قوميا ولن يخل من قوميته التي يتهمه بها الإستعمار وكأنها جريمة، مثنيا على الرجال الذين ماتوا من أجل وطنهم ومشيرا لواجب تكريمهم واحترامهم يوميا، واعتبر فرحات عباس أن حياته لا تساوي شيئا مقابل حياتهم من خلال قوله: "لو كان العلماء "عنصريين" و"وحدة إسلامية"، لكننا نحن، الأصدقاء السياسيون للدكتور بن جلول، قوميين. الاتهام ليس جديدا. لقد تحدثت مع شخصيات مختلفة حول هذه القضية. رأيي معروف. القومية هي الشعور الذي يدفع الشعب للعيش داخل الحدود الإقليمية، وهو الشعور الذي خلق هذه الشبكة من الأمم. لو أنني اكتشفت "الأمة الجزائرية" لكنت قوميا ولن أخجل منها وكأنها جريمة. الرجال الذين ماتوا من أجل المثل الوطني يتم تكريمهم واحترامهم يوميا. حياتي لا تساوي أكثر من حياتهم. ومع ذلك فإنني لن أقدم هذه التضحية. الجزائر كوطن هي خرافة. لم أكتشف ذلك. لقد شككت في التاريخ. استجوبت الأموات والأحياء، زرت المقابر، ولم يخبرني أحد بذلك"<sup>(2)</sup>.

ويظهر نضج الوعي الوطني المبكر عند فرحات عباس من خلال قوله في كتاب الشاب الجزائري: "إننا في بلادنا، ولا يمكننا أن نرحل إلى مكان آخر، هذه هي الأرض التي أطعمت أجدادنا، وهذه الأرض هي التي سوف تطعم أبنائنا، سواء كنا أحرارا أو عبيدا، فهي ملك لنا ونحن ملك لها، ولا نريد أن تركها إلى الهلاك، الجزائر لا تستطيع أن تحيا دوننا، ونحن لا نستطيع أن نحيا دونها، ... العرب-البربر هم من قرروا منذ أربعة عشر قرنا خلت مصير الجزائر، ولا يمكن لهذا المصير أن يتحقق غدا دونهم"، وقد أبان في كلامه هذا عن وعي واضح وصريح بالهوية الحضارية للجزائر<sup>(3)</sup>.

ولعلنا من خلال تمننا في ثنايا الخطاب ندرك أن فرحات عباس عاد في إستدلاله على علاقة الشعور القومي بتكون الأمة الجزائرية إلى إستحضار التاريخ الوطني، وتضحيات أبناء الأمة الجزائرية في سبيل الدفاع عن الوطن، بما فيها خصوصا فترة المقاومات الشعبية، لكنه في نفس الوقت يرفض هذه التضحية لكون فكرة الجزائر الوطن من وجهة نظر الإستعمار

(1)-مصطفى كيجل، جدول الهوية في الخطاب الجزائري المعاصر، المرجع السابق، ص ص 70-71.

(2)-Farhat Abbès, En marge du nationalisme La France c'est moi, la Defense, N°95, op cit, p 01.

(3)-مصطفى كيجل، جدول الهوية في الخطاب الجزائري المعاصر، المرجع السابق، ص 72.

والتي سعى لتكريسها في مدارس الفرنسية التي درس فيها فرحات عباس عبارة عن خرافة لم يجد لها أثرا في الواقع الجزائري، ولم تكرر القومية الحقبة التي أدركها بحكم أصوله الجزائرية فهو من طبقة الأهالي ومحسوب عليها حتى وإن كان تعليمه فرنسياً، ومنطلق التاريخ الذي درسه كان يكرس التاريخ الفرنسي وقوميته بالعودة إلى بطولات الثورة الفرنسية والشخصيات الرومانية، ووصول فرحات إلى هذه المرحلة من الإدراك بأكاذيب الإدارة الإستعمارية في الجزائر<sup>(1)</sup>، يعني فشل المدرسة الإستعمارية في إستيعاب الأهالي الجزائريين والنخبة المتفرنسة والذين عولت عليهم ليكونوا واسطة بينها وبين الأهالي من جهة، ومن جهة أخرى الإبقاء على ذلك التعليم المحدود الذي لا يسمح لهم بالوصول إلى مرحلة الوعي الوطني، وبالتالي إستمرار سياسة الخضوع والسيطرة الإستعمارية، فتجربة فرحات عباس تعتبر نموذجاً لفشل فرنسا الذريع في هذا المجال<sup>(2)</sup>.

وعبر عن هذه الفكرة في إعتراقاته في كتاب الشاب الجزائري قائلاً: "هل كان في إمكان هذا التعليم الفرنسي أن يفقدنا شخصيتنا ويفصلنا عن ماضينا؟ لم أعتقد هذا أبداً، فالإسلام هو وطن روحي بلا حدود، يوجهنا من المهد إلى اللحد، إنه يتمثل الثقافات الشعبية دون أن يذوب فيها، أو حتى يتشوه أو يضعف، وبناء عليه فقد بقيت مسلماً وجزائرياً بكل شعيرات روحي، ولكن الثقافة الفرنسية أعطتني حساً رفيعاً في الحياة، وجعلتني أقدر قيم الديمقراطية والإنسانية الحقيقية، وقد بقيت وفياً لها"، وبالتالي فالثقافة العربية المحدودة لفرحات عباس بحكم جهله للغة العربية الفصحى وتكوينه الغربي لم يكن عائقاً أمام محافظته على عقيدته الإسلامية الصافية وتشبثه بوطنه الروحي<sup>(3)</sup>. وفكرة الفضاء الجزائري الشاغر قبل الإحتلال الفرنسي أشار إليها الزاوي بغورة مبينة أن موضوع الهوية في خطاب فرحات عباس يحيل إلى الطرح الذي جاء به المؤرخ التونسي هشام جعيط<sup>(4)</sup> والنقاش الذي كان دائراً خلال الحركة الوطنية، حيث كتب في مجلة "Jeune Afrique" بتاريخ 10 فيفري 1998 مقالا بعنوان معبر: "الجزائر-التاريخ والوحشية"، أكد وجهة نظره حول ما عملت الحركة الوطنية والنخبة الجزائرية إلى تفنيده بخصوص هوية الجزائر ووجود الدولة الجزائرية من

(1)- لكون فرحات عباس فصل في خطابه بين موقف الكولون المعادي للأهالي في الجزائر، وموقف الحكومة الفرنسية المثلثة في شخص رينيه وزير الداخلية الذي أشار فرحات عباس في بداية الخطاب إلى تصريح رينيه بثقته في الأهالي يُنظر:

Farhat Abbas, En marge du nationalisme La France c'est moi, la Defense, N°95, op cit, p 01.

(2)- يمكن أن يكون رأي فرحات عباس هذا من بين الأسباب التي جعلته ينفصل عن بن جلول ويؤسس حزبا مستقلا يستجيب للأفكار الوطنية التي بدأت تتبلور عنده مع مرور الوقت تمهيدا لبداية تخليه عن الأفكار القديمة التي كان يناضل بها، من منطلق فكره الإندماجي المنعزل في ظل الإستعمار وبمعية، وينتقل إلى مرحلة الإنفصال عنه والإقتراب من القاعدة الشعبية والإحتكاك بتيارات الحركة الوطنية خصوصا جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من منتصف الثلاثينات إلى مرحلة الأربعينيات، وصولاً إلى مرحلة إنضمامه إلى الثورة التحريرية وترأسه للحكومة الجزائرية المؤقتة وكلها مراحل أبانت رغم ما إكتنفها من تناقضات عن تطور فكرة تجاوب فرحات عباس مع تطلعات الأمة الجزائرية وتوجاهت مطالبها فيما يخص موضوع الهوية الوطنية، وتدعم موقفه هذا بعد التجربة النضالية مع الإستعمار وردود فعل فرنسا السلبية اتجاه مطالب الإدماج والمساواة التي دعى إليها فرحات عباس.

(3)- مصطفى كيجل، جدول الهوية في الخطاب الجزائري المعاصر، المرجع السابق، ص 70.

(4)- هشام جعيط: مؤرخ تونسي تخرج من المدرسة العليا للعلوم الاجتماعية سنة 1962، التحق بامركز الوطني للبحث العلمي الفرنسي سني 1969-1970، ناقش رسالة الدكتوراه سنة 1981 حول نشأة مدينة الكوفة في القرن الأول الهجري، ساهم في عدة مقالات وموسوعات كموسوعة تاريخ إفريقيا العام، وعدة كتب أبرزها وأشهرها "الفننة الكبرى"، كما أسس نواة أول مدرسة تاريخية تونسية في الإسلام المبكر وناقش عدة قضايا فكرية مهمة في هذا المجال. يُنظر: مجموعة إدريس جباري وآخرون، جدل الهوية والتاريخ قراءة تونسية في مباحث الدكتور هشام جعيط، منشورات سوتيميديا والمركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، تونس، ط1، 2018، ص ص 20-24.

حيث أصالتها واستمراريتها، من خلال تأكيد المؤرخ على: "أن غياب تقاليد الدولة في منطقة المغرب الأوسط يفسر بالمرة الإستعمار الفرنسي والتراجيديا الحالية.. يقصد الحرب الأهلية غير المعلنة" وهو ما يعيد النقاش إلى نقطة الصفر بطرح التساؤل حول ما إذا كانت الجزائر عرفت فكرة الدولة وأية دولة وما طبيعتها وتاريخها؟ لإدراكنا ما للتاريخ من أهمية في إثراء خصوصية الشعوب وتميز هويتها وثقل تأثيره على المجالات الأخرى، لهذا يرى جعيط أن: "ظهور العنف في الجزائر دليل على غياب الدولة في التاريخ" رغم أن هذا التاريخ عنده لا يتجاوز الفتح الإسلامي للمنطقة، كان خلالها المغرب الأوسط فراغا مهولا على حد تعبيره<sup>(1)</sup>، لكننا ندحض هذه الفكرة لعدة أسباب، منها: أن ما جاء به المؤرخ لا يختلف كثيرا عن الفكر الإستعماري وترسباته لدى بعض النخب، كما أن سرعة تهاوي مدينة الجزائر أمام الإحتلال الفرنسي التي استعان بها المؤرخ لدعم فكرته. راجع إلى إحتلال موازين القوى العسكرية بين الطرفين<sup>(2)</sup>، وهو لا يعني غياب وجود دولة. إضافة إلى أن الجيش الفرنسي كان من الممكن أن يهزم في معركة سطوالي لو كان هناك تحضير جيد لخوض المعركة<sup>(3)</sup>.

والعربي الزيري من جهته أشار أن الحركة الوطنية الجزائرية تميزت بوجود أصناف من الجزائريين فطموا على التعايش مع إدارة الإحتلال، وتشبع جزء منهم بأفكار استعمارية جعلتهم يطالبون بالمساواة الموهومة مع الأوروبيين تارة، ويدعون إلى الإندماج في الشعب الفرنسي والتجنس بجنسيته تارة أخرى، وعملت سلطات الإحتلال الفرنسي على إبقاء هذه الفئة تعيش حالة الأوهام من خلال إصدار قوانين إصلاحية ضلت حبرا على ورق بسبب معارضة المعمرين لها، ومن أجل فصل الشعب الجزائري عن تاريخه ومنطلقاته الحضارية تم اتباع سياسة تجهيلية أصبح على إثرها حوالي 90 % من المجتمع الجزائري أميين<sup>(4)</sup>، وهو ما يعني أن الإقرار بوجود هذه الفئة لم يكن ليؤثر على موقف الغالبية العظمى من الأمة الجزائرية التي بقيت مصممة على الإحتفاظ بهويتها ومقومتها الأصيلة.

ففرحات عباس رئيس حزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري أكد في المؤتمر الوطني الذي انعقد بسطيف في شهر سبتمبر من عام 1948 على رسمية اللسان العربي، وإجبارية تدريس اللغة العربية<sup>(5)</sup>، رغم أنه يعتبر مثالا لنموذج المدافعين عن الأفكار الإستعمارية التي تبناها عدد كبير من الشباب الجزائريين المتخرجين من المدارس الفرنسية، إلا أن شهادته كانت لافتة للنظر، لأنها أكدت أن الاستعمار الفرنسي لم يدخر جهدا لاستعباد الجزائريين، فقد انتزع من الجزائر إسلامها وعروبته، وكل الجهود التي بذلت خلال قرن من الاستعمار كانت تصب في هذا الاتجاه، لأن تدريس اللغة العربية في المدارس العامة أو حتى في ما يسمى بالمدارس (الرسمية) كان شبه معدوم، حيث اعتبرها الإستعمار لغة ملعونة<sup>(6)</sup>، وهو ما يعني أن هذا الطرح الذي جاء من فرحات عباس المحسوب على الاتجاه الإدماجي توافقت مع التوجه العام

(1)-الزاوي بغورة، الخطاب الفكري في الجزائر، المرجع السابق، ص 145-146.

(2)-عبد الوهاب بن خلف، تاريخ الحركة الوطنية من الإحتلال إلى الإستقلال، المرجع السابق، ص 48.

(3)-حمدان بن عثمان خوجة، المرأة، تقدم وتغريب محمد العربي الزيري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975، ص 188-189.

(4)-محمد العربي الزيري، أسباب فشل نظام الحكم في إعادة بناء الدولة الجزائرية، المرجع السابق، ص 167-168.

(5)-يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 71.

(6)-Ahmed Sarri, op cit , pp 63-64.



لعدد كبير من إتجاهات الحركة الوطنية ذات المطالب الوطنية والتي جسدت المطالب الشعبية للجزائريين، وفي مقدمتها جمعية العلماء المسلمين التي كانت من أكبر المدافعين عن اللغة العربية ضد الإستعمار.

وإذا ما عدنا إلى شخصية فرحات عباس فنجد أنه يقف من حين لآخر لنفض الغبار عن مساره النضالي، وتخليصه من السلبيات واستبدالها بالإيجابيات إنطلاقاً من التجربة الميدانية، فهو في ريعان شبابه أعلن بملء فمه أنه بحث عن الجزائر في كتب التاريخ وسأل الأحياء والأموات لعلمهم فيفيدونه علماً، لكنه من دون جدوى، وانتهى إلى القول "كيف يكون البناء على الرمل؟"، وهذه النظرة الغربية التي تكونت لديه من المدرسة ومن علاقته مع الأوروبيين الذين ركن إليهم قد ألغاهما بقرار فردي واستبدالها بموقف حيادي، ثم انتقل إلى المطالبة بالمساواة وتقربه من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ثم تجاوز جميع العقبات والتحق بالحركة الوطنية فتبنى بيان الشعب الجزائري، والتزم بالنضال ضمن الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، وفي الأخير كانت له الشجاعة ليلتحق بجمهة التحرير الوطني<sup>(1)</sup>.

رغم أن سياسة الاندماج التي إتبعها بعض النخب الجزائرية الذين أنتجتهم المدرسة الفرنسية كوسيلة للحصول على حقوقها، إلا أنه بقي مشروع مستحيل التحقيق، لأن إنشاء مجتمع أهلي جديد ثقافياً وإدارياً، تتعارض كلياً مع المنطق الاستعماري للدمج، فهناك علاقة تنافر بنوي عميق تغذيه عدة أسباب، وعلى رأسها نظرة الاستعمار المتعالية نحو الأهالي، والقائمة على فكرة أن «العربي بطبعه سارق وقاتل ويحمل ثقافياً نزوعاً للهروب من الحضارة»<sup>(2)</sup>، فهناك شرح كبير عمقته المصلحة الاقتصادية للمعمرين في حاجتهم ليد عاملة تخدم أراضيهم، في مقابل حاجة الجزائريين إلى دخل يحفظهم من الفقر بعد ما لحق بهم جراء تفكيك الريف « فلقد أصبح الريف بلا ناس والناس بلا ريف وانغلقت نوافذ النور وساد الظلام فانطوى الفلاح على نفسه ولعل في أعماقه بقي حد سيعطيه أمل البقاء ليوم تعود فيه الحياة الكريمة »<sup>(3)</sup>، وبالتالي فالمنهج الاستعماري الذي قام على نزع المصادقية عن الأهالي، عن طريق التفكيك للرمز والمعتقد، خلق صراع خفي وحقيقي، بين مؤسسات الاحتلال جيشاً وإدارة وقضاء ومدرسة، وبين المرجعية الباطنية لمقومات الأمن الوجداني للأهالي، التي وإن بدى في مراحل تاريخية أن مظاهرها قد خفت، إلا أنها ما تلبث أن تنتفض، قابلة كل المخططات ومشعلة فتيل أزمت تتحول في الأخير إلى ثورة يصعب توقع نتائجها، ما يعني أن القوة المادية ليست دائماً مصدر للغلبة، فهناك قوة تغذيها ضمناً تدفقات رمزية لا تستطيع القوة المادية أن تكبحها ولا حتى تحتويها، وهذا ما لم يفهمه الاستعمار الفرنسي، فالقوة الروحية للمعتقد الديني للوجدان الجزائري هي التي لطالما حولت الضعف إلى قوة بالاعتماد على مقومات روحية لزرع فكرة إمكانية عودة الروح<sup>(4)</sup>.

(1) - محمد العربي الزيري، أسباب فشل نظام الحكم في إعادة بناء الدولة الجزائرية، المرجع السابق، ص 173.

(2) - Annie Rey Goldziguer , le Royaume arabes « la politique algérienne de Napoléon III (1861-1870) », ENAG, Alger , 2010 , p 635.

(3) - محمد الطيبي، الجزائر عشية الغزو الإحتلالي، المرجع السابق، ص 236.

(4) - نفسه، ص 237.

### المطلب الثالث: الهوية في برنامج وخطاب التيار الشيوعي.

لقي موقف الطيب العقبي من "قرار ميشال" رسالة مساندة من قبل أعضاء التيار الشيوعي الجزائري، الذي لم يتأخر عن الإسراع في توزيع منشور حول مظاهرات 24 فيفري 1933، صادر عن الفرع الجزائري للحزب الشيوعي، دعي فيه الأهالي إلى النضال من أجل إلغاء القرار، ونوه في دعوته أن الإدارة الإستعمارية تنتزع من الأهالي آخر ما تبقى لهم من حرية دينية بعد منعهم من التجمعات التي تسمح لهم بالدفاع عن حقوقهم الشرعية، واستفسر عن حالة الصمت التي لاقتها المظاهرات التي قام بها العمال من جميع التيارات الوطنية، سواء جمعية العلماء المسلمين أو الشيخ العقبي نفسه، أو من قبل النواب، ودعى المنشور الجزائريين إلى التظاهر ضد رجال الدين المواليين للإدارة الاستعمارية، والإعتصام أمام مسجد لايشيري، للمطالبة بفصل الدين عن الحكومة، وعلى الرغم من أن هناك من اعتبر هذه الدعوة محاولة إثارة للشغب، فإن ابن باديس قام بسحب 10,000 نسخة من المنشور، ودعى إلى التهدئة وترك رجال الأمة كما أسماهم ورجال الحكومة يهتمون بالقضية<sup>(1)</sup>.

ونتيجة للتطورات الحاصلة في الحركة الوطنية والقمع الإستعماري، أفرزت الأوضاع منع لحركة التغيير وتزايد عنصرية الكولون، خطابًا وطنيًا ثوريًا، يتنافى مع الشرعية الإستعمارية، ولا يؤمن بقوانينها للمطالبة بحقوقه، بل يرى أن الحل يكمن في اجتثاث الإستعمار من جذوره، وهي إيديولوجية لم تتسامح معها فرنسا<sup>(2)</sup>.

### المبحث الثالث: موقف جمعية العلماء من الهوية عند تيارات الحركة الوطنية.

إعتبرت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين نفسها ممثلاً عن الأمة الجزائرية والناطق باسم الشعب الجزائري فيما يخص المواضيع التي تدور حول الهوية الوطنية، فهي التي واصلت مهمة النضال الوطني للشعب الجزائري المستمر منذ دخول الاحتلال الفرنسي للبلاد، ورفعت لواء المقاومة ضد كل ما يتعلق بالهوية الوطنية ويمس بالشخصية العربية الإسلامية للأمة الجزائرية، فعلماء الجمعية كانوا مدركين جيداً أن الحرية تأخذ ولا تعطى، لذلك لم تلهمهم متعة الحياة ولم تشغلهم قساوة الظروف الإستعمارية عن النضال ضد الاحتلال فكرياً وجسدياً ومادياً ومعنوياً، لأنهم ولدوا من الشجاعة والمروءة والنخوة العربية الإسلامية وهي مقومات تميز الشخصية الجزائرية التي صقلت عبر التاريخ فأصبحت عنواناً للبطولات والأجساد التي حققها رجالها، وصفحات مضيئة لشعب يرفض السيطرة والخضوع للآخر، ولا يرضى إلا بالحرية أسلوباً لحياته<sup>(3)</sup>.

ومع التطورات السياسية للقرن 20م ركزت أغلب تيارات الحركة الوطنية على النضال السياسي من خلال اعتماد جهاد القلم والتربية الروحية ونشر الوعي السياسي عبر مختلف قنوات التواصل مع المجتمع الجزائري، بهدف التصدي لجميع المخططات التي مسّت بالهوية الوطنية وعملت على تغيير الخصوصية الاجتماعية للشعب الجزائري<sup>(4)</sup>، وجهاد القلم والتربية الروحية ونشر الوعي تعتبر من الطرق التي إنتهجها ابن باديس منذ بداية نضاله الإصلاحي، وهي نفس الأساليب

(1) -عفاف زقور، العلماء وجدل المرجعية الدينية في الجزائر، المرجع السابق، ص ص41-42.

(2) - أحمد حمدي، جذور الخطاب الايديولوجي الجزائري، المرجع السابق، ص ص116-117.

(3) -أحمد بن نعمان، سمات الشخصية الجزائرية من منظور الأنثروبولوجيا النفسية، دار النعمان للطباعة والنشر، الجزائر، 2017م، ص ص283-298.

(4) -رضوان شافو، إشكالية مفهوم الهوية الوطنية الجزائرية عند الجزائريين، المرجع السابق، ص 67.

التي نادت بها الجمعية منذ تأسيسها من خلال ما جاء في قانونها الأساسي، بهدف إحياء مقومات الهوية الوطنية للأمة الجزائرية، خصوصاً عند مخاطبة الشباب الجزائري الذي يعول عليه لتخليص الأمة من ريق الإستعمار.

ويظهر موقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من الهوية عند تيارات الحركة الوطنية من خلال ما يلي:

#### المطلب الأول: موقف الجمعية من الهوية عند التيار الإستقلالي.

من المواقف السياسية التي طبعت علاقة جمعية العلماء المسلمين بالتيار الإستقلالي ذلك اللقاء الذي تم بين الشيخ الإمام ابن باديس ومصالي الحاج رئيس حزب الشعب عند دخوله إلى الجزائر سنة 1936 بعد نشاط حركة الإصلاح وتطور نشاط الأحزاب السياسية على المستوى الوطني وتغلغلها وسط الجماهير، ما سمح ببداية تشكل رأي عام وطني متفتح، وكأن فرنسا من خلال سماحها لمصالي الحاج بإعادة تنظيم صفوف حزبه بالجزائر ينم عن رغبتها في منافسته للأحزاب السياسية والجمعيات الأخرى لتعطيل الجهود الوطنية وضربها لحركات النهضة ببعضها<sup>(1)</sup>، وعلى حسب رواية الشيخ خير الدين فإن اللقاء الذي تم بين الشخصيتين كان بطلب من الشيخ ابن باديس، ومن جملة ما قاله في هذا اللقاء: "إن فرنسا متربصة بحركتنا الوطنية كلها وتود القضاء عليها بأيدينا فتزرع فينا الخلاف والشقاق حتى يأكل بعضنا بعضاً، ولذلك فإني أشجعك في الدعوة إلى الحرية والاستقلال والعمل بأي دستور حزبي تراه ولا اعتراض لنا على ذلك، ولكنني أحذرك من الصدام مع الهيئات والأحزاب السياسية الوطنية"، فأبدى قبولاً حسناً<sup>(2)</sup>، وكانت الجمعية ترى أن المطلب الإستقلالي لم يكن أوانه بعد. فيما تتفق مطالب النجم مع جمعية العلماء المسلمين جزئياً فيما يتعلق بمبادئ الهوية، من حيث إلزامية التعليم ومجانيته، وجعل تعليم اللغة العربية إجبارياً في جميع المراحل التعليمية، وهذا نتيجة التقارب الفكري والمبادئ وتأييد حزب الشعب لمطالب الجمعية فيما يخص حرية التعليم العربي والمحافظة على الشخصية الجزائرية لكن دون التوسع في المطالب الدينية كفصل الدين عن الدولة<sup>(3)</sup>.

كما حدثت مقابلة أخرى بين مصالي الحاج وفريق من جمعية العلماء بقيادة الشيخ البشير الإبراهيمي والشيخ العربي التبسي والشيخ خير الدين سنة 1947 بمناسبة انتخابات النواب، وعبر الشيخ البشير الإبراهيمي في هذه المقابلة عن رغبته في توحيد كلمة الجزائريين في الانتخابات آملاً في عدم تفويت الفرصة على النواب المسلمين المخلصين نتيجة خلاف التيار الاستقلالي معهم، وبين الإبراهيمي أن توحيد المعمرين لكلمتهم يفرض على الجزائريين اتخاذ نفس المنحى وعدم التنازع فيما بينهم لكي لا تضع الجهود الوطنية، وفي المقابل أبدى مصالي الحاج قبولاً حسناً لنصيحة الإبراهيمي إلا أنه لم يوفي بوعد له<sup>(4)</sup>.

لقد جعل هذا الأمر الإبراهيمي يصدر بلاغاً باسم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين إلى الأمة الجزائرية عبر فيه عن وجهة نظره نحو دستور الجزائر لسنة 1947 قائلاً: "أيتها الأمة العربية، إن الدستور الذي وضعته الحكومة الفرنسية

(1)- محمد خير الدين، مذكرات، ج 01، المصدر السابق، ص 250-251.

(2)- نفسه، ص 251.

(3)- مازن صالح حامد مطبقاتي، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية 1931-1939، عالم الأفكار، الجزائر، 2011، ص 149-150.

(4)- المصدر السابق، ص 251-252.

للجزائر ووافق عليها برلمانها في أكتوبر 1947م هو دستور ناقص من جميع جهاته لم يحقق رغبة واحدة من الرغائب الوطنية للجزائر وآفته أنه فرض عليها فرضا ولم يأخذ رأيها فيه والدستور النافع هو الذي يكون للأمة رأي في وضعه واختيار منهاجه ويد في تشريعه ويكون ناشئا عن إرادتها ليكون محققا لرغائبها ولتلك الآفة لم يرضى حزب من أحزاب الأمة ولا نائب من نوابها على اختلاف مشاربهم الحزبية وعلى تفاوت حظوظهم في الوطنية، بل قابله جميعهم بالاستنكار<sup>(1)</sup>، كما علق الإبراهيمي على المجلس الجزائري المكلف بتنفيذ ذلك الدستور بأنه هو أيضا مجلس ناقص، مؤكدا على أنه من واجب الأمة الجزائرية بحارة الظروف باستغلال الإيجابيات التي يتضمنها هذا الدستور على قلتها، أما عن دور الجمعية فقال: "جمعية العلماء التي هي جمعية الأمة كلها، تفرض عليها حقيقتها ووضعيتها أن تكون فوق الطوائف والأحزاب لتكون حكما بينهم إذا اختلفوا على مصلحة وهي لا تستمد حكمها إلا من منطق الواقع والحكمة والمصلحة العامة والنظر البعيد"<sup>(2)</sup>.

وبناء على هذا المبدأ قدم البشير الإبراهيمي إلى الأمة الجزائرية بأحزابها وهيئاتها وأفرادها جملة من الحقائق تمثلت في إستنكار الجمعية بالاعتقاد والقول الصريح بالخلافات التي حدثت بين الأحزاب وما انجر عنه من أحقاد ضيعت المصلحة الوطنية، وعملت على إزالته لإدراكها مدى عواقبه الوخيمة من تمزيق لشمل الأمة وإضعاف لقوتها، وهو تضييع لمصلحة الوطن والأمة وخدمة لمصلحة المستعمر وأعداء الأمة، وقد عملت الجمعية بجدية على التقريب بين الأحزاب وإقرار روح الأخوة والتسامح وتوحيد الجهود والكفاءات لخدمة المصلحة الحقيقية الوطنية، وهي لازالت في مسعاها لجمع الكلمة لم تئأس ولم تفشل مستغلة الفرص لتوحيد الأحزاب على المصلحة الوطنية العامة للوطن لاعتقادها أن الاتحاد الذي تنشده الأمة وتعلق آمالها على جمعية العلماء في تحقيقه سيكون لا محالة، وليس من مصلحة الجمعية ولا الأحزاب ولا مقتضيات الذوق شرح مساعي الاتحاد في هذه الظروف<sup>(3)</sup>.

كما نوهت الجمعية باسم الإبراهيمي بضرورة تجريد الأحزاب الداعية للانتخاب لدعايتها من إثارة الأحقاد بين الجزائريين وتبني المبادئ والبرامج ووسائل تحقيقها، وتعزيز مبدأ الأخوة وجمع الكلمة، ونادت عقلاء الأمة إلى ضرورة إلزام الدعاة عند حدود الاعتدال لأنها من أسس التربية الصحيحة للأمة وافهامهم أن الأولى صرف هذه الطاقة في مكافحة الاستعمار، كما رأت الجمعية وجوب تحكيم المصلحة العليا للوطن بهدف التعاون لسد الطريق في وجه الانتفاعيين لأنفسهم، واعتبرت إعطاء المواطن لورقته شهادة للوطن أو عليه، وأن تضييع حقوق الوطن يعود عليه بعواقب وخيمة، لذلك نصح الإبراهيمي بضرورة مطالبة الأمة الجزائرية بحقوقها السياسية ورفع سقف مطالبهم دحضا للمزاعم الفرنسية التي تروج أن الجزائريين لا يطلبون إلا الخبز والثياب<sup>(4)</sup>، ما يعني أن الإبراهيمي دعى التيار الإستقلالي وباقي الأحزاب إلى التركيز على الوحدة الوطنية للجزائريين وتوجيهها ضد الإستعمار الفرنسي، وإثبات وجود الشخصية الجزائرية من خلال

(1)- محمد خير الدين، مذكرات، ج 01، المصدر السابق، ص 252.

(2)- نفسه والصفحة.

(3)- نفسه، ص ص 252-253.

(4)- محمد البشير الإبراهيمي، بلاغ من المجلس الإداري لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين إلى الأمة العربية الجزائرية، البصائر، العدد 29، 18 جمادى الأولى 1367 هـ / 29 مارس 1948م.

دفاع الأمة عن حقوقها السياسية التي تسمح لها بممارسة سيادتها على نفسها باعتبارها أمة وشعبا مستقلا في هويته عن فرنسا.

يظهر تقاطع إهتمام جمعية العلماء المسلمين الجزائريين باللغة العربية مع إهتمام أحزاب الحركة الوطنية بنفس المسألة من خلال تصدر هذا المطلب لقائمة برامجهم، إضافة لإصدار عدة صحف باللغة العربية بما فيها التيار الإندماجي، ففي فترة العشرينات أصدر ابن باديس وابن اليقضان لصحف باللغة العربية، ولم يجد نجم شمال إفريقيا عن هذا النهج رغم أنه كان خارج الوطن، حيث طالب مناضلوه بتعليم اللغة العربية في الجزائر، من خلال مناداة مصالي الحاج في مؤتمر بروكسل سنة 1927، بإنشاء المدارس الخاصة بتعليم اللغة العربية، وبعد تنظيم الحزب ضمن إطاره الجزائري أدرج المادة 08 في برنامجه الجديد التي نصت على إجبارية تعليم اللغة العربية، بالإضافة إلى مادة أخرى نصت على مجانية ولإلزامية التعليم باللغة العربية في جميع مراحلها<sup>(1)</sup>.

وتعزيزا لهذا المبدأ أصدر حزب الشعب جريدة باللغة العربية سنة 1937 حملت إسم "الشعب"، كما طالب سنة 1938 بإصدار مرسوم يجعل اللغة العربية إجبارية في جميع المستويات التعليمية، مع الحرية المطلقة في التعليم العربي الحر، وهو ما يعد إنتصارا لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي تمارس هذا النوع من التعليم، وكانت تتعرض للإضطهادات القاسية من الإدارة الإستعمارية عن طريق "قرار ميشال" سنة 1933، وقرار "رينيه" سنة 1935، وبهذا أصبح مطلب اللغة العربية من ضمن المطالب الشرعية والوطنية لغالبية أحزاب الحركة الوطنية<sup>(2)</sup>، إضافة إلى دفاع نجم شمال إفريقيا سنة 1934 عن الجمعية والوقوف إلى جانب الشيخ العقبي عند منعه من إلقاء المحاضرات الدينية في المساجد، وكذا عندما كانت اللجنة الوزارية المشتركة المكلفة بالشؤون الإسلامية تحيك المؤامرات ضد اللغة العربية والإسلام، وعلى إثر إصدار "منشور ميشال"، نظم التيار الاستقلالي تجمعًا جماهيريًا ضخماً دعماً للجمعية<sup>(3)</sup>.

كما يظهر تقاطع جمعية العلماء مع حزب الشعب في رفض فكرة إندماج الجزائر مع فرنسا، فإذا كان موقف التيار الإستقلالي كان الرفض الصريح لما جاء في مشروع "بلوم-فيوليت"، فإن جمعية العلماء المسلمين تجاوبت معه باعتباره حل للقضية الجزائرية مع الإستعمار متأملة في الحصول على بعض الحقوق للجزائريين، لكنها ربطت تجاوبها هذا بموافقة حكومة فرنسا على مطالب الأمة الجزائرية التي ضبطتها في مقترحات المؤتمر الإسلامي، مؤكدة على شرط بقاء الجزائريين محافظين على أحوالهم الشخصية وثوابت هويتهم الوطنية، وهو ما رفضته فرنسا.

ورغم وجود إتفاق حول مقومات الهوية الوطنية عند جمعية العلماء التيار الإستقلالي، إلا أن تصور جمعية العلماء المسلمين ومعها ابن باديس يختلف في نظرتهم للمسألة من حيث أهمية إثارتها عن مصالي الحاج ونجم شمال إفريقيا ومن

(1)-حسان صبحي ، العقيدة التربوية الإستعمارية الفرنسية في الجزائر، المرجع السابق، ص ص 352-353.

(2)-نفسه ، ص ص 345.

(3)-L'Etoile Nord-Africaine et L'Association des Oulams « Mise au point », El Ouma, Cinqueme Annee , N° 44, Novembre-Décembre 1936, p 01.

بعده حزب الشعب وحركه انتصار الحريات الديمقراطية، فلم يشكل موضوع الهوية عند التيار الإستقلالي مسألة مركزية تستدعي اهتماماته السياسية والإيديولوجية، فهو لم يكن ينظر إلى موضوع الهوية على أنه مشكلة واقعية تحتاج لحل، بقدر ما كان يراها مشكلة فكرية تنحصر ضمن النخب لا أكثر، لانطلاقه من قناعة أن الجزائر أمة قائمة بذاتها، لها من الخصائص التي نجدها عند باقي الأمم المختلفة عنها<sup>(1)</sup>، فحزب الشعب لم يكن مدرسة فكرية بقدر ما كان وسيلة نضالية للكفاح، لذا إنتهج طرق سياسية لحل المشكلة باتخاذ مواقف سياسية ضد كل من يخالف التوجه العروبي، عن طريق الإقصاء والإبعاد والاستهجان، واتسمت مواقف بعض القياديين بالتطرف ضد كل من يخالف الفكرة، التي تقر بأن: "الجزائر أمة قائمة بذاتها"، خصوصاً بعد اعتناق التيار الوطني للأفكار الإصلاحية، والتصور الذي وضعه ابن باديس، القائم على ثلاث ركائز "الجزائر وطننا والعربية لغتنا والإسلام ديننا"، وهو الشعار الذي أصبح قناعة ارتفعت إلى مستوى المسلمات البديهيّة عند عامه الجزائريين، على الرغم من المخاطر التي تنجر عن هذا الأمر، وستواجهها الدولة الجزائرية بعد الاستقلال<sup>(2)</sup>، لكن هذه الفكرة لا تعكس ما واجهه الحزب سنة 1949 من مشاكل نتيجة "المسألة البربرية" أو "الأمازيغية" التي شهدت صراعاً فكرياً قوياً وصل به إلى درجة الانشقاق، بين من ينادي بـ: "الجزائر الجزائرية" في مقابل المنادين بـ: "الجزائر العربية"<sup>(3)</sup>.

### المطلب الثاني: موقف الجمعية من الهوية عند التيار الإدماجي.

قبل عرض موقف جمعية العلماء من الهوية عند التيار الإدماجي يجب التنويه إلى ضرورة التمييز بين فدرالية المنتخبين الجزائريين بقيادة الصالح بن جللول والحزب الديمقراطي بقيادة فرحات عباس اللذان تميزا بمطالب إندماجية معتدلة أو ما يطلق عليه بدعاة المساواة في الحقوق لكن دون التخلي عن الأحوال الشخصية، على عكس بعض النخب الجزائرية المتفرنسة التي غرقتها الثقافة الاستعمارية فتجنست بالفرنسية، متجاوبة مع تشريع التجنيس الشامل للجزائريين مقابل التخلي عن الأحوال الشخصية مثل الشريف بن حبيلس وسعيد قاسي، ورابح زياتي<sup>(4)</sup>. واعتبرت جمعية العلماء التيار الإدماجي الداعي للتجنيس مقابل التخلي عن الأحوال الشخصية من أخطر الاتجاهات وأبعدها عن فهم حقيقة الشخصية الجزائرية، وبينت موقفها المعادي لهذا الإتجاه بسبب مساسه بالهوية الوطنية وتعارض مطالبه مع مقومات وثوابت الأمة الجزائرية من خلال ما أوضحه الشيخ خير الدين من دعوة المتجنسين إلى:

(1)-Mohamed Harbi, 1954 la guerre commence en Algérie, Editions complexe, Bruxelles, 3<sup>eme</sup> edition, 1998, p 121.

(2)-الزاوي بغورة، الخطاب الفكري في الجزائر، المرجع السابق، ص 135.

(3)-Mohamed Harbi, Aux Origines du FLN « la population révolutionnaire en Algérie », Edition Christiane bourgeois Editeur, Paris, 1975, pp 35,114.

(4)-كانت له خلافات مع الصالح بن جللول واصفا إياه مع فدرالية المنتخبين بالذين يعانون من عقدة الدونية، وانتقد النزعة الوطنية الاستقلالية عند مصالي الحاج والنزعة الدينية عند ابن باديس. أنظر: نور الدين ثنيو، نقد الحركة الإصلاحية الجزائرية "رابح زياتي"، شركة الأصالة، الجزائر، 2020، ص ص 05-10.



-الإندماج التام في فرنسا ونبذ الشخصية الجزائرية وتزييفها، وقطع كل صلة بأهم مقوماتها الأساسية من عقيدة إسلامية وحضارة عربية، وإدماج الشعب الجزائري في الأمة والحضارة الفرنسية ليصبح جزءاً لا يتجزأ منها، وقد بنى هذا الرأي جماعة من الجزائريين الذين تجنسوا بالجنسية الفرنسية دينياً ومدنياً، يقودهم "الربيع الزناتي" صاحب جريدة "صوت الأهالي" الأسبوعية الصادرة باللغة الفرنسية بقسنطينة.

-اعتناق الجنسية الفرنسية وإطلاق الحرية الدينية، ومثل هذا الاتجاه عدد من المعلمين الجزائريين المتخرجين من مدرسة إعداد المعلمين الجزائريين، تزعمهم العربي طاهرات أحد كبار الجزائريين في الحزب الاشتراكي الفرنسي ومدير مجلة "صوت المستضعفين" باللغة الفرنسية بقسنطينة، ورغم اعتدال مطالب هذا الاتجاه عن الرأي الأول، إلا أنه بقي بعيداً عن أهداف وحقيقة مطالب الشعب الجزائري، فقد دعى أصحاب هذا الاتجاه إلى منح الشعب الجزائري الجنسية الفرنسية للتمتع بها على نفس درجة تمتع الفرنسيين المقيمين في الجزائر بها، وترك الحرية الدينية مكفولة للجزائريين، مع حرية اختار كل انسان عقيدته التي يرتضي بها كما هو الحال في فرنسا<sup>(1)</sup>.

-الجمود والولاء لفرنسا بهدف الحفاظ على مصالح فئة معينة والإبقاء على مناصبهم وإرضاء الإدارة الفرنسية الحاكمة، ومثل هذا الاتجاه القسم الأكبر من أعضاء جماعة النواب المسلمين الجزائريين في العمالات الجزائرية أغلبهم كانوا يفوزون بالتزكية من قبل الوالي العام الفرنسي ويتمتعون بثقة المعمرين الفرنسيين الذين يعتبرونهم طبقة ممتازة ويسموهم بالقسم الأول وباقي الجزائريين بالقسم الثاني.

- تأسيس حكومة وطنية جزائرية ذات سيادة تضم تحت لوائها سكان الجزائر من المتمسكين بشخصيتهم العربية الإسلامية والمستوطنين من اليهود والمسيحيين، وترتبط هذه الحكومة الجزائرية بالاتحاد الفرنسي ارتباط دولة مستقلة بدولة أخرى مستقلة، وقد اقترب أصحاب هذا الاتجاه من مطالب الشعب الجزائري إلا أنهم رأوا في الانفصال التام عن فرنسا أمر عسير، ومثل هذا الاتجاه حزب البيان الجزائري بزعامة فرحات عباس<sup>(2)</sup>.

أما موقف جمعية العلماء المسلمين من الهوية الوطنية عند التوجه الإندماجي الثاني ذو الطابع الإعتدالي فيظهر من خلال تعاون العلماء مع ابن جلول حول مسألة الدين الإسلامي من أجل محاولة حل قضية التعليم المسجدي لدى الحاكم العام، عن طريق تشكييل وفد قسنطيني تكون من زروق محي الدين، وابن سيام وتامزالي، وتزعمه ابن جلول، بالإضافة إلى ابن باديس، في عهد وزير الداخلية "كاميل شوتان-Camille Chautemps" الذي رفض إستقبال الوفد<sup>(3)</sup>.

(1)- محمد خير الدين، مذكرات، ج 01، المصدر السابق، ص 271.

(2)- نفسه ، ص 272.

(3) -عفاف زقور، العلماء وجدل المرجعية الدينية في الجزائر، المرجع السابق، ص 40-41.

فيما ذكر ابن باديس خلال إجتماع الجمعيات الإسلامية الجزائرية والفرنسية قائلا: "... نشكر ابن جلول وجمعية النواب على الإهتمام بالصالح العام وخدمته بهذه الطريقة، طريقة الإتحاد والتعاون على الأعمال..."<sup>(1)</sup>، وقد أشار ابن باديس إلى أهم الأفكار المستخلصة من الإجتماع والمتعلقة بمساعي الأمة الجزائرية لتغيير وضعها السيء الذي وصلت إليه بعد إدراكها للجهات التي يمكن التعامل معها لخدمة الصالح العام للوطن، حيث قال: "... ومما يستنتج من هذا الإجتماع أن روح المطالبة بالحقوق لم تمت في الأمة، وأن الأمة تشعر بثقل وطأة الحالة الحاضرة المرهقة فأرادت التخلص منها بتجديد السعي الجدي والعمل المتحد، وأن الأمة برهنت مرة أخرى على مطالبتها بحرية تعلمها لدينها ولغة دينها وأن الأمة أدركت من هم الذين يمكن أن تعمل معهم من الفرنسيين في الصالح العام، وهم الذين كنا نحن أول الأمر صرحا بأنهم أقرب الطرفين إلى الحرية واحترام حقوق الناس، وأن الجمعيات الحرة كلها شاركت في الإجتماع وأن الجمعية الطرقية جمعية لا تملك أمر نفسها ونعني أولئك السادة الرؤساء لا إخواننا المعزورين بهم الذين سيضمون موقفهم هذا إلى مواقفهم الأخرى المعلومة التي يبرؤون إلى الله منها، وسيأتي يوم - وليس ببعيد - يبرؤون إلى الله منهم!"<sup>(2)</sup>.

رغم مشاركة محمد الصالح ابن جلول في المؤتمر الإسلامي الذي دعى إليه ابن باديس رئيس جمعية العلماء المسلمين، إلا أن أبو يعلي الزاوي وجه له إنتقادا لاذعا نتيجة تصريحاته في جريدة فرنسية بخطورة العودة بالإسلام إلى أصوله الأولى، حيث أكد الزاوي أن ابن جلول لم يدرس شيئا من العلوم الشرعية المبنية على القرآن والسنة الصحيحة، ووصفه أنه جاهل متفرنج، ونصحه بالإطلاع على مجموعة من الكتب الأجنبية لكتاب فرنسيين وإنجليز أشادوا بالإسلام<sup>(3)</sup>، كما أن ابن جلول سعى لتغيير ابن باديس لموقفه، بعد الصدى الذي خلفه نشر التقارير الفرنسية لإعلان العلماء المسلمين إتخاذ موقف الحياد من الحرب، وبقي ابن باديس مصرا على موقفه لإدراكه عدم نية فرنسا تغيير سياستها اتجاه المسلمين<sup>(4)</sup>.

كما أن المتتبع لردود فعل تيارات الحركة الوطنية، وتطورات المواقف، وسير الأحداث حول خطاب فرحات عباس "فرنسا هي أنا" يجد أنها تصب في الطرح المؤيد لسقوطه في أطروحة الأيديولوجية الإستعمارية، خاصة وأن الردود كانت لأطراف فاعلة وواعية بأهدافها، لذا لا يمكن إلا مساءلتها أو وضعها بين قوسين لماذا؟ لأن خطابات فرحات عباس تبين أنه كان على وعي تام بفرضية الأيديولوجية الإستعمارية، والقائمة على: "أن الجزائر تم احتلالها لأنها لم تكن تتمتع بالسيادة، فلطالما كانت نهبا للأجنبي، ويوم احتلالها من قبل الفرنسيين كانت تعيش حالة من الفوضى"، وهذه الفرضية الأيديولوجية هي نفسها التي عملت على محو الكيان الجزائري، وفق حملة من الأساليب كالتغريب والتهجير

(1) - عبد الحميد ابن باديس، في سبيل الإتحاد والعمل، البصائر، العدد 125، 08 جمادى الثانية 1357هـ / 5 أوت 1938م، ص01.

(2) - نفسه.

(3) - أبو يعلي الزاوي، الدكتور ابن جلول وقوله في الإسلام إذا رجع إلى أصله أنه خطر، البصائر، العدد 45، 12 رمضان 1355هـ / 27 نوفمبر 1936.

(4) - عفاف زقور، العلماء وجدل المرجعية الدينية في الجزائر، المرجع السابق، ص50.

والإبعاد والإقصاء والإدماج والتنصير، ما يدل على أن هذه الأيديولوجية كانت تقاوم شيئاً لم تصرح به، وهذه الأساليب التي جعلت الفكر الجزائري ينتبه إلى هويته، ويعمل على بناء مقومات حياته على أسس جديدة، بعد أن سلب منه الاستعمار بلاده وأبعده بالقوة من المدنية التي كان يعيشها<sup>(1)</sup>، وكما أشرنا سابقاً فإن فكرة "الجزائر الشاغرة" هذه كان قد تصدى لها فرحات عباس في إعتزافاته على صفحات كتابه "الشباب الجزائري".

من هنا يظهر أن التفكير في موضوع الهوية الوطنية وبداية طرحه على الساحة الجزائرية كان بعد توالي الردود على خطاب فرحات عباس سنة 1936، بداية من عبد الحميد ابن باديس في أبريل 1936، أي بعد شهرين من صدور مقال فرحات عباس، وكان أول رد مباشر مقارنة بردود باقي تيارات الحركة الوطنية، وجاء الرد في جريدة "الشهاب" تحت عنوان "كلمة صريحة"<sup>(2)</sup>، كان رد ابن باديس على فرحات عباس ردّاً مباشراً، لم يتأتى له إلا بعد أن عقد مقارنة دقيقة بين الطرقية ممثلة في شخص "ابن عليوة" الذي كان ينادي "أنا الله" وبين فرحات عباس الإندماجي الذي قال "أنا فرنسا"، وهو ما يوضح لنا أن الصراع ضد الطرقية والإندماجية صراع واحد، حتى وإن اختلفت مظاهره<sup>(3)</sup>. مع أن فرحات عباس نفسه صرح في بعض مواقفه مناهضته للطرقية ووقوفه في صف الحركة الإصلاحية لجمعية العلماء.

وجاء رد ابن باديس في "كلمه صريحة" قائلاً "... لا يا سادتي! إننا فتشنا في صحف التاريخ، وفتشنا في الحالة الحاضرة، فوجدنا الأمة الجزائرية المسلمة متكونة موجودة، كما تكونت ووجدت كل أمم الدنيا، ولهذه الأمة تاريخها الحافل بجلائل الأعمال، ولها وحدتها الدينية واللغوية، ولها ثقافتها الخاصة، وعوائدها واختلافها، بما فيها من حسن وقبح، شأن كل أمة في الدنيا"<sup>(4)</sup>، وهذا يعني أن للجزائر هوية قائمة ومتكونة من اللغة والدين والتاريخ والتقاليد، ولذا فإن "هذه الأمة الجزائرية الإسلامية ليست فرنسا ولا يمكن أن تكون فرنسا، ولا تريد أن تصبح فرنسا ولا تستطيع أن تصبح فرنسا ولو أرادت، بل هي أمة بعيدة عن فرنسا كل البعد، في لغتها وفي أخلاقها وفي عاداتها وفي دينها، ولا تريد أن تندمج، ولها وطن محدود معين هو الوطن الجزائري بحدوده الحالية المعروفة، والذي يشرف على إدارته العليا السيد الوالي العام المعين من قبل الدولة الفرنسية"<sup>(5)</sup>، ويتبين من خلال هذا الخطاب أن الكيان الجزائري قائم بذاته، وله هوية متميزة عن الهوية الفرنسية، وذلك في إطار الإستراتيجية الأساسية لابن

(1)- العودة إلى كتاب "ليل الاستعمار" الذي رد فيه فرحات عباس على مزاعم الاستعمار، وأيضاً الزواوي بغوره، "النخبة والوعي التاريخي من خلال خطاب ليل الاستعمار لفرحات عباس"، أعمال المؤتمر الثاني لمنتدى التاريخ معاصر حول الثقافات والوعي الوطني في العالم العربي المعاصر، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، جوان-جويلية 1999.

(2)- عبد الحميد بن باديس، كلمه صريحه، آثار ابن باديس، جمع ودراسة طالب طالبي، ج3، الشركة الجزائرية للنشر والتوزيع، ط3، 1997، ص ص307-315، وأيضاً "حول كلمتنا الصريحة"، ص ص316-323.

(3)- الزواوي بغوره، الخطاب الفكري في الجزائر، المرجع السابق، ص 133.

(4)- ابن باديس، كلمة صريحه، المصدر السابق، ص ص308-309.

(5)- نفسه، ص 309.

باديس والجمعية، القائمة على التمييز بين: "الجنسية السياسية" و"الجنسية القومية"، فالأولى خاصة بالحقوق المدنية في إطار الاتحاد مع فرنسا، إلا أن الثانية فتتصل بالميزات والمقومات الشخصية من لغة وعقيدة وتاريخ<sup>(1)</sup>.

إلا أن السؤال المطروح هنا: ما معنى هذه الهوية التي تبدأ من التاريخ الإسلامي دون مراحل تاريخية أخرى؟ ولماذا التركيز على مقومات دون أخرى كالعربية والإسلام دون الأمازيغية مثلاً؟ وهل هذا التصور يصمد أمام اختبار التاريخ؟ ومن وجهة نظر الزواوي بغورة فإن هذا التصور رغم وثوقيته المفرطة، إلا أنه سيواجه عدة عقبات تعجز عن الإجابة عن العديد من التساؤلات وتحديات الحداثة، وسيشهد نضالاً وصراعاً، خاصة بعد ارتباطه بالسلطة الجزائرية الجديدة والفكر الأحادي القائم على ميتافيزيقيا الثوابت التي لا تتغير، وهو سينجر عنه عدة تحولات تطرأ على هذه الميتافيزيقيا، التي ستؤدي إلى إنكار الأمة الجزائرية من أجل الأمة الإسلامية، نتيجة ظهور الخطاب الإسلامي في الثمانينيات<sup>(2)</sup>.

ورغم محاولتنا الإجابة عن التساؤلات البحثية حول موقف ابن باديس ومن وراءه جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من خطاب الهوية عند فرحات عباس، إلا أن هناك تساؤلات تبقى مطروحة وتحتاج إلى إجابات قد تكون مشروع لآفاق بحثية مستقبلا، من بينها مثلاً سبب تلك التأويلات التي أثارها الخطاب خصوصاً من وجهة نظر ابن باديس، وهل هذا مرده إلى جهله للغة الفرنسية وهو المعروف عنه إيمانه على أمين لعمودي كترجمانه الخاص، وبحكم أن هذا الأخير نشر الخطاب في جريدته « La Defanse »، ومن جهة أخرى إذا كان ابن باديس اعتمد على ترجمة لعمودي فكيف فهم ابن باديس الخطاب بهذه الصورة بالرغم من أن رده عليه كان على صفحات جريدتي البصائر والشهاب بعد حوالي شهرين من صدوره في جريدة « L'entent »؟ أم أن تلك التأويلات ترجع لطبيعة الكتابة والخطاب باللغة الفرنسية عند فرحات عباس؟ أم أن الفكر الإندماجي الذي عرف به الرجل أثر كثيراً على التوجه العام لردود الفعل الوطنية على خطابه وجعل ابن باديس يتوقف فقط عند ما أثارته فكرة "الأمة الجزائرية خرافة" وإهمال الجوانب الأخرى من الخطاب؟ هذا إذا أخذنا بعين الاعتبار اللقاء الذي جمع بين فرحات عباس وابن باديس في مقر الشهاب لتوضيح وجهات النظر من المسألة الوطنية، فهذا الاجتماع على أهميته: لماذا لم تمكن مخرجاته من تغيير الطرح السليبي الذي أثاره خطاب فرحات عباس؟ ومن جهة أخرى وبعبارة عن التأويلات التي أثارها الخطاب: فإذا كان فرحات عباس بهذا القدر العالي من الوعي الكبير بالقضية الجزائرية بحكم تكوينه الفرنسي وفكره الإندماجي وعلاقته بالإستعمار ومعرفته بما يكنه في سريره من عداة للأهالي الجزائريين، فلماذا واصل النضال وفق نفس الطرح الإندماجي؟ ألم يكن وعيه هذا سبباً لتغييره على الأقل المطلب الإندماجي؟ وهو سؤال يحيلنا إلى خلفية مشاركته في المؤتمر الإسلامي؟ وهل كان فرحات عباس رغم وعيه الوطني وتقرسه السياسي يتأمل كغيره من إتجاهات الحركة الوطنية في تجاوب الإدارة الإستعمارية على المطالب الإندماجي؟

(1)- ابن باديس، الجنسية القومية والجنسية السياسية، المصدر السابق، ص 352.

(2)- الزواوي بغورة، الخطاب الفكري في الجزائر، المرجع السابق، ص 134.

من هنا نستخلص أن الوعي القومي بمقومات الهوية الوطنية خصوصاً اللغة والدين الإسلامي لم يتبلور كمكونات للشخصية الوطنية إلا داخل خلية الصراع ضد فرنسا المحتلة<sup>(1)</sup>، كما أن الأيديولوجية الاستعمارية وأساليبها لطمس الكيان الجزائري، كانت عاملاً أساسياً في ظهور الهوية الوطنية في الثلاثينيات، وكان هذا واضحاً في مختلف مواقف تيارات الحركة الوطنية، وردودها بمناسبة إحتفال الاستعمار بمرور مئة سنة على احتلاله للجزائر، وربما كان من مفارقات التاريخ، فعلى الرغم من الاختلاف السياسي الأيديولوجي بين هذه التيارات، إلا أنها تتقاطع في طرحها لمسألة الهوية، وكانت البداية على يد فرحات عباس الذي طرح المسألة بكل جدية وعنفة<sup>(2)</sup> رغم ما رافق طرحه من سلبية في نظر ابن باديس حسب رده في "كلمة صريحة".

وقد اعترفت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالجهود الفردية التي قام بها فرحات عباس للتعبير عن مطالب الأمة الجزائرية حتى قبل تأسيسها، من خلال ما عرضه في كتابه "الشباب الجزائري" سنة 1937 من مبادئ تتعلق بالهوية الوطنية الجزائرية مثل إقراره في المبدأ الأول على إحترام الإسلام واللغة العربية والمدنية الإسلامية، فإن الإسلام بعد 14 قرناً صار دين الشعب الجزائري قاطبة وعليه أصبح الإسلام في الجزائر في عقر داره فمن العبث محاربته لأنه قادر على الصمود في وجه كل معتد، وفي المبدأ الثاني أقر فرحات عباس ضرورة الإقلاع عن خرافة التفوق في الجنس فقد تكون أدنى قدم رجل عربي مشرد أذكى من رأس أوروبي، لذلك طلب في المبدأ الثالث من الشباب الجزائري أن يكون دافعاً لتطور المجتمع الجزائري لينفض غبار الجمود والركود حتى يصبح هذا المجتمع مجتمعاً عصرياً آخذاً بأسباب المدنية الحديثة ومسلحاً بالثقافة لمنافسة الأوروبي نداً للند، مع عدم التنكر للتقاليد ووصل الماضي بالحاضر<sup>(3)</sup>.

كما يظهر توافق كل من جمعية العلماء وفرحات عباس حول المحافظة على المقوم الإسلامي للهوية الجزائرية من خلال قول هذا الأخير في كتابه "ليل الإستعمار": "إن الشباب الجزائري يتمنى أن تكون الجزائر وباريس ملتقى المثقفين العرب بغية إنبعاث العالم الإسلامي، إن مهمة هذا الشباب هو الدفع بفرنسا أن تلعب هذا الدور"<sup>(4)</sup>. فيما يرى بعض المثقفون أن الهوية تزداد وحدة وتماسكاً عندما يمثل الآخر خطراً وتهديداً لها<sup>(5)</sup>، وهو ما ينطبق على وضع الأمة الجزائرية، فبالعودة إلى رد ابن باديس نلاحظ أن جمعية العلماء المسلمين إزدادت تماسكاً بمقومات الهوية الوطنية بعد خطاب فرحات عباس من جهة<sup>(6)</sup>، ومن جهة أخرى وحتى بعد التقارب الذي حدث بين أطراف الحركة الوطنية في

(1) - محمد حربي، الثورة الجزائرية سنوات المخاض، ترجمه نجيب عياد وصالح المثلوث، موفم للنشر، الجزائر، 1994، ص 102.

(2) - الزاوي بغورة، الخطاب الفكري في الجزائر، المرجع السابق، ص 133.

(3) - محمد خير الدين، مذكرات، ج2، المصدر السابق، ص12.

(4) - نفسه والصفحة.

(5) - زازوي موفق، الهوية الوطنية في التاريخ بين الإندماجين والإصلاحيين، المرجع السابق، ص34.

(6) - رغم أن الخطاب تم تأويله في حينه بتركيزه فقط على أجزاء بعينها وإهمال جوانب أخرى مهمة منه، كما سارت أغلب أفكار الباحثين والمؤرخين في نفس الطرح الذي بقي فترة طويلة يجلب إنتقادات سلبية لفرحات عباس، ولم يأخذ بعين الاعتبار باقي جوانبه وظروف وأسباب ومنطلقات كتابته، مع أن فرحات عباس إلتقى بابن باديس في مقر الشهاب، ووضح وجهة نظره ومقاصده من الخطاب، وهو ما بدى من خلال ما كتبه ابن باديس عن وطنية فرحات عباس بعد هذا

الداخل حول مطالب المؤتمر الإسلامي وتجاوبهم مع فكرة الاندماج كمطلب مرحلي يراعي شرط المحافظة على الأحوال الشخصية للجزائريين، ويفضي بهم لتغيير أوضاعهم بمصوّلهم على بعض الحقوق التي تمكنهم من السعي قدما لتقديم مطالب وطنية تعيد للأمة الجزائرية مكانتها في ظل المساواة وإلغاء تصنيفهم كمواطنين من الدرجة الثانية<sup>(1)</sup>.

وبرز توافق مطالب الهوية أيضا بين جمعية العلماء و "الحزب الديمقراطي الجزائري" بقيادة فرحات عباس بعد إتخاذه موقفا واضحا من اللغة العربية رغم ضمه لعناصر من النخبة المتفرنسة والكتلة الإندماجية في بداية تأسيسه، لكن موقفه الوطنية بدأت تتغير إيجابيا نتيجة إدراكه للعزلة، ليتوجه بنشاطه إلى القاعدة الشعبية من خلال سنه لمطالب تمس بالهوية الوطنية، كتبني لقضية اللغة العربية باعتبارها جزءا من الهوية الحضارية للأمة الجزائرية<sup>(2)</sup>، إضافة لتسجيله هذا المبدأ ضمن اللائحة التي عنوانها بـ: "عملنا المستعجل" خلال مؤتمر الحزب بسطيف الذي انعقد في سبتمبر 1948، ونصت على مادتين، الأولى تخص التعليم الشامل لأطفال المسلمين، والثانية أقرت اللغة العربية كلغة رسمية وجعل التعليم إجباريا<sup>(3)</sup>، وبقي فرحات عباس مع أنه لا يحسن اللغة العربية يتقرب من مطالب الشعب الجزائري ورموز سيادته بهدف تحقيق مساعيه المتعلقة بالنجاح في الانتخابات ما يسمح له بأن يكون متحدنا باسم الأمة الجزائرية<sup>(4)</sup>.

### المطلب الثالث: موقف الجمعية من الهوية عند التيار الشيوعي.

وبخلاف جميع تيارات الحركة الوطنية اتسم موقف "التيار الشيوعي الجزائري" من اللغة العربية بعدم الوضوح ولم يحسم بشكل جلي رأيه من الموضوع، رغم أن المتتبع لتصريحات عمار أوزقان وهو أحد أقطاب الحزب البارزين تميزت بدفاعه عن اللغة العربية واعتزازه بها معتبرا إياها رمزا حضاريا في مقاومة الإستعمار الفرنسي<sup>(5)</sup>.

ويمكن أن نستخلص من خلال مواقف جمعية العلماء من مسألة الهوية عند تيارات الحركة الوطنية أنه في الوقت الذي كانت فيه الأحزاب الوطنية تدعو إلى الجمود والإستطانة والإستقلال التام الذي لم يأتي أوانه بعد، كانت قد تبلورت فكرة الحرية والإستقلال في حركة الإصلاح الديني بقيادة ابن باديس وعلماء الجمعية، الذين دعوا للحفاظ على مقومات الشخصية الجزائرية والسير بالنهضة الإصلاحية حتى بلوغ الغاية الذي صاغ المبادئ الأساسية للجمعية في النشيد الوطني "شعب الجزائر مسلم" الذي رددته الأفواه وما تزال تردده لحد اليوم<sup>(6)</sup>.

اللقاء، كما حاول فرحات توضيح موقفه في بعض كتاباته والإعتراف بالأخطاء التي وقع فيها نتيجة ظروف تكوينه، إلا أن اللغظ الشديد والإنتقادات بقيت على نفس الطرح الأول تلاحق فرحات عباس إلى آخر مرحلة من حياته جراء هذا الخطاب.

(1) - إلا أن التيار الإستقلالي رفض تبريرات المؤتمرين لمنطلقات مطالبهم، واعتبر مصالي الحاج أن فكرة الاندماج تقضي على الأمة الجزائرية وتشكل خطرا كبيرا على هويتها وإستمراريتها، لكن من جهة أخرى ما طرحه المؤتمر لم يكن ليلقى قبولا لدى المعمرين أنفسهم، ويظهر لنا فشل المؤتمر مدى تزايد تمسك الجزائريين بهويتهم سواء بعودة جمعية العلماء للإندماجية في جهود التربية والتعليم والمحافظة على الدين، لتأكيدا بعد سياسة المماثلة الإستعمارية من عدم صدق نوايا فرنسا، أو من خلال مواقف باقي تيارات الحركة الوطنية من الإستعمار، وبالأخص فرحات عباس الذي بدأ يحتك بالقاعدة الشعبية.

(2) - حسان صبحي، المرجع السابق، ص 355-356.

(3) - يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 71.

(4) - حسان صبحي، المرجع السابق، ص 356.

(5) - نفسه والصفحة.

(6) - محمد خير الدين، مذكرات، ج 01، المصدر السابق، ص 272.



وإذا كان حضور المقوم الديني عند جمعية العلماء المسلمين بارزا بشكل كبير نظرا لطبيعة مشروعها الإصلاحي، فإن الإسلام كمطلب وطني شهد حضورا في مطالب تيارات الحركة الوطنية سواء المطالبة بالإستقلال أو الإندماج والساواة في الحقوق مع الفرنسيين في إطار المحافظة على الشخصية الوطنية، لكن بدرجات متفاوتة من حزب لآخر بحكم الطابع السياسي لهذه الإتجاهات.

ورغم حالة التضييق التي مارستها السلطات الإستعمارية على التعليم العربي واعتبار اللغة العربية لغة أجنبية، إلا أننا نلاحظ تمسك جمعية العلماء المسلمين ومعها تيارات الحركة الوطنية الجزائرية بمطلب الحق التعليم باللغة العربية، ودعت لتوظيف إستعمالها في المحاكم والمعاملات الرسمية، إضافة إلى إحترامها والسماح بتعليمها وتداولها وسط الجزائريين، لكونها لغة الدين ووسيلة لفهم الإسلام وممارسة العبادات، من منطلق ما جاء في معاهدة الإستسلام سنة 1830 بين الداي حسين ودي بورمون<sup>(1)</sup>، ومهما يكن فإن الوطنيين الجزائريين في الحركة الوطنية دافعوا عن اللغة العربية دفاعهم عن وطنهم ودينهم، واعتبر الذود عنها من صميم الوطنية وواجبا تمليه تعاليم الدين الراسخة لديهم، فمثلا كان كفاح الجزائر من أجل الحرية والإستقلال قضية عربية وقضية الشعوب المناهضة للإستعمار، كان الدفاع عن اللغة العربية قضية وطنية ثابتة في برامج الحركة الوطنية الجزائرية المطالبة بالإستقلال<sup>(2)</sup>.

كما نستنتج أيضا أن الضغوط التي مارستها جمعية العلماء المسلمين رفقة أحزاب الحركة الوطنية على الإدارة الإستعمارية حول المطالب الوطنية التي تمس بالهوية الجزائرية وفي مقدمتها اللغة العربية<sup>(3)</sup> جعل فرنسا تعترف بها كلغة رسمية وتمنح حق حرية تعلمها وإجبارية تعليمها سنة 1947 ساحة باستعمالها في مختلف المجالات الحياتية كنشر مختلف الوثائق الرسمية وإلغاء القانون الذي يعتبرها لغة أجنبية، فقد نصت المادة 57 من قانون "الجزائر الخاص" الصادر سنة 1957، أن اللغة تعتبر إحدى لغات الوحدة الفرنسية، والتراتب التي تجري على اللغة الفرنسية تجري على اللغة العربية بالنسبة للصحافة الرسمية أو الخاصة أو المطبوعة في الجزائر، وسينظم التعليم العربي في جميع الدرجات<sup>(4)</sup>.

أما فيما يخص مقوم اللغة الأمازيغية فإن المسار التاريخي لشمال إفريقيا ومختلف السمات السوسيو أنتروبولوجية واللغوية للشعب الجزائري تؤكد أن الأغلبية الساحقة لسكان الجزائر من أصول أمازيغية، إلا أن اللغة الأمازيغية اندثرت من مناطق شاسعة من البلاد منذ الفتح الإسلامي في القرن 06م ثم القرن 11م مع هجرة الهلاليين للمنطقة، مما جعل الناطقين بها أقلية، تم تسميتهم بالأمازيغ تمييزا لهم عن الناطقين باللغة العربية الذين سمو عربا، وظهرت هذه التسمية خلال الحقبة الاستعمارية الذي حرص على الفصل بينهما كعرقين مختلفين لتسهيل بسط سيطرته على الأرض، إلا أن التقارير تشير إلى أن نسبة الناطقين بالأمازيغية في الجزائر يتراوح بين 20% إلى 30%، منتشرين على مجال جغرافي

(1)- حسان صبحي، المرجع السابق، ص 352.

(2)- عامر بغدادي، المرجع السابق، ص 99.

(3)- عبد الرحمان العقون، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر (1947-1954)، ج 03، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 443.

(4)- حسان صبحي، المرجع السابق، ص 357-358.

واسع، لهم تأثيرهم على الصيرورة التاريخية والاجتماعية والإقتصادية للجزائر<sup>(1)</sup>، لذا فاللغة الأمازيغية لم تشكل مشكلة هوية بالنسبة لجمعية العلماء المسلمين خلال الحقبة الإستعمارية على عكس ما أثر حولها من صراع بعد الإستقلال امتد إلى يومنا.

كما نجد أن المسألة الأمازيغية لم تطرح في خطاب النخب الحاملة لها منذ بروزها في الجزائر كمسألة أقلية، بقدر ما طرحت كقضية وطنية للشعب الجزائري، وهو الأمر الذي ساعد على بروزها كمطلب في حضن الحركة الوطنية، لكون أبرز الفاعلين الأوائل فيها كانوا من مناضلي القضية الوطنية إبان الإحتلال الفرنسي، والذين حملوا مشروع بناء الأمة الجزائرية وفق النموذج الفرنسي<sup>(2)</sup>.

#### المبحث الرابع: مقومات الهوية في موثاق الثورة التحريرية وموقف بعض علماء الجمعية منها.

إن فكرة الثورة في مفهومها السوسيولوجي العام تعني التغيير الجذري والشامل لجميع معطيات واقع معين بحثا عن معطيات وشروط جديدة تنظم علاقات الواقع الجديد، وتختلف بشكل كلي من حيث الخلفيات والإفرازات التي يطرحها الواقع القديم، وبمعنى أوضح هي التعبير عن حركة تغيير جذري مرتبط دائما بكل ما له علاقة بالآخر الذي يرمز له بالطرف الأجنبي، من هنا أصبحت المرجعية الثورية المرتبطة بمرحلة تاريخية محددة من تاريخ الجزائر تلعب دورا أساسيا في بناء عناصر الثقافة السياسية للأفراد، وتتخذ من تلك المرجعية الهدف لتحقيق هويتها وانتمائها الوطني<sup>(3)</sup>.

إن نجاح أي ثورة يقاس بمدى تحقيقها لهدفين رئيسيين: تحرير الأرض، وتحرير الذات<sup>(4)</sup>، لذلك فالخطاب الإيديولوجي الثوري من حيث التفكير يهدف دائما إلى القيام بثورة لتغيير الأوضاع ولا يؤمن ببقاء النظم القديمة حتى إن كانت أساسية، فهو يسعى لتحقيق أهداف، وليست له غاية نهائية، والتغيير الذي ينشده الثوري لا يكون سطحيًا بل عميق، لأنه يستهدف جميع الميادين سياسيا وإقتصاديا وإجتماعيا، مستعملا جميع الوسائل الممكنة التي يقرها الحق<sup>(5)</sup>.

وقد انتقدت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين على لسان الشيخ محمد خير الذين الكتابات التاريخية المعاصرة التي تصور تاريخ حركة الكفاح المسلح في الجزائر وفق تصور خاطئ تضع ليلة أول نوفمبر كبداية للكفاح المسلح، حيث ترى الجمعية أن ثورة الفاتح من نوفمبر 1954 في الجزائر لم تكن وليدة هذه الليلة فقط، بل سبقتها حركات المقاومة المسلحة وحركات النضال السياسي وحركات البعث الروحي وتتابع ثورات الأحرار من الرجال الذين بذلوا دمائهم فداء لوطنهم، ودفاعا عن عقيدتهم طوال قرن وأكثر من الزمان، قادها رجال أخلصوا لدينهم وبلادهم على إختلاف ميادين العمل وأساليب البطولة والفداء، وسطروا في تاريخ الأمة الجزائرية صفحات مشرقة من التضحية والبذل والعطاء نالهم ما نال إخوانهم المجاهدين من السجن والنفي والتعسف والقتل ومختلف أساليب الإضطهاد التي مارسها الإستعمار الفرنسي

(1)- ناصر جابي وآخرون، المرجع السابق، ص ص 97-98.

(2)- ناصر جابي وآخرون، المرجع السابق، ص 98.

(3)- فريد سمير، المجتمع المدني الجزائري وإشكالية تأسيس ثقافة المواطنة، المرجع السابق، ص ص 189-190.

(4)- عثمان سعدي، اللغة والهوية "بين الثورة الجزائرية والثورة الفيتنامية"، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2014، ص 05.

(5)- رضوان عينايد ثابت، 8 ماي 1945 في الجزائر، ترجمة المؤلف ومصلي، ديوان المطبوعات الجامعية والمؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 101.

وأعوانه ضد الوطنيين الشرفاء<sup>(1)</sup>، في سبيل الحفاظ على وطنهم والدفاع عن مقوات هويتهم الجزائرية من أرض وعرض وإسلام وعروبة.

ومن جهته إعتبر رضوان عيناى ثابت في تقرير عن الحالة الجزائرية للحركة الوطنية أن الاتجاهات الوطنية على اختلاف برامجها هي في حد ذاتها ثورة حيث قال: " فالشيوعيون الجزائريون ثوريون-نظريا-من حيث الوسائل والأهداف ولكن يختلف المدلول العقائدي الشيوعي عن مدلولنا إبتداء من هذه الأهداف، أما الإسلاميون -ونعني بهذا الأمر الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري والعلماء- فهم ثوريون من حيث الأهداف فقط لا من حيث الوسائل لأنهم لا يستخدمون إلا الوسائل التي يسمح بها الإستعمار"<sup>(2)</sup>.

وبناء على فكرة تواصل النضال الوطني في مقاومة الإستعمار، نجد جمعية العلماء رأّت أنه من منطلق إنصاف التاريخ وإحقاق الحق وجوب الإعتراف أن العمل الوطني في الجزائر على صعيد الكفاح المسلح وعلى طريق النضال الديني والسياسي كان أسبق ميلادا من تاريخ قيام ثورة الفاتح من نوفمبر، لكون هذه الثورة بمسيرتها ونتائجها ليست إلا ثمرة ناضجة لهذا الكفاح الطويل<sup>(3)</sup>.

ومن جهة أخرى فإن جمعية العلماء ترى أن وقوع الظلم وحده لا يكفي لقيام الثورة، وإنما يجب الإحساس به والأبعد من هذا أن تكوين رأي عام جماعي لنهضة العزائم وتبصير الأمة بمطامع الإستعمار ومخططاته هو السبيل لتهيئة الشعوب للثورة حتى تندلع شرارتها، والضامن لإستجابة المواطنين لها عند الدعوة للكفاح، فتكون النفوس وقتها قد إمتلأت إيمانا بالله، وأدركت حقها في الحياة الكريمة، فيحقق لهم الله النصر على أعدائهم مهما قويت شوكة عدوهم، لأن قوة العقائد والعزائم أقوى من قوة السلاح والعتاد، وهو الدور الذي قامت به جمعية العلماء في الجزائر، منذ أوائل القرن منتهجة حركة الإصلاح الديني والبعث الروحي والتي كانت في موعدها المناسب للبرهنة على أن الجزائر مسلمة متمسكة بشخصيتها الإسلامية وبعروبيتها وبقوميتها في وقت ظن فيه الإستعمار الفرنسي أنه نجح في إذابة الشخصية الجزائرية<sup>(4)</sup>.

وبناء على هذه الأفكار فإن المبادئ هي الأصل الذي يبنى عليه أي مشروع للتغيير خصوصا موضوع الهوية الوطنية، لأنه لا يمكن بأي حال من الأحوال تغيير هذه المبادئ أو الحياد عنها لأنها الأساس والمنطلق الذي تركز وتتوضع عليه باقي الفروع المساهمة في تشكيلها، وسنستعرض في هذا المبحث جملة المبادئ التي قامت عليها الهوية الوطنية في موثيق الثورة التحريرية، ومقارنتها بالمبادئ التي ركزت عليها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، واستخلاص إلى أي مدى كان تأثير مسألة الهوية الوطنية من منظور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين على الفكر الثوري لمفجري الثورة التحريرية من خلال ما جاء في موثيق الثورة التي تمثل المرجعية الأساسية التي وضعوها للتغيير واعتمدوا عليها لإعادة بناء الدولة الجزائرية

(1)- الشيخ محمد خير الدين، مذكرات، ج2، المصدر السابق، ص7.

(2)- رضوان عيناى ثابت، المرجع السابق، ص 101.

(3)- الشيخ محمد خير الدين، مذكرات، ج2، المصدر السابق، ص8.

(4)- نفسه، ص ص 59-60.

المستقلة بعد أن حاول الاستعمار الفرنسي القضاء عليها، والإدعاء بعدم وجود أمة جزائرية لها مقوماتها أثناء احتلال البلاد.

### المطلب الأول: الهوية في بيان ونداء أول نوفمبر 1954.

مثل نداء أول نوفمبر نفس لغة الخطاب الوطني الثوري، لكن بروح جديدة، وعزيمة أكبر وبشعور عميق يتحمل المسؤولية والقطيعة التامة مع المناورات السابقة، ويعتبر هذا النداء هو المرجعية الفكرية الأساسية للخطاب الإيديولوجي الجزائري وتبلورت أفكاره بصورة واضحة في الأرضية الفكرية لوثائق مؤتمر الصومام 1956، ووثائق جلسات المجلس الوطني للثورة الجزائرية، ولجنة التنسيق والتنفيذ، وحتى الوثائق الصادرة عن الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية، وتجدرت بشكل أكبر في وثائق مؤتمر طرابلس والمؤتمرات اللاحقة بعد الإستقلال<sup>(1)</sup>، ورغم أن خطاب الهوية ساد في الجزائر قبل إندلاع الثورة وأثناءها، واستمر إلى مرحلة الإستقلال، إلا أنه لا يحتل مكان الصدارة<sup>(2)</sup>، قبل الثورة ولم يثر بهذه الحدة التي أثير بها الموضوع في الوقت الحاضر. فما هي مقومات الهوية الوطنية التي تضمنها بيان أول نوفمبر؟

أشار بيان أول نوفمبر 1954 إلى عدة مقومات تخص الأمة الجزائرية قام عليها مشروع إعادة بناء الدولة الجزائرية بعد الإستقلال، ومن أهم ثوابت الهوية الوطنية التي ركز عليها البيان نجد:

#### -الوحدة الوطنية: من خلال إشارته إلى:

- ضرورة الإتحاد من أجل تحقيق فكرة الإستقلال الوطني للأمة الجزائرية، والإتحاد هو صفة أساسية من صفات المجتمع الجزائري الذي أكد البيان على أهمية تعزيز هذه الصفة لإثبات وحدة الذات الجزائرية في مقاومة الآخر المحتل.

-العمل على تحقيق الوحدة الوطنية ضمن إطار وحدة شمال إفريقيا بإعتباره الفضاء الجغرافي الطبيعي ذو الإمتداد العربي والإسلامي الذي له دلالاته في رسم المعالم الأساسية لمقومات الهوية الجزائرية<sup>(3)</sup>

يعتبر بيان أول نوفمبر أول بيان من موثيق الثورة التحريرية الجزائرية الذي أشار بشكل صريح إلى مسألة الوحدة الوطنية الشاملة لجميع فئات وأطياف المجتمع الجزائري وعلى إختلاف انتماءاتهم الحزبية، ويبرز ذلك من خلال افتتاحية البيان التي جاءت تحت صيغة النداء بعبارة "أيها الشعب، أيها المناضلون من أجل القضية الوطنية"، كما دعى البيان جميع الطاقات الوطنية المكونة للمجتمع الجزائري للمشاركة في العمل الثوري وتأييد الكفاح المسلح للقضاء على المستعمر الفرنسي واسترجاع السيادة الوطنية من خلال ما جاء في البيان تحت عبارة: "تجميع وتنظيم الطاقات السليمة لدى الشعب الجزائري لتصفية النظام الإستعماري"<sup>(4)</sup>.

(1)- أحمد حمدي، جذور الخطاب الإيديولوجي الجزائري، المرجع السابق، ص 129-130.

(2)- نفسه، ص 145.

(3)- رضوان شافو، إشكالية مفهوم الهوية الوطنية الجزائرية عند الجزائريين، المرجع السابق، ص 70.

(4)- حزب جبهة التحرير الوطني والنصوص الأساسية لجبهة التحرير الوطني، قسم الإعلام والثقافة، الجزائر، 1979م، ص 07-09.

نخلص هنا إلى أن أبعاد الهوية الوطنية في بيان أول نوفمبر 1954 انطلقت من عدة محددات مثلت الركائز التي سيقوم عليها مشروع إعادة تأسيس الدولة الجزائرية المستقلة<sup>(1)</sup>، وأول مرتكز جاء من أجله البيان هو الوحدة الوطنية من خلال توحيد مختلف أطراف الشعب الجزائري تحت شعار واحد يحمل أهدافا واحدة يشترك فيها جميع الجزائريين، وهو شرط أساسي لتحقيق وحدة إنتماء أفراد هذه الأمة إلى هوية واحدة مشتركة تتقاطع عندها جميع المقومات الوطنية. لكون القيم المشتركة للأمة توفر إطارا مرجعيا يسمح بمباشرة أفعال مخلص للوطن يستحيل القيام بها بصورة فردية، والقدرة على تصور مستقبل أفضل، فالإنتماء في جماعات والإنتماء إلى شرائح يساهم في تحديد ذات الأمة التي تتبلور من الفرد، لأن الإنتماء ضمن الجماعة يخلق مركز من الدافعية للأفكار والأفعال، وبالتالي فالعضوية داخل المجموعة ليست أمرا ثانويا بل على العكس من ذلك هي من مكونات هويتنا<sup>(2)</sup>.

**- "إعادة" بناء الدولة الجزائرية:** تعتبر من المقومات التي أشار إليها بيان أول نوفمبر، وذلك وفق توجه ديمقراطي إجتماعي يؤكد على السيادة الوطنية في إطار المبادئ الإسلامية التي هي جزء من الهوية الجزائرية<sup>(3)</sup>، فالاستقلال الوطني بمفهومه الحقيقي من خلال بيان أول نوفمبر يعني استرجاع السيادة الوطنية وإعادة إرساء قواعد دولة جزائرية تستمد أصالتها وهويتها من الشخصية الوطنية، وهو الهدف الأساسي من العمل الثوري، ولا يمكن أن يتحقق هذا الاستقلال إلا إذا تم القضاء على ما خلفه الاستعمار من قيم غريبة تم تكريسها على مدى فترة زمنية طويلة امتدت منذ بداية الاحتلال الفرنسي سنة 1830<sup>(4)</sup>، وهذه القيم الفرنسية تتعارض في مجملها مع ثقافة المجتمع الجزائري التي تتميز بخصوصيتها، ومن أجل أن تقضي فرنسا على هذه الخصوصيه وصلت إلى حد المسخ الممنهج لمقومات الهوية الجزائرية.

فالبيان واضح بشكل لا يدع أي مجال للشك وأزال الغموض الذي اكتنف مصطلح الاستقلال الوطني طيلة فترة نشاط الحركة الوطنية. من خلال تأكيده على السيادة الوطنية الكاملة والشاملة داخليا وخارجيا، ورفض مختلف أنواع التضييل بمنح استقلال في إطار حكم ذاتي أو إقامة كيان ذاتي مشترك خاضع للتبعية الاستعمارية<sup>(5)</sup>، وبالتالي إعادة بعث الدولة الجزائرية ذات الإمتداد التاريخي والحضاري وصاحبة السيادة الكاملة على أرضها وثرواتها وحدودها وشعبها وقراراتها. من خلال مطالبة البيان باعتراف الحكومة الفرنسية: **"بالجنسية الجزائرية وإلغاء كل القرارات والمراسيم والقوانين التي تجعل من الجزائر أرضا فرنسية"**<sup>(6)</sup>.

(1)- محمد العربي الزيربي، أسباب فشل نظام الحكم في إعادة بناء الدولة الجزائرية، المرجع السابق، ص ص 166-167.

(2)- كاترين هالبرين وآخرون، الهوية الفرد الجماعة المجتمع، ترجمة إبراهيم صحراوي، ط01، دار التنوير، الجزائر، 2015، ص 178.

(3)- رضوان شافو، إشكالية مفهوم الهوية الوطنية الجزائرية عند الجزائريين، المرجع السابق، ص 70.

(4)- مراد بوعباش، الدولة والمجتمع في برنامج الحركة الوطنية الجزائرية 1919-1962م، أطروحة دكتوراه في العلوم السياسية، قسم العلوم السياسية، جامعة الجزائر3، 2010-2011، ص ص 292-293.

(5)- محمد جغابة، بيان أول نوفمبر "دعوة إلى الحرب رسالة للسلام"، تقديم العربي ولد خليفة، دار هومة، الجزائر، 2012، ص 58.

(6)- رضا مالك، الجزائر في إفيان تاريخ المفاوضات السرية 1956-1962، ترجمة فارس غصوب، ط1، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والاشهار، الجزائر، 2003، ص 25.

- الدين الإسلامي: يعتبر الإسلام القوة الروحية التي أعطت معنى للكفاح التحرري، والتي منحت مغزى لكل تصور حضاري لبعث الأمة الجزائرية، ومكمن قوة العقيدة في نفوس أفرادها، حتى اعتبر الاعتداء على الوطن هو إعتداء على الدين الإسلامي، باتخاذ الثورة منهجا لا يفرق بين تحرير الوطن وما فيه من ثوابت وفي مقدمتها الدين الإسلامي<sup>(1)</sup>، ومما جاء في بيان أول نوفمبر 1954 حول مبدأ الإسلام أن الثورة تهدف بالدرجة الأولى إلى: "إعاد بناء الدولة الجزائرية الديمقراطية الاجتماعية ذات السيادة في إطار المبادئ الإسلامية"<sup>(2)</sup>، ومن أجل تحقيق هذا الهدف تم وضع جملة من الشروط، ركزت على: "التطهير السياسي بإعادة الحركة الوطنية إلى نهجها الحقيقي، والقضاء على جميع مخلفات الفساد وروح الإصلاح التي كانت عاملا هاما من عوامل التخلف"، بالإضافة إلى ضرورة "تجميع وتنظيم كل الطاقات السليمة لدى الشعب الجزائري لتصفية النظام الإستعماري"<sup>(3)</sup>.

وفي هذا الصدد يؤكد المؤرخون أن "مبادئ الإسلام هي قواعد ومعايير عملية تبنى عليها قيم الأعمال، وهي أدق وأشمل من كلمة قانون، فلا سيما وأن المبادئ تمتاز بالثبات ... قرر البيان أن تكون الثورة الجزائرية والدولة التي ستقوم على إثر انتصارها متمثلة في جميع قيم الإسلام"<sup>(4)</sup>، وهو نفس الطرح الذي ذهب إليه رابح لونيسي في الدراسة المتأنية لإيديولوجية الثورة ومختلف الممارسات أثناءها، حيث يرى أن مبادئ الإسلام نالت مكانة خاصة في مواثيق الثورة التحريرية نظرا لأهمية البعد الديني وتأثيره الكبير في تحريك المجتمع خاصة في الريف الجزائري المتمسك بتعاليم الدين الإسلامي، ويمثل القاعدة الواسعة التي انطلقت منها الثورة وغذتها وناضلت لاستمراريتها، وأي مساس بهذه المبادئ

(1)- لصرح الدين لعوج، المشروع الحضاري للثورة الجزائرية 1954-1962، ط1، دار ألفا، الجزائر، 2020، ص107.

(2)- بيان أول نوفمبر، أول نداء من جبهة التحرير الوطني الجزائري موجه للشعب الجزائري، والوثيقة التي أعلنت عن إندلاع الثورة التحريرية وبداية العمل المسلح، ضد الاحتلال الفرنسي، وقد تم توزيع البيان ليلة الفاتح من نوفمبر من نفس السنة.

(3)- محمد العربي الزيري، أسباب فشل نظام الحكم في إعادة بناء الدولة الجزائرية، المرجع السابق، ص 05.

(4)- سعيد عليوان، قيم الإسلام في مواثيق الثورة التحريرية الجزائرية (من خلال بيان أول نوفمبر 1954، ميثاق الصومام 1956 برنامج طرابلس 1962)، منشور بكتاب القيم الفكرية والإنسانية في الثورة التحريرية الجزائرية (1954-1962)، ج1، منشورات مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، ط1، 2003، ص ص 33-34.



كفيل بأن يفقد الثورة الدعم الشعبي لها من طبقة الفلاحين والمحافظ على تدينه الشديد<sup>(1)</sup>، نتيجة الدور الفعال الذي لعبته الزوايا ورجال الدين في المجتمع القبلي بالأرياف التي بقيت لفترة زمنية طويلة بعيدة عن تأثيرات الثقافة الاستعمارية منذ المقاومات الشعبية، على عكس سكان المدينة الذين كانوا في احتكاك مباشر مع المعمرين والجنود الفرنسيين.

كما يضيف رابح لونيسي أن عبارة "ضمن إطار المبادئ الإسلامية" التي جاءت في بيان أول نوفمبر ترمز إلى التقيد بتعاليم الدين الإسلامي في جميع الممارسات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، مع فتح باب الاجتهاد الذي لا يمنع من استيراد أي تجربة خارجية في الحكم أو الاقتصاد أو المجتمع أو المنظومة القانونية لتسيير شؤون الدولة شرط أن لا تتعارض مع المبادئ العامة للدين الإسلامي<sup>(2)</sup>.

ومن المبادئ التي ركز عليها البيان لرسم شكل الدولة المستقلة التي سيتم إعادة بنائها وإرساء مقوماتها نجد مبدأ الدين الإسلامي، حيث جاء في البيان بنود حملت في مضمونها دلالات صريحة، كعبارة "إقامة الدولة الجزائرية الديمقراطية الاجتماعية ذات السيادة ضمن إطار المبادئ الإسلامية"<sup>(3)</sup>. فالدين الإسلامي يعتبر الحجر الأساسي للشخصية الوطنية والقلعة الحصينة التي تحطمت عندها جميع محاولات المستعمر لمسح الشعب الجزائري طيلة ما يقارب قرن وربع قرن من الزمن<sup>(4)</sup>، لذلك نجد أن الموثيق الوطني للثورة التحريرية قد ركزت على الدين الإسلامي في مقدمة الأهداف الداخلية والخارجية التي جاء بها بيان أول نوفمبر 1954، من خلال تأكيدها على بناء دولة وطنية في إطار المبادئ الإسلامية<sup>(5)</sup>.

كما أكد محمد جغابة من جهته أن تبني بيان أول نوفمبر للمبادئ الإسلامية حتمية فرضها البعد التاريخي والحضاري للأمة الجزائرية، ولا يمكن لأي أحد أن يلغيها أو يتجاوزها، والبيان جاء لتأكيد المبادئ الإسلامية التي ستبنى عليها الدولة الجزائرية المستقلة الموحدة في كنف التسامح والتعايش المكفول للجميع<sup>(6)</sup>.

إن من أشرفوا على صياغة بيان أول نوفمبر 1954 لم ينطلقوا من العدم لإقناع الشعب بالقضية الوطنية، لكنهم كتبوا "في إطار المبادئ الإسلامية" لقناعتهم بضرورة الوفاء لنضال الأسلاف الذين لم يتوقفوا عن مقاومة الاحتلال، متسلحين في سائر مراحل النضال بالعقيدة الإسلامية، ويشهد التاريخ اليوم أن الزوايا في جميع أنحاء الوطن، كانت قد احتضنت تلك المقاومات، وهي المبادئ المنتقلة إلى أدبيات الحركة الوطنية - إذا استثنينا التيار الشيوعي الجزائري - التي

(1) - رابح لونيسي، محطات وقضايا مفصلية في مسار الثورة الجزائرية ومستقبلها، دار المعرفة، الجزائر، 2012، ص 52.

(2) - نفسه، ص 51.

(3) - حزب جبهة التحرير الوطني والنصوص الأساسية لجبهة التحرير الوطني، المرجع السابق، ص 08.

(4) - محمد لحسن زغيدي، بيان أول نوفمبر وأبعاده، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 14، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الجزائر 02، الجزائر، 2012، ص 293.

(5) - عمر بن قينة، المشكلة الثقافية في الجزائر، دار أسامة، عمان، الأردن، ط 1، 2000، ص ص 56-57.

(6) - محمد جغابة، المرجع السابق، ص 62.

كانت تؤمن "بالإسلام دينا والعربية لغة وبالجزائر وطنا"، ساعية بطرق مختلفة لتحقيق هدف الاستقلال التام غير منقوص، وهي الاستمرارية العقدية التي سار نشاط جبهة التحرير على نهجها، في شكل حركة جهادية، المحارب فيها مجاهد، والمقتول شهيد، ومعاركها تبدأ بالتكبير تتخللها دعوة للجهاد في سبيل الله<sup>(1)</sup>.

وللإشارة فإن بيان أول نوفمبر لم يكن الوثيقة الوحيدة التي أدرجت الإسلام ضمن مقومات الهوية الوطنية للشعب الجزائري، فالمتتبع لمسار النضال الوطني للشعب الجزائري يجد أن مبدأ الإسلام كان من أهم القضايا التي تضمنتها مطالب مختلف حركات النضال الوطني وفي جميع مراحلها، لذا فبيان أول نوفمبر جاء ليؤكد ما كان مطالبا به سابقا<sup>(2)</sup>، نظرا لدور للعقيدة الإسلامية في استمرارية الثورة والدفع بها قدما لتحقيق الهدف الذي اندلعت من أجله، وهذا لن يتأتى إلا إذا حشدت الطاقات الجماهيرية لمحاربة المستعمر، ومن كان الأقدر على تحريك النزعة الجهادية لدى الجماهير أكثر من الإسلام، الحاضر في النفوس والمتأصل في عقائد الجزائريين، "فدور العقيدة الإسلامية في تطور الثورة المناهضة للاستعمار وكذلك دور التقاليد العربية الإسلامية في التطور السياسي والاجتماعي، ومن الناحية التاريخية فإن الإسلام يكون القاعدة الثقافية والاجتماعية للجماهير الشعبية التي ترمز إلى كل النجاح في الحركة الوطنية الثورة في الجزائر"<sup>(3)</sup>.

**- اللغة العربية:** كانت اللغة العربية قبل الاحتلال ليست مجرد وسيلة للتبليغ فقط، لكنها كانت الوعاء الحضاري وأداة للثقافة، وعنصرا أساسيا من العناصر المكونة للشخصية الجزائرية، فبازدهارها تفتتح الشخصية الوطنية لتحقيق استقلالها، وبتقهقرها تنغلق الشخصية الوطنية على نفسها وتحنج إلى التخلف والجمود<sup>(4)</sup>.

إن تقديس موثيق الثورة الجزائرية للغة العربية جعل قادة الثورة يدرجونها ضمن أولويات القضايا التي تخص الهوية الجزائرية، نظرا لدورها كمرتكز لتثبيت باقي مقومات الهوية الوطنية من جهة، وبسبب أهميتها في الحفاظ على بقاء الأمة الجزائرية حية وموجودة بين بقية الأمم، فلا يمكن لأي أمة أن تبقى مستمرة في وجودها إلا إذا تمسكت بلغتها القومية ودافعت عنها، وتمسكت بها باعتبارها أهم مقوم للهوية الوطنية<sup>(5)</sup>.

**- الاعتراف بالجنسية الجزائرية:** كان من جملة الشروط التي سطرها بيان أول نوفمبر 1954 لقبول التفاوض مع فرنسا: الاعتراف بالجنسية الجزائرية وسلامة التراب الوطني، على عكس ما كان يسعى إليه الجنرال ديغول. حيث أورد في مذكراته أنه: "على غرار فرنسا التي لم تتخل، بشكل من الأشكال عن كونها رومانية، فإن جزائر المستقبل ستظل في كثير من جوانبها فرنسية جراء الطابع الذي طبعت به، والذي ترغب في الحفاظ عليه"، وعلى الرغم من أن

(1)- محمد العربي الزيري، أسباب فشل نظام الحكم في إعادة بناء الدولة الجزائرية، المرجع السابق، ص 118-119.

(2)- يوسف قاسمي، موثيق ونصوص الثورة التحريرية الجزائرية 1954-1962 دراسة تحليلية نقدية، المرجع السابق، ص 140-141.

(3)- نفسه، ص 142.

(4)- محمد العربي الزيري، أسباب فشل نظام الحكم في إعادة بناء الدولة الجزائرية، المرجع السابق، ص 33.

(5)- رابح تركي، التربية والشخصية الجزائرية، مجلة الأصالة، عدد 4، المرجع السابق، ص 92.

الواقع اليوم يشير إلى صحة ما عبر عنه ديغول وقتها، حيث لا نستطيع أن نزعم أن الأغلبية من الرسميين الجزائريين في بلادنا لا يرغبون في الحفاظ على الطابع الإستعماري الذي طبعت به ذهنيات "بقايا الجزائريين الأهالي" وعقلياتهم<sup>(1)</sup>.

**-الوطن والرقعة الجغرافية:** إذا كانت أطراف الحركة الوطنية في الجزائر إهتمت بالإنسان باعتباره حجر الزاوية في أي عمل يهدف إقامة مجتمع مبني على أصالة الفكر وفعاليته، فإن هذه الأدبيات كانت أساس أدبيات ثورة أول نوفمبر التي ركزت في سائر نصوصها الأساسية على ضرورة تحرير الإنسان وتحرير الأرض، لأن تحرير أحدهما لا يكون من دون تحرير الآخر، إذ من غير المعقول أن يعيش الإنسان على أرض مقيدة لم يتم تخليصها من إستعمار طال أمده، وفي مقابل ذلك فإن الأرض الحرة لا تستطيع التفاعل مع إنسان مكبل بقيود الإستيلاء والغزو الثقافي، ومن هنا كان يجب إيلاء رعاية خاصة لتحرير الأرض إقتصاديا، فالتاريخ يذكر أن منطقتنا المديية ومعسكر كانتا تنتجان كميات كبيرة من أنواع الأرز، فاستبدلت زراعته بزراعة الكروم الذي لا نجد له تاريخيا مكانة في ثقافة الأرض الجزائرية<sup>(2)</sup>.

فبيان أول نوفمبر جاء ليغرس فكرة الانتماء للوطن والأرض بغض النظر عن الظروف المحيطة بالمجتمع الجزائري<sup>(3)</sup>، فبالعودة إلى سجلات التاريخ نجد أن الأرض الجزائرية قبل الاحتلال، كانت أرضا زراعية بالدرجة الأولى، تتمتع بالخصوبة والعطاء بما يغطي حاجة أبنائها حبوبا وخضرا وفواكه، لكن التخطيط الكولونيالي جعل هذه الأرض عاجزة عن توفير الغذاء لأبنائها وأنعامها، بعد إجهادها وتغريب نوعية إنتاجها، وترك مساحات شاسعة معرضة للتصحر، فكان لابد من إزالة هذا الغبن عن الأرض بعد الإستقلال، ومنحها لمن يفهم فنون الزراعة، لكون أسلافنا كانوا يعطون للأرض كثيرا من العطف والمحبة فتذر عليهم خيرا كبيرا، وبهذه الطريقة يتم تحرير الأرض وإعادة تأهيلها لتقوم بدورها، لكن هذا يحتاج أولا إلى تحرير شخصية الإنسان الجزائري من الفكر الإستعماري، من إتكالية وغريزة الجري وراء السلطة والتقليد الأعمى<sup>(4)</sup> للغرب بعيدا عن موروثنا الحضاري الذي ربط علاقة وثيقة الصلة ما بين الأرض والإنسان، أخذت عدة أبعاد أبرزها هوية الإنتماء. العربي المغاربي التي حسمت في البيان وكانت جمعية العلماء قد شاركت سنة 1947 في تأسيس لجنة تحرير المغرب العربي التي انتهجت هذا المنحى<sup>(5)</sup>، وهو ما أكدده رابح لونيسي بحسم أبعاد الهوية الجزائرية في البيان بتسبيق الإنتماء المغاربي على العربي والتأكيد الضمني على خصوصية المجتمع المغاربي ذو الثقافة البربرية المشتركة وتأثيرها القوي على الشخصية الثقافية، وعدم طرح هذا البعد صراحة في البيان إحترازا من إمكانية تجدد المشكلة البربرية<sup>(6)</sup>.

(1)-محمد العربي الزبيري، أسباب فشل نظام الحكم في إعادة بناء الدولة الجزائرية، المرجع السابق، ص 111-112.

(2)-نفسه، ص 28.

(3)- ليندة طرودي، البعد الفكري للثورة الجزائرية 1954-1962 (أول نوفمبر 1954 ذكرى وفكرة)، ط1، ألفا للوثائق، الجزائر، 2024، ص 21.

(4)-محمد العربي الزبيري، أسباب فشل نظام الحكم في إعادة بناء الدولة الجزائرية، المرجع السابق، ص 28-29.

(5)-يوسف قاسمي، موانئ ونصوص الثورة التحريرية 1954-1962 دراسة تحليلية نقدية، المرجع السابق، ص 143.

(6)-نفسه، ص 145.

إن الخطوط العريضة للبرنامج السياسي الذي تضمنه نداء أول نوفمبر 1954 مأخوذة من الوثائق الأساسية لتيارات الحركة الوطنية، ويتجلى ذلك خاصة في التعبير عن الإستقلال الوطني بواسطة إعادة بناء الدولة الجزائرية الديمقراطية الاجتماعية في إطار المبادئ الإسلامية، وتطبيق التطهير السياسي الذي يتوخى إعادة الحركة الوطنية الثورية إلى نهجها الحقيقي ثم تجميع وتنظيم كافة الطاقات السليمة لدى الشعب الجزائري، وبالنسبة للأهداف الخارجية فهي أيضا نفس أهداف الحركة الوطنية والمتمثلة في تدويل القضية الجزائرية وتحقيق وحدة شمال إفريقيا في إطاره الطبيعي العربي الإسلامي، ومساندة القضايا العادلة في العالم، لأجل ذلك يمكن القول أن بيان أول نوفمبر حوصلة ذكية لأدبيات الحركة الوطنية في الجزائر، وهو أمر طبيعي حين يأخذ الدارس في الاعتبار أن النداء كان موجه لكل الجزائريين<sup>(1)</sup>.

وعموما نخلص أن بيان أول نوفمبر من خلال هدفه العام، حمل الخطوط العريضة لمشروع مجتمع متكامل، مثل الإطار الذي سيتم ضمنه إعادة إحياء الدولة الجزائرية الوطنية الحرة والعادلة والديمقراطية ذات السيادة وفقا لمبادئها الإسلامية، ووفية لعناصر هويتها الحضارية وخصوصياتها القومية، معززة لإنتمائها العربي الإسلامي الذي يفتخر مواطنوها بالإنتماس إليه، ما يدفعهم للمحافظة على وجودها وضمان استمرارية ملغية ارتباطها بالنظام الكولونيالي الذي عطل من حركيتها التاريخية طيلة الاحتلال<sup>(2)</sup>.

### المطلب الثاني: الهوية في ميثاق مؤتمر الصومام 1956.

يعتبر مؤتمر الصومام محطة أساسية في تاريخ الثورة الجزائرية، فقد هيكلها ووجد قواعدها انطلاقا من بيان أول نوفمبر، كما وحد الرتب العسكرية دون أن ينقص من منظومة أفكارها، إلا أن المناهضين بمختلف توجهاتهم حاولوا ومازالوا يحاولون الإنتقاص من قيمة المؤتمر لأن منطقة الأوراس يومها لم تتمكن من المشاركة في أشغاله بسبب إستشهاد مصطفى بن بولعيد، بالإضافة إلى غياب مندوبية الخارج، تحت ذريعة عدم توفر أسباب التنقل لمكان الاجتماع، إلا أن

(1) - محمد العربي الزيري، أسباب فشل نظام الحكم في إعادة بناء الدولة الجزائرية، المرجع السابق، ص 165.

(2) - يوسف قاسمي، موانئ ونصوص الثورة التحريرية 1954-1962 دراسة تحليلية نقدية، المرجع السابق، ص 145.

الحجتين مردودتين على أصحابهما، لأن الاستشهاد في حكم الله، ولأن المسؤولين عن التنظيم لم يكن في إمكانهم توفير وسائل النقل للجمع خصوصاً بعد تغيير مكان الانعقاد عدة مرات<sup>(1)</sup>.

إذا ما قارنا بين بيان أول نوفمبر 1954 وميثاق مؤتمر الصومام 1956 نجد أن حضور مسألة الهوية الوطنية الجزائرية في مؤتمر الصومام كان ضعيفاً، نظراً لعدة اعتبارات منها:

- اللغة العربية هي مقوم أساسي من مقومات الهوية الوطنية، فقد أشارت إليه الوثيقة من منطلق جهود الإدارة الإستعمارية لطمسه<sup>(2)</sup> إذ جاء في الميثاق: "إن المستعمر قد عمد إلى خنق اللغة العربية الوطنية التي تتكلمها الأغلبية الساحقة من المواطنين، وقد إختفى تعليمها العالي منذ بداية الغزو بتشتيت الأساتذة والتلاميذ، وقفل الجامعات وهدم المكتبات".

- إعتبار الإسلام أحد المقومات الأساسية للهوية الجزائرية، بإشارة الوثيقة إلى السياسة الإستعمارية ضد الدين من خلال تأكيدها على: "كما تدنس الدين الإسلامي وأخضع رجاله الذين تختارهم الإدارة الإستعمارية وتجازيهم"<sup>(3)</sup>، وظهر هذا جلياً من خلال تأسيس المحاكم الإسلامية كنظام بديل للشعب عن المحاكم الفرنسية التي تصدر أحكامها تبعاً للقانون الوضعي، وأشارت "جريدة المجاهد" أن مؤتمر الصومام قد ناقش قضايا الدين والشرف والأسرى وفقاً للنظرة الإسلامية، كما تم وضع نظام للانضباط داخل الجبهة إرتكز في أسسه على الأخلاق الإسلامية موضحاً أنه "على كل مجاهد أن يتصف بالأخلاق الكريمة، لأنه مسؤول عن تصرفاته وأقواله، وإذا لم يحترم هذا المبدأ فإنه يكون قد تعدى على المبادئ الإسلامية، وهو ما شكل قطيعة شاملة مع العدو وإدارته، مؤكداً على إعادة إرساء أسس ودعائم الدولة الوطنية الجزائرية في ظل المقومات الشخصية الوطنية والقومية، ذات العمق والأبعاد التاريخية وفي إطار محيطها المغاربي والعربي"<sup>(4)</sup>، وبالتالي جردت قرارات مؤتمر الصومام السلطات الاستعمارية من أي سلطة مدنية على الشعب، وأصبح الوضع أشبه ما يكون بدولة جزائرية داخل دولة، مستقل شعبها في تعاملاته بناءً على خصوصية هويته، خصوصاً مع إستحداث المؤتمر لمصلحة الأوقاف، التي إهتمت بتعيين المدرسين وأئمة المساجد وإعداد البرامج والكتب المدرسية وتسجيل الوثائق الإدارية وحل النزاعات المختلفة ونشر الوعي الوطني بدعوة الشعب للتضحية في سبيل الوطن<sup>(5)</sup>.

رغم كون مؤتمر الصومام أحد أهم محطات الثورة التحريرية وانهجته في منطقة القبائل، إلا أنه عمد لإقصاء المناضلين ذوي النزعة البربرية باعتبارهم انفصاليين، بل تم إعدام بعضهم باعتبارهم خطراً على وحدة الثورة، ولم يكن الأمر

(1)- محمد العربي الزيري، أسباب فشل نظام الحكم في إعادة بناء الدولة الجزائرية، المرجع السابق، ص 46.

(2)- رضوان شافو، إشكالية مفهوم الهوية الوطنية الجزائرية عند الجزائريين، المرجع السابق، ص 70.

(3)- نفسه والصفحة.

(4)- يوسف قاسمي، موانئ ونصوص الثورة التحريرية 1954-1962 دراسة تحليلية نقدية، المرجع السابق، ص 186-190.

(5)- النصوص الأساسية لثورة نوفمبر 54، منشورات المؤسسة الوطنية للإتصال النشر والإشهار، وحدة الروية، الجزائر، 2008، ص ص 44-45.

متعلق بتصفية على أساس جهوي كما يزعمه بعض الباحثين في المسألة الأمازيغية، بحكم أن عددا معتبرا من قادة الثورة النافذين إليها هم من القبائل، مثل عبان رمضان وكرتم بلقاسم وعميروش... إلخ<sup>(1)</sup>.

لقد أشار العربي الزيري إلى أنه تمت محاولات إفشال مشروع المجتمع لبيان أول نوفمبر على مستويين، الأول تمثل في الحكومة الفرنسية التي سعت لتشكيل القوة الثالثة بهدف التصدي لجهة التحرير، أما المستوى الثاني فتمثل في الحزب الشيوعي الجزائري الذي رفض الإلتحاق بالثورة، ويرجع البعض خلفيات المؤامرة إلى مؤتمر وادي الصومام، مستدلين إلى كون الوثيقة الصادرة عنه أهملت عن قصد مبدأي العروبة والإسلام، وإسناد مناصب مهمة لبعض الإطارات الغير متشعبة بالفكر الثوري والقاديين من تشكيلات سياسية غير التيار الإستقلالي إلا أن هذا الزعم كان يمكن تصديقه لو ورد في أي مكان من الوثيقة ما يبرز تنكر لبيان أول نوفمبر أو انتقاد واحد لتوجهاته الأساسية، بالإضافة إلى أن الذين صاغوا وثيقة المؤتمر لم يخفوا إيمانهم بكل ما جاء في البيان<sup>(2)</sup>.

وهو نفس الطرح الذي ذهب إليه يوسف قاسمي عند تطرقه إلى إشكالية المحتوى الإيديولوجي للثورة وهويتها العقائدية، التي أثّرت عند إتهام ميثاق الصومام بالتخلي عن توجه بيان أول نوفمبر، وإقرار الصفة العلمانية ونفي الصفة الدينية عن حرب التحرير<sup>(3)</sup>، بناء على ما جاء في نص الميثاق قائلا "الحاصل أنه كفاح في سبيل نهضة دولة جزائرية في شكل جمهورية ديمقراطية واجتماعية، وليست في سبيل إعادة حكم ملكي أو حكم قائم على ما يعبر عنه باللاهوتية، وتلك نظم قد اضمحلت ودالت دولتها"<sup>(4)</sup>، وتم التأكيد على نفي الصفة الملكية والحكم اللاهوتي من مشروع الدولة الجزائرية المراد بعثها من جديد، وفقا لما لا يتناقى مع عقيدة الشعب والدولة باعتبارهما مسلمين عقيدة وإنتماء تاريخيا وحضاريا وهو ما أثبتته فشل مشروع التنصير أمام تمسك الجزائريين بإسلامهم وهويتهم الحضارية، لذا جاء التأكيد على إبطال واستبعاد صفة الحرب الدينية عن الثورة التحريرية من منطلق تفويت الفرصة على الإستعمار الذين اتهموا الثورة بأنها حرب عنصرية دينية ضد المسيحيين وتغليب الرأي العام، الذي وجهت له وثيقة الصومام كي لا تخسر دعمه للقضية الجزائرية ضد فرنسا لذلك تم اعتماد مبدأ السرية بخصوص هذه المسألة كما أشار لذلك بن يوسف بن خدة<sup>(5)</sup>.

(1)- ناصر جابي وآخرون، المرجع السابق، ص 91.

(2)- فقد كانوا في تحليلاتهم السياسية والأيدولوجية ينطلقون دائما من أدبيات حزب الشعب الجزائري، التي كانت تدعو إلى الإستعداد للكفاح المسلح بهدف استرجاع السيادة الوطنية وإعادة بناء المجتمع الجزائري المسلم، وهو النهج الذي بقي متبعا ميدانيا داخل البلاد إلى غاية وقف إطلاق النار محمد العربي الزيري، أسباب فشل نظام الحكم في إعادة بناء الدولة الجزائرية، المرجع السابق، ص ص 112-113.

(3)- يوسف قاسمي، موانئ ونصوص الثورة التحريرية 1954-1962 دراسة تحليلية نقدية، المرجع السابق، ص 204.

(4)- النصوص الأساسية لجهة التحرير الوطني (1954-1962)، نشر قطاع الإعلام والتكوين "حزب جبهة التحرير الوطني"، الجزائر، 1987، ص 12.

(5)- إلا أن بن خدة أعاد النظر في موقفه هذا خلال معرض حديثه عن ميثاق مؤتمر الصومام معتبرا الوثيقة إستبعدت الإطار والقيم والمبادئ الإسلامية وعدم التزامها بالاستمرارية مع بيان أول نوفمبر، وهو نفس رأي ناصر الدين سعيدوني الذي أشار إلى أن مؤتمر الصومام لم يركز على البعد العربي الإسلامي لكن سلم به ضمنا. يُنظر: يوسف قاسمي، موانئ ونصوص الثورة التحريرية 1954-1962 دراسة تحليلية نقدية، المرجع السابق، ص ص 205-206.



إن التأكيد على داخل البلاد مقصود لأن الانحراف الأيديولوجي الأول وقع سنة 1960 عندما أوى المجلس الوطني للثورة الجزائرية تركيزه على دراسة الوضعية العسكرية واتخاذ إجراءات استعدادا لمرحلة الانتفاضات الشعبية، وإسناد مسؤولية صياغة الوثيقتين الأساسيتين إلى لجنة تقنيين يتقدمهم الدكتور "فرانز فانون" المتشبعين بالأيديولوجية الماركسية التي تعتبر الديانات "أفيون الشعوب"، وهي أفكار تتناقض مع منظومة أفكار جبهة التحرير، لكونهم كانوا يرون أن مستقبل الجزائر لن يكون زاهرا في دائرة العروبة والإسلام، التي تمثل في نظرهم بؤرة الرجعية والعصور المظلمة، والمغرب العربي غير مقبول إلا إذا تجرد من صفة العروبة، وحشر في إطار شمال إفريقيا الذي تربط بين أقطاره اللغة الفرنسية والثقافة الغربية اللتان اعتمدهما الاحتلال وسط الأهالي لسلخهم عن الذات الضرورية لديمومتهم<sup>(1)</sup>، إلا أننا نبقى متحفظين على هذا الطرح لكون "فرانز فانون" كان مناضلا ملتزما ومعبرا عن أفكار الثورة بعد أن قام بدراسة علمية لأسلوبها ومنهجها وهدفها، وهو ما يدل على عمق وعيه الفكري بالمجتمع الجزائري، وهو الذي حلل بدقة مفهوم الاستعمار الذي أجمله في كل القوى التي تجعل الأرض والإنسان يعارض وجود الأمة الجزائرية، فالرجل منذ إلتحاقه بالثورة إلترزم بالنضال من أجل تحقيق أهداف جبهة التحرير روحا وجسدا وفعلا<sup>(2)</sup> فكيف يتناقض مع منظومة أفكارها؟

وقد اجتهد المشرفون على الصياغة لبلورة الانسجام بين الوثيقتين فيما يتعلق بتعريف الدولة الجزائرية التي سيعاد بناؤها بعد الاستقلال، بحيث أنها لم تعد "جمهورية ديمقراطية اجتماعية في إطار المبادئ الإسلامية" كما نص عليه بيان أول نوفمبر، ولكنها "جمهورية ديمقراطية اجتماعية غير متناقضة مع المبادئ الإسلامية"، ووقع السكوت على مبدأ أساسي كانت أطراف الحركة الوطنية تجاهد لإبرازه في أدبياتها طيلة فترة نضالها، والذي كان يؤكد على أن الجزائر جزء لا يتجزأ من المغرب العربي، وهي تنتمي إلى الوطن العربي الذي تربطها به أربعة عشر قرنا من التاريخ والثقافة والحضارة العربية الإسلامية، والكفاح ضد القهر الاستعماري والظلم الإمبريالي<sup>(3)</sup>، وبالتالي عدم إحياء "نظام ملكي أو دولة دينية تجاوزها الزمن"، وذلك برفض أي نظام سياسي يذكر بطريقة أو بأخرى بالنظام الذي كان قائما قبل الإستعمار أو النظام ذي المرجعية الدينية<sup>(4)</sup>.

ومع أن العربي الزيري رأى أن التعبيرين متناقضان ولا يمكن إيعاز ذلك إلى مجرد خطأ في الصياغة، بل إن الأمر على ما يبدو كان مبيتا، وما كان ليقع لولا الثقة التي لم تكن في محلها، والتي ترتب عنها واحدة من الانحرافات الخطيرة التي ستكون أساسا للإنزلاقات التي سوف تقود تدريجيا إلى الخروج نهائيا عن الخط الأيديولوجي المسطر من قبل الحركة الوطنية والمعلن من قبل جبهة التحرير الوطني ليلة أول نوفمبر 1954، فالصياغة الجديدة تعود بالثورة إلى أدبيات الحزب الشيوعي الذي "يتصور الجمهورية الجزائرية في إطار الاتحاد الفرنسي ويرفض رفضا قاطعا اللغة العربية والعروبة

(1)- محمد العربي الزيري، أسباب فشل نظام الحكم في إعادة بناء الدولة الجزائرية، المرجع السابق، ص 113.

(2)- ليندة طرودي، المرجع السابق، ص ص 63-66.

(3)- محمد العربي الزيري، أسباب فشل نظام الحكم في إعادة بناء الدولة الجزائرية، المرجع السابق، ص 113.

(4)- الهاشمي جيار، مؤتمر الصومام الفعل المؤسس بجلوه ومره، ترجمة حضرة يوسف، المؤسسة الوطنية للإتصال والنشر والإشهار، وحدة الرواية، الجزائر، 2014، ص 114.

والإسلام، كما أنه لا يؤمن بوحدة شمال إفريقيا في إطاره الطبيعي العربي الإسلامي" وهو التصور الذي كان دائما يقف حاجزا بينه وبين باقي أطراف الحركة الوطنية<sup>(1)</sup>، رغم أن الدين الإسلامي يأتي في أولوية الترتيب لدى الغالبية العظمى من سكانه، فهو فوق كل الإعتبارات بما فيها القطرية والوطن، لتتعدى الهوية الإسلامية العروبة والقومية ضد المحتل<sup>(2)</sup>.

عارض البشير الإبراهيمي والرئيس فرحات عباس، الإختيار الإشتراكي الذي انتخبه أحمد بن بلة بعد الإستقلال، ففرحات عباس الأخير الذي إعتبر الإختيار الجديد إعتداء صارخ على الإسلام وعلى الشيوعية في آن واحد، إذ حكم على أن الأول "صالح روحيا وفساد إقتصاديا" وعلى الثاني أنه "فاسد روحيا وصالح إقتصاديا"، كما تنبأ فرحات عباس بأن "الخلط بين أيديولوجيتين متناقضتين سوف يقود البلاد إلى الفوضى وإلى الشلل الاقتصادي"، وهو نفس موقف محمد خيضر الذي صارع على جبهتين، جهة رئيس الحكومة الذي منعه من تأدية مهامه كأمين عام للمكتب السياسي ومسؤول على التحضير للمؤتمر الوطني، ومن جهة أخرى وقوفه ضد الشيوعيين الذين استغلوا الفراغ السياسي، وعملوا على طمس أدبيات أطراف الحركة الوطنية قبل إنعقاد المؤتمر<sup>(3)</sup>، خاصة في بعدها الديني ثم اللغوي، الذان يعتبرهما الباحثون والمؤرخون لفكر الأمة والدولة المقومين الأساسيين في تحديد شخصية المجتمع الجزائري ومعيار الانتماء الاجتماعي ومحددات الوجود النوعي لماهية المجتمع، الذي صيغت شخصيته عبر سلسلة من الأحداث التاريخية والملحمة أدت لتفرد، ليصبح أفرادهم يعبرون عن وجودهم من خلال موافقهم وعهودهم الرسمية التي اقتضتها التنظيمات المعاصرة للدولة الحديثة<sup>(4)</sup>.

إلا أنه بالعودة إلى محتوى وثيقة الصومام لا نجد سند يؤكد إتهام المؤتمرين بنفيهم عروبة الجزائر وانتماءها الإسلامي منحرفين بل لك عن مبادئ نوفمبر، بل بالعكس من ذلك، نجد أن اللغة العربية والإسلام حظيا باعتراف ومكانة مميزة، فيما تم انتقاد الشيوعية والفرنكوفونية المرفوضة، بعدم قبول قرارات الصومام لفرنسة الجزائريين، واعتبار اللغة العربية هي اللغة الرسمية للأغلبية الساحقة، كما أن المناصب والرتب في مصطلحات جبهة التحرير وردت بصيغتها العربية، والدفاع عن الإسلام كان صريحا برفض إهانتته، مشيرا إلى إعاقاة الإستعمار للحركة التقدمية التي قامت بها جمعية العلماء المسلمين<sup>(5)</sup>.

ومع أن الزيري يرى أنه تم التخلي عن مشروع المجتمع الذي ضببطت خيوطه العريضة في بيان أول نوفمبر، والذي كان في مجمله تعبيرا صادقا عن مسيرة النضال الوطني وصولا إلى الكفاح المسلح، وتنفيذا لطموحات الشعب الراغب في استرجاع سيادته وإعادة ربط جزائر الحاضر بجزائر ما قبل سنة 1830، ببعث دولة جزائرية تكون "جمهورية ديمقراطية إجتماعية في إطار المبادئ الإسلامية"، لأن اختيار التعبير "في إطار المبادئ الإسلامية" كان مقصودا، كما كان

(1)- محمد العربي الزيري، أسباب فشل نظام الحكم في إعادة بناء الدولة الجزائرية، المرجع السابق، ص 114.

(2)- عمار زيلي، تشكل عناصر الهوية المغاربية، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط 1، 2020، ص ص 115-116.

(3)- المرجع السابق، ص 117.

(4)- سمير أبيش، المجتمع الجزائري دراسات حول الهوية الوطنية وإشكالاتها، ج 1، ألفا للوثائق، قسنطينة، الجزائر، ط 1، 2024، ص 31.

(5)- الهاشمي جبار، المرجع السابق، ص 148.

مقصودا ما قام به أعداء الثورة من تغييب هذا التعبير في مؤتمر طرابلس سنة 1960، وانتهاء تكريس "الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية" في 25 ديسمبر 1962، لأجل هذا كان لزاما وقتها على قيادة الثورة أيا كانت أن تراجع برنامج طرابلس بدقة آخذة بعين الاعتبار أدبيات أطراف الحركة الوطنية، وتطهيره من المصطلحات التي لا علاقة لها بواقع الشعب الجزائري<sup>(1)</sup>.

إلا أن هناك من رأى أن ظرفية مؤتمر الصومام وضرورة طمأننة فرنسيي الجزائر وضرب الدعاية الاستعمارية، دون تنازل عن جوهر القضية بأن الكفاح كان يستهدف النظام الاستعماري وليس مجموعة دينية، إضافة إلى عدم وجود ما يثبت أن نص الصومام كان موجها ضد الإسلام من خلال التوجه اللائكي لمحريه من أمثال أوزقان، كما أن تأويل نص الصومام بحجة الشيوعية اعتبره البعض أمرا غير مقبول، لأن التنديد بالإيديولوجيا الشيوعية كان واضحا كونها من بقايا تصورات الفرع الفرنسي المؤيدة لسياسة الإدماج، ويمكن تفسير غياب الإشارة إلى المبادئ الإسلامية بحقيقة أن الجزائريين لا يتركون أبدا تقديسهم للوطن، وهو شعور نبيل وفاض<sup>(2)</sup>.

### المطلب الثالث: الهوية في ميثاق طرابلس 1960.

إن الهدف من الاجتماع الذي انعقد في طرابلس هو ضبط مستقبل البلاد فيما يخص تحديد التوجهات الكبرى والإختيارات التي يجب وضعها لتعزيز مكانة الجزائر وكيانها في المحيط الداخلي والخارجي، ومن القضايا والأفكار المتعلقة بالهوية الوطنية التي أكدت عليها الوثيقة نجد:

- إعادة الاعتبار للغة العربية لكونها المعبر الحقيقي عن القيم الثقافية للأمة الجزائرية.
- تأكيد الإنتماء الجزائري للحضارة الإسلامية ضمن البناء العملي للمجتمع الذي بدأ تاريخيا ويتواصل حاضرا من خلال الجهود الإيجابية على الصعيدين العملي والفكري إقتصادا وثقافة.
- الإسلام من العناصر الأساسية المكونة للهوية الوطنية، لإتصاله بالقيم الروحية التي حافظت للأمة الجزائرية على تماسك هويتها بمختلف عناصر، على الرغم مما مرّ بها من تحديات إستعمارية<sup>(3)</sup>.

فبرنامج طرابلس لم يهمل تحديد مفهوم الثقافة الجزائرية التي ستكون وطنية بإعتباره أن اللغة العربية هو المعبر الحقيقي عن القيم الثقافية للبلاد وكرامتها ونجاعتها كلغة حضارة، لذلك ستعيد بناء التراث الوطني وتقييمه والتعريف بانسانيته المزدوجة القديمة والحديثة، وتربية الشعور الوطني ومحاربتها للتأثير الغربي<sup>(4)</sup>، بالإضافة إلى تأكيد وثيقة المؤتمر على الإنتماء للحضارة الإسلامية وأن نهضة البلاد لا تخضع لصيغ ذاتية بسيطة في السلوك العام، وفي ممارسة الشعائر الدينية،

(1)-محمد العربي الزبيري، أسباب فشل نظام الحكم في إعادة بناء الدولة الجزائرية، المرجع السابق، ص 118.

(2)-المرجع السابق، ص 115-118.

(3)-رضوان شافو، إشكالية مفهوم الهوية الوطنية الجزائرية عند الجزائريين، المرجع السابق، ص 70-71.

(4)-اعتبر شارل أندري جوليان أن الثقافة البربرية كانت بدائية الطابع، بما فيها اللغة والدين، ونفى وجود شخصية قومية بربرية، في حين ذهب البعض إلى قراءة تاريخ الفتح الاسلامي قراءة إيديولوجية لخدمة أغراض سياسية محضة بإنكار الهوية العربية الإسلامية لبلاد المغرب، واعتبارها هوية غازية، وأغلبها أفكار أنتجت في المدرسة الغربية، يُنظر: محمد صالح الهرماسي، مقارنة في إشكالية الهوية المغرب العربي المعاصر، دار الفكر، دمشق، سورية، ط 1، 2001، ص 44-45.

بل اعتبر الحضارة الإسلامية بناء عملي وفكري للمجتمع يجب أن تنطلق منه كل نهضة حقيقية، لكون الإسلام الذي تخلص من البدع والأوهام التي خنقته وحرفت جوهره، يجب أن تنعكس على الثقافة والشخصية الجزائرية بتقويتها وتعزيزها، بانتهاج التعريب التدريجي للتعليم، وتوسيع مجانية هذا الأخير، والمحافظة على التراث الوطني للثقافة الشعبية، وجزارة البرامج<sup>(1)</sup>، ولعل تركيز مؤتمر طرابلس على بعد العربية والإسلام يتوافق مع تأكيد المؤرخين لفكرة عمق هذين البعدين في الهوية المغاربية فرغم صفة الوطنية التي تميزها إلا أنها لا تتكامل إلا في ظل أبعادها الثلاثة الوطنية والإسلام والعروبة<sup>(2)</sup>.

كتب فرحات عباس حول هذا المؤتمر قائلا: "في طرابلس، كان المجلس الوطني للثورة الجزائرية قد تلقى من فدرالية جبهة التحرير الوطني بفرنسا مشروع دستور، وعندما انتخب المجلس الوطني التأسيسي استلمت لجنة الدستور مشروعين آخرين أحدهما من إعداد وتقديم النواب ابن عبد الله وأوصديق والمهداوي والقنصلين ابن ديمراد وابن غزال، وثانيهما من طرفي شخصيا"، إلا أن الحكومة أعلنت أنها بصدد إعداد مشروع آخر، والذي تم من طرف مجموعة من الإطارات المقربة من رئيس الحكومة والمنتمية إلى فكر سياسي غير فكر جبهة التحرير الوطني، ومن بينهم من لم يكن جزائريا أصلا، بالإضافة إلى المدسوسين من طرف المخابرات الفرنسية، وهو ما اعتبره محمد خيضر اعتداء على صلاحياته وصلاحيات المكتب السياسي، ورفض الأمر كلية والتقى بفرحات عباس مطالبا بإعطاء الحرية للمجلس الوطني التأسيسي لممارسة مهامه المشروعة، نظرا لضمه إطارات أثبتت وعيها وتمسكها بالمصلحة الوطنية<sup>(3)</sup>، وهو ما عبر عنه المجلس الوطني للثورة باستكمال المهمة التاريخية بفحص المقاصد البعيدة<sup>(4)</sup>، منطلقا من فكرة إشادته بالفضل التاريخي للمجتمع الجزائري الذي وقف ضد كل محاولات إبادة، من خلال صون هويته وتنظيم نفسه في إطار أمة واعية لمواجهة الخطر الاستعماري بمحافظته على تقاليده في الكفاح والمقاومة ما سمح باستمرارية وجوده، لذا كان من واجب الثورة تخليص أرض هذا الشعب من المعادين لوطنه وهويته<sup>(5)</sup>.

إن المجلس الوطني للثورة الجزائرية كان قد أعاد في دورته الأخيرة بطرابلس الثقة في الحكومة المؤقتة وأوصى بأن تواصل جبهة التحرير الوطني مهمتها إلى حين عقد المؤتمر الشامل على الأرض الجزائرية، كما أوصى بأن تتبع الجزائر توجهها اشتراكيا في إطار المبادئ الإسلامية، إلا أن المجلس الوطني التأسيسي المنتخب في 20 سبتمبر 1962 عين حكومة جديدة برئاسة أحمد بن بلة الذي صرح من تلقاء نفسه في ندوة صحفية: "أن الجزائر إختارت رسميا اشتراكية فدل كاسترو التي هي الاشتراكية العلمية الماركسية اللينينية"<sup>(6)</sup>، والذي يعرف حقيقة الرئيس أحمد بن بلة لابد أن يدرك

(1)-النصوص الأساسية لثورة نوفمبر 54، المرجع السابق، ص 80-96.

(2)-محمد صالح الهرماسي، المرجع السابق، ص 41.

(3)-محمد العربي الزيري، أسباب فشل نظام الحكم في إعادة بناء الدولة الجزائرية، المرجع السابق، ص 184.

(4)-أندريه ماندوز، المصدر السابق، ص 219-220.

(5)-النصوص الأساسية لثورة نوفمبر 54، المرجع السابق، ص 69-73.

(6)-محمد العربي الزيري، أسباب فشل نظام الحكم في إعادة بناء الدولة الجزائرية، المرجع السابق، ص 116.

أن هذا التصريح كان سطوحيا فقط، لأن الرجل لم يكن يميز بين أنواع الإشتراكية ولم تكن له القدرة العلمية على الفصل بين الإسلام والأيدولوجيات العلمية التي كانت متداولة آنذاك<sup>(1)</sup>.

تضمن برنامج طرابلس تقوية الوطن بإعادة قيمته المكبوتة في إطار سيادة كاملة وثقافة وطنية وفق منظار حديث<sup>(2)</sup>، وبالتالي تحديد برنامج طرابلس لسنة 1962 المعالم الكبرى التي سيسير وفقها المجتمع الجزائري بعد الحصول على السيادة الوطنية الكاملة على ترابه، لكن الكثيرين يذهبون إلى اعتبار ما جاء في ميثاق طرابلس أبعد ما يكون عن روح المجتمع وفلسفته التاريخية، بل يرون ما جاء في الميثاق متناقضا مع أيديولوجية الثورة في حد ذاتها، وهذا الموقف حسبهم جاء كنتيجة حتمية للأوضاع التي أحاطت بعقد مؤتمر طرابلس التي انعكست بدورها على الأفكار التي تضمنها الميثاق الصادر عن المؤتمر، إلا أن هذا لا يلغي أن نجاح الثورة ومباشرة المفاوضات قضى وبشكل نهائي على فكرة الجزائر الفرنسية التي كان ينادي بها دعاة الاندماج، بعد أن تحقق مبدأ الوحدة الوطنية بين الجزائريين وقويت العلاقة المتينة بين أفراد الشعب نتيجة توجيه قوتهم ضد المستعمر الفرنسي، وزالت بذلك الخلافات التي كان يغذيها التعصب للتوجهات الحزبية، وظهر بدلها التعصب للوطن طاقات متشعبة بالروح الوطنية وكلها استعداد للتضحية في سبيله، واستطاعت الجماهير الشعبية أن تتحرر من قيود الاستعمار، فبرزت الطاقات الكامنة وأبانت عن مقدرتها في تنظيم العمليات الثورية، التي زعزعت راحة المستعمر وشكلت تهديدا فعليا لوجوده بالجزائر الذي امتد منذ 1830.

#### المطلب الرابع: موقف بعض علماء الجمعية من الهوية في موثيق الثورة.

يشير جاك بيرك إلى أن المصلحين هم مهدوا الطريق للثوار، وأن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الجزائر هي التي نهضت بالدور الأساس في التمهيد للاستقلال، واعتبر ابن باديس أنه مؤسس الشخصية الجزائرية<sup>(3)</sup>، لذا فلا غرابة أن نجد ذلك التطابق الكبير بين المبادئ التي كرسها بيان أول نوفمبر والتي نادى بها جمعية العلماء منذ تأسيسها، سواء ما تعلق بمبدأ الإسلام الذي يعتبر الدين الرسمي للأمة والدولة الجزائرية المستقلة، مع وحدة الانتماء التاريخي والجغرافي للشعب الجزائري، فالبيان كفّل الوحدة الوطنية لجميع فئات وأطياف المجتمع الجزائري على إختلاف انتماءاتهم وتوجهاتهم، والوحدة الوطنية هي من أسباب تماسك الجزائريين وتلاحمهم في المحن التي مرت عليه عبر تاريخه الوطني الطويل، وهي التي ساهمت في بقاء روح المقاومة الجزائرية ضد الاحتلال الفرنسي ومختلف سياساته الاستعمارية للقضاء على الهوية الجزائرية للأهالي الأصليين للقطر الجزائري. ويبرز هذا الأمر من خلال بعض مصطلحات الهوية وظلال معانيها التي إنتقلت من أدبيات الحركة الوطنية وعلى رأسها جمعية العلماء إلى بيان أول نوفمبر ما عكس إستمرار الإيديولوجية بفكرها الوطني<sup>(4)</sup>. كما أن بيان أول نوفمبر ما هو إلا تجسيد فعلي على أرض الواقع لمشروع إعادة بناء دولة جزائرية في إطار مبادئ الهوية الوطنية التي سعت جمعية العلماء إلى إحياء جميع مقومات ورموز السيادة التي تبرز خصوصية الأمة الجزائرية عن

(1)- محمد العربي الزبيري، أسباب فشل نظام الحكم في إعادة بناء الدولة الجزائرية، المرجع السابق، ص 183.

(2)- النصوص الأساسية لثورة نوفمبر 54، المرجع السابق، ص 76.

(3)- محمد اليعقوبي، المرجع السابق، ص 168.

(4)- يوسف قاسمي، موثيق ونصوص الثورة التحريرية 1954-1962 دراسة تحليلية نقدية، المرجع السابق، ص 138-139.

فرنسا، فالبيان وحد مختلف الاتجاهات الأيديولوجية لتيارات الحركة الوطنية ووضعها على نهج وصف واحد لتحقيق الهدف الأسمى والمشارك بعد إدراك كبير لخطمية لم تشمل الطاقات الوطنية واستثمار جميع الجهود لتحقيق الهدف الواحد، بعد أن تأكد فشل جميع المساعي السابقة التي اتسمت بتبعثرها في جميع الاتجاهات دون أن تصل إلى الهدف الوطني المبتغى.

منحت موافقة الثورة كلها مكانة هامة للإسلام باعتباره الدعامة الأساسية لتأكيد هوية المجتمع الجزائري عقائديا وسياسيا لارتباطه بالوطنية والقومية والتحرر تحت شعار "حب الوطن من الإيمان"، رغم أن توظيف بيان أول نوفمبر للمصطلحات الدينية جاء بنسبة 0.5% وهي نسبة قليلة -مقارنة بالجهود التي قامت بها جمعية العلماء- إلا أن مصطلح المبادئ الإسلامية كان لوحده أكثر تعبير عن معاني البعد الديني<sup>(1)</sup>، ولعل هذا ما ذهب إليه سعد الله حين أشار أن حضور القيم الإسلامية التي تضمنها برنامج جمعية العلماء لم تكن بنفس قوة الحضور في بيان أول نوفمبر، فجاء التعبير عن البعد الحضاري للأمة الإسلامية القائمة على مبادئ الإسلام والعروبة باهتا وضعيفا، حيث قال سعد الله: "... يلاحظ بدون شك أن هناك غيابا لمبادئ جمعية العلماء المسلمين التي رسمتها للجزائر ماضيا ومستقبلا، كما يلاحظ أن البيان لا يجيب على بعض النقاط بوضوح، كالهوية والإسلام والعروبة، وأنه ليس ميثاقا أو عريضة مرجعية ذات فلسفة وتصورات حضارية، وإنما هو وثيقة -سياسية- صحفية كتبت فيما يبدو على عجل وصيغت في عبارات بسيطة وعملية" وربما هذا سبب تحفظ بعض العلماء على البيان<sup>(2)</sup>.

ومن خلال تقارير إدارة الاحتلال التي تضمنت قراءاتها وتحليلاتها لما بين سطور الخطاب الإصلاحية لرجال جمعية العلماء، اعتبر الاستعمار المدارس الإصلاحية منابر سياسية دينية دعمت الثورة، فشددت المراقبة على علماء الجمعية، إلا أن هذا الخطر لم يكن ليمنعهم من إعداد وعاطف تزايد عددهم من 143 عالما سنة 1953 ليصل إلى 200 عالم سنة 1954، ثم 233 سنة 1955، وهو ما يعني تصميم جمعية العلماء على الإستمرار قدما في تحقيق أهدافها رغم عراقيل الاحتلال<sup>(3)</sup>.

وفي الكلمة التي وجهها الورتيلاني والإبراهيمي من مكتب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالقاهرة في 15 نوفمبر 1954م، لتأييد الثورة تحت عنوان: "إلى الأبطال من أبناء الجزائر اليوم حياة أو موت، بقاء أو فناء"، جاء فيه ما يلي: "إن فرنسا لم تترك ديننا ولا دنيا، فأوقفكم مصادرة، لم يبق منها أثر ولا عين، ومساجدكم حولت إلى كنائس ومرافق عامة، وأرضكم الغنية مغصوبة وكرامتكم مهدومة ... أيها الأحرار الجزائريون اعلموا أن الجهاد للخلاص من هذا الاستعباد قد أصبح اليوم واجبا عاما مقدما فرضة عليكم دينكم وفرضته قوميتكم ..."<sup>(4)</sup>، وهو ما يعني

(1)-لصرح الدين لعوج، المرجع السابق، ص 111.

(2)-المرجع السابق، ص 142.

(3)- بشير بلمهدي علي، موقف الأطراف الدينية الثلاثة (الزوايا، المساجد الرسمية، وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين) من الثورة التحريرية في سنتها الأولى

1954-1956م، أعمال الملتقى الوطني الأول والثاني حول دور الزوايا إبان المقاومة والثورة التحريرية، جامعة السانية بهران، 25 و 26 ماي 2005،

منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007، ص ص 260-261.

(4)-الفضيل الورتيلاني، الجزائر الثائرة، المصدر السابق، ص 171.



استمرار طموحات الحركة الإصلاحية المسلمة خلال مرحلة الثورة التحريرية في الوصول إلى ثقافة جزائرية تحافظ على أصالتها الخاصة، ومتكيفة مع مقتضيات العصر، فرغم القهر الاستعماري وعقبات الأمية وخطورة سياسة الإدماج تمكنت جمعية العلماء المسلمين من صيانة ذات الأمة في جوهرها<sup>(1)</sup>، لتكمل مسيرة نضالها على نفس النهج مع إندلاع الثورة.

كما يضيف الورتيلاني: "... إن فرنسا لم تبقي لكم ديناً ولا دنيا، وكل إنسان في هذا الوجود البشري، إنما يعيش لدينٍ ويحيى لدنيا، فإذا فقدنا فطن الأرض خيرٌ له من ظهرها، وأنها سارت بكم من دركة إلى دركة، حتى أصبحت تتحكم في عقائدكم وشعائركم، فالصلاة على هواها لا على هواكم، والحج بيدها لا بأيديكم، والصوم برؤيتها لا برؤيتكم، وقد قرأتم وسمعتهم من رجالها المسؤولين عزمها على إحداث (إسلام جزائري)، ومعناه إسلام ممسوخ مقطوع الصلة بمنبعه في الشرق وبأهله من الشرقيين. إن الرضى بسلب الأموال قد ينافي الهمة والرجولة، أما الرضى بسلب الدين والاعتداء عليه فإنه يخالف الدين، والرضى به كفر بالله وتعطيل للقرآن"، ثم يضيف: "... إن شريعة فرنسا... أنها عدوٌ لكم، وإنكم عدوٌ لها، والله لو سألتموها ألف سنة، لما تغيرت نظرتها العدائية لكم، وهي بذلك مصممة على محوكم ومحو دينكم وعروبكم وجميع مقوماتكم"<sup>(2)</sup>.

في بيان أول نوفمبر 1954 ما هو إلا تنويع لكل ذلك الحراك السياسي الذي طبع نضال الجزائر خلال النصف الأول من القرن العشرين، حيث نص البيان على إقامة وحدة الشمال الإفريقي في إطار محيطه الطبيعي العربي الإسلامي<sup>(3)</sup>، الذي نادى به جمعية العلماء المسلمين منذ تأسيسها، واستمرت الجهود لإحياء مقومات الهوية الوطنية إلى غاية قيام الثورة التحريرية، التي انظمت إليها العلماء بصفتهم الفردية، ودعموا أفكارها، وهو ما اعتبره الإستعمار الفرنسي وأتباعه خطراً عليه نظراً لتطابق أفكار العلماء مع أفكار جبهة التحرير الوطني والمتفائلة بأفق الحرية التي ستشرق على الجزائريين، وما يؤكد هذا الموقف تعجب الإستعمار الفرنسي قيام المجاهدين في فيفري 1956 بإزاحة 65 مدرسة كولونيلية منها 17 مدرسة في منطقة القبائل لوحدها، وأسسوا بدلها مدارس إصلاحية إتمدت اللغة العربية كلغة رسمية للجزائريين، وهذا التوافق الذي جمع بين جبهة التحرير وجمعية العلماء أقلق محرري التقارير البوليسية في الجزائر كلها وقتها<sup>(4)</sup>.

كما تعتبر قضية الإسلام ومبادئه من بين أهم القضايا التي واكبت حركة الجهاد الوطني خلال مقاومة القرن 18م، واستمرت مرحلة النضال السياسي للحركة الوطنية، على يد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي تعتبر أقوى هيئة حملت القضية الإسلامية، ليأتي بيان أول نوفمبر ليؤكد ما كان مؤكداً سابقاً ويزيل الغموض ويحدد وظيفته بدقة، وينقله من شعار يفتقر للإدراك الصحيح والإجراء العملي، إلى مبادئ تعني الأصل والبداية والإبتداء أي القواعد الأساسية التي

(1)- أندريه ماندوز، الثورة الجزائرية عبر النصوص، منشورات المؤسسة الوطنية للإتصال النشر والإشهار، الجزائر، 2007، ص 45.

(2)- المصدر السابق، ص 176-177.

(3)- عامر بغدادي، المرجع السابق، ص 99-100.

(4)- بشير بلمهدي علي، المرجع السابق، ص 268.

تقوم عليها المرجعية العقدية والفكرية والقيمية للثورة والدولة الجزائرية المستقبلية<sup>(1)</sup>، فرغم الضبابية<sup>(2)</sup> التي ميزت مواقف رجال الجمعية داخل الوطن من إندلاع الثورة التحريرية، بين من دعى إلى تأييدها ومن تحفظ عليها، فأحمد توفيق المدني أشار أنه قام في 1 نوفمبر 1954 باستدعاء أعضاء المجلس الإداري للجمعية، بعد أن علم من مصدر موثوق خبر إندلاع الثورة أثناء الزيارة التي قادته إلى باتنة في أكتوبر 1954<sup>(3)</sup>، وخلص هذا الاجتماع إلى قرار المجلس بمساندة الثورة دون تحفظ، وتم إرسال رسالة من الأمين العام للجمعية إلى رئيسها بالقاهرة يبلغه بالحدث ويدعوه لتأييده<sup>(4)</sup>، كما يذكر أن الشيخ العربي التبسي النائب الأول لرئيس الجمعية كان بأفكاره وتوجهاته مقتنعا بضرورة الإسراع لتأييد الثورة<sup>(5)</sup>.

ونظرا لحساسية الوضع الذي خلفه إندلاع الثورة اجتمع فريق تحرير جريدة البصائر لسان حال جمعية العلماء المسلمين رفقة نائب الجمعية العربي التبسي، واتفقوا على إسناد مهمة تحرير افتتاحية ومقالات تغطية أحداث الثورة لتوفيق المدني<sup>(6)</sup>، ومن خلال افتتاحيات الجريدة يتبين مدى التذبذب في المواقف من الثورة، نظرا لعدة اعتبارات من بينها تجنب الإصطدام مع الإستعمار الفرنسي الذي كان قد فرض الرقابة العسكرية على محتوى الجريدة، وكثيرا ما كانت أعدادها تتعطل في الصدور بسبب اعتراض الإدارة الإستعمارية على ما جاء في الجريدة، وهو ما سينجر عنه توقيف نشاطها وإنهاء دورها الفعال في التربية والتعليم والإصلاح الديني والاجتماعي<sup>(7)</sup>.

ويعتبر تخوف الجمعية من الثورة مشروع بحكم الظروف الصعبة التي واجهتها الحركة الوطنية ككل وجمعية العلماء خاصة، نتيجة السياسة الإستعمارية العنيفة التي ميزت مختلف مراحل نضالها لتحقيق المطالب الوطنية للأمة، وأحداث الثامن من ماي أظهرت مدى بشاعة الإستعمار وحقده، لذا كان التخوف نابعا من حرص الجمعية على سلامة الأمة من رد الإستعمار، أما بخصوص موقفها من فكرة الثورة على الإستعمار في حد ذاتها فابن باديس كان قد لمح للأمر باعتباره خلاصة الجهود والمبتغى الذي سعى لتحقيقه عن طريق تحضير أفراد الأمة له بعد إصلاح حالهم وإحياء مقوماتهم كأمة لها تاريخها وحضارتها، ونشر الوعي بينهم وتوجيههم إلى ضرورة الثورة على المستعمر لإسترجاع ما سلب منهم من وطن

(1)- يوسف قاسمي، موثيق ونصوص الثورة التحريرية 1954-1962 دراسة تحليلية نقدية، المرجع السابق، ص 140-141.

(2)- نظرا لعدم إصدار بيان رسمي عن المجلس الإداري للجمعية، مع الإنطلاقة الأولى للثورة، فكانت أغلب المواقف شخصية يُنظر: يوسف قاسمي، موثيق

ونصوص الثورة التحريرية 1954-1962 دراسة تحليلية نقدية، شركة الأصالة، الجزائر، 2020، ص 117-119.

(3)- وعن هذا الاجتماع وعكس ما ذهب إليه توفيق المدني يرجح الشيخ خير الدين إلى فرضية عدم علم أعضاء الجمعية بنبأ إندلاع الثورة التحريرية نظرا للسرية الشديدة التي اتسمت بها عملية التحضير لها، ولم يعلم بأمرها إلا عن طريق الصحافة وبيان أول نوفمبر، وتفاجئوا بها مثل عامة الجزائريين، حيث يقول: "كنا أثناء الفاتح من نوفمبر في اجتماع وإذا بموظف يدخل علينا حاملا جريدة "La dépêche" - لاديباش " ومنها علمنا أخبار الثورة، وبعد الاجتماع دعونا العباس بن الشيخ الحسين وإبراهيم مزهودي - مفتش عام لمدارس الجمعية - إلى إدارة المعهد وتحديثنا حول ما ورد في الصفحة" يُنظر: عبد الرحمن بن العقون، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر، ج3، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 511.

(4)- عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية إلى النهاية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2005، ص 274-275.

(5)- مولود قاسم نایت بلقاسم، ردود الفعل الدولية على غرة نوفمبر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط 01، 1986، ص 47. يُنظر أيضا: العربي الزيري، الثورة الجزائرية في عامها الأول، دار البعث، الجزائر، ط 01، 1984، ص 23-33.

(6)- رابح تركي عمامرة، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية (1931-1956)، ورؤسائها الثلاثة، موفم، الجزائر، 2009، ص 52.

(7)- محمد بن ساعو، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والثورة التحريرية 1954-1962، المرجع السابق، ص 90.

ومقومات وسيادة وهوية للمحافظة على إستمراريتهم مستقبلا. ومقارنة بباقي تيارات الحركة الوطنية كانت جمعية العلماء الأفضل تجاوبا مع الثورة والدعوة لها خصوصا من قبل الشيخ العربي التبسي والبشير الإبراهيمي لكون الجمعية هي الوحيدة التي أصدرت بيان التأييد للثورة بعد أسبوعين قياسا بباقي الأحزاب الوطنية على حد تعبير أبو القاسم سعد الله بقوله: "...عندما أعلن الشعب ثورته كان الشيخ البشير الإبراهيمي أول من احتضنها من الزعماء..."<sup>(1)</sup>.

ونستخلص من خلال موقف الوفد الخارجي لرجال جمعية العلماء المسلمين، أنهم أيدوا الثورة التحريرية منذ إنطلاقتها الأولى باعتبارها فعل شعبي جاء نتيجة ثمرة كفاح طويل تخللته صعوبات كثيرة، وما قام به البشير الإبراهيمي من جهود كبيرة في التنظير من أجل تحقيق الأبعاد الأساسية المرجوة من الثورة والإستراتيجية المناسبة لتحقيق أهدافها المتوخاة<sup>(2)</sup>، المتمثلة في إسترجاع السيادة الوطنية على الأرض الجزائرية تحقيقا لاستمرارية الأمة بمقومات هويتها المستقلة عن فرنسا، وبالتالي فالثورة في نظر علماء الجمعية هي إعتراف فرنسا بحوية الأمة الجزائرية بإسترجاع سيادتها على مقوماتها من ممارسة للدين الإسلامي وتكلم باللغة العربية وتخليد لتاريخ الأجداد. وكان الورتيلاني قد خاطب الأمة الجزائرية بعد إندلاع الثورة قائلا: "لقد كنا ندعو إلى العلم والتعليم حين كنا نعد العدة لهذا اليوم، أما وأن الأمة الجزائرية أدركت واجبها، وفتحت واجبتها للجهد والكفاح المسلح، فإن على كل أبناء هذه الأمة أن يحمل كل ما أمكنه من السلاح ليخوض به المعركة، ويكتب بدمه آخر سطر من سجل الجهاد المقدس فوق تراب الوطن"<sup>(3)</sup>.

ومن أجل توحيد الصف الوطني للأمة الجزائرية في مواجهة الإستعمار عمل البشير الإبراهيمي على التباحث مع بعض العناصر المصالية، رغم أن الأمر عرضه للكثير من الإتهامات بمعارضة قرارات جبهة التحرير<sup>(4)</sup>، إلا أنه واصل مسعاها في تنظيم عدة لقاءات مع أطراف وطنية نتج عنها تأسيس تجمع شمل بعض الشخصيات الجزائرية التي كانت متواجدة بالقاهرة آنذاك، أمثال مزغنة والورتيلاني، إلا أن هناك من فسر هذه الخطوة على أنها تراجع للإبراهيمي عن دعمه ومساندته لجبهة التحرير الوطني، فيما رأى آخرون على أنها محاولة لاحتواء الثورة بعد تزايد إنتشار صدها<sup>(5)</sup>، وخلص الاجتماع المشترك لـ "جبهة تحرير الجزائر" إلى الاتفاق حول عدة نقاط تخص الوحدة الوطنية للأمة الجزائرية تحت راية العمل المسلح، كما تطرقت بعضها إلى الهوية الوطنية من خلال تأكيدها على أن:

- الجزائر عربية الجنس، مسلمة العقيدة، فهي بالإسلام والعروبة كانت، وعلى الإسلام والعروبة ستعيش، وفي ذلك تحترم جميع الأديان والمعتقدات والأجناس وفي ذلك تحترم جميع.

- الجزائر جزء لا يتجزأ من المغرب العربي، الذي هو جزء من العالم العربي الكبير، وضرورة الإيمان بتوحيد الكفاح بين أقطار المغرب العربي الثلاث، وهو ما يؤكد المرجعية العقيدية والسياسية للثورة<sup>(6)</sup>.

(1)- يوسف قاسمي، موافيق ونصوص الثورة التحريرية 1954-1962 دراسة تحليلية نقدية، المرجع السابق، ص 119.

(2)- محمد بن ساعو، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والثورة التحريرية 1954-1962، دار الأمة، الجزائر، 2016، ص 87.

(3)- نفسه، ص 85.

(4)- عبد الله مقلاتي، قاموس أعلام شهداء وأبطال الثورة الجزائرية، منشورات بلوتو، الجزائر، ط 1، 2009، ص ص 12-13.

(5)- خالد بوهند، رحلة الشيخ البشير الإبراهيمي إلى الشرق العربية والإسلامي (1952-1962)، دورية كان التاريخية، عدد 24، جوان 2014، ص 101.

(6)- يوسف قاسمي، موافيق ونصوص الثورة التحريرية 1954-1962 دراسة تحليلية نقدية، المرجع السابق، ص ص 118-119.

في مقال بعنوان "أهميه القطر الجزائري" للورتيلاني أكد على طبيعة النفسية الجزائرية المقاومة للإحتلال منذ القدم والمحافظة على شخصيتها الوطنية، حيث قال: "...تأثرت نفسية الشعب الجزائري على نحو ما يتأثر كل كائن حي بعوامل البيئة الطبيعية التي تحيط به، فإذا أضفت إلى ذلك تلك الأحداث التي تعاقبت منذ فجر التاريخ على القطر الجزائري، أمكننا أن ندرك ماهية النفسية الجزائرية على حقيقتها، وعرفنا سر تلك المقاومة التي يبديها الجزائريون في وجه الغزاة المعتدين ذوداً عن الوطن، وحفظاً لأمجادهم وتمسكاً بتراث أجدادهم، والاستعمار على وجه العموم هو أشد قارعة تصاب بها الأمم، وهو على فضاعته وبربريته أنواع ودرجات، على أن أخبت أنواعه فظاعة وأكثرها خطراً على قوميات الشعوب ومصائرهما هو الاستعمار"<sup>(1)</sup>، وهو ما يدل على أن الجمعية واصلت جهودها مع إندلاع الثورة في توعية الشعب بحتمية الكفاح المسلح من أجل الدفاع عن دينه ودولته العربية المسلمة، فالجمعية انضمت إلى عملية بناء الوطنية بإخلاص وبقية ثابتة على مبادئها وقيمها وفي مقدمتهما الإسلام والعروبة<sup>(2)</sup>، مثلما تدل عليه المراسلات الإدارية الفرنسية (يُنظر الملحق رقم 05)، التي شددت متابعة تحركات ونشاط رجال جمعية العلماء المسلمين سنة 1956م من بينهم الشيخ محمد خير الدين، والشيخ العربي التبسي، والشيخ ملين القنطري (ملين السلطاني)، وابن الشيخ حسين عبد الحاكم، وابن الشيخ حسين شعيب بن عبد العظيم<sup>(3)</sup>.

ففي مذكرة جمعية العلماء إلى الجامعة العربية نشرتها الجرائد المصرية "منبر الشرق" و"الدعوة" في أوت من عام 1954م، عرضت جمعية العلماء مطالبها من الجامعة العربية، ومما ورد في مقدمتها عن الشعب الجزائري: "إن الشعب الجزائري جزء ثمين من الأمة العربية الماجدة ما زال محتفظاً بخصائص العروبة كأقوى ما يكون الاحتفاظ ومن ثم فهو رأس مال العرب، يجب أن تحافظوا عليه، وهو كذلك جزء له قيمته من الأمة الإسلامية العظيمة، مازال محتفظاً بشعائره، متصلباً في عقائده الكريمة السمحة، ومن ثم فهو رأس مال عظيم للمسلمين..."، ثم يضيف أن هذا الشعب بقي ثابتاً: "على الخصائص الأصلية وقوة المقاومة الروحية والوفاء للأصول التاريخية والاعتزاز بالمقومات من لغة وجنس ودين..."<sup>(4)</sup>.

وإذا ما أردنا تقييم عمل الجمعية من خلال ما قامت به من جهود لإحياء الهوية الوطنية، سواء كانت جهود منفردة وفقاً للسياسة الإصلاحية التي تبنتها، أو مساعي مشتركة في ظل التعاون مع تيارات الحركة الوطنية بحكم المصلحة الوطنية الواحدة، نجد أن جمعية العلماء إستطاعت تحقيق جملة من الأهداف رغم صعوبة ظروف النضال الوطني ضد الإحتلال الفرنسي منذ بداية الثلاثينات بمرحلتيه السياسية والمسلحة. وتمثل ذلك في تمكنها من نشر اللغة العربية بين الجزائريين، والمساهمة في إحياء الثقافة العربية الإسلامية التي لطالما ميزت الأمة الجزائرية، من خلال توفيقها إلى حد بعيد في بعث التاريخ العربي الإسلامي للجزائر، بعد الوجهة العربية الإسلامية التي وجهت نحوها الجزائريين، والمتعارضة تماماً مع

(1)-الفضيل الورتيلاني، الجزائر الثائرة، المصدر السابق، ص ص 426-427.

(2)-عبد العزيز كحيل، في الهوية والإصلاح، دار الخلدونية، الجزائر، ط 1، 2021، ص ص 25-26.

(3) - A.N.O.M , 93/151, documents internes.

(4)-الفضيل الورتيلاني، الجزائر الثائرة، المصدر السابق، ص ص 195-196.

سياسة الإحتلال الفرنسي في ترسيخ مقومات هويته الإستعمارية، إضافة إلى تحقيقها لهدف أسمى كان من ضمن أولوياتها الغير معلن عنها منذ بداية تأسيسها، والمتمثل في إعداد أجيال متكونة تكوينا عربيا إسلاميا، ليكون عماد نهضتها وأبرز جنودها في معركة التحرير سنة 1954<sup>(1)</sup>، يتقدمهم رئيسها الشيخ العربي التبسي الذي دفع حياته نتيجة مواقفه الوطنية وهو يشحن الأمة الجزائرية بروح المقاومة، داعما للثورة ورافضا تشتيت وحدة الشعب<sup>(2)</sup>، منذ بداية العمل المسلح، وبرز هذا واضحا من خلال ما تضمنته الوثيقة التي حصلت عليها السلطات الإستعمارية عند إعتقاله بوهراڻ في سنة 1955، حيث إحتوت على تعابير تؤكد على مدى تجذر وعمق القضية الوطنية في الفكر الإصلاحي، إنطلاقا من إعتبار الروح الإسلامية عنصر أساسي للشخصية الجزائرية لا يمكن النجاح من دونه، في ظل ما ترمي إليه فرنسا من إستهداف للأجيال القادمة، ومن هنا حملت الوثيقة في طياتها آمالا في إنشاء دولة جزائرية مزدهرة، على خلفية المبادئ التي نص عليها المؤتمر الوطني الجزائري، من تحقيق للوحدة وتنظيم للتعليم، إضافة إلى مة اصلة الدفاع عن اللغة العربية وباقي الحقوق الوطنية<sup>(3)</sup>.

ورغم وفاة التبسي إلا أن ليواصل رفقاءه واصلوا النضال الوطني، وكانوا ركيزة مهمة في عملية التعريب بعد إسترجاع السيادة الوطنية، وبهذا نجد أن جمعية العلماء استطاعت أن تعيد للجزائري نسبه العربي الصريح حاليا من شوائب التهجين الإستعماري، وأحيت في نفسه شعور الإعتزاز بالإنتماء لأصوله، وفي ضميره شعور الإرتباط بمقوماته الثلاث من جنسية ولغة ووطن<sup>(4)</sup>، لتبدأ مرحلة جديدة من محاربة مخلفات الفكر الإستعماري ضد الهوية الوطنية، تميزت بتحديات وصعوبات على عدة مستويات.

(1)- رابح تركي، الصراع بين جمعية العلماء وإدارة الإحتلال الفرنسي للجزائر في الفترة ما بين 1933-1939، المرجع السابق، ص 183-184.

(2)- المقاومة الجزائرية، العدد 13، الإثنين 22 رمضان 1379 / 22 أبريل 1957م، ص 01، ص 09، ص 12.

(3)- Photocopie d'un cahier saisi sur le cheikh Larbi Tebessi, Préfecture d'Oran, Service des liaisons nord-africaines (SLNA), A.N.O.M, Partis politiques, 92/51-115, Aix en Provence, 1955.

(4)- محمد الطاهر فضلاء، دور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في المقاومة الوطنية، مجلة الثقافة، العدد 86، الجزائر، رجب 1405 هـ / مارس-أفريل 1985، ص 262.

الخاتمة



بعد دراسة الهوية عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين خلال الفترة الممتدة منذ تأسيسها إلى غاية 1956م توصلنا في نهاية البحث إلى جملة من الاستنتاجات تتمثل في:

- تجذرت الهوية الوطنية في المجتمع الجزائري منذ القدم، حيث دافع الجزائريون عن مقومات هويتهم من أرض ولغة ودين وعقيدة وإرث حضاري تناقلوه من جيل لآخر، إلا أن المسألة أخذت أبعادا أخرى أكثر تعقيدا خلال فترة الاحتلال الفرنسي، بسبب إستهدافه طمس معالم هوية الأمة الجزائرية، لذلك إرتبط ظهور جدل الهوية الوطنية في الجزائر بمحنة الاحتلال الفرنسي للبلاد، والذي عمل على تفريق الجزائريين بهدف ضمان استمرارية إلحاقها بفرنسا إلى الأبد.

- إنطلق مشروع ترسيخ هوية الآخر في الجزائر من نظريات الفكر الغربي المسيحي الذي وظف كل الإيديولوجيات الإستعمارية التي أنتجها مؤرخوه وفق مشروع كولونيالي مدروس مسبقا، إدعى نشر الرسالة الحضارية وتصديرها للشعوب المتأخرة ثقافيا وأديبا، واتخاذ موقع الوصي المتمدن على أهلها، إلا أن هذه المزاعم فندتها السياسة الإستعمارية التي تم إنتهاجها في تطبيق أفكارها، والتي قامت على عملية إخضاع الأمة الجزائرية بالقوة لمنطق تبديل الهويات وتجسيد فكر إستيطاني عنصري جمع بين التغيير والاستبدال والدمج والتجنيس كوسائل، ومعتمدا على خطاب استعماري شرعن الاحتلال بهدف إلحاق الفضاء الجزائري بالتراب الفرنسي وإنشاء جزائر جديدة ممسوحة المعالم الحضارية القديمة لشعبها وأرضها، ومنفصلة تاريخيا عن جذورها الأصيلة.

- كان تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في حد ذاته رد على الإحتفالات المؤوية للإحتلال التي زعم فيها الإستعمار نهاية الكيان الجزائري مع مرور مئة سنة من الغزو، وربطه للأرض الجزائرية بالوطن الفرنسي، فجاءت الجمعية لتفند هذا الأمر وتثبت أن الوجود الجزائري باق ومستمر على الأرض مهما طالّت مدة الإستعمار، ما يعني أن صعوبة الظرف الإستعماري خلال فترة الثلاثينات، لم تكن لتؤثر على عزيمة رجال الجمعية وآمالهم في إعادة الوطن الجزائري إلى حضن العروبة الذي تنتمي إليه.

- يعتبر جامع الزيتونة من أهم مراكز الإشعاع العلمي التي تخرج منها عدد كبير من علماء الجمعية سواء الأوائل أو المتأخرين الذين درسوا في المعاهد والمدارس الحرة التابعة لجمعية العلماء المسلمين، وكان تأثير البرامج التعليمية لهذا الجامع على الطلبة الجزائريين فاعلا وعميقا بحكم المكانة العلمية التي كان يتمتع بها القائمون على التدريس في الجامع، إلا أنه من زاوية أخرى لا يمكن إهمال تأثير روح المسؤولية التي حرص ابن باديس ومن بعده علماء الجمعية على ترسيخها في الطلبة الموفدين للدراسة في هذا الجامع، فأصبحوا حاملين معهم لهموم وطنهم وشاغلين أنفسهم بقضية أمتهم، فنشأ جيل يرى في الإصلاح والتعليم سبيلا وحيدا لخلاص الأمة الجزائرية من سيطرة المستعمر.

- ساهمت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين إسهاما كبيرا من خلال نشاطها الإصلاحي والتعليمي في إعادة بعث الهوية الوطنية خلال فترة صعبة من الاحتلال الفرنسي، فعملت منذ تأسيسها على نشر مبادئها وتحقيق أهدافها الإصلاحية التي قامت على ضرورة الحفاظ على الشخصية الجزائرية المتميزة عن هوية الآخر الإستعمارية.

- حدد ابن باديس مرتكزات الهوية الوطنية الثابتة والغير قابلة للمساومة مع الإستعمار، والتي بنيت على مقومات أساسية ميزت شخصية الأمة الجزائرية وهي الدين الإسلامي واللغة العربية، والمصير المشترك الذي يجمع أفرادها، وتاريخها

الذي صنعه أبناؤها، والسيدة الوطنية التي تجمعهم على أرضهم، التي تمثل وطننا موحدًا ينتمي إليه شعب واحد متنوع الثراء الحضاري.

- تعتبر جرائد جمعية العلماء من الوسائل التي كان لها دور فاعل في إيصال الفكر الإصلاحية إلى مختلف أنحاء الوطن الجزائري، ما ساعد على إيقاظ الأمة الجزائرية، وإعادة إحيائها من جديد من خلال بروز الوعي الوطني الذي أخذ يتغلغل وسط الجزائريين نتيجة التفاعل مع المقالات التي كان ينشرها رجال الجمعية بهدف إرشاد الأمة وتنويرها.

- كما كان للنزعة الخطابية لرجال الجمعية وعلمائها دور هام في تزايد الوعي الوطني للشعب الجزائري بشكل بارز، نتيجة الاحتكاك المباشر ما بين العلماء وأفراد الأمة أثناء إلقاء الدروس والمحاضرات التي كان لها الوقع الكبير في نفوس المستمعين، ما حفزهم على التمسك بمقومات هويتهم الوطنية والدفاع عنها، وهو ما يدل على المقدرة الكبيرة التي كان يتمتع بها العلماء في استقطاب مختلف شرائح المجتمع حول فكرة الإصلاح.

- ساهم نشاط جمعية العلماء المسلمين عبر مختلف أنحاء القطر الجزائري في إحداث تغيير عميق وسط الأمة الجزائرية بإحياء فكرهم من الضلال الذي خيم عليهم لفترة طويلة من الزمن نتيجة تفشي الخرافات التي مارسها الطرق الصوفية المبتدعة بعد أن سيطرت على عقول الناس، فكان تحرير هذه العقول دافعا للعودة بالعقيدة الإسلامية إلى منابعها الأولى وأصولها الصحيحة، من أجل تحرير الفرد الجزائري من الإستعمار.

- كان هدف إعادة إحياء الهوية الوطنية للأمة الجزائرية عند علماء الجمعية مرهون بمدى إصلاح الإنسان الجزائري أولا وتحرير فكره من السيطرة الإستعمارية تمهيدا لتحرير الأرض مستقبلا، ولتحقيق هذا الهدف كان لا بد من إعادة بعث مقومات الهوية الجزائرية المتميزة كالدين الإسلامي واللغة العربية والتاريخ الوطني، فأسست الجمعية مدارس التعليم العربي الحر لإعادة مكانة اللغة العربية في نفوس الجزائريين، وإنتشر علمائها بين مختلف المساجد لإعادة تفعيل دورها في تصحيح العقيدة الإسلامية، وترسيخ تعاليم الدين الصحيح، وتعريف الجزائريين بتاريخ وطنهم وضرورة المحافظة عليه وتقوية الحس الوطني لبعث الوعي بقضايا الأمة، وكشف المساعي الفرنسية لطمس الهوية الوطنية، فكان لهذه الجهود إسهام كبير في النهوض بالوطن.

- رغم أن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لم تشر إلى اللغة الأمازيغية كمقوم من مقومات الهوية الوطنية، إلا أنها أبدت موقفا واضحا وصريحا من الموضوع، أكدت من خلاله أن الأمازيغية لم تكن تشكل مسألة خلاف بين الجزائريين، بحكم أصالة الشعب الجزائري الموغلة في التاريخ والمتجذرة في الأرض منذ القدم، داعية الجزائريين إلى الوحدة ضد الإستعمار مثلما كان أسلافهم أمازيغ وعرب متحدين منذ دخول الإسلام إلى المنطقة.

- يعتبر تبنى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين للإلتزام العربي كمقوم من مقومات الهوية الوطنية راجع أساسا إلى التكوين العربي الذي اتسم به أعضاؤها والذي كان بالمشرق الإسلامي، إضافة إلى تبنينهم للفكر الإصلاحي من منطلق ديني ركز في أبعاد الهوية الوطنية على إصلاح حال الجزائريين بإعادتهم إلى الأصول الصحيحة لدينهم الإسلامي.

- تجسدت الإستفاقة الكبيرة للجزائريين من خلال تأييدهم للفكر الإصلاحي الذي دعى إليه علماء الجمعية حيث أقبل طلبة العلم على المدارس الحرة والكتاتيب لنهل العلوم الإسلامية، كما إستقطبت المساجد والنوادي العلمية

عامّة الناس الذين بدأ ينتشر الوعي بينهم للتثقف في دينهم، كما كثرت حلقات الوعظ والإرشاد والإصلاح والتوعية بين الشباب الجزائري بعد تغلغل الفكر الإصلاحي في عمق المجتمع بغية تخليصه من حالة الإنحطاط التي كان يعيشها.

- لم تكن مسألة الهوية الوطنية موضوعا مقتصرًا على إهتمامات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لوحدها، بل كان نشاطها منذ بداية الثلاثينات مرتبطًا بنشاط تيارات الحركة الوطنية الجزائرية بحكم التفاعل الذي فرضته وحدة القضية الجزائرية ضد الإستعمار الفرنسي، ورغبة الجزائريين على إختلاف توجهاتهم التخلص منه حسب الفكر الذي يراه كل طرف مناسبًا لتحقيق هذا المطلب، ورغم أن غالبية هذه التيارات تضمنت لائحة برامجها المطالبة بالحفاظ على الهوية الوطنية والسمات الشخصية للأمة الجزائرية، إلا أن مطلب الهوية الوطنية تفاوت في أهميته وأولويته من حزب لآخر.

- رغم إيمان علماء الجمعية بفكرة إحياء الهوية الوطنية للأمة الجزائرية إلا أن ابن باديس نفسه أقر صعوبة بعث الفكرة وترسيخ مقوماتها نظرًا لحساسية المسألة وما تتضمنه من إغراءات إيديولوجية وعراقيل مادية، تهدد الإطاحة بالبعد المنهجي والموضوعي للخوض في جوهر المسألة، لكن الإصرار الكبير الذي تميز به والنابع من إيمانه العميق بعدالة القضية الوطنية التي كان يدعو لها ومدى أهميتها في تغيير حال الأمة الجزائرية والنهوض بها لمواجهة الإستعمار تحقيقًا لمسعى إستعادة مكانتها كأمة مستقلة بين الأمم، جعلته أكثر وعيًا وصلابة في مواجهة التحديات التي اعترضته مع رفاقه في الجمعية لتجاوز جميع العراقيل في سبيل تحقيق الأهداف المسطرة في هذا الشأن.

- ساهمت جهود الرعيل الأول المؤسس جمعية العلماء بشكل كبير في ترسيخ معالم الهوية الوطنية، نتيجة نشاطها المكثف خلال الثلاثينات عبر مختلف أنحاء القطر الجزائري، مستندة على جميع الوسائل التي تمكنها من تحقيق غايتها، وما يلاحظ أن التعليم العربي الحر كان من أبرز وأهم الوسائل التي اعتمد عليها رجال الجمعية، وبرز ذلك جليًا من خلال العدد الكبير من المدارس التي تم إنشاؤها منذ تأسيس الجمعية وحتى قبل تأسيسها، وكان هذا الصرح هو اللبنة التي كفلت للجمعية مواصلة عملها أثناء فترات تجريد نشاطها، وبالتالي فعلى خلاف باقي تيارات الحركة الوطنية ظل مشروع إعادة إحياء الهوية الوطنية قائمًا بقيام الجمعية.

- تتلخص فكرة الهوية ومكوناتها الأساسية عند جمعية العلماء المسلمين في شعار: "الإسلام ديننا، العربية لغتنا، والجزائر وطننا"، وقد تبنته في خطاباتها ومقالات صحفها، ويرجع ذلك لما يحمله ضمنا من أفكار تركز وتجسد أهدافها التي تأسست من أجلها، وتسبب علماء الجمعية لعنصر الدين الإسلامي على اللغة والوطن راجع لكون الإسلام عامل توحيد بين مختلف أبناء الأمة الجزائرية، ويمتد في بعده إلى الوحدة العربية والإسلامية، ذات الإمتداد الجغرافي المتصل بالقطر الجزائري، وبالتالي مناهضة فرنسا ودحض فكرة عزلها لها القطر عن جذوره الإسلامية، أما العنصر الثاني المتمثل في اللغة فهو عنصر لتعزيز التماسك داخل الأمة الواحدة، لترجم وحدة اللسان العربي مدى وحدة العقيدة، داخل وطن واحد يدين له جميع أفراد الأمة بالإنتماء إليه.

- أولت جمعية العلماء أهمية كبيرة لقضية الدفاع عن الدين واعتبرته أولوية الأولويات، وبرز ذلك من خلال زخم الكتابات الصحفية والخطابات والعرائض التي تصب كلها في فكرة فصل الدين الإسلامي عن الإدارة الإستعمارية،

وكانت الجهود المكثفة لكل من البشير الإبراهيمي والعربي التبسي باعتبارهما أشرفا على رئاسة الجمعية تنم عن مدى تفتن الرجلين لمكائد الإستعمار، وحرصهما على بقاء الأمة الجزائرية محافظة على شخصيتها المسلمة، بعيدا عن الفكر اللائكي والعلماني.

- لم يكن النضال السياسي في نظر جمعية العلماء كفيل لوحده بمناهضة الإستعمار وحل القضية الوطنية من جذورها، خصوصا بعد ما أظهرته فرنسا من نوايا صريحة بالبقاء على الأرض الجزائرية، لذلك إنتهج العلماء الإصلاح كوسيلة نضال ديني وثقافي قصد تغيير الفكر الجزائري وانتشال العقول من حالة الخضوع للمستعمر والطرقية، وإن كانت جمعية العلماء قد دخلت باب النضال السياسي بداية من المؤتمر الإسلامي الذي انعقد ردا على مشروع بلوم-فيوليت، إلا أنها في الأخير بقيت رافضة لفكرة التجنيس والادماج مقابل التخلي عن الأحوال الشخصية الجزائرية، واستمرت طيلة فترة نضالها السياسي والإصلاحي محافظة عموما على اتفاق الكلمة بين تيارات الحركة الوطنية، تتخللها مواقف وتصريحات حازمة من القضايا التي تخص هوية الأمة.

- لم يتوقف نشاط جمعية العلماء المسلمين بقيام الثورة التحريرية، بل واصل أعضاؤها نضالهم تحت رايتها مدافعين عن الوطن والوطنية الجزائرية، خصوصا وأن فكرة الكفاح المسلح لطالما كانت تراود تفكير رئيسها الأول عبد الحميد ابن باديس في محطات كثيرة من مراحل نضال الجمعية مع الاستعمار، وإن كان العلماء لم يصرحوا بهذه الفكرة علنا بحكم ظروف الإستعمار وعدم ملائمة أحوال الأمة الجزائرية لهكذا خطوة تحتاج ما تحتاج إليه من إمكانيات، إلا أن خطاباتهم تلمح إلى أن الغاية من تكوين النشء وتحضيره هي واحدة متمثلة في: الوصول إلى جيل له من المؤهلات الوطنية ما يسمح له باسترجاع سيادته على شخصيته وما تحمله من مقومات وطنية، يعيد بها هذه الأمة إلى مكانتها الحقيقية بين الأمم في العالم.

- صدرت في السنوات الأخيرة العديد من التصريحات التي تخون جمعية العلماء أو تنقص من شأن بعض أعضائها البارزين عند إثارة موضوع الهوية الوطنية، بناء على ادعاءات ومزاعم واهية نتيجة قصر في الفهم لخطابات وكتابات أعضاء الجمعية، بعيدا عن الظروف والسياق التاريخي المصاحب لهذه الكتابات، لكون تاريخ النضال مع استعمار كالاستعمار الفرنسي لطالما أثبت التاريخ وجود فترات من المهادنة بين الطرفين ظهرت ملامحها خاصة أثناء فترة الحركة الوطنية، سواء مع جمعية العلماء أو مع التيار الاستقلالي الثوري، ومرد هذه المهادنة يعزه المؤرخون إلى تجنب المواجهة التي تفضي إلى نتائج عكسية تعود سلبا على النشاط النضالي، وبالتالي على القضية الوطنية ككل تزيد من تعقيداتها، لذلك لا بد من التحلي بموضوعية الطرح أثناء البحث في الحقائق.

خلاصة القول أن هذه الدراسة المتواضعة لا تخلو من النقائص بسبب الصعوبات التي واجهتنا أثناء البحث، إلا أنها رغم ذلك تفتح المجال أمام الباحثين من أجل التوسع في الموضوع، والغوص في حياثاته، لفهم تداعيات المسألة وأبعادها على المجتمع الجزائري بحكم ما ألقته بضالها على مراحل تاريخية من حياة الدولة الجزائرية بعد الإستقلال، لذلك نأمل أن يكون البحث بداية لآفاق مستقبلية تكشف حقائق جديدة تساهم في إثراء الموضوع وتوضيحه أكثر.

الملاحق

## ملحق رقم (01):

جدول لكمية الإنتاجات الفكرية للمكتبة الوطنية التي أسسها الجزائريون الجدد بهدف التسويق لإنجازاتها الحضارية وإلغاء هوية الجزائريين الأصليين<sup>(1)</sup>.

| كمية الانتاج | ميادين البحوث والإبداع              |
|--------------|-------------------------------------|
| 79           | عادات وتقاليد جزائرية               |
| 58           | دراسة ميدانية لمنطقة القبائل        |
| 184          | دراسات ميدانية في الصحراء الجزائرية |
| 25           | بحوث جغرافية                        |
| 133          | انطباعات سفر                        |
| 228          | قصائد شعرية                         |
| 241          | روايات وقصص                         |
| 100          | نقد أدبي                            |
| 43           | مسرحيات                             |
| 202          | تاريخ عام                           |
| 198          | تاريخ وسيط وحديث                    |
| 369          | تاريخ معاصر                         |
| 129          | مونتوغرافيا واصفة                   |
| 119          | بيبلوغرافيا                         |

## جدول رقم (01)

(1)-محمد بوطيبي، الجزائري عشية الغزو الاحتلالي، المرجع السابق، ص ص 220-221.



## ملحق رقم (02):

الحجم الساعي المخصص لتعلم اللغة الفرنسية حسب البرنامج الدراسي الذي أقره مرسوم 18 أكتوبر 1898 الصادر عن السلطات الإستعمارية بهدف القضاء على اللغة العربية للمتعلمين الجزائريين<sup>(1)</sup>.

| الصف المتوسط |         | الصف الابتدائي |         | الصف التحضيري |         | المواد                            |
|--------------|---------|----------------|---------|---------------|---------|-----------------------------------|
| الدروس       | الساعات | الدروس         | الساعات | الدروس        | الساعات |                                   |
| 2            | 1       | 2              | 1       | /             | /       | التربية الأخلاقية                 |
| 11           | 5.5     | 23             | 11.5    | 30            | 15      | اللغة الفرنسية                    |
| 10           | 5       | 10             | 5       | 10            | 5       | الحساب النظامي المترى             |
| 3            | 1.5     | 5              | 2.5     | /             | /       | الرسم                             |
| 6            | 3       | 5              | 2.5     | 5             | 2.5     | الفلاحة والعمل اليدوي             |
| 5            | 2.5     | 5              | 2.5     | /             | /       | اللغة العربية                     |
| 3            | 1.5     | /              | /       | /             | /       | ثقافة عامة                        |
| 10           | 5       | 10             | 5       | 10            | 5       | مبادئ حول فرنسا والجزائر استراحات |
| 60           | 30      | 60             | 30      | 60            | 30      | المجموع                           |

## جدول رقم (02)

(1) -عبد القادر خلوش، سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر، ط1، دار الأمة، الجزائر، ص 153.

**ملحق رقم (03):**

تقرير سري صادر عن فرع إتصالات شمال افريقية سنة 1954م بوهران حول إيفاد جمعية العلماء المسلمين لطلبتها القاطنين بوهران إلى الشرق الأوسط لإكمال دراستهم، مع إرفاق التقرير بأسماء الطلبة.  
Envoi au Moyen Orient d'étudiants membres de l'association des oulémas Réformistes.<sup>(1)</sup>

**Gouvernement Général  
De l'Algérie**

**Cabinet S.L.N.A**

**Confidentiel1**

**Objet : Envoi au Moyen Orient d'étudiants membres de l'association des oulémas Réformistes.**

Alger, 17 Novembre 1954

Les étudiants originaires du département d'Oran et dont les noms suivants ont été désignés par l'association des Oulémas Réformistes pour poursuivre leur études dans les universités du Moyen Orient.

**Nom :**

- Sari Abderrezak Ben Mohamed.
- Bensadoun Menouar Ben Hourrine.
- Ameur Mohamed Ben Mohamed.
- Chamal Abdelhamid.
- Fellah Omar.

**Destinataire:**

M. Le Préfet.

( Cabinet S.L.N.A. d'Oran).

(1)- Archive de la Wilaya d'Oran, Dossier 6988, série I 22.

**ملحق رقم (04):**

Etudiants Musulmans Originaires du département  
d'Oran séjournant dans les pays Arabes<sup>(1)</sup>

**Ministère de l'intérieur**

**Service de la surveillance  
Du territoire En Algérie  
Boite postale N° 1381 Alger R.P.  
N° 404 SN/ Sta/ AO  
10448**

**Référence à rappeler**

**République Française<sup>3</sup>  
Oran, le 5 Mars 1955.**

**Le Commissaire Ppal chef de la B.S.T. Oran  
à  
Monsieur le préfet du département d'Oran  
(S.L.N.A)**

**Objet :** Etudiants Musulmans Originaires du département  
d'Oran séjournant dans les pays Arabes.

J'ai l'honneur d'attirer votre attention sur la situation de nombreux  
étudiants Algériens séjournant actuellement dans les pays Arabes et  
poursuivent leurs études dans les universités de ces pays.

Parallèlement à l'enseignement qui leur est donné ils reçoivent une  
formation militaire les destinant à mener dans l'avenir une activité  
antifrançaise en Algérie.

En conséquence je vous demande de bien vouloir envisager la  
possibilité de faire procéder par les services compétents relevant de votre haute  
autorité à l'établissement d'une liste de tous les individus originaires du  
département d'Oran et poursuivant des études dans les pays d'Orient depuis  
1954.

Je ne permets en outre d'insister tout particulièrement sur l'intérêt qu'il  
y aurait à ce que les personnes citées soient identifiées avec le maximum de  
précision ( état civil, signalement, photographie) dans la mesure du possible.

La liste ainsi établie, dont je vous prierais de bien vouloir me rendre  
destinataire d'un exemplaire, constituerait une précieuse documentation.

**Destinataires :**

- M. le préfet Oran. Ex :1.
- Archives. Ex :2.
- Chrono Ex :3.

**Le Commissaire Ppal Vansverberghe  
Chef de la B.S.T d'Oran.**

(1)- Archive de la Wilaya d'Oran, dossier 6988, série I 22.

## ملحق رقم (05):

مصلحة إتصالات شمال افريقية<sup>(1)</sup> ترصد نشاطات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1956م.

Bh Oulama

PREFECTURE DE CONSTANTINE  
Service des Liaisons  
Nord-Africaines  
N° 928/NAC

A242

Le 7 JUIL 1956

ARRIVÉE  
PREFECTURE - C.L.  
16 JUIL 1956  
N° de clt. 6.219

RENSEIGNEMENT

**CONFIDENTIEL**

SOURCE : Informateur sérieux  
DATE : 6 Juillet 1956  
VALEUR : B/I  
OBJET : Activité des Oulama

Le cheikh KHEIREDDINE Mohammed serait actuellement au MAROC en liaison étroite avec tous les éléments anti-Français.

Le cheikh Larbi TEHESI serait toujours à ALGER.

Il aurait fait récemment une réunion avec Lamine EL GUENTRI pour mettre au point les programmes des classes et des examens en vue de la rentrée d'Octobre.

BENCHEIKH-HOCINE Abdelhakem (famille de BENCHEIKH-HOCINE Abbas) qui était professeur dans une médresa libre d'ALGER serait arrivé au CAIRE depuis quelques jours.

BENCHEIKH-HOCINE Chouaib ben Abdeladim, ancien élève du Mead Benbadis qui habitait rue Damrémont à CONSTANTINE, serait récemment parti en France avec l'intention de rejoindre le CAIRE.

Le CHEF du S.L.N.A.

DESTINATAIRES :  
PREFET Cabinet  
S.L.N.A. CENTRAL ALGER  
S.L.N.A. BONE  
DIVISION (2° Bureau)  
P.R.G.  
B.S.T.  
ARCHIVES

(1) Service des Liaisons nord-africaines (S.L.N.A.): هي هيئة مخابرات وتجسس تتبع مباشرة للحاكم العام في الجزائر، تأسست سنة 1947، وضعت منذ نشأتها تحت رئاسة العقيد بول شون (Colonel Paul Schoen) وهو ضابط مختص في الشؤون الأهلية، يتكلم العربية والأمازيغية، ويعد من أخطر الضباط في ميدان الاستعلامات والحرب النفسية، كان نشيطا جدا في التجسس على الحركات الوطنية والجمعيات، والاتحادات المهنية والمنظمات الشعبية والنقابات التي أسستها جبهة التحرير الوطني، ومحاولات اختراق صفوفها بالتعاون مع مصالح المخابرات الخارجية والداخلية، والأمن العسكري. وفي هذه الوثيقة جاء ذكر للشيخ التبسي مع العلم أنه أختطف من طرف عناصر الفوج 1 مظليين للفياف الأجنبي في شهر أفريل 1957. المصدر:

A.N.O.M , 93/151, documents internes

ترجمة الوثيقة إلى اللغة العربية

عمالة قسنطينة

مصلحة إتصالات شمال افريقية

رقم 928- ش.إ.ق

في 07 جويلية 1956

معلومات

المصدر: مخبر جدي.

التاريخ: 06 جويلية 1957

القيمة: ب / 1

الموضوع: نشاطات العلماء.

يوجد الشيخ خير الدين محمد في المغرب حاليا، وهو في اتصال مع جميع العناصر المعادية، والمناهضة لفرنسا.

لا يزال الشيخ العربي التبسي في الجزائر وقد أجمع مؤخرا مع لمين القنطري لوضع البرامج الدراسية، ورزنامة الامتحانات تحضيرا للدخول المدرسي في شهر أكتوبر .

وصل منذ أيام إلى القاهرة بن الشيخ الحسين عبد الحاكم (من عائلة بن الشيخ الحسين عباس) وكان يشغل وظيفة أستاذ في إحدى المدارس الحرة لجمعية العلماء في الجزائر العاصمة.

سافر إلى فرنسا بن شيخ الحسين شعيب بن عبد العظيم، وهو تلميذ سابق في معهد عبد الحميد بن باديس، ويسكن في شارع دامرون بقسنطينة، وقد تنقل إلى فرنسا بغرض السفر إلى القاهرة.

**رئيس مصلحة الاتصالات شمال افريقية**

الإمضاء والختم

**-المرسل إليهم:**

ديوان عامل العمالة.

مصلحة إتصالات شمال افريقية - مركز الجزائر العاصمة.

رئيس مصلحة إتصالات شمال افريقية - عنابة.

القسم العسكري للشرق القسنطيني ( المكتب الثاني).

شرطة الاستعلامات العامة.

مكتب مراقبة الإقليم.

الأرشفيف



## ملحق رقم (06):

مقال "لماذا نمنع من تعليم أولادنا؟" (1)

### لماذا نمنع من تعليم أولادنا؟!

« من بلاد الثلج الى بلاد الشمس . باب الصحراء القنطرة . فيها مناظر ساحرة ، ومواقع خلابة ، وشمس ذهبية تأخذ بقلب المتسوح الان بها اولاداً متشردين لا حرفة لهم الا السباق وراء المتجولين بتلك الملابس الرثة وتكدير راحة المتسوحين وهذه المصيبة من عدم تعليمهم » نشرت هذه الجريدة لادبيعي كوستنطين تحت عنوان « القنطرة » بامضاء مدار مارسال جودج في عددها الصادر في ٢٠ مارس ١٩٢٨

لا نحب ان يتولوا عن الحكومة انها معلة لانياء وماياها وتاركت لهم في تلك الحال ولهذا بنشر هذه الحقائق المؤلمة نريد تنبيه من يبدع الامر الى تداركها وما تداركها الا بترك المسكين يتعلمون انهم ومنع الاذن لهم بذلك مهما طلبوا ولا تصد بكلامنا هذا خصوصاً بلدة القنطرة بل نريد القطر كله فان الحالة السيئة التي عليها اولاد القنطرة هي حالة الاولاد في بلدان كثيرة في جميع نواحي الوطن ، وكذلك الانتعاش من الاذن بالتعليم هو موجود في جهات متعددة وجميعها المؤسفة — لنشر الحلو والتمهيد

الحالة السيئة التي عليها اولاد « القنطرة » على الحكومة بقطر . وذلك ان اباة الاولاد قد تنبهوا وارادوا ان يؤسروا مكتباً لتعليم اولادهم وقدموا طلب الاذن لهم في ذلك من الحكومة ولكن الحكومة لم تجب طلبهم وفي « القنطرة » رجل عالم فاضل يحسن على علمه وقضله وهو الاخ الشيخ الابن ابن سلطات مستند فليبر ابناء قومهم وقديريهم وانتاذم من برائن الجهل ولكنه لم يجد من يسددهم امر البلدة الا الاعراض من طلبه والاهمال له . نحن كما لا نحب ان يتول السواح عن ابلاننا انهم مهملون متشردون كذلك

عذا ما تالته سالمة اوروية ونشرته جريدة فرنسية وفيها من وصف هؤلاء الاولاد ما يقتت القلوب الصغرية وبسبل الدورم الجليدية بله قلوب البشر وعيونهم وفيه من العار والمصيبة لاهل تلك البلدة — امة وحكومة — ما فيه قبل اليوم كنا اذا تحدثنا عن هذا الاهمال حملنا وزره على الحكومة وعلى الآباء ونقول اذا كانت الحكومة تصرت في واجبها من تأسيس المكاتب لتعليم هؤلاء الاولاد فهذا يقتصر الآباء في تأسيس مكاتب حرة من ماليشهم اما اليوم فالتا تصل مسؤولية هذه

ملحق رقم (07): مقال "من المسؤول عن المنع من تعليم أولادنا؟" (2)

### من المسؤول عن المنع

من تعليم أولادنا؟

الامن حكام الدوائر في المملات الثلاث بما يقدمونه من انتظار تستند عليها دار المسالة في المنع على اننا لا نخل ديار المعالة من تحمل المسؤولية كما لا نخلي — بعض الشيء — من هو فوقها اننا نسيرنا ان يكون القانون الفرنسي يبيدنا عن هذا المنع منزها عنه وان كان هذا المنع من بعض النواحي الاخرى فباسم ذلك القانون المحترم وباسم مبادئ الجمهورية الفرنسية العظيمة نوجه طلبنا الى الادارة العليا وعلى رأسها جناب م كارد فان يدعونا تقوم بتعليم اولادنا وبننا ولنة ديتنا وان يكون الاذن بالتعليم للقطر كله كما كان تلك البلدان القليلة . فان في منح المسلمين هذا اعظم اصلاح لحالم وانجع دواء لجبر قلوبهم واحسن الاثر للطبيب لمثلي فرنسا عندهم واجمل السمة لما عند بقية المسلمين



يا ترى؟ لا يمكن ان نحل مسؤولية هذا المنع على القانون الفرنسي العام ونحن نرى اليهود — مثلاً — يتبعون المكاتب الخاصة لتعليم ابنائهم دينهم ، ولا يمكن ان نحل مسؤولية المنع على الادارة العليا للجزائر لاننا نجد مكاتب خاصة في بعض الجهات يعلم فيها اولاد المسلمين دينهم ولتنهم في الجزائر مدرستان وفي دلس مدرسة وفي البليدة وفي الاغواط وفي مسكسر وفي قسنطينة وفي الميلة وفي جيجل وفي بجاية وفي ساطارنو وفي بـكـرة وسيل فيسة . واذا نظرت الى هذه المدارس التي عددها وجدت سبعة منها لمالاة قسنطينة وخسة بمالاة الجزائر وواحدة بمالاة وهران فتسوية المنع في كل عمالة بمحولة على امامها غير اننا نجد كل عمالة لم تحمل من عدد ولو كان نزوا من المدارس . فلماذا كان الاذن في ذلك النزول البسيط وكان المنع في غيره ؟ فلا نرى اذا اسباب المنع صادرة

ان مسألة تعليم اولادنا دينهم ولنته دينهم هي في نظر كل مسلم مسألة المسائل واعظم المطالب لانها عبارة عن حفظ الاسلام في قلوب ابنائنا وبناتهم مسلمين لا يتولون الا وهو مسلمون وهذا الاسلام الشريف عندنا اعز من الارواح والادوال وكل عزيز . فان التبليغ الذي يستغلها علينا الزم لنا من القوت الذي تنفذ به الابدان ومن الهواه الذي يمشي عليه الميوان ومنعنا منه اشد علينا من منعنا عنها قلن نسطيع صبرا على منعنا منه ولا سـكـوتا على من يتسبب في ذلك المنع كائنا من كان . ونحن — معشر المسلمين الجزائريين — قد منعنا منه في كثير من جهات قطرنا مثلاً ذكرنا في العدد السابق من هذه الصحيفة وما ظهر هذا المنع الا في هاتين المنيتين الاخيرتين كما كثرت الطلبات لتفتح المكاتب لتعليم اولادنا مبادئ الاسلام ولنة الاسلام فن المسؤول عن هذا المنع

(1) — الصراط السوي، العدد 02، مج 01، 28 جمادى الأولى 1352 هـ / 18 سبتمبر 1933 م، ص 01.

(2) — الصراط السوي، العدد 03، مج 01، 05 جمادى الثانية 1352 هـ / 25 سبتمبر 1933 م، ص 01.



## ملحق رقم (08):

مقال للطبيب العقبي: "لسنا أعداء لفرنسا ولا نحن نعمل ضد مصلحتها. بل نعينها على تمدين الشعب وتهذيب الأمة" (1)

العدد ٢

المراسلات

كلها بهذا العنوان

**AS-SOUNNAH**

13, rue A. Lambert, 13

CONSTANTINE

تليفون الإدارة ١٥-٥

الاشتراكات

عن سنة ٣٥ ف

عن نصف سنة ٢٠ ف

ثمن النسخة ٥٠ من

# السنة

السنة الأولى

تصدرها الجمعية تحت إشراف رئيسها

الاستاذ

مير الحبيب بن ياريس

رأس تحريرها

الاستاذان

العقبي والناصري

السنة الأولى

تصدرها الجمعية تحت إشراف رئيسها

الاستاذ

مير الحبيب بن ياريس

رأس تحريرها

الاستاذان

العقبي والناصري

من دغب عن سنتي بليس مني

لِسَانُ الْحَقِّ

جَنَّةُ الْعَالَمِ الْمُسْلِمِينَ

ولكم في رسول الله أسوة حسنة

Constantine le 17 Avril 1933

تصدر يوم الاثنين من كل اسبوع

تسبعتة يوم الاثنين ٢٢ ذي الحجة ١٣٥١

## (لسنا أعداء لفرنسا ولا نحن نعمل ضد مصلحتها. بل نعينها على تمدين الشعب وتهذيب الأمة ونساعدها)

### نهضة الجزائر اليوم ودعوتنا الإصلاحية

بقلم الاستاذ الطبيب العقبي عضو جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

ما كانت الجزائر بالبلاذ التي كتب الله عليها الموت الابدي، وقضى على أهلها بالشقاء السرمدي، حتى لا يربى لها بعد ذلك الموت وذلك الشقاء حياة ولا نوح. ولكنها كبلاد الله التي يتورها الخير والشر ويبتلى سكانها بالموت والحياة والتقدم (سنة الله في الذين غارا من قبل ولن نجد لسنة الله تبديلا) فلتن تلك منقوصة المظلمة طويلا ودهرا غير نقبر، ومياه قنفس والافساد فلقد كانت في عصر غالية. دارمان غيرة تزدهي برقي أهلها وتقدم مكانها ذلك التقدم المعروف غير النكدر وتزدهر بدينية وعلوم بعامها بما الاسلام فكانت جلاء لما انهم من امرار حياتنا وشما منيرة فمسح ارجائها. ايام كان المسلمون فيها يعملون ساء بوجه الاسلام عليهم ويسرون حيث يسرون تحليه وامرهم آيات كتابه الحكيم.

وما هروا من قوة المجد الشاخ ولا انطروا

من فدى العزة القمص الى حضن الجبل ودرك الذلة والفقر ولا تروا يا اقبانهم من الرزايا، وتزل بساعتهم من عظم للويلات والبلايا - الا بسا غيروا في انفسهم وبسا اغفروا الله ما وعدوه. فتخلت فيهم تلك الحلف تضيع الصلوة وتضيع الشهوات، ونجت من بينهم قروا شياطين الانس وقرناه السوء الذين يعملون لدنيهم ولا يدارف لديهم وان عملوا باسم الدين فانما ذلك للجنة رصيد اموال الماسكين. وقد علوا ظاهرا من الحياة الدنيا وكثروا عن الآخرة مع الفناطين. فسقطت جرهاتهم العامة ووقع في حبال مكرهم واشراك كيدهم (ويا للأسف!) بعض الخاصة فاستطاع شرم في البلاد فاكثروا فيها الفساد. وعظمت بهم الفتنة ما بين العباد. حتى هلك بسببهم من حسنا بهم الفطن وحسبوا انهم يحسنون صنعا. ويحاربون القضا. فاذا هم ينهل بئيات عزم من

(1)- السنة النبوية المحمدية، العدد 02، مج 01، 22 ذي الحجة 1351 هـ / 17 أبريل 1933م، ص 01-02، ص 07.



وضروية ....

ولقد كان لهذه النهضة اسباب متعددة وعوامل قوية . اهمها ما يحفز الهمم . ويشعر حتى بالي الرمم . من صوت العلم الصارخ ، ونسدها المدنية الصاخبة . ذات نبا يشاهد من الترقى المدهش والتقدم السريع الذي يجري على يد رجال الغرب ، ورسول الاستعمار في البعد والقرب — لباثا قويا يدعو الى التوسيع ودليلا قاطعا بان لا حياة في هذا العصر الا للعاملين الناهضين . وما كانت نهضة الجزائر اليوم في بدتها وسيرها البطيء المتراخي الا برهانا آخر يبيد للاذهان ذكرى تاريخ كل نهضة لم يسرع الناهضون فيها ولم يطوروا بانفسهم معها الى ابد مما نصل اليه جودهم ويتفادله مقدورهم . فكانت بحق نهضة . وحركة فعالة . وفكرة متخمة في العقول بالها . وما عليها ..... وكانت العقيدة الاجتماعية التي لها ما وراءها والتي لا يمكن ان ترجع الى الوراء ان لم تتقدم الى الامام . فكل ارادة اذن قتلها وكل محاولة للثبات عليها بعد ان بلغت أشدها . ووصلت الى مقياس سيرها الطبيعي ومنتهى حدها — لا يكون من ورائها الا اضرام نارها ، واشتعال آوارها شأن كل نهضة طبيعية سبقت ، وفكرة ناضجة في العقول تحسنت واخترت .

واما دعوتنا الإصلاحية الدينية فكانت ضربة لازب لا بد منها وضروية لا فائدة دعائم هذه النهضة المباركة عليها وتشديد هيكل تقدم هذه الامة ورقعها على اساسها المتين . واولا ذلك لما كانت نهضة امة الجزائر (وهي امة اسلامية دينية) بانهضة العادقة ولا الطبيعية . ذلك لان المسلمين لا صلاح لهم الا بدينهم (ولن يصالح آخر هذه الامة الا ما صاح به اولها) وما قدم بالمسلمين متقدم الحزبي والممانعة في كل زمان ومكان ولا أعزهم كل هذا التأخر المشين الا ارضاهم عن دينهم الصحيح وتنصيحهم من سلوك صراطه المستقيم . ولولا ذلك لكنا نغريهم أمة أخرجت الناس اليوم . كما كان سلفهم الصالح وآبائهم الا قدموا قبل اليوم . ولكنهم احدثوا الاحداث الكبدية في دينهم .

وجاءهم مبتدعوا الرهبانية من بينهم بما شاوروا وشاءت لهم امور اوزم وشهواتهم من البسود والضلالات فاقرروهم عليها ، وابدروهم فيها ، فكان ذلك الفساد ، وكان ذلك الضلال البعيد وكان لهم (عقوبا من الله) ذلك الجنري وذلك الصلذاب الشديد . (ان الله لا يفر ما يقوم حتى يغيروا ما ياتفسهم) ولقد أوغل رؤساء البسود وأئمة الضلال منهم في اراءهم الامة . واستغلواهم الجهور المستبد لهم والمسخر لشوائبهم باسم الدين . ولم يبقوا في استنصارهم جورة وامتناس دمه عند حد . ولم يتنوا الى غاية . فكان من حقته الطبيعي ان يستفيق ويحاول التخلص والتخلص من برائن أولئك المفترسين . والطواغيت المعتدين . ومن أنظم من يحاول ايقاظ الامة والشعوب خاضعة لسطة غيبه وسلطان جورده وبنيه . دون ان تقتنيه في يده من الايام اودهم من الدهور ١٩٠٩ .

لهذا حاول الذين تنهوا من افراد هذا الشعب التقصي والخروج من رقة أولئك الرؤساء المبتدعين . والاستعاضة بدور العلم عن غلام تقاليدهم وتشايرهم الجائرة التي افسدت عن محجة الطريق والتي لا تلتزم مع أي شريعة ولا أي دين . سببا وهذا العصر : عصر ترق في الافكار وتقدم في العادف . يقتضي بطبعه تك كل قيد وطرح كل غل يحول دون الاستغارة بذور العلم الصحيح وشتم نسيم الحرية في الرأي . والاستقلال في التفكير . ولم يكن احد اولي بالسبق الى ميدان العدل القسيح لهذا الغرض الشريف من اهل العلم وحراس شريعة [محمد] صلى الله عليه وسلم اذ هم خلفاء في تبليغ الدين ، وحمله هديه المستبين ، ففكر المفكرين في العلاج التامع ، والدواء الناجع ، وعلم الشاعرون منهم بالمخطر الدائم والمخطب المدلهم — ان دره المخطر والعمل لا تقام ذلك المخطب مقدم على جلب كل مصلحة واولى من كل منفعة . فبوا «وهم الذمة القابلة» يبدعون الى الدين الصحيح ويحضرون على الرجوع الى اصل الشريعة السالفة من كل تلك الادواء التي جرنا عليها بدمع المبتدعين . ورعاية اولئك الرؤساء الجرمين واهابوا بالامة

ارشادا وتنبها ، وثرية وتعاليا . فانذا جدت الحق يعلو ويرتفع ، واذا بالباطل ينزيم ويندحر . فننتفضح الاذان الصم والعبور الدمعي والقلوب الخائف (كم فنة قليلة غلبت فنة كبيرة بانن الله والله مع الصابرين)

وما كانت هذه الفنة القليلة . والعصاة المتحصرة الا فنة الاصلاح وعصاة الحق .

فنة العلم الصحيح . والعمل الصالح : العلم الذي هو نتيجة الاستقلال في الفكر والارادة . والعمل الذي هو الاخذ بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا سنة الاباء والاجداد التي سماها المضارب سنة . وما هي الا سنن لهم ولن قبلهم) . والاخذ بما كان عليه السلف الصالح (لا الطالح) . والاعتناء بهدي ائمة الدين الماديين المديبين . وغفلنا سيد المرسلين الرشدين (رضي الله عنهم اجمعين . ولعنة الله على من قل اننا لهم من العاديين المبغضين) .

قامت هذه الفنة الصالحة الصالحة منسكة بالكتاب داعية اليه (لا الى كتاب فسطوط وامثاله من الدرايش) متبعة سنة رسول الله لا سنن من قبلنا . تعمل لوجه الله لا لوجه غيره . وترجو الجزاء من عنده لا من عند سواه . (والذين يسكنون بالكتاب واقاموا الصلاة انا لا نضيق اجور المصلحين) . ولم يكن من امل واحد من افرادها التشرف الى غلب ولا مزاحمة احد من اهل قط . ولكننا نعيد الله (والدعوة الى دينه من أم اركان العبادة) غلصة له الدين : نعيده بكل ما جاءه الدين به وشرع . لا با اخترع وابتدع . تأمر الناس بما به الدين أمر . وننههم عما نهى الله ورسوله عنه . وكان على رأس هذه الطائفة الظاهرة (غير الباطنة ولا المستورة) في كل اهلها واتوالمها — علامة القطر بلا منازع وبامت الفكرة الإصلاحية من مرتدتها الاستاذ الشيبخ (عبد المجيد بن باديس) وكانت من حسن حظي ، وطالع سعدي سؤقد وجدت بالجزائر بعد الحرب الكبرى — ان اشترك هذه العصاة وانطوي تحت راية الاصلاح (البقية على الصفحة ٧)



## المنصة

## المنصة

( البقية من الصفحة ٢ )

منضيا الى رجاله العالمين ورئيس هذه الحركة بل رأسا الفكر . فكنت له السند المعاضد . والآخ المساعد .

ومن تتبع سير الحركة الإصلاحية من اول ابرها ومن حين صدور جريدة المنتقد وكتابتي لاول مرة فيها — علم البات الذي حولني على معاضدته . ومناصرته في فكرته ، قبل معرفة ذاته وشخصه . ومن ذلك المين حق الساعة [ والمحدث وحده ] لم آل جيدا ولم اتصر . ولم اهن ولم اضغف . ولم يرجع بي من السل اي معرف ولأية حقبة كأداء لقيتها في طريق اصلاحنا . وقد اصدرت جريدة الإصلاح ، لهذه الغاية وتلفت كل صدمة صدمتها من اجلها وكل كارثة نزلت بي من وراء امصارها ، بالصدر الرحيب والباع القويح ، غير اني في يوم تأخرها عن الصدور لاصحاب قاهرة تركت الكتابة بالرة فلم اكتب ( علم الله ) في اي جريدة كانت اي كلمة اوي سطر [ خلافا لما يشقولي في المرمون ويرموني به البطلون ] لا رغبة عن الكتابة وكراهية لها وانالانزال اصبر الى استئناف ابراز الإصلاح ، والرجوع الى الكتابة ، ولكنها فترة الاشغال واشغال اليل . وقد انصرفت بمشي الإصلاحية في دروس الوعظ والارشاد والمحاضرات التي القتها ، فاكثرت بهذا عن الكتابة اذلا يكلف الله نفسا الا وسعها . ولهذا السبب نفسه تقاعست عن المبادرة باصدار الإصلاح ، رغم الضرورة الملحة اليه وهي بذلك اكثر من مرة ، ولعل اصدرة اذا تبسرت الاصاب ووجدت في الوقت متصا . فانا وان لم اكتب وشارك اخواني المصلحين طيلة هذه المدة في الجرائد باقوالي فاهي مشارك لهم بفكرتي الإصلاحية واحمالي .

اما الآن وقد برزت جريدة ( السنة ) لجمعية علماء المسلمين ، لتبين للناس معنى السنة النبوية العبدية وترشدهم اليها كما تدافع عنها وترفعهم فيها بعد ما انصرفت النكسة الإصلاحية في العقول

واخذت حظا من الفروس فثبت اصلها فيها ومدت بفرعها الى الساء — فانه يجربني ان ارجع الى عهد الصحابة والكتابة بها . هي كاتمني ذلك من المشقة ليتبين للكل مرة ثانية وجمه حملنا والنهاية المقصودة من دعوتنا .

خبرنا بعد وجود جمعية علماء المسلمين التي هي بنة الإصلاح والمزلة الذي سير جمع اليه كل امر اصلاحنا الديني ويوجون المحاولات التي حفت بها ، والمشاغبات الكثيرة التي يبرها في وجهها اليوم ويشاقبها بها اعدائها اعداء الاسلام والمسلمين واحباب انفسهم فقط . اولئك الذين اجتمعوا من كل ناحية وصوب وتألبوا عليها ، وحاولوا اهلاك كل من ينشئ اليها . [ وان يهلكون الا انفسهم وما يشعرون ] واتي مع هذا كله ورغم كل ما وقع لعل ثقة نامة وبنية من الامر تجلتي اجزم بان القوز والعاقبة لهذه الجمعية التي لا غرض لها سوى نصرة الحق واعلاء كلمة الله رغم انك كل مبغض ورغم ما يرمي به القرون اصناما العالمين من كل عنصرية وكل فرية يحاولون الصانها بهم حسدا من عند انفسهم ، وتنفيذ لحطة رسمتها لهم بعض الابدى التي هي اكبر من يدهم . ( ولينصرف الله من بصره ان الله قوي عزيز ) هذا وان دعوتنا الإصلاحية ( قبل كل شيء ) وبعد ) هي دعوة دجبة محنة . لا دخل لها في السياسة البية ، نريد منها تنقيف امتنا وتهذيب مجتمعا بتماليم دين الاسلام الصحيحة ، وهي تلخص في كآتين : ( ان لا نعيد الا الله وحده وان لا تكون عبادتنا له الا بما شره وجاء من عنده ) وليس في هذا ولا الدهرة اليه مايس بصلحة قرائنا ويسمى عملا ضد قرائنا ودعوة الى الوطنية النضرقة والتصاننا بالجمعيات ( البلشفيكية ) وانتماء الى الدستورية ونشرا الوهابية ..

ثم ما هي هذه الوهابية التي تصدرها التتخيلون او صورها لهم المرمون بغير صورتها الحقيقية ؟ . اهي حزب سياسي ، وخطير اجمالي يضر قرائنا ومصالح قرائنا ؟ ام هي مذهب ديني وعتيدة اسلامية ككتبتها من العقائد والمذاهب

التي تتصلها وتدين بها مذاهب وحركات من المسلمين ؟ .

واذا كانت الوهابية [ هي عبادة الله وحده بما شره له باده ] قالها هي مذهبنا وديننا وملتنا السبعة التي تدين الله بها وطلبها يحيي عليها لدوت ونبت ان شاء الله من الآمين ،

وان تصح من الوهابية شيئا آخر غير هذا فانا ما اري من ، وعها يبينون .... فليعلم هذا عنا من شاء ان يعلم . ولينصنا المتقرون الذين يلبسون الحق بالباطل ويكتمون الحق وهم يعلمون . ولعلم رجال قرائنا الصكار . ولواب دولتها الاحرار . اتنا لسنا اعداء قرائنا ولا نحن تصل ضد مصالحنا ( كما يقرله عنا خمرنا الكاذبون ) بل نحن لما بعلنا ( في هذه الدائرة الإصلاحية ) على تدبين الشعب وتهذيب الامة وتنقيفها معيون ومساعدون ومن اراد منهم معرفة حقيقة دعوتنا وما تأست من اجله جميعنا ، فليرجع البصر كآتين في اعمال رجال هذه الجمعية : ( خطبا ودرسا ، وكتابات ) فانه يجد الحقيقة واضحة جليلة ، قريبة منه ، ومن كل مطلب للحق وباحت عنه ، والله في المتقين والاصر المتجين .

( الجزائر )

علي هاشم الحوادث

## في « تاغزوت »

( تنشر في هذا الباب مايناسب من الحوادث مما تحرره الادارة وما يرسله المراسلون باضالهم )

تاغزوت هذه ، اسم قرية كبرى في ارض مدينة صغيرة في بلاد سوف ، تبعد عن مدينة قمار ميلا واحدا ( كيار ميتر ) اردون ذلك . وقد حدث في هذه القرية اخيرا ان اثنين من سادات ابناء الزوايا في تلك البلاد قد مرجا على بعض المحلات المشبوعة هناك ، فلما يشربهم المجرع بعض التزسات وأسرفا في الشراب إسرافا كثيرا ، فلما انصف الليل خرجا بطوفان الشوارع والطرق ، وما يشربان مرادة وسكرا . وخطر لهما خاطر سوء وشرعا يتفذهانه فوراً . وذلك انهما دخلتا دار رجل هناك يريدان اعداءه على شرفه وحريه ، فلما ابصرهما صاحب الدار — وكأنت رجلا صاحب مروءة وصاحب شرف ، ينزل على دونه — يجتازان السقفة ، ويوسطان الدار



## ملحق رقم (09):

مقال للبشير الإبراهيمي: "الجمعية دعوتها وغايتها" <sup>(1)</sup>

العدد ٤

ثمن النسخة ٥٠ ص

المراسلات  
كلها بهذا العنوان  
**ACH-CHARIA**  
Journal Religieux  
13, rue A. Lambert, 13  
CONSTANTIN  
الاشتراكات

عن سنة ٣٥ ف  
وللتلازمة ٢٥ ف  
عن نصف سنة ٢٠ ف

# الشريعة

التبوية المحمدية

تعددها الجمعية تحت إشراف رئيسها  
الأستاذ  
عبد الحفيظ بن باديس

رأس تحريرها  
الأستاذان  
العقبي والنهري

صاحب الامتياز: أحمد بوشمال  
تبلغون الإدارة ٥-١٥

من رغب عن سنتي فليس مني

ليسانس كمال  
جنتي العلماء المسلمين الجزائريين

تم جمعناك على شريعة من الامر فاتمها

Constantine le 7 Aout 1933

تصدر يوم الاثنين من كل اسبوع

١٣٥٢ ربيع الثاني

فليكن حديثنا كله لا يفرج عما  
يتعلق بجمعية العلماء وان هذا الجمعية بقاها  
وغاياتها موضوع يأتي على مواضع القول  
كلها وان القول فيها ليسترق اوقات القائلين  
وقد جمعكم الله واتم انصارها وذووها في  
صعيد واحد فانكم تقولون هذا هو المظهر -  
ومن ورائكم اعدادكم ممن قد بعهم المعجز  
او حالت بينهم وبينها الاعذار وقد  
ارسلوا بالبرقيات والكتب وفيها ما ستمتم  
فكلهم يقولون وهذا هو الخبر  
ولل اروع ما شهدته الجزائر في  
تاريخها الحديث هو اجتماع هذه السنة  
ولل غرة ايامها في هذا التاريخ يومان  
هما امسك ويومك  
واين تقع تلك الاجتماعات الضخمة  
التي كانت تشهدها تشهد المظاهر الضخمة  
على المخابر الوخمة وتشهد اشتاها من الناس  
لاشتات من المقاصد والغايات - من اجتماع  
وحدة الناية التي لها يصل حتى كأن من  
فيه رجل واحد وحدث الناية رأيه فهو  
رأي واحد وقيل ذلك وحده الحق لجاء  
ومراد من النواحي المختلفة بسائق  
واحد وشعور واحد  
هذا مظهر الجمعية وهذا خبرها من

## الجمعية

### دعوتها وغاياتها

الحطاب النفس الذي القاه الأستاذ البشير الإبراهيمي نائب الرئيس مساء الثلاثاء -  
ربيع الاول الماضي - اليوم الثاني للاجتماع العام لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين  
نقلا من مجلة الشباب

هذه الوجوه النيرة وما تحتها من نفوس  
خيرة - من كل مدعو الى الخير محيبي  
وداع اليه قد اجيب . وندهو لا دعا له  
كتاب الله من تأكيد الاخوة والاخذ في  
اسبابها بالقوة .  
وندعو للعلم الذي هو سلم السادة  
ورائد السيادة ونستبذ بالله من شر التفرق  
الذي حذر منه الرحمان والواجب علينا امتثال  
امره واعداء الشيطان والواجب علينا اتقاء  
شره واجتناب مكره  
ايها الاخوة الكرام -  
للكم تظنون انكم مستمعون موضوعا  
مبتكرا او خارجا من منامات جمعية العلماء  
وما دام قدومكم لاجل جمعية العلماء وقلوبكم  
مع جمعية العلماء وركوبكم المشقات والاصاب  
في سبيلها

نبتدى الكلام باسم الله وحده وبالسلامة  
والسلام على سيدنا محمد بن عبد رسول  
الله وعبد الله وبالرضى من آله واصحابه  
انصار الحق وجنده ، المؤمنين بهده  
الصدقين لومده ، وباستئصال الرحمة الشاملة  
على اية الهدى ونجوم الامة تده الذين طاموا  
ساووم الباطل بسلطانه وايدوا وكافروهم  
ببيوعه وحسدوا ودمدم عليهم بزيه ورعدوا  
فا وهنوا عند اركانهم وما استكافوا عند  
شده وما انخدعوا لهزل ولا لبوا عند  
جده - وعلى عباد الله الصالحين المصلحين  
الذين وقفوا عند شره وحده وخلصوا  
علمهم من يقيين القلب وعقدوا وابتلاهم  
الله بالشرواخير فتنة فقالوا كل من عنده -  
ورقمهم لهم صفاتي الانبياء فما التبت  
عليهم الماني ولا سموا الشئ باسم حده  
ونحن بتحيات الله المباركات الطيبات

(1)- الشريعة النبوية المحمدية، العدد 04، مج 01، 14 ربيع الثاني 1352 هـ / 07 أوت 1933م، ص 01-03.

حيث القوة والتمتد والتمتد والمطامع بأين  
مظهرها وأين مظهرها في العمل الذي است  
لا جلاء

است جميعكم هذه است لتأبين  
شرفين لما في قلب كل عربي مسلم هذا  
الوطن مكانة لا تساويها مكانة وما احياه  
مجد الدين الاسلامي واحياه مجد اللغة  
العربية

فاما احياه مجد الدين الاسلامي فباتانه  
كما امر الله ان يتم بتصحيح اركانه الاربعة  
المعينة والعبادة والمعاملة والمخاطبة فطهر  
بما ان هذه الاركان قد اصبحت ممتلئة وان  
احتلالها اوقعتنا فيما تروث من مصائب  
وبلايا وآفات

احتلت العقائد ولا يسها هذا الشوب  
من الحرافات والمعتقدات الباطلة فاضمت  
تقنا بالله ووفقنا بما لا يورث به

واختلت العبادات فغزت النفوس من  
تلك الآثار الجالبة التي هي سر العبادة والتي  
هي الباعث الاكبر على الكمال الروحي  
واستغلت الاصنام فاستهكت الحرمات  
واستباحت الحرمات وتحككت روابط  
الاسرة الاسلامية وقطعت الارحام وتنادى  
المسلمون وتباغضوا وتشكر الاخ لآخيه

وشتم الزعيم الديني الذي يسمي  
النفوس للانطباع بطائع واحد باصبحت  
مستعدة لتكليف بما يشع وما يحسن -  
ثم غلب ما يقع على ما يحسن فخرجت  
الفضيلة الاسلامية من عقل المسلم ومن نفسه  
وحلت محلها الرذيلة - ثم جاء الاحتكاك  
بالاجانب عن هذا الدين وسوء عاداتهم  
واختلافهم فوجدت السبيل مهددا ووجدت  
توس المسلمين عودت بلامدافع ولا دفاع  
تمكنت فيها وسكنت انبرها والشر  
يعدى وكان من نتائج ذلك ما تروث  
من التخلل وتحكك

واو كاشد الله حق عبادته ونبي

العبادة الخاتمة على عقيدة خالصة - فكان  
من آثار تلك العبادة في قلوبنا ما يقبها  
من شرو هذه العوائد المادية

واختلت الاخلاق وفي اختلالها البلا  
المبين وان الاخلاق في دينكم هي شمس  
الايمان بلا يخل خلق الا وتضيق من  
الايان شدة - وقد اجمع حكماء الامر  
على هذه الحقيقة التي تروها الاسلام بدلائله  
واصوله وهي ان الام لا تقوم ولا تحفظ  
وجودها الا بربوخ الاخلاق الفاضلة في  
توس افرادها -

ولهذا زى الاسلام باخذ في شرطه  
على ابناءه ان يشاءوا بالمعروف وينهاوا  
من المنكر ويبدى في هذا المعنى ويبد  
ويشرب الامثال ويبين الآثار ويقت  
النفوس الى الاعتبار بس مضوا والى - ن  
الله الخالية منهم

او لم يكن من اصول دينكم ايماء  
الاخرة وتاليه الا هذا الاصل - وهو  
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لكفلا  
دلالة على انه دين اجتماع وعمران وحياة  
وبقاء ولو لم نضع فيها اضمنا من تلك  
الاصول الا هذا الاصل لكفلا فمقتوا استحقاقا  
لقضيه واستبدله بنا قوما غيرنا

واما احياه مجد اللسان العربي فلانه  
لسن هذا الدين والترجم عن اسراره  
ومكنوناته - لانه لسان القرآن الذي هو  
مستودع الهداية الالهية الدائمة للبشر ظلم -  
لانه لسان محمد بن عبد الله صلى الله عليه  
وسلم صفوة الله من خلقه والمثل الاعلى  
لهذا النور الانساني الذي هو اشرف  
مخلوقات الله - ولانه لسان تاريخ هذا  
الدين ومجل مواقع العبر منه ، ولانه  
قبل ذلك وبعد ذلك لسان امة شملت حيزا  
من التاريخ بقطرتها وادابها واخلاقها  
وحكمها والموادع وتصايرها في الحياة  
ودولها في الدول وخيالها اللامع الخاطف

الذي هو اساس دنيا وآرائها في عالمي  
الكون والفساد

ولهذا يعلم ان هذا اللسان ضاع من  
بيننا فانضمنا بضياحه كل ذلك التراث النالي  
النفيس من دين وتاريخ - وان اللغة هي  
المقوم الاكبر من مقومات الاجتماع البشري  
وما من امة اضاءت لفتها الا واضاعت  
وجودها واستتبعت ضياع اللغة ضياع القومات  
الاشرى . وبابى لكسر الله والاسلام ان  
تضيقوا لغة كتاب الله ولغة الاسلام

بابى لكم الله الا ان ترجعوا اليها لا  
لتجربوها بل - لتحيوها بها الفضيلة الاسلامية  
في قلوبكم ولتحيوها بها الحياة التي يريدتها  
الله منكم فجميعكم - بموت الله وبفضل  
حكمكم تركب لثمين النابض من الدوائر كل يمكن  
فن محاضرات ودروس عامة الى دروس خاصة الى  
تنشيط وارشاد للذين وهي تعتقد في الاعانة على  
القيام بهذا العهد الذي نطعته على نفسها - بعباد  
على كل من يعله صرعا من ابناء هذه الامة -  
وهي تعتقد انها لا تستغني عن الاعانة من اصغارها  
مما قلت وانما لا تستغني عن حكمة الشيب  
وتجاربهم ولا عن اعدال الكبرول وحكمهم -  
ولا من نشاط الشبان وقوتهم - وان تكفل هذه  
القوى الثلاث سينخرج للامة لبرازيرة جيلا مزودا  
بالاسلام لمصحيح وهداية والبيان العربي وبلاغته  
عارفا بقية الحياة سباقا في ميادنها متمليا بالفضائل  
عزونا عن الرذائل عارفا بما له وما عليه واقفا في  
سائر الحقيقة الواقع لا في سلب الحلال الطاهر -  
لبا الاسرة الكرام - ليس من معنى سمي  
جميعكم لثمين النابض ان تعرض عما سواها وانما لا تقم  
الوزن لهذه العلوم التي اصبحت وسائل للحياة او  
هي ملية نفسها - كما ظن الظالمون بهذه الجمعية  
فقدرا بها عن من لم يهتم شيئا من حقيقتها - فهو  
تعمل للتأبين وتعدل لا وراء الغائبين من كل واقع  
مفيد لا يبالى كليات الاسلام واضله

وان في ساحة الاسلام الذي تدمر عليه دنيا  
هو مقرر في مقاصد من عدم التعبير على القول



الغربة

الغربة

ان تفكر وعلى الايدي ان تعمل وعلى الرجل ان  
تسعى وعلى اللسان ان تنفث بكل مفيد - ان  
في كل ذلك بلوا للظلمين وردا على ما ظنوا .

هذه هي غاية الجمعية التي تسعى لها وبذل  
كل عزيز في الوصول اليها - وسواء تبدلت الادارة  
او بقيت وسواء واجهها الدهر بالبشر والطلائع او  
بالهجوم والعبروس - وسواء احسنت العبارات نادبة  
معاملا للناس او لم تحسن .

وسواء خفت لهجات الناشئين لدعوا او  
استندت تلك هي الغاية وتلك الحالات كلها انها  
اعراض تسرع بالجمعية في الوصول الى الكمال او  
تبطئ ولكنها لا تخرجها عن البعد ولا تزعزعها  
من جادته .

واننا نقبل الى الله ان يفيض لما في كل دور  
من ادوارها رجلا غلصين حكما يستلونها ببهاء  
تقية ويسلونها لمن يعدم اشد ما تكون بباهنا  
وانه ما تكون تارة - ويثقلونها وهي امالة وعهد  
تزدونها لمن يعدم وهي امالة وعهد

وان يمكن لهم من وسائل التيسير كل ما  
يجزنا عنه وان يبدد عظام في حملها ويشدد عزائمهم  
في الدفاع عنها وان يتدي بصائرهم في تحملها وادائها  
- فما هي ببقا الفرد للفرد ولكننا عهد الجليل  
للمعمل

ابا الاخوة الكرام  
اي لم ار مثلا اضربه بجميتكم هذه وهي لم  
تزل في المد الاشياء نسبة بباشر الصبح - هو  
تلك اللع المتفرقة من النورق الشرق قبل ان ينشق  
عمود الضحى - يرتاح لها السارى في ظلمات الليل  
لانه يرى فيها العذراء الصادق على قرب الخروج  
من العلف والحيط في مضلات السبل -

ويرتاح لها المهوم الساهر الذي يبيت برامى  
السوم لانه يرى فيها منفسا لهما وسببا لسواد  
وان لم تكن حدا للواء

ويرتاح لها المتروور الثاني لانه يرى فيها  
مخايل من آية النهار

ويرتاح لها التاسك لانه يسع فيها الدامى  
التوب بعبادة ربه

ويرتاح لما الشاعر لانه يرى فيها سرحا  
لحياله وألقا لروحانيته

ويرتاح لما العادل الملتزم بهله لانه يرى فيها  
الامارة للؤذنة بقرب وقت العدل

ولكن هل يدرك النادر شيئا من تلك  
اللذة ؟ نعم ان جمعية العلماء تباشر الصبح وسعروها  
تصعد عن بقر صادق ثم عن شمس مشرقة

اطال الله اعماركم ابا الاخوة - حتى تتدلوا بكل  
ما في تلك الشمس من اشراق ونور وهاء وجمال  
وبكل ما تحمله تلك الشمس من اسباب الحياة .

الغربة قوام الحياة

« ايضا »

ما كان يخطر ببالي ان اكتب مقالا  
عنوانه هذا ، لان هذا العنوان قد مر عليه  
عام كامل ، فكنت ناسيه لكن جمع خفير  
من الادياب والفضلاء في الاجتماع السامر  
الواقع يوم ٢٦ جوان بلجنة العلماء المسلمين  
الجزائريين اقترح علي ان اكتب مقالا عن  
« الغربة قوام الحياة » ، واستحسنوا اعادته  
واهيبهم غربالي .

وكنيت اسائل نفسي هل هذا الاهباب  
بغربالي له اسباب وموجبات ، ولكل شيء  
اسباب وموجبات ؟ فذهبت استقصيها  
فاهتديت واجبت بان « الغربة قوام الحياة »  
حقا ، فما قد ظهرت نتائج غربلتك في  
هذا الاجتماع الذي نحن فيه على سرد  
متتابعين ، وليس الجميع هذه النتائج لما  
وسمت الكثير من الادياب يردد حامل لسانه  
هند نهاية كل اجتماع من اجتماعات الجمعية  
وما يسع مثالي امام رجال الادب والاجابة  
وحسن الطاعة ، فاجبت وها انذا اغربل  
اغضب الحق على الباطل ، ام غضبت القفيلة  
على الرذيلة . ام هو استمداد في الجزائري  
ام هي من محاسن الصديق ام ماذا ؟ ام  
هو محو من الاحلام وطول المنام . ام شدة

بعد لين ، ام حدة بعد سكون . محبة  
بعد سقام ، ام ماذا ؟

هي مجموعة عوامل صادفت من الجزائري  
مواهب اختص بها من دون سائر الناس  
وغرائز فطرية نبيلة . واستمدادات هابية  
تنفض الكرى من عينيه وسط هذا الزحام  
واستأنف سفر الحياة ورحلة الايام .

والجزائري ان مات يجد في موته  
وان نهض يجد في نهضته ، وان انقابت  
الحوادث ونوالته عليه الخطوب والكوارث  
يجد كذلك في صبره = بيد انه صبر  
الكرام = فهو جاد مقبلا ومدبرا ، هابطا  
وصاعدا ، فكذلك كانت الجزائري .

فهتم هذا ، ودريته من الاجتماع  
الدام بلجنة العلماء المسلمين الجزائريين  
الواقع يوم ٢٦ جوان ، فقد شاهدته فيه  
مشاهد نيل وعز وشرف وعلم وادب .  
مشاهد في منتهى الروعة والمهابة والجلال ،  
صدقت ظنوني وتكهناتي نمو الجمعية ،  
ولم يبق عندي ريب ولا شك ، بل لم  
يبقى معها شك لشاك ، ولا امرق ، ولا  
لمضاد ومناسب ، ومطل من التوافد بالناظر  
ولا لرائي - في ان جمعية العلماء المسلمين  
الجزائريين هي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين  
هي جمعية الامة الاسلامية الجزائرية المحدودة  
غربا بالمررب الافصى ، وشرقا بالايالة  
التونسية ، وشمالا بالبحر الابيض المتوسط  
وجنوبا بالصحراء الكبرى ، هي جمعية سقة  
ملايين وسيف من النفوس ، فاما الذين  
حضرروا وشاهدوا كانوا من الذين يؤمنون  
بالمشاهدة فيدلون انه الحق ، ولما الذين  
كنروا فيقولون ماذا اواد الجانب بهذا ؟  
اولئك هم الحاسرون

لقد تحركت لهم الى الجمعية من كل  
مركز من مراكز القطر الجزائري غربا وشرقا  
وشمالا وجنوبا ، ومن اقصى النقط وتوافدت  
الوفود من كل حاضرة وكل قبيلة جاءت



# ملحق رقم (10): مقال: للقضاء على الاستعمار يجب حول توحيد الجهود<sup>(1)</sup>.

## للقضاء على الاستعمار

### يجب توحيد الجهود

سبل ترفيقها وتهذيبها بكل غال ورخيص، وعاشروا من الأحوال والأحوال وسكان الرجال، ما لو سقط على أعظم جبل في الدنيا لدكه دكا، ولتأثرت أجزاؤه وبند نظام. ولكنهم نبشوا لذلك كله تلك الرواسي وواصلوا العمل غير خائفين ولا وجلين ولا واهنين.

هذا النوع من الرجال تبرزه القسوة الالهية في أوطانهم عند ما تريد أعباسا فيدبسون لقيام السجج وإصلاح القاسد وأرشاد الفال وتعليق الجعل، ويدخلون غمار الحركة ضد الحصور الأقارب والأخيد فرعان ما ينجل الببار ويتكشف السبار عن ميدان الزلا، ألا والألسنة تطلق بالتهليل والتكبير: الله أكبر... الله أكبر... هككت خير وأنى الصر...

هذا هو الحال عندنا بالجزائر، كانت تسيطر على الأمة شرمة استمرت القول بالأوامر ففتحت عليها حجة العلماء القضاء الأخير وانجلت من الميدان، فصدنا الله على انهيار صرح الباطل نهائيا وانبشرونا بالهدم الجليل، فأذ بأحزابنا اليسبة تحت في وجوها بابا من الحسام جديدا ينفذ بضعا بضعا بأيتع الطعن واسوا القول، قيا ليهم وقفوا عند هذا الحد بل تجاوزوا ذلك إلى التقيص من كرامة رجال العلم والعدل المخلصين الذين بقوا وحدهم واضعين للواء المقاومة بتعلم اللغة العربية وثروة الأمة على الهداية الإسلامية، وتروضا على الأخلاق الفاضلة والآداب الكسفة. يعاولون بذلك ضد الأمة منهم ليجلو لهم الجلو فيقودوها إلى الهلاك والدمار. فهبات ميهات لا يرومون فيهم وبين ذلك خرق الفتاد. وما عليهم إلا أن يشرقوا بالحق ويجعلوا (جميع العلماء) حكما بين الأحزاب ويخضعوا لحكمها العدل عن طوع نفس ولا يرومونها بالتحيز لنفس أو عيشة أذ هي أشرف وأرفع من ذلك، وهي الهبة الوحيدة التي آلت على نفسها الدفاع عن الإسلام والعروبة، وإيجادها بالجزائر. ولا زالت تقوم بذلك إلى الآن، فأعاضها شاهدة على كل ذلك وهي أشهر من أن تذكر. وما على المتأولين إلا أن يكسوا عن الحسام. أما مجرد النذف بالزور واختلاق الأكاذيب والأعاجيب فليس له من أثر صالح يعود بأي نفع على الجميع إلا زيادة الطين بة وتوسيع جبهة الشقاق في الأمة. ولقد جلم وجع القلا، يشهدون أهم هم المشدون وأن مسؤولية ذلك يتحملها من يما بالهجوم.

محمد شرارة البطلاني

ممرور لدى كل عاقل أن الشعوب الضعيفة المظلومة على أمرها، والتي لا حول ولا قوة مادية لها للدفاع عن كيانها ومطاردة الأجنبي القوي عن وطنها تستلج أن تحدث لنفسها - رغم كل ذلك - قوة منوية عظيمة قد تمكنها في يوم من الأيام من حق الاستمرار وإجلائه عن أراضيها بصفة تامة نهائية وهي ما يسمونه به الشكل الثمى....

فهذه القوة تكون بجمع كلمة الأمة وتنظيم صفوفها بأضواء جميع حياتها ومنظمتها تحت لواء واحد ووقوفها صفيا واحدا في وجه الدخيل المتدني تافقه الحساب عما يرتكبه من مظالم ومآثم، وتجاوبه وجها لوجه من أجل الدفاع عن الحوزة وسون الكرامة الشنية والتبشير عن آلام الأمة وآمالها بحيث تكون لها لسانا ناطقا وترجانا صادقا لا تنازل عن مصلحتها في سبل المصلحة الشخصية بل بالعكس تخشى بكل عزيز في سبل التحصيل على الرغائب القوية والحقوق الوطنية مع الاستمرار على الكفاح ومواصلة الجهاد رغم الصدمات والبقات إلى أن يقع اكساح النظام الاستعماري وتحرير الوطن من بين أظافره تحريرا تاما شاملا.

فشكل الأحزاب الوطنية ضد الاستعمار تمكن الأمة من التفكير بمقصودها وبلوغ ناعها، لأنها - أي الأحزاب - كمضفة القلب في الجسد إذا سلحت سلاح الشعب وإذا فسدت فسد. فإذا كانت متضاربة متكافئة شامكة استقام أمر الشعب ونظير إلى مستقبله نظرة أمل والطمأن بالفرور. وإذا كانت على عكس ذلك مختلفة متناحرة مفتحة التمثل تلعب بها الأهواء، وتحكم فيها الأهراض، عوش أن تمد العدة لمقاومة الاستعمار ومكافحته ومصارحته في جميع الميادين، تهلك في جمع القشور وطرح الباب وتبادل التشم والتنازير بالالقاء، والتراحم على الرئاسة الزائفة والشهرة الواسعة والتناقل عما يتطلبه منهم الواجب القومي وعما تنتظر منهم الأمة من أعمال نافعة، وجهاد كبير في سبل سيادتها وعزتها - آل بها الأمر - طال الزمان أو قصر، إلى بذخا من طرف الأمة واستبدالها بعيشة شبيهة كبرى على عليها أدارتها وتصرفها حسب مصلحتها: تتكلم بلسانها، وتسير على وحسها، ولا يكون رجال هذه الهيئة الكبرى إلا رجال السلم والعدل الذين كرسوا حياتهم على خدمة الأمة والصهر على مصالحها، وضجروا في

### بقية الصفحة الأولى

بالجس بين المتنافسات. ولا عجب من حكومة كاتوليكية لاكية، أن ضيف لها نقيضا ثالثا، وهو (النسك بالاسلام)... قول الراوي: وكيف يتم ذلك...؟

4 - ذلك أن الحكومة الجزائرية مرفوعة بالحرم في مثل هذه القضية من شؤون المسلمين، ومرفوعة بأدخال الرجال لأوقات الشدة ويوضع الاحسان عند من يشكره ولا ينكره. ومن بين من ادخرتهم لهذه القضية، وجربتهم فكشفت التجربة عن اخلاص وطاعة، واصطنعتهم فكان الاصطناع في عمله - رجل طموح للتناصب، يركب لاجلها الصب والذل، ويستهل في سبيلها اخابر البصرة واحراق روما، وهو الحاج، الحاج فلا، الحاج نية، أمير الحج الجزائري في إحدى الحيات الشيخ محمد المصطفى الحفي بالجزائر. ما زلتا تتع أعمال هذا الرجل منذ ستين، وتوهم من حركته أنه عامل نصب وخفى ما، وأنه مهاب من الحكومة لأن يكون حلقه مقفولة، لقضية ما،

بدر الدين الزروقي

### \* التقرير الحكومي العاصي \*

شرفا في افتتاحية هذا العدد إلى هذا التقرير ووعدها القراء بشرح مغايريه ويان مرابه في العدد الآتي. وما نحن أولاء لتجبل بنشر مقدمة ذلك التقرير كسودج يشهد بالفاظه وتراكيه ومسا به إلى الحكم الذي حكمنا به عليه. وترجى التليق عليه وعلى بقية التقرير إلى الأعداد الآتية.

تعميد:

### حول حادث «سانتوجين»

وجهت لنا لجنة العمل المضادة لهذا الحادث الاستفزازي، نسخة من الاحتجاج الذي كانت وجهته إلى كل من عامل عمالة الجزائر ووكيل الحق العام ذلك الاحتجاج الذي لم يقع الجواب عليه من طرف المسؤولين المذكورين ولا قبول اجابتهما إلى رغبتها وهي مقابلتها. ولما كان الاحتجاج المذكور عمرا بالقلم الفرنسي وليس لدى الجريدة إدارة مختصة للترجمة اضطررنا للاكتفاء بالإشارة إليه مع ملاحظتنا لكل من يوجهه للبصائر، شيئا للنشر أن يكون بلسانها العربي المين.

اضطرت ودادية رجال الدين الموظفين إلى أن تملن الآن برأيها في المسألة الدينية الإسلامية بالجزائر - وهي أجدر بهذا - بعد أن اعتلت الحكومة العليا بفعل الدين الاسلامي بالقطر الجزائري عنها فصلا نهائيا وأوكلت أمر تنظيم الشؤون الدينية إلى المجلس الجزائري الموقر طبق رغبة الأمة الجزائرية الإسلامية.

على الذي يواجهه هذا المجلس في هذه المسألة هو حل مشكلين: كيفية تنسيق الشؤون الدينية، ومشكل الاوقاف نفسها، ويكتف المشكلين مشكل ثالث وهو: مطابقة كل حزب من هذه الأحزاب: حزب الاصلاحيين، وحزب جمعية العلماء، وحزب الطرقيين، ولكن مؤيدون من الأحزاب السبانية.

وبناء على أن المروف في جميع الامم قديما وحديثا من ان الضامن لبقاء الاديان في مدو - كما هو الواجب - هو ابادها من كل ما يمت إلى الشف السباني بصلة

(1)-جريدة البصائر، العدد 57، السنة الثانية، السلسلة الثانية، قسنطينة، 20 محرم 1368هـ/22 نوفمبر 1948م، ص02.



ملحق رقم (11): مقال حول صلاح المجتمع وفساده (1).

تمن السبعة ٢٠ فرنكا

المدير المسؤول  
وصاحب الامتياز  
ورئيس التحرير

عنوان البريئة ١٢ نجع بومبي  
رسم التماثيل ٢٧٨.١٧  
الكتاب المجاري ٥٣٩.٧٢  
اشغال التماثيل ٧١٧٤

« EL-BASSAÏR »  
Journal hebdomadaire  
Directeur-Gérant: TALEN BACHIR  
12, Rue Pompée - ALGER  
Téléph. : 278-17  
C.C.P. 529-73 R.C. Alger 7124

# العصائر

دار الثقافة

ملك جمعية العلماء ولسان صايرها  
شعارها العروبة والاسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

ليس يضبط العدد  
الكثير من لا يضبط  
نفسه الواحدة.

يوم الاثنين ٢٥ صفر عام ١٣٦٨ هـ

تصدر يوم الاثنين من كل اسبوع

الموافق ليوم ٢٧ ديسمبر سنة ١٩٤٨ م

## تحذير

بلفتنا اخبار ورسائل من معتدى  
جمعية العلماء في كثير من البلدان -  
أن هناك جماعة طوائف يديهم  
وصولات مزودة باسم جمعية العلماء ،  
وبعضها باسم جمعية التربية والتعليم ،  
وليس فيها اسم بلدة معينة ، ويقبضون  
بدلها مبالغ على أنها اشتراكات في  
أحدى الجمعيتين ، وليس في الوصولات  
امضاء ، كما رأينا فيها وصلتنا منها .  
وانما فيها هذه الكلمة : (أمين المال  
بقسنطينة).

وتنح لا تشك في أن هذه مكيدة  
مقصودة يقصد منها مدبروها أمرين  
جوهرين : احدهما اختلاس المال ولو  
كانت الوسيلة خبيثة والثاني تشويه  
سمة جمعية العلماء ذات الصفة  
عاقبة المائتين . ولا تركوا الى الذين  
ظلموا فتسكهم النار ، وما لكم من  
دون الله من اولياء ، ثم لا تصرون .  
واذا فقد التضامن الاجتماعي  
وكانت الأمة طبقات ، عمت الاثرة  
وتحكمت الاهواء ، واختلفت النابات  
ونشأت حرب الطبقات التي تخيم فيها  
الفوضى ويعطى الأمن وتصعب الحياة .  
فهل يصلح المجتمع على غير هذه :  
كفاءة المسؤول وأمانته ، وتضامن  
المسؤولين وتعاونهم ؟  
ابو بكر بن بلقاسم

ان أطلع المجتمعات هي هذه التي  
يرف كل فرد فيها واجبه ، ويؤديه  
أبنا معتدا ، وهي هذه المجتمعات  
الضامنة المتأونة التي توحدت فيها  
جهود أحادها وغاياتهم .  
وما اختل مجتمع الا بسبب فقد  
الامانة او الاعتدال - الكفاءة - او  
بسبب تنككه الاجتماعي ، وتاريخ  
للثيرة الطويل كله شواهد على هذا :  
نكم من ملك تولى الملك ، ونقصته  
التفردة وعجز عن تحمل أعبائه ، فأسلم  
دينه الى جسيم القوضى والاضطراب  
وانزاع الى ضياع سيادة الأمة ، ولو  
أنه قدر لرجله قبل الخطو موضعها ،  
ولم يقدم على أمر حتى يتحقق من  
كفائه ، لا أشاع على امته استقلالها ،  
ولأن على نفسه من سوء المنقلب .  
وان قصة آخر ملوك بني الاحمر  
بالأنلس لموعظة كافية .  
ولو ان للأمة من الأمر شيئا -  
كما يجب ان يكون - ما ولت عليها  
الا من يحسن سياستها ويمسك  
لعلمها ويضفي في جها وخدمتها .  
كان العرب في جاهليتهم أحكم -  
في هذه الناحية - منهم في المصريين  
الاموي والباسي وما تلاهما ، فلم  
يهدموا لرئاستهم الا أئمتهم  
وأكرهم وأوسمهم تجربة وأنفهم

## صلاح المجتمع وفساده

بصيرة وأرجهم صدرا وأنفهم  
كثفا ، والادب العربي طافح بذكر  
الصفات المرغوبة من رئيس القوم .  
وأمثل حكم وأفضل رئاسة كانت  
بعد عصر الجاهلية هي رئاسة الرسول  
عليه الصلاة والسلام وحكم الخلفاء  
الراشدين رضي الله عنهم ، وما شئنا  
بعد ذلك في تاريخ دولنا الطويل الا  
ومضات من الحكم الصالح في فترات  
متباعدة سرعان ما تبلمها الظلمات  
المتراكمه .  
وكم من رئيس - لأجل الاحتفاظ  
بسلطانه - خان قضية بلاده ،  
واستعان بالاجنبى على منافسيه ، او  
على رعيته نفسها ، فكان عاقبتها أن  
صلاها ذلك الاجنبى جيما نار  
استماره ان لم يتخلص منه بقتله او  
إبعاده .  
وان ما يؤسف له اعنى الأسف  
أن يوجد بالشرق والغرب السريين  
من لم يعظ بقصص الرؤساء الخونة  
الذين عرفت نهاية ما سيهم في الماضى  
البعيد والقريب ، وليست قضية  
فلسطين الا مثالا مجددا من مأسى  
الحيايات العظلى من الرؤساء للأمم  
المقهودة المكبة ، وليس يبيد ذلك  
اليوم الذي تفتضح فيه خيانتهم  
لأنهمم الأييه ، وسوف لا تحمد



## ملحق رقم (12):

مقال حول صراع جمعية العلماء المسلمين الجزائريين مع الحكومة الفرنسية<sup>(1)</sup>.

العدد 65

ثمن النسخة ٥٠ صانديا

ن° 65

# البصائر

المراسلات

بسم مدير الجريدة ورئيس تحريرها

الطبيب المعفى

(نادى الترقى)

رقم ٩ يطحاء الحكومة (الجزائر)

صاحب الامتياز

الشيخ محمد خير الدين

DIRECTEUR - RÉDACTEUR EN CHEF

**Tayeb El-Okbi**

Chèques Postaux 214-28

عن سنة ٢٥ ف

عن نصف سنة ٢٥ ف

للتلازمة ٢٥ ف

«El-Bassaïr»

9, Place du Gouvernement

ALGER

GERANT

**KEIRADDINE Mohamed**

« قد جاءكم بصائر من ربكم فمن ابصر فلنفسه ومن عمي فلنبيها وما انا عليكم بحفيظ » (قرآن كريم)

١ لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

المواثيق يوم الجمعة ١٨ صفر ١٣٥٦

تصدر يوم الجمعة من كل اسبوع

الموافق ليوم ٣٠ ابريل ١٩٣٧

## جمعية العلماء والوطنية

### الى حكومة الجبهة الشعبية

### الى لجنة البحث البرلمانية

لا نعلم في وطن الجزائر جمعية أقوم خلة وأوضح غاية وأصرح لمبة من «جمعية العلماء المسلمين الجزائريين» ثم لا نعلم في هذا الوطن جمعية غيرها تقيمتا قيمتين من ماسكات الادارات واختلاطات بعض الاحزاب واتهامات غلاة الاستعمار

هم على «الجمعية» أعداؤها من هذه الاصناف بأسلحة منها سلاح «الوطنية» الذي كثر استعمالهم له في هذه الايام أيام زيارة «لجنة البحث» لهذا الوطن برؤسة السيد «تبروزلير» الحر للتصف.

وقد شرح البروزون من رجال «الجمعية» في كل مناسبة موقفهم مع الحكومة ومع الامة ومع بقية العناصر المناهضة وانهم يعملون عن علم واخلاص للمصلحة العامة على الأصول التالية

- ١- المحافظة على البقية الباقية من دين الاسلام بيانها لأبنائه وبالاعراب للحكومة عن تمسكنا بظك البقية وحكم رضانا عن كل قانون يمس بها
- ٢- المحافظة على سميات المسلم الجزائري من لغة وأدب وخلق وشرف وعادة غير ضارة به ولا بمجاره الأوروبي
- ٣- للتلاصقة في لسان «فرنسا» وما يحمله من علوم ومعارف تزيد القل قوة والحياة جدة
- ٤- اصلاح الحياة الاجتماعية بالتعاون مع الحكومة والعناصر المناهضة على وجه يحقق اصلاح التشود ويقوى روح الثقة بالحكومة وعاطفة الاخاء بين التماسكين

ان علايقوم على هذه الأصول هو العمل الذي يتفق وورغبة الامة المسلمة الجزائرية ويعتقد لفرنسا انها حكمت أمة غيرها عن طواعية

فلن كل هذا العمل هو معنى «الوطنية» عند خصوصنا فمن به مسترفون وبسته مسترفون ولكل أذى يلحقنا في سبيله مستذيون . وان كانت «الوطنية» في لسان اولئك الخصوم معنى آخر غير ذلك فمن نعلن في صدق انكارنا له ونحلمى عن قة من يريد انباه علينا ونصرح باخلاص أتنا براءة منه .

هنا ما نسجله ونقن به في أذن حكومة «الجبهة الشعبية» التي نرجو ان لا تخلينا الايام على قتنا بها وفي أذن «لجنة البحث» المحترمة التي لا يزال ظلتنا حسنا بقبيل مجنبا، ونقن به لكل من يريد ان يفهم حقيقتنا كما هي سواء كانت لنا او علينا فمن متحملون لمؤلفينا وواقفون بمشروعينا

( مبارك بن محمد الميلي )

أمين سلال جمعية العلماء ورئيس الجمعية الجديدة بميلة

(1)- جريدة البصائر، العدد 65، السنة الثانية، السلسلة الأولى، قسنطينة، 18 صفر 1356، 13/أفريل 1937م.



## ملحق رقم (13):

رسالة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين إلى لجنة البحث البرلمانية لحكومة الجبهة الشعبية  
"لجنة البحث البرلمانية" (1).

المراسلات  
لعماد البريدية ورئيس تحريرها  
الطبيب المعفى  
م (نادي الترقى)  
في مطبخ الحكومة (الجزائر)  
صاحب الامتياز  
الشيخ محمد خير الدين  
DIRECTEUR-REDACTEUR EN CHEF  
**Tayeb El-Okbi**  
Chaque Poste 214-31

ثمن النسخة ٥٠ سنتيم

# البصائر

٦٦

الاشتراكات  
عن سنة ٢٥ ف  
عن نصف سنة ٢٥ ف  
للأمد ٢٥ ف  
**«El-Bassaïr»**  
9, Place du Gouvernement  
ALGER  
KHEIRADINE Mohamed

الموافق ليوم ٧ ماي ١٩٣٧

تصدر يوم الجمعة من كل اسبوع

الجزائر يوم الجمعة ٢٥ صفر ١٣٥٦

مظلومون اندح الظلم بتقديم الموت مع حرمانهم من حقوق الحياة، ولكنهم صبروا على ذلك لاسر: الاول لهم بشعور ببقاء ذاليتهم، والثاني انهم يعتقدون انه يأتي يوم يدرك فيه رجال من فرنسا فداحة هذا الظلم فيزيلونه باعطائهم حقوق الحياة التي يستحقها غيرهم. اما اذا ألزمت فرنسا المسلمين برفض شريعتهم والتخلي عن ذاليتهم فاتهم بشعور بالضرية القاضية عليهم بالمعدم التام. انا نعتقد انكم راضون لكم تبحسون من وجه في الاصلاح يقتل الجزائر من حالة اضطراب الى حالة استقرار. والا احق لكم انكم اذا ألزمت الامة الجزائرية المسلة برفض شريعتها والتخلي عن ذاليتها فانكم تكونون قد وضعت ارضا بؤس بالجزائر الى اضطراب أعظم لا تسمى عاقبه.

تجزئة الاحكام الشرعية  
سأنا ماذا تقولون لو صدر الامر بمنح تعداد الزوجات خاصة فاجبتهم الشريعة كل لا يجوز للسلم تجزئته، فنقبل كلها او نرد كلها.

جبر البكر  
سأنا عن جبر البكر فاجبته بان هذه من القروع الحلالية التي يسوغ للمسلم ان يمسوا فيها باتباع من شامرا من أيهم.

بجلة، الشهاب، ومقولة الاندماج  
جاء أحد الاعضاء بمقالات مترجمة من مجلة «الشهاب» فيها الاشادة بالعروبة والاسلام، والمحافظة عليها، وعدم الاندماج في الامة الفرنسية.

## جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

### امام لجنة البحث البرلمانية

من غيركم - لا يمكن - ابدا - ان يستمر صبر الامة الجزائرية عليها اكثر مما صبرت.

فالواجب - اذا - هو اعطاء الامة الجزائرية جميع الحقوق مع محافظتها على جميع مقوماتها هنا سأنا أحد أعضاء اللجنة من جماعة الدين: اذا قائم ترون ان فرنسا والجزائر شعبان اثنان؟ فاجبته باننا نراها كذلك وما في الواقع وبالطبع كذلك ولا يمنع هذا من تعاونها ككثيرين لا كعيد وعيد.

بروجي فيوليط والمساللة الشخصية  
سأنا عن بروجي فيوليط فاجبته بان بروجي فيوليط ما حاز التبول الذي حازه الا لما فيه من التصريح بالمحافظة على الحالة الشخصية مع ان ما فيه انما هو نذر قليل جدا من الحقوق المطلوبة.

راينا في التزام الحكومة المسلمين برفض الاحكام الشرعية  
سأنا الرئيس عن رأينا لو ان فرنسا أصدرت امرا بطرح المسلمين الاحكام الشرعية لتعطيلهم الحقوق الفرنسية، قائم نهوا من بعض الناس ان المسلمين يجبرون لذلك كما صيروا لقانون الزامهم بالسكريه. فاجبته بان قياس امر رفض الشريعة الاسلامية على امر التجنيد الازامي - فخط فاحش وفياس مع القارق - فلان المسلمين لما ألزموا بالخدمة طرأ اتم

سأنا ليس ه صفر الجاري ١٦ افريل قابلت لجنة البحث البرلمانية بقصر الجمعيات بالعاصمة هيئة من جمعية علماء المسلمين الجزائريين باسم الجمعية. وكان الشيخ تركبة من الشيوخ: عبد الحميد بن باديس، الشيخ الابراهيمي، مبارك الميلي، لوري البني، الامين العمودي.

ثم الرئيس كراس الطالب للجنة وتلاه عليها الشيخ العمودي وشرح لها بعض نقاط فيه.

فل الجزائر عن زاسا  
بدرنا الرئيس بان للجمعية عسوما كثيرين ثم يقولون ان في جريدة الجمعية دعوة الى فصل الجزائر عن فرنسا. فاجبته بان هذا الفصل لم يفكر به احد من الجمعية فلا وجود له - قطعا - في جريدة الجمعية.

نظرا في اصلاح الحالة  
سأنا عن نظرا في اصلاح الحالة فاجبته بانني لاشق لم قبل كل شيء اسرين وما: ١ - ان شكل عائلة لجل الجزائريين على تسوك جسمهم لارتهم لو دينهم او ترضيهم او شيء من مقوماتهم. ثم عائلة تلتفت مقضي عليها بالحياة. والواقع دل في هذا ٢ - وان الحالة القبيسة التي بلغت اليها الامة الجزائرية - وقد نالهم انهم عليها اسكر

(1)- جريدة البصائر، العدد 66، السنة الثانية، السلسلة الأولى، قسنطينة، 25 صفر 1356هـ، 07 ماي 1937م.



ملحق رقم (14):

مقال حول كلمة الشيخ الطيب العقبي حول التجنيس والمتجنسين<sup>(1)</sup>.

السنة الثانية عدد ٧٧ ثمن النسخة ٥٠ صانديا

المراسلات  
بسم مدير المراجعة ورئيس تحريرها  
الطبيب العقبي  
(نادى الترقى)  
رقم ٩ يطحاء الحكومة (الجزائر)  
صاحب الاختيار  
الشيخ محمد خير الدين  
DIRECTEUR - RÉDACTEUR EN CHEF  
Tayeb El-Okbi  
Chaque Poste 214-28

الاشتراكات  
عن سنة ٣٥ ف  
عن نصف سنة ٢٥ ف  
للتلاصة ٢٥ ف

«El-Bassaïr»  
9, Place du Gouvernement  
ALGER  
KHEIRADDINE Mohamed

«قد جاءكم بشار من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فلنبيها وما أنا عليكم بحفيظ» (قرآن كريم)  
١ لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

الجزائر يوم الجمعة ٢١ جمادى الأولى ١٣٥٦  
تصدر يوم الجمعة من كل اسبوع  
الواثق ليوم ٢٠ جويلية ١٩٣٧

## كلمتي الصريح

### في التجنيس والمتجنسين

«أنشرها على عهدي وباسم الحاصل لا باسم جمعية العلماء»

التجنس - بمناه المعروف في مثل أنزبقيا - حرام - والافدام عليه غير جائز بوجه من الوجوه.

ومن استعمل استبدال حكم واحد من أوضاع البشر وقوانينهم بحكم من أحكام الشرع الاسلامي فهو كافر مرتد عن دينه بإجماع المسلمين. لا يرجع الى دائرة الاسلام وحضيرة الشرع الشريف حتى يرضى رفضا باننا كل حكم وكل شريعة تخالف حكم الله وشرعه المستبين. وفي حال رجوعه وتوبته نوبة نصوحا صادقة من كل جوارحه وكل فليه يقبل منه اسلامه كغيره من أهل المال الاخرى اذا هم أسلموا وتفقوا هذه الدربة عند الله. لان باب التوبة الذي أغلقته «فراسا» بقوانينها الرضعية في وجوه النجسين لم يلقه ربنا الرحيم الرحيم الزموم الكريم في وجوههم. ولا يزال يلقوا في وجه كل احد حتى تطلع الشمس من مغربها.

هذا ما أحقده في جانب رحمة الله الواسعة وانفعه من أحكام دينه التي لا اختلاف ولا تناقض فيها. ذلك الدين المسبح الذي انا «مبشر» به وداع اليه، ولست بمدق منه، ولا صاد لئس عنه، ما دمت حيا. وهو عين ما قلته وصرحته به في مناسبات كثيرة. ولا أزال اقول به واخالف كل من يقول بعدم قبول توبة المتجنسين حتى في حال تدميم ورجوعهم الى دين الاسلام واحقادهم ان أحكامهم هي الحق الذي جاء من عند الله وأن كل حكم يخالفها فهو باطل.

لما ما نسبته الي بعض البراكند وأخلت تلك السنة بعض العباد في كثير من مجالس الجامعين للفرضين وهو اني أبحث التجنيس وأنقبت بان من يرضى أحكام الشريعة الاسلامية ليس بمنزلة - فهو محض كذب وانصراء وغير الحقيقة، وبخلاف ما أحقده وأدين الله به.

واني أبرأ الناس من نسبته الي، ومن قوليه ان نسبته الي بعد اليوم لله ولي الاندفاع منه. وهو حسبهم الركبيل.

(الطبيب العقبي)

## الهجرة سر نجاح الدعوة

الامة كجفا كانت رافية او سحطة نظامية أو فوضوية - بلدة تكون لها بمثابة الزعيم أو الامم ويكون سكان تلك البلدة واعلمها مقتدين بهم من كافة الطبقات حداثيين على رضى المجمع فكلمتهم مسوعة، وقولهم هو القول وسكة - منذ انشئت - كانت تقوم للعرب هذا المقام فكان جميع العرب ينظرون اليها نظرة الاحترام والتمظيم، ويحلمون لها بين اضامهم حب الانساء البررة لامهم المليون وفي الحق ان مسكة بلادية بهذه القيمة واكثر منها دون غيرها من بقية البلدان التي هي افضل منها خصيا ومسوعا. فهي التي حباها الله بذلك البيت المقدس الذي وضع محبة وتقديسه في قلوب جميع العرب - منذ بعثه ابراهيم الخليل وابنه اسماعيل عليها السلام - وهي التي صرف الله وجوه العرب اليها وأمال اعناقهم نحوها فغمرها اليها من كل صوب واتوها من كل فج ورجالا وعمل كل ضامر - اجابة لاؤذن الخليل عليه السلام - فيؤدون واجيبهم الديني ويقومون بطوقه فيها وينصرفون وقد اطأنت افئدتهم وطابت نفوسهم وقسرت عيولهم بمشاهدة البيت المقدس والوجد العمور. وهي التي حباها الله - زيادة على ما ذكرنا - فبة مادية كبرى غملاها سره العالم

(1)- جريدة البصائر، العدد 77، السنة الثانية، السلسلة الأولى، قسنطينة، 11 جمادى الأولى 1356هـ/ 20 جويلية 1937م، ص 01.



## ملحق رقم (15):

مقال حول "فتوى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في التحنيس الكلي والجزئي"<sup>(1)</sup>.

الاشتراكات

عن سنة ٢٥ ف

عن نصف سنة ٢٥ ف

لثلاثة ٢٥ ف

«El-Bassaïr»

9, Place du Gouvernement

ALGER

KHEIRADDINE Mohamed

ثمن النسخة ٥٠ صانتيما

# البصائر

« قد جاءكم بصائر من ربكم لمن ابصر فلتب ومن عمي فلتبها و ما انا عليكم بحليظ » (قرآن كريم)

ا لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

المراسلات

يلزم مدير المجلة ورئيس تحريرها

الطبيب العقبي

(نادي الترقى)

رقم ٩ يطحاء المحكمة (الجزائر)

صاحب الامتياز

الشيخ محمد خير الدين

DIRECTEUR - RÉDACTEUR EN CHEF

Tayeb El-Okbi

Chèques Postaux 214-28

الجزائر يوم الجمعة ٢١ جمادى الأولى ١٣٥٦

تصدر يوم الجمعة من كل اسبوع

الوانق ليوم ٢٠ جويلت ١٩٣٧

### الهجرة سر نجاح الدعوة

اللاءة كبقا كانت رقية او سحطة نظامية أو فوضوية - بلدة تكون لها بمثابة الزعيم أو الامام ويكون سكان تلك البلدة واهلها مقتدين بهم من كافة الطبقات حاضرين على رضى الجمع فكلمتهم مسوعة ، وقولهم هو القول وسكتة - منذ انشئت - كانت تقوم للعرب هذا المقام فكان جميع العرب ينظرون اليها نظرة الاحترام والتعظيم ، ويعملون لها بين اهلها حب الانشاء البررة لاهم المدن وفي الحق ان مكانة البلدة بهذه القيمة واكثر منها دون غيرها من بقية البلدان التي هي افضل ماها خصبيا وسوقيا ، فهي التي حباها الله بذلك البيت المقدس الذي وضع محبة وتقدسه في قلوب جميع العرب - منذ بناء ابراهيم الخليل وابنه اسماعيل عليها السلام - وهي التي صرف الله وجه العرب اليها وأمال انتابهم نحوها فهمروا اليها من كل صوب واتوها من كل فج رجالا وعلا وكل ضامر - اجابة لا شأن الخليل عليه السلام - فيؤدون واجيبهم الديني ويقومون بطقوسه فيها وينصرفون وقد طمأننت افئدتهم وطابت نفوسهم وقررت عيواهم بمشاهدة البيت المقدس والسجد الممدود ، وهي التي حباها الله - زيادته على ما ذكرنا - قبة مادية كبرى غطاها سره العالم

### كلمتي الصريح في التجنس والمتجنسين

« أنشرها على عهدتي وباسم الخاص لا باسم جمعية العلماء »

التجنس - بمناه المعروف في شمل أنزبقيا - حرام ، والافتداه عليه غير جائز بوجه من الوجوه .

ومن استحل استبدال حكم واحد من أوضاع البشر وقوانينهم بحكم من احكام الشرع الاسلامي فهو كافر مرتد عن دينه باجماع المسلمين ، لا يرجع الى دائرة الاسلام وحضيرة الشرع الشريف حتى يرضى بقضا باننا كل حكم وكل شريعة تخالف حكم الله وشرعه المستبين . وفي حال رجوعه وتوبته توبة نصوحا صادقة من كل جوراحه وكل قلبه يقبل منه اسلامه كخبره من أهل المال الاخرى اذا هم أسلموا وتفعه هذه التوبة عند الله . لان باب التوبة الذي أغلقته «فرانسا» بقوانينها الرضعية في وجوه المتجنسين لم يغلقة ربنا الرحمان الرحيم ، الووف الكريم ، في وجوههم ، وهو لا يزال مفتوحا في وجه كل احد حتى تطلع الشمس من مغربها .

هذا ما أعتقد في جانب رحمة الله الواسعة وافهمه من احكام دينه التي لا اختلاف ولا تنقض فيها ، ذلك الدين السبع الذي انا « مبشر » به وداع اليه ، ولست بمذفر منه ، ولا صاد لناس عنه ، ما دمت حيا . وهو عين ما قلته وصرحته به في مناسبات كثيرة ولا أزال اقول به واعترف كل من يقول بعدم قبول توبة المتجنسين حتى في حال تدمرهم ورجوعهم الى دين الاسلام واعتقادهم ان احكامه هي الحق الذي جاءه من عند الله وأن كل حكم يخالفها فهو باطل .

اما ما نسبته الي بعض الجرائد وأعلنت تلوكه السنة بعض العباد في كثير من مجالس الجامعين الفرنسيين وهو اني أبحث التجنس وأنقبت بان من يرضى احكام الشريعة الاسلامية ليس بمنزلة - فهو بمنزلة كلاب وانفراء وغير الحقيقة ، وخلاف ما أعتقد وادين الله به .

واني أبرأ الاله من نسبته الي ، ومن قوليه ان نسبته الي بعد اليوم لله ولي الاندقام منه . وهو حسب يدينه الركبيل .

(الطبيب العقبي)

(1) - جريدة البصائر، العدد 95، السنة الثالثة، السلسلة الأولى، قسنطينة، 12 ذي القعدة 1351هـ / 14 جانفي 1937م، ص 01.



# ملحق رقم (16): مقال حول دفن الحكومة الجزائرية "الفرنسية في الجزائر" قضية فصل الدين الإسلامي عن الدولة في المجلس الجزائري<sup>(1)</sup>.

## الحكومة الجزائرية تدفن قضية فصل الدين

### الاسلامي عن الدولة

في المجلس الجزائري

الفرنسي بهذا الوضع الجيف نصرا كبيرا لبيات الديمقراطية العامة منذ زمن بعيد على المطالبة بانصاف الاسلام في الجزائر وفي مقدمتها جمعية العلماء كما اعتبرت التصريحات الخيرية من بعض المسؤولين ومنهم الوالي العام نفسه حول أهمية القضية وجوب الاسراع الى العمل فيها - احراقا ثانيا - بأن الاسلام يامل في الجزائر معاملة خاصة وضمت شرعته وأوقافه وإدارة مساجده وخطاته بيد حكومة لاكتية استعارية .

لما كان بعد هذين الاعترافين المسجلين كان تشكيل ما سمي « لجنة الديانة » في المجلس الجزائري وكانت استشارات بعض البيات والشخصيات القوقوف على آرائها في القضية وكان تقرير السيد مصباح المعروف وسكانت اجتماعات اللجنة الخيرية وكانت ملازمة وكيل الحكومة لاحقا لاغوته شاردة ولاواردة من مناقشتها التي كانت لايفلح عنها بالتطبيق والمعارضة ومنعها معارضته في اسم « المجلس الاسلامي الأعلى » الى ان ختمت في النهاية بتصریح هذا الوكيل نفسه وقصوده وان كل هذه الاممال من تقارير ومناقشات وما يحصل بها من أخذ ورد لتو فالاسلام في الجزائر حرا لايتخلف عن المسيحية واليهودية في شيء بالنظر الى معاملة الحكومة الجزائرية له وانه لايتمتع منها بحرية تامة . ومعنى هذا ان البرلمان الفرنسي قد اساء فهم وضع الاسلام في الجزائر وان المجلس الجزائري مثله في ذلك حين تشكيل لجته لبحث القضية وانها الفصل كما أثبت استاذنا عنه هو الآخر ما اعترفت به الحكومة الفرنسية نفسها بواسطة قرار البرلمان المعروف وما أحاط علما بالقضية منذ بدايتها الى نهايتها الخزين مما لاالحكومة الجزائرية التي صدر برأيها في الموضوع وكيلها في المجلس الجزائري ليركون خامنة القضية ونهاية اعمال اللجنة .

وكل عام انهم يعتبر لبروا من عجايب الاستعمار ما يوق كل عبيية وغريبة .

#### الاشترراك في « البصائر »

في شمال إفريقيا العربي :  
عن سنة ١٣٠٠ ف  
طلبة الصاعد ٧٠٠ ف  
ولا ترسل الجريدة الى المرن طلبها  
طلبا مصحوبا بخيمة الاشتراك .

انتهى المجلس الجزائري دورته العادية وقد كان الظن ان من أهم اعمالها وقضاياها التي يدور اليها فيها نهائيا - قضية فصل الدين الاسلامي عن الدولة المروضة عليه منذ ظهور الوجود وهي القضية التي اعترف البرلمان الفرنسي بوضعها الشاذ الخالف للديموقراطية والعدالة في الجزائر فاستند النظر والعمل فيها سريما الى المجلس الجزائري على ضوء ما طبق على المسيحية واليهودية من قوانين الفصل والديموقراطية بايجاد الحكومة عن التدخل في شؤون الاديان كلها ولكن خاب الظن فبقى الوضع القديم بالنسبة للاسلام - على ما هو عليه من التذوق والغريبة والاجفاف وقد اعتبر هذا الاعتراف من البرلمان هذا الصادي بين نواب القسمين في المجلس البلدية .

قلت : — وما هو رأيك في هذه الزوجة التي تارت حول ( مالم لايتفقون ) ؟  
قال : — زوجة في تارورة لندست رأيي فيها .

قلت : — لماذا ؟  
قال : — أنا حار على لاأومن الا بالواقع المحسوس ولاأريد ان أسكن قصور الورق التي يبنياها الأستاذ ابن منصور ... لقد سكنت الكتاب لكن البصائر استمرت تصدر على مادتها ولم ترها يوما متطكت عن الصدور وأصدرت بأربعة يضاء وقد كتب الكتاب بالجملة والضمير فلم تر الجزائر بالكلية زادت صحيفة اوحق عمودا في صحفها أو أصبحت تبرز مرتين في الاسبوع وأنا زادت البصائر مادة وهي الشكوى من كثرة المواد لها هي النتيجة الملية لطفكم .

قلت : — وماذا تعني بقصور الورق ؟  
قال : — بقصور الورق (بلغة الشيخ عبد الوهاب) هي أن ينظر الكاتب في المرأة ليرى الوري من وراءه فتبدو له الاشياء مغلوقة اليمن شمالا واليسارية والدعوة للعارفة رسالة مقدسة وممنع الماء فلسفة سامية وكأية أسطر في البصائر انتاج والعناق كلمة بأخرى أدب وما الى ذلك من قلب الاوضاع وتضخيم القافه واستعظام الهين وودو .

قلت : — انك تشك اذن في رسالة الرجل الاديبة ؟  
قال : — على كل حال لا تشك في عبقريته .  
قلت : — يتكبه هذا الاعتراف منك . . . فضحك ضحكته الماكرة التي يرسلها كلما انطوى قلبه على خيب وأسرع الى الخروج وترك في حيرة من امرى لم أفهم ما يرمز اليه .

أحمد رضا حوحو

# البصائر

## مع حمار الحكيم

قلت لحمار الحكيم :  
— بلقت بك الجرأة حتى أصبحت تهاجم الكتاب وتتطاول عليهم وتسته آدام في موضوع هم اعرف منك بدواخله واكثر منك الحلا على بواطنه فاك ولهذا الشاكل تجرما على نفسك ؟  
— لعلك تقصد مقال الأخير مالم يثر وز ؟  
— نعم .. اقمع ترترك الأخيرة  
— ألم يجيبك المقال ؟  
— أنجرا وتساى اذا ما أعجبت به . وهل فيه ما يجب . . .

ولكن أغلب القراء وجدوه رائعا وفي صميم الموضوع .  
— لكن كيف تسمح لنفسك بنساجة نخبة معانزة من ادبائنا وكتابنا بذلك الأسلوب الوقح ؟  
— لاعتد ان فضلنا واعلم أي أصبحت لاأشاك ولاأحتاج وقد برعت لك اني قادر على تأدية رسالتي وحدي وقد كان ذلك للقال تجربة ناجحة وتبين لي أنك أنت الذي كنت تعرفني بزدك ولجليلك .

— وهذا هو الجزء ١ . ايجاز الحمار أوجك وعبدت لك الاديان وربطت الصلة بينك وبين القراء والآن أصبحت تهاجمي وتهمني بالجلين ؟  
— فلا داعي الى هذه الثورة ولا موجب لهذا الغضب ولا تنقض اذا ما رأيته أبرز للميدان مستغلا فانت رجل مكسال وأنا حمار ناشط أحب الحركة والعمل وعلى هذا فانا مستعد ان أشاركك نشاطك وعملك ولكنك لست مصدا على أن أشاركك كذلك فاذا ما اعتراك الكسل فواصل العمل وحدي واما ما يحولني من المشاكل بالاسلوب الذي أريده والطريقة التي اختارها .

— فقد ظهرت أعمالك وارفع صوتك اخيرا من القراءة .  
— فضحك حتى استلقى على ظهره وقال :  
— أرايت ذلك ؟  
— نعم رأيته ... وهل حقا أنك أنت الذي ... فطافني على القور قائلا :  
— أسمك ... لقد بلوتني كثيرا وعرفتني عن كتب ... فقد يطل جسمي في بعض الاحياز ولكن روحي لن تغتر وقد يهزل جسمي ولكن عقلي لن يهزل ان شاء الله ومما بلغ من السفن فلرب أصل الى ذلك الشيخ الذي قدمه صاحبه على انه انا .

قلت : — لكن الفراء وسنرى (والرجو من من حضرات القراء ان يوالوا بأرائهم في الارجل .  
قال : — الروس لايتبع عنها في كراسي التابة لانها لو وجدت لا حترقت فعدنا نكون لكم أغلبية من الارجل خير من لاشي . . .  
قلت : — لملك على حق ... ولنمكن من يفتح بنظريه حمار في الانتخاب قال : — اعرضها على القراء وسنرى (والرجو من من حضرات القراء ان يوالوا بأرائهم في



## ملحق رقم (17):

L'Algérie est et restera arabe et musulmane.<sup>(1)</sup>

Organe de la jeunesse et l'Association des Universitaires musulmans d'Algérie

## actuels **L'Algérie est et restera arabe et musulmane**

La première réalité qui s'impose à l'attention de tout observateur impartial, c'est que, malgré plus d'un siècle de colonisation, de législation à sens unique, véritable camisole de force ou l'on tente d'enserrer toutes les facultés, toutes les possibilités de développement d'un peuple, l'Algérie est restée profondément arabe et musulmane. Arabe, elle l'est aujourd'hui comme il y a treize siècles, par son attachement indéfectible à une langue qui, au cours d'une longue carrière s'est identifiée à la pensée littéraire, philosophique et dogmatique de toute l'Afrique du Nord. Il suffit de rappeler, pour marquer ce que la pensée arabe doit à l'Afrique du Nord, et à l'Algérie en particulier, que de traités de grammaire, de théologie et des manuels de littérature, encore en honneur aujourd'hui dans les grandes universités d'Orient, sont dus à des auteurs algériens.

Peut être aussi n'est-il pas superflu, pour souligner combien certaines affinités ethniques ont joué à l'origine, de faire observer avec quelle facilité la langue arabe détoqua en Afrique du Nord la plus grande langue de culture du monde, le latin, qui n'a jamais dû se sentir chez lui, malgré la présence d'un Apulée ou d'un saint Augustin. En vérité, depuis treize siècles, l'Algérie s'est identifiée à la pensée et à la culture arabes. C'est dire les difficultés sinon l'impossibilité même aujourd'hui, après cent vingt ans de contact français, de dissocier l'Algérie du bloc linguistique arabe qui s'étend le long de la méditerranée depuis les colonnes d'Hercole jusqu'au golfe d'Alexandrette. Et je me demande si ce n'est pas une gageure de vouloir séparer linguistiquement l'Algérie du reste du monde arabe, quand les moyens de transmission de la pensée sont devenus si faciles et si rapides. Que peuvent les frontières douanières ou les barbelés de l'administration contre la volonté d'un peuple qui ne veut pas abdiquer sa personnalité et rompre les liens culturels séculaires ? En fait, le renouveau linguistique et littéraire arabe en Algérie ne constitue pas un engouement passager, un enthousiasme fugitif ; il correspond à l'aspiration la plus profonde d'un peuple qui se reconnaît dans sa langue et dont l'histoire s'identifie avec la sienne. Par delà les tendances religieuses ou politiques, par dessus les divergences et les particularismes locaux, s'il est un problème sur lequel l'unanimité s'est faite, tacitement et depuis toujours, c'est celui de la langue.

Face à ce sentiment profond, à cette unanimité spontanée de l'Algérie musulmane devant le problème de la langue, l'attitude de l'administration coloniale ne pouvait être que la lutte.

Cette lutte a revêtu en dehors de l'appui donné aux dialectes, deux aspects différents : la lutte directe par un ensemble imposant et cohérent de lois, décrets, arrêtés, circulaires, tendant à soumettre toute ouverture d'écoles coraniques aux enquêtes et aux tracasseries administratives et policières auxquelles bien peu arrivent à échapper.

Quand par un hasard miraculeux, le maître parvient à passer à travers le réseau serré des règlements, il doit, bon gré mal gré, se laisser recruter, pour subsister, dans les services des renseignements généraux concurrentement avec le prêtre qui, par un processus parallèle, s'est fait l'auxiliaire précieux et bienveillant de la police.

Le deuxième aspect de la lutte a consisté, en créant et en favorisant en apparence, un enseignement officiel de la langue et des sciences musulmanes, à les vider de tout contenu culturel, de toute substance éducative.

En assignant aux trois médersas d'Alger, de Constantine et de Tlemcen, la mission de former des fonctionnaires et des agents dévoués à la politique antimusulmane du Gouvernement Général, en imposant par-dessus la tête des autorités universitaires, des programmes et des méthodes périmés, on condamnait ces établissements à

(Suite à la page 8).

(1)- Le Jeune Musulman, 1er Année, N°05,22 Dou el-Hodja 1371 / 12 Septembre 1952, p01, p08.

# L'Algérie est et restera arabe et musulmane

(Suite de la première page).

former des esprits fermés à tout progrès et à tout humanisme.

M. de Tocqueville, dans son rapport à la Chambre des Députés, en 1847, portait déjà un jugement sévère sur le colonialisme que les faits ont même aggravé depuis :

« La société » musulmane en Afrique du Nord, dit-il, n'était pas incivilisée, elle avait seulement une civilisation arriérée et imparfaite. Il existait, dans son sein, un grand nombre de fondations pieuses ayant pour objet de subvenir aux besoins de la charité et de l'instruction publique. Partout, nous avons mis la main sur ses revenus en les détournant de leurs anciens usages ; nous avons réduit les

établissements charitables, laissé tomber les écoles, dispersé les séminaires. Autour de nous, les lumières se sont éteintes. Le recrutement des hommes de religion et des hommes de loi a cessé, c'est-à-dire que nous avons rendu la société musulmane beaucoup plus misérable et plus barbare qu'elle n'était avant de nous connaître ».

Dans un mémoire du général Bedeau, de la même époque, sans doute, on relève les faits suivants :

« A l'époque de la conquête, en 1837, il existait dans la ville de Constantine des écoles d'instruction secondaire et supérieure où 600 à 700 élèves étudiaient les différents commentaires du Coran, apprenaient toutes les traditions relatives au Prophète et, de plus, suivaient des cours dans lesquels on enseignait et où l'on avait pour but d'enseigner l'arithmétique, l'astronomie, la rhétorique et la philosophie. Il existait en outre, dans la même époque, 90 écoles primaires fréquentées par 1.300 à 1.400 élèves.

Aujourd'hui, le nombre des jeunes gens qui suivent les hautes études est réduit à 60 et le nombre des écoles primaires à 30 et les enfants qui les fréquentent à 350 ».

En fait, le niveau culturel de notre pays, était en 1830, beaucoup plus élevé qu'on ne l'imagine généralement. En tout cas, la connaissance et la pratique de la langue classique étaient générales. Il est donc pour le moins imprudent d'affirmer l'absence de tout enseignement en Algérie à la veille de la conquête.

(à suivre).

Abdelkader MAHDAD  
membre de l'Association  
des Ulémas d'Algérie

## nédersa à M'SILA

en eux les qualités de leurs ancêtres. Son action devait donner des fruits et quels fruits ! Quartier par quartier, les M'Siliens et M'Siliennes, animés par une sainte émulation, donnaient de leur bourse pour que soit construite leur médersa. Grâce à leur générosité et sous l'égide de l'association des Oulamas, nos enfants pourront bientôt apprendre leur langue maternelle que le colonialisme s'ingénue à brimer ne voulant pas lui donner droit de cité dans un pays arabe et musulman.

Nous voulons croire que la médersa sera une réalité grâce à l'activité des membres du conseil d'administration. Nous voulons également les mettre en garde contre toute lassitude et nous les prions de ne pas écouter ceux qui ont pour métier de dénigrer toute entreprise de bien.

B. Kabouya.



## ملحق رقم (18):

جهود البشير الإبراهيمي في ربط الجزائر بمحيطها العربي الإسلامي

L'Algérie a l'honneur.<sup>(1)</sup>

## L'Algérie à l'honneur

Le Cheikh Mohamed Bachir El Ibrahimî nous quittait il y deux ans pour entreprendre une longue tournée à travers le monde musulman au cours de laquelle il se proposait d'étudier de très près les problèmes de l'Orient de faire connaître le véritable visage de l'Algérie et, — afin de resserrer les liens entre les deux — d'ouvrir les portes des Universités aux jeunes Algériens aux frais des gouvernements arabes après conclusion d'accords avec ces derniers.



A ce titre, ce voyage constitue la plus grande date dans le rétablissement des relations entre l'Orient et le Maghreb musulmans ; notre pays qu'on ignorait ou qu'on considérait comme perdu pour l'Islam, comme une seconde Andalousie, est aujourd'hui connu de tous nos frères. Et le grand écrivain Egyptien Seyed Kotb n'hésite pas à écrire que « l'histoire de l'Algérie montrera aux désabusés, aux hésitants, aux faibles de tout le monde musulman que rien ne tuera la vitalité qui remplit le corps de notre patrie et que ce corps porte en lui la semence de la vie qui ne meurt jamais. Cette histoire apportera à tous

ceux qui luttent dans le monde entier un souffle puissant d'espérance ardente dans la libération ».

L'Orient qui a adopté Bachir El Ibrahimî il y a 40 ans à Médine et à Damas, a retrouvé en lui un fils reconnaissant, mûri par l'expérience et toujours à la pointe du combat. Et il a fait appel à lui en différentes circonstances ; ce qui l'a contraint à prolonger son séjour.

C'est ainsi que le 5 décembre 1953, le président de l'association des oulmas d'Algérie, a été élu, par les délégués de 9 pays, président du Congrès Musulman de Jérusalem et toute ses activités au cours de ces derniers mois se concentrent dans l'amélioration de la situation de nos frères réfugiés Palestiniens.

Certes, le respect et la sympathie qui ont été témoignés au Cheikh El Ibrahimî par l'Orient vont au lutteur, au penseur et à l'homme d'action qui s'est sacrifié pour la noble cause islamique ; mais ils vont aussi à l'écrivain à l'orateur et à l'homme de lettres.

On comprend ainsi aisément son élection à l'unanimité comme membre correspondant de l'Académie de langue arabe du Caire : son mémoire a été présenté — comme la tradition l'exige — par quatre membres de l'Académie qui sont aussi parmi ses plus fidèles amis et parmi les écrivains égyptiens les plus célèbres : Dr Ahmed Amine, Mansour Fahmy, Abdelwahab Azzam et M. Hassan Zayyat.

A cette occasion, nous adressons au Cheikh El Ibrahimî nos meilleures félicitations.

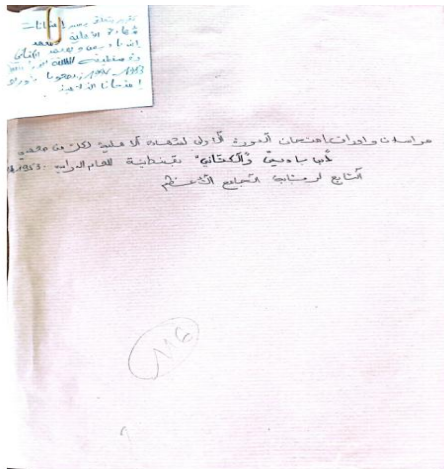
J. M.

### Dans ce Numéro :

- LA COMMUNAUTE ISLAMIQUE,  
par ABOU DJAMIL TAHA.
- L'ÉTERNELLE AUBRE  
par M. ISMAËL.
- NOTRE VOLONTÉ DE VIVRE  
Par RHAÏS ALI.
- D'UNE RÉVOLUTION À L'AUTRE  
Par le Dr A. KHALDI.
- PROPOS DE YAQDHAN (1).
- UNE INTERVIEW.

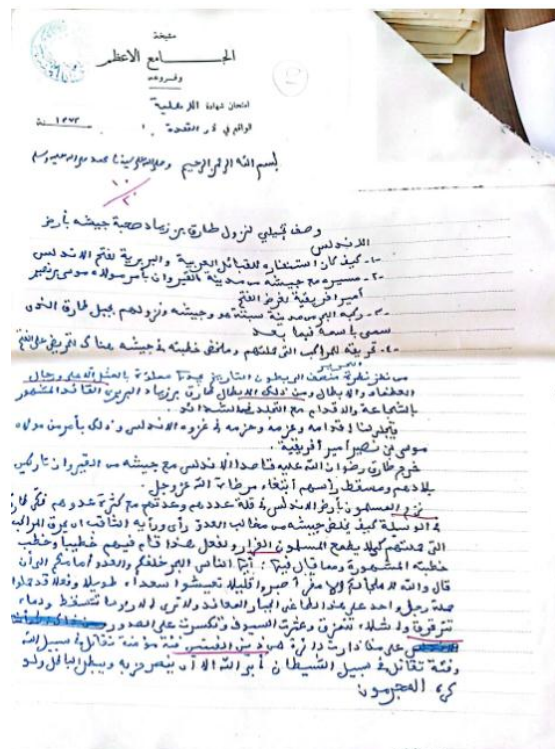
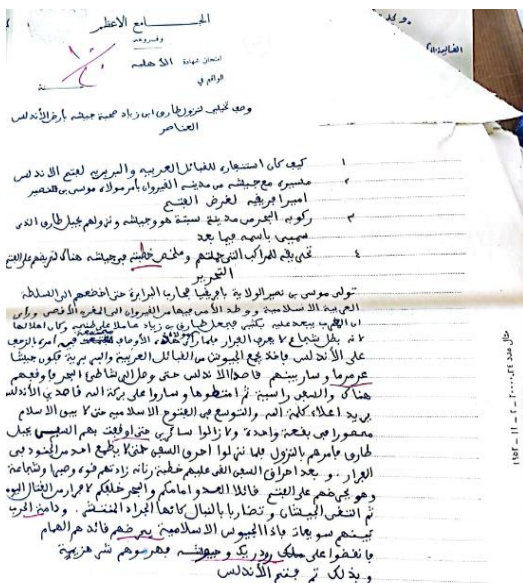
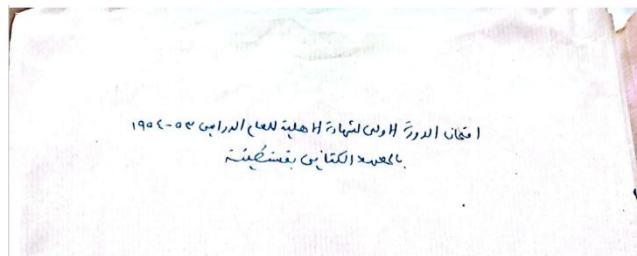
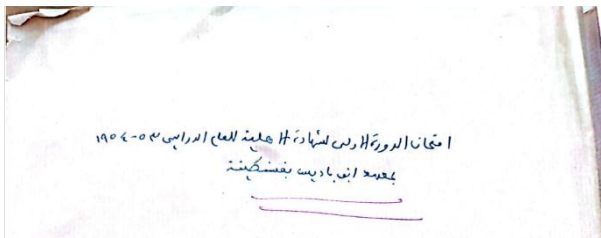
(1) - Le Jeune Musulman, 2er Année, N°05,21 Redjeb 1373 / 26 Mars 1954, p01.

**ملحق رقم (19): نموذج لإجابات الطلبة في مادة التاريخ الوطني لامتحان الدورة الأولى من شهادة الأهلية للعام الدراسي 1953-1954م بالمعهد الكتاني ومعهد ابن باديس بقسنطينة**  
**فرعي الجامع الأعظم بتونس<sup>(1)</sup>.**



| رصيد إدارة الجامع الأعظم وفروعه |       |         |         |
|---------------------------------|-------|---------|---------|
| المرجع الأرشيفي                 |       |         |         |
| الملف الفرعي                    | الملف | الحافظة | السلسلة |
| 105                             | 2     | 8       | L       |

المحتوى:  
 مسند ابن باديس...  
 1953-1954  
 التاريخ: 1953-1954  
 عدد الوثائق: 186



(1)-رصيد إدارة الجامع الأعظم وفروعه، الملف الفرعي 105، الملف 02، الحافظة 08، السلسلة L، مركز الأرشيف الوطني التونسي.



## ملحق رقم (20):

Farhat Abbas: «En marge du nationalisme La France, c'est moi!»<sup>(1)</sup>

3<sup>ème</sup> Année N° 95 60 Centimes VENDREDI 28 FEVRIER 1936

# LA DEFENSE

Wahabisme et panarabisme sont des paravents fragiles derrière lesquels s'abritent des desseins F. ABBAS

ADMINISTRATION et REDACTION : 108, rue Victor-Berthollet - ALGER (ALGERIE)  
DIRECTION DES TRAVAUX ET INTERETS DES MUSULMANS ALGERIENS : Boulevard Bab el Bhar - ALGER (ALGERIE)  
Abonnement Annuel : Algérie : 20 fr. - France : 30 fr. - Etranger : 40 fr.

## En marge du nationalisme

### La France, c'est moi !

par Ferhat Abbas

**A**vec cette légèreté du geste et de la pensée des gens mal informés, le journal «Le Temps», inspiré sans doute par la haute finance coloniale ou la démente de quelques hommes politiques, reprend les hostilités contre l'Algérie musulmane en lui jetant à la face toutes les vieilleries que l'Arsenal colonial utilise périodiquement depuis une cinquantaine d'années : nationalisme, fanatisme religieux, wahabisme, etc...

On se rappelle la campagne menée contre nous en 1935 et le voyage du Ministre de l'Intérieur qui en a résulté. Avec cette rare intelligence de l'homme qui sait voir, M. Régnier a observé le caractère de notre action et ce qui est mieux, l'âme des populations que nous représentons. Il a scruté tous les horizons et tous les cœurs. Et sa religion faite, il est rentré à Paris pour déclarer avec force et solennité du haut de la tribune du Sénat: « J'AI CONFIANCE EN LES INDIGENES ».

Nous avons cru que ces paroles magnifiques seraient entendues par tout le monde, et faisant confiance au Gouvernement de la République et même à nos adversaires d'hier, nous attendions l'heure des réformes et des réalisations concrètes. Nous espérions la fin du malaise algérien. Candeur naïve de ceux qui mêlent le sentiment à l'action et l'honneur à la politique! En nous endormant sur les belles promesses qui nous avaient été faites, nous sommes entrés sans plus dans le

une déclaration de guerre à l'Instruction. Il faut voir les choses comme elles sont: wahabisme et panarabisme sont des paravents fragiles derrière lesquels s'abritent les véritables desseins de nos grands éducateurs coloniaux. La masse à laquelle ils ont refusé l'école française, ils veulent la priver de l'enseignement arabe. Ni culture française, ni culture arabe. Une armée de domestiques-nés et de « sans foi » qui se laissera docilement exploiter à moins qu'elle n'aille remplir le stripots et les prisons.

Ce n'est pas notre sentiment. Dans un pays où plus de 800.000 enfants sont privés d'école, notre sollicitude ira toujours vers l'enseignement. Cette sollicitude se traduit par les demandes incessantes faites auprès des Pouvoirs publics pour la création des écoles. Elle se traduit également par les remerciements que nous devons aux initiatives privées et en particulier aux Ulémas pour le nombre considérable d'enfants qu'ils ont soustraits aux exemples fâcheux de la rue. Est-ce cet effort louable qui devrait porter ombrage à nos dirigeants si le mot « éducation » n'était pas un mythe pour certains d'entre eux?

..

Si les Ulémas étaient des « racistes », des « panislamistes », nous, amis politiques du docteur Bendjelloul, nous serions des Nationalistes. L'accusation n'est pas nouvelle. Je me suis entretenu avec diverses personnalités de cette question. Mon opinion est connue? Le

pour étayer notre doctrine, je citerais celui qu'une enquête personnelle m'a révélé. En 1918, le montant des assurances-vie chez les indigènes algériens, était à peine de quelques centaines de mille frs. Il se chiffre aujourd'hui par plus de 20 millions de francs. J'imagine que si nous étions des nationalistes anti-français la première des choses à faire serait de ne pas confier nos économies à l'épargne française. Je serais contre la France et pendant 20 ou 30 ans, je m'engagerais à verser à l'économie française les faibles ressources par lesquelles j'escompte assurer l'existence de mes vieux jours et l'éducation de mes enfants? Et pourquoi ne m'adresserais-je pas à des sociétés étrangères autorisées par l'Etat?

Trêve de plaisanterie. Nos gestes et notre pensée concordent. Personne d'ailleurs ne croit sérieusement à notre nationalisme. Ce que l'on veut combattre derrière ce mot c'est notre émancipation économique et politique. Et cette double émancipation nous la voulons avec toute la force de notre volonté de notre idéal social et de notre foi politique.

Six millions de musulmans vivent sur cette terre devenue depuis cent ans française, logés dans des taudis, pieds nus, sans vêtement et souvent sans pain. De cette multitude d'affamés nous voulons faire une société moderne par l'Ecole, la défense du Paysannat, l'Assistance sociale. Nous voulons l'élever à la dignité d'homme pour qu'elle soit digne d'être française.

(1) – la Defense, N°95, 3eme Année, 28 février 1936.



sommes entrés sans plus dans le jeu de nos détracteurs en laissant le champ libre aux négriers, aux alliances occultes et aux appétits puissamment organisés.

Ces puissances viennent d'opérer une manœuvre de grand style en violant la décision de l'arbitre. La trêve est rompue. Qu'à cela ne tienne! **Nous nous sommes défendus en 1935. Nous nous défendrons aujourd'hui.** On veut causer? Causons. On veut calomnier? La vérité une fois encore, aura raison du mensonge. Sur tous les terrains, nous sommes prêts, et sur tous les terrains, avec l'aide de Dieu et des hommes, nous vaincrons.

\*\*\*

Il n'est pas dans ma compétence de défendre Cheikh Benbadis et Cheikh El-Okbi et avec eux tous les Ulémas. La question qui m'intéresse est celle de l'enseignement de l'arabe posée par « Le Temps ». Cette langue est pour la religion musulmane ce que l'Eglise est pour la religion catholique. Elle ne saurait vivre sans elle. La croyance d'un musulman ignorant est un tissu de superstition indigeste. La mosquée chez nous n'est rien. La Lecture du Livre Saint est tout. Elle constitue le ciment de la foi. Est-il nécessaire dans ces conditions, d'affirmer notre attachement à l'enseignement de la langue arabe, base de notre croyance?

Cet enseignement est étroitement lié à la liberté de conscience. Persécuter ou simplement entraver cette étude est une déclaration de guerre à l'Islam. Elle est surtout

tion. Mon opinion est connue? Le Nationalisme est ce sentiment qui pousse un peuple à vivre à l'intérieur des frontières territoriales, sentiment qui a créé ce réseau de nations. Si j'avais découvert la « **nation algérienne** », je serais nationaliste et je n'en rougirais pas comme d'un crime. Les hommes morts pour l'idéal patriotique sont journellement honorés et respectés. Ma vie ne vaut pas plus que la leur. Et cependant je ne mourrai pas pour la « **patrie algérienne** » parce que cette patrie n'existe pas? Je ne l'ai pas découverte. J'ai interrogé l'Histoire, j'ai interrogé les morts et les vivants; j'ai visité les cimetières: personne ne m'en a parlé. Sans doute ai-je trouvé « l'Empire arabe », « l'empire musulman », qui honorent l'Islam et notre race. Mais ces empires se sont éteints. Ils correspondraient à l'empire latin et au Saint Empire romain germanique de l'époque médiévale. Ils sont nés pour une époque et une humanité qui ne sont plus les nôtres.

Un algérien musulman songerait-il sérieusement à bâtir l'avenir avec ces poussières du passé? Les Don Quichotte ne sont plus de notre siècle.

\*\*\*

On ne bâtit pas sur du vent. Nous avons donc écarté une fois pour toutes les nuées et les chimères pour lier définitivement notre avenir à celui de l'œuvre française dans ce pays. Nous l'avons écrit. La sauvegarde de cette œuvre est le pivot de notre action politique. Et si j'avais besoin d'un seul fait

soit digne d'être française.

Est-il d'autre politique coloniale plus féconde? Ne l'oublions pas. Sans l'émancipation des indigènes il n'y a pas d'Algérie française durable. La France, c'est moi parce que je suis le nombre, je suis le soldat, je suis l'ouvrier, je suis l'artisan, je suis le consommateur. Ecartez ma collaboration, mon bien-être et mon tribut à l'œuvre commune est une hérésie grossière. Les intérêts de la France sont les nôtres dès l'instant où nos intérêts deviennent ceux de la France.

Cette sérénité de l'action et de la pensée fait obstacle à la féodalité algérienne. Les provocations de cette dernière se multiplient. Elle nous fait grief d'avoir pris au sérieux nos manuels scolaires. Elle voudrait peut-être revenir en arrière. Il est trop tard. Nous sommes les fils d'un monde nouveau, né de l'esprit et de l'effort français. Notre devise est: « En avant ! »

Sétif, ce 23 février 1936.

Ferhat Abbas.

## En deux mots...

*Ne dirait-on pas que M. Millot a été choisi comme directeur des Affaires Indigènes parce qu'il applique, sinon avec plus de succès, tout au moins avec plus de méthode et de ténacité que quiconque la machiavélique formule: « Diviser pour régner ? »*

*Pour régner de ce côté de la Méditerranée, on sème la division entre les « Ulémas » et les élus entre les principaux représentants de l'élite indigène entre les Arabes et les Kabyles.*

*On divise tout et partout.*

*Si, sachant cela, nous fermons les yeux et nous laissons faire, serons-nous autre chose que des criminels ?*

L. L.



# ملحق رقم (21):

دعوة ابن باديس للمؤتمر الإسلامي: جريدة الدفاع، العدد 88، قسنطينة، أبريل 1936م.

Abedelhamid Benbadis «Nos Revendications»<sup>(1)</sup>

**LA DÉFENSE**

Hébdomadaire indépendant des droits et intérêts des Musulmans Algériens

Directeur, Rédacteur en chef : LAMINE LAMOUZI

Administration et Rédaction  
126 bis, Avenue Maréchal-Foch, Saint-Eugène (Alger).

Abonnement ANNUEL  
Algérie : 20 fr. — France : 25 fr. — Maroc : 30 fr.

VENDREDI 2 JANVIER 1936

Les noirs du Sénégal et les Indigènes de l'Inde française sont des citoyens « complets » et des musulmans « complets ».

Nous ne sommes ni l'un, ni l'autre. Est-ce parce que nous ne sommes pas des noirs ?

CHÉIKH BEN BADIS.

**SOUHAITS**

« Je prie de la part de l'Abd... »

**NOS REVENDICATIONS**

Ce que nous dit le Cheikh ABDELHAMID BENBADIS

**STATUTES**

« Les fondateurs de la « Défense »... »

Le Cheikh Abdelhamid Benbadis est une des personnalités les plus marquantes du monde musulman algérien, nous pourrions même dire du monde musulman tout court.

Depuis fort longtemps, il prend une part active à la vie publique algérienne, où son action et son influence se sont très heureusement exercées.

Il dirige depuis une bonne décennie avec compétence la revue « Ech-Chihab » et a présidé, pendant cinq ans, avec une rare distinction, l'importante et honorable association des Oulamas d'Algérie.

Nous ne pouvions clore le grave débat sur nos revendications sans demander à notre Cheikh son avis qui fait autorité en toute matière.

J'ai suivi, nous dit-il, avec un vif intérêt, la série d'interviews que vous avez publiées dans la « Défense » sous le titre « Nos Revendications », et qui émanent des personnalités les plus qualifiées pour parler au nom de la population musulmane.

Je peux dire que dans leur ensemble elles sont toutes bien conçues.

Mais je ne puis m'empêcher d'y relever des lacunes plus ou moins sérieuses. Loin de moi la pensée de critiquer, encore moins de sous-estimer les idées et les déclarations des élus et notables qui ont bien voulu exprimer leur opinion sur le délicat problème indigène algérien. Je veux seulement, en relevant ces lacunes, m'efforcer, par des déclarations franches et utiles, compléter le programme des réformes indispensables envisagées par ceux qui ont déjà parlé aux lecteurs de la « Défense ».

Et comme nous demandons des précisions, notre aimable interlocuteur nous confie :

— Une chose m'a particulièrement frappé en lisant les différents exposés que vous avez publiés : le silence quasi absolu sur la question religieuse et notamment l'enseignement de la langue arabe. On ne saurait trop insister sur l'importance vitale de cette question. Et si j'étais appelé à rédiger un cahier de revendications musulmanes, je n'hésiterais pas à inscrire en tête de ces revendications la demande des « libertés essentielles » suivantes :

1° La liberté totale des prêches et de l'enseignement religieux dans toutes les mosquées de la colonie, sous l'unique contrôle et l'exclusive responsabilité des cultuelles musulmanes ;

2° La liberté pour les musulmans de constituer en dehors de toute ingérence des cultuelles dans le cadre et conformément aux principes fondamentaux placement du Gouverneur le plus arabophile et des chefs de nos trois départements.

On ne contestera pas non plus le dévouement et le désintéressement avec lesquels nous avons jusqu'ici défendu les droits et intérêts de nos coreligionnaires.

Nous promettons solennellement à nos amis et lecteurs que, quelles que soient les difficultés que nous ayons à surmonter et les reconstructions que nous ayons à traverser, nous poursuivrons cette œuvre de défense et de redressement avec le même dévouement et le même désintéressement.

Comme l'année dernière à pareille époque, pleins d'espoir et de confiance dans l'avenir, nous dirons : En avant !

« La Défense ».

des lois républicaines en vigueur.

3° La liberté absolue de l'enseignement de la langue arabe dans les écoles privées et l'application à nos écoles et institutions libres des lois régissant les établissements similaires dans la Métropole.

Je demanderai en outre, conformément au vœu de tous mes collègues, les « Oulamas » et de tous les intellectuels musulmans avec lesquels j'ai eu l'occasion de m'entretenir à ce sujet, la possibilité de former et de recruter sur place, c'est-à-dire dans notre propre pays, les maîtres destinés à ces écoles ainsi que les professeurs libres dont les musulmans ont tant besoin comme éducateurs et comme directeurs de conscience. A cet effet, je réclamerai avec toute l'insistance qu'exige la situation actuelle, la création soit à Alger, soit dans une des grandes villes algériennes, d'une université musulmane en tous points semblable à celles qui existent chez nos coreligionnaires et voisins de l'est et de l'ouest.

Je tiens à vous dire que cette université ne ferait pas double emploi avec les Médersas, qui sont en quelque sorte des établissements d'enseignement professionnel qui préparent les jeunes gens appelés à exercer des fonctions dans la magistrature musulmane et dans les diverses administrations publiques en Algérie et même dans d'autres pays faisant partie de l'Empire colonial français.

Le programme d'enseignement dans l'Université dont j'envisage et je préconise la création serait naturellement plus vaste, plus général et surtout « moins laïque » que celui des médersas.

Il est inconcevable que dans un pays comme l'Algérie où six millions de musulmans ont manifesté en toutes circonstances leur inébranlable attachement à tout ce qui constitue leur patrimoine moral : leur foi, leur langue et leurs traditions religieuses, il est inconcevable, dis-je, que dans ce pays ne se trouve pas une université où nos jeunes gens pourraient recevoir l'enseignement qu'ils sont actuellement obligés d'aller chercher à Tunis ou ailleurs.

Avant l'occupation française et pendant plusieurs années encore après la conquête, des établissements de ce genre ont existé en Algérie. Ils ont disparu peu à peu. Vous connaissez la négligence, l'indifférence de nos dirigeants, l'incapacité de nos responsables, sans réagir, les uns après les autres, les œuvres les plus intéressantes. Nous voyons encore, de nos jours, comment tant d'autres œuvres sont tombées ou sont appelées à tomber devant l'indifférence générale.

Pour revenir à la question de l'université musulmane, j'estime que sa création est aussi souhaitable que facilement réalisable.

Un peu de bonne volonté de la part de la Haute Administration suffirait pour transformer la question en projet pouvant être exécuté en peu de temps et avec des moyens financiers qui ne grèveraient pas lourdement le budget algérien.

Les crédits nécessaires par une réalisation pareille seraient simplement prélevés sur les revenus des habous incorporés au domaine de l'Etat dès le lendemain de la conquête. (Arrêtés du général en chef des 8 septembre et 7 décembre 1830). Rappelons que ces

deux arrêtés, tout particulièrement le premier, provoquèrent une protestation et une intervention des « Oulamas » de l'époque et causèrent dans les milieux musulmans une émotion qui ne fut calmée que par la promesse de l'Administration de prendre à sa charge l'entretien des édifices publics et de tous les établissements d'enseignement religieux.

Du point de vue politique, la question n'est pas moins importante. J'estime que si l'Administration l'étudiait sans parti-pris et avec le souci de servir tant à l'intérieur de l'Algérie que dans les pays étrangers, musulmans et autres, le nom et le prestige français, elle n'hésiterait pas une minute à adopter ma suggestion.

Nous voyons pas de l'importance exceptionnelle que j'attache à la question religieuse. N'oubliez pas que je suis avant tout un homme religieux, que la confiance de mes collègues m'a mise à la tête d'un groupement essentiellement religieux qui a pour mission, comme j'ai eu maintes fois l'occasion de l'affirmer et de le prouver, de poursuivre la rééducation sociale et morale des masses musulmanes dans le cadre exclusivement religieux.

Et pour résumer ma pensée à cet égard, je vous dirai ce que beaucoup d'autres ne pourraient pas dire : « Au risque d'être traité de réactionnaire, je préfère dans ce domaine le retour au bon vieux temps où nos mosquées, nos écoles coraniques, nos instituts et établissements privés de toute sorte et de toute catégorie jouissaient d'une liberté sans limite et n'étaient soumis qu'au contrôle des seuls fidèles qui en avaient l'usage et la charge ».

Mais ne croyez pas, pour cela que je néglige la question politique. Avant d'être un personnage religieux, je suis « indigène algérien », et rien de ce qui intéresse les indigènes algériens ne me laisse indifférent.

D'ailleurs, comme vous le savez, je dirige une revue mensuelle dont je réserve régulièrement quelques pages à l'examen de la situation politique.

Mes idées en cette matière se trouvent clairement exprimées dans cette formule inscrite en tête de ma revue : « la justice, l'équité et la fraternité exigent l'octroi de tous les droits à ceux qui remplissent tous les devoirs ».

Mais une formule si claire et si juste soit-elle, ne résoud pas un des problèmes les plus complexes qui se posent devant les gouvernants et devant l'opinion publique d'ici et d'ailleurs.

Je suis partisan de l'égalité entre les divers éléments ethniques peuplant notre pays. Je souhaite que mes coreligionnaires cessent bientôt d'être privés des droits civiques reconnus à leurs semblables des autres confessions.

Mais je suis et je resterai toujours intrinsèque sur la question du maintien du statut personnel. Je préconise même le renforcement de ce statut et la modification du régime légal auquel il est soumis actuellement par la restitution à nos cadis d'une partie de leurs attributions juridictionnelles. Il va sans dire qu'une telle réforme entraînerait une autre : celle consistant à faire un choix plus judicieux du personnel des mahakmas et à exiger de lui plus de garanties morales et professionnelles.

Je demeure fermement convaincu que l'exercice des droits politiques n'est nullement incompatible avec la

(1) — La Défense, Nos Revendications « ce que nous dit le cheikh Abedelhamid Benbadis », 3ème Année, N° 88, 03 janvier 1936, p 01.



ملحق رقم (22):

Article de Farhat Abbas, La France c'est moi, sur « L'Entente ».<sup>(1)</sup>

(1) – Archives de Constantine : Farhat Abbas, La France c'est moi, L'Entente, Deuxième Année, N° 24, Constantine, 27 Février 1936, p 01



ملحق رقم (23):

مقال: "كيف ستفنى الجزائر الفرنسية؟ جريدة "صدى قسنطينة" حول أحد الكتب التي تدرس الوضع الجزائري من خلال مناقشة موقف جمعية العلماء من مشروع فيوليت، والمرجعية الدينية للعقيدة التي تدعو لها الأمة الجزائرية، وما تشكله من خطر على مشروع الجزائر الفرنسية<sup>(1)</sup>.

**L'INDÉPENDANT**  
La Tribune des Indépendants  
100 rue de la République, 100  
BOULEVARD DE LA RÉPUBLIQUE  
ALGERIE

# Dépêche de Constantine

40° Directeur politique Paul CITTOLI, Secrétaire 40°

**ECHO DE CONSTANTINE**  
N° 17115 à nos abonnés  
Tous droits réservés  
à l'exception de ceux  
qui sont réservés  
à la presse  
en vertu de la loi  
du 29 octobre 1918

**20**  
**MERCREDI**  
20 AVRIL 1938

## l'Algérie française

L'Algérie inspire beaucoup d'écrits ces temps-ci. Après André Foucault, Charles Royer, et l'anonyme qui a condensé en quelques pages magistrales dans « Orages sur l'Afrique du Nord » les problèmes de l'actualité algérienne, voici qu'un auteur qui se présente sous la signature de « Hassan », projette sur l'avenir de notre pays des vues d'un sombre pessimisme. Le titre suggestif tient sa promesse. C'est une réponse au livre de M. Viollette. « L'Algérie vivra-t-elle ? »

M. Hassan lui, n'interroge pas. Il est catégorique. Souhaitons tout d'abord qu'il se trompe et suivons-le dans son analyse de la situation présente. Du point de départ à la conclusion, l'auteur met à vif le danger créé par ceux qu'il nomme les « réformistes algériens », c'est-à-dire les Oulamas. Quel est leur programme ? Quelle est leur action ? M. Hassan fait toucher du doigt ce mouvement de régénération islamique dont les apôtres propagent la mystique avec un succès qui va les faire glisser du plan dogmatique au plan politique. Le mouvement est déclenché au moment « où, dit M. Hassan, l'Algérie, avant 1930, était sous pression, pour franchir la dernière étape et entrer loyalement dans la famille française ».

L'association des Oulamas surgit et c'est alors le paroxysme du nationalisme, le déchaînement des attaques contre la France dont le meilleur prétexte sera le projet Viollette.

A l'origine, l'Association des Oulamas ne s'était proposée, toujours d'après M. Hassan, qu'un rajeunissement de l'Islam algérien. Mais les promoteurs de l'idée furent reniés. Les sectateurs se lèvent. Les cellules néo-wahabistes couvrent l'Algérie. On forge à coups de polémiques, de tracts, de sermons dans les zaouïas, une mentalité « salafite », c'est-à-dire qui ramène tout au passé et se remet à Dieu. Sur le terrain purement philosophique, aucun critique ne serait justifié. Que le Coran, la Souna et l'Idjmaa constituent l'orthodoxie pure, la lumière de la foi, l'auteur n'en fait pas grief, au contraire, aux bons mahométans. Mais il y a le paradoxe : la politique. Le spirituel et le temporel se mêlent en vue d'entreprises dont l'aboutissement serait l'indépendance algérienne.

Le journal « Ech Chiheb », d'avril 1936, organe du cheikh Abdelhamid, l'un des Oulamas les plus intelligents, et les plus actifs, lance cet appel : « nous avons cherché dans l'histoire et dans le présent et nous avons constaté que la nation algérienne musulmane s'est formée et existe, comme se sont formées toutes les nations de la terre. Cette nation a son histoire illustrée des plus hauts faits : elle a son unité

n'est pas la France, ne peut être la France et ne veut pas être la France. Il est impossible qu'elle soit la France même si elle veut l'assimiler. Elle a un territoire bien déterminé qui est l'Algérie, avec ses limites actuelles. »

L'assertion du cheikh Abdelhamid, soulignons-le rapidement, est en contradiction absolue avec l'histoire. Il n'est pas possible, en effet, de considérer l'unité algérienne qu'il invoque sans voir surgir en antithèse toute une bataille de frères ennemis. Mais passons. Où veut-on en arriver ? Ici, laissons la parole à M. Hassan :

« Le projet Viollette a été érigé en système d'opposition malgré son fond colonialiste et anti-démocratique. Là, les réformistes n'ont pas reculé devant un véritable paradoxe. D'un côté, ils refusent tout ce qui peut assurer la fusion franco-musulmane ; ils combattent d'une façon acharnée l'assimilation ; ils déclarent que l'Algérie n'est pas française et ne le sera jamais. De l'autre, ils font mine d'accepter le projet Viollette qui en ferait des citoyens français. Cette attitude est au moins surprenante et permet toutes les suppositions. D'ailleurs, le chef des Oulamas n'a pas su garder toute la mesure nécessaire. Pendant qu'on chante en réunions publiques les louanges du projet Viollette, pendant qu'on lève le poing dans les milieux marxistes, l'écrit dans « Ech Chiheb », de février 1937 : « Si nous avons parfois soutenu le projet Viollette, c'est que nous avons fini par admettre le point de vue de ceux qui ne voient en lui qu'un premier pas vers des améliorations futures ».

Ces lignes éclairent terriblement les arrière-pensées et les restrictions mentales des Oulamas. C'est le double jeu avec ses conséquences incalculables pour la souveraineté française. Dans cette lutte de l'Orient contre l'Occident avec ses péripéties dont la subtilité échappe souvent à la vigilance administrative, M. Hassan prend partie.

Avec un courage peu ordinaire que l'on estime d'autant plus qu'il peut susciter les colères de fanatiques, M. Hassan dévoile les menées anti-françaises et lance un cri d'alarme et de désespoir. Ici nous nous séparons de sa conclusion. Nous pensons que si l'Algérie traverse des heures graves, on ne saurait tout de même désespérer de son destin. Certes, en deux ans, le Front populaire a laissé s'épanouir une agitation redoutable, qui a eu pour résultat évident de créer un courant hostile à la France. Mais nous avons confiance quand même. Il n'est pas possible que la séculaire fraternité franco-musulmane puisse être à la merci des facieux. La masse indigène prouvera qu'elle est, au contraire d'une poignée d'ingrats, reconnaissante à la France de tous ses bienfaits.

Cette réserve faite, il n'en reste pas moins que l'ouvrage de M. Hassan apporte une excellente contribution à l'étude de la situation algérienne et mérite d'être lu par tous ceux qui veulent être utilement informés des problèmes qui se posent.

N. LUCIANI.

(1)- Comment périra l'Algérie française?, Dépêche de constantine, N° 10.755, 20 Avril 1938, p 03.



الملحق رقم (24): أمرية 07 مارس 1944 م في الجريدة الرسمية الفرنسية<sup>(1)</sup>.

Soixante-seizième année. — N° 24. Le Numéro : 4 francs. Samedi 18 Mars 1944.

# JOURNAL OFFICIEL

## DE LA RÉPUBLIQUE FRANÇAISE

| CONDITIONS D'ABONNEMENT                                                                                                       |         | UN AN   | SIX MOIS | LE NUMÉRO (1) |
|-------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|---------|---------|----------|---------------|
| Prix de l'abonnement. } Edition des ordonnances et décrets.....<br>Edition des débats de l'Assemblée consultative provisoire. | 300 fr. | 175 fr. | 4 fr.    |               |
|                                                                                                                               | 200 "   | 125 "   | 4 "      |               |

Pour les abonnements, pour la vente au numéro et pour la publicité, s'adresser à l'AGENCE HAVAS, 57, rue d'Isly, Alger (Chèque postal : 7.80).

Réclamations. — Adresser les réclamations à l'Imprimerie officielle du Gouvernement général de l'Algérie, 7 et 9, rue Trolier, Alger. (Joindre la dernière bande.)

(1) Frais de poste en sus: 0 fr. 50 par exemplaire.

Changement d'adresse: 1 fr. 50.

### ORDONNANCES

**Ordonnance du 7 mars 1944 relative au statut des Français musulmans d'Algérie.**

Le Comité français de la libération nationale,

Sur le rapport du commissaire d'Etat aux affaires musulmanes et du commissaire à l'intérieur,

Vu l'ordonnance du 3 juin 1943 portant institution du Comité français de la libération nationale;

Vu le sénatus-consulte du 11 juillet 1865;

Vu le décret du 24 octobre 1870;

Vu la loi du 4 février 1919 relative aux collèges électoraux d'Algérie, ensemble le décret du 7 février 1919;

Le comité juridique entendu,

Ordonne:

Art. 1<sup>er</sup>. — Les Français musulmans d'Algérie jouissent de tous les droits et sont soumis à tous les devoirs des Français non musulmans.

Tous les emplois civils et militaires leur sont accessibles.

Art. 2. — La loi s'applique indistinctement aux Français musulmans et aux Français non musulmans. Toutes dispositions d'exception applicables aux Français musulmans sont abrogées.

Toutefois, restent soumis aux règles du droit musulman et des coutumes berbères en matière de statut personnel, les Français musulmans qui n'ont pas expressément déclaré leur volonté d'être placés sous l'empire intégral de la loi française. Les contestations en la même matière continuent à être soumises aux juridictions qui en connaissent actuellement.

Le régime immobilier reste fixé par les lois en vigueur.

Art. 3. — Sont déclarés, citoyens français, à titre personnel, et inscrits sur les mêmes listes électorales que les citoyens non musulmans et participant aux mêmes scrutins, les Français musulmans du sexe masculin âgés de 21 ans et appartenant aux catégories ci-après:

Anciens officiers;

Titulaires d'un des diplômes suivants: diplôme de l'enseignement supérieur, baccalauréat de l'enseignement secondaire, brevet supérieur, brevet élémentaire, brevet d'études primaires supérieures, diplôme de fin d'études secondaires, diplômes des Médersas, diplôme de sortie d'une grande école nationale ou d'une école nationale de l'enseignement professionnel industriel, agricole ou commercial, brevet de langue arabe et berbère;

Fonctionnaires ou agents de l'Etat, des départements, des communes, des services publics ou concédés, en activité ou en retraite, titulaires d'un emploi permanent soumis à un statut réglementaire, dans des conditions qui seront fixées par décret;

Membres actuels et anciens de chambres de commerce et d'agriculture;

Bachaghas, aghas et caïds ayant exercé leurs fonctions pendant au moins trois ans et n'ayant pas fait postérieurement l'objet d'une mesure de révocation;

Personnalités exerçant ou ayant exercé des mandats de délégué financier, conseiller général, conseiller municipal de commune de plein exercice, ou président d'une djemâa;

Membres de l'ordre national de la Légion d'honneur;

Compagnons de l'ordre de la Libération;

Titulaires de la médaille de la résistance;

Titulaires de la médaille militaire;

Titulaires de la médaille du travail et membres actuels et anciens des conseils syndicaux des syndicats ouvriers régulièrement constitués, après trois ans d'exercice de leurs fonctions;

Conseillers prud'hommes actuels et anciens.

Ouikils judiciaires;

Membres actuels et anciens de conseils d'administration des S. I. P. artisanales et agricoles;

Membres actuels et anciens des conseils de section des S. I. P. artisanales et agricoles.

Art. 4. — Les autres français musulmans sont appelés à recevoir la citoyenneté française. L'assemblée nationale constituante fixera les conditions et les modalités de cette accession.

Dès à présent, ceux d'entre eux qui sont âgés de plus de 21 ans et du sexe masculin reçoivent le bénéfice des dispositions du décret du 9 février 1919 et sont inscrits dans les collèges électoraux appelés à élire la représentation spéciale aux conseils municipaux, conseils généraux et délégations financières prévues par ledit décret.

Cette représentation sera pour les conseils généraux et les délégations financières égale aux 2/5 de l'effectif total de ces assemblées. Pour les conseils municipaux, elle sera également des 2/5 sauf dans le cas où le rapport entre la population française musulmane et la population totale de la commune n'atteindra point ce chiffre. Elle sera alors proportionnelle au chiffre de la population musulmane.

Art. 5. — Tous les Français sont indistinctement éligibles aux assemblées algériennes, quel que soit le collège électoral auquel ils appartiennent.

Art. 6. — Est réservé le statut des populations du M'Zab ainsi que des populations des territoires proprement sahariens.

Art. 7. — Les modalités d'application de la présente ordonnance seront fixées par décret.

Art. 8. — La présente ordonnance, qui sera publiée au Journal officiel de la République française, et insérée au Journal officiel de l'Algérie, sera exécutée comme loi.

Alger, le 7 mars 1944.

DE GAULLE.

Par le Comité français de la libération nationale:

Le commissaire à l'intérieur,  
EMMANUEL D'ASTIER.

Le commissaire d'Etat aux affaires musulmanes,  
CATROUX.

Le commissaire à la justice,  
FRANÇOIS DE MENTON.

(1) — Ordonnance du 7 mars 1944, publiée dans le Journal Officiel de la République Française, n°24, le 18 mars 1944, p01 .

أمرية 07 مارس 1944م، مترجمة إلى اللغة العربية<sup>(1)</sup>.

### قانون منح المواطنة الفرنسية لبعض الجزائريين 07 مارس 1944

فيما يلي ترجمة لنص القانون المؤرخ في 07 مارس 1944 الذي أعلنت فيه اللجنة الفرنسية للتحرير الوطني برئاسة ديغول منح بعض الجزائريين منح حق المواطنة .

**المادة الأولى :** سيتمتع الفرنسيون المسلمون في الجزائر بجميع الحقوق و سيكون عليهم الواجبات التي للفرنسيين غير المسلمين و كل الوظائف الرسمية سواء كانت مدنية أو سكرية ستكون مفتوحة لهم .

**المادة الثانية :** سيطبق القانون دون أي تمييز بين الفرنسيين المسلمين و الفرنسيين غير المسلمين . و كل المواد القانونية المستعملة ضد الفرنسيين المسلمين تعتبر ملغاة . على أن الفرنسيين المسلمين الطين لم يعلنوا صراحة عن إرادتهم في الدخول تحت القاعدة العامة للقانون الفرنسي سيظلون خاضعين لأحكام القانون الإسلامي و العادة البربرية فيما يتعلق بأحوالهم الشخصية و حقوق الملكية .

**المادة الثالثة :** إن الفئات الآتية سيعتبر أصحابها مواطنين فرنسيين و يوضعون على نفس سجل المصوتين غير المسلمين من المواطنين الذكور البالغين 21 سنة أو أكثر و هم قدماء المحاربين .

**المادة الرابعة :** و سيؤذن للفرنسيين مسلمون آخرون بالحصول على المواطنة الفرنسية و سيحدد المجلس الوطني التأسيسي التي يحصل بها هذا التغيير .

**المادة الخامسة :** للفرنسيين الحق في المجالس الجزائرية بدون تمييز و مهما كانت الدائرة الانتخابية

التي ينتمون إليها و لا يخضعون إلا للشروط العادية **المادة السادسة :** ستضل القوانين المعمول بها بخصوص سكان وادي ميزاب و سكان المناطق الصحراوية المعروفة بهذا الاسم سارية المفعول .

**المادة السابعة :** ستصدر اللجنة الفرنسية للتحرير الوطني مرسوما يحدد تطبيق هذا القانون<sup>404</sup> .

الجزائر 08 مارس 1944

(1)-أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1945، ج3، المرجع السابق، ص ص 273-275.



ملحق رقم (25): التحريض السياسي والديني بين مسلمي الجزائر، نشرة أفريقيا الفرنسية عام 1936<sup>(1)</sup>.

580

## BULLETIN DU COMITÉ

férieur du fleuve, entame une lutte de vitesse avec les missions françaises et allemandes qui veulent prendre des gages dans l'intérieur. Il réussit à placer la Nigeria actuelle sous la souveraineté de son pays. En 1902 les grands émirats du Nord sont occupés par ses troupes.

Il faut alors organiser le pays, le colonel Lugard s'y emploie avec une heureuse décision, crée les troupes indigènes indispensables au maintien de l'ordre et applique pour la première fois la doctrine du protectorat ou de l'Indirect Rule, qui a été adoptée depuis par la plupart des gouvernements de l'Afrique anglaise. Pendant quelques années il est enlevé à sa lourde tâche nigérienne pour aller administrer Hong-Kong, mais il revient sur le Niger avec le titre de Gouverneur général dans les territoires autrefois conquis par lui. Il s'y trouvait au moment de la grande guerre et sut obtenir les secours les plus substantiels des territoires placés sous son autorité. Lorsque des agitateurs payés par les empires centraux tentèrent de soulever l'Afrique saharienne et soudanaise, Sir Frédéric Lugard prêta le plus précieux appui à nos forces chargées de débloquent Aghadès. Le gouvernement de la République lui conféra peu après la croix de commandeur de la Légion d'honneur en récompense de ses services. En 1919, Sir Frédéric prend sa retraite et se tourne vers d'autres activités. Il écrit un livre de politique coloniale, *The Dual Mandate*, qui obtient un succès largement mérité. Il entre dans plusieurs Commissions au Colonial Office et notamment dans celle qui s'occupe de l'enseignement indigène : il représente le Royaume-Uni à la Commission de l'esclavage. Enfin il devient membre de la Commission Permanente des Mandats. Peu après il est élevé à la Pairie et prend aussitôt une place considérable à la Chambre des Lords comme spécialiste des questions coloniales.

Lord Lugard nous est surtout connu en France par son activité à Genève. Sa collaboration à la Commission Permanente des Mandats a été marquée par un souci constant d'objectivité et d'équité, par un désir évident de comprendre et d'apprécier les initiatives étrangères en matière d'administration et de politique indigène.

Ajoutons pour terminer que Lord Lugard a attaché son nom à la création en 1926 de l'Institut International des Langues et Civilisations africaines qu'il a fondé avec la collaboration de savants anglais et étrangers parmi lesquels se trouvaient Delafosse, les professeurs Lévy-Bruhl et Westermann.

On a pensé avec raison que la succession d'un tel homme était lourde ; aussi a-t-on hésité longtemps à le remplacer à la Commission des Mandats où son expérience lui donnait une autorité incontestée. Le gouvernement britannique a désigné pour occuper ce poste Lord Hailey, ancien gouverneur de l'Inde méridionale.

Si Lord Hailey est moins connu des Français que Lord Lugard, il jouit d'une très grande popularité et d'une grande réputation dans les mil-

lieux coloniaux britanniques. Il a été choisi comme directeur d'un organisme nouveau, l'*African Research Survey*, qui se propose de publier une étude comparative de l'administration et des résultats obtenus par les divers Etats ayant des possessions en Afrique.

Lord Hailey a visité, au cours de cette année, la plupart des territoires situés dans la zone tropicale du Continent. Il rapporte de ce voyage une très importante documentation, base du rapport d'ensemble qu'il compte publier dans quelques mois.

Partout où il a passé, notamment au Cameroun, à la Côte d'Ivoire, au Soudan et au Sénégal, Lord Hailey a été apprécié comme un administrateur extrêmement distingué, comme un réalisateur aux vues claires et comme un homme d'une expérience avérée. L'*Afrique Française* se félicite de son entrée à la Commission Permanente des Mandats.

H. L.

## Agitation politique et religieuse chez les Musulmans d'Algérie

Sur ce sujet et sur la propagande d'indigènes algériens de toutes classes sociales contre la France, contre « l'impérialisme » français, on a lu ici-même, dans ce *Bulletin*, d'excellentes études de J. Desparmet, J. Menant, L. Mohendis, Ladrail de Lacharrière (1). D'autres notices, sur ces mêmes questions, dans le *Temps*, l'*Illustration*, *Les Etudes*, *En Terre d'Islam*, ainsi que dans divers grands quotidiens et revues de la Métropole, nous ont montré que l'on commence enfin, dans certains milieux de France, à chercher à comprendre ce qui se passe en Afrique du Nord musulmane.

Parmi les Français qui se penchent avec sympathie sur les problèmes indigènes algériens, il n'y a guère que de rares idéologues, souds et aveugles volontaires, pour conserver encore un

(1) On lira surtout : J. Desparmet, *Les grandes de l'opinion indigène en Algérie* (1933, p. 11) ; *Un réformateur musulman en Algérie* (1933, p. 149) ; *Naissance d'une histoire nationale de l'Algérie* (1933, p. 387) ; *Deux manifestes indigènes* (1933, p. 280) ; *L'Histoire des Arabes et les Gualèmes algériens* (1934, p. 272) ; *Le nationalisme à l'été indigène en Tunisie et en Algérie* (1935, pp. 104 et 229) ; *Le 1<sup>er</sup> Congrès des étudiants musulmans nord-africains* (1935, p. 216) avec une note complémentaire de L. Moussier (p. 219) ; *Le Panarabisme et l'Algérie* (jan. 1934, pp. 312-317) ; — Jean MEYER : *Les saïons d'un décret* (1934, p. 542) ; *Les élections indigènes aux Délégations financières* (1935, p. 79) ; *Les libérations algériennes, de Constant à M. Crémieux* (1935, p. 272) ; *Les élections municipales algériennes : la leçon des urnes* (1935, p. 353) ; — L. MOUSSIER : *L'avenir de l'Afrique du Nord* (1934, pp. 518, 574, 699 ; 1935, p. 97) ; *Pour la défense de l'Afrique du Nord Française* (1935, p. 258 ; 1936, p. 147) ; *La situation dans l'Afrique du Nord* (1936, p. 400) ; *La Commission interministérielle des Affaires musulmanes (Algérie)* (1935, p. 623) ; — LAURENT DE LACHARRIÈRE : *Les musulmans de l'Étoile Nord-Africaine* (1935, pp. 488-490) ; *Agitation musulmane* (1936, p. 306)...

(1)- A. G. Bouvreuil, Agitation politique et religieuse chez les Musulmans d'Algérie, Bulletin de L'Afrique française, Quarante Sixième Année, N° 01, 1 janvier 1936, PP 580-590.



optimisme béat devant la gravité de l'heure présente.

Peut-on ne pas comprendre que l'assimilation politique des indigènes aux Français, l'égalité en tout — à l'exception du statut civil, familial, social, successoral, conservé par les Musulmans — demandées par les plus exaltés des indigènes algériens, conduiraient, pour le moins, à un renversement des rôles ? En matière électorale, dans cette doctrine, par la loi de la majorité (6 millions d'indigènes contre 800.000 Français ou néo-Français), loi faussée en l'occurrence parce qu'on choisit d'une majorité d'un quart de la population, on substituerait l'acclamation frénétique d'une masse ignorante, inconsciente, en proie aux trahisons du fanatisme, le Musulman dominerait le Français. Celui-ci, tuteur — dès lors déchu — des foules indigènes encore si incultes, n'aurait plus qu'à céder la place à d'autres, ce que l'on ne tarderait pas à lui signifier, s'il ne le comprendrait pas assez vite. C'est là ce qu'entrevoit sans doute le journaliste musulman qui, dans *La Justice* (25 avril 1936), à propos des Socio-Communistes, déclare :

L'intérêt que nous portions ces partis avancés leur œuvre des droits sur nous et nous dicte notre attitude. Nous devons soutenir ceux qui nous soutiennent. Qu'ils nous aident à réaliser notre programme et nous les aiderons à réaliser le leur. Quand le succès aura couronné nos efforts communs, tout finira par s'harmoniser.

Souhaitons donc, une fois de plus, que ceux qui préconisent l'avenir de l'Afrique du Nord ne s'obstinent pas à ignorer ce que préparent les organisateurs du « nationalisme musulman » sous le couvert d'affirmations d'attachement à la France, « la commune Patrie », dont quelques-uns de leurs orateurs émaillent encore leurs discours.

Certes la situation est grave en Algérie : elle n'est pas sans remède. Bien des citoyens, paisibles et satisfaits de leur sort, sont encore réfractaires à toute agitation malsaine. Les ruraux, sauf ceux de quelques régions peut-être, n'ont été que peu atteints, bien que les commissaires en idées subversives ne manquent pas dans le bled algérien, où ils circulent en commentant, comme il convient, tracts et brochures en arabe qu'ils promènent sous le burin.

Le fait que, dans les tribus comme à la ville, les impôts rentrent encore normalement pourrait nous encourager à l'optimisme. Il en est de même des appels récents de réservistes indigènes à l'armée : ils ont donné de bons résultats et n'ont révélé ni résistance, ni mauvais esprit.

Il n'empêche que le mal gagne rapidement du terrain, qu'il est grand temps de s'en inquiéter, d'en comprendre les causes multiples et d'ordre politique le plus généralement. Il n'est plus permis à ceux qui ont la charge de l'ordre et de la sécurité en Algérie — on peut dire, aussi bien, en Afrique du Nord — de faire la

moindre faute, de montrer la moindre faiblesse. Que l'on n'attende pas que l'état des esprits soit tel qu'un rien suffise à mettre le feu aux poudres, surtout si le mot d'ordre émane de Musulmans qui, par leur culture arabe et islamique, en imposent à la masse des indigènes ignorants et crédules, aussi bien qu'à un grand nombre de ceux de culture française, pour qui l'Islam est un lien politique et social, une patrie, plus qu'une religion même.

C'est bien à tort que l'on s'imaginerait volontiers en France que les Musulmans sortant de nos écoles ont pris, avec notre langue et nos diplômes, nos habitudes de penser, de sentir et d'agir, qu'ils ont acquis notre individualisme, notre indépendance d'esprit, notre esprit critique, « cartésien » comme on dit, et qu'ils se sont mis délibérément sur le plan de notre civilisation.

La métamorphose n'est pas aussi simple. Les Orientaux, les Musulmans en particulier, constituent des groupements, des communautés, à mentalité collective : la religion, au moins pour ceux qui ne sont pas en état de la pratiquer complètement, impose, à tous, des coutumes et des mœurs, et surtout une règle sociale, une règle familiale que tous doivent suivre sous peine d'excommunication morale. Ainsi est établi un lien, à la fois religieux, politique et social, qui attache pour la vie l'individu à son groupe et l'empêche d'en sortir pour s'agréger à une autre communauté que la sienne (par exemple, à la nation française par la naturalisation).

La réaction sociale, contre l'emprise occidentale, se manifeste aujourd'hui plus que jamais chez les Orientaux : elle est illustrée par des exemples, milieux des populations d'Extrême-Orient, comme celui des Coréens et des Japonais. Qu'on lise pour s'en convaincre le charmant livre du Coréen Younghill Kang, *Au Pays du confucisme* (Paris, Plon, 1936). On y saisira, peinte avec sincérité par l'un d'eux, la mentalité des Orientaux — notamment celle des étudiants — et ainsi que leur besoin de cohésion contre l'étranger, en l'espèce le Japonais, apportant avec lui domination et civilisation de type occidental.

Au moment où, en France, le Conseil des Ministres (le 14 octobre dernier) vient de décider le dépôt d'un projet de loi étendant les droits électoraux de diverses catégories d'indigènes algériens, il semble opportun de rappeler les considérations ci-dessus, sur l'Islam-Patrie, quand ce n'est pas l'Arabisme-Patrie : car ce sont ces considérations qu'utilisent les conducteurs du peuple musulman algérien pour repousser notre législation civile et familiale, tout en demandant l'égalité des droits avec les Chrétiens français.

C'est l'agitation conduite sous ce prétexte et quelques autres par divers indigènes et ses manifestations récentes que l'on voudrait essayer d'examiner ici.

Nombreux sont les groupements d'indigènes s'efforçant d'amener à eux — dans les villes surtout — des représentants des diverses classes sociales de Musulmans algériens, en vue d'arriver à l'indépendance, à l'affranchissement de la tutelle française. Leurs dirigeants, comme cela a déjà été dit en ce *Bulletin*, sont en rapport avec les chefs du panarabisme et du wahabisme, tant en Afrique (Egypte-Tunisie) qu'en Asie (Syrie, Palestine et Hedjaz), voire même en Europe (Cheikh Arslan), ou bien avec ceux du communisme. Ces formations « nationalistes-musulmanes » en Algérie peuvent se ramener à deux principales : la Société des Oulémas et les cellules communistes. C'est autour d'elles que gravitent divers membres des associations d'étus musulmans et de multiples cercles, clubs, sociétés de lecture ou d'étude, de sport, etc.,

De ces deux groupes — Oulémas et Communistes — qui ont fini par se rapprocher, l'un de l'autre, le plus actif, le mieux organisé, le plus près du bourgeois citadin, le plus capable de convaincre les indigènes à cause du fondement religieux sur lequel il s'est placé, est celui des Oulémas.

Son chef, Cheikh Abd el Hamid Ben Badis, ne s'est pas enfermé uniquement dans la doctrine étroite d'une réforme religieuse, soit d'ailleurs assez souple selon les circonstances : il a fait la part très large à la politique « nationale musulmane ». Et ceci se conçoit de la part d'un homme ayant fait ses études à la Mosquée Zitouna et à l'école du Destour tunisien, réplique lui-même du Wafd égyptien, visant comme celui-ci au projet de la tutelle étrangère.

C'est surtout dans sa revue mensuelle *Ech Chihab* que M. Ben Badis, apôtre de la réforme politique, sociale et religieuse des sociétés musulmanes de l'Algérie, a exposé ses idées dont voici l'essentiel :

1° Faire de la langue arabe la langue nationale des Algériens ; enseigner l'arabe classique, langue de la religion et de la nation algérienne, dans de nombreuses Médéras ou Ecoles privées.

2° Extirper de la religion musulmane actuelle des Algériens les superstitions étrangères qui s'y sont introduites au cours des siècles ; purifier l'Islam algérien, combattre notamment le mysticisme populaire, les Malakoutes et les Ordres religieux, contribuant, pensait-il, à maintenir le peuple dans la grossière erreur et dans l'ignorance (2).

3° Ramener l'Islam algérien à sa pureté première par l'interprétation exégétique rationnelle du Coran et par l'étude du Hadith. Tendre ainsi à l'exclusion — comme devenue inutile — des Manékes en usage dans les *Medjets* artho-

doxes et notamment ceux des Malékites qui suivent les Algériens.

Ramener ainsi le peuple algérien à la véritable culture islamique qui fit briller jadis la civilisation musulmane en Occident comme en Orient. Donner par là à ce peuple, à cette personnalité, de sa force, de sa supériorité intellectuelle et morale sur l'Occident, et le conduire à l'indépendance.

De faire la réconciliation, d'abord « entre tous les habitants de l'Algérie », ce qui était l'entraide entre sunnites et schismatiques, arabophones et berbérophones, pécher même l'unionisme ethnique et les représailles des diverses religions (3).

Mais ce dernier point est l'œuvre de l'administration française, dont, par ailleurs, comme on a pu le voir dans ce *Bulletin*, et comme on le montrera ci-dessus, les missionnaires de la Société s'efforcent de discréditer les hommes, ainsi que les efforts généraux.

Telles sont les grandes lignes du programme que, sous la direction de la Société des Oulémas, poursuivait à Alger le 5 mai 1931, et dont il est depuis lors le très actif président.

Choisis par lui, des missionnaires, des « daï », disait-on au siècle lointain de la prédication fatimo-chiite, formés dans les Universités musulmanes étrangères (Tunis, Syrie, Hedjaz, Egypte) et à l'école de Cheikh Ben Badis lui-même, sont installés dans de nombreuses villes et centres indigènes des trois départements algériens. Ces « réformateurs » sont chargés de la propagande et de l'éducation, par la parole (leçons, causeries, conférences), par la plume (journaux, revues, tracts), par leur action et leur influence personnelle. Ainsi dans chacun de ces centres s'est développée une « cellule » réformatrice. L'administration française, jugeant dangereuse l'activité des cheikhs-missionnaires, leur a interdit le plus souvent l'utilisation des mosquées officielles pour leur enseignement. Ils ont tourné la difficulté. L'éducation des enfants, de la jeunesse, des hommes, selon l'esprit nouveau, soi-disant réformatrice, se fait dans des locaux spéciaux (médersas privées) acquis ou pris en location par les groupements locaux des adhérents ; elle se fait aussi dans les clubs et les cercles indigènes, chez des particuliers, voire même, à l'occasion de cérémonies familiales (Rincailles, etc.) qui se tiennent dans les Mosquées et sur invitations personnelles. En toute circonstance, ces missionnaires réformateurs, généralement beaux parleurs, prennent la parole en un arabe châtié et devant un public sympathisant, de plus en plus nombreux.

Le chef constantinois, Cheikh Ben Badis, pour l'application de la réforme politique et religieuse qu'il dirige lui-même dans le département de Constantine, s'appuie sur deux lieutenants, chefs respectifs de la propagande et inspecteurs des

(2) Hachemi Badis, de Tlemcen (voir *Ex-Zakara* du 18 sept. 1930) pourrît, en Tunisie, une campagne analogue. Par contre, un autre tunisien, originaire du Zitouni dans la Nafza (du 13-4-1936) adresse à ce propos des reproches aux Oulémas algériens, qui, au lieu de s'occuper de la purification des musulmans pour débarrasser des centres d'opposition musulmane à l'étranger, comme ce fut le cas des Soufistes en Tunisie. Il cite même à ce propos M. Cheikh Arslan dans son livre *Le présent du monde musulman*, parlant dans le même sens.

(3) Bien que les éléments musulmans et localisés de la population algérienne, à cause de leur vie de famille généralement assez fermée et de leurs associations particulières, aient conservé leur originalité propre et qu'ils aient en peu de temps fait de la culture arabo-islamique une sorte de symposium, rapprochant souvent les individus entre eux, dans des groupes ethniques, il y a encore une dizaine d'années. Depuis lors, les Musulmans algériens ont vu croître et se multiplier de plus en plus, et les nombreuses sociétés de tous ordres qu'ils ont fondées ont dû normalement étirer les musulmans.



On ne saurait être surpris que ce second groupe, cette seconde société, faite de Musulmans généralement en place, fonctionnaires ou magistrats, professeurs ou chefs d'ordres religieux, hommes d'expérience et de raison, sans programme d'action violente, sans ou presque sans organisation combative, n'ait pas eu grand



succès en face de l'autre, dirigée par des hommes résolus, actifs et entreprenants, catalysant par leur programme — présenté au moment opportun — les aspirations diverses et imprécises d'une masse atteinte par une crise économique, contre quoi elle manque de réaction, et celles d'une jeunesse turbulente, trompée par le mirage de son indépendance, ardente comme tous les jeunes à vouloir secouer la tutelle de ses maîtres d'aujourd'hui.

Pour ces raisons, et parce qu'ils se sont fait passer pour les seuls détenteurs, en Algérie, de la science islamique, affiliés de l'administration des Indigènes, les Oulémas de l'Isolah se sont trouvés en position favorable pour le succès. A cause de leur programme de relèvement national et patriotique des Musulmans algériens, ils n'ont pas tardé à grouper autour d'eux des Indigènes venant d'horizons très différents, diamétralement opposés : des lettrés de formation arabe et musulmane, sortes de clercs citadins et ruraux, ignorant le français et les écoles françaises, qu'ils méprisent profondément, et, d'autre part, des intellectuels de culture française, peu ou pas versés dans la connaissance de la langue arabe savante et de la religion musulmane, ne sachant même pas bien, souvent, les obligations les plus impérieuses du culte. Entre ces deux extrêmes se trouve toute la gamme d'ambitieux, de mécontents et d'algériens ainsi que de pieux ignorants, comme envoûtés par l'éloquence aisée de ces guides vers l'indépendance du peuple musulman algérien et la renaissance de la civilisation musulmane du moyen-âge.

Pour l'application de leur programme et afin d'obtenir le maximum de liberté de presse et d'enseignement, les Oulémas eurent à se concilier les élus musulmans — et même français — dans les assemblées algériennes, au sein desquelles ils pouvaient atteindre l'administration et la convaincre de la pureté de leurs intentions. On sait la part qu'ils ont prise dans les élections algériennes aux Conseils généraux, aux Délégations financières, aux Conseils municipaux, aux Bureaux, en 1924-1925. Les articles de J. Menaul, parus ici-même, ont donné une idée des succès des Oulémas en cette matière. Tout en restant prudemment en dehors des compétitions électorales, les cheikhs, les chefs des « cellules » réformatrices ont réussi à faire passer bon nombre de leurs candidats. Dès lors ils savent pouvoir compter sur de nombreux élus musulmans dans toutes les assemblées — souvent même sans la majorité, voire la totalité des élus d'une ville ou d'une région. Ceux-ci, dans nombre de cas, sont devenus les défenseurs dévoués des Oulémas et les exécutants de leurs idées et de leur volonté.

N'est-ce pas grâce à l'initiative, de la représentation indigène au Conseil municipal, puis au Conseil général d'Oran, qu'une Mosquée, utilisée pendant la conquête pour loger des services d'administration militaire, a été restituée

aux Indigènes, pour servir à l'enseignement de la « cellule » oranaise des Oulémas ? Cette restitution a même coûté 400.000 francs à l'Etat algérien, au Département et à la Commune d'Oran, pour le nouveau logement des Services de l'Intendance.

N'est-ce pas un Conseiller général musulman de Tlemcen, M. Taleb, qui a écrit un long plaidoyer, le 3 mars 1930, publié dans la presse, en faveur des Oulémas et de leur apostolat, en réponse à un article du *Temps* du 21 février, dans lequel ces mêmes Oulémas étaient pris à partie, à cause de leur activité anti-française ?

N'est-ce pas encore le Conseiller général, M. Benkhellaf, de Djidjelli, qui donne l'hospitalité, dans un immeuble lui appartenant à la Médersa privée, organisée par les Oulémas, dans cette ville du département de Constantine, et dirigée depuis 4 ans par un Kabyle, cheikh Sahli Mohammed Tahar ?

Et l'on n'aurait pas de peine à multiplier les exemples — dans les domaines les plus divers — de l'aide qu'apportent des élus indigènes dans l'Algérie entière à l'œuvre poursuivie par M. Ben Badis et la société des Oulémas.

..

L'activité des Oulémas dans le domaine politique s'est plus ouvertement affirmée qu'auparavant, après les élections législatives d'avril-mai 1928 et avec l'avènement d'un nouveau Ministère, ouvrant, par sa nature et sa composition, un immense horizon d'espérance à ceux qui se font les champions de ce qu'ils nomment les revendications des Indigènes algériens.

Les élections législatives ont déclaré la gauche victorieuse. écrit Ebn Chaban (juin 1928) : on espère beaucoup de tout du fait de cette victoire. Toutes les classes d'action en France, les populations des colonies, des Pays de Protectorat, et de ces sociétés musulmanes qui ont une expérience qui est promise d'apporter des améliorations à la situation actuelle.

Dès le 15 mai, à Constantine, une réunion qui présidait le Directeur du journal *La Défense*, assisté de MM. Ben Badis et Bendjelloul, se tient au « Cercle du Progrès ». On décide de tenir à Alger, très rapidement, un grand « Congrès » musulman, pour fixer un programme de revendications à soumettre au nouveau Gouvernement.

Le 16 mai à Alger, au « Cercle du Progrès » qui est le siège de l'Association des Oulémas, un conseiller municipal, M. Benbadji, fait voter, par le nombreux public qui a assisté à sa conférence, une motion en vue de la représentation parlementaire des Indigènes algériens et de l'admission de ceux-ci dans le Collège électoral français : il est d'ailleurs entendu que, malgré cela, les électeurs musulmans conserveront leur statut propre car, dit la motion, « l'exercice des droits politiques est indépendant des droits civils (!) ».

Les Oulémas, qui, jusque-là, avaient semblé hésiter à se mêler en personne aux manifesta-

tions politiques et publiques, sortent de leur réserve et s'efforcent de témoigner de la sympathie aux partis d'extrême-gauche et de gauche, fondus dans le « Front Populaire ».

Quel scandale pour les Oulémas traditionalistes que d'avoir vu de jeunes écoliers musulmans, élèves des écoles de leurs adversaires, les Oulémas réformatrices, suivre leur cheikh, le 14 juin, dans les rangs des processions pour fêter le « Front Populaire ». Ces jeunes « nationalistes » musulmans y chantaient « l'Internationale », mise en arabe pour la circonstance, et marchaient derrière le drapeau rouge, le poing tendu !

C'est un rôle de premier plan qu'ont joué les Oulémas réformatrices, dans l'assemblée tenue à Alger le 7 juin 1930, assemblée à laquelle ses organisateurs ont donné le nom de « Congrès musulman algérien ». Partout et toujours, dans les manifestations qui ont précédé, accompagné et suivi ce « Congrès », les Oulémas apparaissent, inspirent et dirigent.

C'est, par exemple, à Oran, le chef de la « cellule » réformatrice, le professeur libre représentant la Société des Oulémas, dont il est le second assesseur, le cheikh Saïd Ez Zahiri, qui prend la tête du comité de coordination de l'Oranie. Le rôle de ce comité a été donné par un communiqué à la presse, sous le titre « Bloc des organisations musulmanes de l'Oranie » et son texte mérite d'être cité (il est du 1<sup>er</sup> juin 1930) :

A travers tout le pays apparaît aujourd'hui au peuple d'Algérie la nécessité de s'organiser et de coordonner tous ses efforts pour la réalisation de ses revendications. Des militants de diverses organisations ont compris la nécessité de réunir toutes les organisations, culturelles, religieuses, d'anciens combattants, syndicales, sportives et de bienfaisance, pour la constitution d'un bloc homogène qui aura pour but non seulement l'élaboration d'un programme de revendications, mais surtout la réalisation de ces revendications pour le bien-être et la liberté du peuple musulman d'Algérie.

Pour nos libertés et notre bien-être, la réconciliation entre toutes les organisations, entre toutes les couches sociales de la masse musulmane, la coordination de nos efforts est nécessaire.

Un comité composé de délégués de plusieurs organisations s'est formé à Oran. Ce comité a pour but la réalisation du rassemblement de toutes les couches sociales sur un programme commun et la représentation du Congrès musulman algérien qui doit se tenir à Alger prochainement. Nous faisons appel à toutes les organisations musulmanes de l'Oranie et de tout le pays pour la constitution d'un programme commun et pour notre participation aux travaux du Congrès musulman algérien.

Suivent les noms de M. Zahiri et de treize autres représentants de diverses sociétés musulmanes.

C'est encore M. Zahiri qui est le premier des dix-sept délégués du soi-disant « Bloc des Organisations musulmanes », chargés d'aller participer au Congrès d'Alger « pour y défendre le programme de réformes adopté au Congrès national du Parti socialiste S.F.I.O. ».

Dans les deux autres documents algériens on prépare de manière analogue le « Congrès »

du 1<sup>er</sup> juin, ainsi que les chefs et les soldats de ce rassemblement.

Quant au désir de « réconciliation », « d'union » des groupements musulmans les plus hétéroclites, des indigènes de toute classe sociale, de tout niveau, intellectuel, religieux ou ethnique, arabe ou berbere, il répond assez à l'idée de fusion en un bloc de tous les indigènes algériens, dont le cheikh Ben Badis poursuit la réalisation. C'est aussi l'idée du parti communiste algérien, telle que l'a exprimée *La Lutte Sociale* :

Noire parti communiste jette un cri d'alarme : Arabes, Kabyles, Moudjibbs, pressés par l'impérialisme, nous sommes tous opprimés par un système commun : l'impérialisme. Ne nous laissons pas diviser.

L'exemple de nos frères d'Egypte qui, en dépit de toutes les manœuvres de l'impérialisme arabe, ont réussi à former leur « Front national » sera pour nous un enseignement précieux... Unis, nous vaincrons.

Ces objectifs de *lutte* contre « l'impérialisme français » par le « front national » musulman algérien, dans les Indigènes, conciliés en face de l'étranger, pour l'indépendance totale, est si bien dans les vues des Oulémas, qu'ils se rapprochent de plus en plus du communisme, dont ils ne tarderont pas à manœuvrer à leur guise les éléments indigènes.

Après avoir largement contribué, comme on vient de le dire, à la préparation du Congrès d'Alger, les Chefs des Oulémas ont tenu une place prépondérante dans cette réunion qui groupait un grand nombre d'Indigènes des trois départements. Ce fut le Docteur Bendjelloul, président de la Fédération des Elus musulmans d'Algérie, qui eut la tâche ingrate et difficile de présider cette assemblée nombreuse et hétérogène. Quant aux Oulémas, ils inspirèrent les principales résolutions prises et usèrent habilement de leur prestige pour stimuler le zèle des modérés qui semblaient groupés autour du Dr Bendjelloul, et pour calmer les exaltés (groupe social-communiste) et éviter de leur part des revendications excessives ou prématurées. Un bref communiqué donné à la presse a résumé en ces termes les résultats de ce « meeting » :

Le Congrès musulman algérien s'est déployé une riche et précieuse confrontation, dans un libre jeu et dans une atmosphère de réconciliation générale, de toutes les tendances.

De même Congrès est sorti, sous forme de motion adoptée à l'unanimité, une mission non moins précieuse : former une commission d'élus du Congrès, ayant pour tâche de rassembler, de rallier et de coordonner tous les efforts, pour la réalisation de la Charte revendicative des Musulmans algériens.

Cette commission provisoire composée de trois Elus, trois Oulémas et trois Militants, fut désignée pour mettre sur pied le Comité exécutif définitif.

La commission provisoire, en possession des documents, s'est mise aussitôt à l'œuvre. Elle peut d'ores et déjà « se présenter au grand public » de la Charte revendicative : elle annonce pour le 5 juillet prochain la réunion à Alger des délégués des différents centres géographiques de l'Algérie qui auront à choisir dans leur sein le Comité exécutif définitif.

La commission provisoire de neuf membres, en s'adjoignant une demi-douzaine de membres



supplémentaires, est devenue, le 5 juillet, le comité exécutif directeur ; il a constitué à lui seul la délégation du Congrès qui s'est tenue à Paris pour y soumettre aux Pouvoirs publics la Charte des revendications.

Par sa composition, ce comité reflète assez la physionomie de l'Assemblée du 7 juin. Quels étaient en effet les chefs de file ? Quelques élus musulmans des Assemblées algériennes, ne représentant d'ailleurs les idées que d'un certain nombre des élus indigènes, non de tous ; les Oulémas, dont les Chefs ont joué, avons-nous dit, un rôle de premier plan en cette affaire ; enfin des Indigènes que le communiqué ci-dessus appelle des « militants ». On ne sait trop de quels « militants » il s'agit ici ? Peut-être faut-il ne voir dans ce mot qu'un emprunt, mal compris, au vocabulaire des partis politiques métropolitains.

Quant aux « délégués des différents centres » de l'Algérie, ils comprennent nombre de ruraux choisis dans les villages, les douars et les djennas. Il y a là l'indication d'une volonté des leaders de la politique de revendication, d'associer à leur action les hommes des campagnes.

On ne reviendra pas pour le moment sur la délégation envoyée à Paris, ni sur la liste fort longue des revendications qu'elle a soumises, le 22 juillet et jours suivants, à divers membres du Gouvernement et du Parlement. On ne parlera pas non plus de la charte des revendications, — encore moins admissible que l'autre — présentée par le parti communiste indigène : des renseignements ont été donnés sur tout ceci dans *L'Afrique Française* (1936, p. 462). Malgré les affirmations de ceux qui ont rendu compte de ce « Congrès » et de la mission de la « délégation », cette assemblée — qui fut beaucoup plus houleuse qu'on ne l'a dit — ne représentait pas l'opinion algérienne, pas plus que la charte des revendications indigènes ne traduit la majorité des desiderata. Comme on le dira plus loin, même sur la question de représentation parlementaire des indigènes, ceux-ci — ou du moins leurs représentants élus — sont profondément divisés.

D'ailleurs, au lendemain du retour de la délégation de Paris, M. Zenati, qui la nomme la « délégation des factieux », montre que les membres de cette mission à Paris n'ont eu d'autre but que de « créer de l'agitation, induire le « peuple en erreur, créer des difficultés à l'administration française et servir peut-être les « desseins de personnes restées dans l'ombre, « mais dont les buts sont connus... ». Ils ont voulu, ajoute-t-il, « forcer le mécompte des indigènes, mettre la France « dans l'obligation de refuser leurs revendications exagérées, pour signaler à l'ennemi et « faire remonter la température des couches « ignorantes, les Oulémas et les Bendjelloulis « les ont désormais besoin d'une effervescence « continue pour se maintenir et préparer pa-

L'AFRIQUE FRANÇAISE. — 5741.

tiellement la réussite de leur plan donquichottesque ». (*La Voix Indigène*, 1<sup>er</sup> août 1936.)

Ainsi, les uns, parmi les indigènes algériens, n'admettent pas l'agitation provoquée par ces revendications outrées autant qu'inopportunes, par ces excès politiques et religieux qui jetent le trouble dans la société indigène. D'autre, par contre, avec Messali El Hadj, Directeur de l'« Etoile nord-africaine » — qui organise des « cellules » communistes indigènes en Algérie actuellement — estime que l'on ne va ni assez loin dans les revendications, ni assez vite à la conquête de l'affranchissement du territoire algérien au profit des Musulmans.

Les premiers, ceux qui ont encore confiance en la France, ceux qui sont également éloignés de l'agitation religieuse et politique organisée par les Oulémas et de la révolution communiste, alors que la Délégation du Congrès musulman du 7 juin arrivait à Paris, faisaient télégraphier au Président du Conseil, le 18 juillet, par un groupe de leurs représentants, leur protestation indignée ; ils déniaient toute qualité à cette « pseudo-délégation » de Musulmans algériens, pour parler au nom des indigènes ; ils protestaient aussi contre l'immixtion, dans les choses de la religion, de prétendus Oulémas ne représentant « qu'une poignée d'agitateurs, qui tentent de semer le trouble dans le pays » (Voir le texte de ce télégramme dans le *Bulletin de l'Af. Fr.*, d'août-septembre 1936).

Une pareille résistance de l'opinion indigène fut jugée intolérable et, le 2 août, le Mufti d'Alger, Bendali, l'un des signataires du télégramme précité, était assassiné en pleine rue.

D'un bout à l'autre de l'Algérie, indigènes et Français qui suivent l'action des Oulémas et des agités de la politique indigène, ne doutèrent pas un instant qu'il s'agissait là d'un crime politique.

L'assassinat, par un spadassin à gages, d'un adversaire des Oulémas, d'un homme de science islamique, d'un serviteur loyal de l'administration française, apparaît à tous comme un acte de terrorisme, par quoi ceux qui réclament du Gouvernement toutes les libertés et tous les droits, qui rêvent d'une indépendance totale et du relèvement de la tutelle française aux cris de « Vive la France ! notre Patrie », avaient voulu frapper l'opinion, rallier à leur cause les hésitants, étouffer l'opposition d'adversaires musulmans insupportables.

Les conditions du crime et les événements qui le suivirent confirment assez cette impression spontanée.

Le corps du Mufti d'Alger fut transporté, pour y être inhumé, à Constantine son pays d'origine. Avant l'inhumation, l'accomplissement des rites prescrit lors du décès en présence du corps. Cette prière doit être prestée par l'un des plus notables musulmans, assistant aux funérailles. Il ne se trouva qu'un vieil Imam, Si Ahmed, ami du défunt, assez courageux pour accepter, conformément aux rites, de présider à la dernière prière.

\*\*\*\*

re sur le défunt. Or, à quelques jours de là, ce même Si Ahmed aurait été à son tour victime d'un attentat. Alors qu'il « regagnait son domicile, vers 19 h. 45 — ont dit les journaux — trois « ou quatre coups de revolver ont été tirés sur « lui par un individu qui a pris la fuite. Les « projectiles n'ont pas atteint l'Imam ». Voir les indigènes le rapport entre cet attentat et l'assassinat d'Alger ne faisait pas de doute. *La Voix Indigène*, recherchant la cause du crime de Constantine, la trouve uniquement dans le fait que le vieil Imam « avait présidé à la prière des morts sur la dépouille du malheureux Cheikh Bendali » (ibid., 11 août 1936).

La justice s'employa très activement à découvrir, mais en vain, le coupable de la tentative d'assassinat de Constantine. Quel témoin, conscient du danger qu'il couvrirait, aurait eu le courage de révéler le nom du criminel, s'il le connaissait, ou même les circonstances du drame ? L'information judiciaire fut donc close sans résultat.

Depuis la nouvelle de cet attentat — réel ou imaginaire — répandue par la presse et commentée dans les milieux indigènes, avait atteint son but : jeter la terreur dans l'esprit de ceux qui manifestent leur dévouement à la France et à son administration ou simplement leur hostilité aux Oulémas.

Les indigènes qui n'acceptent pas de se laisser embrigader dans le mouvement des revendications « nationales » musulmanes, de seconder l'œuvre de libération de la tutelle française en Algérie, sont certains ne veulent plus, se sentent dès lors menacés. Ils redoutent non seulement d'être assassinés, mais, pire encore pour un croyant, d'être enterrés sans recevoir, pour l'Au-Delà, le viatique des cérémonies funéraires nécessaires ; ils craignent d'être exclus de la Communauté des Croyants et d'être enterrés comme des chiens.

Ceci ne ressemble-t-il pas étrangement aux manifestations du Destour qui, en Tunisie, a exclu des cimetières de l'Islam les Musulmans naturalisés français ? N'y aura-t-il bientôt de sépulture religieuse en Algérie que pour ceux qui se soumettront au programme politique et religieux des Oulémas, réformateurs de la société indigène ?

Si, laissant maintenant Constantine, nous revenons à Alger, qu'y trouvons-nous ? Dès le 2 août, police et justice se mirent activement à la recherche de l'assassin du Mufti. On ne tarda pas à arrêter le coupable, un Kabyle, repris du juste, et ses trois comparses ; ce qui permit grâce à leurs aveux de rétablir les conditions matérielles du crime. Ayant trouvé le bras qui avait tué, les magistrats s'efforcèrent de découvrir la tête qui l'avait dirigé, celui ou ceux qui avaient ordonné cet assassinat. Car nul ne doutait que l'assassin, homme sans moralité, et les camarades qu'il avait lui-même recrutés pour la circonstance, n'aient agi autrement qu'à la solde de coupables plus haut placés dans l'échelle so-

ciale. En effet, cinq jours après le crime, celui qui avait reconnu avoir lui-même plongé le poignard dans le cœur du Mufti Bendali, déclara avoir été requis et payé pour cette besogne par le Cheikh Taieb el Okbi, le chef des Oulémas du département d'Alger ; il indiquait les conditions dans lesquelles ce contrat avait été passé, au « Cercle du Progrès » à Alger, siège de l'Association des Oulémas.

El Okbi est arrêté et emprisonné, le 8 août, des perquisitions sont faites au « Cercle du Progrès ». C'est la consternation chez les Oulémas et leurs partisans. La délégation du Congrès du 7 juin — dont avait fait partie El Okbi — repart en hâte pour Paris, exposer son point de vue au sujet de ces graves événements, ainsi qu'il en a été rendu compte ici-même (août-septembre p. 469).

Pendant ce temps, que se passe-t-il à Alger où l'enquête et les perquisitions se poursuivent ? L'assassin est-il satisfait d'avoir donné aux magistrats le nom de ceux qu'il disait l'avoir sondé et la conscience plus tranquille, sort-il mieux dans sa prison ? Ou bien entend-il, à l'occasion de ses transferts de la prison au « Cercle du Progrès », et aux autres points où l'amène l'enquête, des menaces contre les siens s'il ne se rétracte pas et ne blanchit pas ceux que sa dénonciation a fait arrêter ? Allah seul le sait. Mais ce qui est certain, c'est que six jours après avoir dénoncé El Okbi, en entrant dans des détails analogues à ceux qu'il avait donnés de l'assassinat lui-même, l'assassin revint sur ses déclarations et assura que rien de ce qu'il avait dit d'El Okbi et consorts était de pure invention. Devant cette rétractation le juge d'instruction n'avait plus qu'à remettre le Chef des Oulémas du département d'Alger en liberté provisoire. C'est ce qui fut fait le 14 août, à la satisfaction des partisans des Oulémas et notamment des groupements d'extrême-gauche.

Des réunions pour fêter la libération de l'agitateur algérois, dont la prison avait fait un martyr, furent tenues dans diverses villes algériennes. Souvent même des notables Israélites se joignirent aux Musulmans et ce fut l'occasion de discours, dans lesquels les orateurs des deux religions évoquaient les sentiments de fraternité qui les rapprochent et préconisaient un thème courant, l'entente amicale entre les divers éléments ethniques et religieux qui peuplent l'Algérie.

On notera, en passant, que ce rapprochement des éléments juifs et « politiques » musulmans, dix-huit mois après les troubles anti-juifs de Constantine, est très net dans plusieurs centres algériens. Il a été d'ailleurs préconisé par M. Bernard Leache, président de la section française de la Ligue contre l'antisémitisme, au cours d'une tournée de propagande qu'il fit au début de l'année 1936 en Algérie ; il est particulièrement marqué depuis le 3 juin dernier — on pense ainsi prendre le vent. Mais il semble avoir commencé par pénétrer dans les rayons communistes européens-musulmans de l'Algé-



rie et, plus spécialement, dans les sections des « Amis de l'U.R.S.S. » existant dans toutes les villes algériennes.

Quoi qu'il en soit, la libération de prison de l'un des principaux chefs des Oulémās affecta diversément des Musulmans d'Algérie. Tandis que les gens paisibles restaient de soi réticents par la suite l'agitation politique indigène, d'autres — incapables de comprendre le mécanisme de nos institutions — se sont imaginé que la libération d'El Oulmi était le fait du gouvernement qu'ils ont cru acquis à la cause des Oulémās.

Quant à ces derniers et à leurs partisans, ils triomphent et reprennent aussitôt leur activité, en marquant nettement un coup de barre à gauche, par l'alliance ouverte avec les exilés de l'Étoile Nord-Africaine et les groupements socialo-communistes. Quelques faits permettent d'illustrer cette attitude nouvelle.

C'est d'abord le « Comité exécutif » du Congrès du 7 juin, qui exclut de son sein le Dr Bendjelloul, son président, comme traître à la cause du peuple indigène. N'a-t-il pas à plusieurs reprises en l'audace de douter de la pureté d'intention des Oulémās et des Communistes, tant à Paris — pendant le séjour de la délégation — qu'en Algérie ? N'a-t-il pas jeté la suspicion sur ces mêmes Oulémās à l'occasion du meurtre du Mufid d'Alger et dévoilé leurs rapports étroits avec les communistes ? N'a-t-il pas l'assemblée constitutive du Comité exécutif du Congrès, le 5 juillet à Alger, « par des manœuvres » malhonnêtes et par la menace de briser le Congrès, imposé l'élimination des Communistes « de ce Comité » (*La Lutte sociale* du 17 octobre 1935) ?

Aussitôt cette exclusion prononcée, le Comité exécutif — ainsi décapité du président de la Fédération des Elus musulmans et du Congrès musulman — se trouve entièrement dans la main des Oulémās et de leurs plus fidèles serviteurs. Il entreprend alors des tournées dans les principales villes algériennes, sous prétexte d'y rendre compte des démarches faites à Paris.

Ces réunions de Musulmans pour entendre leurs guides politiques prennent dès lors l'allure du meeting que l'on annonce dans la presse, en y ajoutant la formule « l'ordre sera assuré par les militants ». L'élément politique d'extrême-gauche s'isole désormais à côté des Oulémās. C'est ainsi qu'à la réunion du 11 octobre dernier à Oran les Cheikhs Ben Badis, Brahimi et Zahiri ont pris la parole, ainsi que MM. Zannettaz, du parti communiste, et Matéi, du parti socialiste S.F.I.O. On remarquait dans l'assistance une « militante » du parti S.F.I.O., femme d'un indigène musulman, et plusieurs délégués des syndicats ouvriers.

Bien que cette réunion n'ait groupé que « deux

cent personnes seulement », les organisateurs envoyaient au Président du Conseil le télégramme comminatoire que *L'Afrique Française* a publié (1935, p. 632).

Toutes les réunions du même genre tenues dans les diverses villes algériennes se terminent par un télégramme analogue au précédent.

De son côté, l'ex-président de la délégation, le Dr Bendjelloul, bien qu'exilé, a tenu à montrer à tous qu'il n'abandonnait pas la lutte. Il a envoyé lui aussi, le 13 octobre, non seulement au Président du Conseil, mais au Président de la République et à plusieurs ministres, ainsi qu'au Gouverneur général, un télégramme de protestation contre un article du *Temps* (*ibid.*, p. 537), télégramme dans lequel parle au nom des Elus musulmans de l'Algérie M. le Dr Bendjelloul, qui ne les représente guère plus dans leur ensemble que le Congrès du 7 juin n'a représenté l'ensemble du peuple algérien. On trouve une preuve dans la division des Elus musulmans en deux groupes sur un point important de la « Charte revendicative » du Congrès : la représentation des indigènes algériens au Parlement français.

La charte, issue du Congrès du 7 juin, propose :

Collège électoral commun (avec les citoyens français) pour toutes les élections ; éligibilité pour tous les électeurs musulmans (concernant leur statut personnel musulman) ; et collège autonome.

Il y a longtemps que *La Défense*, l'un des organes de la Société des Oulémās, est dans ces formules. Dans son numéro du 15 mai 1936, après avoir rejeté le projet de représentation parlementaire proposé par le Sénateur Duroux, ce journal ajoutait :

Voulez le vice essentiel de ce projet qui offre, en effet, l'avantage de laisser subsister « le statut » musulman, mais qui fonde aux pieds et fonce plus que tout les autres le droit de citoyenneté et l'égalité réclamés avant tout par les Indigènes.

Et nous avons signalé ci-dessus, comment le 10 mai, à Alger, le conseiller municipal M. Bendjelloul avait fait voter une motion analogue par les auditeurs de sa conférence.

Or, sur l'initiative des Conseillers généraux Français d'Oran, le 19 octobre 1935, et à Constantine le 22, les assemblées départementales, en session ordinaire, ont adopté un vœu tendant à accorder aux indigènes algériens une représentation parlementaire, émise par le Collège électoral spécial institué par la loi du 4 février et le décret du 6 février 1919.

Il est remarquable que la majorité des Conseillers généraux musulmans ont voté pour ce mode d'élection et qu'à Oran, par exemple, deux seulement de ces Elus indigènes l'ont repoussé pour « en tenir au texte du Congrès musulman du 7 juin ».

Cette scission entre Conseillers généraux indigènes sur une question de cette importance mérite d'être notée. Elle montre que les Oulémās et leurs partisans, qui aspirent à noyer dans la

(1) Cf. dans l'*Alg. Fr.* (1936, p. 564) un extrait de cette intervention publique, non comme d'habitude par erreur par *Le Petit Matin*, mais par *Marsouin-Matin* du 13 août.

masse électorale indigène — avec collège unique — les électeurs français (qui seraient, d'après les chiffres de la population, en nombre sept à huit fois moindre) pour atteindre à la direction politique de l'Algérie — achèvement vers l'indépendance totale et le refoulement de l'élément français — ne sont pas suivis par les actuels représentants des indigènes.

Et que l'on n'aille pas supposer que cette assimilation électorale aux Français d'Algérie recouvre de la part des Oulémās un désir de rapprochement, de fusion avec la France. Il suffit pour en juger la illusion — pour ceux qui auraient pu l'avoir — de relire ce qu'a écrit le chef de ces mêmes Oulémās, M. Ben Badis, dans le n° d'avril de sa revue *Ech Chihab* :

Nous, les Oulémās, nous parlons au nom d'une grande partie de la population indigène, au nom de la majorité. Nous disons qu'il n'y a pas de patrie « que la France », vous ne nous représentez pas, vous ne parlez pas en notre nom, vous n'exprimez pas nos sentiments.

« L'histoire nous a appris que le peuple musulman d'Algérie a été créé comme tous les autres ; il a son histoire, illustrée de toute foi, il a son unité religieuse, sa langue, il a sa culture, ses coutumes, ses mœurs, avec ce qu'il en a de bon et de mauvais.

Cette population musulmane n'est pas de la France ; elle ne peut pas être de la France ; elle ne peut pas être de la France. C'est une population très éloignée de la France, par sa langue, ses mœurs, sa religion. Elle ne peut appartenir à la France, administrée par un Gouvernement général désigné par la France. Ce pays musulman est un ami sincère de la France, et ce n'est pas seulement ; mais il s'agit d'un dévouement d'amitié, non d'un assujettissement... »

Quel avertissement dans les lignes soulignées d'italique ! La haine des Oulémās est si forte qu'ils en publient jusqu'à la puanteur de chaque mot de style « accoutumés que cette « amitié sincère » pour la France, après ce qui précède, évoque, par tardive prudence, bien inconsciemment. On comprendra mieux cette réserve quand on aura lu avec un peu d'attention l'opinion de M. Cheikh Arslan, sur le fait franco-syrien de *Le Temps* du 4 novembre 1935, quelle que soit la bonne volonté d'ailleurs méritoire à laquelle s'est efforcé en l'occurrence le délégué à Genève du Comité arabo-palestinien.

Comment, au surplus, concilier cette « amitié sincère » des Oulémās pour la France avec leur manière d'agir, avec leurs enseignements au peuple que les pouvoirs publics n'ont pu tolérer dans les mosquées, avec leurs insinuations ou leurs attaques contre les serviteurs dévoués de l'administration française ? N'est-ce pas dans un de leurs journaux (*La Défense* du 12 juin 1935) que, à propos du « Congrès musulman » du 7 juin, l'on a pu lire :

Un fait essentiel et capital se dégage de tout ce qui a été dit ou fait au cours de cette journée historique du 7 juin : le musulman algérien, qui n'a rien à risquer et rien à gagner (1), est décidé à lutter jusqu'au bout et par tous les moyens pour avoir son droit à la vie sur la terre de ses ancêtres.

Est-ce pour mieux répondre ces contradictions et ces idées publiquement et clairement déçues bien assez dans les villes et les campagnes — que

les Oulémās ne cessent de harceler les pouvoirs publics, afin d'obtenir la libre disposition des mosquées, réclamée par M. Ben Badis dans *El Bassour* (29 mai 1935) ?

Est-ce pour mieux aboutir à la lutte pour l'indépendance, sur « la terre des ancêtres » et « par tous les moyens », que les Oulémās se faisant les représentants de la religion et qui apparaissent d'abord ceux du « nationalisme » musulman algérien, se sont alliés aux gens de l'irreligion et du marxisme international ?

Les oppositions qu'ils rencontrent nombreuses chez leurs coreligionnaires algériens, ayant gardé de la reconnaissance à la France pour la sécurité et le bien-être qu'elle a apportés à tous, leur donneront peut-être à réfléchir. Qu'ils méditent aussi, dans leurs visions de l'indépendance arabe et islamique de ce pays berbère, ces paroles de l'un des leurs (*L'Echo de la Presse musulmane*, 16 avril 1935), qui n'a pas oublié l'histoire du passé : « Un état ? un royaume (indigène d'Algérie) ? Et avec quoi ? Au bout de dix ans la moitié des nôtres aurait péri de misère, du typhus et de la peste, ou par les voies plus rapides du baroud et de l'assassinat ».

A.-G. BOUCHEREL.

## Pétrole colonial et Défense nationale

Les événements se sont multipliés et entrecroisés au point que, depuis huit mois, *L'Afrique Française* a gardé sur ce sujet un silence qui, cependant, n'implique de sa part aucun oubli, car ses préoccupations restent non seulement aussi vives qu'au mois de mai (cf. *Alg. Fr.*, 1935, p. 157), mais encore elles se sont accrues du fait des attitudes prises dans la Méditerranée. Ces préoccupations sont partagées par d'autres et en sens divers, voire différents et singuliers pour ne pas dire plus, qui se manifestent dans tous les pays. L'une de ces manifestations a retenu à juste titre l'attention du *Journal du Commerce* qui vient de publier au numéro (5 novembre) sous le titre : « Une opinion étrangère sur les possibilités françaises d'autarchie en matière de carburants », la traduction d'une étude donnée quelques jours plus tôt par le *Pétroleum Press Bureau* de Londres. Notre confrère a tout à fait raison de mettre sous nos yeux ce document, qu'il présente en écrivant notamment :

SAUF QUELQUES QUELQUES DÉFAVABLES LES TENDANCES GÉNÉRALES de ces certaines considérations, il est néanmoins possible de tirer un profit certain de telles critiques qui nous ont été adressées pour qu'elles soulignent des faiblesses apparentes de notre politique résultant, dans le présent des cas, de conflits d'intérêts particuliers. C'est ainsi que le *Pétrole Press Bureau* de Londres lui-même cette semaine a écrit sur les possibilités d'une entente des carburants en France, qui méritent de retenir l'attention de l'opinion française.

**ملخص مترجم بالعربية لأهم ما جاء في مقال: "الاضطرابات السياسية والدينية لدى المسلمين في الجزائر". الذي يعترف ضمناً بوجود حركة قومية جزائرية معارضة للاستعمار، ويبين الخطر الذي يشكله التيار الإصلاحي ممثلاً في جمعية العلماء على الوجود الفرنسي في الجزائر.**

هل يمكن التغاضي عن أن إدماج السكان الأصليين سياسياً ضمن إطار المواطنة الفرنسية، والمساواة التامة معهم باستثناء الأحوال الشخصية والقوانين الأسرية والاجتماعية والإرثية - وهي الأمور التي يطالب بها أشد العناصر تطرفاً بين الجزائريين - سيؤدي، في الحد الأدنى، إلى قلب جذري في موازين السلطة؟ ففي المجال الانتخابي، ووفقاً لهذا الطرح، وبموجب قانون الأغلبية (الملايين من الأهالي في مقابل 800 ألف فرنسي أو فرنسي-مُختلص)، يُفرض القانون من مضمونه، إذ تُستبدل إرادة أغلبية متعلمة وواعية بهتاف غوغائي لجماهير جاهلة تغذيها انفعالات التعصب الديني. وفي هذه الحالة، سيكون المسلم في موضع الهيمنة على الفرنسي، الذي كان يُعد، حتى ذلك الحين، الوصي على الجماهير الأصلية غير المثقفة، ولن يكون أمامه سوى أن يتنحى لصالح آخرين، وهو ما سيتم إعلانه به صراحة إن لم يُدركه سريعاً.

وهذا ما ملح إليه أحد الصحفيين المسلمين في صحيفة La Justice بتاريخ 25 أبريل 1936، في معرض تعليقه على موقف الاشتراكيين الشيوعيين، قائلاً: "إن اهتمام هذه الأحزاب بنا ليس إلا نتيجة لسعيها لنيل أصواتنا، وإن واجبنا أن ندعم من يدعونا. فليساعدونا في تنفيذ برنامجنا - لا أن نُعينهم في تنفيذ برامجهم. وعندما تُتَوَجَّ جهودنا المشتركة بالنجاح، سيتحقق الانسجام في نهاية المطاف".

لا مجال هنا لارتكاب أي خطأ أو إظهار أية علامة ضعف. لا ينبغي الانتظار حتى تصل حالة الوعي الجماعي إلى حد يمكن عنده لشرارة بسيطة أن تُشعل الفتيل، خاصةً إن جاء النداء من مسلمين يتحدثون بالعربية ويتمتعون بثقافة إسلامية، ممن لهم القدرة على التأثير في الجماهير الجاهلة والساذجة، بل وحتى على فئة لا يُستهان بها من ذوي الثقافة الفرنسية، الذين يرون في الإسلام رابطة سياسية واجتماعية ووطناً، بل أكثر من كونه ديناً فحسب. ومن الخطأ الشائع في فرنسا الظن بأن المسلمين الذين تلقوا تعليمهم في المدارس الفرنسية قد تبَنوا لغتنا وشهادتنا وطريقتنا في التفكير والشعور والتصرف، وأنهم اكتسبوا قيمنا في الفردية، والاستقلالية الفكرية، والنزعة النقدية "الديكارتية"، كما يُقال، وأنهم قد انخرطوا طواعية في إطار حضارتنا. هذا التحول ليس بهذه البساطة. فالشعوب الشرقية، والمسلمون على وجه الخصوص، ينتمون إلى جماعات ذات ذهنية جماعية، تفرض عليهم - حتى على من لا يلتزمون بممارساتها الدينية بشكل كامل - عادات وسلوكيات وقواعد اجتماعية وأسرية مُلزمة، ويُعاقب الخروج عنها بنزاع معنوي ومجتمعي. وهكذا يتكون رباط ديني-سياسي-اجتماعي، يُقيّد الفرد بجماعته طيلة حياته ويمنعه من الانخراط في جماعة أخرى (كالانتماء إلى الأمة الفرنسية مثلاً عبر التجنيس). الرد الاجتماعي ضد النفوذ الغربي يبدو اليوم أكثر وضوحاً من أي وقت مضى لدى الشرقيين، ويمكن ملاحظته حتى في الشعوب الآسيوية، كما في حالة الكوريين واليابانيين. ولمن أراد التعمق في ذلك، يمكن الرجوع إلى كتاب الكوري يونغ هيل كانغ المعنون في بلاد الصباح الهادئ (باريس، بلون، 1936)، والذي يعكس الذهنية الشرقية والروح الجماعية لدى الشرقيين "المتغربين"، فضلاً عن تماسكهم ضد "الأجنبي"، في هذه الحالة الياباني، الذي جاء يحمل معه هيمنة ونمطاً حضارياً غريباً.

وعليه، نتمنى مجدداً من المهتمين بمستقبل شمال إفريقيا ألا يُصَرَّوا على تجاهل ما يُحْطَط له منظمو الحركة القومية الإسلامية، تلك الحركة التي تتخفى وراء تصريحات الولاء لفرنسا و"الوطن المشترك"، وهي العبارات التي لا تزال تُرَتَّن بعض خطاباتهم.

صحيح أن الوضع في الجزائر بالغ الخطورة، ولكنه ليس عصياً على المعالجة. فما زال العديد من المدنيين، المسلمين والراشدين بأوضاعهم، يقاومون الانجرار وراء أي تحريض غير مشروع. أما القرويون، باستثناء بعض المناطق، فلم يصلهم التأثير بعد. إلا أن المبشرين بالأفكار المتطرفة باتوا ينتقلون في أعماق "البلاد الجزائرية"، حاملين معهم منشورات وكتيبات باللغة العربية، يوزعونها خفية، ويشرحون مضامينها بما يخدم أهدافهم. رغم ذلك، فإن استمرار جباية الضرائب بشكل منتظم في القرى والمدن يشجع على شيء من التفاؤل. وكذلك الاستدعاءات الأخيرة لجنود الاحتياط من السكان الأصليين، التي أظهرت نتائج إيجابية ولم تُسجل فيها أية مظاهر رفض أو سلوك عدائي.

لكن، لا يمكن إنكار أن الأزمة تتفاقم بسرعة، وقد آن الأوان للوقوف عند أسبابها المختلفة، والتي تعود، في أغلبها، إلى عوامل سياسية. ولم يعد مقبولاً من الجهات المسؤولة عن الأمن والنظام، سواء في الجزائر أو في شمال إفريقيا عموماً، الاستمرار في الغفلة والتقاعد. وفي اللحظة التي قرر فيها مجلس الوزراء

الفرنسي (بتاريخ 14 أكتوبر الماضي) عرض مشروع قانون يقضي بتوسيع الحقوق الانتخابية لعدة فئات من الأهالي الجزائريين، فإنه من الضروري التذكير بهذه الاعتبارات المتعلقة بفكرة "الإسلام كوطن" أو حتى "العروبة كوطن"، وهي المفاهيم التي يوظفها قادة الشعب المسلم في الجزائر لمعارضة قوانيننا المدنية والعائلية، في الوقت ذاته الذي يطالبون فيه بالمساواة في الحقوق مع المواطنين الفرنسيين. إن التحركات الدعائية الجارية تحت هذه الذرائع وغيرها، والتي يقودها عدد من السكان الأصليين، هي ما نحاول في هذا المقام تحليله ودراسته. التيارات الوطنية والدينية في الجزائر: جمعية العلماء المسلمين نموذجًا.

تعدّ كثيرة هي التنظيمات التي يسعى من خلالها الأهالي (السكان الأصليون) إلى جلب ممثلين عن مختلف الطبقات الاجتماعية للمسلمين الجزائريين إلى المدن، بهدف بلوغ الاستقلال والتحرر من الوصاية الفرنسية. وقد سبق أن أشر في هذا النشرة إلى أن قادتهم على اتصال بزعماء الحركات القومية العربية (البان-عربية) والوهابية، سواء في إفريقيا (مصر، تونس) أو في آسيا (سوريا، فلسطين، الحجاز)، بل وحتى في أوروبا (كما هو الحال مع شكيب أرسلان)، أو كذلك مع أوساط الشيوعيين.

ويمكن تلخيص التكوينات الوطنية-الإسلامية في الجزائر في مجموعتين رئيسيتين: جمعية العلماء المسلمين والخلايا الشيوعية. وتطور حول هاتين المجموعتين شخصيات من جمعيات المنتخبين المسلمين، إضافة إلى العديد من النوادي، والجمعيات الثقافية، والأندية الرياضية، وغير ذلك. ومن بين هذين التيارين - العلماء والشيوعيين - اللذين تقاربا في نهاية المطاف، فإن جمعية العلماء تعدّ الأكثر نشاطًا، وتنظيمًا، وتأثيرًا في أوساط البرجوازية الحضرية، والأقدر على إقناع الأهالي بفضل الأساس الديني الذي تتبناه.

زعيم هذه الجمعية، الشيخ عبد الحميد بن باديس، لم يقتصر في دعوته على الإصلاح الديني الضيق (والذي هو بدوره مرن تبعًا للظروف)، بل أعطى حيزًا واسعًا للسياسة تحت مسمى "الوطنية الإسلامية". وهذا طبيعي من رجل تلقى تعليمه في جامع الزيتونة، وتأثر بمدرسة الحزب الدستوري التونسي، الذي يُعدّ بدوره امتدادًا لحزب الوفد المصري، واللذين يشتركان في هدفهما: رفض الوصاية الأجنبية. وقد عرض الشيخ بن باديس أفكاره، بصفته مصلحًا سياسيًا واجتماعيًا ودينياً للمجتمع المسلم الجزائري، في مجلته الشهرية "الشهاب"، وأهم ما جاء في برنامجه يمكن تلخيصه كالآتي:

- جعل اللغة العربية اللغة الوطنية للجزائريين، وتعليم العربية الفصحى، لغة الدين والأمة، في العديد من المدارس الخاصة والمعاهد (المدارس الحرة) - تنقية الدين الإسلامي في الجزائر من الخرافات والتأثيرات الأجنبية التي تسلمت إليه عبر الزمن، والعمل على تطهيره، ولا سيما من التصوف الشعبي، والطرقية، والمرابطة، التي يرى أنها تساهم في إبقاء الشعب في الجهل والتخلف.

- العودة بالإسلام الجزائري إلى نقائه الأول، من خلال تفسير عقلائي للقرآن، ودراسة الأحاديث النبوية، والسعي لاستبعاد المذاهب التقليدية، خاصة المالكية، باعتبارها باتت غير صالحة - حسب رأيه - لعصر الحداثة.

- إعادة ربط الشعب الجزائري بالثقافة الإسلامية الأصيلة، التي أجمرت العالم في الماضي، شرقًا وغربًا، ومن خلال ذلك، إيقاظ الوعي بالذات، وتعزيز الإحساس بالقوة، بل والتفوق الأخلاقي والفكري على الغرب، مما يقود في النهاية إلى الاستقلال.

- تحقيق المصالحة بين جميع سكان الجزائر: بين السنة والشيعة، بين الناطقين بالعربية والأمازيغية، بل والدعوة إلى وحدة ودية بين العناصر العرقية والدينية المختلفة. غير أن هذه النقطة الأخيرة تتداخل مع عمل الإدارة الفرنسية، التي - كما أشر سابقًا - سعت إلى تشويه سمعة العلماء وتقويض جهودهم.

تلك هي الخطوط الكبرى للبرنامج الذي تسعى إلى تطبيقه "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين"، التي تأسست في الجزائر العاصمة في 5 مايو 1931، والتي يترأسها الشيخ بن باديس منذ تأسيسها بكل نشاط. وقد قام الشيخ باختيار مبعوثين، دعاة، على غرار ما كان عليه الأمر في عصور الدعوة الإسماعيلية، وهم من خريجي الجامعات الإسلامية في تونس وسوريا والحجاز ومصر، ومن تلامذته في مدرسته الخاصة. استقر هؤلاء الدعاة في مختلف المدن والمراكز ذات الغالبية المسلمة في ولايات الجزائر الثلاث. هؤلاء الإصلاحيون مكلفون بنشر الأفكار وتنقيف الناس عبر الخطابة (محاضرات، أحاديث، مؤتمرات)، والكتابة (صحف، مجلات، منشورات)، ومن خلال تأثيرهم الشخصي. وقد تكونت في كل من هذه المراكز خلية إصلاحية. غير أن الإدارة الفرنسية، إدراكًا منها لخطر هؤلاء "المبشرين الإصلاحيين"، غالبًا ما منعتهم من استخدام المساجد الرسمية في أنشطتهم التعليمية، إلا أنهم تجاوزوا هذا الخطر. فصار التعليم يتم في مقرات خاصة (مدارس حرة)، تم شراؤها أو استئجارها من قبل أتباع الجمعية المحليين، وفي النوادي والأندية الثقافية، أو حتى في المنازل الخاصة، أو خلال مناسبات عائلية (مثل الخطوبة) التي تُقام في المساجد، ويُوجّه الحضور إليها عبر دعوات شخصية. وفي كل



مناسبة، يستغل هؤلاء المصلحون، الذين غالبًا ما يتمتعون ببلاغة فائقة، الفرصة للحديث بالفصحى أمام جمهور متعاطف يتزايد عدده باستمرار. ويعتمد الشيخ بن باديس في تنفيذ إصلاحه السياسي والديني في ولاية قسنطينة على اثنين من المساعدين المقربين، أحدهما مسؤول عن الدعاية، والثاني مفتش لمهام الجمعية.

(ملاحظة 3: رغم أن السكان المسلمين واليهود في الجزائر، بحكم حياتهم العائلية المغلقة، حافظوا على هويتهم الخاصة، وكانت علاقاتهم مع النساء الأوروبيات شبه منعدمة، فإن بعض مظاهر التعاطف الفردي بين الأفراد من المجموعات العرقية الثلاث كانت ممكنة قبل عشر سنوات. لكن منذ ذلك الحين، بدا أن المسلمين يرغبون في الانغلاق على أنفسهم بشكل متزايد، إذ أصبحت الجمعيات التي أسسوها مؤخرًا حكرًا عليهم).

تُعدّ منطقة الحجاز، مهد الإسلام ومركز الوهابية المعاصر، لاسيما في مكة والمدينة، المكان الذي قضى فيه السيد الطيب العقبي، المولود في منطقة بسكرة، قرابة خمسة وعشرين عامًا من شبابه في طلب العلم. وهو يشغل حاليًا منصب المندوب الأول لجمعية العلماء المسلمين ورئيس حركة الإصلاح في إقليم الجزائر. يتمتع العقبي بالمام واسع بالسياسة العربية خلال الثلاثين عامًا الماضية، كما أن له صلات مباشرة بجهات عليا في المملكة السعودية من خلال شقيقه السيد مصطفى، الذي يعمل في خدمة الملك ابن سعود، زعيم الوهابيين وأقوى الحكام العرب، والذي تتجه إليه أنظار العديد من المجتمعات الإسلامية بصفتها المنقذ، بل إن بعضهم يعتبره الخليفة المرتقب للإسلام المتجدد والمتحرر من الهيمنة الأوروبية.

يُعدّ الشيخ الطيب العقبي رجل عمل، وأستاذًا، وصحفيًا، ويمتيز بفصاحة اللسان في اللغة العربية. ويضاف إلى ذلك مكانته الكبيرة بين مسلمي الجزائر، التي اكتسبها من إقامته الطويلة في البقاع المقدسة. وقد كان من الطبيعي أن يُكلّف بتنفيذ مشروع الإصلاح في مدينة الجزائر وفي الإقليم بأسره.

أما زعيم الإصلاح في إقليم وهران، الشيخ البشير الإبراهيمي (المعروف أيضًا باسم طالب البشير)، فهو من أصول ريفية، وينحدر من أسرة بربرية متواضعة تعمل بالزراعة، وتحديدًا من أولاد إبراهيم في منطقة سطيف. بدأ تعلمه بحفظ القرآن الكريم في موطنه، ثم درس مبادئ النحو والفقه في إحدى الزوايا القبلية. بعد ذلك، توجه إلى سوريا، حيث أقام في دمشق لعدة سنوات، تلك الأرض التي تُعدّ معقلًا للتيارات القومية العربية والإسلامية. وهناك، تشرب ثقافة عربية وإسلامية عميقة، واكتسب توجهات استقلالية ومعارضة للهيمنة الأوروبية، نتيجة احتكاكه المباشر بالمسلمين في المشرق العربي.

وبعد عودته إلى الجزائر عبر تونس، أمضى بعض الوقت في منطقة سطيف-توقرت بحثًا عن مكانة اجتماعية. ثم عيّنه الشيخ ابن باديس عام 1932 لتأسيس الخلية الإصلاحية في تلمسان، وتنظيم الدعاية الفكرية في إقليم وهران عبر إنشاء خلايا أخرى.

وتُظهر الخلفيات المختلفة لزعماء الإصلاح الثلاثة أن الحركة الإصلاحية الجزائرية (الإصلاحيون) نشأت تحت تأثير مزدوج: من جهة، الفكر الدستوري التونسي المستمد من القومية المصرية، ومن جهة أخرى، الحراك السياسي العربي في سوريا، وأخيرًا، العقيدة الدينية والقومية التي يُجسدها الملك ابن سعود، والتي بات الحجاج المغاربة الذين يعودون من مكة يُمجّدونها في الجزائر.

وقد اختار الشيخ ابن باديس، وأشرف على عملهم، معلمين جزائريين درسوا على يده أو في جامعات إسلامية بالخارج، وهؤلاء لا يحملون شهادات معترفًا بها من الإدارة الاستعمارية الجزائرية. وُزّع هؤلاء المعلمون على المدن والقرى لمواصلة الدعوة الإصلاحية ونشر التعليم العربي ذي النزعة الوطنية في المدارس الحرة (المدارس الخاصة).

وعلى عكس ما يعتقد كثير من الفرنسيين، ممن يرون أن المدارس القرآنية لا تعدو أن تكون مؤسسات تعليمية تلقينية تقوم على الحفظ الآلي دون فهم، فإن هذه المدارس لا تقتصر على التعليم الديني، بل تهدف إلى تدريس اللغة العربية وكل ما من شأنه أن يُعزّز ويُثمي الروح الوطنية الإسلامية الجزائرية. وقد أشار الأستاذ ديسبارمييه في هذا الصدد إلى طبيعة هذه المدارس وطابعها الخطير (1935، ص 104 و 229)، الأمر الذي لا حاجة لتكراره هنا. ويُدرِك الحزب الشيوعي الجزائري، رغم موقفه المعروف من المسألة الدينية، خطورة هذه المدارس؛ ففي تعليق له حول محاضرة ألقاها الشيخ العقبي في الجزائر العاصمة في أكتوبر 1935، صرّح أحد أعضائه في جريدة "النضال الاجتماعي" قائلاً: "نحن نرحب بهذا الميل المتزايد لدى إخواننا نحو تعلم اللغة العربية، اللغة الوطنية، من أجل الدفاع عن ثقافتنا ووحدتنا. إن حزيننا الشيوعي العربي سيبدع بكل قواه تحقيق مطالب الجزائري الكبرى. ونؤمن بأن وحدة المسلمين يمكن أن تتحقق تحت راية الخلاص الفاشي، وأن لغتنا النبيلة لم تُخلق لتردد نشيدًا ثوريًا مثل (لامارسيين)، الذي عزف على أنغامه عند استبعادنا قبل 105 سنوات".

هذا التعليم الحر في اللغة العربية وما يصاحبه من تربية وطنية، أصبح يجذب عددًا متزايدًا من الفتيات الجزائريات. ففي بعض مدن إقليم قسنطينة مثل عنابة وقسنطينة وسطيف، توجد أقسام للخياطة والتعليم العملي تُدرّسها معلمات فرنسيات، مما يدل على مرونة هذا التنظيم وتنوع أنشطته. وبهذا، يتجلى أمامنا نظام تعليمي كامل، عربي-إسلامي ووطني، نشأ في مقابل النظام التعليمي الذي تُشرف عليه الإدارة الاستعمارية الجزائرية، سواء في المدارس الرسمية أو في المساجد الكبرى، والتي يشترط فيها اختيار المدرّسين بناءً على شهاداتهم ومؤهلاتهم، فضلاً عن كفاءتهم الأخلاقية والمهنية.

إنّ هذا النوع من التعليم العربي والإسلامي، الذي يُقدّمه معلمون منتقون وممّولون وتحت إشراف مباشر من فرنسا، لا يجد قبولاً بأيّ حال من الأحوال لدى المصلحين في المجتمع الجزائري المسلم. وقد عبّر عن هذا الرفض بصراحة السيد الأمين العمودي، الأمين العام لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، في مقال نُشر بجريدة الدفاع حول "تعليم اللغة العربية". نقتطف منه المقاطع التالية:

"نحن لا نرغب في تعليم يُقدّم تحت إشراف وسيطرة الإدارة الجزائرية، تلك السيطرة التي لا تخلُ من شدة وتضارب مصالح، ومن قِل معلمين غير مؤهلين، لا يملكون لا العلم الكافي، ولا الكفاءة المطلوبة، ولا السلطة الأدبية الضرورية. المسلمون الجزائريون لا يطلبون سوى أمر واحد: الحرية التامة والمطلقة في تعليم لغتهم، على يد معلمين يختارونهم بأنفسهم، بناءً على أخلاقهم وكفاءتهم، دون أي تدخل خارجي. ولندكر أولئك الذين يقررون مصائرنا بأنّ المسلم يعتبر أيّ مساس بلغته بمثابة اعتداء على دينه".

مرةً أخرى، تبدو الدين في أرض الإسلام ستاراً مريحاً يُستخدم لإخفاء مقاصد لا يُراد لها أن تكون موضع نظر أو تدخل من غير المختصين. لكنها أيضاً رافعة قوية طالما استُخدمت عبر التاريخ، في شمال إفريقيا، من قبل الدعاة أو الحالمين، لتحريك الجماهير المؤمنة ودفعها إلى التمرد على السلطات القائمة. لقد تكرر هذا المشهد منذ عهد الدوناتيين في إفريقيا المسيحية، ومروراً بالخوارج والشيعة في العصور الأولى للإسلام، ثم الموحدين في القرن الثاني عشر، وأخيراً الطرق الصوفية والمرابطين الشرفاء الذين أسسوا السلالات الملكية في المغرب خلال القرن السادس عشر. ولا ننسى أيضاً الثورات التي شهدتها الظهير الجزائري من بون مزا إلى يعقوب في مرجريت-ميليانا، وصولاً إلى باشاغا المقراني الذي استند في حركته إلى الطريقة الرحمانية في الجزائر الفرنسية.

فهل من المبالغة القول إنّ الدين كان في غالب الأحيان الحافز أو الذريعة للانتفاضات، صغيرة كانت أم كبيرة، في بلاد الأمازيغ؟ ينبغي إذن ألا نغفل عن أن جمعية العلماء، بقيادة الشيخ ابن باديس، قد أطلقت حركتها الإصلاحية تحت شعار "إحياء العقيدة الإسلامية"، سعياً لتكوين وعي جماعي حول وطن إسلامي جزائري، تكون العربية لغته الأم.

وقد تمكّن هذا التعليم الحر - الذي يعتبره البعض تعليمًا متمرّداً - من تحبّب رقابة الإدارة الاستعمارية عبر اتخاذ شكل نشاط ديني خالص. فباسم جمعية دينية، يتم إنشاء مدارس جديدة على الدوام، مثلما جاء في بيان من مدينة "خرطاة" (بجاية):

"بفضل ترخيص من الإدارة، تأسست جمعية للتعليم، تعتمد الأساليب الحديثة في التدريس. وتم عقد اجتماع لبحث إنشاء مدرسة، وجمع ما قدره 16,700 فرنك". وقد حلّص الأستاذ أحمد المدّاني، في مقدمة كتابه تاريخ الجزائر حتى يومنا هذا (1932)، المبادئ الأساسية للحركة الإصلاحية في كلمات مقتضبة: "الإسلام ديننا، الجزائر وطننا، والعربية لغتنا".

لم يعد الإصلاحيون، مثل السيد الأمين العمودي، يقتصرون في نقدهم على المعلمين الرسميين الذين تعيّنهم الإدارة، مهما كانوا متمسكين بالإسلام ومتعاطفين مع فرنسا. بل امتد النقد الآن ليشمل موظفي الشؤون الدينية، والقضاة الشرعيين المسلمين، الذين تعيّنهم الإدارة الفرنسية كذلك. إذ يُشاع بين الناس، من قِبل محرضين محليين، أن الصلاة خلف إمام يتقاضى راتبه من الإدارة لا تصح، وأن أحكام القضاة المسلمين الذين يتقاضون أجوراً تحددها السلطات الفرنسية باطلة. وقد أوردت صحيفة النجاح (الصادرة بقسنطينة بتاريخ 1 مايو 1936) أن مثيري الفتنة يحرضون الناس على عدم الصلاة في المساجد. كما طُرح السؤال في صحيفة البصائر (التي يشرف عليها الشيخ العقبي): هل تُقبل الصلاة التي يؤمّها إمام موظف تابع للإدارة؟

إن مثل هذه الادعاءات تمسّ وجدان الجماهير المسلمة، وتُعدّ مثار اضطراب كبير في صفوف الشعب الجزائري المؤمن، الذي غالباً ما يجد صعوبة في التمييز بين الكفاءة الفكرية والروحية لمن يدّعي تمثيله. ويكمن جوهر هذا الاضطراب في وجود تيارين متوازيين من العلماء المسلمين: العلماء الإصلاحيين، والعلماء التقليديين (المحافظين). فالتيار الأخير - وهم حماة التقاليد الفقهية والمدارس السنية - يتّسم بالاحتياط في تفسير العقيدة والشرعية، ويتسامح في العادات الشعبية، ويتأثر بشكل كبير بالطرق الصوفية. وقد تنبّه هؤلاء، على خلاف خصومهم الإصلاحيين، إلى أن جمعية العلماء المسلمين تُشكل خطراً حقيقياً على الدين الشعبي وعلى التصوف، مما دفعهم، بعد نحو خمسة عشر شهراً من تأسيس الجمعية الإصلاحية، إلى



إنشاء جمعية العلماء السّنيّين (أو التقليديين) في سبتمبر 1932. ويُطلق الإصلاحيون على هؤلاء اسم "الطريقين"، في إشارة إلى ارتباطهم بالطرق الصوفية، ويستخدمون هذا الوصف على نحو فيه ازدراء واضح. ولا يُستغرب أن هذه الجماعة الثانية - المكوّنة غالبًا من موظفين رسميين، وقضاة، وأساتذة، وزعماء دينيين - لم يكن لها نشاط تنظيمي فعّال أو برنامج عمل ثوري. بل كانت جماعة من ذوي الحكمة والتجربة، تفتقر إلى الطابع النضالي، الأمر الذي جعل تأثيرها محدودًا مقارنة بالمد الإصلاحي.

إنّ النجاح الذي حققته جمعية العلماء المسلمين يعود إلى أنّها واجهت منافسيها بقيادة رجال حازمين، نشيطين ومبشرين، استطاعوا أن يجسّدوا في برنامجهم - المطروح في لحظة ملائمة - شتات الطموحات غير الواضحة لجماهير متأثرة بأزمة اقتصادية لا تملك أدوات لمواجهة، وطموحات شباب متحمّس، مخدوع بسرّاب الاستقلال، راغب ككل الشباب في التحرّر من هيمنة من يحكمونه اليوم. لهذه الأسباب، ولأنهم قدّموا أنفسهم كحاملين وحيدين للعلم الإسلامي في الجزائر، محررين من سلطة "إدارة الكفار"، وجد علماء الإصلاح (الإصلاحيون) أنفسهم في موقع ملائم للنجاح. وبفضل برنامجهم الوطني والوطني-الديني الذي يسعى إلى نهضة المسلمين الجزائريين، تمكّنوا من جذب فئات متنوعة ومتباينة من السكان الأصليين: من جهة، مثقفون مثبّعون بالتعليم العربي الإسلامي - علماء ريفيون وحضرّيون يحقّقون المدارس الفرنسية ولا يتقنون لغتها، ومن جهة أخرى، مثقفون مفرنسون بالكاد يعرفون اللغة العربية أو الدين الإسلامي، ولا يلتزمون غالبًا حتى بأبسط فرائض العبادة.

وبين هذين الطرفين، تمتد مجموعة واسعة من الساخطين، والطامحين، والجهّال المتدينين، الذين افتتنوا ببلاغة هؤلاء القادة الذين يدعون إلى استقلال الشعب الجزائري المسلم، وإلى بعث حضارته الإسلامية كما كانت في القرون الوسطى. ولتنفيذ برنامجهم، وتأمين أكبر قدر ممكن من حرية التعليم والصحافة، سعى العلماء إلى كسب تأييد المنتخبين المسلمين، بل وبعض الفرنسيين أيضًا في المجالس الجزائرية، باعتبار أن هؤلاء هم صلتهم بالإدارة الاستعمارية، وأداة لإقناعها بسلامة نواياهم. فقد شاركوا بفعالية في الانتخابات الجزائرية، سواء على مستوى المجالس العامة، أو لجان الشؤون المالية، أو البلديات، أو مجالس "الجماعات"، خلال سنتي 1934 و1935. وقد عرض الكاتب "ج. مينو" في مقالات سابقة نماذج من النجاحات التي أحرزها العلماء في هذا المجال.

ورغم أنّهم ظلوا رسميًا خارج التنافس الانتخابي، إلا أن الشيوخ وقادة الخلايا الإصلاحية نجحوا في تمرير عدد معتبر من مرشحيهم. وأصبح بوسعهم الاعتماد على دعم قوي من نواب مسلمين في مختلف المجالس، بل أحيانًا حصلوا على الأغلبية أو السيطرة الكاملة في مدن أو مناطق بعينها. هؤلاء النواب أصبحوا، في كثير من الحالات، مدافعين مخلصين عن جمعية العلماء ومنفذين لتوجهاتها وتطلعاتها.

أليست مبادرة استرجاع مسجد في وهران - استُخدم منذ الاحتلال مقرًا لخدمات الإدارة العسكرية - قد جاءت نتيجة لتحرك ممثلي السكان المسلمين في المجلس البلدي ثم في المجلس العام لوهران؟ وقد كُلف هذا الاسترجاع خزينة الدولة الجزائرية، والإدارة المحلية، وبلدية وهران مبلغًا قدره 400,000 فرنك، لتأمين مقر بديل لإدارة التموين العسكري. أليس هو المستشار العام المسلم في تلمسان، السيد طالب، من كتب بتاريخ 3 مارس 1936 مقالًا مطوّلًا نُشر في الصحف، يدافع فيه عن العلماء وعن دعوتهم، ردًا على مقال في جريدة Le Temps بتاريخ 21 فبراير، اتّهم فيه العلماء بالنشاط المعادي لفرنسا؟ أليس هو أيضًا المستشار العام السيد بن خلاف، من جيغل، من قدّم مقرًا تابعًا له كمأوى للمدرسة الخاصة التي أنشأها العلماء في المدينة، والتي يديرها منذ أربع سنوات الشيخ القبائلي محمد الطاهر سهلي؟ ولا يصعب العثور على أمثلة مشابهة، في مختلف أنحاء الجزائر، على الدعم الذي يقدّمه المنتخبون الأصليون للمشروع الذي يقوده الشيخ ابن باديس وجمعية العلماء المسلمين.

لقد بات النشاط السياسي لجمعية العلماء أكثر وضوحًا مما كان عليه في السابق، لا سيما بعد الانتخابات التشريعية في أبريل-مايو 1936، ومع وصول وزارة جديدة إلى الحكم، وهو ما فتح أمام "المدافعين عن حقوق المسلمين الجزائريين" آفاقًا رحبة للأمل، كما يقولون. وقد أعلنت مجلة الشهاب (عدد يونيو 1936) أن "اليسار قد فاز في الانتخابات التشريعية، وهو ما حمل معه آملاً كبيرة لسكان المستعمرات، وبلدان الحماية، ولأولئك الذين منحوا ثقتهم للمتصرّين، الذين وعدوا بإجراء تحسينات على أوضاع الشعوب."

وفي 15 مايو، عُقد في قسنطينة اجتماع برئاسة مدير جريدة الدفاع، بحضور كل من الشيخ ابن باديس والسيد بن جلّول، في نادي الاتحاد، حيث تقرّر عقد مؤتمر إسلامي كبير في الجزائر العاصمة، لتحديد برنامج مطالب يُعرض على الحكومة الجديدة. وفي 16 مايو، في الجزائر العاصمة، وتحديدًا في نادي التقدم، وهو مقر جمعية العلماء، ألقى أحد المستشارين البلديين، السيد بن الحاج، خطابًا أمام جمهور غفير، تقدّم فيه بمقترح ينادي بتمثيل برلماني

للسكان الأصليين الجزائريين، ويدعو إلى إدماجهم في "الكلية الانتخابية الفرنسية"، مع التأكيد في الوقت نفسه على أن هذا لا يعني التخلي عن وضعهم القانوني الخاص، لأن "ممارسة الحقوق السياسية، كما يقول المقترح، مستقلة عن الحقوق المدنية". وقد بدا أن العلماء، الذين ترددوا طويلاً في الانخراط العلني في العمل السياسي، باتوا الآن أكثر ميلاً للمشاركة المباشرة في الحراك السياسي العام.

لقد خرج العلماء الإصلاحيون من تحفظهم التقليدي بشأن المشاركة في الشؤون السياسية والعامة، وسعوا إلى إظهار تعاطفهم مع أحزاب اليسار المتطرف واليسار المعتدل، المنضوية تحت راية "الجبهة الشعبية". يا له من مشهد صادم للعلماء التقليديين، أن يروا تلاميذاً مسلمين شباباً، من طلاب مدارس خصومهم (العلماء الإصلاحيين)، يسرون خلف شيخهم، في 14 يونيو، ضمن صفوف المسيرات الاحتفالية بالجبهة الشعبية. هؤلاء الشباب الوطنيون كانوا يرددون النشيد الأممي "الأُمّية" مترجماً إلى العربية خصيصاً لهذه المناسبة، ويسرون تحت الراية الحمراء، رافعين قبضاتهم! لقد لعب العلماء الإصلاحيون دوراً محورياً في الاجتماع الذي عُقد في الجزائر العاصمة يوم 7 يونيو 1936، والذي أطلق منظموه عليه اسم "المؤتمر الإسلامي الجزائري". وفي كل المظاهرات التي سبقت المؤتمر أو واكبته أو تبعتها، كان العلماء دائماً في الواجهة: يُلهمون ويوجهون ويقودون.

فعلى سبيل المثال، في وهران، تولى قيادة اللجنة التنسيقية لمنطقة الغرب الجزائري (الورانية) شيخ الإصلاحيين هناك، الأستاذ الحر وممثل جمعية العلماء المسلمين، الذي يشغل أيضاً منصب النائب الثاني للرئيس، الشيخ السعيد الزاهري. وقد أعلنت الصحافة دور هذه اللجنة من خلال بيان صدر في 1 يونيو 1936 تحت عنوان: "تكتل التنظيمات الإسلامية في الغرب الجزائري"، وجاء فيه: "يبدو اليوم في أنحاء البلاد كافة أن شعب الجزائر يشعر بضرورة تنظيم جهوده وتنسيقها من أجل تحقيق مطالبه. وقد أدرك ناشطون من عدة تنظيمات أهمية توحيد الصف بين مختلف الهيئات الثقافية، والدينية، ونقابات المحاربين القدماء، والنقابات العمالية، والجمعيات الرياضية والخيرية، لتشكيل تكتل متماسك لا يهدف فقط إلى إعداد برنامج للمطالب، بل يسعى كذلك إلى تحقيقها من أجل رفاهية وحرية الشعب المسلم في الجزائر.

من أجل حريتنا ورفاهيتنا، فإن المصالحة بين كل التنظيمات الإسلامية، وبين جميع الشرائع الاجتماعية للمجتمع المسلم، تبقى السبيل الوحيد لتنسيق جهودنا وتحقيق أهدافنا. وقد تم تشكيل لجنة تضم ممثلين عن عدد من التنظيمات في وهران. وتمثل غايتها في توحيد مختلف الشرائع الاجتماعية حول برنامج مشترك، والترويج للمؤتمر الإسلامي الجزائري المرتقب عقده قريباً في الجزائر العاصمة. وندعو جميع التنظيمات الإسلامية في الغرب الجزائري إلى الانضمام إلى صفوف هذا التكتل من أجل صياغة برنامج موحد والمشاركة في أعمال المؤتمر". وتبع هذا البيان توقيع الشيخ الزهيري وثلاثة عشر ممثلاً آخرين عن جمعيات إسلامية مختلفة. وكان الشيخ الزهيري أيضاً أول من ورد اسمه ضمن قائمة السبعة عشر مندوباً لما يُعرف بـ "تكتل التنظيمات الإسلامية"، المكلفين بالمشاركة في مؤتمر الجزائر والدفاع فيه عن برنامج الإصلاحات الذي أقره المؤتمر الوطني للحزب الاشتراكي (SFIO)، وفي الولايتين الجزائرتين الأخرين (قسنطينة والجزائر)، كانت تُعدّ تحضيرات مماثلة لانعقاد المؤتمر.

أما عن رغبة العلماء في المصالحة بين المجموعات الإسلامية ذات الطابع غير المتجانس، من السكان الأصليين من شتى الطبقات الاجتماعية، والمستويات الفكرية والدينية، سواء كانوا عرباً أو بربراً، فهي تنسجم تماماً مع الرؤية التي كان الشيخ ابن باديس يسعى إلى تحقيقها: دمج كل الجزائريين الأصليين في جبهة واحدة. وهذه الرؤية نفسها يتبناها الحزب الشيوعي الجزائري، كما عبّر عنها في جريدة الصراع الاجتماعي: (La Lutte Sociale) "حزبنا الشيوعي يطلق صرخة تحذير: أيها العرب، أيها القبائل، أيها الميزابيون، انتبهوا! فنحن جميعاً مضطهدون من قبل عدو مشترك: الإمبريالية. لا تزرعوا الكراهية بينكم. إن مثال إخواننا في مصر، الذين تمكنوا، رغم كل مناورات الإمبريالية البريطانية، من تشكيل جبهة وطنية موحدة، يجب أن يكون درساً لنا... بوحدتنا سننصر". إن هذه الأهداف المتمثلة في مقاومة الإمبريالية الفرنسية عبر "الجبهة الوطنية الإسلامية الجزائرية"، التي توحد السكان الأصليين المتصالحين في وجه "الأجنبي"، وتدعو إلى الاستقلال الكامل، تنسجم تماماً مع رؤية العلماء، إلى درجة أنهم بدأوا يقتربون من الخطاب الشيوعي. بل ويبدو أنهم باتوا قادرين على توجيه العناصر الأصلية ضمن هذا التيار حسب إرادتهم.

وبعد أن ساهم قادة العلماء بشكل واسع، كما سبقت الإشارة، في التحضير لمؤتمر الجزائر، احتلوا مكانة بارزة فيه، حيث جمع هذا الاجتماع عدداً كبيراً من السكان الأصليين من الولايات الثلاث. وقد أُنيطت بالمهمة الصعبة لرئاسة هذه الجمعية المتنوعة والمزدحمة بالسيد الدكتور بن جلول، رئيس اتحاد المنتخبين المسلمين في الجزائر. أما العلماء، فقد كانوا مصدر الإلهام وراء أغلب القرارات التي اتُّخذت، واستثمروا مكانتهم المعنوية في تحفيز المعتدلين - المتجمعين حول الدكتور بن جلول - وتهدئة المتحمسين من الجناح الاشتراكي-الشيوعي، لتفادي المطالب المبالغ فيها أو غير المناسبة.

وقد لخص بيان صحفي مقتضب نتائج هذا المؤتمر على النحو التالي: "لقد خرج المؤتمر الإسلامي الجزائري بنتيجة رئيسية: وهي إجراء حوار علني، حر، وفي مناخ من المصالحة العامة، بين جميع التوجهات المختلفة". ومن المؤتمر أيضاً، خرجت مهمة عملية تم تبنيتها بالإجماع: التشكيل الفوري للجنة تنفيذية للمؤتمر، تكون مهمتها جمع وتوحيد وتنسيق جميع الجهود، بهدف تنفيذ "الوثيقة المطالبة" الخاصة بالمسلمين الجزائريين. وقد تم تعيين لجنة مؤقتة تضم ثلاثة منتخبين، وثلاثة علماء، وثلاثة ناشطين سياسيين، تتولى مهمة تشكيل اللجنة التنفيذية النهائية. وقد شرعت هذه اللجنة فوراً في عملها، وقدمت للرأي العام الخطوط العريضة للوثيقة المطالبة، كما أعلنت عن عقد اجتماع في الجزائر يوم 5 يوليو المقبل، يجمع مندوبي مختلف المناطق الجغرافية في الجزائر، ليقوموا باختيار أعضاء اللجنة التنفيذية النهائية من بينهم.

أصبحت اللجنة المؤقتة، بعد انضمام عدد من الأعضاء الإضافيين إليها، يوم 5 يوليو، اللجنة التنفيذية المدبرة؛ وهي التي شكّلت بمفردها وفد المؤتمر الذي توجه إلى باريس لعرض "الميثاق المطالب" على السلطات الرسمية. وقد عكست تركيبة هذه اللجنة بشكل كبير صورة الجمعية التي انعقدت في 7 يونيو. فمن كانوا قادة هذا الاجتماع؟ بعض المسلمين من أعضاء المجالس الجزائرية، الذين كانوا يمثلون، في واقع الأمر، آراء فئة معينة من المنتخبين الأصليين، وليس كل العلماء، رغم أن قادتهم لعبوا، كما ذكرنا، دوراً رئيسياً في هذه المسألة. كما ضمت اللجنة بعض "الناشطين"، حسب ما وصفهم البيان المشار إليه سابقاً. غير أن مصطلح "ناشطين" يثير بعض الغموض هنا؛ فهل هو مجرد اقتباس غير دقيق من المفردات السياسية المستعملة في فرنسا؟ وقد جاء في افتتاحية جريدة الصوت الأصلي (La Voix Indigène)، الصادرة في 1 أغسطس 1936، ما يلي: "هكذا، فإن بعض الجزائريين الأصليين لا يقبلون هذه الفوضى الناجمة عن مطالب مبالغ فيها وغير مناسبة، وعن هذه الاستفزازات السياسية والدينية التي تهز استقرار المجتمع الأصلي. في المقابل، هناك آخرون، مثل مسالي الحاج، مدير جريدة نجم شمال إفريقيا، والذي ينظم حالياً خلايا شيوعية أصلية في الجزائر، يعتقدون أن المطالب ليست جذرية بما فيه الكفاية، وأن التحرر الكامل من السيطرة على التراب الجزائري لصالح المسلمين لم يتم السعي إليه بما يكفي".

أما الفريق الأول، الذين ما زال لديهم ثقة في فرنسا، والذين يناوون بأنفسهم عن التحركات الدينية والسياسية التي ينظمها العلماء وعن الثورة الشيوعية، فقد أرسلوا، في 18 يوليو، برقية احتجاج شديدة اللهجة إلى رئيس مجلس الوزراء، عبر مجموعة من ممثليهم. وقد أنكروا في هذه البرقية أي صفة "لوفد المزعوم" من المسلمين الجزائريين لتمثيل السكان الأصليين، ونددوا بتدخل "علماء مزعومين" في الشؤون الدينية، لا يمثلون سوى قلة من المحرضين الذين يسعون إلى زعزعة استقرار البلاد. (راجع نص البرقية في عدد أغسطس-سبتمبر 1936 من مجلة إفريقيا الفرنسية). أما "لوفد" القادمة من "المراكز المختلفة" للجزائر، فكانت تتألف من عدد من الفلاحين الذين جرى اختيارهم من القرى والدوائر والجماعات المحلية، في إشارة إلى رغبة قادة السياسة المطالبة في إشراك سكان الأرياف في حركتهم.

ولا حاجة، في الوقت الحاضر، للعودة إلى تفاصيل الوفد الذي أرسل إلى باريس، ولا إلى القائمة الطويلة من المطالب التي قدمها، يوم 22 يوليو والأيام التالية، إلى عدة أعضاء في الحكومة والبرلمان. كما لا فائدة من الحديث عن "ميثاق المطالب"، الذي يُعد أقل قبولاً حتى من ذلك الذي قدمه الحزب الشيوعي الأصلي. وقد وردت معلومات وافية عن كل هذا في عدد عام 1936 من إفريقيا الفرنسية (الصفحة 462). وعلى الرغم من التأكيدات الصادرة عن الذين قدّموا تقارير حول المؤتمر و"بعثة الوفد"، فإن هذه الجمعية — التي كانت أكثر اضطراباً مما قيل عنها — لم تكن تمثل الرأي العام الجزائري، تماماً كما أن "ميثاق المطالب الأصلية" لا يعكس تطلعات الأغلبية. وسيتضح لاحقاً أن حتى في مسألة التمثيل النيابي للسكان الأصليين، كان هؤلاء — أو على الأقل ممثلوهم المنتخبون — منقسمين بشدة. وبالفعل، بعد عودة الوفد من باريس، كتب السيد زناطي، الذي أطلق على هذا الوفد اسم "وفد الفوضويين"، موضحاً أن أعضاء البعثة إلى باريس لم تكن لهم أي غاية سوى إثارة القلاقل، وتضليل الشعب، وخلق متاعب للإدارة الفرنسية، وربما خدمة أهداف أطراف خفية، نواياها معروفة للجميع... وأضاف أن هؤلاء أرادوا استغلال استياء السكان الأصليين، ودفع فرنسا إلى رفض مطالبهم المبالغ فيها، لتأجيج السخط الشعبي ورفع حرارة الشارع الجاهل. فالعلماء وأنصار بن جلول باتوا بحاجة الآن إلى حالة مستمرة من الغليان الشعبي لكي يتمكنوا من الاستمرار، وللتحضير لمراحل قادمة...

وكان رد الفعل الشعبي على هذا التحرك يعتبر غير مقبول، لدرجة أن المفتي بن دالي، مفتي الجزائر وأحد الموقعين على البرقية السالفة الذكر، اغتيل في وضوح النهار في 2 أوت. ومن شرق الجزائر إلى غربها، لم يشك السكان الأصليون ولا الفرنسيون المتابعون لنشاطات العلماء والمحرضين السياسيين

الأصليين في أن الجريمة كانت سياسية بامتياز. فقتل رجل من علماء الدين الإسلامي، خادم مخلص للإدارة الفرنسية، على يد قاتل مأجور، لم يكن سوى صورة من صور الإرهاب، الذي يمارسه أولئك الذين يطالبون الحكومة بجميع الحقوق والحريات، بينما ينادون في العلن: "تحيا فرنسا، وطننا!"، ويعملون في الخفاء لتحقيق الاستقلال الكامل ورفض الوصاية الفرنسية.

لقد كانت ظروف الجريمة والأحداث التي تلتها كافية لتأكيد هذا الانطباع الفوري لدى الجميع. وقد نُقل جثمان مفتي الجزائر إلى قسنطينة، مسقط رأسه، حيث دُفن. وكما تقتضي الشعائر، كان من الضروري إقامة الصلاة على الجثمان قبل الدفن، بحضور أحد وجهاء المسلمين المشاركين في الجنازة. ولم يُعثر إلا على إمام مسن يُدعى "سي أحمد"، كان صديقاً للراحل، فكان الوحيد الذي تحلّى بالشجاعة الكافية ليوافق على ترؤس الصلاة الأخيرة، كما تنصّ عليه التقاليد. لكن، بعد أيام قليلة فقط، تعرّض الإمام سي أحمد نفسه لمحاولة اغتيال. فبينما كان عائداً إلى منزله حوالي الساعة 19:45 - بحسب ما ذكرته الصحف - أُطلقت عليه ثلاث أو أربع طلقات من مسدس، من طرف مجهول لاذ بالفرار. ولم تصبه الرصاصات. وبالنسبة للأهالي (السكان الأصليين)، لم يكن ثمة شك في وجود علاقة بين هذا الاعتداء واغتيال مفتي الجزائر. جريدة الصوت الأصلي (La Voix Indigène)، وهي بصدد البحث عن سبب جريمة قسنطينة، عزت الحادثة إلى أمر واحد: أن الإمام العجوز كان قد تولى إمامة الصلاة على جثمان الشيخ بن دالي، رحمه الله (العدد الصادر في 11 أوت 1936). وقد عملت العدالة بشكل نشط لكشف هوية مرتكب محاولة الاغتيال في قسنطينة، لكن دون جدوى. فمن هو الشاهد الذي، مدرّكاً للخطر الذي يحرق به، كان يمكنه أن يتحلّى بالشجاعة الكافية ليكشف اسم الجاني - إن كان يعرفه - أو حتى ظروف الجريمة؟ وهكذا، تم إغلاق التحقيق القضائي دون التوصل إلى نتيجة.

مع ذلك، فإن مجرد انتشار خبر هذه المحاولة - سواء كانت حقيقية أم لا - في الصحف، وتداولها في الأوساط المحلية، قد بلغ غايته: بثّ الرعب في نفوس أولئك الذين يعبرون عن ولائهم لفرنسا وإدارتها، أو حتى مجرد عدائهم للعلماء. إن السكان الأصليين الذين يرفضون الانخراط في "الحركة الوطنية" ذات الطابع الإسلامي، ويعارضون فكرة التحرر من الوصاية الفرنسية في الجزائر، باتوا يشعرون الآن بأنهم مهددون. فهم يخشون، ليس فقط القتل، بل ما هو أسوأ من ذلك، أن يُدفنوا دون أن تُقام عليهم الشعائر الدينية اللازمة للحياة الأخرى؛ يخافون أن يُطردوا من جماعة المؤمنين، وأن يُدفنوا كما تُدفن الكلاب. ألا يشبه هذا، إلى حدّ بعيد، ما حدث في تونس على يد حركة "الدستور"، حين منعت دفن المسلمين المحنّسين بالجنسية الفرنسية في مقابر المسلمين؟ هل سيصل الحال في الجزائر إلى ألا يُدفن دفناً دينياً إلا ما يخضع للبرنامج السياسي والديني للعلماء، الذين يسعون إلى إصلاح المجتمع المحلي؟ وإذا تركنا الآن قسنطينة وعدنا إلى الجزائر العاصمة، فماذا نجد؟ منذ 2 أغسطس، شرعت الشرطة والعدالة في التحري بنشاط للعثور على قاتل المفتي. وسرعان ما تم توقيف القاتل - رجل قبائلي، من أصحاب السوابق - وثلاثة شركاء له. وبفضل اعترافهم، تمكن المحققون من إعادة بناء الظروف المادية للجريمة. وبعد تحديد "اليد" التي ارتكبت الجريمة، حاول القضاة الوصول إلى "الرأس" التي وجهت هذه اليد: أي، من هو الشخص (أو الأشخاص) الذي أصدر الأمر بالاغتيال؟ إذ لم يكن هناك شك في أن القاتل، وهو رجل بلا أخلاق، ورفاقه الذين استقطبهم بنفسه، لم يتصرفوا إلا بأمر من جهات أعلى رتبة في السلم الاجتماعي.

وفعلاً، بعد خمسة أيام من الجريمة، اعترف المتهم الرئيس - الذي طعن المفتي بن دالي في قلبه - بأنه تلقى الأمر والدفع المالي لتنفيذ الاغتيال من الشيخ الطيب العقبي، زعيم العلماء في ولاية الجزائر. وحدّد بالتفصيل الظروف التي تم فيها الترتيب لهذا "العقد"، والذي تم في "نادي التقدم" بالجزائر العاصمة، مقرّ جمعية العلماء. تم إلقاء القبض على العقبي وسُجن يوم 8 أوت. وتمت عمليات تفتيش في "نادي الترقى". وساد الذهول والارتباك في صفوف العلماء ومناصريهم. أما وفد مؤتمر 7 يونيو، الذي كان العقبي عضواً فيه، فقد سارع بالعودة إلى باريس لعرض وجهة نظره بشأن هذه التطورات الخطيرة، كما تم ذكره في عدد أوت-سبتمبر من إفريقيا الفرنسية. وفي أثناء ذلك، ما الذي حدث في الجزائر، حيث كانت التحقيقات والاعتقالات مستمرة؟ هل كان القاتل يشعر بالرضا عن اعترافه، وقد هدأت ضميره؟ أم أنه، خلال تنقلاته بين السجن و"نادي التقدم"، والأماكن الأخرى التي استدعى التحقيق تواجده فيها، سمع تهديدات موجهة لعائلته في حال لم يتراجع عن أقواله، ولم "يُبرئ" أولئك الذين اتهمهم؟ الله وحده يعلم.

لكن المؤكد هو أنه بعد ستة أيام من اتهامه للعقبي، وبتفاصيل مماثلة لتلك التي قدمها بشأن الجريمة نفسها، تراجع القاتل عن أقواله، وزعم أن ما قاله عن العقبي وشركائه كان محض اختلاق. أمام هذا التراجع، لم يكن أمام قاضي التحقيق سوى أن يمنح الشيخ الطيب العقبي الإفراج المؤقت. وقد تم ذلك يوم 11 أغسطس، وسط ارتياح من أنصار العلماء، وخاصة من قبل التشكيلات السياسية اليسارية المتطرفة. وفي عدة مدن جزائرية، نُظمت اجتماعات

احتفالية للإفراج عن هذا "المثير للجدل" الجزائري، الذي جعلت منه السجن "شهيداً". وفي كثير من الأحيان، انضم وجهاء يهود إلى المسلمين في هذه الاحتفالات، وكان ذلك مناسبة لإلقاء خطب تناول فيها الخطباء من الديانتين مشاعر "الأخوة" التي تجمع بينهم، ودعوا، وفقاً للموضوع المتكرر، إلى "التفاهم الودي بين مختلف المكونات العرقية والدينية" التي تتشكل منها الجزائر. ومن اللافت أن هذا التقارب بين العناصر اليهودية والسياسيين المسلمين، بعد نحو 18 شهراً فقط من أحداث قسنطينة المعادية لليهود، بات واضحاً جداً في عدة مراكز جزائرية. وقد كان هذا التوجه موضع تشجيع من برنار لوكاش، رئيس الفرع الفرنسي لـ "رابطة مكافحة معاداة السامية"، خلال جولته الدعائية في الجزائر في أوائل عام 1936. وهذا التقارب أصبح أكثر وضوحاً منذ 3 يونيو المنصرم. وربما يُنظر إليه كاتجاه "الركوب موجة سياسية" جديدة، ويبدو أنه بدأ يلقي رواجاً في الدوائر الشيوعية الأوروبية-المسلمة في الجزائر.

إن الكتلة الانتخابية للسكان الأصليين، إذا ما أُدرجت ضمن نظام انتخابي موحد مع الناحيين الفرنسيين (الذين، حسب الإحصاءات السكانية، يُقدّر عددهم بأقل بسبع إلى ثماني مرات)، فإنها ستُمكّن من بلوغ مراكز القيادة السياسية في الجزائر. غير أن التوجه نحو الاستقلال الكامل وإزاحة العنصر الفرنسي، لا يحظى بدعم ممثلي السكان الأصليين الحاليين. ولا ينبغي لأحد أن يتوهم بأن هذا السعي إلى المساواة الانتخابية مع الفرنسيين في الجزائر، يُعبّر عن طرف العلماء عن رغبة في التقارب أو الاندماج مع فرنسا. فمن يفترض ذلك، ما عليه إلا أن يعود إلى ما كتبه ابن باديس زعيم هؤلاء العلماء، في عدد أبريل من مجلته الشهاب.

لقد علّمنا التاريخ أن الأمة المسلمة ليست فرنسية، وأنها ترتبط بوحدة دينية وثقافية تُميّزها، كما أن هذه الساكنة المسلمة لا تنتمي في هويتها إلى فرنسا، وإن كان هذا البلد قد أصبح، بفعل الإدارة الفرنسية، دولة إسلامية صديقة - حسبما يقول بعضهم - نتيجة لتعامل البعض معها بتفانٍ بالغ. يا له من اعتراف صريح في العبارات التي وُضعت بخط مائل! إن كراهية العلماء لفرنسا بلغت من الشدة حداً أفقدهم حتى الحياء اللغوي الذي اعتادوا عليه، فتحوّل "الصدّاقة الصادقة لفرنسا" - حسب زعمهم - إلى موقف تحفظي أُقِرَّ لاحقاً عن غير وعي. ويمكن للمرء أن يُدرك أسباب هذا التحفظ حين يُنظر في رأي السيد شكري القاسمي (شكيب أرسلان) حول المعاهدة الفرنسية-السورية، كما نُشر في صحيفة لو تان بتاريخ 4 نوفمبر 1930، مهما كانت النية الحسنة التي أظهرها، في هذا الصدد، المندوب السوري في جنيف. فكيف يمكن، علاوة على ذلك، التوفيق بين هذه "الصدّاقة الصادقة" المزعومة للعلماء تجاه فرنسا، وسلوكهم العملي وتعاليمهم التي لم تستطع السلطات العامة تقبّلها في المساجد، وكذا تلميحاتهم وأهاناتهم المبطنّة ضد أعوان الإدارة الفرنسية المخلصين؟ ألم يكن في إحدى صحفهم (جريدة الدفاع بتاريخ 12 يونيو 1936)، تعليق على مؤتمر المسلمين المنعقد في 7 يونيو، يقول فيه أحدهم: "لقد تم خلال هذا اليوم التاريخي استعراض الوسائل التي من خلالها يمكن للمسلم الجزائري أن ينال حقه في الحياة على أرض أجداده، ولو اقتضى ذلك النضال حتى النهاية وبكل الوسائل". أفمن أجل نشر هذه المغالطات والأفكار الهدامة، التي تنتشر أساساً بما فيه الكفاية في المدن والقرى، يقومون بما يقومون به؟ لا يكفُّ العلماء عن الضغط المتواصل على السلطات العمومية، من أجل الحصول على حرية التصرف الكاملة في شؤون المساجد، وهو المطلب الذي عبّر عنه السيد ابن باديس في جريدة البصائر بتاريخ 29 مايو 1936. فهل يسعون من خلال هذا المسعى إلى تحقيق هدفهم النهائي المتمثل في الاستقلال، على أرض الأجداد، وبجميع الوسائل الممكنة؟ وهل كان انخراط هؤلاء العلماء، الذين يزعمون تمثيل الدين ولكنهم يُجسّدون قبل كل شيء النزعة القومية الإسلامية الجزائرية، في تحالفٍ مع دعاة الإلحاد وأنصار الماركسية العالمية، خطوة على هذا الطريق؟

إن الاعتراضات الكثيرة التي يواجهونها من قبل عدد كبير من مواطنيهم الجزائريين المسلمين، الذين لا يزالون يحتفظون بشيء من الامتنان تجاه فرنسا، لما جلبته من أمن ورفاهية، قد تدفعهم إلى إعادة النظر في مواقفهم. وعليهم كذلك أن يتأملوا جيداً، في ظل رؤاهم الحاملة عن استقلالٍ عربي وإسلامي على أرض أمازيغية، كلمات صادرة عن أحد أبناء جلدتهم، نُشرت في صدى الصحافة الإسلامية بتاريخ 10 أبريل 1936، والذي لم ينسَ دروس التاريخ: "دولة؟ مملكة؟ (وطن جزائري مستقل للسكان الأصليين)؟ وبماذا؟ بعد عشر سنوات، سيكون نصفنا قد هلك من الجوع، أو التيفوس، أو الطاعون، أو عبر وسائل أسرع: الحرب والاحتلال".

أ. ج. بوفروي

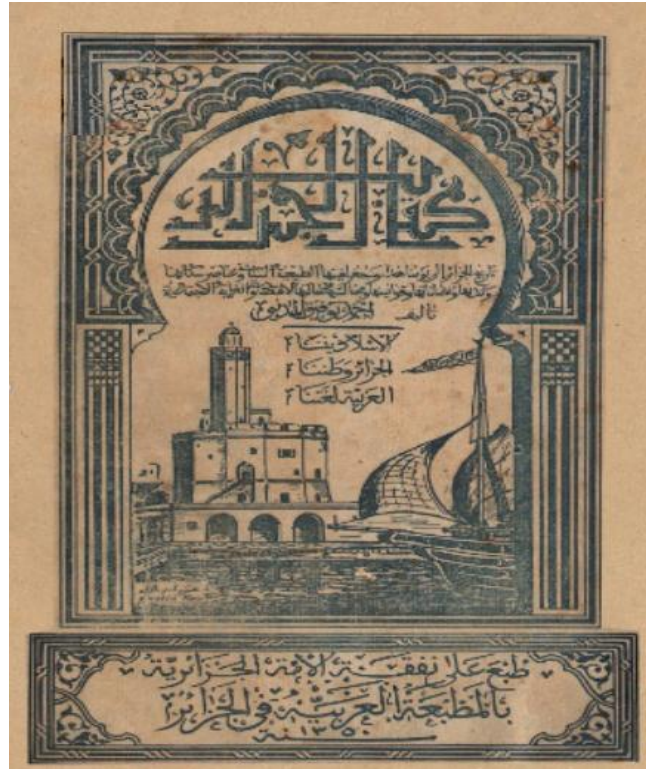






## 402

شعار جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وحزب الشعب الجزائري يرمزان لمقومات الهوية الوطنية.



ملحق رقم (28): صورة (01): شعار جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931م<sup>(1)</sup>

يشير أبو القاسم سعد الله أنه لا توجد معلومات عن من كان الأسبق لاستعماله جمعية العلماء أو توفيق المدني<sup>(2)</sup>.



ملحق رقم (29): صورة (02): شعار حزب الشعب الجزائري سنة 1937م<sup>(3)</sup>.

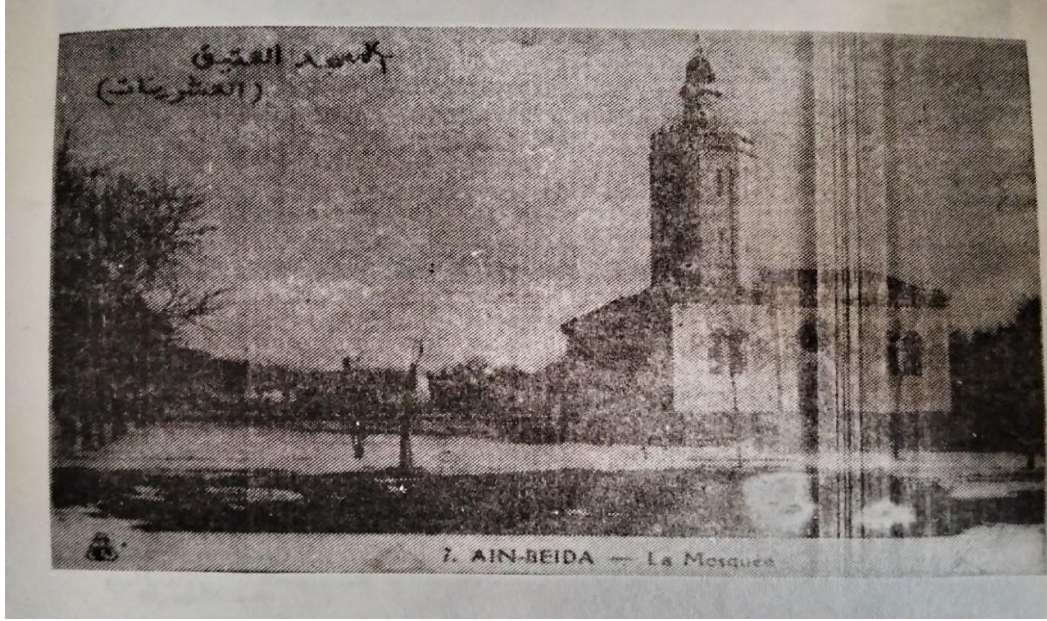
(1)-حمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، المصدر السابق، ص01.

(2)-أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج07، المصدر السابق، ص 420.

(3)-عبد الحميد زوزو، الدور السياسي للهجرة في فرنسا بين الحربين " 1914 - 1939 نجم شمال إفريقيا وحزب الشعب"، المرجع السابق، ص 94.



صورة للمسجد العتيق بعين البيضاء وكنييسة المدينة خلال فترة العشرينات<sup>(1)</sup>.



ملحق رقم (30): صورة رقم (03) صورة للمسجد العتيق بعين البيضاء خلال فترة العشرينات



ملحق رقم (31): صورة رقم (04) صورة لكنيسة عين البيضاء خلال فترة العشرينات

المسجد العتيق بعين البيضاء موجود قرب كنيسة المدينة المنفتحة على ساحة واسعة التي أنشأت سنة 1886م، ولا يفصل بين المكانين سوى بضع خطوات، ويعتبران من المعالم التاريخية الشاهدة على صراع الهوية داخل المجتمع الجزائري خلال الحقبة الإستعمارية، خصوصا وأن المسجد كان مركز نشاط مكثف من قبل أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين باستضافته للعديد من التظاهرات الدينية ورجال العلم ووطنيا وعربيا، فساهم بشكل كبير في المحافظة على الشخصية الجزائرية بسماتها العربية المسلمة.

(1)-الشريف اشناشلية، المصدر السابق، ص ص 04-05.

## قائمة المصادر والمراجع



## أولا-القرآن الكريم:

- سورة هود، الآية 88، رواية ورش.
- سورة الجن، الآية 17، رواية ورش.
- سورة النازعات، الآية 41، رواية ورش.

## ثانيا-المصادر:

### أ-الوثائق الأرشيفية:

#### - باللغة العربية :

1. نموذج لإجابات الطلبة في مادة التاريخ الوطني لامتحان الدورة الأولى من شهادة الأهلية للعام الدراسي 1953-1954م بالمعهد الكتاني ومعهد ابن باديس بقسنطينة فرعي الجامع الأعظم بتونس، رصيد إدارة الجامع الأعظم وفروعه، الملف الفرعي 105، الملف 02، الحافظة 08، السلسلة L، مركز الأرشيف الوطني التونسي.

#### - باللغة الأجنبية:

1. Activité des Oulama, Service des Liaisons nord-africaines (S.L.N.A), 07 Juil 1956, A.N.O.M ,Aix en Provence, 93/151, documents internes.
2. Photocopie d'un cahier saisi sur le cheikh Larbi Tebessi, Préfecture d'Oran, Service des liaisons nord-africaines (SLNA), A.N.O.M, Partis politiques, 92/51-115, Aix en Provence, 1955.
3. Envoi au Moyen Orient d'étudiants membres de l'association des oulémas Réformistes, Cabinet S.L.N.A. d'Oran, 17 Novembre 1954, A.W.O, Dossier 6988, série I 22.
4. Etudiants Musulmans Originaires du département d'Oran séjournant dans les pays Arabes, Le Commissaire Ppal chef de la B.S.T. Oran, Service de la surveillance, Ministère de l'intérieur, le 5 Mars 1955, A.W.O, Dossier 6988, série I 22.
5. Etudiants Musulmans Originaires du département séjournant dans les pays Arabes, Le sous- préfet de Tiaret, le 13 Avril 1955, A.W.O, Dossier 6988, série I 22.

ب-الجرائد الرسمية:

1. Journal Officiel de la republique francaise, Soixante sixieme Annee, N°24, 18 Mars 1944.
2. Bulletin de L'Afrique francaise, Quarante Sixieme Annee, N° 01, 1 janvier 1936,

ج-الجرائد الدورية:

- باللغة العربية:

1. المنتقد، العدد 02، مج 01، 01 جويلية 1925م، وزارة الثقافة، الجزائر، 2003.
2. المنتقد، العدد 04، مج 01، 03 محرم 1343هـ/23 جويلية 1925م، وزارة الثقافة، الجزائر، 2003.
3. المنتقد، العدد 6، مج 01، 16 محرم 1343هـ/06 أوت 1925م، وزارة الثقافة، الجزائر، 2003.
4. المنتقد، العدد 10، مج 01، 14 صفر 1344هـ/3 سبتمبر 1925م، وزارة الثقافة، الجزائر، 2003.
5. المنتقد، العدد 11، مج 01، وزارة الثقافة، الجزائر، الخميس 21 صفر 1344هـ/10 سبتمبر 1925م، وزارة الثقافة، الجزائر، 2003.
6. الشهاب، العدد 03، 09 جمادى الأولى 1344هـ/26 نوفمبر 1925م.
7. الشهاب، ج 04، مج 05، ذي الحجة 1347هـ/ماي 1929م.
8. الشهاب، ج 05، مج 05، محرم 1348هـ/جوان 1929م.
9. الشهاب، ج 06، مج 05، صفر 1348هـ/جويلية 1929م.
10. الشهاب، ج 07، مج 05، ربيع الأول 1348هـ/أوت 1929م.
11. الشهاب، ج 10، مج 05، جمادى الثانية 1348هـ/نوفمبر 1929م.
12. الشهاب، ج 05، مج 06، محرم 1349هـ/جوان 1930م.
13. الشهاب، ج 10، مج 6، جمادى الثانية 1349هـ/نوفمبر 1930م.
14. الشهاب، ج 2، مج 07، شوال 1349هـ/مارس 1931م.
15. الشهاب، ج 06، مج 07، صفر 1350هـ/جوان 1931م.
16. الشهاب، ج 11، مج 8، رجب 1351هـ/نوفمبر 1932م.
17. الشهاب، ج 13، مج 09، شعبان 1352هـ/ديسمبر 1933م.
18. الشهاب، ج 05، مج 10، محرم 1353هـ/16أفريل 1934م.
19. الشهاب، ج 11، مج 10، رجب 1353هـ/10 أكتوبر 1934م.
20. الشهاب، ج 07، مج 11، رجب 1354هـ/أكتوبر 1935م.
21. الشهاب، ج 08، مج 11، شعبان 1354هـ/نوفمبر 1935.

22. الشهاب ، ج 11 ، مج 11، ذي القعدة 1354هـ/ فيفري 1936 .
23. الشهاب، ج 01، مجلد 12، محرم 1355هـ/أفريل 1936م.
24. الشهاب ، ج 3 ، مج 12، ربيع الأول 1355هـ/ جوان 1936.
25. الشهاب، ج 03، مج 13، 09 ربيع الثاني 1356هـ/ 11 جوان 1937م.
26. الشهاب، ج 04، مج 12، ربيع الثاني 1355هـ/جويلية 1936.
27. الشهاب، ج 10، مج 12، شوال 1355هـ/ جانفي 1937م.
28. الشهاب، ج 12، مج 12، ذو الحجة 1355هـ/ فيفري 1937م.
29. الشهاب، ج 09، مج 13، رمضان 1356هـ/ نوفمبر 1937م.
30. الشهاب، ج 12، مج 13، ذي الحجة 1356هـ/ فيفري 1938م.
31. الشهاب، ج 01، مج 14، السنة 14، محرم 1357هـ/مارس 1938م.
32. الشهاب ، ج 2 ، مج 14 ، ربيع الأول 1357هـ/ ماي 1938.
33. الشهاب، ج 03، مج 14، ربيع الثاني 1357هـ/ جوان 1938م.
34. الشهاب ، ج 4 ، مج 14، ربيع الثاني 1357هـ/ جوان 1938.
35. الشهاب ، ج 4 ، مج 14، ربيع الثاني وجمادى الأولى 1357هـ/ جوان-جويلية 1938.(عدد خاص)
36. الشهاب، ج 04، مج 14، ربيع الثاني-جمادى الأولى 1357هـ/جوان-جويلية 1938م.
37. السنة النبوية المحمدية، العدد 02، مج 01، 22 ذي الحجة 1351هـ/ 17 أفريل 1933م.
38. الشريعة النبوية المحمدية، العدد 02، مج 02، 01 ربيع الثاني 1352هـ/ 24 جويلية 1933.
39. الشريعة النبوية المحمدية، العدد 04، مج 02، 15 ربيع الثاني 1352هـ/ 07 أوت 1933.
40. الشريعة النبوية المحمدية، العدد 06، مج 02، 29 ربيع الثاني، 1352هـ/ 24 أوت 1933.
41. الصراط السوي، العدد 01، مج 01، 21 جمادى الثانية 1352هـ/ 11 سبتمبر 1933م.
42. الصراط السوي، العدد 03، مج 01، 05 جمادى الثانية 1352هـ/ 25 سبتمبر 1933م.
43. الصراط السوي، الصراط، العدد 4، الاثنين 19 جمادى الثانية 1352هـ/ 09 أكتوبر 1933 م.
44. الصراط السوي، العدد 06، مج 1 04 رجب 1352هـ/ 23 أكتوبر 1933م.
45. الصراط السنوي، العدد 07، 11 رجب 1352هـ/ 30 أكتوبر 1933م.
46. الصراط السوي، العدد 09، مج 1، 25 رجب 1352هـ/ 13 نوفمبر 1933م.
47. البصائر، العدد 6، 13 ذي القعدة 1354هـ/ 07 فيفري 1936م.
48. البصائر، العدد 77، مج 04، 11 جمادى الثانية 1356هـ/ 30 جويلية 1937م.
49. البصائر، العدد 16، السنة الأولى، 02 صفر 1355هـ/ 24 أفريل 1936، وزارة الثقافة، الجزائر، 2003.

50. البصائر، العدد 83، السنة الأولى، 25 رجب 1356 هـ / 30 سبتمبر 1937، وزارة الثقافة، الجزائر، 2003.
51. البصائر، العدد 45، السنة الأولى، 12 رمضان 1355 هـ / 27 نوفمبر 1936، وزارة الثقافة، الجزائر، 2003.
52. البصائر، العدد 95، السنة الثالثة، السلسلة الأولى، 12 ذي القعدة 1351 هـ / 14 جانفي 1937 م.
53. البصائر، العدد 58، مج 04، 29 ذو الحجة 1355 هـ / 12 مارس 1937 م.
54. البصائر، العدد 65، السنة الثانية، السلسلة الأولى، قسنطينة، 18 صفر 1356، 13 هـ / أفريل 1937 م.
55. البصائر، العدد 66، السنة الثانية، السلسلة الأولى، قسنطينة، 25 صفر 1356 هـ / 07 ماي 1937 م.
56. البصائر، العدد 71، السنة الثانية، 09 ربيع الثاني 1356 هـ / 18 جوان 1937 م، وزارة الثقافة، الجزائر، 2003.
57. البصائر، العدد 77، السنة الثانية، السلسلة الأولى، 11 جمادى الأولى 1356 هـ / 30 جويلية 1937 م.
58. البصائر، العدد 79، السنة الثانية، الجمعة 12 جمادى الثانية 1356 هـ / 20 أوت 1937 م.
59. البصائر، العدد 115، 27 ربيع الأول 1357 هـ / 27 ماي 1938 م.
60. البصائر، العدد 95، مج 05، 12 ذي القعدة 1356 هـ / 14 جانفي 1938.
61. البصائر، العدد 124، 01 جمادى الثانية 1357 هـ / 29 جويلية 1938 م.
62. البصائر، العدد 125، السنة الثالثة، 08 جمادى الثانية 1357 هـ / 5 أوت 1938 م، وزارة الثقافة، الجزائر، 2003.
63. البصائر، العدد 131، 21 رجب 1357 هـ / 19 سبتمبر 1938 م.
64. البصائر، العدد 161، 23 صفر 1358 هـ / 14 أفريل 1939 م.
65. البصائر، العدد 166، السنة الرابعة، 29 ربيع الأول 1358 هـ / 19 ماي 1939 م، وزارة الثقافة، الجزائر، 2003.
66. البصائر، العدد 01، الجمعة 07 رمضان 1366 هـ / 25 جويلية 1947 م، وزارة الثقافة، الجزائر، 2003.
67. البصائر، العدد 29، السنة الثانية، 18 جمادى الأولى 1367 هـ / 29 مارس 1948 م، وزارة الثقافة، الجزائر، 2003.

68. البصائر، العدد 41 السنة الثانية، 20 شعبان 1367 هـ / 28 جوان 1948 م، وزارة الثقافة، الجزائر، 2003.
69. البصائر، العدد 45، السنة الثانية، 22 ذي الحجة 1367 هـ / 25 أكتوبر 1948 م، وزارة الثقافة، الجزائر، 2003.
70. جريدة البصائر، العدد 57، السنة الثانية، السلسلة الثانية، قسنطينة، 20 محرم 1368 هـ / 22 نوفمبر 1948 م.
71. البصائر، العدد 59، 05 صفر 1368 هـ / 06 ديسمبر 1948 م.
72. البصائر، العدد 61، السنة الثانية، السلسلة الثانية، قسنطينة، 25 صفر 1368 هـ / 27 ديسمبر 1948 م.
73. البصائر، العدد 73، مج 08، 28 جمادى الأولى 1368 هـ / 28 مارس 1949 م.
74. البصائر، العدد 74، الإثنين 06 جمادى الثانية 1368 هـ / 4 أبريل 1949 م، وزارة الثقافة، الجزائر، 2003.
75. البصائر، العدد 83، الإثنين 16 شعبان 1368 هـ / 13 جوان 1949 م، وزارة الثقافة، الجزائر، 2003.
76. البصائر، العدد 88، 29 رمضان 1368 هـ / 25 جويلية 1949 م.
77. البصائر، العدد 104، 03 ربيع الثاني 1369 هـ / 23 جانفي 1950 م.
78. البصائر، العدد 108، 03 جمادى الأولى 1369 هـ / 20 فيفري 1950 م.
79. البصائر، عدد 109، 10 جمادى الأولى 1329 هـ / 27 فيفري 1950 م.
80. البصائر، العدد 122، 19 شعبان 1369 هـ / 05 جوان 1950 م، وزارة الثقافة، الجزائر، 2003.
81. البصائر، العدد 157، 22 رمضان 1370 هـ / 28 ماي 1951 م.
82. البصائر، العدد 158، 29 شعبان 1370 هـ / 4 جوان 1951 م.
83. البصائر، العدد 168، 02 ذي الحجة 1370 هـ / 3 سبتمبر 1951 م.
84. البصائر، العدد 172/173، السنة الرابعة، 14 محرم 1371 هـ / 15 أكتوبر 1951 م، وزارة الثقافة، الجزائر، 2003.
85. البصائر، العدد 184، 13 جمادى الثانية 1371 هـ / 10 مارس 1952 م.
86. البصائر، العدد 187، 26 رجب 1371 هـ / 21 أبريل 1952 م.
87. البصائر، العدد 210، 05 ربيع الآخر 1372 هـ / 22 ديسمبر 1952 م.
88. البصائر، العدد 225، 26 رجب 1372 هـ / 10 أبريل 1953 م.
89. البصائر، العدد 236، 29 شوال 1372 هـ / 10 جويلية 1953 م.



90. البصائر، العدد 266، 06 شعبان 1373هـ / 9 أفريل 1954م
91. البصائر، العدد 331، 15 محرم 1375هـ / 2 سبتمبر 1955م.
92. الأمة، العدد 03، السنة الأولى، الجزائر، الثلاثاء 22 جمادى الثانية 1353هـ / 02 أكتوبر 1934م.
93. الأمة، العدد 08، السنة الأولى، الجزائر، الثلاثاء 28 رجب 1353/06 نوفمبر 1934م.
94. الأمة، العدد 103، السنة الثالثة، الجزائر، الثلاثاء 14 شوال 1355 هـ / 29 ديسمبر 1936م.
95. الأمة، العدد 115، السنة الثالثة، الجزائر، الثلاثاء 17 محرم 1356هـ / 30 مارس 1937م.
96. الأمة، العدد 131، السنة الثالثة، الجزائر، الثلاثاء 17 جمادى الأولى 1356 هـ / 27 جويلية 1937م.

—باللغة الأجنبية:

1. El Ouma, Cinqueme Annee, N° 44, Novembre-Décembre 1936.
2. Dépêche de constantine, N° 10.755, 20 Avril 1938.
3. L'Entente, Deuxiem Annee, N° 24, Constantine, 27 Fevrier 1936.
4. La Défense, 3éme Année, N° 106, 22 Mai 1936.
5. La Défense, 3éme Année, N° 88, 03 janvier 1936.
6. la Defense, N°95, 3eme Année, 28 février 1936.
7. Le jeune musulman alger 1952-1954, dar elgharb alislami, bayrout, 2003.
8. Le Jeune musulman, 01<sup>er</sup> Annee ,N° 02, Vendredi 27 Ramadhan 1371/20 Juin 1952, Alger. ( publiée par Dar Al-Gharb Al-Islami, Beyrouth, Liban, 2000)
9. Le Jeune Musulman, 1<sup>er</sup> Annee, N°01,13 Ramadhan 1371 / 6 Juin 1952, Alger. ( publiée par Dar Al-Gharb Al-Islami, Beyrouth, Liban, 2000)
10. Le Jeune Musulman, 1er Annee, N°05,22 Dou el-Hedja 1371 / 12 Septembre 1952. Alger. ( publiée par Dar Al-Gharb Al-Islami, Beyrouth, Liban, 2000).
11. Le Jeune Musulman, 2er Annee, N°05,21 Redjeb 1373 / 26 Mars 1954, p01. Alger. ( publiée par Dar Al-Gharb Al-Islami, Beyrouth, Liban, 2000).

12. Le Temps, Soixante Quinzieme Annee, N° 26841, Paris, 27 fevrier 1935.
13. Le Temps, Soixante Quinzieme Annee, N° 26848, Paris, 06 Mars 1935.
14. Le Temps, Soixante Quinzieme Annee, N° 26866, Paris, 24 Mars 1935.
15. Le Temps, Soixante Quinzieme Annee, N° 27082, Paris, 27 October 1935.
16. Revue Algérienne, N °1, Mars 1974.
17. Revue de la méditerranée, N°04, Tome II (juillet-Aout 1951).

#### د.المجلات:

1. المقاومة الجزائرية، العدد 13، الإثنين 22 رمضان 1379 / 22 أبريل 1957م. (منشورات المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار والإتصال، الجزائر، 2013).

#### هـ-المذكرات:

1. محمد خير الدين، مذكرات، ج01، ط2، مؤسسة الضحى، الجزائر، 2002.
2. ———، ———، مذكرات، ج02، ط2، مؤسسة الضحى، الجزائر، 2002.
3. عبد الرحمن بن العقون، مذكراتي، دار دحلب، الجزائر، 2000.
4. عبد الرحمن بن إبراهيم بن العقون، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر 1920م-1936م، ج1، ط2، منشورات السائحي، الجزائر، 2008.
5. ———، ———، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر 1936 – 1945م، ج2، ط2، منشورات السائحي، الجزائر، 2008.
6. ———، ———، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر (1947-1954)، ج03، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.
7. سهيل شنوف، مذكرات الشيخ حمزة بوكوشة ما رأيت وما رويت، دار القبية، بئر خادم، الجزائر، ط02، 2018.

#### و-الكتب:

#### ـباللغة العربية:

1. أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، الجامع الصحيح من سنن الترمذي، ج5، شركة مكتبة مصطفى إلبابي الحلبي وأولاده، مصر، ط2، 1975.

2. آثار الشيخ مبارك الملي ، مج 02، جمع وترتيب أبو عبد الرحمن محمود، ط01، دار الرشيد، الجزائر، 2012.
3. \_\_\_\_\_، \_\_\_\_\_، مج 03، جمع وترتيب أبو عبد الرحمن محمود، ط01، دار الرشيد، الجزائر، 2012.
4. \_\_\_\_\_، \_\_\_\_\_، مج 01، جمع وترتيب أبو عبد الرحمن محمود، ط01، دار الرشيد، الجزائر، 2012.
5. آثار محمد البشير الإبراهيمي ، ج 03، ط 05، دار الوعي، الجزائر، 2016.
6. \_\_\_\_\_، \_\_\_\_\_، ج 01، ط 05، دار الوعي، الجزائر، 2016.
7. أجرون شارل روبير، تاريخ الجزائر المعاصرة، ترجمة عيسى عصفور، ط01، منشورات عويدات، بيروت-باريس، 1982.
8. أحمد توفيق المدني ، حياة كفاح، ج 03، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.
9. \_\_\_\_\_، \_\_\_\_\_، كتاب الجزائر، ط 2 ، مطبعة البلدية ، الجزائر، 1963.
10. ألبير مامي ، صورة المستعمر، ترجمة ميشال سطوف، منشورات المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر، 2007.
11. خوجة حمدان بن عثمان ، المرأة، تقديم وتعريب محمد العربي الزبيري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975.
12. الشريف اشناتلية، التركة المغمورة "هؤلاء ... لهم أثر"، عين البيضاء، الجزائر، ط02، د.د.ن، 1989. الفضيل الورتيلاني، الجزائر الثائرة، دار الهدى، الجزائر، 1992.
13. عباس فرحات ، ليل الإستعمار "مرحلة المساواة في الحقوق وسياسة الإدماج"، ترجمة: أبو بكر رحال، دار القصة، الجزائر، 2005.
14. \_\_\_\_\_، \_\_\_\_\_، الشاب الجزائري، ترجمة أحمد منور، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007.
15. عبد الحميد بن باديس حياته وآثاره ، تفسير ابن باديس "مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير"، مج01، ط01، دار الرشيد، الجزائر، 2009.
16. \_\_\_\_\_، \_\_\_\_\_، ج4، إعداد وتصنيف: عمار طالي، ط3، عالم المعرفة، الجزائر، 2014.
17. \_\_\_\_\_، \_\_\_\_\_، ج5، إعداد وتصنيف: عمار طالي، ط3، عالم المعرفة، الجزائر، 2014.
18. \_\_\_\_\_، \_\_\_\_\_، ج3، إعداد وتصنيف: عمار طالي، ط3، عالم المعرفة، الجزائر، 2014.
19. لورسن بتريشيا ، هويات "إستعمارية الصورة النمطية والتحيز والأعراق في الجزائر المستعمرة"، ترجمة: ابتسام خضرة، دار الأمير للنشر والتوزيع والترجمة، مارسيليا، فرنسا، 2022.
20. مالك بن نبي ، شروط النهضة، دار الفكر، دمشق، 1986.
21. \_\_\_\_\_، \_\_\_\_\_، مشكلة الثقافة، ترجمة: عبد الصبور شاهين، ط4، دار الفكر المعاصر، دمشق، سوريا، 2000.
22. مالك رضا ، الجزائر في إفيان تاريخ المفاوضات السرية 1956-1962، ترجمة: فارس غصوب، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والاشهار، الجزائر، ط1، 2003.

23. محفوظ نخاح ، الهوية، ط7، الدار الخلدونية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2004.
24. محمد الميللي ، ابن باديس وعروبة الجزائر، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980.
25. —، —، مواقف جزائرية، ط01، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984.
26. محمد حربي ، الثورة الجزائرية سنوات المخاض، ترجم: نجيب عياد وصالح المثلوث، موفم للنشر، الجزائر، 1994.
27. —، —، جبهة التحرير الوطني، الأسطورة والواقع، 1954-1962، ترجمة جميل قيصر دانمر، ط1، دار الحكمة، بيروت، 1983.
28. محمد حسن فضلاء ، المسيرة الرائدة للتعليم العربي الحر، "القطاع القسنطيني ، القطاع الجزائري"، ج01، غرناطة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2014.
29. —، —، المسيرة الرائدة للتعليم العربي الحر، "القطاع الوهراني، مدرسة التهذيب في ثمانية أعوام 54-62"، ج02، غرناطة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2014.
30. محمد قنانش ، الحركة الإستقلالية في الجزائر بين الحريين 1919-1939م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.
31. مصالي الحاج ، مذكرات 1838-1898، ترجمة: محمد المعراجي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2007.
32. مصطفى الأشرف ، الجزائر الأمة والمجتمع، ترجمة حنفي بن عيسى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983.
33. مولود قاسم نايت بلقاسم ، أصالية أم إنفصالية، ج1، دار الأمة، الجزائر، 2013.
34. —، —، إنية وأصالة، ط02، دار الأمة، الجزائر، 2007.
35. —، —، ردود الفعل الدولية على غرة نوفمبر، ط01، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.
36. —، —، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل 1830، ج2، ط2، دار الأمة، برج الكيفان، الجزائر، 2007.
37. النصوص الأساسية لثورة نوفمبر 54، منشورات المؤسسة الوطنية للإتصال النشر والإشهار، وحدة الرواية، الجزائر، 2008.
38. النصوص الأساسية لجبهة التحرير الوطني (1954-1962)، نشر قطاع الإعلام والتكوين "حزب جبهة التحرير الوطني"، الجزائر، 1987.

—باللغة الأجنبية:

1. Ali Merad, Le réformisme musulman en Algérie de 1925-1940: essai d'histoire religieuse et sociale, Dar El Hikma, Algérie, 2010.

2. Aimé Dupuy, Bouzarea histoire illustrée des écoles normales d'instituteurs d'Alger-Bouzarea, F. Fontana, Alger, 1937.
3. Annie Rey Goldzigue, Le Royaume arabe: la politique algérienne de Napoléon III (1861-1870), ENAG, Alger, 2010.
4. Charles André Julien, Histoire de l'Algérie contemporaine: la conquête et les débuts de la colonisation 1827-1871, Edition Casbah, Alger, 2005.
5. Colonna Fanny, Instituteurs algériens 1883-1939, Office des Publications Universitaires, Alger, 1975.
6. Edmond Doutté, Les marabouts: notes sur l'islam dans la Berbérie musulmane, Collection Histoire, Ernest Leroux Éditeur, Paris, 1900.
7. Jacques Jurquet, La révolution algérienne et le parti communiste, Tome 1, Éditions du Centenaire, Paris, 1973.
8. Jules Cambon, Le gouvernement général de l'Algérie 1891-1897, E. Champion, Paris, 1918.
9. Louis Rinn, Note sur l'instruction publique musulmane en Algérie, L'Association ouvrière, Fontana et Compagnie, Alger, 1882.
10. Mohamed Harbi, 1954: La guerre commence en Algérie, Éditions Complexe, Bruxelles, 3ème édition, 1998.
11. « ——— », Aux Origines du FLN « la population révolutionnaire en Algérie », Edition Christiane Bourgois Éditeur, Paris, 1975.
12. Mourice Bolard, L'enseignement pour les indigènes en Algérie, Thèse de droit, Université de Paris, Impr. Gojosso, Alger, 1910.
13. Ministre de la guerre, Tableau de la Situation des établissements français dans l'Algérie, Imprimerie Royale, Paris, Vol. 3, 1840.



14. Octave Depont et Xavier Coppolani, Les confréries religieuses musulmanes, Typographie et Lithographie Adolphe Jourdan, Alger, 1897.
15. Paul Bernard, L'enseignement primaire des indigènes en Algérie, R.M.M, N° 1, Imprime ARRAULT, Tours, Novembre 1906.
16. Rebert Estoublon et Adophe Lefébure, Code de l'Algérie annoté: recueil chronologique des lois, Adolphe Jourdan, Alger, 1905.
17. Stéphane Gsell, Histoire et Historiens de l'Algérie, Librairie Félix Alcan, Paris, 1931.

#### ز-المعاجم والقواميس والموسوعات:

##### -باللغة العربية:

1. أندري لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، ترجمة خليل أحمد خليل، مج 01، ط2، منشورات عويدات بيروت، 2001.
2. إبراهيم مذكور، المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، القاهرة، 1985.
3. جمال الدين محمد بن مكرم أبي الفضل (ابن منظور الإفريقي المصري)، لسان العرب، مج 15، نشر أدب الحوزة، إيران، 1405هـ.
4. جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1978.
5. جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، ط3، دار الطليعة، بيروت، 2006.
6. خير الدين الزركلي، الأعلام "قاموس تراجم"، مج 07، ط07، دار العالم للملايين، بيروت، لبنان، 1986.
7. روزنتال ويودين، الموسوعة الفلسفية، ترجمة سمير كرم، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، دون سنة.
8. صالح مصلح، الشامل "قاموس مصطلحات العلوم الاجتماعية"، ط1، دار عالم الكتب، المملكة العربية السعودية، 1999.
9. عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، لبنان، 1980.
10. عبد الحليم صيد، معجم أعلام بسكرة، دار النعمان، الجزائر، 2014.
11. فيريول جيل، معجم مصطلحات علم الاجتماع، ترجمة وتقديم أنسام محمد الأسعد، ط1، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 2011.
12. مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، القاموس المحيط، حرف الهاء، دار الحديث، القاهرة، 2008.
13. مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز، ط1، مجمع اللغة العربية، مصر، 1980.

14. مجمع اللغة العربية، المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، مصر، 2000.
  15. مجموعة مؤلفين، موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، ج02، ط01، تقديم محمد الأمين بلغيث، منشورات الحضارة، الجزائر، 2014.
  16. محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، مادة الصلح، دار الحديث، القاهرة، 1996.
  17. محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق ضاحي عبيد الباقي، ط1، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت، 2001.
  18. مصطفى الأشرف، الجزائر الأمة والمجتمع، ترجمة حنفي بن عيسى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983.
  19. معجم المؤلفات تاغاسفية، فرانسوا شلنليه وأوليفيه دوهاميل وإيفين بيزيه، ترجمة محمد عرب صاصيلا، المؤسسة الجامعية، بيروت، دون تاريخ.
  20. المعجم النقدي لعلم الاجتماع، بوزون.ف. بوزيكو، ترجمة سليم حداد، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986.
- باللغة الأجنبية:

1. Le petite larouss de l'histoire du Monde, Protouto Lombarda a Pioltelle, Italie, 2011.

ثالثا-المراجع:

أ-الكتب:

- باللغة العربية:

1. أشرف عبد العزيز، المقاومة في الأدب الجزائري المعاصر، ط1، دار الجيل، بيروت، 1991.
2. آثار الشيخ مبارك الميلي، مج 01، جمع وترتيب: محمود أبو عبد الرحمن، ط1، دار الرشيد، الجزائر، 2012.
3. أحمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.
4. أحمد الخطيب، حزب الشعب الجزائري "جذوره التاريخية والوطنية ونشاطه السياسي والاجتماعي"، ج01، ط01، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.
5. أحمد الرفاعي الشرفي، الأعمال الكاملة للشيخ العربي التبسي، ط2، دار اليمن للنشر والتوزيع والإعلام، الجزائر، 2005.
6. أحمد بن نعمان، الحصانة الدينية للشخصية الوطنية، دار البعث، الجزائر، 1981.

7. \_\_\_\_\_، \_\_\_\_\_، الردود العلمية على الأطروحات العرقية وتعدد الهوية في الجزائر، دار الأمة، برج الكيفان، الجزائر، ط1، 2005.
8. \_\_\_\_\_، \_\_\_\_\_، الهوية الوطنية ( الحقائق والمغالطات )، دار الأمة ، الجزائر، 1996.
9. \_\_\_\_\_، \_\_\_\_\_، سمات الشخصية الجزائرية من منظور الأنثروبولوجيا النفسية، دار النعمان للطباعة والنشر، الجزائر، 2017.
10. أحمد بن نعمان ، كيف صارت الجزائر مسلمة عربية، ط2 ، دار الأمة، الجزائر، 1998.
11. أحمد حماني ، شهداء علماء معهد بن باديس الشيخ الصادق بن رابع حماني، قصر الكتاب، البليدة، الجزائر، 2004.
12. أحمد حمدي ، جذور الصراع الايديولوجي الجزائري، دار القصة، الجزائر، 2001.
13. أحمد عبد الحميد أبو سليمان ، أزمة العقل المسلم، ط2، دار الهدى، عين مليلة ، الجزائر، 1992.
14. أحمد غريسي، العلامة الشيخ محمد حمدان الونيسي التيجاني القسنطيني ودوره في بعث الفكر التحرري الوطني في الجزائر 1856-1920م، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2018.
15. أحمد محاسن ، الحركة الوطنية الثورية في الجزائر، ترجمة مسعود مسعود، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2002.
16. أحمد محمود الجزار ، الإمام المجدد ابن باديس والتصوف، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1999.
17. إدريس جباري وآخرون، جدل الهوية والتاريخ قراءة تونسية في مباحث الدكتور هشام جعيط، ط1، منشورات سوتيميديا والمركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، تونس، 2018.
18. الإمام عبد الحميد ابن باديس حياته وآثاره، مج 03، ج2، إعداد وتصنيف: طالبي عمار، ط01، عالم المعرفة، الجزائر، 2014.
19. أندرية ماندوز، الثورة الجزائرية عبر النصوص، منشورات المؤسسة الوطنية للاتصال النشر والإشهار، الجزائر، 2007.
20. إيفوان تيران، المواجهات الثقافية في الجزائر المستعمرة "المدارس والممارسات الطبية والدين" (1830-1888م)، ترجمة محمد عبد الكريم أوزغلة، دار القصة للنشر، الجزائر، 2007.
21. برهان غليون ، مجتمع النخبة، ط1، معهد الإنماء العربي، بيروت، لبنان، 1986.
22. بسام العسلي ، حزب الشعب الجزائري "جذوره التاريخية والوطنية ونشاطه السياسي والإجتماعي"، ج01، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.
23. \_\_\_\_\_، \_\_\_\_\_، عبد الحميد ابن باديس وبناء القاعدة الثورية، ط2، دار النفائس، بيروت، 1986.
24. بشير بلاح ، مواقف الحركة الإصلاحية الجزائرية من الثقافة الفرنسية 1335هـ-1359هـ/1925-1940م، دار الخلدونية، الجزائر، 2020.

25. بغورة الزاوي ، الخطاب الفكري في الجزائر بين النقد والتأسيس في التاريخ والهوية والعنف، دار القصة للنشر، الجزائر، 2003.
26. بلحاج صالح ، الحركة الوطنية الجزائرية بين الحريين 1910-1939م، دار قرطبة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2018.
27. توفيق بن زردة ، حفريات حول السياسة الاستعمارية في الدول المغاربية، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2022.
28. توفيق يوسف الواعي، الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية ، ط1، دار الوفاء، المنصورة ، مصر، 1988.
29. جلال العالم، قادة الغرب يقولون (دمروا الإسلام أبيدوا أهله)، دار ابن تيمية، البليدة، دون تاريخ.
30. جلييلة المليح الواكدي، مفهوم الهوية مسارات النظرية والتاريخية في الأنثروبولوجيا وفي علم الاجتماع ، مركز النشر الجامعي، تونس، 2010.
31. جمال قنان، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والاشهار، روية ، الجزائر، 1994.
32. جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، دار المعرفة، الجزائر، 2009.
33. جويل كاندو، الذاكرة والهوية، ترجمة وجيه أسعد، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2009.
34. جيلالي صاري، بروز النخبة المثقفة الجزائرية ( 1850-1950م ) ، ترجمة محمد المعراجي، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر، 2007.
35. حزب جبهة التحرير الوطني والنصوص الأساسية لجبهة التحرير الوطني، قسم الإعلام والثقافة، الجزائر، 1979.
36. حسنة عمر عبيد، الشاكلة الثقافية "مساهمة في اعادة البناء"، ط1، المكتب الإسلامي، بيروت، 1993.
37. حسين رئيس، الهوية الثقافية والروح الوطنية، موفم للنشر، الجزائر ، 2018 .
38. الحواس الوناس، نادي الترقى ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية (1927-1954م)، كنوز الحكمة، الجزائر، 2012.
39. خالد أقيس، الشيخ العربي التبسي الرئيس الثالث لجمعية العلماء المسلمين، دار الألفية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 2012.
40. خديجة بقطاش، الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر (1830-1871م)، مطبعة دحلب، الجزائر، 1977.
41. خولة طالب الإبراهيمي، الجزائريون والمسألة اللغوية "عناصر من أجل مقارنة إجتماعية لغوية للمجتمع الجزائري"، ترجمة محمد يحياتن، ط2، دار الحكمة، الجزائر، 1997.

42. خير الدين شترة ، الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة 1900-1956 " البعد العربي الإسلامي في نضال النخبة الجزائرية الزيتونية"، ج 2، ط01، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.
43. رابح بونار، المغرب العربي، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.
44. رابح تركي ، التعليم القومي والشخصية الوطنية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975.
45. \_\_\_\_\_، \_\_\_\_\_، الشيخ عبد الحميد بن باديس باعث النهضة الإسلامية العربية في الجزائر المعاصرة، ط2، موفم للنشر، الجزائر، 2003.
46. \_\_\_\_\_، \_\_\_\_\_، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر، ط 5، المؤسسة الوطنية للإتصال النشر والإشهار، الجزائر، 2001.
47. \_\_\_\_\_، \_\_\_\_\_، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر، ط3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.
48. \_\_\_\_\_، \_\_\_\_\_، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية (1931-1956)، ورؤسائها الثلاثة، موفم ، الجزائر، 2009.
49. \_\_\_\_\_، \_\_\_\_\_، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية (1931-1956) ورؤسائها الثلاثة، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2004.
50. رابح خدوسي ، موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، دار الحضارة، الجزائر، 2003.
51. رابح عمامرة تركي ، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية 1931-1956 ورؤسائها الثلاثة، موفم للنشر، الجزائر، 2009.
52. رابح لونيسي ، التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة بين الاتفاق والإختلاف (1920-1954)، ط 1، دار كوكب العلوم، 2009.
53. \_\_\_\_\_، \_\_\_\_\_، دراسات حول إيديولوجية وتاريخ الثورة الجزائرية، ط02، دار كوكب العلوم، الجزائر، 2012.
54. \_\_\_\_\_، \_\_\_\_\_، محطات وقضايا مفصلية في مسار الثورة الجزائرية ومستقبلها، دار المعرفة، الجزائر، 2012 .
55. رضوان شافو ، أوراق بحثية في قضايا تاريخية، منشورات مديرية الثقافة بالوادي، الجزائر، 2015.
56. رضوان عيناد ثابت ، 8 ماي 1945 في الجزائر، ترجمة: المؤلف ومصلي، ديوان المطبوعات الجامعية والمؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.
57. ريسلير كميل، السياسة الثقافية الفرنسية بالجزائر 1830-1962م، ترجمة: نذير طيار، دراكتابات جديدة للنشر الإلكتروني، دون دار نشر، أوت 2016.
58. سامية جفال ، المنهج والتغيير في فكر ابن باديس "قراءة في فلسفة التجديد"، ط1، دار الباحث للنشر والإشهار ، برج بوعرييج ، الجزائر، 2019.
59. سعد الله أبو القاسم ، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج4، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1996.



60. \_\_\_\_\_، \_\_\_\_\_، تاريخ الجزائر الثقافي (1830-1954)، ج 03، ط01، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1998.
61. \_\_\_\_\_، \_\_\_\_\_، تاريخ الجزائر الثقافي (1830-1954)، ج 06، ط01، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1996.
62. \_\_\_\_\_، \_\_\_\_\_، تاريخ الجزائر الثقافي (1830-1954)، ج 07، ط01، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1996.
63. \_\_\_\_\_، \_\_\_\_\_، الحركة الوطنية الجزائرية (1900-1930)، ج 02، ط4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1992.
64. سعد فهمي، حركة عبد الحميد بن باديس ودورها في يقظة الجزائر، ط01، دار الرحاب، لبنان، 1983.
65. سعيد بوزيان، نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في فرنسا (1936-1956)، تقديم: أبو القاسم سعد الله ومحمد الصالح الصديق، دار هومة، الجزائر، 2013.
66. سعيد عليوان، قيم الإسلام في مواثيق الثورة التحريرية الجزائرية (من خلال بيان أول نوفمبر 1954، ميثاق الصومام 1956 برنامج طرابلس 1962)، منشور بكتاب القيم الفكرية والإنسانية في الثورة التحريرية الجزائرية (1954-1962)، ج1، ط1، منشورات مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2003.
67. سليمان الرياشي وآخرون، الأزمة الجزائرية "الخلفيات السياسية والاجتماعية والإقتصادية والثقافية"، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط2، 1999م.
68. سليمان عشريني، الشخصية الجزائرية الأرضية التاريخية والمحددات الحضارية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009.
69. سمير أبيش، المجتمع الجزائري دراسات حول الهوية الوطنية وإشكالاتها، ج1، ط1، ألفا للوثائق، قسنطينة، الجزائر، 2024.
70. سمير مرقس، المواطنة والتعبير، مكتبة الشروق، القاهرة، 2006.
71. شارل أندري جوليان، إفريقيا الشمالية تسير القوميات الإسلامية والسيادة الفرنسية، ترجمة المنجي سليم وآخرون، الدار التونسية للنشر، تونس، 1976م.
72. شفيق منير، الإسلام وتحديات الانحطاط المعاصر، ط03، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، 1413هـ 1993.
73. شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، المقاصد الحسنة في بيان ابن كثير، مج 2، ط1، دار الميمنة للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، 2017.
74. الشيخ أبو عمران، قضايا في الثقافة والتاريخ، منشورات تالة، الجزائر، 2007.

75. الشيخ الحاج أحمد بن المبارك بن العطار (1790-1870)، تاريخ بلد قسنطينة، تحقيق وتعليق وتقديم عبد الله حمادي، دار الفائر، قسنطينة، الجزائر، 2011.
76. الصادق الزمري، أعلام تونسيون، تقديم وتعريب حمادي الساحلي، ط01، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1986.
77. صادق سلام، فرنسا ومسلموها قرن من السياسة الإسلامية (1895-2005)، ترجمة زهيدة درويش جيور، ط01، دار كلمة، أبو ضبي، 2012.
78. صالح خرفي، صفحات من الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972.
79. —، —، في رحاب المغرب العربي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985.
80. صالح عوض، معركة الإسلام والصليبية في الجزائر، الزيتونة للإعلام والنشر، 1989.
81. صومائيل.ب. هنتكتون، من نحن "التحديات التي تواجه الهوية الأمريكية"، ترجمة حسام الدين حضور، ط1، دار الحصاد، دمشق، 2005.
82. الطاهر أوصديق، ثورة 1871م، ترجمة جناح مسعود، ط1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989.
83. الطيب بن إبراهيم، الاستشراق الفرنسي وتعدد مهامه خاصة في الجزائر، دار المنابع للنشر والتوزيع، الجزائر، 2004.
84. طيبي غماري، اللغة المدرسة والهوية الوطنية الجزائرية، كوكب العلوم للنشر والتوزيع والطباعة، الجزائر، 2020.
85. عادل حدجامي، فلسفة جيل دولوز عن الوجود والاختلاف، ط1، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 2012.
86. عامر الشماخ، فكرة المواطنة، دار الصحوة، القاهرة، 2010.
87. عامر بغدادي، المكون العربي الإسلامي في الهوية الجزائرية، كنوز الحكمة، الجزائر، 2014.
88. عبد الحميد زوزو، الثقافة والتعليم الحر والرسمي في العهد الفرنسي، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2017.
89. عبد الرحمان شيبان، من وثائق جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، دار المعرفة، الجزائر، 2008.
90. عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، ط3، دار العلم للملايين، بيروت، 1993.
91. عبد الرشيد زروقة، جهاد ابن باديس ضد الإستعمار الفرنسي في الجزائر، 1913-1940 ط1، دار الشهاب، لبنان، 1999.
92. عبد السلام عبد العالي، هيدغر أمام هيجل حول مفهوم الزمان، دراسات عربية، دون بلد، 1984.
93. عبد العزيز فيلاي، الإمام محمد البشير الإبراهيمي مقارنة في فكره الثقافي والإجتماعي والسياسي، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2022.

94. \_\_\_\_\_، \_\_\_\_\_، الشيخ عبد الحميد بن باديس وعيه بالإستعمار وبالثقافة الغربية من خلال أرشيف الإستخبارات الفرنسية، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2016.
95. عبد العزيز كحيل ، في الهوية والإصلاح، ط1، دار الخلدونية، الجزائر، 2021.
96. عبد القادر عيسات ، الجهود التربوية عند العلامة عبد الحميد بن باديس، شركة الأصالة للنشر، الجزائر، 2020.
97. عبد القادر فضيل ومحمد الصالح رمضان، إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس، ط1، دار الأمة العربية، الجزائر، 1998.
98. عبد الكريم العثمان ، سيرة الغزالي وأقوال المتقدمين فيه، دار الفكر، دمشق، سوريا، دون سنة.
99. عبد الكريم بوصفصاف ، الفكر العربي الحديث والمعاصر "محمد عبده وعبد الحميد ابن باديس أنموذجا"، ج2، دار مداد للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.
100. \_\_\_\_\_، \_\_\_\_\_، جمعية العلماء المسلمين الجزائرية وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى، دار مداد، الجزائر، 2009.
101. \_\_\_\_\_، \_\_\_\_\_، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية (1931-1945)، ط01، دار البعث، الجزائر، 1981.
102. عبد الله ركيبي ، الهوية بين الثقافة والديمقراطية ( دراسات ومقالات )، دار هومة، الجزائر ، 1998 .
103. عبد الله عبد الرحمن يتيم ، كلود ليفي سستروس قراءة في الفكر الأنثروبولوجي المعاصر، سلسلة المنتخب "20"، ط01، إصدارات بيت القرآن، المنامة ، البحرين، 1998.
104. عبد الله مقلاتي ، قاموس أعلام شهداء وأبطال الثورة الجزائرية، ط1، منشورات بلوتو، الجزائر، 2009.
105. عبد المجيد النجار ، تجربة التغيير في حركة المهدي بن تومرت، ط1، دون دار نشر، تونس، 1984.
106. عبد المجيد محسن ، تجديد الفكر الإسلامي ، دار الصحوة للنشر، مصر، 1985 .
107. عبد المنعم الحفني ، موسوعة الفلسفة والفلاسفة، ج1، ط3، دار مدبولي للنشر، القاهرة، 2010.
108. عبد المنعم عباس راوية ، جون لوك إمام الفلسفة التجريبية، سلسلة أساطين الفلسفة الحديثة والمعاصرة "4"، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1996.
109. عبد الوهاب بن خليف ، تاريخ الحركة الوطنية من الإحتلال إلى الإستقلال، دار طليطلة، المحمدية، الجزائر، 2009.
110. عثمان سعدي ، اللغة والهوية "بين الثورة الجزائرية والثورة الفيتنامية"، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2014.
111. عدة بن داهة ، الإستيطان والصراع حول ملكية الأرض إبان الإحتلال الفرنسي 1830-1962م، ج1، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر ، 2008.

112. العربي منور ، تاريخ المقاومة الجزائرية في القرن التاسع عشر، دار المعرفة، الجزائر، 2006.
113. العظمة عزيز ووانغ بين وآخرون، الهوية، ترجمة عبد القادر قينيني، ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2005.
114. عقيلة حسين ، جهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في خدمة الحديث الشريف، دار الوعي، الجزائر، ط1، 2012.
115. علي الكنز ، حول الأمة " خمس دراسات حول الجزائر والعالم العربي "، ط1، دار بوشان للنشر، باريس، 1990. الهرماسي محمد صالح، مقارنة في إشكالية الهوية المغرب العربي المعاصر، ط1، دار الفكر، دمشق، سورية، 2001.
116. علي بن محمد ، معركة المصير والهوية في المنظومة التعليمية، ط01، دار الأمة، الجزائر، 2001.
117. علي بن محمد الشريف الجرجاني ، كتاب التعريفات، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، 1985.
118. علي بن محمد بن زينب، جهود جمعية العلماء في الدعوة والإصلاح "من سنة 1830 إلى 1954م، سامي للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2023.
119. علي محمد الصلابي ، كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي سيرة عبد الحميد بن باديس رائد النهضة العلمية والإصلاحية، ج2، دار المعرفة، بيروت، 2015.
120. عمار بن مزور ، عبد الحميد بن باديس ومنهجه في الدعوة والإصلاح، ط2، دار الأمل، تيزي وزو، الجزائر، 2015.
121. عمار بوحوش ، تاريخ الجزائر السياسي من البداية ولغاية 1962، ط 1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1997.
122. عمار طالبي ، الإمام عبد الحميد بن باديس حياته وآثاره، مج02، ج 01، إعداد وتصنيف: طالبي عمار، ط01 ، عالم المعرفة، الجزائر، 2013.
123. عمار طالبي وعبد المالك حداد ، ابن باديس من خلال الإجازات والوثائق وتقارير المخابرات الفرنسية، شركة الأصالة، الجزائر، 2017.
124. عمار يزلي ، تشكل عناصر الهوية المغاربية، ط1، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2020.
125. عمر بن قينة ، في الأدب الجزائري الحديث، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995.
126. —، — ، المشكلة الثقافية في الجزائر، ط1، دار أسامة، عمان، الأردن، 2000.
127. عمر فاخوري، سلسلة أعلام العرب "89"، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، مصر ، 1970.
128. —، — ، كيف ينهض العرب، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، 2017.
129. عنتر رمضاني ، جهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في النهضة باللغة العربية وآدابها في الجزائر، شركة الأصالة، الجزائر، 2022.

130. فاطمة الزهراء شايب ، اللغة العربية في المدرسة الكولونيالية الجزائر 1830-1936م " صراع التحدي"، دار الأمة، الجزائر، 2023.
131. فاطمة بن سليمان ، الأرض والهوية "نشوء الدولة الترابية في تونس 1574-1881م"، منشورات إديسيونس، تونس، 2009.
132. فرنان بروديل ، المتوسط والعالم المتوسطي، تعريب: مروان أبي سمرا، ط01، دار المنتخب العربي، بيروت، لبنان، 1993.
133. فرويد سيغموند ، الموجز في التحليل النفسي، ترجمة سامي محمود علي وعبد السلام قفاش، دون طبعة، مكتبة الأسرة، دون سنة.
134. \_\_\_\_\_، \_\_\_\_\_، حياتي والتحليل النفسي، ترجمة مصطفى زيور وآخرون، دار المعارف، 1967.
135. فريد حاجي ، السياسة الثقافية الفرنسية في الجزائر 1837-1937م (المنطلق- السيرة - المآل)، دار الخلدونية، الجزائر، 2013.
136. كوزن بيتر، البحث عن الهوية" الهوية وتشتتها في حياة إيريك إيكسون وأعماله"، ترجمة سامر جميل رضوان، دار الكتاب الجامعي، 2010.
137. لحسن بن علجية ، الإمام عبد الحميد ابن باديس شبهات وردود، دار أمل، تيزي وزو، الجزائر، 2023.
138. \_\_\_\_\_، \_\_\_\_\_، الشيخ محمد السعيد الزموشي سيرة ومسيرة، مكتبة عراس للنشر والتوزيع ودروب للنشر والتوزيع، الجزائر، 2024.
139. لصرح الدين لعوج ، المشروع الحضاري للثورة الجزائرية 1954-1962، ط1، دار ألفا، الجزائر، 2020.
140. ليندة طرودي ، البعد الفكري للثورة الجزائرية 1954-1962 (أول نوفمبر 1954 ذكرى وفكرة)، ط1، ألفا للوثائق، الجزائر، 2024 .
141. ماريو باي، أسس علم اللغة، ترجمة أحمد مختار عمر، ط8، عالم الكتب، القاهرة، 1998.
142. مازن صالح حامد مطبقاتي ، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية 1931-1939، عالم الأفكار، الجزائر، 2011.
143. \_\_\_\_\_، \_\_\_\_\_، عبد الحميد ابن باديس العالم الرباني والزعيم السياسي، دار العلم، دمشق، 1999.
144. ماكسيمكو فلاديمير، الأنثولوجيا المغاربية (المثقفون أفكار ونزاعات)، ترجمة: عبد العزيز بوباكير، ط1، دار الحكمة، الجزائر، 1984.
145. مجموعة من الباحثين، المنجد في اللغة و الإعلام ، ط 38، دار المشرق، بيروت، 2000.
146. محفوظ قداش ، حزب الشعب الجزائري، ط01، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ، 1988.
147. محمد أرزقي فراد ، بلاد الزواوة من خلال نصوص الحركة الإصلاحية، دار الأمة، الجزائر، 2016.



148. محمد الصالح الصديق ، الأستاذ مولود قاسم نAIT بلقاسم "خواطر وذكريات ومواقف وشهادات" ط2، دار الأمل، الجزائر، 2004.
149. محمد الصالح الصديق ، الإمام الشيخ عبد الحميد بن باديس من آرائه ومواقفه، ط01، دار البعث، قسنطينة، 1983.
150. \_\_\_\_\_، \_\_\_\_\_، المصلح المجدد الإمام ابن باديس لهذا حاولوا اغتياله، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2006.
151. \_\_\_\_\_، \_\_\_\_\_، كيف ننسى وهذه جرائمهم؟، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.
152. \_\_\_\_\_، \_\_\_\_\_، أعلام من المغرب العربي، ج1، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2000.
153. محمد الطاهر فضلاء ، أعلام الجزائر" الإمام الرائد الشيخ الإبراهيمي في ذكره الأولى"، نشر وطبع وتوزيع مكتبة ومطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1967.
154. محمد الطاهر وعلي ، التعليم التبشيري في الجزائر من 1830 إلى 1904م "دراسة تاريخية تحليلية"، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2009.
155. محمد الطمار ، الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983.
156. محمد الطيب العلوي ، مظاهر المقاومة الجزائرية 1830-1954م ، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، د.س
157. محمد الطيب ، الجزائر عشية الغزو الإحتلالي "دراسة في الذهنيات والبنيات والمآلات"، ط1، ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.
158. محمد العربي الزيري ، أسباب فشل نظام الحكم في إعادة بناء الدولة الجزائرية، ط01، دار بهاء للنشر والتوزيع، الجزائر، 2021.
159. \_\_\_\_\_، \_\_\_\_\_، الثورة الجزائرية في عامها الأول، ط01، دار البعث، الجزائر، 1984.
160. \_\_\_\_\_، \_\_\_\_\_، تاريخ الجزائر المعاصرة، ج1، إتحاد الكتاب العرب، سوريا، 1999.
161. محمد العربي ولد خليفة ، المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2017.
162. محمد بغداد ، الإعلام الديني في الجزائر "الخطاب والهوية"، دار الحكمة، الجزائر، 2010.
163. محمد بن ساعو ، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والثورة التحريرية 1954-1962، دار الأمة، الجزائر، 2016.
164. محمد يحي الدين سالم ، ابن باديس فرس الإصلاح والتنوير، ط1، دار الشروق، مصر، 1999م.
165. محمد بودهان ، في الهوية الأمازيغية للمغرب، سلسلة في سبيل الأمازيغية، ط3، منشورات تاوza 5، المغرب، 2013.

166. محمد جغابة ، بيان أول نوفمبر "دعوة إلى الحرب رسالة للسلام"، تقديم: محمد العربي ولد خليفة، دار هومة، الجزائر، 2012.
167. محمد رزيق ، الجرائم الفرنسية "شهادات واعترافات أكبر قادة وضباط فرنسا وخبرائها العاملين في الجزائر خلال الفترة" (1871-1830م) أخطر مرحلة مرت بها الجزائر في تاريخها الحديث، دار قرطبة، الجزائر، 2018.
168. محمد رضوان ، منازعات الحدود في العالم العربي "مقاربة سوسيو تاريخية وقانونية لمسألة الحدود العربية"، إفريقيا للشرق، بيروت، لبنان، 1999.
169. محمد سعيد بن أحمدو ، موريتانيا بين الانتماء العربي والتوجه الإفريقي "دراسة في إشكالية الهوية السياسية 1960-1993م"، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2003.
170. محمد سيف بوفلاحة ، محاضرات في تاريخ الجزائر، دار الجنان للنشر والتوزيع، الأردن ، 2020.
171. محمد شهيد ، في قضية الهوية إلتباس المفاهيم عند الإسلام السياسي بالهوية والهوية بين ضيق الانتماء وسعة الإبداع، تقديم الحاج روان، مراسلون بلا حدود، الرباط، 2016.
172. محمد شوقي الزين ، فلسفة التاريخ وتكوين البشرية عند يوهان هردر "من نظام المعرفة إلى نظام الحقيقة"، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، قسم العلوم الإنسانية والفلسفة، الرباط، المملكة المغربية، دون سنة.
173. محمد طهاري ، الشيخ عبد الحميد ابن باديس الحركة الإصلاحية في الفكر الإسلامي المعاصر، ج 3، دار الأمة، الجزائر، 2010.
174. محمد عابد الجابري ، حفريات في الذاكرة من بعيد، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1997.
175. محمد عباس ، الإندماجيون الجدد" الكتاب الثالث، مطبعة دحلب، الجزائر، 1993.
176. —، — ، الوجيز في تاريخ الجزائر المعاصر، دار المعاصرة، الجزائر، 2009.
177. محمد علي ديوز ، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج1، ط1، المطبعة التعاونية، دمشق، 1965.
178. محمد عوض ، الاستعمار والمذاهب الاستعمارية، دار الكتاب العربي، القاهرة، مصر، 1953.
179. محمد قطب ، واقعنا المعاصر، ط 01، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1989.
180. محمد كمال شبانة، الدويلات الإسلامية في المغرب، ط1، دار العالم العربي، القاهرة، 2008م.
181. محمد مسلم، الهوية في مواجهة الاندماج عند الجيل المغاربي الثاني بفرنسا، دار قرطبة، المحمدية ، الجزائر، ط1، 2009.
182. محمد نور الدين أقارية، الغرب والمتخيل صورة الآخر في الفكر العربي الإسلامي الوسيط، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2000.
183. محمود أمين العالم ، من نقد الحاضر إلى إبداع المستقبل، ط1، دار المستقبل العربي، القاهرة، 2000.

184. محمود عبدون ، شهادة مناضل من الحركة الوطنية، منشورات دحلب، الجزائر، 2013.
185. محمود قاسم، الإمام عبد الحميد ابن باديس الزعيم الروحي لحرب التحرير الجزائرية، دار المعارف، مصر، 1986.
186. المختار بن عمار ، محيي تلمسان الإمام محمد البشير الإبراهيمي آثار وبصمات ومواقف وعظمت، شركة الأصاله، الجزائر، 2021.
187. مسعود فلوسي ، الإمام عبد الحميد بن باديس "لمحات من حياته وأعماله وجوانب من فكره وجهاده"، دار قرطبة، الجزائر، 2006.
188. مصطفى خالدي وعمر فروج ، التبشير والاستعمار في البلاد العربية (عرض لجهود المستشرقين التي ترمي إلى اخضاع الشرق للاستعمار الغربي، ط3، دون دار نشر، دون بلد، 1973.
189. مصطفى عبيد ، الفكر الاستعماري السانسيمنيوني في مصر والجزائر (1833-1870م)، دار المعرفة الدولية، الجزائر، 2013.
190. مصطفى محمد حميداتو ، عبد الحميد ابن باديس وجهوده التربوية، ط1، سلسلة كتاب الأمة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، 1997.
191. معلوف لويس، المنجد في اللغة والآداب، ط1، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، لبنان، 1927.
192. منصف بوزفور ، المدارات الشرقية و الإستشراق "دراسة"، موفم للنشر، الجزائر، 2014.
193. مولود عويمر ، تراث الحركة الإصلاحية الجزائري، ج 01، دار قرطبة، الجزائر، 2011.
194. —، — ، تراث الحركة الإصلاحية الجزائري، ج 02، دار قرطبة، الجزائر، 2011.
195. —، — ، عبد الحميد بن باديس مسار وأفكار، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 2016.
196. مولود قرين ، تاريخ النخبة الجزائرية "مرجعيات - تيارات-مواقف وإهتمامات (1892-1927م)، ط 01، دار ومضة، الجزائر، 2021.
197. مومن العمري ، الحركة الوطنية الثورية في الجزائر من نجم شمال إفريقيا إلى جبهة التحرير الوطني (1926-1954)، دار الطليعة للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، 2003.
198. ناصر الدين سعيديوني ، الجزائر منطلقات وآفاق "مقاربات للواقع الجزائري من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية"، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2000.
199. —، — ، الجزائر منطلقات وآفاق مقاربات للواقع الجزائري من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية، عالم المعرفة، الجزائر.
200. —، — ، المسألة الثقافية في الجزائر النخب- الهوية- اللغة دراسة تاريخية نقدية، ط1، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، 2021.

201. \_\_\_\_\_، \_\_\_\_\_، نظرة في البعد التاريخي للثورة "معالم بارزة في ثورة نوفمبر 1954م"، جمعية أول نوفمبر، مطبعة عمار قربي، باتنة، الجزائر، 1992.
202. \_\_\_\_\_، \_\_\_\_\_، ورقات جزائرية "دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني"، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000.
203. الناصر عبد اللاوي، الهوية والتواصلية في فكر هابرماس، ط01، الرابطة العربية الأكاديمية للفلسفة، دار الفارابي، لبنان، 2012.
204. نبيل أحمد بلاسي، الاتجاه العربي والإسلامي ودوره في تحرير الجزائر، الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية، مصر، 1990.
205. نجيب بن خيرة، تاريخنا نحو وعي جديد ط1، دار ابن كثير، بيروت، لبنان، 2020.
206. نور الدين ثنيو، إشكالية الدولة في تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، ط1، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، لبنان، 2015.
207. \_\_\_\_\_، \_\_\_\_\_، الحركة الإصلاحية الجزائرية "بحوث ووثائق"، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2018.
208. \_\_\_\_\_، \_\_\_\_\_، نقد الحركة الإصلاحية الجزائرية "رابح زناتي"، شركة الأصالة، الجزائر، 2020.
209. هارلبس وهولبورن، سوسيولوجيا الثقافة والهوية، ترجمة: حاتم حميد حسن، ط1، دار كيوان، دمشق، سوريا، 2010.
210. الهاشمي جيار، مؤتمر الصومام الفعل المؤسس بحلوله ومره، ترجمة حضرية يوسف، المؤسسة الوطنية للإتصال والنشر والإشهار، وحدة الروبية، الجزائر، 2014.
211. هالبرن كاترين وآخرون، الهوية الفرد الجماعة المجتمع، ترجمة إبراهيم صحراري، ط01، دار التنوير، الجزائر، 2015.
212. هيثم مناع، أبحاث نقدية في حقوق الإنسان، دار الأهالي، المؤسسة العربية الأوروبية للنشر وأوراب، دمشق، 2002.
213. وردة بوعائشة، الهوية والاختلاف في فلسفة إيمانوال ليفانس، دار الأيام للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2020.
214. يحي بوعزيز، الاتجاه اليميني في الحركة الوطنية الجزائرية من خلال نصوصه 1912-1948م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ت.
215. \_\_\_\_\_، \_\_\_\_\_، الإيديولوجيات السياسية للحركة الوطنية الجزائرية، ط01، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986.
216. \_\_\_\_\_، \_\_\_\_\_، سياسة التسلط الاستعماري الحركة الوطنية الجزائرية 1830-1945، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.

217. يوسف بوغابة ، موقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من الحضارة الغربية، ط 01، عالم المعرفة، الجزائر، 2018.
218. يوسف قاسمي ، موثيق ونصوص الثورة التحريرية 1954-1962 دراسة تحليلية نقدية، شركة الأصالة، الجزائر، 2020.
219. يوسف مناصرية ، الإتجاه الثوري في الحركة الوطنية بين الحربين 1919-1939م، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988.
220. ———، ———، دراسات وأبحاث في المقاومة والحركة الوطنية الجزائرية (1830-1954)، دار هومة، الجزائر، 2014.

باللغة الأجنبية:

1. Abdallah Laroui, L'Histoire du Maghreb, Tome 02, Masreno, Paris, 1976 .
2. Ageron Charles Robert 'Histoire de l'Algérie contemporaine, Presses de Universitaires de France ,Paris,Tome 2, 1979.
3. ———، ———، France colonial ou parti colonial, Presses universitaires de France, Edité par PUF, Paris, France, 1978.
4. Alex Mucchielli, Approche systémique et communicationnelle des organisation, Armand Colin, Paris, 1998.
5. ———، ———، L'edentité ,puf 4eme edition, paris, 1986,
6. ———، ———، L'identité, Edition Actualisée, Paris ,4ème édition mise à jour, 1999.
7. Amar Hellal, Le mouvement réformiste algérien (les hommes et l'histoire 1831-1957), office des publication universitaires.
8. Rabah Belamri, L'œuvre de louis Bertrand « miroir de l'idéologie colonialiste », Office Publications Universitaires , Alger, 1980.
9. M'Hamed Boukhobza, Octobre 1988 "évolution ou rupture ?", Edition Bouchene, Alger, 1991.
10. Fathi Triki, La stratégie de l'identité, Arcaneres Edition, France, 1998.
11. Filipe Carreira da Silva, G. H. Mead "a Reader", Routledge, New York, 2011.
12. Guy Pervillé , Les étudiantes algériens de l'université française (1880-1962) préface de Mohamed Harbi, casbah edition .
13. ———، ———، Cours de législation algérienne tunisienne et marocaine , librairie ferraris, Alger, 1949 .
14. Jacques Lambert, Manuel de législation algérienne , la maison des livres , Alger .
15. Jasques Darrida, Marges de la philosophie, Edition de Minuit , Paris, .1972
16. Jean.Marie. Benoit, L'identité, Edition Grasset, Paris, 1997.
17. Le Vicomte de Colleville, Le Cardinal Lavigerie, Librairie des Saints-Peres, 2 eme édition , Paris, 1905.



18. Leclerc Gérard, Anthropologie et colonialisme « essai sur l'histoire de l'africanisme, Fayard, Paris, 1972 .
19. Mahfoud Kaddache et Djilali Sari, L'Algerie Pérennité et résistance (1830-1962), OPU, Alger, 2002.
20. Mahfoud Kaddache, L'Algérie Médiévale, ENAL, Alger, 1992.
21. Megherbi Abdelghani, La paysannerie algérienne face a la colonisation « pour comprendre l'impératif historique de la révolution agraire », Editions EnAP, Alger, 1973.
22. Mohamed Guenanech – Mahfoud Kaddache 'le parti du peuple algerien 1937 -1939 documents et temoignages pour servir a l etude du nationalisme algerien 'office des publications universitaires 'Algérie', 2009.
23. Mostafa Boutefnouché, La famille algérienne, évolution et caractéristiques récentes, 2eme éd, SNED, Alger, 1982.
24. Pierre Cot ,Le monde arabe et la défense de la paix
25. Stuart Hall, Identités et cultures « Politiques des cultures studies», Editions Amsterdam, Paris, 2013.

#### ب-المقالات:

1. أحمد بروال ويوسف مقارمة ، جهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الحفاظ على الهوية الوطنية، مجلة الإحياء، العدد 22، مج 18، كلية العلوم الإسلامية، جامعة باتنة 01، الجزائر، سبتمبر 2019.
2. أحمد عيساوي ، خطاب الهوية عند الحركة الوطنية الجزائرية "ابن باديس من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين" أمودجا، مجلة العلوم الاجتماعية، مج 06، العدد 01، جامعة باتنة، جوان 2012.
3. أحمد مهساس ، التعليم والثقافة في الجزائر خلال الحقبة الإستعمارية، مجلة الثقافة، العدد 85، وزارة الثقافة والسياحة، الجزائر، ربيع الثاني-جمادى الأولى 1405هـ/ يناير فبراير 1985.
4. إدوار الخراط ، الأصالة الثقافية والهوية والوطنية، مجلة العربي، العدد 551، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، 2004.
5. البشير بوقعادة ، البعد التاريخي لشعار جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الإسلام ديننا العربية لغتنا والجزائر وطننا وقضايا تاريخية، مجلة قضايا تاريخية، العدد 04، 1437هـ/2016م.
6. بلال دربال ، السياسات اللغوية في البلاد المستعمرة "الإستعمار الفرنسي للجزائر أمودجا"، دراسات لغوية، العدد 01، جوان 2015.
7. جان ماري بونوا، أوجه الهوية، ترجمة عبد السلام بن عبد العالي، مجلّة الفكر العربي المعاصر، عدد 39، بيروت، 1986.
8. حاج ميلود عامر، بناء الدولة وإنعكاسه على واقع الدولة القطرية العربية، دراسات استراتيجية، العدد 195، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، الإمارات العربية المتحدة، 2014.

9. حسن رمعون ، مقاربات حول ممارسة المواطنة، مجلة إنسانيات، العدد 03، مج 17، مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، وهران، 2013.
10. الحسين عزة ، معهد الشيخ عبد الحميد بن باديس في قسنطينة ودوره في نشر التعليم العربي (1947-1957)، مجلة الإبراهيمي للآداب والعلوم الإنسانية، العدد 01، جامعة برج بوعريش، الجزائر، ديسمبر 2019
11. خالد بوهند ، رحلة الشيخ البشير الإبراهيمي إلى الشرق العربية والإسلامي (1952-1962)، دورية كان التاريخية، العدد 24، جوان 2014.
12. رابع تركي ، ابن باديس ونشأة الحركة الوطنية الإصلاحية في الجزائر، الأصالة، الجزائر، العدد 24، مارس/أفريل 1975.
13. زهور ونيسي، فخر المدارس الحرة التربية والتعلين بقسنطينة، مجلة اللغة العربية، العدد الممتاز، العدد 02، المجلد 07، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2005.
14. زين الدين رشا ، مارتن هايدغر سيرته الذاتية، فلسفته، وأبرز أعماله، مجلة الإستغراب، العدد 05، السنة 02، المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية، بيروت، لبنان، 1437هـ/2016م.
15. سعد الله أبو القاسم ، الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1930م، ج 02، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ط2، 1977.
16. —، —، اللغة العربية في موانئ الحركة الوطنية، مجلة الكلمة، العدد 4، السنة الأولى، جانفي 1993.
17. سعدية بن دنيا ، الهوية الدينية وسؤال الاختلاف، مجلة الإنسان والمجال، العدد 01، مج 04، معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة البيض، 2018.
18. سلطان بلغيث ، تمظهرات أزمة الهوية لدى الشباب ،مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية ، العدد 05، المجلد 03، عدد خاص، المجالات الاجتماعية في ظل التحولات السيوسيو ثقافية في المجتمع الجزائري، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 2011.
19. شريفة بريجة وقويدر سيكوك ، مفهوم الهوية النشأة والتطور في تاريخ أوروبا الحديث "مقاربة سوسيو-أنثروبولوجية"، مجلة أنثروبولوجيا، العدد 02، مج 07، مركز فاعلون للبحث في الأنثروبولوجيا والعلوم الانسانية والاجتماعية، الجزائر، 2021.
20. صالح بوعزة ، بعد الهوية والمواطنة والمقاربة الباديسية -نظرة تحليلية- مجلة تنمية الموارد البشرية، العدد 02، مج 10، وحدة البحث تنمية الموارد البشرية، جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2 / الجزائر. وتعني بنشر البحوث والدراسات الاصلية جامعة محمد لمين دباغين، سطيف 02، الجزائر، 2015، ص ص 501-532.
21. —، —، مرافعة المستعمر إطار سيوسولوجي وثقافي لفهم الرواية الثلاثية لمحمد ديب، مجلة التبيين، العدد 04، الجاحظية، الجزائر، 01 أفريل 1992.

22. الطيب بودريالة ، صورة الجزائر في الرواية الفرنسية، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، العدد 02، مج 02، كلية الآداب واللغات، جامعة الوادي، الجزائر، 2010.
23. الطيب بوسعد ، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية والثورة التحريرية المباركة (1931-1962)، مجلة الصراط، المجلد 10، العدد 01، جامعة بن يوسف بن خدة، الجزائر، 2008.
- الرابط: <https://asjp.cerist.dz/en/article/85263> .
24. عادل شويب ومفيدة بلهامل ، موقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من طروحات الهوية الجزائرية في موثاق الحركة الوطنية الجزائرية (1936-1954م)، مجلة العلوم الانسانية، العدد 02، مج 34، جامعة الاخوة منتوري، قسنطينة، الجزائر، جوان 2023.
25. عبد الجليل التميمي ، حركة التبشير في تونس، مجلة الأصالة، العدد 29-30 فيفري، 1976.
26. عبد الحفيظ موسم، الهوية الوطنية ضمن كتابات أحمد توفيق المدي كتاب "الجزائر" أمودجا، مجلة دراسات، مج 13، العدد 02، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية ،جامعة عبد الحميد مهري قسنطينة 2، الجزائر، 2022.
27. عبد السلام موكيل، المواطنة وسياق الدولة والهوية "مقاربة فكرية ومعرفية بين الفكر السياسي المعاصر والمنظور الإسلامي، مجلة تاريخ العلوم، العدد 01، مج 01، جامعة زيان عاشور، الجلفة، الجزائر، 2016.
28. عبد العزيز الزناقي ، أيستحب تعليم المرأة المسلمة وترشيدها، مجلة الشهاب، السنة الثالثة، مج 03، العدد 104، 1928م، وزارة الثقافة، الجزائر، 2001.
29. عبد القادر دحدوح ، المعالم الأثرية الإسلامية بمدينة قسنطينة خلال الفترة العثمانية، مجلة الثقافة الإسلامية، العدد 13، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 1437هـ/2015م.
30. عثمان سعدي ، الأصول العربية للبربر، مجلة آفاق عربية، العدد 09، السنة 14، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، العراق، 1989 .
31. العربي عقون ، الهوية والدين في الجزائر نظرة في أدبيات وتشريعات الفترة الكولونيالية 1830-1962.
32. عزمي بشارة ، تأملات في مسألة الهوية، مجلة تبائن، العدد 41، مج 11، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، قطر، 2022.
33. علي حرب ، الهوية والغيرية في المقال الفلسفي العربي "دراسات عربية"، مجلة فكرية إقتصادية إجتماعية، العدد 04، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ، 1982.
34. علي قيصر ، إيمانويل ليفانس فيلسوف الغيرية والبناء، مجلة الإستغراب، العدد 10، السنة الرابعة، المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية، بيروت، لبنان، شتاء 2018.
35. علي مرحوم ، لمحات من حياة الشيخ عبد الحميد بن باديس، مجلة الأصالة، السنة الرابعة، العدد 24، الجزائر، أبريل 1975.

36. عمار بلحسن ، المشروعات والتوترات الثقافية بالجزائر، مجلة آفاق، العدد 03، إتحاد كتاب المغرب، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، المغرب، 01 نوفمبر 1990.
37. عمر بلعربي ، إسهامات الشيخ عبد الحميد بن باديس وإبراهيم أبي يقضان في الحفاظ على الهوية الوطنية الجزائرية (1919-1939) دراسة تحليلية مقارنة، مجلة الإحياء، مج 21، العدد 29، أكتوبر 2021، ص ص 553-564.
38. عمر جمال الدين دحماني ، نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بتلمسان 1931-1962 ودورها في المحافظة على الهوية الوطنية دراسة تاريخية من خلال مدارسها التعليمية العربية، مجلة دراسات وأبحاث "المجلة العربية للأبحاث والدراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية"، مج 07، العدد 19، جامعة زيان عاشور، الجلفة، الجزائر، 2015، ص ص 303-316.
39. فتيحة كركوش ، إشكالية الهوية النفسية الاجتماعية، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، العدد 16، مج 16، جامعة ورقلة، الجزائر، 2014.
40. فضيلة شباحة ، تطور مفهوم الهوية في الفكر السياسي، المجلة الجزائرية للدراسات السياسية، العدد 02، المجلد 08، المدرسة الوطنية العليا للعلوم السياسية، الجزائر، 2021.
41. فؤاد صوفي ، التاريخ والذاكرة الإسطوريوغرافية الاستعمارية، دفاتر مجلة إنسانيات، عنوان العدد الجزائر الهوية والتاريخ والتحولت العمرانية، العدد 02، المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية ، وهران، الجزائر، 2010.
42. \_\_\_\_\_، \_\_\_\_\_، التاريخ والذاكرة الإسطوريوغرافية الإستعمارية، دفاتر مجلة إنسانيات، الجزائر الهوية والتاريخ والتحولت العمرانية، العدد 03، مج 17، مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، وهران، 2013.
43. فوزية بدة وعبد الحليم بلوهم ، الهوية عند إدوارد سعيد من النقاء إلى المهجنة، مجلة دراسات، مج 13، العدد 02، 2022.
44. فيصل الحفيان ، اللغة والهوية إشكاليات المفاهيم وجدل العلاقات، مجلة التسامح والتفاهم، العدد 05، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عمان، 31 ديسمبر/كانون الأول 2004.
45. فيصل دراج ، في الهوية الثقافية الفلسطينية، مجلة الكرمل، العدد 50، مؤسسة الكرمل الثقافية، فلسطين، شتاء 1997.
46. كمال عجالي ، مساهمة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الحفاظ على الهوية الوطنية، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 16، مج 12، جامعة منتوري بقسنطينة، الجزائر، ديسمبر 2001.
47. محمد البشير الإبراهيمي، مجلة مجمع اللغة العربية، العدد 21، مجمع اللغة العربية، القاهرة، مصر، 1966.
48. محمد الصالح رمضان ، دعوة جمعية العلماء ونهجها الإصلاحية التربوي في عهد رئاسة ابن باديس لها، البصائر، العدد 65، 01-08 أكتوبر 2001.

49. محمد الطاهر فضلاء ، دور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في المقاومة الوطنية، مجلة الثقافة، العدد 86، الجزائر، رجب 1405 هـ/ مارس-أفريل 1985.
50. محمد رابع ، صحافة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية، مجلة قرطاس الدراسات الحضارية والفكرية للدراسات التاريخية والحضارية، العدد 02، مج 04، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، 2017.
51. محمد لحسن زغدي ، بيان أول نوفمبر وأبعاده، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 14، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الجزائر 02، الجزائر، 2012.
52. مرتاض عبد المالك ، أصالة الشخصية الجزائرية، مجلة الأصالة، العدد 08، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، ماي - جوان 1972.
53. مروان القدومي ، قيمة كتب التراث في التدريس الجامعي ودورها في نهوض الأمة ، مجلة بحوث مؤتمر، ج2، جامعة النجاح، نابلس، فلسطين، د س.
54. مريم لعماري، "دور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في تنظيم وتوحيد جهود الحركة الإصلاحية"، مجلة معارف السنة 11، العدد 21، قسم العلوم القانونية، جامعة آكلي مند أولحاج، البويرة، الجزائر، ديسمبر 2016.
55. مشوار صيفي ، دور الجغرافيا السياسية في تكوين الدولة في منطقة الساحل الإفريقي، مجلة الحوار الفكري، العدد 12، الجزائر، 2016.
56. مصطفى نور الدين عطية ، فرنان بروديل الرأسمالية تنتظر أزمة أسوأ من أزمة 1929، مجلة اليوم السابع، فلسطين، الإثنين 1 كانون الأول (ديسمبر) 1986.
57. منى طواهرية ، اللغة والهوية الوطنية على محك الإرث الإستعماري "جرائم تاريخية وتأزم هوياتي"، مجلة البدر، العدد 01، مج 10، جامعة بشار، الجزائر.
58. موفق زازوي ، الهوية الوطنية في التاريخ بين الإندماجين والإصلاحيين "فرحات عباس الشاب وعبد الحميد ابن باديس نموذجان، مجلة الفكر المتوسطي، مج 06، العدد 02، مخبر حوار الديانات والحضارات في حوض المتوسط، جامعة أبوبكر بلقايد تلمسان، ديسمبر 2017.
59. مولود بن زادي ، أزمة اللغة والهوية في الجزائر وخطر إندلاع حرب الجزائر الأهلية الثانية، جريدة اليوم، 08 نوفمبر 2017.
60. مولود بن زادي ، التربية والشخصية الجزائرية، مجلة الأصالة، العدد 4، وزارة التعليم الأصلي والثقافة، الجزائر، 01 أكتوبر 1971.
61. —، —، التربية والشخصية الجزائرية، مجلة الأصالة، العدد 6، السنة الأولى، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، جانفي 1972.



62. —، —، الصراع بين جمعية العلماء وإدارة الاحتلال الفرنسي للجزائر في الفترة ما بين 1933-1939، مجلة الثقافة، العدد 85، السنة 15، وزارة الثقافة والسياحة بالجزائر، الجزائر، ربيع الثاني-جمادى الظاولى 1405هـ/يناير -فبراير 1985م.
  63. ميلود عويمر ، الدعوية لجمعية العلماء المسلمين بفرنسا 1936-1956، مجلة تعارف، العدد 01، 2003.
  64. نصيرة هرنون، المشروع الإصلاحى عند عبد الحميد ابن باديس، مجلة العلوم الإنسانية والإجتماعية، مج 04، العدد 50، جامعة قسنطينة، الجزائر، 2018.
- ج-الرسائل الجامعية:
- باللغة العربية:
- رسائل الدكتوراه:
1. توفيق قحام ، أزمة الهوية في الرواية الجزائرية المعاصرة، رسالة دكتوراه علوم، تخصص نظرية الأدب "الشعرية العربية"، كلية الآداب واللغات ،قسم اللغة والأدب العربي، جامعة محمد لمين دباغين، سطيف 2، 2016/2017.
  2. سومية بوسعيد ، القضايا الوطنية من خلال صحف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين (البصائر نموذجاً)، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، قسم العلوم الإنسانية، شعبة التاريخ، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2014-2015.
  3. عصام عبد الحفيظ ، التجربة الفلسفية في الفكر العربي المعاصر " زكي الأرسوزي نموذجاً"، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، قسم الفلسفة، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، 2007/2008 .
  4. عطاء الله فشار ، النخبة الجزائرية "جذورها - تطورها - اتجاهاتها ( 1914-1954م )"، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر بن يوسف بن خده، 2008/2009.
  5. علي بشير بلمهدي ، الخطاب الديني في الجزائر ومسألة الهوية الوطنية (1925-1956)، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والحضارية الإسلامية، جامعة وهران، الجزائر، 2010-2011.
  6. فاتح زباني ، الواقع الاجتماعي والثقافي للمستوطنين الأوروبيين في الجزائر (1871-1945) وأثره على الأهالي المسلمين، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 2020/2021.
  7. مراد بوعباش ، الدولة والمجتمع في برنامج الحركة الوطنية الجزائرية 1919-1962م، أطروحة دكتوراه في العلوم السياسية، قسم العلوم السياسية، جامعة الجزائر3، 2010-2011.

8. مزيان سعيدي ، السياسة الإستعمارية الفرنسية في بلاد القبائل ومواقف السكان منها (1871-1914م)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 2008-2009.

#### باللغة الأجنبية:

1. Charlotte Courreye, L'Association des Oulémas Musulmans Algériens et la construction de l'État algérien indépendant : fondation, héritages, appropriations et antagonismes (1931-1991), Thèse pour obtenir le grade de Docteur de l'INALCO, Institut National des Langues et Civilisations Orientales, Université Sorbonne , Paris, 2016.
2. Sadia Talbi Azzoug, L'algérianisme et l'appropriation des terres de 1898-1930, Thèse de Diplôme d'Études Supérieures, Université Alger 3, institut des sciences politique, Algérie, 1975.

#### - ماجستير:

1. أحمد مريوش ، الشيخ الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، معهد التاريخ، بوزريعة، جامعة الجزائر، 1991-1992.
2. إسماعيل تاحي ، مولود قاسم نايت بلقاسم نضاله السياسي ونظراته للهوية الوطنية، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ تخصص الحركة الوطنية، قسم التاريخ والآثار، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2006/2007.
3. شريفة سليمان ، الهوية الوطنية الجزائرية بين الخطاب الإعلامي والسياسي، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، قسم علم الإعلام والاتصال، جامعة السانبا، وهران، الجزائر، 2006-2007.
4. محمد العيد تاورية ، نثر الشيخ البشير الإبراهيمي في الفترة من 1929م إلى 1939م جمع وتوثيق ودراسة، رسالة ماجستير في الأدب العربي الحديث، معهد الآداب والثقافة العربية، جامعة قسنطينة، 1974.
5. مصطفى عبيد ، الجزائر في كتابات توماس إسماعيل أوربان 1812-1884م (دراسة تحليلية تاريخية)، مذكرة ماجستير في التاريخ المعاصر، جامعة الجزائر، 2007-2008م.

#### د-المجلات:

1. المنار، العدد 09، السنة 01، الجزائر، 05 أكتوبر 1959.
2. مجلة "الأخوة الإسلامية"، العدد 10، السنة الثانية، بغداد، 1 شوال 1373هـ / 2 جوان 1954م.
3. مجلة كيف تحررت الجزائر، وزارة الإعلام والثقافة، الذكرى الخامسة والعشرين لثورة نوفمبر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979م.

## هـ-الملتقيات:

1. أميرة سامي محمود حسين ، الهوية الجزائرية والاستعمار الفرنسي قراءة في أفكار سالم يفوت، الملتقى الدولي في الفلسفة ورهانات المجتمع العربي المعاصر، جامعة 08 ماي 1945، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الاجتماعية، قلمة، الجزائر، 20-22 أبريل 2015 .
2. رضوان شافو ، مسألة الهوية بين جيل الثورة التحريرية وجيل الإستقلال ، المؤتمر الوطني الأول حول إشكالية الهوية بين التأويل الإيديولوجي و الفهم العقلاني 27-28 نوفمبر 2018 جامعة الوادي.
3. الزواوي بغوره ، "النخبة والوعي التاريخي من خلال خطاب ليل الاستعمار لفرحات عباس"، أعمال المؤتمر الثاني لمنتدى التاريخ معاصر حول الثقافات والوعي الوطني في العالم العربي المعاصر، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، جوان-جويلية 1999.
4. عبد العزيز فيلاي ، المداخلات الافتتاحية، أعمال الملتقى الوطني "الصحافة الإصلاحية بين المقومات الوطنية والواقع 18 ماي 2014 بقسنطينة"، دار الهدى، الجزائر، 2015.
5. علي بشير بلمهدي ، موقف الأطراف الدينية الثلاثة (الزوايا، المساجد الرسمية، وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين) من الثورة التحريرية في سنتها الأولى 1954-1956م، أعمال الملتقى الوطني الأول والثاني حول دور الزوايا إبان المقاومة والثورة التحريرية، جامعة السانية بوهران، 25 و 26 ماي 2005، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007.
6. فريدة بلقران ، إشكالية التعدد في الوطن العربي وانعكاساته على اللغة العربية، المؤتمر الدولي الثاني للغة العربية، الندوة رقم 53 اللغة العربية بين التعدد اللغوي ومعطيات العصر، 7-10 ماي 2013.
7. يوسف القرضاوي ، مقومات الفكر الإصلاحي عند الإمام محمد البشير الإبراهيمي، كتاب الملتقى الدولي للإمام محمد البشير الإبراهيمي بمناسبة الذكرى الأربعين لوفاته، ط 01، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2006.

## و-المواقع الإلكترونية:

1. رشيد حمدوش ، بناء الهوية عند الشباب الجزائري أو ميلاد الهوية المتطلعة، المجلة العربية لعلم الاجتماع، <https://platform.almanhal.com/Reader/Article/7091>، تاريخ الزيارة 10:22 في 2022/09/09.
2. رافاييل هاداس ليبيل، فرنسا وسياسات الهوية، <https://www.project-syndicate.org/commentary/france-s-identity-politics/arabic>، تاريخ النشر 16 أبريل 2007، تاريخ الزيارة 06 جويلية 2024، الساعة 10:58.
3. رمضان دسوقي ناصر، الهوية الإسلامية والمؤامرة عليها، موقع الألوكة، تاريخ النشر 13 ديسمبر 2009، تاريخ الزيارة 17 أوت 2024، الساعة 11:35.

4. معجم المعاني الجامع للغة العربية، <https://www.almaany.com/ar/dict/ar-a>، تاريخ الزيارة 4 جويلية 2024، الساعة 21:30.
5. كريسيدا هايز وإدوارد ن. زالتا، سياسات الهوية، ترجمة: لجين محمد نور السوادي، الموسوعة السياسية، [https://political-encyclopedia.org/dictionary/%20الهوية#google\\_vignette](https://political-encyclopedia.org/dictionary/%20الهوية#google_vignette)، تاريخ الزيارة 20 أوت 2024، الساعة 09:22.
6. كاترين هالبرين، مفهوم الهوية تاريخه وإشكالاته، ترجمة وتعليق إلياس بلكا، مجلة الكلمة، العدد 46، السنة 12، منتدى الدراسات والأبحاث، قبرص، شتاء 1426هـ / 2005م، يُنظر الموقع: <http://kalema.net/home/article/view/587>، تاريخ الزيارة 25 ماي 2024، الساعة 12:47.
7. [Joseph Josy Lévy](#), Entretiens avec Jean Benoist « Entreles corps et les dieux itinéraires anthropologiques », Un document produit en version numérique par Jean-Marie Tremblay, Classiques des sciences sociales, 2007, [https://www.academia.edu/105150124/Entretiens\\_avec\\_Jean\\_Benoist](https://www.academia.edu/105150124/Entretiens_avec_Jean_Benoist), Date de la visite 11 Août 2024, l'heure 15:38.
8. Jacques Leenhardt, Stuart Hall , Identités et cultures « Politiques des cultural studies », mis en ligne le 21 novembre 2018, consulté le 23 septembre 2020. URL : <http://journals.openedition.org/critiquedart/27346> ; DOI : <https://doi.org/10.4000/critiquedart.27346>, Date de la visite 28 juillet 2024, l'heure 22:28.
9. [https://www.academia.edu/31605860/Identité\\_et\\_religion\\_en\\_Algérie\\_Un\\_regard\\_sur\\_la\\_littérature\\_et\\_la\\_législation\\_de\\_la\\_période\\_coloniale\\_1830\\_1962](https://www.academia.edu/31605860/Identité_et_religion_en_Algérie_Un_regard_sur_la_littérature_et_la_législation_de_la_période_coloniale_1830_1962) [الرجوع إلى](#) زائر في الدين الهوية الكولونيالية الفترة وتشريعات أدبيات في نظرة
10. <https://www.jeuneafrique.com/58398/archives-thematique/de-gaulle-le-visionnaire/>, Date de la visite 30 juillet 2024, l'heure 23:55.
11. [https://www.larousse.fr/encyclopedie/personnage/Michel\\_Debré/115862](https://www.larousse.fr/encyclopedie/personnage/Michel_Debré/115862), Date de la visite: 27 juillet 2024, l'heure 08:09.
12. Alex Mucchielli, L'art D'influencer, [http://capesdocte.wdfiles.com/local--files/fiches/Mucchielli\\_A\\_art\\_influencer.pdf](http://capesdocte.wdfiles.com/local--files/fiches/Mucchielli_A_art_influencer.pdf), Date de la visite: 05 juin 2024, l'heure 13:11.
13. Mohamed Chaoui, Alex Mucchielli « Approche systémique et communicationnelle des organisations "Armond Colin 1998 » , <http://www.sietmanagement.fr/wp-content/uploads/2016/04/mucchielli.pdf>, Date de la visite: 05 juin 2024, l'heure 14:05.

# الفهارس العامة

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس الأعلام والشخصيات التاريخية

فهرس الأماكن والمدن والبلدان

فهرس الملاحق

فهرس المحتوى



## العنوان

## رقم الصفحة

### الآيات القرآنية:

|     |                                                                                                                             |
|-----|-----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| 33  | ﴿وَأَنهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾                                                                                         |
| 89  | ﴿إِن أَرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أَنِيبُ﴾ |
| 179 | ﴿وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾                                                           |

### الأحاديث النبوية:

|    |                                                                                                              |
|----|--------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| 90 | {الذين يصلحون ما أفسده الناس من بعدي من سنتي}                                                                |
| 90 | {إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا} |

### الشخصيات والأعلام التاريخية:

-أ-

|                                                                    |                        |
|--------------------------------------------------------------------|------------------------|
| 92                                                                 | ابن تومرت              |
| 51                                                                 | ابن خلدون              |
| 321                                                                | ابن سيام               |
| 239                                                                | ابن عاشر               |
| 239                                                                | ابن عطاء الله السكندري |
| 319,222,192,105                                                    | أبو اليقضان            |
| 97                                                                 | أبو حامد الغزالي       |
| 241,237,221,208                                                    | أبو يعلى الزواوي       |
| 144                                                                | أبولي                  |
| 239                                                                | أبي زيد القيرواني      |
| 341,339                                                            | أحمد بن بلة            |
| 118                                                                | أحمد بوشمال            |
| 345,271, 253,250,249,248,247,246,245,244,231,192;188,153,147,17,16 | أحمد توفيق المدني      |
| 287                                                                | إدوارد دلادييه         |
| 52,42,35,27,26                                                     | أرسطو                  |
| 64,29                                                              | إرنست رينان            |
| 27,27                                                              | أفلاطون                |
| 275                                                                | الأب بريمو             |
| 239                                                                | الإمام مالك            |
| 297,296                                                            | الأمير خالد            |
| 275                                                                | الأميرال غيدون         |
| 138                                                                | ألبار كامو             |
| 83                                                                 | البشير صفر             |
| 234                                                                | البويصري               |
| 326,159,135,71                                                     | الداي حسين             |
| 321                                                                | الربيع الزناتي         |
| 258,119,118,101                                                    | السعيد الزاهري         |
| 320,303                                                            | الشريف بن حبيلس        |

|                                                                                                                                                              |                              |
|--------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|------------------------------|
| 237,218                                                                                                                                                      | الشيخ أحمد حماني             |
| 304                                                                                                                                                          | الشيخ الحاج سعيد             |
| 272                                                                                                                                                          | الشيخ الحبيباني              |
| 269                                                                                                                                                          | الشيخ الحفقي مولود بن الصديق |
| 271, 263                                                                                                                                                     | الشيخ السعيد الزموشي         |
| 239                                                                                                                                                          | الشيخ خليل                   |
| 130                                                                                                                                                          | الشيخ عبد العزيز بن الهاشمي  |
| 274                                                                                                                                                          | الشيخ فرحات ابن الدراجي      |
| 274,272                                                                                                                                                      | الشيخ كحول                   |
| 241,213,201,175,165,161,119,112,106,101                                                                                                                      | الشيخ محمد خير الدين         |
| 82                                                                                                                                                           | الطاهر بن عاشور              |
| 319, 316, 309, 274, 272, 271, 270, 269, 264, 262, 259, 257, 255, 253, 239, 238, 237, 222, 221, 220, 216, 214, 213, 165, 161, 122, 119, 118, 117, 100, 86, 85 | الطيب العقبي                 |
| 237                                                                                                                                                          | العاصمي                      |
| 353, 348, 347, 346, 345, 317, 292, 288, 271, 263, 259, 224, 218, 217, 214, 213, 192, 165, 104, 100, 95, 86, 78, 62, 17                                       | العربي التبسي                |
| 321                                                                                                                                                          | العربي طاهرات                |
| 152                                                                                                                                                          | ألفونس دودي                  |
| 144                                                                                                                                                          | القديس أوغستين               |
| 144                                                                                                                                                          | القديس أوغسطينوس             |
| 275, 153, 152, 146, 102, 70                                                                                                                                  | الكاردينال لافيغري           |
| 254                                                                                                                                                          | المكي بن باديس               |
| 91                                                                                                                                                           | المولود الزريبي              |
| 199                                                                                                                                                          | الهادي الزروقي               |
| 48                                                                                                                                                           | أليكس موتشيلي                |
| 152, 143                                                                                                                                                     | إميل فليكس غوتيه             |
| 143                                                                                                                                                          | إميل كاريت                   |
| 262                                                                                                                                                          | أولخيار                      |
| 151                                                                                                                                                          | أومال                        |
| 143                                                                                                                                                          | ايد غار فور                  |
| 47                                                                                                                                                           | إيريك إيريكسون               |
| 271                                                                                                                                                          | إيف رولان بيلكار             |
| 61, 23                                                                                                                                                       | إيمانويل ليفيناس             |
| 136                                                                                                                                                          | إيميل دوركايم                |

-ب-

|                                                                                |                                  |
|--------------------------------------------------------------------------------|----------------------------------|
| 25                                                                             | بارمنيدس                         |
| 65                                                                             | باسكال                           |
| 199                                                                            | باعزيز بن عمر                    |
| 83                                                                             | بخيت المطيعي                     |
| 38                                                                             | برمنييدس                         |
| 148, 49                                                                        | برنارد                           |
| 239                                                                            | بشطارزي                          |
| 353, 319, 307, 298, 297, 295, 290, 289, 287, 286, 284, 282, 262, 221, 189, 106 | بلوم فيوليت                      |
| 303                                                                            | بن تامي                          |
| 337                                                                            | بن يوسف بن خدة                   |
| 347                                                                            | بن الشيخ حسين عبد الحاكم         |
| 347                                                                            | بن الشيخ حسين شعيب بن عبد العظيم |
| 149                                                                            | بول بيرنارد                      |

275, 151, 70, 68  
185

بيجو  
بيير لافيت

-ب-

144  
321  
137  
146

تارتيليان  
تامزالي  
تايلور  
ترتوليان

-ج-

52  
342, 137, 136  
48  
41  
47

ج.أوستن  
جاك بيرك  
جان بياجي  
جان ماري بينوا  
جورج ميد

-ح-

83  
91  
250  
274, 227, 17

حسين أحمد الهندي  
حمدان الونيسي  
حمدان بن عثمان خوجة  
حمزة بوكوشة

-د-

242, 151, 147  
145  
38  
327, 159, 145, 143, 141, 135

دو روفيغو  
دو كليغمون تونير  
دولوز  
دي بورمون

-ر-

320  
54  
139, 138  
289  
307, 306  
322, 299

رابح زناتي  
راتزل  
راندو  
روزفلت  
روكس فريسينيغ  
رينيه

-ز-

321  
263

زروق محي الدين  
زيان

301

زيناي بلقاسم (بلقاسم البيضواي)

-س-

31  
46  
159,187  
320  
221  
146,145  
45

ساطع الحصري  
ستوارث هول  
ستيفان غزال  
سعيد قاسي  
سي صالح الطيب  
سيبريان  
سيغموند فرويد

-ش-

145  
334,289,143,69,64  
139  
121,135

شارل العاشر  
شارل ديغول  
شارل كورتان  
كاميل شوتان

-ص-

301  
151  
252,131,129  
91

صادق هجرس  
صاشيريو  
صالح باي  
صالح بن مهنا

-ط-

103

طارق بن زياد

-ع-

عبد الحميد بن باديس, 353,352,350,345,342,326, 325,324,323,322,321,320,319,318,309, 306,289,287,286, 285, 284, 283,282, 281,280,279, 276,274,273,272,271,270,269,265, 264,263,262,260,258,257, 254,253,252, 251, 248,242,241,238,237, 236,235,233,232,231,230,216, 212,211,210,209,207,206,205,201,200,199, 198, 197, 196,195,194,193,192, 191,190,189,188,186,184,183,182,181,180,179, 178,176,175,173,172, 171, 170,166,164,163,160,159, 160,158,134,132,131,130,129,128, 127,126,125,124,123,122,121,120,119, 118, 117,116,115,113,112,109,108,104,103,102,101,100,99,98,97,96,95,94,96,95,94,93,91,90,88,87,86,85,84,8 1,80,43,19,17,16,15

97  
250  
203,91  
347  
117  
241,326,268  
298  
32,31

عبد الحليم بن سماية  
عبد الرحمان الجيلالي  
عبد القادر المجاوي.  
عبد اللطيف السلطاني  
علي بن سعد  
عمار أوزقان  
عمار عيماش  
عمر فاخوري

-ح-

|         |               |
|---------|---------------|
| 159     | غبريل إيسكار  |
| 152     | غونكور        |
| 152     | غي دو موباسان |
| 271,197 | غي مولي       |

-خ-

|                                                                                                                                     |                 |
|-------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|-----------------|
| 338,300                                                                                                                             | فرانز فانون     |
| 341,339,326,325,324,323,322,321,320,315,314, 313,312,311,310,309,308,306, 305,302,303, 302, 292,291,289,288,207,190,188,184,158,111 | فرحات عباس      |
| 63                                                                                                                                  | فرناند برودل    |
| 199,181                                                                                                                             | فضيل الورتيلاني |
| 151                                                                                                                                 | فورمانتان       |
| 41,39                                                                                                                               | فوكو            |
| 55                                                                                                                                  | فيخته           |
| 208,30                                                                                                                              | فيكو            |

-ق-

|        |                  |
|--------|------------------|
| 187,49 | قاسم نايت بلقاسم |
|--------|------------------|

-ك-

|    |         |
|----|---------|
| 85 | كاتروكس |
|----|---------|

-ل-

|         |                             |
|---------|-----------------------------|
| 151,135 | ل فليب                      |
| 36      | لوك                         |
| 144     | لويس بارتو                  |
| 140     | ليون روش                    |
| 347     | لمين القتري (لمين السلطاني) |

-م-

|                                                                                                                                                                                    |                        |
|------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|------------------------|
| 306                                                                                                                                                                                | مارسيل رينيه           |
| 121                                                                                                                                                                                | مارنفسكي               |
| 29                                                                                                                                                                                 | ماريو باي              |
| 155                                                                                                                                                                                | ماسينيسا               |
| 39, 74, 77, 78, 79, 196                                                                                                                                                            | مالك بن نبي            |
| 210,175,93,92,89,87,86,48                                                                                                                                                          | مبارك الملي            |
| 50                                                                                                                                                                                 | محفوظ نحناح            |
| 91                                                                                                                                                                                 | محمد أطفيش             |
| 353,346,343,339,318,317,291,290,289,288,282,269,265, 264,263,262,260,258,257, 253,252,251, 243,239,237,254, 233,231,229,228,227,226,225, 224,223,222,220,218,215,214,213, 200,199, | محمد البشير الإبراهيمي |



198,192,191, 189,184,183,180, 179,178,174,173,169,168,129, 126,125,123 ,122,121,120,119,117,114,  
112,131,109,108,104,103,100,98,94,85,19,17,12,

|                                         |                        |
|-----------------------------------------|------------------------|
| 91                                      | محمد السعيد بن زكري    |
| 82                                      | محمد الصادق النيفر     |
| 322,321,320,312,311,304,303,302,283,272 | محمد الصالح بن جلول    |
| 253                                     | محمد العيد آل خليفة    |
| 253                                     | محمد العربي بن مهيدي   |
| 240                                     | محمد المقراني          |
| 95                                      | محمد الميلي            |
| 82,81                                   | محمد النخلي            |
| 253                                     | محمد بوراس             |
| 341,339,271                             | محمد خيضر              |
| 30                                      | محمد عابد الجابري      |
| 120                                     | محمد عبايسة            |
| 259,192                                 | محمد لمين العمودي      |
| 346                                     | مزغنة                  |
| 319,317,301,300,298,297,295,294,293     | مصالي الحاج            |
| 220                                     | مصطفى ابن باديس        |
| 91                                      | مصطفى بن الخوجة        |
| 336                                     | مصطفى بن بولعيد        |
| 137                                     | مورغو                  |
| 142                                     | موريس توريز            |
| 138                                     | موزيت إدموند بروا      |
| 187, 49                                 | مولود قاسم نايت بلقاسم |
| 235                                     | مولود الحافظي          |
| 319,316,299,270,321,202,127,64          | ميشال دوبري            |

-ن-

|         |                |
|---------|----------------|
| 153,143 | نابوليون       |
| 122     | نعيم النعيمي   |
| 28      | نيتشه          |
| 141     | نيوفيل فواروال |

-ه-

|        |           |
|--------|-----------|
| 40     | هابر ماس  |
| 30     | هامان     |
| 38, 37 | هايدغر    |
| 25     | هراقليطس  |
| 38     | هيراقليدس |
| 25     | هيردر     |
| 36     | هيجل      |

-و-

|        |       |
|--------|-------|
| 163,69 | وارني |
|--------|-------|

-١-

199

يحي حمودي

## الأماكن والمدن والبلدان

### أ- الأماكن:

|                                                                 |                      |
|-----------------------------------------------------------------|----------------------|
| 125,123,121,83                                                  | الجامع الأزهر        |
| 171,132,130,129,128,127,124,121,88                              | الجامع الأخضر        |
| 220                                                             | المسجد الحنفي        |
| 350,239,230,229,226,166,128,125,124,123,121,115,100,97,88,82,81 | جامع الزيتونة        |
| 239,125,121                                                     | جامع القرويين        |
| 132,127                                                         | جامع سيدي قموش       |
| 129                                                             | جامع سيدي بومعزة     |
| 126                                                             | مدرسة الحديث         |
| 272,253,239                                                     | مسجد الجمعية الخيرية |
| 221                                                             | مسجد سيدي رمضان      |
| 151                                                             | مسجد كتشاوة          |
| 206, 301,                                                       | مسجد لايشري          |
| 316,221,220                                                     | المعهد الباديبي      |
| 149,132                                                         | الحواضر              |
| 97, 116, 134, 186;185, 318                                      | الزوايا              |
| 351,239,130,129,126,96                                          | الكتاتيب             |
| 283                                                             | قاعة الماجستيك       |
| 222                                                             | قاعة ديكس جيرمان     |
| 252                                                             | نادي الاتحاد         |
| 274,272,263,262,253,252,220,161,132,112,109,108,103             | نادي الترقى          |
| 253                                                             | نادي الشباب المسلمين |
| 253                                                             | نادي العمل           |
| 252                                                             | نادي النجاح          |
| 274                                                             | نادي شرشال           |
| 252                                                             | النادي الإسلامي      |

### ب- المدن:

|                                  |            |
|----------------------------------|------------|
| 288, 104                         | أفلو       |
| 275, 252, 149                    | البلدية    |
| 220                              | القبة      |
| 346, 345, 243                    | القاهرة    |
| 239,125                          | القيروان   |
| 334,149                          | المدينة    |
| 165                              | الزيبان    |
| 325,306,284,262,224,141,78,73,71 | باريس      |
| 221                              | برج امنائل |
| 319                              | بروكسل     |
| 253,165,119                      | بسكرة      |
| 143                              | بغداد      |
| 150,149                          | بوزريعة    |
| 275                              | بوفاريك    |

|                                                                                                               |               |
|---------------------------------------------------------------------------------------------------------------|---------------|
| 165, 129                                                                                                      | تبسة          |
| 272,271,149,132,126,125,123                                                                                   | تلمسان        |
| 341, 340,329,295,16                                                                                           | طرابلس        |
| 321,289,288,283,272,271,269,263, 262,252,237,234,220,213,171,165, 161,150,149, 132,124, 123, 121,116,88,81,12 | قسنطينة       |
| 239                                                                                                           | فاس           |
| 165                                                                                                           | فرفار         |
| 148                                                                                                           | تيلملي        |
| 295                                                                                                           | جنيف          |
| 291                                                                                                           | خراطة         |
| 221                                                                                                           | ذراع الميزان  |
| 222                                                                                                           | رويسو         |
| 326, 314, 291,165                                                                                             | سطيف          |
| 253                                                                                                           | سكيدة         |
| 269,253,11                                                                                                    | سيدي بلعباس   |
| 337                                                                                                           | وادي الصومام  |
| 130                                                                                                           | وادي سوف      |
| 348,307,304,263,123,122,38,12,11,10                                                                           | وهران         |
| 291, 253                                                                                                      | قالمة         |
| 253                                                                                                           | مليانة        |
| 261                                                                                                           | مونبليي       |
| 263, 252,151                                                                                                  | ميلة          |
| 335                                                                                                           | منطقة الأوراس |
| 241,230                                                                                                       | منطقة الزواوة |
| 344, 336, 301,267,239,201,200,199,198                                                                         | منطقة القبائل |

#### ج-البلدان

|                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                           |               |
|---------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|---------------|
| 245,185,146,140,169,66,64,63,54,28                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                        | أوروبا        |
| 75                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                        | أوكرانيا      |
| 49,                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                       | الجزائر       |
| 71, 86                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                    | الحجاز        |
| 71                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                        | الشام         |
| 267, 204,177,149,126,119,92                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                               | المغرب        |
| 314                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                       | المغرب الأوسط |
| 346, 338, 335, 302,209,125,119,9                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                          | المغرب العربي |
| 338,114,113,30                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                            | الوطن العربي  |
| 339,338,335,330, 327,319,308,307,298,297,296, 295,294,293,272,259,187,186,170,161, 156,155,147, 146,145,143,141,105,92,84,75,73,68,66,06                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                  | إفريقيا       |
| 63                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                        | بلاد الغال    |
| 239, 123, 97                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                              | تونس          |
| 353,352,350,348,346,344,343,341,337, 334,331,327,325,324,323,322,321,320,319, 317,316,313, 308, 307, 306,305,304,301,300, 298,297,296,295,294,293,291, 289,287,286,285,284,283,281,280, 278,274,273, 271,268,267,266,258,253,251,250,246, 245,238,237,224,222,217,216,207, 197,196,165,194, 193,192, 191, 190, 189,188,187, 186,185,184,183,182,179,177, 176,174,166,161,160,159,156,152, 151,150, 148, 147, 146, 145,144, 143,142,141,140,139,138, 137,135,134,122,119,110,109,107, 106,105, 102,100, 95,91,88, 86,78,77,76,75,72,71,70,69,66,65,64,63,62,31,15,13,12,06 | فرنسا         |
| 83                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                        | مصر           |

د-المشعوب والقبائل:

|                                                                                                   |            |
|---------------------------------------------------------------------------------------------------|------------|
| 178,159                                                                                           | الإسبان    |
| 201,200,199,177,176,155,103,06                                                                    | الأمازيغ   |
| 288,199                                                                                           | الإنجليز   |
| 178,176,175                                                                                       | الأندلسيين |
| 325,315,314,308,251,249,246,228, 195,193,187,186,185,151,143, 102,83,78,76,74,72,70, 68, 66,63,   | الأوروبيون |
| 40, 36,30                                                                                         |            |
| 312,310,309,275,250,249,239,214,200,199,198,191,180,174,170,156,155,153,107                       | البربر     |
| 200                                                                                               | التوارق    |
| 177                                                                                               | الحماديين  |
| 310,308,193,187,181,153,144,141,140,139                                                           | الرومان    |
| 241,230,199                                                                                       | الزواوة    |
| 177                                                                                               | الزيانيون  |
| 177                                                                                               | الزيريين   |
| 178,135                                                                                           | العثمانيين |
| 312,282,276,245,366,251, 239,208,201,198,180,176,170, 156,155,146,143, 125,107, 103,89,75, 74,70, | العرب      |
| 68,34,33                                                                                          |            |
| 201,192                                                                                           | المزابيين  |
| 177                                                                                               | الموحدين   |
| 321, 281,122,102                                                                                  | اليهود     |
| 208,75                                                                                            | الإيطاليون |
| 286,275,267,246,240,193,181,169,145,144,142,137,136,77,76,72,71,69,63                             | الفرنسيون  |
| 177                                                                                               | صنهاجة     |
| 177                                                                                               | كتامة      |
| 177                                                                                               | زناتة      |

فهرس الملاحق:

|         |                                                                                                                       |
|---------|-----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| 355     | ملحق رقم (01): كمية الإنتاجات الفكرية للمكتبة الوطنية التي أسسها الجزائريون                                           |
| 356     | ملحق رقم (02): الحجم الساعي المخصص لتعلم اللغة الفرنسية حسب مرسوم 18 أكتوبر 1898.                                     |
| 357     | ملحق رقم (03): تقرير حول إيفاد جمعية العلماء المسلمين لطلبتها إلى المشرق                                              |
| 358     | ملحق رقم (04): Etudiants Musulmans Originaires du département d'Oran séjournant dans les pays Arabes.                 |
| 359     | ملحق رقم (05): مصلحة إتصالات شمال افريقية ترصد نشاطات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1956م.                    |
| 361     | ملحق رقم (06): مقال "لماذا نمنع من تعليم أولادنا؟"                                                                    |
| 361     | ملحق رقم (07): من المسؤول عن المنع من تعليم أولادنا؟"                                                                 |
| 364-362 | ملحق رقم (08): مقال للطبيب العقبي: "لسنا أعداء لفرنسا ولا نحن نعمل ضد مصلحتها. بل نعينها على تمدين الشعب وتهذيب الأمة |
| 367-365 | ملحق رقم (09): مقال للبشير الإبراهيمي: "الجمعية دعوتها وغايتها                                                        |
| 368     | ملحق رقم (10): مقال: للقضاء على الاستعمار يجب حول توحيد الجهود                                                        |
| 369     | ملحق رقم (11): مقال حول صلاح المجتمع وفساده                                                                           |
| 370     | ملحق رقم (12): مقال حول صراع جمعية العلماء المسلمين الجزائريين مع الحكومة الفرنسية                                    |

- 371 ملحق رقم (13): رسالة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين إلى لجنة البحث  
البرلمانية لحكومة الجبهة الشعبية "لجنة البحث البرلمانية"
- 372 ملحق رقم (14): مقال حول كلمة الشيخ الطيب العقبي حول التجنيس والمتجنسين
- 373 ملحق رقم (15): مقال فتوى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في التجنيس الكلي  
والجزئي
- 374 ملحق رقم (16): مقال دفن الحكومة الجزائرية "الفرنسية في الجزائر" قضية فصل  
الدين الإسلامي عن الدولة في المجلس الجزائري
- 376-375 ملحق رقم (17): L'Algerie est et restera arabe et musulmane
- 377 ملحق رقم (18): جهود البشير الإبراهيمي في ربط الجزائر بمحيطها العربي  
الإسلامي
- 378 ملحق رقم (19): نموذج لإجابات الطلبة في مادة التاريخ الوطني لامتحان الدورة  
الأولى من شهادة الأهلية للعام الدراسي 1953-1954م بالمعهد الكتاني ومعهد ابن  
باديس بقسنطينة فرعي الجامع الأعظم بتونس
- 380-379 ملحق رقم (20):  
Farhat Abbas: «En marge du nationalisme La France, c'est moi<sup>1</sup>»
- 381 ملحق رقم (21): دعوة ابن باديس للمؤتمر الإسلامي:
- 382 ملحق رقم (22): Article de Farhat Abbas, La France c'est moi, sur « L'Entente »
- 383 ملحق رقم (23): كيف ستفنى الجزائر الفرنسية؟ جريدة "صدى قسنطينة" حول أحد  
الكتب التي تدرس الوضع الجزائري من خلال مناقشة موقف جمعية العلماء من  
مشروع فيوليت.
- 384 ملحق رقم (24): أمرية 07 مارس 1944م في الجريدة الرسمية الفرنسية
- 400-386 ملحق رقم (25): التحريض السياسي والديني بين مسلمي الجزائر، نشرية أفريقية  
الفرنسية عام
- 401 ملحق رقم (26): مقال عن إختلاف الأمة الفرنسية عن الأمة الجزائرية
- 402 ملحق رقم (27): مجموعة من الخطب والمداخلات التي أُلقيت داخل البرلمان  
الفرنسي، تتمحور حول الحالة السياسية والاجتماعية في الجزائر خلال الفترة  
الإستعمارية.
- 403 ملحق رقم (28): شعار جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931م
- 403 ملحق رقم (29): صورة شعار حزب الشعب الجزائري سنة 1937
- 404 ملحق رقم (30): صورة للمسجد العتيق بعين البيضاء خلال فترة العشرينات
- 404 ملحق رقم (31): صورة لكنيسة عين البيضاء خلال فترة العشرينات



## فهرس المحتوى:

| الصفحة  | العنوان                                                                                |
|---------|----------------------------------------------------------------------------------------|
| 03      | شكر وعرفان.....                                                                        |
| 04      | الإهداء.....                                                                           |
| 20 – 06 | مقدمة.....                                                                             |
| 79–22   | الفصل الأول: مصطلح الهوية وتطور مفهومه.....                                            |
| 22      | المبحث الأول: مفهوم الهوية.....                                                        |
| 22      | المطلب الأول: المصطلح ودلالته.....                                                     |
| 25      | المطلب الثاني: التطور الكرونولوجي لمفهوم الهوية.....                                   |
| 32      | المطلب الثالث: الهوية لغة.....                                                         |
| 35      | المطلب الرابع: الهوية إصطلاحا.....                                                     |
| 53      | المبحث الثاني: المعالم المشتركة للهوية الوطنية بين الأمم.....                          |
| 53      | المطلب الأول: الدين.....                                                               |
| 53      | المطلب الثاني: الوطن والرقعة الجغرافية.....                                            |
| 55      | المطلب الثالث: التاريخ المشترك وراهن الأمة.....                                        |
| 57      | المطلب الرابع: اللغة.....                                                              |
| 58      | المطلب الخامس: الثقافة.....                                                            |
| 61      | المبحث الثالث: معالم الهوية في ثقافة الآخر.....                                        |
| 63      | المطلب الأول: مقومات الهوية الفرنسية.....                                              |
| 66      | المطلب الثاني: مقومات الهوية الإستعمارية في الجزائر.....                               |
| 69      | المطلب الثالث: مقارنة بين مقومات الهوية الفرنسية والهوية الاستعمارية.....              |
| 132–81  | الفصل الثاني: ابن باديس وجهوده الإصلاحية لتأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين..... |
| 81      | المبحث الأول: شخصية ابن باديس الإصلاحية وتكوينه الوطني.....                            |
| 81      | المطلب الأول: نشأته وتميز مقومات شخصيته الإصلاحية والنهضوية.....                       |
| 87      | المطلب الثاني: سمات شخصيته الوطنية الأصيلة.....                                        |
| 88      | المطلب الثالث: منهجه الإصلاحي البصير.....                                              |
| 95      | المطلب الرابع: أهمية التعليم في المنهج الإصلاحي لابن باديس.....                        |
| 100     | المبحث الثاني: ظهور جمعية العلماء المسلمين وأهدافها.....                               |
| 100     | المطلب الأول: تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.....                             |
| 108     | المطلب الثاني: القانون الأساسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين.....                 |
| 109     | المطلب الثالث: أهداف الجمعية.....                                                      |
| 114     | المبحث الثالث: طرق ووسائل الإصلاح عند جمعية العلماء المسلمين.....                      |

|         |                                                                                       |
|---------|---------------------------------------------------------------------------------------|
| 116     | المطلب الأول: الصحافة.....                                                            |
| 120     | المطلب الثاني: المؤسسات التربوية والتعليمية.....                                      |
| 126     | المطلب الثالث: المؤسسات الدينية.....                                                  |
| 130     | المطلب الرابع: تأسيس النوادي.....                                                     |
| 202-134 | <b>الفصل الثالث: مرتكزات الهوية عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.....</b>        |
| 134     | <b>المبحث الأول: السياسة الفرنسية الهادفة لطمس عناصر الهوية الوطنية.....</b>          |
| 135     | المطلب الأول: توظيف الأنثروبولوجيا لترسيخ الفكر الإستعماري.....                       |
| 139     | المطلب الثاني: توظيف الإرث والمرجعية الرومانية لشرعنة الإحتلال.....                   |
| 141     | المطلب الثالث: طمس التاريخ الوطني للجزائر.....                                        |
| 143     | المطلب الرابع: أطروحة لاتينية الأرض الجزائرية.....                                    |
| 145     | المطلب الخامس: ترسيخ الأيديولوجية النصرانية في الجزائر.....                           |
| 147     | المطلب السادس: تكريس المنظومة التعليمية الفرنسية وتحييد اللغة العربية.....            |
| 151     | المطلب السابع: تأصيل رموز الثقافة الفرنسية في الجزائر الجديدة.....                    |
| 152     | المطلب الثامن: الإندماج والتجنيس.....                                                 |
| 154     | <b>المبحث الثاني: السياق التاريخي لظهور مسألة الهوية الوطنية في الجزائر.....</b>      |
| 154     | المطلب الأول: التجذر التاريخي لمسألة الهوية في الجزائر.....                           |
| 156     | المطلب الثاني: إرتباط ظهور مسألة الهوية الجزائرية بالعنف الإستعماري.....              |
| 159     | المطلب الثالث: واقع الهوية الوطنية في ظل مئوية الإحتلال الفرنسي للجزائر.....          |
| 160     | المطلب الرابع: موقف ابن باديس من الإحتفالات المئوية لتثبيت الإحتلال في الجزائر.....   |
| 163     | المطلب الخامس: معالم ومنطلقات ابن باديس لحياء الهوية الوطنية.....                     |
| 164     | <b>المبحث الثالث: خطة الجمعية لإحياء الهوية الوطنية من خلال قانونها الأساسي.....</b>  |
| 164     | المطلب الأول: التعليم.....                                                            |
| 166     | المطلب الثاني: الاهتمام بالتراث والثقافة الجزائرية.....                               |
| 167     | المطلب الثالث: إصلاح الفرد الجزائري وبعث سمات الشخصية الجزائرية.....                  |
| 169     | <b>المبحث الرابع: عناصر الهوية الوطنية عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.....</b> |
| 170     | المطلب الأول: الدين الإسلامي.....                                                     |
| 177     | المطلب الثاني: اللغة العربية.....                                                     |
| 182     | المطلب الثالث: الوطن الجزائري.....                                                    |
| 186     | المطلب الرابع: التاريخ المشترك.....                                                   |
| 189     | المطلب الخامس: الوحدة الوطنية.....                                                    |
| 196     | المطلب السادس: الانتماء الحضاري للأمة العربية الإسلامية.....                          |
| 197     | المطلب السابع: القيم الاجتماعية والثقافية والسياسية للمجتمع الجزائري.....             |
| 198     | المطلب الثامن: موقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من اللغة الأمازيغية.....        |

|         |                                                                                                    |
|---------|----------------------------------------------------------------------------------------------------|
| 276-204 | الفصل الرابع: دور جمعية العلماء في ترسيخ المرجعية الدينية والحفاظ على الهوية الوطنية.....          |
| 204     | المبحث الأول: الخطاب الديني عند جمعية العلماء بين الأصالة والمعاصرة.....                           |
| 205     | المطلب الأول: ظهور الخطاب الديني الإصلاحي عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين .....              |
| 209     | المطلب الثاني: العودة إلى الأصول المرجعية للدين الإسلامي.....                                      |
| 214     | المطلب الثالث: تطبيق قانون فصل الدين عن الدولة 1905م.....                                          |
| 226     | المطلب الرابع: القضاء الإسلامي في المرجعية الدينية لجمعية العلماء.....                             |
| 230     | المبحث الثاني: جمعية العلماء ومواجهة الخطاي الديني الصوفي والاستعماري.....                         |
| 230     | المطلب الأول: الصراع بين جمعية العلماء والطرق الصوفية.....                                         |
| 236     | المطلب الثاني: جمعية العلماء وودادية رجال الدين الرسميين.....                                      |
| 237     | المطلب الثالث: مواجهة جمعية العلماء للخطاب الديني الاستعماري باللغة العربية.....                   |
| 239     | المطلب الرابع: العلاقة بين جمعية العلماء المسلمين والزوايا التعليمية.....                          |
| 242     | المبحث الثالث: النشاط الثقافي والدعوي الإصلاحي لجمعية العلماء المسلمين.....                        |
| 242     | المطلب الأول: التعليم العربي الحر ونشاط مدارسه.....                                                |
| 244     | المطلب الثاني: إحياء الهوية الوطنية عبر الكتابات التاريخية لرجال الجمعية.....                      |
| 244     | أولا- الهوية الوطنية ضمن كتابات أحمد توفيق المدني (كتاب الجزائر).....                              |
| 250     | ثانيا- الهوية الوطنية ضمن كتابات مبارك الميلي (كتاب تاريخ الجزائر في القلم والحديث).....           |
| 252     | المبحث الرابع: النشاط الإعلامي التوعوي.....                                                        |
| 252     | المطلب الأول: نشاط النوادي والحركة الكشفية.....                                                    |
| 254     | المطلب الثاني: المقالات الصحفية.....                                                               |
| 261     | المطلب الثالث: الرحلات والتجمعات والمليقات.....                                                    |
| 263     | المبحث الخامس: الصعوبات التي واجهت الجمعية في ترسيخ الهوية الوطنية.....                            |
| 264     | المطلب الأول: صعوبات العام الأول من التأسيس.....                                                   |
| 265     | المطلب الثاني: الاندماج والتجنيس للقضاء على الأحوال الشخصية.....                                   |
| 266     | المطلب الثالث: الأنديجينا ومظاهر التهميش والعنصرية.....                                            |
| 268     | المطلب الرابع: محاربة اللغة العربية وغلق مدارس التعليم العربي الحر.....                            |
| 269     | المطلب الخامس: التضيق الإصلاحي على نشاط أعضاء الجمعية وإذكاء القتنة بينهم.....                     |
| 272     | المطلب السادس: إفتعال المكائد لإحباط المؤتمر الإسلامي.....                                         |
| 273     | المطلب السابع: مصادرة صحف الجمعية وغلق النوادي.....                                                |
| 274     | المطلب التاسع: نشاط الآباء البيض.....                                                              |
| 348-278 | الفصل الخامس: تداعيات مسألة الهوية على النخب الوطنية والثورة التحريرية وموقف جمعية العلماء منها... |
| 278     | المبحث الأول: النشاط السياسي لجمعية العلماء وتطور خطابها الإصلاحي.....                             |
| 279     | المطلب الأول: الهوية في مطالب الجمعية خلال المؤتمر الإسلامي الجزائري سنة 1936م.....                |
| 288     | المطلب الثاني: الهوية في خطابات الجمعية ومواقفها الوطنية خلال الحرب العالمية الثانية.....          |

|         |                                                                                     |
|---------|-------------------------------------------------------------------------------------|
| 291     | المطلب الثالث: الهوية في خطاب الجمعية خلال أحداث مجازر 08 ماي 1945.....             |
| 293     | المبحث الثاني: الهوية الوطنية عند تيارات الحركة الوطنية.....                        |
| 293     | المطلب الأول: الهوية في برنامج التيار الإستقلالي وخطابه الوطني.....                 |
| 302     | المطلب الثاني: الهوية في برنامج وخطاب التيار الاندماجي.....                         |
| 316     | المطلب الثالث: الهوية في برنامج وخطاب التيار الشيوعي.....                           |
| 316     | المبحث الثالث: موقف جمعية العلماء من الهوية عند تيارات الحركة الوطنية.....          |
| 317     | المطلب الأول: موقف الجمعية من الهوية عند التيار الإستقلالي.....                     |
| 320     | المطلب الثاني: موقف الجمعية من الهوية عند التيار الإدماجي.....                      |
| 326     | المطلب الثالث: موقف الجمعية من الهوية عند التيار الشيوعي.....                       |
| 328     | المبحث الرابع: مقومات الهوية في ميثاق الثورة التحريرية وموقف الجمعية منها 1954..... |
| 329     | المطلب الأول: الهوية في بيان ونداء أول نوفمبر 1954.....                             |
| 335     | المطلب الثاني: الهوية في ميثاق مؤتمر الصومام 1956.....                              |
| 340     | المطلب الثالث: الهوية في ميثاق طرابلس 1960.....                                     |
| 342     | المطلب الرابع: موقف جمعية العلماء من الهوية في ميثاق الثورة.....                    |
| 353-350 | الخاتمة.....                                                                        |
| 404-355 | الملاحق.....                                                                        |
| 439-406 | قائمة المصادر والمراجع.....                                                         |
| 450-441 | الفهارس العامة.....                                                                 |
| 441     | فهرس الآيات القرآنية.....                                                           |
| 441     | فهرس الأحاديث النبوية.....                                                          |
| 441     | فهرس الأعلام والشخصيات التاريخية.....                                               |
| 447     | فهرس الأماكن والمدن والبلدان.....                                                   |
| 449     | فهرس الملاحق.....                                                                   |
| 454-451 | فهرس المحتوى.....                                                                   |
| 455     | الملخص.....                                                                         |

عملت السياسة الاستعمارية الفرنسية منذ بداية الاحتلال على طمس الهوية الوطنية للجزائريين، من خلال إصدار ترسانة من القوانين الاستثنائية التي تميزت بعنصريتها، خصوصا عند تصنيفها للأهلي صاحب الأرض في مرتبة أدنى من المستوطن، وظهرت ملامح خطورة هذا الوضع على الشعب الجزائري مع بداية الثلاثينات من القرن العشرين تزامنا مع الاحتفالات المئوية للإحتلال، التي رد عليها الجزائريون بتأسيسهم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، حيث باشرت مساعيها وجهودها من أجل إعادة إحياء مقومات الهوية الوطنية الجزائرية وتكريس مرتكزاتها الأساسية بإثبات الحضور التاريخي للشخصية الجزائرية وتميزها عن هوية الآخر التي أراد الإستعمار فرضها على الجزائريين بالقوة، لذا فإن قراءة الظروف التاريخية التي ناضلت فيها الجمعية والأسس الفكرية الإصلاحية التي انطلقت منها في سبيل الحفاظ على الهوية الوطنية كفيل بفهم واستيعاب مختلف الأحداث والمواقف التي عرفها هذا الموضوع في مراحل تاريخية لاحقة.

**الكلمات المفتاحية:** الهوية، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، الاتجاه الإصلاحي، الاحتلال الفرنسي، الحركة الوطنية الجزائرية.

### **Résumé de l'étude :**

La politique coloniale française, dès le commencement de l'occupation, s'est efforcée d'effacer l'identité nationale des Algériens en édictant un ensemble de lois d'exception caractérisées par leur racisme, notamment en déclassant le propriétaire indigène de terre au rang d'infériorité par rapport au colon. Les implications dangereuses de cette situation pour le peuple algérien se sont manifestées au début des années 1930, coïncidant avec les célébrations du centenaire de l'occupation. En réponse, les Algériens ont formé l'Association des oulémas musulmans algériens, qui a amorcé des efforts pour raviver les composantes de l'identité nationale algérienne et établir ses fondements essentiels en affirmant la présence historique de la personnalité algérienne, ainsi que sa distinction par rapport à l'identité imposée par le colonialisme. Par conséquent, l'analyse des circonstances historiques entourant les luttes de l'association et des fondements intellectuels réformistes qui ont guidé ses actions dans la préservation de l'identité nationale est indispensable pour comprendre les divers événements et positions que ce sujet a traversés lors des étapes historiques ultérieures.

**Mots-clés :** Identité, Association des Oulémas musulmans algériens, courant réformiste, occupation française, mouvement national algérien.

### **Summary of the study:**

The French colonial policy, established at the onset of the occupation, sought to eradicate the national identity of Algerians through the implementation of a series of exceptional laws distinguished by their racist undertones, particularly in the categorization of the native landowner as inferior to the settler. The gravity of this situation for the Algerian populace became apparent in the 1930s, coinciding with the centenary celebrations of the occupation. In response, the Algerians founded the Association of Algerian Muslim Ulama. This association initiated efforts to revitalize the elements of Algerian national identity and to reinforce its core foundations by affirming the historical existence of the Algerian identity and its differentiation from the identity of the 'other' that colonialism sought to impose forcibly on Algerians. Consequently, an examination of the historical circumstances in which the association operated and the reformist intellectual foundations from which it emerged is essential for comprehending and elucidating the various events and positions this topic encountered in subsequent historical periods.

**Key words:** Identity, Association of Algerian Muslim Ulama, reformist trend, The French Colonial Occupation, The Algerian National Movement.





People's Democratic Republic of Algeria  
Ministry of Higher Education and Scientific Research  
Ahmed Draïya University – Adrar



Faculty of Humanities and Social Sciences  
Department of History and Archaeology

*The issue of identity in the Association of  
Algerian Muslim Ulama  
(1931–1956)*

Thesis Doctorate L M D in History  
Specialty: Modern and Contemporary Maghreb History

-Presented by:  
Rafika Merabit

-Supervised of :  
Prof. Dr. Muhammad Marghit

–Assistant Supervisor:  
Prof. Dr. Salem Butdara

**Members of the discussion committee**

| Name & surname       | Rank          | The original university        | Character               |
|----------------------|---------------|--------------------------------|-------------------------|
| Bouarioua Abdelmalek | Professor .Dr | Ahmed Draia University - Adrar | President               |
| Marghit Muhammad     | Professor .Dr | Ahmed Draia University - Adrar | Supervisor & Rapporteur |
| Salem Boutadara      | Professor .Dr | Ahmed Draia University - Adrar | Assistant Supervisor    |
| Jalaili Ahmed        | Professor. Dr | Ahmed Draia University - Adrar | Examiner                |
| Halla Khadija        | Dr.           | Ahmed Draia University - Adrar | Examiner                |
| Chaib Kedadra        | Professor .Dr | 8 mai 1945 University - Guelma | Examiner                |

University year : 1446-1447 AH / 2025-2026 AD